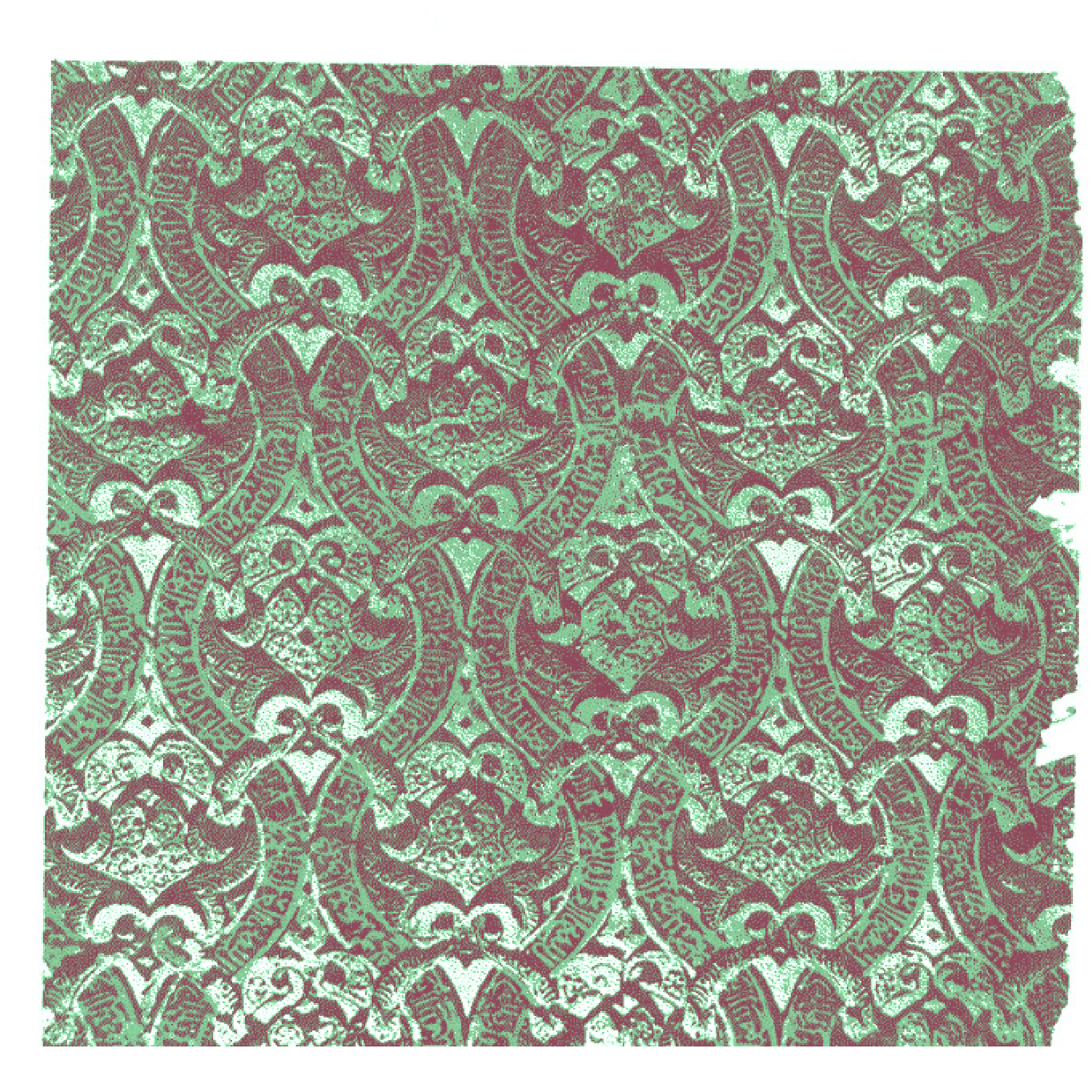
المورد



المورد المجلد الرابع صيف ١٩٧٥ العدد الثاني

دار الحرية للطباعة ـ بغداد ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م

خِدمَةُ الأُمَّةِ نَتيجةٌ لِلفائِدَةِ المُتَوخّاةِ مِنَ الكُتُبِ
الَّتي تَحْفَظُ التُّراثَ وَتَبْعَثُ مجْدَ الأَجْدادِ .

احمد حسن البكر


المورد
مجلة تراثية فصلية
تصدرها وزارة الاعلام - الجمهورية العراقية

التراثيون والنقـــد

بقلم

حارث طه الراوي

ترد الى « المورد » ، بين الفينة والفينة ، ردود في غاية التشــــنج والانفعال ، لو سمحنا بنشرها كما هي ، من غير حذف وتشذيب ، لأسأنا الى أبسط قواعــد النقد الموضوعي اساءة بالغة تخدش الذوق الرفيع وتجعل من « المورد » العذب حلبة « ملاكمة » أو ميدان « مصارعة حرة » !!

وقد لاحظنا ، ببالغ الأسف ، ان الموقف النفسي من صاحب البحث المنقود هو الذي يملي على بعض النقــاد التراثيين نقدهم فتأتي عباراتهم جارحــة أو لاذعة ، كأن المنقود قد ارتكب إثما بحق الناقد يوجب هذا الهياج ويبيح هــذا الاعتداء ويبرر هذه القسوة ... ، ولا اثم هناك ولا جريرة . وقد لا تكون بين الناقد والمنقود معرفة سابقة لا من بعيد ولا من قريب ، ولكنه الحقد المتململ المتحفــز يترصد فرصته الذهبيــة في خطأ هذا الباحث وتوهم ذاك المحقق أو تعثر مترجم من المترجمين ، فتنطلــق هذه المكنونات النفسية المتأججة ليرتاح صاحبها من وطأتها ، حتى ولو كان ذلك على حساب مجلة متزنة ، رزينــة ، كالمــــورد ...

ثم انها فرصة ذهبية للظهور على حساب الغير . فمــا دام هــذا التراثي المغمور يستطيع أن يقدم قائمة طويلة بأخطاء ذاك التراثي المشهور ، فهو أجــدر منه بالشهرة والتألق وهو أحق بالظهور من ذاك الذي يليق به الانزواء والابتعاد عن الأضواء ، فهو في منطلقه النفسي هذا لا يصحح خطأ في اللغــة أو وهمــا في التحقيق وحسب وانما يصحح خطأ آخر في القيم يفترضه طموحه ويختلقــه هــواه !!

* * *

ان ميدان التراث فسيح وعصوره بعيدة ودهاليزه مظلمة كثيرة الالتواء ، فلابد ـ والحالة هذه ـ من العثرات ، رغم الإفراط في التأني وحمل الفوانيس ٠

والتراثي الذي لا يعثر هو تراثي بالاسم لا بالفعل ٠٠٠ ، فهل يحق لهذا التراثي أن يجعل من عثرة زميلـه في الحلبة التراثية سقوطاً ما بعده سقوط وجهلاً ما بعده جهل ٠٠٠ الى آخر هذه الاتهامات التي لا داعي لها ولا مبرر ، وهل النقد ، في حقيقته السامية إقالة عثرات أم تجسيم هفوات ؟

انني لا أبرىء أي ناقد ، مهما كان موضـوعياً ، من العاطفـة ، قلت أو كثرت ، ظهرت أم اختفت ، لأن الناقد انسان والانسان ينفعل ٠ ولأن الناقد كاتب والكاتب ينفعل أولاً ثم يكتب بعد هذا الانفعال ٠ والانفعال هنا هو الباعث المحرك وليس المقال المكتوب ٠ فالناقد الذي يعرف مهمته ويحرص على أدائها على الوجه الصحيح لا يمضي مع الانفعال الى نهاية الشوط فيشوه وجـوه حججـه الناصعة ٠٠٠

ثم ان الاختلاف في القضايا التراثية ـ وهي قضايا علمية محسـومة في الغالب ـ هو غير الاختلاف في القضايا الأدبية الذوقية المزاجية المتروك حسمها الى الزمن ٠ والاختلاف في هذه قد يأخذ شكلاً عنيفاً مالوفـاً ٠ أما الأسـلوب الملتهب في القضايا التراثية المحسومة فهو غير مألوف في الردود ذات الوزن العلمي الثقيل ٠٠٠

لقد تطور النقد في العـالم وأصبح علماً ينفق الانسان عمره في دراسة مداخله ومخارجه ، ولكن هل يكفي أن نلم بالجانب العلمي من هذا العلم ونهمل جانبه الأخلاقي في حين ان الجانبين يكونان وحدة عضوية متماسكة ؟

فالى الاقلاع عن المنطلقات النفسية والأغراض الشـخصية في النقـد أدعوكم يا نقادنا التراثيين الأعزاء راجياً لكم المزيد من التوفيق في النقد الموضوعي البريء من الأهواء ٠٠٠

الأبحاث والدراسات

من قضايا النقـــد الأدبي

في العصر العباسي

بقلـــم

الدكتور جلال الخياط

منذ ان وقف الشاعر الجاهلي يبكي على الطلل، ويفصح عن مواجده وهمومه ، في قصائد واشعار ، والدهشة تحكم ردود افعال المصغين اليه ، يتلقون انتاجه بحيرة واعجاب ، ويفسرون بواعثه بالجن والشياطين ، ويتبعونه بتعقيب او ملاحظة سريعة . وتكثر القصائد ويزداد الشعر اهمية سنة بعد سنة ويتطور وينمو ويكتسب مواقع جديدة ، وتقـام للشاعر في القبائل ، حين ينبغ ، طقوس واحتفالات ، وتؤطر كلماته العصر وقضاياه ، وتدور عليها حياة الجاهليين ، في حلهم وترحالهـم ، ومفاخرهـم وغزواتهم ، وتتمثل فيها احاسيس الفرد وتطلعاته ونوازعه الخاصة . وتبدأ احاديث عن الشـعر واصحابه ، ويتكون لدى الناس ذوق ادبي عـام يخشناه الشعراء ، فيبقي زهير قصائده حولا ، يغير ويحذف ويضيف ، وتستحيل ردود الافعال الى ملاحظات ادبية تأتي مجردة مطلقة حينا ومقترنة بتحليل وتعليل احيانا ، وتتضمن اعجابا واستهجانا وقبولا ورفضا ، ويتحول الذوق الفطري الى وعي ادبي يشكل النواة الاولى للنقد ، وتشيع مقاييس ، فيما تقبل وترفض قريش من اشعار ، وفي احكام النابغة بعكاظ ، وفي غير هذا وذاك .

ويولد النقد الادبي ، في اشكاله البسـيطة ، ويلاحق الشعراء بالتوجيه والتفسير والموازنـــة . وينقضي العهد الجاهلي ، وتنكشف عوالم في صدر الاسلام ، ومظاهر فكرية غير معهودة . ويمر الشعر في مراحل تتفاوت فيها اهميته ، حتى اذا ما جـاء العهد الاموي كان له تأثير كبير ، يخفض ويرفـع ويدني ويبعد ، ويلعب دوره الكبير في عالم الحكم والسياسة والفكر والاجتماع . ويرث العصر العباسي العهود الثلاثة الماضية ، ويعيد النظر فيما قدمته من تراث شعري ، وينسق ويحدد ، ويجترح اقـوالا ونظريات ، ويحفظ لنا جزءا مما ابدعه رواد القرون السالفة . وهناك قضايا نقدية كثيرة يطورها او يثيرها العباسيون ، اخترت منهـا ما يمكنني ان اتناوله تناولا معاصرا قد يكشف عن جوانب ، مـا زالت غير واضحة ، ومن تلك القضايا :

النقـد القاعدي :

حاول النقاد القدامى والمحدثون ، قبل ارسطو وبعده ، ان يضعوا اسسا وقواعد للنقد ثابتة ، وكان هاجسا يؤرقهم ويدفعهم الى تحديد الـذوق الادبي بشروط ودوائر ، يلتزم بها القارىء فيمـا يستوعب من نصوص مختلفة ، فيعطل بذلك قدرته على التذوق والفهم ، ولا يكون طرفا ثانيا متلقيا في عملية الابداع والخلق ، بحرية واختيار .

ونجد الرغبة في الحصر والتحديد تصاحـب البشر فيما يصدرون من اراء وما يقومون من اعمال لان العقل محدود مهما كشف وابدع ، ومهما قطع مراحل من الحضارة طويلة واوغل في مفـازات واسعة ، تنحسر عنه ابعاد كثيرة ، تبقى غامضـة ومجهولة ، فتولدت في نفس الانسان تلك الرغبة في الحصر ليدرك المجهول ويوضح الغامض ويخضع مظاهر الحياة كلها للقاعدة والتعريف ، وان نجح في مجالات متنوعة كالعلوم ، فهو ما زال يتعثر في تحديده لبعض قضايا الانسان والتعبير عنه ، ومنها الادب ، ومن الادب النقد ، فليس بمقدور الناقد ، وان بذل جهدا ، ان يحول الادب الى مسألة علمية ، يمكن ان يزاولها من يتقن قوانينها ، لان التذوق الادبي جزء من ممارسيه ، يتكون طبقا لمسببات منها : البيئة والثقافة والتجربة والموهبة ، وعوامل اخرى فاعلة في حياة الانسان مؤثرة في مجراهـا منفعلة بطاقاته واعماله .

ويدرك النقاد العباسيون صعوبة وضع قوانين

ثابتة للادب ولكنهم يحاولون مندفعين بتأثير نزعة لا تقاوم الى التحديد ، ونجدهم يعرفون الشعر ، فقدامة بن جعفر مثلا يعرفه بانه القول الموزون المقفى الدال على معنى (١) ، ويورد المرزباني بان احسن الشعر ما قارب فيه القائل اذا شبه ، واحسن منه ما اصاب به الحقيقة ، ونبه فيه بفطنته على ما يخفى على غيره ، وساقه برصف قوي واختصار قريب ، وعدل فيه عن الافراط (٢) ، ويحدده ابن طباطبا بانه كلام منظوم ، ويرى ابن سينا انه كلام مخيل مؤلف من اقوال موزونة متساوية وعند العرب مقفاة ، ولعل اردا ما ورد من تعريفات للشعر قول العامري : انه كلام مركب من حروف ساكنة ومتحركة بقواف متواترة ومعان معادة ومقاطع موزونة ومتون معروفة (٣) ، فليس الشعر كلاما ، ولا تختص الحروف الساكنة والمتحركة بالشعر ، ومعاني الشعرومضامينه ليست تكرارا واعادة ، ففي ذلك الغاء للابداع والابتكار ، وهناك من يرى ان الشعر يصدر عن عاطفة معينة مؤثرا في عاطفة ثانية ، فيعرف الشعر بكلمة غامضة غير محددة تتطلب تعريفا اخر ، ومنذ ان ابدع الشاعر الجاهلي معلقاته وقصائده ومقطوعاته الشعرية ، حاول النقاد ان يعرفوا الشعر فلم يفلحوا ، وفاتهم ان في كل قصيدة تنظم وفي كل بيت يقال تفسيرا وتعريفا له (٤) .

وحاول النقاد ان يضعوا تعريفا للنقد ايضا ، وما زالت عملية وضع ذلك التعريف مستمرة ، ويتعذر الوصول الى تعريف جامع مانع نهائي ، فمسالة نقد النصوص وادراك مدى الروعة والابداع فيها نسبية تختلف باختلاف الابداع وتلقيه ، والثقافة والظروف والعصر والحضارة ، ولا يمكن حصرها في قاعدة ثابتة لا تتغير .

وتطلع النقاد العرب الى اخضاع ما ليس من طبيعته الخضوع ، للتقنين والتحديد ، وارادوا ان يقودوا جمهور القراء الى العوالم الادبية بارشادمنهم ورعاية وتوجيه ، واسهموا في مسيرة النقاد قديما وحديثا ، للعمل من اجل النقد القاعدي ، فقد عمت النقد فوضى شاملة وتضاربت الاراء وتعددت الاهواء فاحبوا ان تصبح المبادرة طوع ايديهم في تعليم الناس الكشف عن النصوص الجيدة ، وحصر ذوقهم الادبي بما يرتأون في تلك النصوص ، من مواطن ضعف او قوة ، وما يوطئون للادباء والشعراء من اساليب ومضامين ليجودوا ويبدعوا فاثروا الحياة الادبية بما قدموا من محاولات واراء ودراسات ومصادر ولكنهم لم يتوصلوا الى قواعد ثابتة غير خاضعة للتطور والتغيير والنماء .

ويدفع النقد القاعدي ، والهاجس الذي طوح بالنقاد الى التصنيف والتحديد ، ابا عبدالله محمد ابن سلام الجمحي البصري (ت ٢٣١ هـ) الى تقسيم الشعراء طبقات ، مستوحيا المقولة المشهورة : (كفاك من الشعراء اربعة : زهير اذا رغب ، والنابغة اذا رهب ، والاعشى اذا طرب ، وامرؤ القيس اذا ركب) ، والملاحظات النقدية القديمة ، والمفاضلة بين الشعراء التي شاعت واتسعت في عصره وتقديم شاعر على اخر ، وما يقوم حول هذا وذاك من نقاش ، فيؤلف كتابه طبقات الشعراء وقيل طبقات فحول الشعراء ، وقيل انه كتابان ضما معا (٥) ، فياتي باربعين شاعرا جاهليا ، يرى انهم من الفحول ، ويضعهم في عشر طبقات متتالية في المكانة ، تحظى الاولى بالتفوق والفضل ، وتتدنى الثانية عنها وهكذا ، ولا يقوم بذلك التقسيم اعتباطا ، ولكنه يعتمد اسسا وسمات ويقدم اسبابا ويعلل نتائج ، وبهذا يفتح صفحة جديدة في المنهجية او ما يشبه الموضوعية في البحث ، ويطوى عالما من الملاحظات النقدية الشخصية التي قدمها العصر الجاهلي ، وتطورت فيما بعد بتعليل او تحليل عرفتهما الاندية والمجالس الادبية ، ويأتي ايضا باربعين شاعرا اسلاميا ويضعهم في طبقات ، ويهمل المحدثين كبشار ومسلم بن الوليد وابي نواس وغيرهم .

ومن الاسس التي وضعها ابن سلام ليتبوا الشاعر مكانة متقدمة في طبقاته : جودة اشعاره وكثرتها وتنوع اغراضه ، ولا يضع مقاييس للجودة، يمكن ان نقتنع بها ، وكثرة الاشعار لا تصح لدينا مؤشرا حقيقيا للابداع ، فهو يقدم من له عشرون قصيدة على من له خمس قصائد مثلا ، فما ذنب الشاعر ان ضاعت قصائده ، ولم يحفظها الرواة وما ذنبه ان كان مقلا لا يصدر الا عن عاطفة حقيقية صادقة ، ولا ينظم الا بوحي منها ، ومتى كان عدد

---

(١) قدامه بن جعفر ، نقد الشعر ، بتحقيق كمال مصطفى ، ط ١ ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص١١ .

(٢) المرزباني ، الموشح ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٣٨٠ .

(٣) ينظر : تاريخ النقد الادبي عند العرب ، لاحسان عباس ، بيروت ١٩٧١ ، ص ١٣٤ ، ٢٣٩ .

(٤) ينظر للكاتب : الشعر العراقي الحديث ، مرحلة وتطور ، بيروت ١٩٧٠ ، ص١١٨ .

(٥) يراجع : تاريخ النقد الادبي عند العرب ، لطه احمد ابراهيم ، بيروت بلا تاريخ ، ص ٢١ . وتاريخ النقد الادبي ، لمحمد زغلول سلام ، ج١ ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ١٠٣ ، والفهرست لابن النديم ، ص١٦٥ .

قصائد الشاعر معيارا نقديا يومىء الى اجادتـــه وابداعه ، ولو صح هذا لتفوق كثير من الشعراء المقلدين في الفترات المتاخرة باكداس من القصـــائد تناولت موضوعات متنوعة ، اكثرها لا يمت الـى روح الشعر بصلة ، على شعراء عباسيين كالمتنبي وابي العلاء مثلا ، وتبعا لما ارتآه في كثرة الشـعر حكما على الشعراء وضع طرفة بن العبد ، وهـو من اصحاب المعلقات ، في الطبقة الرابعة ، لقلة ما يروى من شعره ، ووضع الاسود بن يعفر في الطبقة الخامسة الجاهلية : « وكان الاسود شاعرا فحلا .. وله واحدة طويلة رائعة لاحقة بأجود الشعر ، ولو كان شفعها بمثلها قدمناه على مرتبته وهي :

نام الخلي فما احس رقـــادي
والهم محتضر لدي وسادي » (٦)

ومما يقدم الشاعر لدى ابن سلام تنوع اغراض الشعر عنده وكثرتها ، فان اقتصر على غرض واحد او غرضين ، عده متأخرا ، وهكذا فضل كثير عزة على جميل بن معمر ووضع الاول في الطبقة الثانية الاسلامية لتنوع اغراضه والثاني في الطبقة السادسة لاقتصار اكثر نماذج شعره على النسيب ، مـــع اعترافه بانه مقدم على كثيّر فيه ، وكان جميل قد مارس المديح ايضا (٧) ، ولا شك ان الشاعر الذي يبدع بمستوى واحد في اغراض الشعر المختلفة كالمديح والهجاء والغزل والرثاء ... الخ ، يحظى بتقدير واعجاب ، وان عرف عن شعراء انهم يجيدون في غرض واحد او غرضين ، ولكن تنوع الاغراض لا يصح مقياسا دقيقا لمعرفة مدى ما تصل اليـه مواهب الشعراء ، ولا نستطيع ان نفرض عليهـــم مضامين اشعارهم ، باشاعة ذلك المقياس ، ولهم ان يختاروا تلك المضامين بوحي من وجدانهـــم وتجربتهم واحساسهم الصادق ، ولا يعاب علـــى شعراء انهم لم يهجوا او لم يرثوا او لم يمدحوا ، والمديح والتكسب بالشعر ، مثلا ، يحط من قيمة الشاعر في الجاهلية وعند بعض الشعراء في العصور الاخرى ، فترفع عنه كثيرون (٨) ، أيعني ذلك طبقا لمقاييس ابن سلام عجزا عن النظم في اغراض الشعر المختلفة يضعهم دون غيرهم مكانة ومنزلة ؟ ويعتمد ابن سلام أسسا اخرى ، في طبقاته ، غير هذه وتلك ، ولا يهمنا مدى توفيقه واصابته فيها ، بقدر ما نعنى بانه في طليعة الكتاب الذين اختاروا منهجا معينا ، او ما يشبه المنهج فيما يكتبون ويصدرون مـــن احكام .

ويرفض ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) تقسـيم الشعراء الى طبقات ويرى ان الشعر انواع واضرب ، منها ما حسن لفظه وجاد معناه ، ومنها ما حسن لفظه وحلا فاذا انت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى ، ومنها ما جاد معناه وقصرت الفاظه عنه ، ومنها ما تأخر معناه ولفظه(٩) ، ونلاحظ في هــذه الاضرب ان ابن قتيبة يفصل الشكل عن المضـمون « وان احكامه ذوقية بدليل قوله حسن وجاد وحلا وقصر وتأخر ، وهي احكام مطلقة اذ لم يعلقها على توافق بين لفظ ومعنى او بين قائل ومقول او بــين

---

(٦) ابن سلام ، طبقات الشعراء اعداد اللجنة الجامعية لنشر التراث العربي ، بيروت بلا تاريخ ، ص ٣٣ .

(٧) ينظر : وفيات الاعيان لابن خلكان ، ج١ ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص٣٢١ .

(٨) ينظر للكاتب : التكسب بالشعر ، بيروت ١٩٧٠ ، ص١١ وما بعدها .

(٩) يقول ابن قتيبة في الشعر والشعراء ، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر ، ج١ ، ط٢ ، القاهـــرة ١٩٦٦ ، ص ٦٤ وما بعدها : تدبرت الشعر فوجدته اربعة اضرب :

أ ــ ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه ويستشهد بابيات منهـا :

يغضي حياء ويغضى من مهابته
فما يكلم الا حـين يبتســـم

ومنهـــا :

والنفس راغبـة اذا رغبتهـا
واذا ترد الى قليـل تقنــع

ب ــ وضرب منه حسن لفظه وحلا ، فاذا انت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى ويستشهد بابيات منها :

ولما قضينا من منى كل حاجة
ومسح بالاركان من هو ماسح
وشدت على حدب المهاري رحالنا
ولا ينظر الغادي الذي هو رائح
اخذنا باطراف الاحاديث بيننا
وسالت باعناق المطي الاباطح

والابيات التالية :

بان الخليط ولو طوعت ما بانا
وقطعوا من حبال الوصل اقرانا
ان العيون التي في طرفها حور
قتلننا ثـم لـم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لاحراك به
وهن اضعف خلق الله انسانا

ج ــ وضرب منه جاد معناه وقصرت الفاظه عنه كقـــول القـــائل :

ما عاتب المرء الكريم كنفسه
والمرء يصلحه الجليس الصالح

د ــ وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه ويستشهد بابيات منهـــا :

وقد غدوت الى الحانوت يتبعني
شاو مشل شلول شلشل شـول

الشاعر وعصره » (١٠) ، وانه يحاول ان يضع مقاييس للجودة والرداءة في الشعر معتمدا رايه المنطقي الصرف ، باجتهاد شخصي خاص ، فلا يمكننا ان نقسم الشعر الى تلك الاضرب ، لانه اوسع واشمل من انواع واشكال محددة معينة ، والابيات التي اوردها تختلف فيها الاذواق ، فالبيت الثاني « والنفس راغبة .... » حكمة تافهة لا تصح في كل الاحوال ، فالنفس قد تقنع او لا تقنع اذا رددتها الى قليل ولا هي راغبة واقعة تحت طائلة الاغراء دائما ، وهناك من يرفض ويزهد وينحسر عما يرغب فيه ، ولنفرض صحة مضمونه ، فأية قيمة شعرية ابداعية يحملها في غضونه؟ وهو لا يرقى تحت ضوابط اي متذوق ، الى مستوى الابيات الواردة في الضرب الثاني ومن عجب ان يعتبر ابدع بيت قالته العرب (١١) ، وتقسيم ابن قتيبة ، أولا واخيرا ، محاولة لوضع قواعد ثابتة للنقد ، «وظاهر ان هذه الاضرب الاربعة نتيجة حصر علمي ، فالشعر عنصران اثنان عند ابن قتيبة : لفظ ومعنى. وكلاهما يجيء حسنا حينا ، ورديئا حينا ، وتأتلف هذه النعوت بعضها مع بعض فتتوافر عنها في الشعر هذه الاضرب » (١٢) .

ولا يكتفي ابن قتيبة بتقسيم الشعر الى اضرب ولكنه يحصر اغراضه باطر معينة ويذكر البواعث التي تدفع الشاعر الى نظم قصائده : « وللشعر دواع تحث البطيء وتبعث المتكلف ، منها الطمع ومنها الشوق ، ومنها الشراب ومنها الطرب ومنها الغضب » (١٣) ، الا ان الشعر اعمق واغزر واوسع واشمل من هذه الدواعي التي يذكرها ابن قتيبة ، حين يعبر الشاعر عن تجربته واحساسه ومواجده وتطلعاته ، وموقفه ازاء الموت والحياة ، وتمثله وتمثيله للانسانية ، كفرد من خلال النوع ، ولا يليق به ان ينبعث فيما ينظم ويبدع عن طمع ، وان افتعل بعض الشعراء الاماديح ليحصلوا على المال (١٤) ، ولكن القياس هنا خاطيء ، او انه يصدر فيما ينظم عن حالات الشرب والطرب والغضب ، بعيدا عن التاملات الفكرية الهادئة ، وكأنه يستجدي الحالات النفسية المؤدية الى مضامين يفرغها في قوالب تستقيم عنده قصائد وابياتا ، وان ذهب بعض الشعراء الى ان هذه الدواعي هي التي تبعث حقا فيهم الرغبة في النظم وتحثهم عليه (١٥) .

ويشتد تأثير المنطق عند قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) ويحاول ان يطور اضرب الشعر التي جاء بها ابن قتيبة الى تقسيمات اخرى تقوم على الانسجام بين عناصر الشعر : اللفظ والوزن والقافية والمعنى ، بائتلاف اللفظ مع المعنى ، وائتلاف اللفظ والوزن ، وائتلاف المعنى والوزن ، وائتلاف المعنى والقافية (١٦) ، ومتى يحسن ذلك ومتى يتم ، وكيف يضعف وينفرط ، وفي كل هذا وذاك يصدر عن عقلية منطقية ، تحاول مرة اخرى ، اخضاع الذوق للقاعدة وتحليل الشعر الى عناصر ، وتقسيمه الى اصناف بتوافق تلك العناصر ، وبادراك ذلك التقسيم يستطيع القارىء ان يكشف عن مواطن الابداع ، كما يرى قدامة الذي يضيف اسهاما جديدا الى تلك المحاولات التاريخية المستمرة الدائمة التي يسعى اليها النقاد ، مرتدين مسوح المعلمين والمرشدين يعوضون ، بما يضعون من قواعد ، عن ضعفهم ازاء الاستحواذ التام على عملية التذوق الادبي وتوجيهها .

وان كان ابن قتيبة قد ذكر دواعي للشعر وبين قسما منها تحث الشاعر على النظم ، فان قدامة بن جعفر قد ارجع الاغراض جميعا ، ما عدا الوصف ، الى المديح (١٧) ، فهو القطب الذي تدور عليه رحى الشعر ، فالرثاء مديح الهالكين ، والغزل مديح النساء ، والهجاء مديح معكوس : « رأى قدامة ان اغراض الشعر اما ان يكون موضوعها الانسان الممدوح ـ المهجو ـ المرثي ـ المتغزل به ـ الموصوف ، واما ان يكون موضوعها الشيء الموصوف ، وقد يجيء موضوع سادس يجمع بين هذين بالرابطة الصورية ، التشبيه ، وفكر قدامة اننا اذا استثنينا الوصف وهو موضوع مشترك بين الناس والاشياء فان الاربعة الاولى ليست الا منحا للصفات او سلبا لها ، فالمدح يتطلب صفات ايجابية تسلب في الهجاء ، وتحول الى المضي في حال الرثاء ، وتحور عن قاعدتها الاصلية في الحديث عن النساء » (١٨) .

---

(١٠) محمد مندور ، النقد المنهجي عند العرب ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص٢٩ .

(١١) حدث الرياشي عن الاصمعي قال : « هذا ابدع بيت قالته العرب » ، ينظر : الشعر والشعراء ، ص ٦٥ ، والرياشي هو العباس بن الفرج اللغوي النحوي ، قتله الزنج بالبصرة سنة ٢٥٧ هـ .

(١٢) طه احمد ابراهيم ، ص ١٢٤ .

(١٣) الشعر والشعراء ، ص ٧٨ .

(١٤) ينظر : التكسب بالشعر ، ص١٨ وما بعدها .

(١٥) ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، تحقيق محمد سعيد العريان ، القاهرة ١٩٥٣ ، ص ١٥١ ، ١٥٢ . وينظر : الموشح للمرزباني ، ص٣٧٧ .

(١٦) ينظر : قدامة بن جعفر ، ص ١٤٨ وما بعدها .

(١٧) المصدر السابق ، ص٥٨ وما بعدها .

(١٨) احسان عباس ، ص ١٩٥ .

ونجد الرغبة في النقد القاعدي قد ادت بقدامة ، كما فعلت بابن قتيبة ، ان يلغي ، باعتباره المديح اساس الشعر ، موقف الشاعر وشخصيته ومكوناته الثقافية والحضارية ، ويمكننا ان ندرك بسهولة ان التجربة الشعرية تختلف في حالةالمديح الحقيقي ، اي الاعجاب بعمل بطولي او انجاز عظيم يقوم به شخص يستأهل الاشادة والاطراء ، عن الغزل وموقف الشاعر من امراة احبها ، ووصف الاحاسيس التي اثارتها في نفسه ، ومدى الاندماج الروحي والنفسي بينهما ، ومعنى الوحدة والتفرد .. الخ ، وبين المديح والرثاء بون شاسع ، فحزن الشاعر لان الموت طوى انسانا احبه يختلف عن اعجابه بشخص معين ، لعمل جيد قام به ، وقد يتطور الرثاء الى تأمل فلسفي في قضايا الموت والحياة والفناء والخلود ، والهجاء الذي تحتمه طبيعة الدفاع عن النفس او القبيلة او الامة او المعتقد يتحول الى سلاح ماض يدفع به الشاعر غائلة المناوئين والاعداء ويوطد عن طريقه دعائم ما آمن به فرديا او جماعيا ، اليس من السذاجة والرغبة العارمة في التحديد ان يذهب ناقد كقدامة بأن المديح اساس الشعر ؟ فاذا ذكر شاعر بأن فلانا عظيم ، فهذا مديح ، وان قال بانه كان عظيما ، فذاك هو الرثاء ، وان حور المعنى ووجهه الى امراة فقد تغزل ، وان سلب احدا صفة ايجابية فقد هجاه (١٩) ، الا نجد في هذا الراي تعنتا وحصرا واصرارا على النقد القاعدي « ولو صح ما يقوله قدامة لنضب الشعر في جيل واحد ، ولاستحال نظما ، ولو صح لخاض الشعراء جميعا في كل الاغراض ، ولما كان من تعليل ممكن لان يجيد شاعر كالفرزدق المديح ، ويتخلف تخلفا زريا في الرثاءولان يتاخر زهير والبحتري في الهجاء ويأتيا بالمدائح الفاخرة ، ولو صح لكان الهجاء صورة واحدة في كل العصور ، واحدة عند كل الشعراء ، ولكن تاريخ الادب يفند ذلك ويقرر ان لكل عصر في الهجاء معاني ومناحي واساليب خاصة ، فالهجاء في العصر الاسلامي غيره عند المحدثين ، والهجاء عند جرير غيره عند بشار ... » (٢٠) .

ويوغل قدامة في غرابة آرائه فيصنف المديح ، اساس الشعر وقطبه الاكبر كما يرى ، الى معان للخلفاء والملوك والوزراء والكتاب وغيرهم ، فما يصح لهذا لا يصح لذاك ... الخ (٢١) ، ويحدد للشعراء مضامين قصائدهم وابياتهم ، وليس لهم سوى ان يستمدوا منه تلك المعاني وان يضعوا لها الكلام الموزون المقفى لتستقيم شعرا ، ويلغي ، في عمله هذا ، شخصية الشاعر والفروق بين المواهب الشعرية ، ولا يعترف بالتجربة الخاصة ، ويحصر المعاني ويشجع الشعراء على المديح ، وكأن الشعر وجد لخدمة الممدوحين ، ويقتل روح الابتكار والتجديد عند الشعراء ، ويعطي لنفسه دورا اكثر مما يستوعبه ناقد ، ولا يرى تفاوتا بين الممدوحين واعمالهم وانجازاتهم .

ومن اراء ابن سلام وابن قتيبة وقدامة وغيرهم نتلمس الاتجاهات الكثيرة التي سادت عالم النقد ، في العصر العباسي ، ودفعت النقاد ، تحت وطأة فوضى الاذواق ، واجتراح النظريات الادبية الثابتة، الى وضع اصول للنقد القاعدي القائم على اسس موحدة ، كالعلم ، مع معرفتهم بصعوبة الامر وتعذره، ولكن النزعة الى التحديد ما زالت تحكم اراء النقاد وتمد ، احيانا ، العوالم الادبية بفيض من الدراسات والبحوث ، ويبقى الادب يرفض جوانب من النقد القاعدي ويتأباها ولا يصدر عنها في تطوره وازدهاره .

الصراع بين القديم والحديث :

يبدو ان الصراع بين القديم والحديث والتقليد والتجديد والماضي والحاضر سمة تبرز في الحياة الفكرية حين تتطلع الامة الى انجاز حضاري جديد وتطمح الى تطوير تجارب الماضين والاستفادة من القدرات المعاصرة ، ولا تتضح تلك السمة الا في ادوار معينة تحكمها التحولات الاجتماعية والسياسية ، ويتخذ ذلك الصراع احياناجانباسلبيا سقيما ، وقد يضيع جهد وتتبدد طاقات وتهدر كلمات ، ولكن القرار يومىء في النهاية الى نواح ايجابية ودراسات جديدة واراء مغايرة ، او الى ما هو ابعد من ذلك : بحث دائم عن عوالم غير معهودة وكشف مستمر لما يضني البشر من تساؤلات لا متناهية عن الغامض والمجهول ، وتحريك الافكار والعقول ، وفهم حديث للتراث واضافة جديدةاليه وترسيخه وامتداده الى المستقبل بشكل يبقي على تطوره وحيويته وقدرته على الصيرورة والمعاصرة .

ويتخذ الصراع بين القديم والحديث انصارا

---

(١٩) ينقل حازم القرطاجني رايا مماثلا للجاحظ : « ليس شيء الا وله وجهان وطريقان . فاذا مدحوا ذكروا احسن الوجهين واذا ذموا ذكروا اقبحهما » ، ينظر : منهاج البلغاء وسراج الادباء ، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة ، تونس ١٩٦٦ ، ص٧٤ .

(٢٠) طه احمد ابراهيم ، ص١٣٢ .

(٢١) ويرى حازم القرطاجني الراي نفسه فيقسم معاني المديح للخلفاءوالامراء والوزراء والقضاة ، ص١٧٠ ومابعدها.

من فريقين ، يلتزم الاول بالقديم ويهيء مواقع الدفاع المستميت عنه ، ويتجه الثاني الى الحديث ، محاولا النيل مع تلك المواقع ، مبررا الحداثة باسباب وعوامل كثيرة ، ويطلع احيانا فريق توفيقي ثالث ، يتوسط بين هؤلاء واولئك ، يظهر خير ما توصلوا اليه وما قدموه من نظريات وآراء ، وقد يقوم ذلك الصراع احيانا تحت وطأة فراغ فكري ووجداني عند جيل من الاجيال حين يشغل بالجدل تلهية وتأكيدا للذات ، ويشمل الصراع مظاهر فكرية متعددة ويتبلور في اكثرها عرضة للجدل والنقاش ، حين لا تحكمه قوانين ثابتة كالادب الذي يعتمد الموهبة والقدرة والثقافة والتذوق .

وبدأ صراع بين القديم والحديث ، في العصر العباسي ، بتأثير التحولات العامة وتبدل النمطية المتوارثة في الفكر والحياة ، وبهمنا منه الجانب الادبي الذي اثرى الاجيال المتعاقبة بمصادر ثقافية متعددة واحتدمت فيه اقوال وآراء .

ولا يعدم العصر الجاهلي ، من قبل ، لونا من الوان ذلك الصراع ، فزهير يشكو بانه ينظم معاني مكرورة معادة ، وامرؤ القيس يريد ان ينهج طريق شاعر قديم في الوقوف على الاطلال ، وعنترة يرى ان الشعراء السابقين لم يتركوا له مجالا في عالم الشعر ومضامينه يتحدث عنه (٢٢) ، وفي ذلك بحث عن معاصرة جاهلية مغايرة لما جاء به شعراء الجاهلية القدماء الذين لا نعرف عنهم شيئا ، وما مجالس الادب والنقد في سوق عكاظ وغيره الا مظهر للتفوق والمنافسة وتجاوز النموذج القديم ، وقد تجد ثورة ابي نواس ، فيما بعد ، على افتتاح القصائد بالوقوف على الطلل ، صدى صامتا في مطلع معلقة عمرو بن كلثوم : « الا هبي بصحنك فاصبحينا » وغيره من الجاهليين الذين لم يفتتحوا قصائدهم بالطلل كامية بن ابي الصلت : (غذوتك مولودا . . .) وتأبط شرا : (ان بالشعب الذي دون سلع) ، والحارث بن وعلة : (قومي هم قتلوا اميم اخي) ، والمنخل اليشكري : (ان كنت عاذلتي فسيري) وعشرات القصائد الاخرى .

---

(٢٢) يقول زهير :

ما ارانا نقول الا معارا
او معادا من قولنا مكرورا

ويقول امرؤ القيس :

عوجا على الطلل المحيل لاننا
نبكي الديار كما بكى ابن حذام

ويقول عنترة :

هل غادر الشعراء من متردم
ام هل عرفت الدار بعد توهم

وحين ظهر الاسلام وتبدل وجه الحياة واجتاحت الجزيرة العربية قيم جديدة ، ارتد بعض الناس الى الماضي مدافعين عن مواقعه متشبثين بانسيابيته ، فلخصت الاية الكريمة موقف الردة الفكرية عندهم : (بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون) ، وحين توطدت اركان الاسلام وشارف العصر الثاني على الانتهاء قام العهد الاموي ، ووريث العصرين السابقين ، وبدأت مظاهر الصراع تتخذ اوجها عديدة ، واتسعت المسألة في العصر العباسي ، ولو سادت فكرة ان يحيا الجديد الى جانب القديم ، وان مقومات الجدة تثبتها صفات القدم ، والا تجديد بلا تقليد ، وان لكل عصر اساليب في التعبير خاصة ، لما قام ذلك الصراع ، ولكن اسبابا اخرى ساعدت على تكوينه منها : انبهار جمهرة المتأدبين بالنموذج الجاهلي ، ومكانة الرواة ، فحاكى بعض الشعراء الاساليب القديمة ، وآمنوا ان ليس بالامكان احسن منها ، والا جديد تحت الشموس الاموية والعباسية ، متطلعين الى استقطاب درجة من الاعجاب توازي ما حظيت به تلك الاساليب ، واندفع اخرون الى نحل الجاهليين قصائد ينظمونها ، مترسمين خطاهم ، حين وجدوا ان تقديس القديم ، الغى دور الحاضر،ولم يأبه لقريحة ابنائه ، واللغويون،طليعة المدافعين عن القديم بحثا عن الشاهد ، يضعون ضوابط وقواعد للغة ، فلا يليق الاستشهاد بمحدث، ولا تقوى الحجة به .

ومما اسهم في التعصب للقديم ايثار الركود الفكري عند فريق من الناس اعتادوا انماطا من التعبير ثابتة ، وليس لهم ان يعكروا صفو امزجتهم الادبية باساليب مغايرة ومعان مبتكرة ومناح جديدة في القول . والانسان اذا ما تلبسته مواقف فكرية معينة عدو لما يجهل ، وليست له القدرة على الكشف ، يكتفي بما عرف واتقن ، يتحصن به ، ويقيم من حوله الاسوار ، ويغلق المنافذ دون الحاضر والمستقبل ، تشبثا بمواقفه .

ومن اسباب الانتصار للقديم ، رفض الحياة القائمة ، وتمويه هذا الرفض ، في لا وعي الانسان ، بالغاء اي انجاز حديث ، والتطلع باحترام يبلغ حد التاليه ، الى النماذج القديمة ، وشل قدرات المعاصرين ، بالايماء اليها ، كنهايات لا يمكن ان يتجاوزها مهما بلغوا من ثقافة او موهبة ، وقد تكون اسباب هذا الرفض اجتماعية او سياسية او عقائدية . ولا يقر الاباء والاجداد ، احيانا ، لابنائهم واحفادهم ، مهما اوغلوا في مجالات الابداع والعبقرية ان يتفوقوا عليهم ، والغيرة والحسد من الاجيال

الجديدة وما تحظى به من اعجاب واقبال قد يولدان موقفا سلبيا عنيفا ازاء اي تجديد وابتكار .

وحين يتأصل الفعل والامتداد الى الماضي يأتي رد الفعل والانطلاق الى المستقبل ، وهكذا قام الصراع بين القديم والجديث ، في العصر العباسي ، واغنى في اتجاهه الايجابي ، الحياة الفكرية والادبية ، فظهر من يرى ان الابناء يجب ان يؤدوا دورهم كابائهم وان يعبروا عن احاسيسهم وان يصدروا عن معطيات عصرهم ، وان يمثلوا زمنهم ، وان تشرق عليهم الشموس المتجددة كل يوم ، وكما فعلت من قبل ، وان العبقرية ليست سمة عصر بذاته ، وعوالم الابداع مشرعة ، ترحب بالقادمين الموهوبين ، وابواب الاجتهاد مفتوحة دائما امام الانسان ، ويأخذ رد الفعل قوة وتطرف الفعل فيظهر من يرفض القديم ونماذجه ، وفي ذلك قطع لسنة التطور الدائبة مع الحياة ، والغاء لفضل الاباء والاجداد في الريادة والكشف ، وفي الرأيين حدة وخطل ، وانكار للذوق الادبي وللنوازع الخاصة ، ولدور القارىء والمتلقي في عالم الادب ، يمكن ان يعجب بقديم وحديث ويطرب لجاهلي وعباسي ، ويجمع بين هذا وذاك ، أيعني قيام ابي تمام والمتنبي الا فضل للنابغة ولبيد؟ أليس التعصب لشاعر او عصر مردودا ومرفوضا طبقا لابسط القيم الحضارية والادبية ؟

والجاحظ من الكتاب العباسيين الذين حاولوا التوفيق بين القديم والحديث ، وفضل قصيدة لابي نواس على اخرى جاهلية ، وقال عن احد الرواة : « ولو كان له بصر لعرف موضع الجيد ممن كان ، وفي اي زمن كان » (٢٣) ، ووقف ابن قتيبة موقفا وسطا بين القديم والحديث : « ... ولا نظرت الى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ، والى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره ، بل نظرت بعين العدل على الفريقين واعطيت كلا حظه ، ووفرت عليه حقه . فاني رايت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ويضعه في متخيره ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده الا انه قيل في زمانه او انه رأى قائله ، ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ولا خص به قوما دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في كل دهر ، وجعل كل قديم حديثا في عصره وكل شرف خارجية في اوله ، فقد كان جرير والفرزدق والاخطل وامثالهم يعدون محدثين وكان ابو عمرو بن العلاء يقول : لقد كثر هذا المحدث وحسن ، حتى لقد هممت بروايته » (٢٤) ، فقد راى ابن قتيبة طغيان التعصب للقديم على بعض المظاهر الادبية ، فابن سلام الجمحي ، يولي اهتماما كبيرا بالشعراء الجاهليين والاسلاميين دون المحدثين ، وتشيع اراء وتطفى مواقف ، ويصبح القدم معيارا نقديا وتستحيل الحداثة مقياسا للحكم على النص بالرداءة ، وكأن الادب اثر من الاثار ، تزداد قيمته بتقادمه ، وليس تعبيرا عن الانسان في كل العصور ، يبقى الخالد منه حديثا في كل الازمنة والعهود .

ويمكن ان نشير الى بدايات المحدثين ببعض الامويين وبشار ورهطه من الشعراء العباسيين الذين حاولوا ان يخرجوا قليلا على التأثير الكلي للقدماء ، ولكنهم جوبهوا برفض وصل حد الازدراء والتجريح والاهمال ، في بعض الاحيان ، فأبو عمرو بن العلاء يقول « لو ادرك الاخطل يوما واحدا من الجاهلية ما قدمت عليه احدا » (٢٥) ، ويرى ابن الاعرابي : « انما اشعار هؤلاء المحدثين — كأبي نواس وغيره — مثل الريحان يشم يوما ويذوي فيرمى به ، واشعار القدماء مثل المسك والعنبر كلما حركته ازداد طيبا وانشده رجل شعرا لابي نواس احسن فيه، فسكت، فقال له الرجل : اما هذا من احسن الشعر ؟ قال بلى : ولكن القديم احب الي »(٢٦) ، وذكر الاصمعي: « حضرنا مأدبة وابو محرز خلف الاحمر وابن مناذر معنا ، فقال له ابن مناذر : يا ابا محرز ، ان يكن امرؤ القيس والنابغة وزهير ماتوا فهذه اشعارهم مخلدة ، فقس شعري الى شعرهم . قال : فأخذ صحفة مملوءة مرقا فرمى بها عليه »(٢٧) ، وغير الاصمعي رأيه في هذين البيتين :

هل الى نظرة اليك سبيل
فيروى الصدى ويشفى الغليل
ان ما قل منك يكثر عندي
وكثير ممن تحب القليل

عندما قال لراويهما : لمن تنشدني فقال لبعض الاعراب فقال والله هذا الديباج الخسرواني ،

---

(٢٣) احسان عباس ، ص٩٥ .

(٢٤) ابن قتيبة ، ص٦٢-٦٣ . ولحازم القرطاجني راي مماثل ايضا : « فاما من يذهب الى تفضيل المتقدمين على المتأخرين بمجرد تقدم الزمان فليس ممن تجب مخاطبته في هذه الصناعة ، لانه قد يتأخر اهل زمان عن اهل زمان ثم يكونون اشعر منهم لكون زمانهم يحوش عليهم من اقتناص المعاني بسفوره لهم عن اشياء لم تكن في الزمان الاول ، ولتوفر البواعث فيه على القول وتفرغ الناس له » ، ص ٣٧٨ .

(٢٥) طه احمد ابراهيم ، ص١٠٢ .

(٢٦) المرزباني ، ص٣٨٤ .

(٢٧) المصدر السابق ، ص٤٥٣ .

فقال الراوي انهما لليلتهما فرد عليه الاصمعي : لا جرم والله ان اثر الصنعة والتكلف بين عليهما(٢٨).

وقيل لابي تمام : يا فتى ما اشد ما تتكيء على نفسك ، فليس للموهبة ان تبدع بحريةدون اقتباس ومحاكاة وتقليد ، وخاطب شاعر راوية : « اتق الله واحكم بين شعري وشعر عدي بن زيد ، ولا تقل ذاك جاهلي وهذا اسلامي ، وذاك قديم وهذا محدث ، فتحكم بين العصرين ، ولكن احكم بين الشعرين ودع العصبية » (٢٩) .

ولكن ما الذي فعله اولئك المحدثون ، ليثيروا نقمة المتعصبين للقديم ، وليكونوا موضع رفض وازدراء ؛ هل استطاعوا ان يغيروا من اساليب الشعر واوزانه وقوافيه ، وهل تخلصوا من المعاني والاخيلة القديمة ، وتمكنوا من ابتكار اشكال ومضامين مغايرة ؟ حين نستعرض هذا الصراع بين القديم والجديد والخصومة التي قامت حوله والنصوص الادبية المختلفة ، لا نجد شيئا من ذلك ، والمسألة لا تعدو ضرورة لغوية حتمت الاستشهاد بالقديم وانبهارا بالنموذج الجاهلي لم يترك ، عند بعض الناس ، مجالا لابداع اخر ، وتغييرا في بعض الموضوعات ، تبعا لمتطلبات العصر ، واغراقا في المحسنات البديعية والاغراض البلاغية احيانا ، محاكاة للقديم وتفوقا عليه وتأثرا بالمنطق والفلسفة.

ووجد بعض الشعراء العباسيين ، ومنهم ابو نواس ، ان الوقوف على الاطلال امر لا ينسجم وحياتهم المتحضرة الجديدة ، فحاولوا ان يتخلصوا من هذا التقليد لانهم لا يستطيعون ان يستوعبوا مشاعر الجاهلي واحاسيسه الصادقة الحقيقية حين يمر بالطلل ، تحت تأثير تنقله الدائم في الصحراء وحنينه الى وطن ثابت وشوقه الى ذكريات ذاهبة وازمنة ضائعة ، فاختص بذلك الغرض الانساني الرائع وانفرد به الادب العربي دون اداب الامم الاخرى ، ولكن هذا لا يعني ان يشوهه الشاعر العباسي او المتأخر بالمتابعة والمحاكاة ، والمسألة طبيعية ، ولكن المتعصبين للقديم ، وجدوا في افتتاح القصيدة بغير الطلل امتهانا للنموذج المألوف ، وان كان التغيير الذي طرأ على افتتاح القصائد ضئيلا ، فأبو نواس نفسه الذي هاجم بعنف افتتاح القصائد بالوقوف على الاطلال يعود فيبدأ به أماديحه ؛ ويسير على ذلك التقليد احيانا تحت تأثير طلب لا يستطيع الا تلبيته :

اعر شعرك الاطلال والمنزل القفرا
فقد طالما ازرى بـه نعتك الخمـرا
دعاني الى نعت الطلول مسلط
تضيق ذراعي ان ارد لـه امـرا
فسمعا امير المؤمنين ، وطاعة
وان كنت قـد جشمتني مركبا وعرا

فهل نعتبر ابا نواس في افتتاح بعض قصائده بالخمريات وغيرها مجددا ؟ لقد حاول ان يجري تغييرا على مطالع بعض القصائد ، لا يستتبع صراعا ورفضا واصرارا وانكارا .

وبقي افتتاح القصيدة بالطلل سائدا ، في اكثر النماذج ، ولم يستطع الشعراء التخلص منه حتى في الاندلس فترسم كثير من الشعراء الخطى التي داب عليها زملاؤهم في المشرق ، فهلال البياني ، احد شعراء غرناطة ، مدح ابن حمدين ، قاضي قرطبة ، بقصيدة اولها :

عرج على ذاك الجناب العالي
واحكم على الاموال بالآمال
فيه ابن حمدين الذي لنواله
من كل ارض شد كل رحال

فقال له القاضي : « ما هذا الوثوب الى المدح من اول وهلة ! الا تدري انهم عابوا ذلك كما عابوا الطول ايضا ، وان الاولى التوسط » (٣٠) .

والشعر الجاهلي الذي عبر بقوة وصلابة ووضوح وروح بدوية عن احداث وتجارب معينة لا يمكن ان ياتي باسر جملته الشعرية العباسي المترف الذي اعتاد حياة جديدة ومارس تجارب مغايرة ، فلانت عبارته وتبدل شظف العيش عنده نعيما والتنقل في الصحراء ، تحت ظروف صعبة ، سكنا وارفا ، لا يضنيه بحث عن ماء او كلأ ، ولا يدفع عن نفسه غزوا او غارة او وحوشا ضارية ، فكيف يتاتى للشاعر العباسي ان يحتفظ بالروح الجاهلية في قصائده ؟ ولا نرى غرابة ان كان قد خرج عن هذا وذاك قليلا .

واكثر شعراء عباسيون من المحسنات البديعية والاغراض البلاغية الاخرى ، بشكل يوحي انها الغاية المتوخاة من نظم الشعر ، تحت تأثير الدراسات العقلية والتفوق على النماذج القديمة ، ابتداءا من بشار وانتهاء بأبي تمام وامتدادا الى العصور المتأخرة ، فقد بحثوا عن اسرار الابداع في

(٢٨) الامدي ، الموازنة بين شعر ابي تمام والبحتري ، تحقيق احمد صقر ، ج١ ، القاهرة ١٩٦١ ، ص ٢٢ .

(٢٩) طه احمد ابراهيم ، ص١٠٢ .

(٣٠) بطرس البستاني ، ادباء العرب في الاندلس وعصر الانبعاث ، بيروت ١٩٥٨ ، ص٤١ .

النص القديم ، واسباب الاعجاب والانبهار به ، ولم يدركوا الا جزءا يسيرا منه منحصرا بالاغراض البلاغية ، وحين يؤدي الشاعر معنى بطريقة مغايرة ، فارادوا المحاكاة ، واحبوا لاشعارهم ان يكون لها الاسر القديم ، فتطرفوا ، ولقي عملهم نفورا من المتعصبين للقديم ، وكأن البلاغة وقف على عصر دون آخر ، وبرزت مسألة نقدية جديدة هي الطبع والتكلف في الشعر ، وادى اغراقهم في استعمال المحسنات البلاغية الى ان يكون للقضية وجهان ، اولهما : مبعثه محاكاة اسرار الابداع في النص القديم ، للوصول الى اعجاب مماثل ، وثانيهما : اندهاشهم بما فعلوا فتوهموا انهم جددوا وابتكروا وجاءوا بما لم تعهده اصول الشعر القديمة الثابتة ، وانبرى اخرون يسفهون ما يعملون ، والف ابن المعتز كتاب البديع ليجرد ابا تمام من فضل ابتكار المعاني والاخيلة والتعبير عنها بالاساليب البلاغية ، لانها وجدت قبل ابي تمام في الشعر الجاهلي والاسلامي ، والغى ابن الاعرابي شعر ابي تمام كله بقوله : « ان كان هذا شعرا فما قالته العرب باطل » (٣١) .

واذا عدنا ندرس ذلك الصراع بين القديم والحديث بتفصيلاته الدقيقة لا نخرج بسوى اثارة للحياة الادبية واراء واقوال ، ونقاش دائم ، فليس هناك تجديد تام ، ولا نجد اساليب خاصة ولا اوزانا وقوافي مغايرة ، ولا معاني تنفصل ، الانفصال الكلي ، عما اتى به الجاهلي بالرغم من محاولات ابي العتاهية وابي نواس وغيرهما في الاوزان والقوافي ، وبالرغم من الجملة الشعرية التي انسجمت والحياة الجديدة وعبرت عنها .

وما لبث جديد العباسيين ان اصبح قديما ، وقام الصراع حول ما استجدت عليه من محاولات ، لا تحاكيه ، وليست المسألة قدما وحداثة ، في عالم الادب والنقد ، فالنص الجيد الرائع يثبت وجوده ويفرض نفسه على المتذوقين ، سواء أكان جديدا ام قديما ، فان اقتصرت الروعة على الجديد ، فما معنى الخلود الادبي ، وان كان الابداع حكرا على القديم ، ففي ذلك تعطيل لقابليات ومواهب الاجيال المتعاقبة ، واي معنى يبقى للمثابرة الانسانية والكشف والريادة .

الطبع والتكلف :

مهما اوغلنا في النقد القاعدي ، بحثا عن القيم الثابتة ، ومهما اشتد الصراع بين قديم متوارث وحديث متجدد ، اثراءا واثارة للحياة الادبية ، يظل الشعر ، في اروع نماذجه فوق هذا وذاك ، ضربا من ابداع متغير مع الزمن ، باستمرارية وتطور وتنويع . ولكن طبيعة الشعر المتمردة على القاعدة الثابتة لا تبرر ركودا في دنيا النقد ، ولا تستقيم حجة لمن يؤثر الصمت ويبتعد عن الروح النقدية التي تحاول دائما الكشف والتحليل والاستيعاب .

وقامت في العصر العباسي ، وفي العصور الاخرى ، مناقشات دائبة ، ومحاولات مستمرة ، لتقسيم الشعر الى اضرب وانواع ، بسمات خاصة ، وكان من نتيجة الصراع بين القديم والحديث ان ظهرت قضية نقدية اثارت نقاشا طويلا وسفح الادباء فيها محابر وسودوا صفحات ، حين رأوا ان من الشعر : المتكلف ومنه المطبوع ، ووضعوا لهذا وذاك دلائل وعلامات ، واتبعوا في محاولة وضع قواعد للذوق الادبي طريقة التحديد والتصنيف واقحام الروح العلمية على الادب والشعر .

وقضية الشعر المتكلف والمطبوع تبدأ منذ العصر الجاهلي ، وتبرز عند زهير بن ابي سلمى ورهطه ، ويثيرها الاصمعي ، فيما بعد ، حين يصفهم بانهم عبيد الشعر (٣٢) ، فقد تدارسوه وبحثوا فيه وعنوا باخراجه وخافوا من الخطأ ، وابقوا القصيدة مدة طويلة ينقحون ويعدلون ، ويعيدون النظر ويتأملون ، فاتهموا بالتكلف ووصموا بالافتعال . واول ما يلاحظ في هذا الامر غرابة النقد الذي ينصب على طريقة نظم الشعر والوقت الذي يستغرقه ، دون النظر في الشعر نفسه وفي قيمته ومدى ابداعه ، وزهير نفسه يخبرنا عن طريقته في نظم الشعر ، ولو لم يكشفها لما عرفنا عنها شيئا ، ولما قام ذلك النقاش الذي ادى الى الاعتقاد بانه متكلف في شعره ، وماذا نعرف عن الشعراء الجاهليين الاخرين وغير الجاهليين ؟ هل اذاعوا اشعارهم بين الناس بعد نظمها مباشرة ، ام اعادوا النظر فيها واضافوا وعدلوا وغيروا ؟ ايبعدهم جهلنا بطريقة نظمهم الشعر عن التكلف ؟ وفي هذه المسألة بالذات ، وبحدود زهير ورهطه ، وحكم الاصمعي الصارم ، هل يمكن ان نحتج على الشاعر الذي يهدف الى ان يكون شعره اقرب الى الجودة والكمال فنتهمه بانه عبد لموهبته وانها ليست طوع بنانه ، يوجهها كيف يشاء ، وفي اي موضوع يريد ؟

لم يخرج زهير عن كونه شاعرا اراد ان يدرس

---

(٣١) اخبار ابي تمام للصولي ، تحقيق خليل عساكر وجماعته ، القاهرة ١٩٣٧ ، ص٢٤٤ .

(٣٢) ابن قتيبة ، ص ١٤٤ .

الشعر وان يكون ناقدا له ، بحدود معرفة ومعطيات عصره ، وعلينا ان ننسى كيف نظم الشعر وان نحكم على قصائده بما تحويه من قوة وشاعرية وابداع ، فمن الناس من يعجب بابياته ويراه اشعر الجاهليين، وهناك من يعجب بشاعر اخر دون ان يدري كيف نظم الشعر وهل اعاد فيه النظر « ومايقال عن طفيل الغنوي وزهير بن ابي سلمى والحطيئة من انهم كانوا اصحاب اناة وروية في الشعر ، وانهم كانوا عبيدا له ، وانهم شقوا به ، ليس معناه التكلف او الصنعة . كان زهير حريصا على الا يخرج شعره للناس الا بعد تهذيبه ، وما كان هذا التهذيب الا ابعاد ما لا يحتاج اليه المعنى ، او ابعاد معنى لاجلال له ، او تغيير عبارة بأختها او لفظة بغيرها اتم واكمل » (٣٣) .

ولكن القضية تتطور في العصر الاموي والعباسي وتتشعب الى مسارب نقدية متنوعة ، ويعني الطبع عند بعض النقاد والشعراء القدرة على الارتجال ونظم الشعر عفويا دون اطالة تأمل او تفكير واشاعته بين الناس دون اعادة نظر او تعديل ، فهل يهمنا كيف ينظم الشاعر قصيدته والوقت الذي يستغرقه ذلك النظم ، وهل له قدرة على الارتجال ؟ ام اننا نعنى بقيمة القصيدة الجمالية وشاعريتها وابتعادها عن التقليد وابتكارها للمعاني ، والقصيدة الرائعة تحمل معها عناصر جودتها وبقائها وخلودها ولا قيمة للوقت الذي تم فيه نظمها ، يقول ابن قتيبة : « ومن الشعراء المتكلف والمطبوع ، فالمتكلف هو الذي قوم شعره بالثقاف ونقحه بطول التفتيش واعاد فيه النظر بعد النظر كزهير والحطيئة . وكان الاصمعي يقول زهير والحطيئة واشباههما عبيد الشعر لانهم نقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين ، وكان الحطيئة يقول: خير الشعر الحولي المنقح المحكك ، وكان زهير يسمي كبر قصائده الحوليات . . . والمتكلف من الشعر وان كان جيدا محكما فليس به خفاء على ذوي العلم لتبينهم فيه ما نزل بصاحبه من طول التفكر وشدة العناء ورشح الجبين وكثرة الضرورات وحذف ما بالمعاني حاجة اليه ، وزيادة ما بالمعاني غنى عنه . . . » (٣٤) ، فلم اعتبر ابن قتيبة تقويم الشعر وتنقيحه واعادة النظر فيه عيبا ؟ وهل يمكن ان نرى في شعر زهير والحطيئة كثرة الضرورات ؟ وما الامثلة الدالة على ذلك ؟ وهل حذف هذان الشاعران ومن شابههما ما بالمعاني حاجة اليه ؟ واين الابيات التي نجد فيها زيادة ما بالمعاني غنى عنه ؟ ولم نمنع عن الشعراء طول التفكر والتأمل ، وننشد في النظم السهولة واليسر ؟ وقد تعتري الشاعر معاناة في تمثله التجربة والتعبير عنها ، ولا يهمنا رشح جبينه بقدر ما يرفض عنه ذلك الجبين من اشعاع وابداع . ويقول ابن قتيبة : « والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر واقتدر على القوافي واراك في صدر بيته عجزه وفي فاتحته قافيته وتبينت على شعره رونق الطبع ووشي الغريزة واذا امتحن لم يتلعثم ولم يتزحر » (٢٥) فهل ان زهيرا ورهطه لم يقتدروا على القوافي . . . الخ ، واي تحديد للشاعر المبدع ان يسمح بالشعر واي مقياس يمكن ان نضع لذلك السماح ؟ ولم يكون مكمن الروعة في البيت ان يرينا صدره عجزه وندرك قافيته من فاتحته ؟ وما ذنب الشعراء الذين لا يستجيبون لاهواء الناس في نظم الشعر الفوري المرتجل ، ويصدرون في نظمهم عن تجارب حقيقية مروا بها واحسوا بابعادها ؟ ولنفرض ان شاعرا لا يقدر على الارتجال ، ولنتصور اخر اصيب بلثغة في لسانه ، ايعيب هذا وذاك الشعر الرائع الذي يتقدمان به ؟

وتتخذ القضية شكلا مغايرا حين يقترن التكلف بالمحسنات البديعية والتطرف في استعمالها بكد وعناء ، ولان بعض النقاد يتقبلون ما جاء منها عفو الخاطر وفيض القريحة مالوا الى اعتبار البديعيين من الشعراء متكلفين : « وقد نجد في كلام المتاخرين كلاما حمل صاحبه فرط شغفه بامور ترجع الى ما له اسم في البديع الى ان ينسى انه يتكلم ليفهم ويقول ليبين ويخيل اليه انه اذا جمع بين اقسام البديع في بيت فلا ضير ان يقع ما عناه في عمياء وان يوقع السامع من طلبه في خبط عشواء، وربما طمس بكثرة ما يتكلفه على المعنى وافسده ، كمن ثقل العروس باصناف الحلي ، حتى ينالها من ذلك مكروه في نفسها»(٢٦) ، وهنا تبرز امامنا حقيقة ان شعر شاعر لم يخل من البديع والاغراض البلاغية المتنوعة ، ولكن تفاوتت النسب بما جاء عرضا وما افتعل واصطنع ، وقارئو الشعر ومتذوقوه يختلفون في رؤيتهم للاصطناع والعفوية في المعاني التي تضمنتها القصائد . وقامت في العصر العباسي ، نتيجة ثنائية الطبع والتكلف ، مدرستان، اولاهما : مدرسة المطبوعين ، وعلى رأسهم البحتري، والاخرى ، مدرسة المتكلفين ، وفي مقدمتهم ابو

---

(٣٣) طه احمد ابراهيم ، ص٩٦ .
(٣٤) ابن قتيبة ، ص٧٨،٨٨ .
(٣٥) المصدر السابق ، ص٩٠ .
(٣٦) عبدالقاهر الجرجاني ، اسرار البلاغة ، ص٦ .

تمام ، وطال النقاش حول الشاعرين واتجاههما ، وعناصر الطبع والعفوية عند البحتري ، واسباب التكلف وادخال المنطق والاقيسة العقلية في الشعر عند ابي تمام ، وقامت الدراسات والف الامدي كتاب الموازنة بين الطائيين ، ومما قاله فيه : « انا اذكر باذن الله الان في هذا الجزء المعاني التي يتفق فيها الطائيان فأوازن بين معنى ومعنى واقول ايهما اشعر في ذلك المعنى بعينه ، فلا تطلبني ان اتعدى هذا الى ان افصح لك بايهما اشعر عندي على الاطلاق فاني غير فاعل ذلك ... وانا ابتديء بما سمعته من احتجاج كل فرقة من اصحاب هذين الشاعرين على الفرقة الاخرى عند تخاصمهم في تفضيل احدهما على الاخر » (٣٧) ، ومما قاله ايضا: « فان كنت ـ ادام الله سلامتك ـ ممن يفضل سهل الكلام وقريبه ، ويؤثر صحة السبك وحسن العبارة وحلو اللفظ وكثرة الماء والرونق ، فالبحتري اشعر عندك ضرورة . وان كنت تميل الى الصنعة والمعاني الغامضة التي تستخرج بالغوص والفكرة ، ولا تلوي على ما سوى ذلك ، فأبو تمام عندك اشعر لا محالة » (٣٨) ، وبالرغم من منهجية الامدي وموضوعيته (٣٩) ، وان اتهم بميله الى البحتري(٤٠)، استمر النقاش حول التكلف والطبع في الشعر ، ومهما اوغلنا فيه ، تبقى لابي تمام والبحتري قصائد جيدة واخرى لا تماثلها مستوى وثالثة ما بين بين ، ويقرأ الناس لهذا وذاك ويعجبون ويرفضون ، ولم يتغير الذوق الادبي والمفاهيم الشعرية السائدة ايام المعتصم عنها ، في ايام المتوكل ، والقضية نوع من التقسيم والتصنيف والتحديد ، وهيمنة النقاد على الذوق الادبي ، وهناك شعر جيد صادر عن تجربة وتأثر وصدق وموهبة عالية ، لا تملك الا ان تعجب به وتطرب ، وهناك شعر اخر مصطنع بارد ، عوامل الضعف فيه لا تخفى على القارىء ، ولا يخلو شعر شاعر من قوة وضعف ، وصدق وافتعال ، وهذا ينسحب على ابي تمام والبحتري والشعراء الذين وصفوا بالمطبوعين والمتكلفين ، وكان البحتري نفسه يسقط من شعره ما يراه ضعيفا فيعيد سيرة زهير ويلغي رأي النقاد في الطبع والتكلف ، يقول العسكري : انه « كان يلقي من كل قصيدة يعملها جميع ما يرتاب به » (٤١) ، فمسألة الطبع والتكلف مصطنعة لاثارة المعارك الادبية وهي متكلفة اصلا ولا تستدعي عناءا كبيرا وان استمر الحديث عنهـا احقابا طويلة .

وحدة الموضوع :

كثر الحديث عن وحدة الموضوع ووحدة البيت في القصيدة العربية وعن الوحدة العضوية في النص الادبي ، كمصطلح نقدي حديث ، وعن شروط تلك الوحدة (٤٢) ، وظهرت كتب تناولت الموضوع بالتفصيل (٤٣) ، ونشرت بحوث ومقالات (٤٤) ، ولعل كثرة ما كتب يومىء الى صعوبة ايجاد راي ثابت لاختلاف النصوص الشعرية في ابتعادها واقترابها من وحدة الموضوع وتماسكها وتفككها في موضوعها الواحد او موضوعاتها المتعددة ، وعدم وضوح الوحدة احيانا في روابط خفية بين الموضوعات المتنوعة في القصيدة لا ندركها الا بعد الكشف عن تجربة الشاعر والاطار الذي تدور فيه ، وكأن القصيدة لوحة ذات الوان متباينة تتداخل فيها مشاهد عديدة ، تبدو متنافرة ، ولا يتسنى لنا بسهولة فهم مراميها وتوضيح الصلة الوثيقة بين اجزائها وعلاقتها بظروف قائلها ومعطيات حياته ومفاهيم عصره والذوق الادبي السائد فيه .

واختلفت اراء الباحثين المحدثين من عرب ومستشرقين في وحدة الموضوع ، فمنهم من ينفي وجودها في القصيدة العربية القديمة ، يقول الدكتور محمد غنيمي هلال : « فليست القصيدة الجاهلية وحدة عضوية في شكل من الاشكال لانه لا صلة فكرية بين اجزائها فالوحدة فيها خارجية

---

(٣٧) الامدي ، ص٧ .
(٣٨) المصدر السابق .
(٣٩) مندور ، ص٩٣ وما بعدها .
(٤٠) احسان عباس ، ص١٦٢ وما بعدها .
(٤١) ابو هلال العسكري ، كتاب الصناعتين ، تحقيق البجاوي وابراهيم ، القاهرة ١٩٥٢ ، ص١٤١ . وتنظر :

مصطلحات نقدية ، رسالة ماجستير لخيرالله علي السعداني ، تقدم بها الى جامعة بغداد ، اذار ١٩٧٤ ، ص٤٤ وما بعدها .
(٤٢) مما دعاني في دراسات سابقة الى تجاوز وحدة الموضوع والتأكيد على وحدة التكامل الادبي في دراسة ونقد النصوص الادبية القديمة والتطلع الى ذلك التكامل في ابداع ادباء هذا العصر والعصور المقبلة ، تنظر مقالة الاداب : « الاداء المسرحي والعمل المتكامل » ، العدد ١، بيروت ١٩٦٨ ، ص١٨ وما بعدها . والشعر والزمن ، سلسلة الكتب الحديثة ، وزارة الاعلام ، بغداد ١٩٧٥ .
(٤٣) منها : وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية ، للدكتور نوري القيسي ، الموصل ١٩٧٤ . ووحدة القصيدة في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي ، للسيدة حياة جاسم ، وزارة الاعلام ، بغداد ١٩٧٢ ، ووحدة القصيدة في الشعر العربي ، للدكتور محمد عبدالمنعم الخفاجي ، القاهرة ١٩٥٢ .
(٤٤) احصت السيدة حياة جاسم قسما كبيرا من تلك البحوث والمقالات ، ينظر كتابها ، ص٩٣ وما بعدها .

لا رباط فيها الا من ناحية خيال الجاهلي وحالتـه النفسية في وصف الرحلة لمدح الممدوح » (٤٥) ، وبما ان التماسك العضوي او الدرامي في النص الشعري مفهوم حديث فاننا نثقل على الشاعر الجاهلي حين نطالبه به ، ونرى بالرغم من ذلـك الصلة الفكرية قوية بين اجزاء القصيدة الجاهلية، وخيال الشاعر وحالته النفسية لا تنتبهان في وصف الرحلة الى الممدوح فقط ، لان قصائد المديح لا تشكل الا جزءا يسيرا من الشـعر الجاهلي (٤٦) ، وهناك قصائد جاهلية كثيرة فيها وحدة موضوع(٤٧). ويبقى التماسك العضوي امرا تتباين وتختلف فيه الاراء بالنسبة الى الشعر الجاهلي . ويرى الدكتور محمد مندور : « ان الادب العربي ادب جزئيات . وحدتها البيت لا الفكرة ولا الاسطورة ولا الموقعـة التاريخية » (٤٨) ، ولا ننكر ان تجزئة في فهم النص الشعري وفي نظمه ايضا وردت عند فريق مـن الشعراء ومتلقي الشعر (٤٩) ، فوحدة الموضوع يجب ان تتوافر في النص الادبي وفي ذهن من يقرأ ذلـك النص لتتم عملية فهمه بصورة متكاملة ، وان مـن شروط هذه الوحدة عند الشاعر ان يعبر عن تجربة معينة او موقف محدد وعند القارىء ان يلم بالظروف النفسية التي احاطت بالشاعر حين نظم قصيدته ، ووحدة البيت لا تعني انفراط الصلة مع البيت الذي يليه ، ولم تنعدم الافكار المتتابعة في ابيـات تصف طللا او خمرة او تمدح شخصا او ترثـي اخر ، وقد نجد شيئا من الاسطورة والموقعـة التاريخية في شعر ابي تمام مثلا ، ونرى العلاقـة واضحة بين ابيات قصيدة للمتنبي (٥٠) ، او لابي العلاء او لغيرهم من الشعراء .

وللمستشرقين اراء في وحدة الموضوع تميـل الى افتقار القصيدة العربية اليها ، يقول ديزموند ستيورت : « في اللغة العربية ، الوحدة ليسـت للقصيدة ككل ولكن للبيت . كل بيت قائم بذاته ، القافية واحدة في الابيات جميعا ، هذا صحيح ولكن تبقى القصيدة اجزاء متفرقة كحبات الخـرز ، ينتظمها سلك واحد ، يمكن ان نرفع ايا منها ونضعه في مكان الاخر » (٥١) ، ويصح طبقا لذلك ان نضع بيت امرىء القيس : « وان تك قد ساءتك مني خليقة » مكان مطلع قصيدته : « قفا نبك ... » ، وهذا راي تعوزه الدقة والتركيز ، ويرى اخر : « ان القصيدة التي تعد نموذج الشعر القـديم خالية تماما من الوحدة وتسير من غير نظام لانهـا تتكون من الاطلالات والتوسعات المقرون بعضها ببعض من غير رابطة منطقية » (٥٢) ، ولا اود ان اناقش هذا الراي باستعراض القصائد التي تتناول موضوعا واحدا ، وقد ذكرت قسما منها ، ولكنني اريد ان استشهد بقصيدة معروفة قال اكثر دارسيها انهـا تضم موضوعات عديدة وهي معلقة امرىء القيس : الا نجد فيها شيئا يشبه تداعي المعاني ، فالوقوف على الاطلال يجر الى الغزل ، والغزل يثير موقـف الحبيبة وجفاءها ، فيطول الليل على الشاعر وتنتابه هموم العاشقين ولا يستطيع بلوغ نهايته فيخرج « والطير في وكناتها » قبيل الفجر الى الصحراء ، فيصف الصيد والوحش ... الخ . ان القصيدة التي تفتقد وحدة الموضوع حقا ، ان كانت من الشعر الجيد ، ينتظمها اطار من مشاعر صاحبها ومـن نوازعه ودوافعه وتطلعاته وحالته النفسية ، وفهم هذا الاطار يعوض عن تلك الوحدة ، وما ذنب الشاعر اذا لم تبتعث قصيدته في ذهن الناقد وحدة مـا فيجزئها ابياتا ويفهمها كما يشاء ، ولايكون بمقدوره ان يستوعب رؤيا الشاعر كاملة على الاطلاق .

ومن الباحثين من يثبت الوحدة الموضوعيـة في القصيدة العربية ، ويرى الدكتور طه حسين ان دراسة الابيات منفردة والاهتمام بوحدة البيت دون وحدة القصيدة امر حتمته نزعة بعض النقـاد الى فهم القصيدة بيتا بيتا : « ومن اخص العيوب التي يؤخذ بها النقاد الذين نقدوا ابا تمام والبحتري والمتنبي انكم لا تجدون احدا من هؤلاء النقاد ينقد القصيدة من حيث هي قصيدة ، فهم اذا قرأوا اجمل قصائد ابي تمام والبحتري والمتنبي لاينظرون اليها جملة ، كيف استقامت الفاظها ومعانيهـا واسلوبها ، وانما يقفون عند البيت او البيتين ، اجاد الشاعر في هذا التشبيه ام لم يجد ؟ أوفق في

(٤٥) محمد غنيمي هلال ، النقد الادبي الحديث ، بيروت ١٩٧٣ ، ص٣٩٥ ، ٣٩٦ .

(٤٦) ينظر : التكسب بالشعر ، ص١٠ وما بعدها .

(٤٧) منها ما ذكرت في معرض حديثي عن الصراع بين القديم والحديث ، ومنها ما تدرجه السيدة حياة جاسـم في كتابها ، ص٣٥٩ وما بعدها .

(٤٨) مندور ، ص١٤٩ .

(٤٩) تنظر للكاتب مقالته في الاداب : « الادب العربي ليس مقروءا » ، العدد ٦ ، بيروت ١٩٦٧ ، ص١١ وما بعدها. وللدكتور حسام الالوسي : « طبيعة القصيدة العربيـة الكلاسيكية ومسائل اخرى » الاداب ، العدد ٩ ، بيروت ١٩٦٧ ، ص٦٥ وما بعدها .

(٥٠) ينظر للكاتب : بحثه في مجلة الجامعة المستنصرية عن حكم المتنبيء ، العدد ٢ ، بغداد ١٩٧١ .

(٥١) ديزموند ستيورت ، بابل الجديدة (بالانجليزية) ، لندن ١٩٥٦ ، ص ١٢٦ .

(٥٢) جوتيه ، ينظر : حسام الالوسي ، ص٦٨ ومصادره .

هذا التعبير ام لم يوفق ؟ وما هكذا نتصور المثل الاعلى للنقد الادبي » (٥٣) ، فبعض النقاد كانوا يفتحون جزءا ضئيلا من الضوء على النص الادبي ويدرسون فقط ذلك الجزء المضاء ثم ينتهون منه فيسلطون الضوء على جزء اخر وهكذا .

ان اعتبار وحدة الموضوع شرطا من شروط نجاح النص الشعري في العصور المتعاقبة يستدعي وقفة قد تطول ، فاذا تجاوزنا سمات الابداع في النصوص الادبية وعلاقتها الوثقى بالوحدة العضوية في القصيدة نجد ظروفا تحتم وجود هذه الوحدة او انحسارها او اختفاءها ، منها طبيعة الموضوع وظرف الشاعر النفسي ومفهوم العصر للوحدة الموضوعية ، ففي العصر الجاهلي كانت احسن القصائد ما تناولت موضوعات متعددة ، وابن سلام ، كما مر بنا ، يضع تعدد الموضوعات واجادة الشاعر الجاهلي فيها اساسا للتقدم على اقرانه ، سواء اكان ذلك في قصيدة ام في اثار الشاعر كلها ، والقاء الشعر في محفل او مجلس يستدعي التوطئة بابيات تمهد للغرض الرئيس ، ولكن هذا لا يعني ان القصائد جميعا فيها مقدمات تفقدها وحدة الموضوع ، ودرج شعراء الا يبدأوا قصائدهم بالمديح ، قبل التمهيد له بأبيات تتناول غرضا اخر ، وان كان بعض الشعراء قد قلدوا الجاهليين في الوقوف على الاطلال ليصلوا بعد ذلك الى الغرض المراد فلا يمكننا ان نعتبر الطلل دائما مقدمة لغيره من الاغراض ، وقد يكون اروع ما تأتي به قصيدة جاهلية من صور شعرية ومعان عميقة (٥٤) .

ان النقاد العباسيين بالرغم من راي الدكتور طه حسين اولوا وحدة الموضوع في القصيدة العربية اهتماما كبيرا ولكنهم لم يستطيعوا ان يبعدوا سيطرة الشراح على الاذهان في تناول القصائد مجزاة بيتا بعد بيت (٥٥) ، فالجاحظ يقول : « ... اذا كان الشعر مستكرها وكانت الفاظ البيت من الشعر لايقع بعضها مماثلا لبعض ، كان بينها من التنافر ما بين اولاد العلات ، واذا كانت الكلمة ليس موقعها الى جنب اختها مرضيا موافقا ، كان على

(٥٣) طه حسين ، من حديث الشعر والنثر ، القاهرة ١٩٣٦ ، ص١٧٨ .

(٥٤) تنظر للكاتب مقالته في الاداب : « الغربة بين الشاعرين الجاهلي والمعاصر » ، العدد ٣ ، بيروت ١٩٦٨ ، ص٢٩ وما بعدها .

(٥٥) درست في البحث المنشور في مجلة الجامعة المستنصرية قصيدة للمتنبي وخلل فهم الشراح لها بيتا بيتا كالعكبري والبرقوقي وغيرهما .

اللسان عند انشاد ذلك مؤونة . واجود الشعر ما رايته متلاحم الاجزاء ، سهل المخارج ، فتعلم بذلك انه قد افرغ افراغا واحدا ، وسبك سبكا واحدا ، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان » (٥٦) ، ويذكر شاعر انه قال لاخر : « انا اشعر منك ، قال : بم ذلك ؟ قال : لاني اقول البيت واخاه وانت تقول البيت وابن عمه » (٥٧) ، ويدعو ابن طباطبا الى وحدة الموضوع : « ينبغي للشاعر ان يتأمل تأليف شعره وتنسيق ابياته ويقف على حسن تجاورها او قبحه فيلائم بينها لتنتظم له معانيها ، ويتصل كلامه فيها » (٥٨) . ومن نصوص شعرية كثيرة ذات موضوع واحد ، ومن اراء هؤلاء النقاد وغيرهم ندرك ان وحدة الموضوع لم تغب عن ذهن الشاعر والناقد العباسيين ، وانما ساعدت عوامل على تفككها منها القاء الشعر في محفل وما يستتبع ذلك من روح خطابية مباشرة ، والطقوس التي فرضها الممدوحون على قصائد المديح والتوطئة لها بمقدمات ، ونظم الشاعر لقصيدته في اوقات متفاوتة وتحت تأثير تجارب عديدة وشعور مغاير .

وهناك من يدعو الى استقلال البيت الشعري ، فابن سلام يرى انه : « المستغني بنفسه ، المشهور ، الذي يضرب به المثل » (٥٩) ، ويمكننا ان ندرك بسهولة انه يعني الحكمة والامثال السائرة ، وليس الشعر جميعا حكمة او مثلا سائرا ، وليست الشهرة معيارا نقديا للحكم على الابيات ، « وقيل لابي المهوش : لم لاتطيل الهجاء ؟ قال : لم اجد المثل النادر الا بيتا واحدا ، ولم اجد الشعر السائر الا بيتا واحدا » (٦٠) ، ويقول ابن رشيق : « انا استحسن ان يكون كل بيت قائما بنفسه لا يحتاج الى ما قبله ولا الى ما بعده » (٦١) ، ولعله يقصد الاستقلال اللغوي او التركيبي ، فلا يصح في القصيدة القديمة ان ينتهي بيت بمبتدأ او فاعل ، خبره او مفعوله في البيت التالي ، ولكن يجب ان ينسجم والابيات الاخرى لتتم وحدة الموضوع ويجب ان يفهم البيت من خلال القصيدة والاستعانة بظروف واحاسيس صاحبها وقت ابداعها ليتضح

(٥٦) الجاحظ ، البيان والتبيين ، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون ، ج١ ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص٦٦،٦٧ . واولاد علة بنو رجل واحد من امهات شتى .

(٥٧) ينظر : الكامل للمبرد ، ج٢ ، القاهرة ١٩٣٧، ص٥٠٧ .

(٥٨) المرزباني ، ص٢٠٧ .

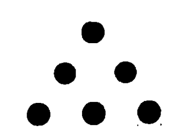
(٥٩) طبقات الشعراء ، ص١٢١ .

(٦٠) الجاحظ ، ص٢٠٧ . وابو المهوش شاعر مخضرم .

(٦١) ابن رشيق القيرواني ، العمدة ، ج١ ، القاهرة ١٩٠٧ ، ص١٧٥ .

معناه فيها ، لا ان تعتبر القصيدة دوما مجموعة حكم او حقائق او صور منفصلة او تجاريب مختصرة ، نجزئها كما نشاء ، فابن رشيق نفسه يرى في موضع اخر ان ابيات القصيدة يجب ان تكون متماسكة كأعضاء الانسان في ترابطها وتكاملها: « ان القصيدة مثلها مثل خلق الانسان في اتصال بعض اعضائه ببعض ، فمتى انفصل واحد عن الاخر ، وباينه في صحة التركيب غادر بالجسم عاهة ... » (٦٢) ، ويعود المرزباني فيرى : « خير الشعر ما لم يحتج بيت فيه الى بيت اخر » (٦٣) ، ولو طبقنا هذا الراي تطبيقا علميا دقيقا على الشعر العربي لراينا معظمه ليس من خير الشعر ، ولا اظن ان المرزباني ذهب الى ذلك ، وانما هو تأثير وجناية الشراح والفهم السريع للنص الشعري وطبيعة القرار الذي تنتهي به القوافي ، فان كان كل بيت منفردا لا يحتاج الى البيت التالي ، فما الذي دعا الشعراء ان يجمعوا ابياتهم في قصائد ؟ وهل يمكن ان ينطبق هذا الحكم على الشعر العربي ، على معلقة لبيد مثلا ، او قصائد العذريين ، او اشعار عمر بن ابي ربيعة ، او اهاجي جرير ، او انتاج بشار وابي نواس وابي تمام وابن الرومي والمتنبي والمعري ... الخ .

ادى شرح الشراح للقصيدة بيتا بيتا دون اكتشاف الرابط بين الابيات ومحبة فريق من الناس للايجاز واختصار التجارب بكلمات قليلة ورأي بعض النقاد في استقلال البيت الواحد الى فهم النص الشعري المتكامل مجزأ الى قطع مبعثرة تمثلها الابيات التي تستقل في الاذهان قائمة بذاتها في حين انها متماسكة مع الابيات الاخرى . ان وحدة الموضوع تتمثل بوضوح في بعض النصوص القديمة والحديثة او تنحسر في قسم اخر منها لاضطراب يصيب الشاعر وقت النظم ، ولها علاقة كبرى بمدى واتساع التجربة والموهبة ، تتناسب معها طرديا ، وتتوقف اولا واخيرا على ارادة الشاعر وطبيعة موضوعه وظروفه وقدرته على التماسك الدرامي في النظم .



---

(٦٢) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٩٤ .
(٦٣) المرزباني ، ص٣٦ .

تاريخ فن العمارة العربيــة الاسلامية

مدارس هــذا الفن والفترات الكبرى لتطوره

بقلم

شريف يوسف

المقـــدمة :

من المعلوم ان العرب الذين اندفعوا من الجزيرة العربيــة حاملين راية الاسلام استطاعوا في خلال نصف قرن ان يفتحــوا ممالك كانت لها حضارة راسخة ومدنية عريقة ، وقد اســسوا خلال هذه الفترة القصيرة امبراطورية تزيد في سعتها على ســعة الامبراطورية الرومانية في ايام عظمتها واتساعها .

لقد احتوت هذه الامبراطورية العربية امما كثيرة ، وقــد شملت كلا من سوريا وجزءا من ارمينية وشــــمال افريقــة واسبانيا من الجهتين الشمالية والغربية ، كما شملت العراق وايران وتركستان وافغانستان والهند من الجهة الشــرقية . وكانت المسيحية والوثنية منتشرة في هذه البلاد ، فوجــد المسلمون فيها كنائس ومعابد عامرة عديدة وابنية وقصور ذات طراز واسلوب متقدم في فن العمارة ، ووجدوا من اهل هــذه البلاد رجالات ذوي خبرة ومهارة فائقة في فن البناء والانشــاء والزخرفة ، كما وجدوا مواد انشائية وافرة فيها ، فليس من العسير عليهم بعد هذا ان يبدؤا في اقامة المباني التي تلائـــم طبيعة معاشهم وتتفق مع متطلبات شعائرهم الدينية .

وبعد ان تم للعرب الاستقرار في البلاد التي رفعوا فوقهـا رايتهم توجهوا بكل همة ونشاط الى الناحية العمرانيــة ، فاستعانوا برجال الفن والصنعة من اهل البلاد التي خضعت لحكمهم وبرجال فنيين من البلاد التي بقيت خارج هذا الحكم ، وبدات عماراتهم تظهر للعيان هنا وهناك ، واصبح لهذه العمارات شخصية معروفة ظاهرة ، تختلف كل الاختــلاف مــن حيث الاسلوب والطراز عن تلك التي وجدوها قائمة في البلاد التي تم لهم فتحها . ان معظم العمارات والمنشآت التي شــيـدها المسلمون في بداية حكمهم كانت في الغالب مساجد او قصور « دور امارة » ثم توسعوا في البناء واخذوا يشيدون المدارس والتكايا والجسور والقناطر ، ويتفننون في تخطيط مدن جديدة فيها الشوارع الواسعة والبرك الجميلة والحدائق الغناء التي تشهد بتقدمهم الفني واتساع خيالهم وتذوقهم لكل شيء جميل .

لقد كان للفنون بصورة عامة وللفن المعماري بصورة خاصة مكانة كبيرة عند حكام المسلمين وامرائهم وملوكهم ، وكان الفنانون على اختلاف جنسياتهم يظفرون بالتقدير والمكافاة من الحــكام الذين يحلو لهم استغلال مواهب هؤلاء الفنانين في تشــييد المباني وتزيينها وزخرفتها وتاثيثها ، منفقين عليها المال بــكل سخاء وكرم ، يدفعهم الى ذلك طلب رضى الله سبحانه وتعالى عند بناء المساجد والجوامع ، او رغبة في التفاخر وتخليد مآثرهم وامجادهم . فالمساجد والقصور والمدارس ودور الشفاء والقلاع الحصينة وغيرها كانت كلها تشيد بامر هؤلاء الحكام وتحــت اشرافهم . فيعنى بزخرفتها وجمالها لتحمل اسمهم في الحياة وتضم رفاتهم بعد الممات احيانا . وهكذا كان فن البناء دومــا في خدمة الامراء والسلاطين وحاشيتهم المقربين ، وتبعا لمستوى ثقافتهم كان هذا الفن ياخذ اتجاهه ، وتتطور اساليبه ، وتتنوع زينته وزخرفته .

تطور فن العمــارة العربيــة الاســلامية :

حين بدا العرب حياتهم الحافلة بعظائم الامــور وجلائــل الاحداث كان فن البناء عندهم لم يزل وليدا ، فلم يكن في بلادهم اي فن في ذلك الوقت خلا اثر مجدب تخلف من الماضي السحيق ، ولم يظهر في شبه الجزيرة العربية فن بناء قومي ظاهر الا في البقاع الخصبة التي كان يسكنها شعب يعيش في رخاء واستقرار كاليمن التي تختلف ظروفها كل الاختلاف عن تلك الظروف التي تضطر القوم الرحــل الذين يضربون في الصحراء ويعيشون في عزلة وركود .

لقد نشا فن العمارة العربية الاسلامية في المساجد اولا وفيها ولد وفي رحابها نما وترعرع ، فكانت المساجد والجوامع الاولى ابنية عادية اقيمت للصلاة والوعظ والاجتماعات العامة ، وليس فيها نزوع الى اتقان في العمارة ، فاول مسجد بني في الاسلام مسجد المدينة المنورة ، بناه الرسول الاعظم (ص) ووضع حجر اساسه بيده الكريمة سنة ٦٢٢م . ويعتبر النموذج الاول لسائر المساجد الاخرى . وكان هذا المسجد مساحة من الارض مربعة الشكل ، تحيط بها جدران من الآجر والحجر ، وكان هناك سقف على جزء من اجزاء هذا المربع سقيفة صنعت من جريد النخل .

في مثل هذا البناء البدائي لم تكن ثم ضرورة الى استعارة اساليب معمارية من مكان ما ، اذ لم تكن هناك حاجة لمثل هذه الاساليب ، وقد ظلت المساجد بالرغم من التغييرات التي طرات على بنائها بيتا للعبادة ورمزا للوحدة الدينية والدنيوية .

انتقل العرب بعد ذلك من القناعة بالضروري اللازم الى الابنية الضخمة الفاخرة انتقالا سريعا ، فلم يمض على وفــاة النبي الكريم (ص) عشرون سنة حتى أعيد بناء مسجده بالمدينة ، واقيمت له جدران ودعائم من الحجر . وبعد سنين قليــلة

ادخلت المقصورة في عمارة المساجد ، وظهرت المآذن ، ودخلت زيادات ثانوية كالايوانات والاروقة التي تحيط بصحن المسجد ، رفعت فوقها اقواس وعقود متنوعة الاشكال من مدببة الاطراف الى مسطحة الى مفصصة وغيرها من الاشكال ، وقد رفعت السقوف على أعمدة أو دعائم من الرخام والحجر أو الآجر ، واستخدم المحراب في تحديد اتجاه القبلة ، وهكذا نرى عمارة المساجد تتطور في زمن قصيرة حتى اصبحت تشمل جميع المظاهر الرئيسة الهامة في بناء المساجد .

لقد اظهر المسلمون رأيا صائبا في اتخاذ القبة عنصرا مميزا لابنية المساجد ، وان كان بناء القبة معروف عند اليونان والرومان من قبل ، ففي سنة ٦٩١م . شيد الخليفة عبدالملك ابن مروان الاموي قبة الصخرة في بيت المقدس وجعلها من أروع الابنية الاسلامية واضخمها ، ويأتي بعدها من حيث الاهمية والترتيب التاريخي المسجد الجامع الاموي في دمشق . ومما يمتاز به هذا المسجد من حيث الفن المعماري الاقواس التي تشبه حدوة الفرس والذي قدر له ان يكون مميزا لفن العمارة العربية في سوريا والمغرب ، ثم بنيت المآذن ، وكان اول مثال لاستعمالها في الاسلام في دمشق ، والغرض من بنائها غير غامض ، اذ انها بنيت لتكون مكانا مشرفا يدعو منه المؤذن المؤمنين الى الصلاة ، ولعل المسلمين عمدوا الى استحداث هذا ليكون مقابلا لعادة المسيحيين في الدعوة الى العبادة بدق المقرعة وذلك قبل استخدام النواقيس .

وهناك فوق الظواهر المعمارية التي ذكرناها عناصر اخرى مميزة للفن المعماري الاسلامي يمكن اعتبرها كزخرفة او زينة في البناء ، منها الكتابات بمختلف انواع الخط العربي وحفرها في الخشب او الحجر او الآجر ، ففي هذه الكتابات يتجلى الذوق والمهارة والجمال في استخدام الحروف لاغراض الزينة . ومن العناصر الجديدة ايضا الزجارف الملونة والبارزة ، كما ذاعت طريقة الزخرفة بالقاشاني الزجج البراق المختلف الالوان والنقوش . ومن عناصر البناء الاسلامي ايضا المقرنصات تلك الظاهرة المعمارية العربية الفريدة التي تبعت المسلمين أنى ذهبوا ، واصبحت طابعا يميز عماراتهم من الهند الى اسبانيا ، وقد فاق العراقيون غيرهم في هذا النوع من الزخرفة حتى ان العلماء يعتقدون ان اصلها عراقي محض ، وكذلك الشرفات المسننة او المضرسة التي يرجع اصلها الى طراز البناء العراقي الآشوري والبابلي .

تأثر العرب بالمدنيات والحضارات القديمة :

قلنا ان العرب قد تأثروا بحضارات ومدنيات البلاد التي اكتسحتها جيوشهم الظافرة ، وكان تأثرهم بالاساليب الفنية التي كانت زاهرة في كل من سورية ومصر والعراق وايران والهند وغيرها من البلاد شيئا واضحا وجليا،ولكنهم ما لبثوا ان افرغوا تلك الفنون القديمة في قوالب متجانسة ومتناسبة لها طابع خاص وميزة بارزة ، فاظهروا للعالم فنونا اثرت بدورها في فنون الغرب بعد ذلك تأثيرا ظاهرا حتى اليوم . فاذا قارنا الفنون العربية بالفنون التي سبقتها لوجدنا ان هذه يعوزها التنوع والابتكار ، وان العالم كان قد سئمها فتطلع الى تقاليد واساليب فنية اعظم ابهة واكثر حرية في الزخارف والموضوعات، لا يعدل ما فيها من خيال وجاذبية الا ما تمتاز به من اسرار في مزج الالوان وجعلها تملأ البصر وتبهج النفس ، تلك الاساليب الفنية المنشودة التي وجدها العالم في الفنون الاسلامية بعد ان امتدت امبراطوريتهم واتسعت وشملت جميع البلاد المعمورة في العالم اذ ذاك .

وليس باستطاعتنا ايضا نكران مقدار استعانة العرب في اوائل نهضتهم برجال الفن والصناعة من اهل البلاد التي كانت ذات حظ وافر من الحضارة في ذلك العهد ، فالعمارات الاسلامية القائمة في العالم الاسلامي الممتد من الصين شرقا الى الاندلس غربا اشترك في اظهار دقائقها وتفصيلاتها المبتكرة صناع ومهندسون من مختلف الجنسيات والامم التي اتخذت الاسلام دينا وحتى الذين بقوا على دينهم من فرس وبيزنطيين وهنود واتراك ونصارى ومغول وبربر .

الادوار التاريخية التي مرَّ بها فن العمارة الاسلامية :

بدأ الطراز الاسلامي يظهر عندما اخذ المسلمون يجمعون شتى الطرز المعمارية القديمة ويطبعونها بطابع دينهم الجديد ويظهرونها للعالم فنا معماريا جديدا متميزا عن غيره من الفنون المعمارية المعروفة في العالم . فالطراز الاموي الذي هو اقدم الطرز الاسلامية جمع بين الطراز والاساليب المعمارية الهلنستية والمسيحية الشرقية (البيزنطية) وبين المقاصد التي توخاها المسلمون لابنيتهم ومنشاءاتهم ، ومن هذا الامتزاج ظهر طراز اموي بديع انتشر في شمال افريقية حتى وصل الى الاندلس .

وعندما دالت دولة الامويين وآلت الخلافة الى العباسيين وانتقلت العاصمة الاسلامية من دمشق الى بغداد ظهر طراز جديد كان فيه لاساليب الفن المعماري الساساني تأثير كبير ، كما انه تأثر بالاساليب الفنية الموروثة عن البابليين والآشوريين والبارثيين وشيء من الفن الافريقي الذي جاء الى الشرق عند فتح الاسكندر لهذه البلاد . ولما ضعفت الدولة العباسية واخذت الاقاليم الاسلامية تستقل عن عاصمة الخلافة العباسية ظهرت في كل اقليم صور واساليب جديدة للفن المعماري الاسلامي مع المحافظة على الروح الاسلامية الاصيلة .

ان أكبر دولة قامت في الشرق في ظل الدولة العباسية هي الدولة البويهية التي أسسها (بويه) الملقب ب (آل شجاع) ، ولما آلت السلطنة الى (عضد الدولة) لقب بالملك ، وهو أول من لقب بهذا الاسم ، ودامت السلطنة البويهية من سنة ٣٢٠هـ الى ٤٢٧هـ . وكانت معاصرة للدولة الفاطمية في مصر .

وعندما قويت شوكة الاتراك في الدولة العباسية طمع بعض قوادها في الولايات وظهرت فروع تركية عديدة للدولة العباسية منها الطولونية في مصر والايلكية في تركستان والاخشيدية في مصر والغزنوية في افغانستان والهند . ثم ظهرت الدولة التركية الكبرى (السلجوقية) في اواسط القرن الخامس الهجري ودام حكمها نحو ثلاثة قرون . ثم جاء المغول الى غرب آسيا واكتسحوا الدولة السلجوقية ، ما عدا السلجوقيين في بلاد الروم الذين ظلوا سائدين في سلطة الامراء حتى مجيء العثمانيين الذين استولوا على دولتهم واسسوا الدولة العثمانية في اوائل القرن الثامن . اسس المغول في العراق الدولة (الايلخانية) التي استمر حكمها حتى سنة ١٣٣٦م ، ثم جاءت الموجة المغولية الثانية بقيادة (تيمورلنك) بعد القضاء على حكم خلفاء (هولاكو) في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي .

أما في ايران فقد ظهرت الدولة الصفوية وحكمت من سنة ١٥٠٢ الى سنة ١٧٢٦م . وعندما دب الضعف في هذه

الدولة ثار عليها الافغان وظلوا يحكمون في مازندران نحو عشرين عاما . وبعده ظهر (نادر شاه) وطرد الافغان من ايران ولكنه قتل سنة ١٧٤٧م . وفي الاقاليم الواقعة غرب ايران نجـد السيادة العثمانية اصبحت تشمل آسيا الصغرى وقسم من شمال افريقية .

هذا ما كان في الشرق الادنى ، اما في شمال افريقية فان الفاطميين تم لهم فتح مصر سنة ٩٦٩م . وبنوا القاهرة ، وعلى انقاض الدولة الفاطمية أسس صلاح الدين الايوبي الدولـة الايوبية واستمر حكمها من سنة ٥٦٤ الى سنة ٦٤٨هـ حـين غلبهم مماليكهم الاتراك .

وفي المغرب الاقصى تم للعرب فتح جميع اسبانيا تقريبـا سنة ٧١١م ، وظلت الاندلس تابعة للخلافة الاموية مدة تسـعا وثلاثين سنة . وقد بلغت الاندلس في ايام (عبدالرحمن الناصر) وابنه (الحكم) اوج مجدها . وبعدها اضمحلت الدولـة واخلت بالانحلال حتى اقتسمها الولاة البربر وصـاروا دولا صغيرة متفرقة وسموا بـ (ملوك الطوائف) . اتحد المغـرب والاندلس تحت حكم المرابطين ، وعندما خلفهم الموحدون سـنة ١١٤٧م . بسطوا نفوذهم على الاندلس وظلوا يدافعون عنهـا تجاه حملات الاسبان حتى سنة ١٢٢٥م . ولما حكم (بنونصر) الاندلس اقتصر حكمهم على مملكة غرناطة ، وهذه استطاعت ان تقاوم الاسبان حتى سنة ١٤٩٢م وبعدها سقطت وبسقوطها زال حكم العرب من الاندلس ولكن آثارهم المعمارية ظلت شـاخصة فيها تدل على مقدار ما بلغه الفن المعماري العربي الاسـلامي من رفعة وعظمة .

لقد حصل نتيجة تبدل الحكم هذا وانتقال السلطة من اقليم الى اقليم ومن بلد الى بلد من البلدان الاسلامية العديدة شيء كثير من التطور في فن العمارة ، الا انه ظل محافظا على الاسس العامة لهذا الفن في كل دور من تلك الادوار التي بيناها بصورة مختصرة ، ونحن حين نتتبع تاريخ الاقطار الاسـلامية حسب تسلسلها التاريخي نلمس بوضوح آثار وحدة حضاريـة قديمة تمتد من اقصى المغرب العربي الى اقصى بلاد الهند .

مدارس الفن المعماري الاسلامي :

بالرغم من وحدة الفن المعماري الاسلامي النسبية في كل دور من الادوار التاريخية السالفة الذكر فان هذا الفن تأثر بتغييرات محلية مرتبطة بتقاليد الشعوب التي دخلت الاسلام وتنوع بتنوع المواد الانشائية الموجودة في كل بلد من البـلدان الاسلامية ، كما تأثر بعدوى الجوار للامم التي لم يسـتطع الاسلام السيطرة عليهم . ولهذا نرى هناك بعض الاختلاف في المظاهر العامة للمنشاءات الاسلامية بين بلد وآخر مما حـدى بالعلماء الى تقسيم الفن المعماري الاسلامي الى عدة مدارس . وقد حدد العالم (هـ . سلادان) هذه المدارس بماياتي :ـ

- المدرسة السورية ـ المصرية .
- المدرسة المغربية وتشمل تونس والجزائر والمغرب واسبانيا وصقلية .
- المدرسة الفارسية وتضم بلاد الرافدين وايران .
- المدرسة العثمانية .
- المدرسة الهندية .

ان هذا التقسم لا يعني وجود حدود حقيقية بين مدرسـة واخرى ، وعلينا الا ننخدع بالاطار الظاهري لكل مدرسـة من هذه المدارس ، بل الافضل ان نجعل هذا التصنيف اكثـر مرونة وان نزيح كثيرا من الفروق الظاهرية الموجودة بينهـا ، فالبلاد الاسلامية التي تربطها علاقات روحية ثابتة لم تقـف المسافات الشاسعة التي تبعدها بعضها عن بعض حائلا دون تبادل الافكار وسريان الازدهار الفني الذي قد يظهر في احداها الـى الاطراف الاخرى من البعثات الاسلامية ، وطالما ظهرت ضرورات سياسية كثيرة اوجبت التضامن بين الحكام المسلمين المتباعدين ، فقد تبادل هؤلاء البعثات الثقافية وسعوا لتوثيق عرى الروابط بالمصاهرة والتعامل ، كل ذلك ساعد رجال الفن على الانتقال من بلد الى آخر لتبادل الصيغ الفنية والتباهي في التفوق الفني عند كل منها .

لهذه الاسباب يجب علينا عدم اعطاء أهمية كبرى لمفهوم المدرسة حسب التقسيم الجغرافي المار الذكر ، بل يجب ان يكون اهتمامنا بالتقسيم التاريخي للتطور الطويل لهذا الفن .

الفترات الكبرى للفن المعماري الاسلامي :

لقد قسم العلماء الادوار التي مر بها الفن المعماري الاسلامي الى اربع فترات اساسية كبرى فجعلوا الفترة الاولى تبدأ منـذ انتشار الاسلام وتاسيس الامبراطورية العربية الى زمن ضعف الدولة العباسـية ، اي مـن منتصف القـرن السـابع للميـلاد الـى نهايـة القرن التاسـع . ففي هـذه الفترة انتقلت عاصمة الخلافة الاسلامية من المدينة المنـورة الى دمشق ، ومن دمشق الى بغداد . وقد اصبحت الامبراطورية العربية تشمل بلاد الرافدين وفارس وسوريا وقسم من البلدان التي تحيط بالبحر الابيض المتوسط ومصر وشمال افريقيـة والاندلس . ثم امتد حكم العرب شرقا ووصل كاشغر في الصين الغربية كما وصل قلب فرنسا الى بواتية غربا .

اما الفترة الثانية فقد بدات من بداية القرن العاشـر واستمرت زهاء مائتين وخمسين سنة ، وفيها كانت الخلافـة الاموية في الاندلس والخلافة الفاطمية في مصر في اوج عظمتهما ، كما قامت في العراق الدولة البويهية ثم الدولة السلجوقية . وقد خرج الفن المعماري في هذه الفترة من مرحلة التقليد واغتنى بتأثيرات جديدة ، فتنوعت اتجاهاته واساليبه مع المحافظة على الروابط الاساسية التي تربطه بمصادره الاصلية .

والفترة الثالثة امتدت من القرن الثالث عشر الى القـرن الخامس عشر وفيها انحلت سلطة الخلفاء في بغداد واخـذت الممالك الاسلامية تنسلخ الواحدة بعد الاخرى عن الامبراطوريـة مما ادى الى تعرضها الى اخطار خارجية عنيفة . اضـاع المسلمون في هذه الفترة الاندلس واشتعلت الحروب الصليبيـة واخذ المغول يعبثون في البلاد الاسلامية فتعددت العروش وكان هذا التعدد من الاسباب الداعية لزيادة التنافس والتفاخر في المباني والمنشئات واساليب تنسيقها وزخرفتها .

والفترة الرابعة التي دامت نحو اربعة قرون توحدت فيها البلاد الاسلامية تحت الحكم العثماني واصبحت القسطنطينية عاصمة الخلافة الاسلامية وامتد نفوذ الاتراك على جميع البلاد العربيـة من المغرب الى الخليج العربي ، وعلى بلاد البلقان وجـزر اليونان فبرز في هذه الفترة طراز بناء تركي استوحى اسلوبه من الطراز البيزنطي والسلجوقي . الا ان ايران في هـذه الفترة تابعت تطورها المعماري القومي ولم تتأثر كثيرا بالطـراز العثماني ومثلها بلاد الهند .

دراسة فن العمارة الاسلامية :

ان كل منصف لا يستطيع ان ينكر فضل علماء الغرب في دراسة الفن العربي الاسلامي ، فقد عنى الغربيون عناية كبيرة في دراسة آثار هذا الفن في مختلف الادوار التاريخية وفي مختلف الاقطار الاسلامية ولم يتركوا زاوية من الزوايا الاثرية الا وتناولوها بحثا وتنقيبا ودونوا نتائج دراساتهم هذه في كتب واسفار عدة . ونحن اصحاب هذا التراث مدينون لهؤلاء العلماء بما اخرجوه لنا من ابحاث ودراسات وما جمعوه من وثائق وما نشروه من صور ومخططات ورسومات . فمن الواجب الاعتراف بفضلهم وتقدير مجهودهم الضانك وتضحيتهم من مال ووقت في التاليف والتنقيح والاخراج والطبع ، ولاشك ان كل ما نشروه يعتبر ذخرا ثمينا في هذا الباب .

اما نحن العرب فعنايتنا في هذا الموضوع لاتزال قليلة نسبيا وان كانت هناك بوادر مفرحة للنهوض في هذا البحث اخذت تظهر بوادرها عند المثقفين من الجيل الجديد ، فقد صار البعض منهم يترجم بعض المؤلفات الاجنبية او يدون ما يعثر عليه من معلومات في مصادر عربية قديمة وينشرها بشكل مقالات في الصحف والمجلات ، كما انه من دواعي الفخر ان نرى دوائر الآثار القديمة والجامعات في مختلف البلاد العربية قد نشطت نشاطا ملحوظا في هذا المضمار ، وصار الاهتمام بما بقي من الآثار الاسلامية من واجبات هذه الدوائر وشعرت الجامعات بضرورة التوسع في دراسة التراث العربي الاسلامي والكشف عن جوانبه الغامضة المتعددة الفروع والشعب .

ان العمارات الاسلامية التي لايزال بعضها قائما والمنتشرة من الصين الى بلاد المغرب والتي اشترك في اظهار دقائقها وتفصيلاتها المبتكرة صناع ومهندسون من مختلف الجنسيات والامم كلها تحتاج الى دراسة واكتشاف ما فيها من دقة وجمال، فهذه العمارات هي احدى الشواهد الدالة على مقدار ما وصلت اليه الحضارة المستفيضة على يد العرب في مختلف البلاد التي مرت بها او استقرت فيها الحضارة والمدنية العربية . هذا وساحاول الآن استعراض اهم الآثار العمرانية في كل قطر من الاقطار الاسلامية حسب الفترات الكبرى التي ذكرناها .

الفترة الاولى لتطور فن العمارة العربية الاسلامية :

في هذه الفترة نرى الابنية والمنشاءات العربية الاسلامية في عهد الراشدين تمثل فيها كل البساطة المعبرة عن بساطة الدين الاسلامي الحنيف ، فقد امتنع هؤلاء الخلفاء عن البذخ والاسراف في اموال المسلمين وتقيدوا كثيرا في الصرف لهذه الاغراض ، وانحصر همهم في تقوية جيوشهم الظافرة وتاسيس مدن جديدة بسيطة البناء في البلاد التي تم لهم فتحها لتكون معسكرات لجنودهم .

بنى العرب (البصرة) سنة ١٦هـ / ٦٣٥م بعد فتح العراق وكان مؤسسها الاول (عتبة بن غزوان المازني) عامل الخليفة عمر بن الخطاب (رض) . خططها وفقا للقبائل التي سكنتها وجعل فيها الشوارع الرئيسة والفرعية ورحبات فسيحة لمرابط الخيل ، وكانت المنازل متلاصقة فيها ، وجعل المسجد الجامع ودار الامارة وبيت المال في وسط المدينة وانتشرت الاسواق حولها .

ثم بنى العرب (الكوفة) بعد عامين او ثلاثة من بناء البصرة وجاء بناؤها على غرار مدينة البصرة . اسسها (سعد بن أبي وقاص) على الجانب الغربي من نهر الفرات بالقرب من الحيرة ، واول ما اختط فيها المسجد ودار الامارة .

وعندما فتح (عمرو بن العاص) مصر سنة ٦٤١م اختط مدينة (الفسطاط) وجعلها معسكرا لجنوده ، وتقاسمت القبائل خططها وبنى مسجدها ودار الامارة في وسطها .

لقد كان البناء بسيطا في جميع هذه المدن واغلب موادها الطين والقصب والمواد الاولية المتوفرة محليا ، وكانت البساطة ظاهرة في البناء ولم يحاول الولاة والحكام الاسراف على الزخرفة والبذخ على الرياش والاثاث .

كان مسجد الرسول الاعظم (ص) في المدينة المنورة النموذج الاول لبناء المساجد في المدن الاسلامية الجديدة ، وهي عبارة عن مساحة من الارض مربعة الشكل تقريبا . مسورة بسور من الطين والحجارة ، اقيمت ظلة للمصلين في الضلع المتجه الى القبلة وخلفها صحن مكشوف واسع .

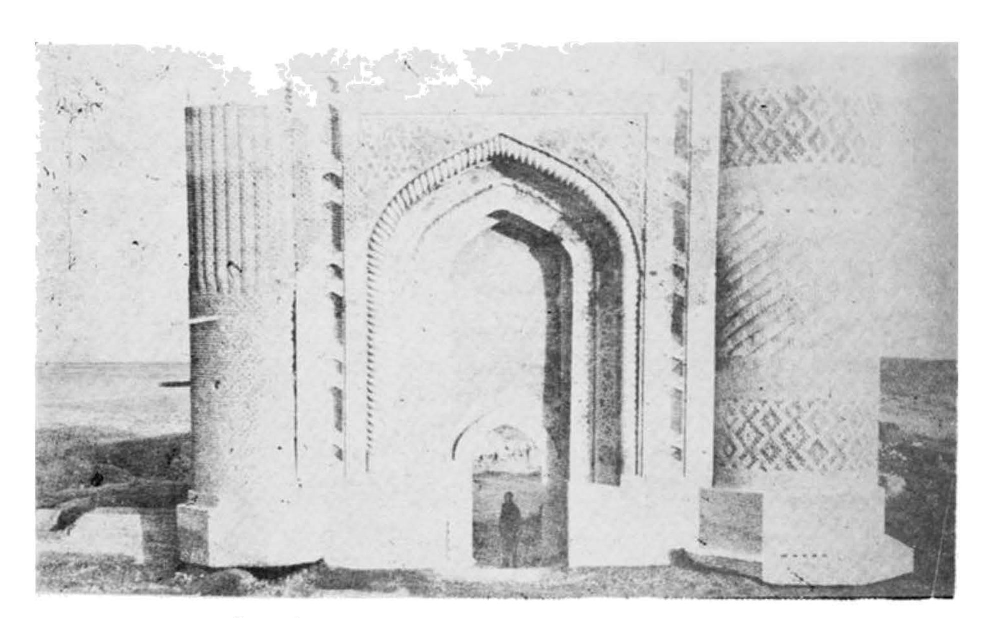
اما الكعبة الشريفة في مكة المكرمة فبعد ان نزع منها المسلمون ما يحيط بها من اصنام وحطموها بقيت قائمة في وسط ساحة تسمى (براحا) خال من كل بناء ، وكانت دور قريش متواضعة البناء شيدت من حجارة مكة (الدبش) ذات دور واحد ، وابوابها شارعة الى الكعبة . وفي زمن عمر بن الخطاب (رض) توسع الحرم الشريف واحيط بجدار يزيد ارتفاعه عن قامة الرجل ، وجعل له ابواب . وقد زادت مساحة هذا الحرم مرة اخرى في زمن عثمان بن عفان (رض) ، وجعل له اروقة يستظل بها المسلمون .

فتح المسلمون بلاد الشام على يد (خالد بن الوليد) ورفاقه الميامين ودخلوا دمشق فوجدوا انفسهم في مدينة عامرة جامعة ، ولاداء فريضة الصلاة شاركوا النصارى كنائسهم او قسموها الى قسمين قسم لاقامة الصلاة للنصارى والقسم الآخر للمسلمين .

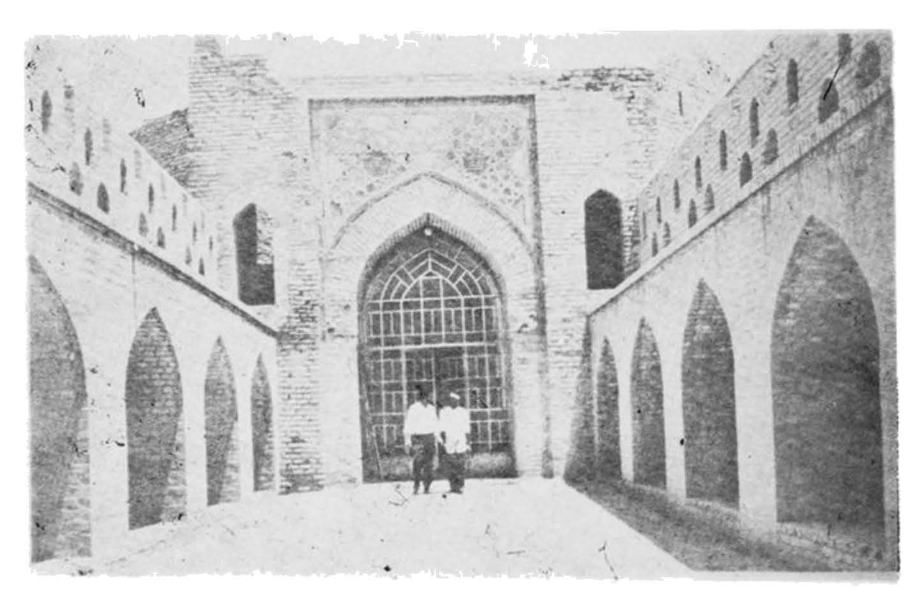
وعندما توجهت جيوش المسلمين بقيادة (عمرو بن العاص) لفتح بيت المقدس لم تستسلم حاميتها الا بعد وصول عمر بن الخطاب (رض) اليها . سار عمر (رض) ودخل كنيسة القيامة وصلى على الدرجة التي على باب الكنيسة لكي لا ياخذ المسلمون هذه الكنيسة من بعده ، ثم انطلق الى الصخرة التي اشار عليه البطريق ان يجعلها مسجدا للمسلمين واخذ يرفع ما عليها من ردم وهرع المسلمون الى الاقتداء به وتم بناء المسجد حولها .

تطور البناء في العهد الاموي :

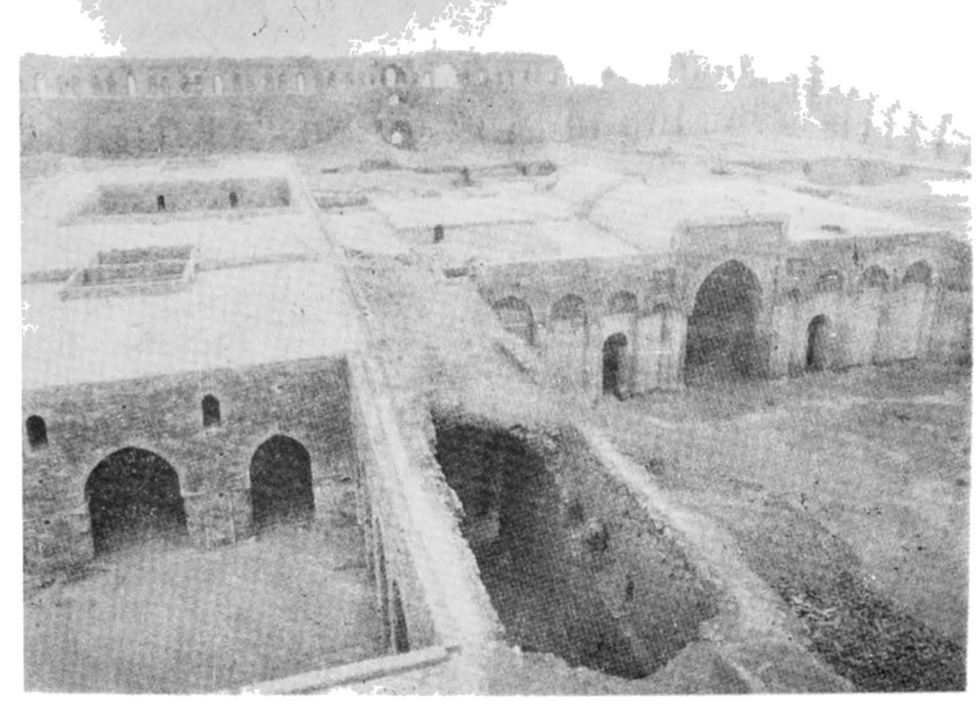
انتقلت الخلافة الى الامويين سنة ٦٥٨م واصبحت دمشق عاصمة الامبراطورية العربية الكبرى ، وعندما اخذت الدولة بحظها الوافر من الترف والرفاه نرى المسلمين قد انتقلوا من القناعة بالضروري اللازم للحياة البسيطة التي كانوا يحيونها الى الترف والبذخ في سبيل اقامة اجمل المباني الفخمة التي تتفق ومركز امبراطوريتهم العظيمة ، وبداوا في بناء المساجد والجوامع فاختاروا كنيسة (القديس يوحنا) وحولوها الى مسجد جامع بعد ان اشتراها الوليد بن عبدالملك من النصارى ، وجاء بناء هذا الجامع آية في الفن وروعة في الزخرفة والجمال . ففي هذا المسجد الجامع تمثل ظواهر معمارية اسلامية عديدة منها ترتيب الاروقة والبلاطات في الحرم وادخال المحراب



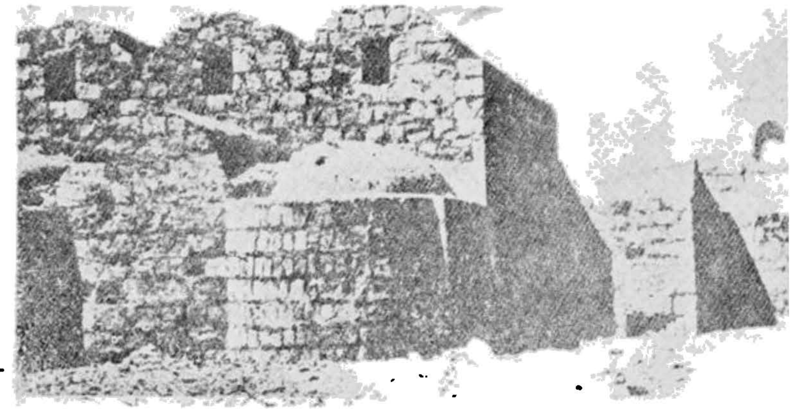
باب وعلى طرفيها قاعدة مئذنتين تعرف بـ (المنـــارة)
في الجانب الشرقي من مدينة واسط



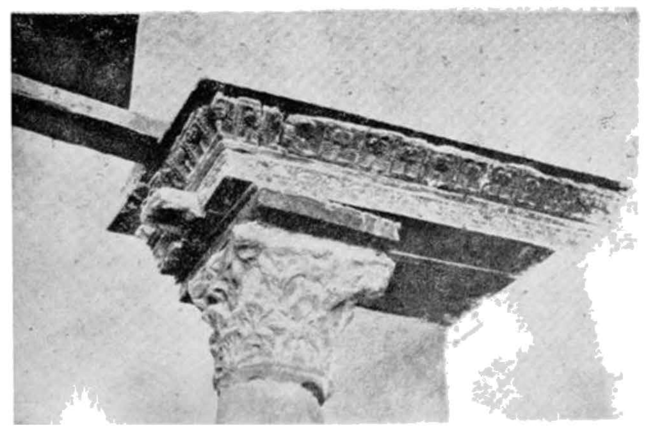
باب الوسطاني (باب الظفرية) أحد أبواب سور بغداد (الرصافة)
بناه المسترشـــد بالله سنة ٥١٠هـ



منظر داخلي (لقصر الاخيضر) في الوسط ، (ساحة الشرف) وخلفها
(قاعة العرش) والى اليسار احد (البيــوت) في القصر



الجدار الخلفي لحمام
قصير عمره في بادية الشام



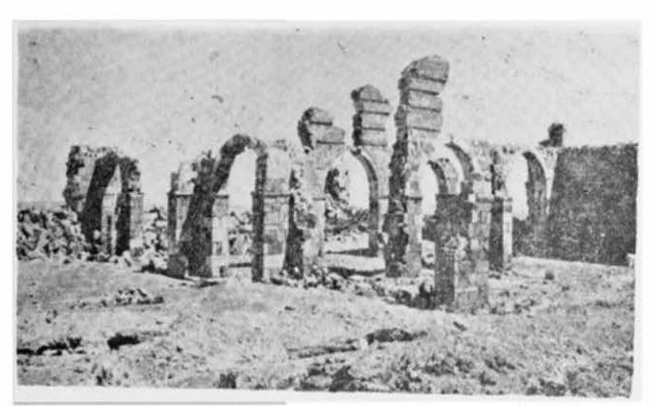
احد الاعمدة في جامع عمرو بن العاص
في الفسطاط ، أسس سنة ٦٤٢م .



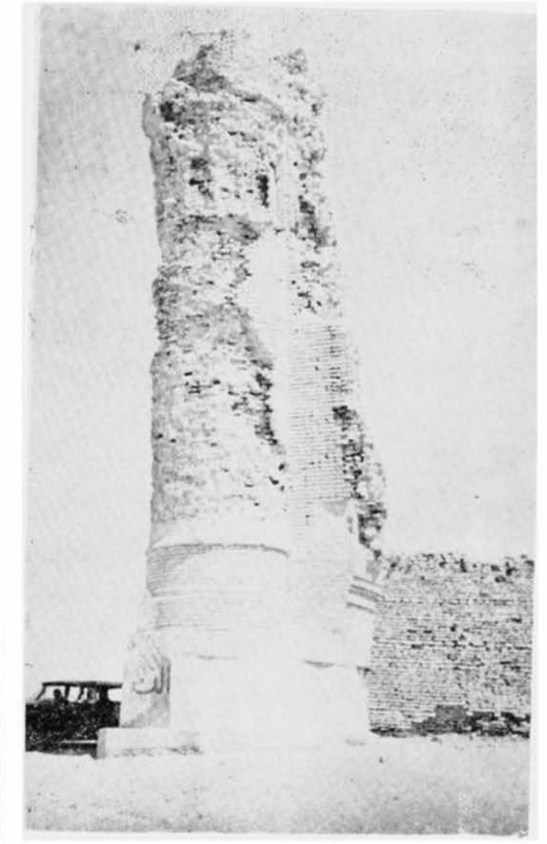
جامع الجمعة الكبير في سامراء والمئذنة المعروفة (بالملوية)



جامع (ابي دلف) في وسط (المتوكلية) في سامراء



بقايا قصر المشتى في باديـة الشـام



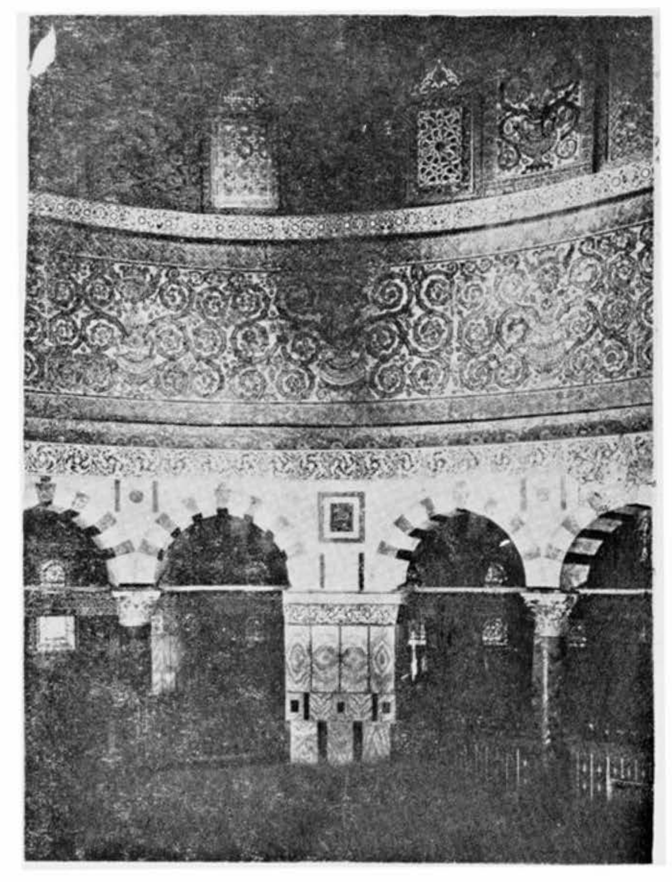
احد اركان جامـع البصـرة القـديم



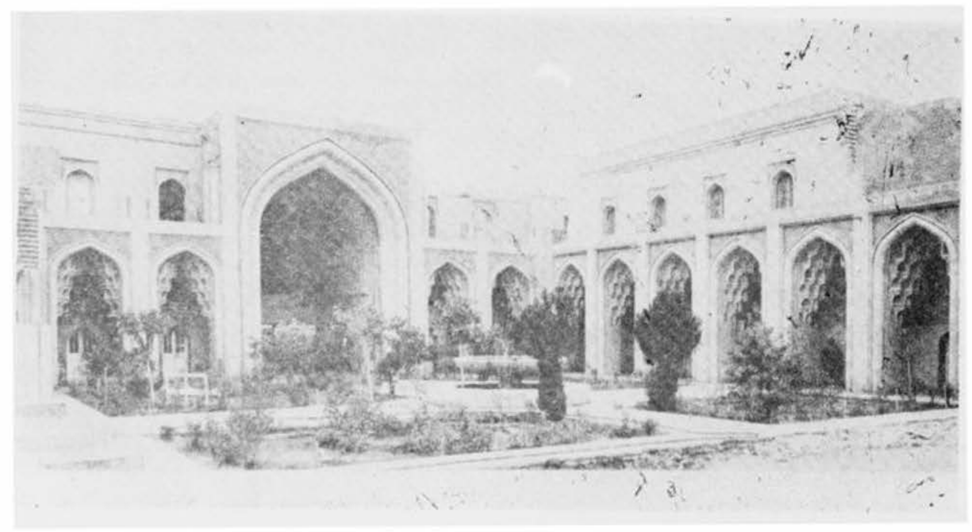
منظر الحفريات الاثرية في دار الامارة في الكوفة
الى الشمال منه سـور مسـجد الكوفـة الكبـير



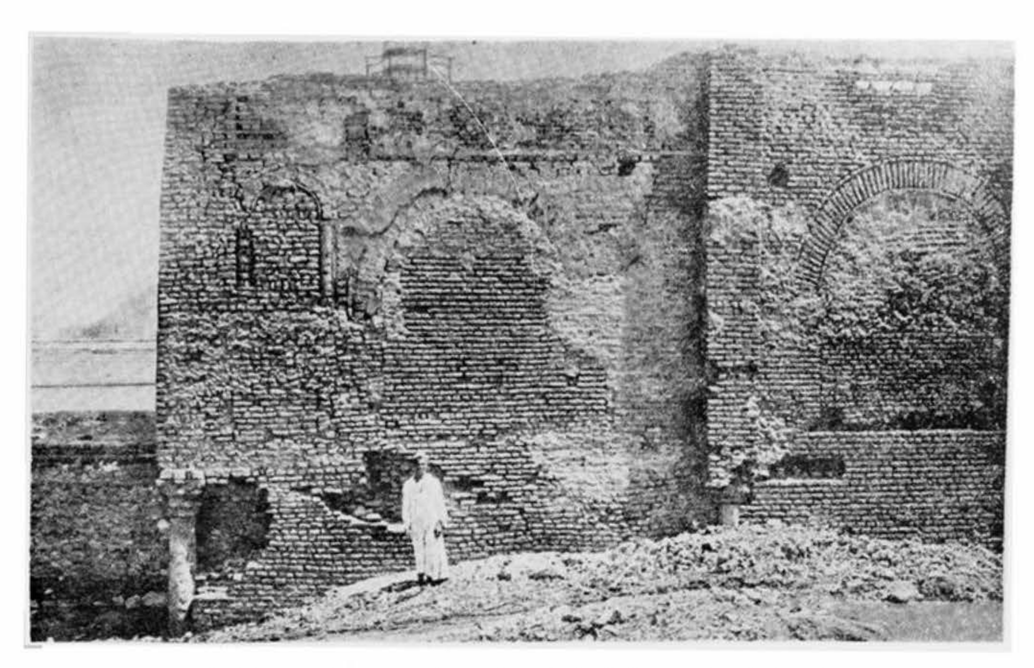
مدخل قصر الحير الشرقي الاموي في بادية الشام
→



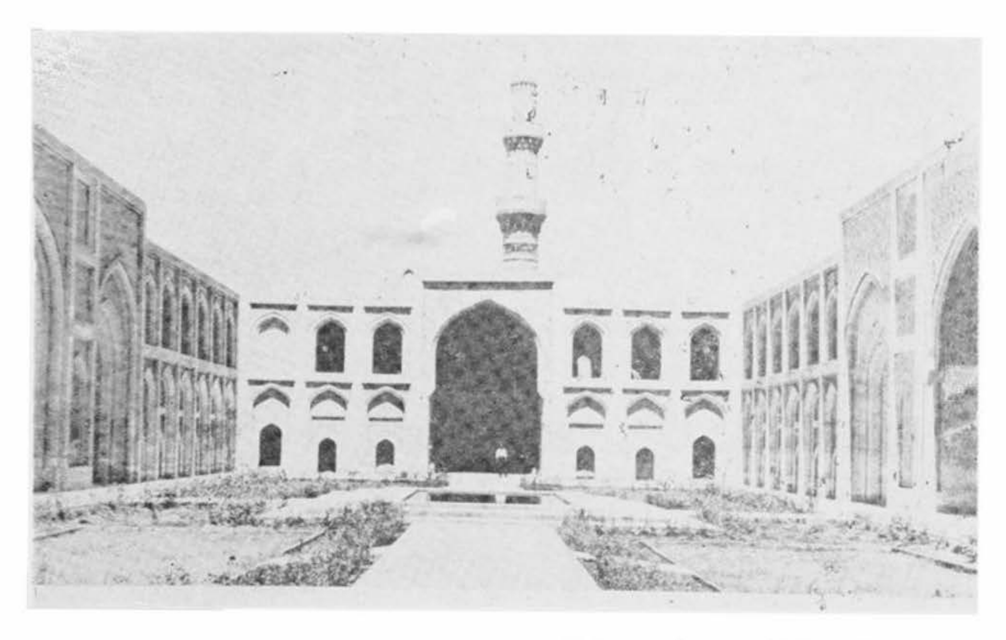
منظر داخـلي لقبـة الصخرة



ايوان واروقة البناء المعروف (بالقصر العباسي) في بغـ! اد
ومن المحتمل ان يكون مدرسـة



(باب بغداد) في مدينة الرقة التي أسسها المنصور على نهر الفرات



المدرسة المستنصرية شيدها المستنصر بالله العباسي عام ٦٣١هـ/١٢٣٤م

في جدار القبلة وبناء المئذنة واستعمال العقود والاقواس الشبيهة بحدوة الفرس ، وكذلك الزخارف والفسيفساء التي تزين الجدران والعقود التي لا يضاهيها اي عمل مماثل عند الرومان .

ثم انتقل عبدالملك بن مروان الى المسجد الاقصى في القدس فاعاد بناء مسجد الصخرة ورصد لنفقاتها خراج مصر لسبع سنوات ، فامر أن تكون الصخرة في وسط المسجد وتهيء مساحة مناسبة تحيط بالصخرة لطواف اكبر عدد ممكن من الحجاج حولها ، وجعل فوق الصخرة قبة ذات اسطوانة قطرها ٢٠ر٤٤ مترا وارتفاع اعلى القبة عن الارض ٦٠ر٣٠ مترا ، ويحيط بالصخرة رواقان بشكل مثمن عدد العقود فيها ٢٤ عقدا ، وفي حلب اسس الامويون الجامع الاموي الكبير (مسجد زكريا) سنة ٧١٥م واشتهر هذا المسجد بمئذنته المربعة الشكل ذات الهندسة السلجوقية البديعة .

وبنى الخليفة سليمان بن عبدالملك مدينة الرملة في فلسطين وجعلها مركزا له ، وان مئذنة مسجدها الابيض لاتزال قائمة حتى الآن .

واتخذ مروان الثاني مدينة حران سكنا له وبنى المسجد الكبير فيها .

اما في مصر فقد امر معاوية بن أبي سفيان عامله مسلمة بن مخلد بتوسيع مسجد عمرو بن العاص في الفسطاط فاضيفت له مساحة من الارض واصبح له صحن واسع . كما ان الخليفة عبدالعزيز بن مروان قام بتوسيع هذا المسجد من الجهتين الشمالية والغربية . وفي سنة ٧١٠م امر الوليد بن عبدالملك بهدم جميع البناء القديم حتى الاسس واقام مكانه بناء جديدا بعد ضم دار عمرو بن العاص والطريق الى مساحة المسجد .

وقام الامويون باعادة بناء الكعبة المشرفة عندما استولى الحجاج على مكة بعد مقتل عبدالله بن الزبير ، فامر عبدالملك بن مروان بتوسيع الحرم وتجديد السقوف وجعلها من خشب الساج ، واقامة السواري المحلاة رؤوسها بالذهب ، وزخرفة العقود بالفسيفساء فكانت أول زينة استعملت في المقام الشريف .

وفي المدينة امر الوليد بن عبدالملك باعادة بناء المسجد وتوسيعه ، وضم منزل الرسول (ص) اليه ، واستعمل الرخام للاعمدة والفسيفساء في تزيين الجدران ، واقيمت اربع مآذن في الاركان ، وادخل المحراب في جدار القبلة .

وقام زياد بن ابيه عامل معاوية على العراق باعادة بناء مسجد البصرة واستبدل السقف القديم بسقف من خشب الساج وبنى منارة للمسجد . كما قام بتوسيع مسجد الكوفة بحيث صار يتسع لستين الف مصلي ، وبنى الجدران بالآجر والجص ، ورفع السقوف على اعمدة حجرية جلبها من الحيرة ، واصبح المسجد اشبه بقاعة الاعمدة في قصور الفرس .

وبنى عتبة بن فرقد الجامع الاموي الكبير في الموصل ، وقد توسع هذا الجامع في ولاية هرثمة بن عرفجه البارقي واصبح مسجدا جامعا وبنى مروان بن محمد منارة ومقصورة يصلى بها في هذا الجامع .

وعندما تم فتح تونس سنة ٦٧٠م اسس القائد عقبة بن نافع مدينة القيروان وجعلها معسكرا لجنوده ، وبنى جامعها الشهير سنة ٦٧٥م فكان آية في الروعة ، واختط دار الامارة وجعل الدور من حولها . وقد اشتهر جامع القيروان بمئذنته ذات القاعدة المربعة والتي يبلغ ارتفاعها ٣٢ مترا ، كما ان طراز القباب ذات المقرنصات في هذا المسجد آية في الفن والروعة .

واشتهر في المغرب مسجد مدينة تونس ويعتبر المسجد الثالث من حيث السعة والاتقان في البناء .

ومن آثار العرب في شمال افريقية رباط سوسه ويعرف ب (قصر الرباط) ، بناه ابراهيم بن الاغلب سنة ٢٠٦هـ ـ ٨٢١م ، وهو بناء حصين مربع التخطيط ٣٩×٣٩ مترا ، في سوره الخارجي ابراج عالية ، والبناء بطابقين ، ويعلو البناء قبة تمتاز بخصائص معمارية لها اهمية كبرى في بناء القباب الاسلامية ، وقد جعلت هذه القبة مئذنة ومنارة لحراسة البحر ومرقبا لحراس القصر .

القصور والقلاع الاموية في بادية الشام :

لم يقتصر اهتمام الخلفاء الامويين على بناء المساجد والجوامع في مختلف المدن الاسلامية بل اراد بعضهم ان ينعم بحياة البادية الملائمة لطبيعة نشأتهم العربية الاصيلة ، فانشؤا عددا من القصور التي هي اشبه بالقلاع في بادية الشام أهمها (قصر المشتى) الذي يعتقد بانه بني قصرا للخليفة يزيد الثاني ٧٢٠ـ٧٢٤م الذي كان يفضل السكن البعيد عن المدينة مع (حبابة) احب نسائه . يقع هذا القصر الجميل في الاردن على بعد عشرين ميلا جنوب عمان ، وهو الآن في حالة متهدمة ، نقلت معظم زخارفه المحفورة في الحجر الى متحف برلين سنة ١٩٠٣ . ويتكون القصر من ثلاثة اقسام رئيسة ، يحيط بها سو ر ذات ابراج ضخمة من جهاته الاربع .

وعلى بعد ستين ميلا جنوب شرقي عمان بناء آخر اشبه بقلعة ذات أبراج عالية وسط الصحراء يعرف ب (قصر الطوبة) بناه الخليفة الوليد الثاني سنة ٧٤٤م ، ويتالف القصر من دارين وفي كل دار اربعة بيوت متناظرة من حيث توزيع الغرف والقاعات فيها ، وهناك شبه كبير بين هذا القصر وقصر المشتى مما يدل على انهما شيدا في وقت واحد تقريبا .

وهناك قصر آخر في الاردن يسمى (قصير عمره) يقع على بعد خمسين ميلا شرق عمان ، ويتكون القصر من قسمين هما قاعة الاستقبال ثم الحمام الساخن الذي يقع خلف هذه القاعة . والحمام مقسم الى ثلاثة غرف متصلة بعضها الاولى الغرفة الباردة ثم الغرفة الدافئة وبعدها الغرفة الساخنة ، ويحلى جدران القصر واقبيته من الداخل صور من النوع المعروف باسم (فريسكو) ذات الالوان المختلفة .

وعلى مقربة من قصير عمره قصر يعرف (بقصر خرانه) شيد بطابقين ولايزال محافظا على اقسام عديدة من بنائه ، وتشير الكتابة على احدى الجدران انه بني سنة ٧١١م ، وتوجد في الطابقين عدة غرف كل مجموعة منها تشكل بيتا مستقلا .

وبنى الامويون قصرا آخر في البادية يسمى (قصر الصرح) يرجع تاريخه الى ٧٢٥ـ٧٣٠م لما بينه وبين قصير عمره من شبه كبير ، فلهذا القصر حمام ساخن كما في قصير عمره .

وللخليفة هشام بن عبدالملك قصر عظيم في (خربة المفجر) في (اريحا) في فلسطين . في هذا القصر مسجد وحمام مبلط بالفسيفساء وساحة كبيرة فيها نافورة او بركة ماء مثمنة الشكل .

وفي الجهة الشرقية من ساحل بحيرة طبرية في فلسطين

يقع (قصر المنيا) ، وتذكر الكتابة الكوفية التي اكتشفت فيه اسم الوليد بن عبدالملك ، وللقصر مسجد يقع في الزاوية الجنوبية الشرقية منه ، وفي القصر قاعات خصصت للاستقبال واقامة الاحتفالات لما فيها من زخرفة رائعة ونقوش جميلة ، وارضية هذه القاعات كلها مبلطة بالفسيفساء باشكال هندسية بديعة .

والى الجهة الشمالية من تدمر وعلى بعد ستين ميلا عنها بنى هشام بن عبدالملك ٧٢٨م قصرا في الصحراء يسمى قصر (الحير الشرقي) ، تتالف ،بقايا هذا القصر من سورين محصنين بشكل مربع ذات ابراج نصف دائرية ، وفي الزاوية الجنوبية يقع مسجد القصر .

اما (قصر الحير الغربي) فقد نقلت انقاضه الى المتحف الوطني بدمشق واعيد بناؤه فيه .

وبنى الخليفة الوليد بن عبدالملك في مدينة (عنجر) الواقعة في وسط سهل البقاع في لبنان قصرا وجعله المقر الصيفي له لقربه من احدى منابع الليطاني . ومدينة عنجر بنيت على شكل قلعة مربعة تشبه القلاع الرومانية ، لها سور ضخم ذات ابراج ، وفي منتصف كل ضلع من اضلاع السور مدخل كبير للمدينة ، ويتصل بين الابواب الاربعة شوارع صفت على جانبيها اعمدة اسطوانية نقلت معظمها من ابنية رومانية قديمة ، وفي احدى الارباع من ساحة هذه المدينة يقع قصر الخليفة بثلاثة طوابق ، وعلى الجدران نحتت صور شبيهة بتلك التى وجدت في قصر المشتى ، اما تخطيط القصر فهو اشبه بمخطط قصر المنيا .

مدينة واسط :

وعندما تولى الحجاج بن يوسف الثقفي ولاية العراق سنة ٧٥هـ — ٦٩٤م في زمن خلافة عبدالملك بن مروان شيد على ضفة دجلة الغربية بلدة سماها واسط لتوسطها بين البصرة والكوفة ، وجعلها مقرا لحكمه . توسعت هذه المدينة واصبحت تشغل ضفتي النهر يربط بينهما جسر ، وبنى الحجاج مسجدا جامعا في الضفة الغربية وجعل دار الامارة وراء الجدار القبلي للجامع . ويشغل الجامع ارضا مساحتها ٣٠ر١٠٤ × ٥٠ر١٠٣ مترا تحيط به بلاطات من جوانبه الاربعة ترتفع سقوفها على اسطوانات حجرية منحوتة .

اما قصر الحجاج فان اسسه تكاد تكون معدومة ولكن (ابن رسته) ذكر بان لهذا القصر قبة مشرفة عالية خضراء ترى من بعد سبع فراسخ (٣٥ كيلو مترا) ، وقد ظل هذا القصر ماثلا الى الربع الاخير من القرن السادس الهجري ، وقد جعل الحجاج الى مقربة من القصر سوقا عامرة كان التجار يتعاطون فيه مختلف البضاعة في تجاراتهم .

عصر الدولة العباسية :

ثار العباسيون على الامويين واستولوا على الحكم سنة ٧٥٠م وانتقلت الخلافة اليهم فاتخذ (ابو العباس السفاح) اول خلفاء العباسيين قصر بن هبيرة الواقع بين الكوفة وموقع بغداد مقرا له وسماه (الهاشمية) وعندما تولى الخلافة اخوه (ابو جعفر المنصور) ٧٥٤م ، ترك الهاشمية وخرج بنفسه ليختار مكانا يتوسط اقاليم دولته ويشرف على اطرافها ليتخذه عاصمة للمملكة . وعندما استقر رايه على موقع بغداد الذي كان معروفا ايام الدولة الساسانية ، بدا في تخطيط المدينة المدورة سنة ١٤٥هـ — ٧٦٢م .

قسم المنصور المدينة المدورة (دار السلام) على شوارع محدودة سماها السكك واسكنها الموظفين والموالين له ، وكان لهذه السكك ابواب وثيقة من طرفيها ، وجعل قصره ذي القبة الخضراء والمسجد الجامع في الرحبة الوسطى من المدينة ، واحاط المدينة بسورين عظيمين فيه اربعة ابواب او مداخل رئيسة محورية ، وجعل بين كل بابين ٢٨ برجا ما عدا جهة واحدة فيها ٢٩ برجا ، ويقدر طول قطر المدينة المدورة بـ ٥٠٩٢ ذراعا اي ٢٥١٢ مترا .

كان في صدر قصر المنصور المسمى بقصر الذهب ايوان طوله ٣٠ ذراعا وعرضه ٢٠ ذراعا ، وفي صدر هذا الايوان مجلس الخليفة مساحته ٢٠×٢٠ ذراعا وعلى سطح الايوان مجلس مثله وفوقه القبة الخضراء . وكان المسجد الجامع ملاصقا للقصر بامتداد الضلع الشمالية لبناية القصر ، وكان للجامع منارة . وقد اعاد هارون الرشيد بناء الجامع بالآجر والجص سنة ١٩٢هـ — ٨٠٧م . وفي زمن المعتضد ٢٠٦هـ اضيف الى الجامع ديوان المنصور المعروف بـ (دار القطان) لتوسيعه . وزاد (بدر) مولى المعتضد في الجامع جزءا من قصر المنصور يسمى (المسقطات) ، ولم يكتف المعتضد بهذه الاضافات فقرر اقتطاع مساحة كبيرة من القصر وضمها الى الجامع أيضا واصبح ما الحق بالجامع مساويا الى مساحة الجامع الاول .

وبالنظر لمساحة الارض المحددة داخل المدينة المدورة فقد امر المنصور ببناء حارة للتجار في جنوب المدينة سميت بـ (الكرخ) ، ثم اقطع المنصور قواد جيشه وارباب الحظوة الجانب الاكبر من الاراضي المحيطة بالمدينة . وسمح المنصور لابنه المهدي ان ينتقل بجنده الى الضفة الشرقية من النهر المقابلة للمدينة المدورة ، وبنى فيها دورا وسميت هذه المحلة بـ (الرصافة) ، واتصلت بالجانب الغربي بجسر اقيم عند باب الشعرية .

ثم توسع الجانب الشرقي من المدينة وبنيت فيه قصور عديدة واسواق كثيرة وكان الامتداد الى جنوب معسكر المهدي فاحيطت كل هذه المباني بسور عظيم واسع في نهاية القرن الخامس الهجري ، واصبح لهذا السور اربعة ابواب في الشمال (باب السلطان) ، باب المعظم ، وفي الشرق بابان (الظفرية) او ما يسمى الباب الوسطاني ، وباب الحلبة او (باب الطلسم) وفي الجنوب (باب كلواذا) ، وقد شرع في بناء هذا السور المستظهر بالله سنة ٤٨٨هـ — ١٠٣٥م عندما أصبحت دار الخلافة في وسطه ، ثم أكمل بناء السور المسترشد بالله سنة ٥١٧هـ — ١١٢٣م ، وجدد بناءه الناصر لدين الله .

ومن اعمال المنصور انشاء (مدينة الرقة) على نهر الفرات واقام فيها فصائل من جنده الخراسانيين ، وجعل سورها مزدوجا بشكل حدوة الفرس ، وفيها ابراج مستديرة ، وجعل مسجدها الكبير في النصف الشمالي من المدينة . ويجمع هذا المسجد بين طراز الفن المعماري العراقي والفن المعماري السوري ولايزال (باب بغداد) في سور المدينة محافظا على شكله القديم وهذا الباب أشبه ببرج طويل مستطيل الشكل في وسطه فتحة المدخل ، وتعلو واجهته زخرفة آجرية مكونة من سلسلة محاريب ثلاثية الفلقة يحيط بها اطارات ذات عقود متوجة تستند فوق اعمدة صغيرة متصلة بالبناء .

مدينة سامراء :

كانت سامراء أيام ازدهارها سيدة مدن العالم ، وهي اليوم أطلال تمتد مسافة ٣٥ كيلومترا على شاطىء دجلة الشرقي ، من

متوكلية المتوكل على الله في الشمال الى قادسية المعتصم بالله في الجنوب .

وتقع سامراء على بعد ١٣٠ كيلومترا شمال بغداد ، بناها المعتصم سنة ٨٣٦م بعد ان اقلقته الاقامة في بغداد لاسباب سياسية واجتماعية . وتلاه سبعة من الخلفاء توسعوا في اعمارها وتجميل قصورها ومساجدها ، وبعد خمسين سنة على تأسيسها هجرها المعتمد على الله سنة ٨٩٢م ورجع الى بغداد فاستحالة سامراء الى أطلال كما يشاهدها الزائر اليوم .

ويدل تخطيط هذه المدينة على براعة فائقة في هندسة المدن وتخطيطها ، ففيه الكثير من الابتكارات ويتجلى ذلك في تنظيم الشوارع وتوزيع المساكن وتنسيق الابنية العامة والاسواق والمتاجر والمساجد والحدائق وغيرها .

ويعد المسجد الجامع في سامراء أكبر المساجد في العالم حيث تبلغ مساحته ٤٥٥٠٠ مترا مربعا ، شيده المعتصم وعندما ضاقت سعته بالمصلين هدمه المتوكل وشيد محله المسجد الجامع الكبير القائم الآن سنة ٨٤٩-٨٥٢م ، ولهذا الجامع مئذنة ضخمة تعرف ب (الملوية) ، يبلغ طول ضلع قاعدتها المربعة ٣٢ مترا تعلوها القسم الحلزوني الذي يدور في اتجاه معاكس لعقرب الساعة حتى تتم دورات خمس ينتهي بالقمة التي هي بشكل اسطواني قطره ٦ امتار وارتفاعه ٦ امتار ايضا ، وهذه ترتفع عن القاعدة بمقدار ٥٠ مترا .

ثم بنى المتوكل مدينة شمال سامراء جعلها تتصل بالقسم الجنوبي من المدينة بشارع عظيم ، وسميت هذه المدينة (المتوكلية) أو (الجعفرية) ، وقد نقل المتوكل جميع الدواوين اليها وبنى مسجدا جامعا فيها سمي ب (جامع أبي دلف) . وتبلغ مساحة هذا الجامع ٣٠٠٠٠ مترا مربعا ، تحيط بصحنه اروقة بنيت جدرانها وعقودها ودعاماتها بالآجر والجص . ولهذا الجامع مئذنة ملوية الشكل ايضا ولكنها اصغر حجما من ملوية الجامع الكبير في سامراء ، قاعدتها مربعة طول كل ضلع فيها ١١٫٢٠ مترا وارتفاعها ٢٫٥٠ مترا ، فوقها القسم الحلزوني الذي يدور عكس دوران عقرب الساعة ثلاث دورات ، ويبلغ ارتفاع المئذنة من القمة الى سطح القاعدة ١٦ مترا .

القصور العباسية :

كان من نتائج اتساع الدولة العباسية وامتداد نفوذها الى اغلب بقاع المعمورة ان تدفقت الخيرات على بغداد مقر الخلافة من هذه الامصار ، وقد عم اليسر فيها وساد الرخاء ، وتضاعفت الثروات ، وامتلأت الخزائن بالمال الوافر . وكان ينفق القليل منها على تسيير امور الدولة ، والكثير منها كان يذهب الى خزائن الخلفاء والامراء واعيان الدولة ومنهم ينساب الى التجار والصناع والزراع وغيرهم من صنوف الناس ، وبنتيجة نمو المال عند هذه الطبقات أقبل الكثير منهم الى حياة البذخ والترف ، وعمدوا الى الاسراف في العيش ، وانصرفوا الى تشييد الدور الجميلة والقصور المنمقة ، وبالغوا في تجميلها وتزيينها بكل ما وهبوا من ذوق وما أوتي الصناع من حذق ومهارة وذكاء ، وكان الخلفاء ومن دونهم من أمراء ووزراء وغيرهم يتنافسون في جعل قصورهم ودورهم آية في الفن ومثلا في روعة البناء وجمال المنظر .

— من هذه القصور الفخمة في بغداد قصر التاج (دار الخلافة) اسس هذا القصر في ارض (القصر الحسني) على الضفة الشرقية من نهر دجلة قبل نهاية عهد المعتضد ، واكمل بناءه المكتفي بالله وجعل له مسناة نائتة على النهر ، وزين واجهته بمعاقل نقلت من المدائن ، وشيد في بستانه قاعات عدة وبيوت صيفية وقبة عرفت ب (قبة الحمار) مدرجة أشبه بمنارة الملوية يصعد الى قمتها على حمار صغير . وقد اعاد بناء القصر المستضيء سنة ٥٧٤هـ - ١١٧٨م . وكانت الدار اشبه ببلدة فيها مجاميع لقصور وابنية ، وكان مركزها القصر الحسني ثم قصر الفردوس وقصر التاج ، وكان يحيط بكل هذه المباني سور بهيئة نصف دائرة فيه تسعة أبواب رئيسة ويمتد الى مسافة كيلومتر واحد على ضفة دجلة .

وكان (قصر الحسني) في الاصل قصرا لجعفر بن يحيى البرمكي ، فيه ٣٦٠ مرفقا مابين مجلس ومستشرف وحجرة وموضع تبريد بالصيف وخزانة ، وقد بالغ في الانفاق عليه فكان من اجمل قصور بغداد . ولما فتك الرشيد بالبرامكة صار هذا القصر الى المامون فطابت له سكناه واتخذه متنزها ، وانشأ فيه حديقة حيوانات ، وبنى منازل لخاصته واصحابه وحاشيته ، فسمي (القصر المأموني) . وعندما تولى المامون الخلافة انتقل الى (قصر الخلد) الذي بناه أبوه في الجانب الغربي من دجلة وترك القصر المأموني الى وزيره الحسن بن سهل وسمي (القصر الحسني) . ابتاع هذا القصر بعد ذلك الموفق بالله بن المتوكل ونزل فيه وصار بعده الى ابنه المعتضد ، فهدمه واعاد انشائه وزاد فيه واتخذه مقرا للخلافة ، وبنى عليه سورا وحصنه وأمر ان يبنى فيه مطامير وهي سجون في سراديب عميقة مظلمة . وعندما تولى الخلافة ابنه المكتفي بالله ٢٨٩هـ - ٩٠١م أمر بهدم المطامير وبنى مسجدا جامعا وهو اصل المسجد الذي عرف باسم (جامع القصر أو جامع الخليفة) الذي بنيت فيه في ايام المغول الايلخانيين المنارة الفخمة المعروفة بمنارة (سوق الغزل) .

قصر الاخيضر :

يعتبر قصر الاخيضر من احسن القصور العباسية التي بقيت محافظة على هيئتها العامة ولم يصبها الا الشيء الطفيف من الخراب ، وقد اختلف المؤرخون في تحديد زمن بنائه ، فحدد الاستاذ (كريسول) زمن تشييده تحديدا دقيقا وجعله بين سنة ٧٢٠ وسنة ٨٠٠م وعزا بناءه الى (عيسى بن موسى) العباسي امير الكوفة زمن المنصور . يقع القصر بالقرب من وادي الابيض ، وعلى بعد ٥٠ ميلا شمال غربي الكوفة ، والقصر حصن شامخ مستطيل التخطيط ابعاده ١٧٥ × ١٩٦ مترا ، تتوسط كل واجهة من واجهاته الاربع بوابة عظيمة ، وقد بني القصر ملاصقا للسور من الجهة الشمالية . وجعل مركز هذا البناء (البهو الكبير) المغطى بقبو عال ، والى يمين مدخل القصر من الجهة الغربية من البهو نجد مسجد القصر بينما في الجهة الشرقية من هذا البهو مجموعة من الغرف مغطاة باقبية عالية . ويلي البهو الكبير جنوبا دهليز يجري حول الفناء الاوسط أو ما يسمى ب (ساحة الشرف) وكذلك حول مجموعة غرف (قاعة العرش) ، وقاعة العرش هذه تقع على محور مدخل القصر تحيط بها عدة غرف وقاعات .

ويوجد حول الدهليز الكبير شرقا وغربا اربعة بيوت مستقلة ، كل اثنين منها متشابهة من حيث النظام والترتيب ، ويعتبر هذا القصر من اجمل القصور العباسية المحصنة لما فيه من تصميم بديع سواء في التخطيط أو في دراسة الواجهات والتفاصيل الهندسية الاخرى في البيوت او في القصر نفسه .

دار الخلافة في سامراء (الجوسق الخاقاني) :

يعد الجوسق الخاقاني من أهم القصور التي انشئت في عهد المعتصم ، وكان قد أعده لسكناه ، يمتد هذا القصر على ضفة دجلة الشرقية جنوب (دار العامة) مطلا على الحير . وكانت أرض القصر ومشتملاته تشغل كل المساحة بين شاطيء دجلة والحير . وقد سكن القصر بعد المعتصم اخلافه من الخلفاء باستثناء الواثق والمتوكل . فالواثق سكن في (القصر الهاروني) والمتوكل انتقل الى (القصر الجعفري) بالمتوكلية ، ولقرب هذا القصر من مدينة سامراء الحديثة هدم وزالت معاله واخذ الناس كل ما فيه من آجر .

اما (دار العامة) فهي من اهم العمارات التي شيدت في سامراء ولاتزال بعض اقسامها شاخصة حتى الآن . بناها المعتصم وكان يجلس فيها أيام الاثنين والخميس . ويقع القصر على هضبة عالية ، وتبلغ مساحته نصف مليون متر مربع تقريبا، ويمتد على طول ضفة دجلة اليسرى الى مسافة ٧٠٠ متر تقريبا، والمسافة بين واجهته ومنتهى بناياته الخلفية من جهة الشرق لا تقل عن ٨٠٠ متر . ويسمى مدخل القصر الذي يشرف على النهر (باب العامة) وهو اقل الاقسام تعرضا للتلف . اما المشتملات الاخرى فقد اقتلع الاهلون آجرها ولم يبق من الغرف والقاعات غير بقايا الاسس .

اهتمام العباسيين بالاماكن المقدسة وبناء الجوامع :

كان اهتمام المنصور كبيرا في تعمير المسجد الحرام ، فقد امر بشراء الدور المحيط بالمسجد وادخل ارضها في المسجد وبنى رواقا حول الرحبة ، واتخذ الاساطين من الرخام له ، وبذلك تضاعفت مساحة المسجد عما كانت عليه في عهد الامويين ، وقد انتهى هذا التوسع سنة ١٤٠هـ . وبنى المنصور مئذنة (بني سهم) ، وزين الجدران بزخارف الفسيفساء والذهب وقد سار ابنه المهدي على خطاه في الاهتمام بالمسجد الحرام حيث اشترى دورا اخرى ضمها الى ساحة المسجد واتخذ للمسجد اروقة جديدة سقفها بخشب الساج ، وبلغ عدد اساطين المسجد في زمنه ٤٨٤ اسطوانة منها ٣٢١ اسطوانة مذهبة الكراسي .

وقام المهدي ايضا بتوسيع المسجد النبوي الشريف واصبحت المساحة ٢٠٠×٣٠٠ ذراعا ، وادخلت اضافات اخرى على المسجد في زمن المامون ، ووزرت الجدران بالواح من الرخام وفوقها زخرفة من الفسيفساء بشكل اشجار ذات ثمار متنوعة ، واصبح للمسجد تسعة أبواب .

وعندما تهدم (مسجد الصخرة) الذي بناه عبدالملك بسبب الزلزال الذي حدث سنة ٧٨٠م قام المهدي باعادة بناء المسجد بصورة امتن مع المحافظة على ما بقي من القسم القديم ، وجعل الاعمدة من حجر . ثم رمم المسجد في عهد المامون ٨٣١م ولكن يظهر ان المامون عند قيامه باصلاح القبة حذف اسم الخليفة عبدالملك وحشر اسمه في موضعه ولم يغير تاريخ بناء القبة .

انشاء المدارس والمراقد والمارستانات والربط في العهد العباسي :

ان فكرة انشاء المدارس بصورة مستقل كانت تراود افكار العباسيين في زمن مبكر من تاريخ دولتهم ، ولهذا انشؤا (دور العلم) و (بيوت الحكمة) لترجمة علوم الاقدمين ، وقد حظت بغداد منذ اواسط القرن الخامس للهجرة بعدد كبير من المعاهد والمدارس الكبرى القائمة بذاتها والمستقلة عن الجوامع . لقد كانت هذه المدارس اماكن للدرس ، يعيش فيها الطلاب وتتولى الدولة الانفاق عليها . واشتهر من المدارس في بغداد (مدرسة أبي حنيفة) و (المدرسة النظامية) و (مدرسة زمرد خاتون) والدة الخليفة الناصر لدين الله ، و (مدرسة السيدة بنفشه) حظية الخليفة المستضيء ، و (المدرسة البهائية) و (المدرسة التاجية) و (الكمالية) و (مدرسة المخرمي) اي مدرسة الشيخ عبدالقادر الجيلي ، و (المدرسة المستنصرية) .

ان هذه المدارس تكاد تكون جميعها متشابهة من حيث التخطيط والتصميم الهندسي ، فبوجه عام كانت المدارس تحتوي على ساحة او رحبة تعرف بالصحن ، تحيط بها حجرات في الطابق الاسفل ، وغرف في الطابق الاعلى احيانا ، وكان لاغلبها اروقة امام الغرف ، وقد تكون هذه الاروقة ذات زخارف ومقرنصات جميلة الصنع دقيقة الزخرفة كما نشاهدها في البناء المعروف بـ (القصر العباسي) في بغداد .

اما الربط فهي من المنشاءات الخيرية الاجتماعية . انشاها الخلفاء والامراء لايواء العلماء الراحلين من قطر الى آخر طلبا للعلم ، ثم آلت الى دور يعيش فيها جماعة من الصوفيين المنصرفين للعبادة . ومن اقدم الربط الرباط الذي شيد مقابل جامع المنصور في مدينة السلام ، ثم بنيت عدة ربط في العصور العباسية المتاخرة لم يبق منها مايشير الى نظام تخطيطها وتكوينها المعماري .

اما المارستانات في بغداد فقد ذكر المؤرخون ان الرشيد انشا مارستانا في بغداد كما انشا البرامكة مارستانا آخر فيها . ومن المارستانات المعروفة (مارستان الامير بدر المعتضدي) احد مماليك الخليفة المعتضد ، و (مارستان الوزير علي بن عيسى الجراح) بمحلة الحربية بالجانب الغربي من بغداد ، و (مارستان السيدة شغب) والدة الخليفة المقتدر بالله على شاطيء دجلة الشرقي ، واتخذ المقتدر مارستانا بباب الشام بالجانب الغربي ايضا ، وانشا (الوزير ابو الحسن علي بن الفرات) مارستانا في درب المفضل ، وقد زالت معالم هذه المارستانات بعد زوال اصحابها . ثم انشا المستنصر بناية خاصة مقابل باب المدرسة المستنصرية الرئيس لمدرسة الطب ، وكانت صفة فاخرة تحت الايوان والذي تكامل بناؤه سنة ١٢٣٥م لتدريس الطب ومداواة المرضى على اختلاف مرضهم ، وفي المدرسة مخزن لانواع الاشربة والادوية والعقاقير ، وقد زالت هذه المدرسة واصبحت اسواقا . وكان فوق ايوان المدرسة ساعة عجيبة الصنع فيها بازان وطاستان من الذهب ولها اثنى عشر بابا تعلن اوقات النهار والليل .

الجوامع العباسية القديمة في بغداد :

من الجوامع القديمة في بغداد جامع (زمرد خاتون) زوجة الخليفة المستضيء ووالدة الناصر لدين الله المتوفاة سنة ٥٩٩هـ لم يبق من هذا الجامع غير منارته القائمة في الجانب الشرقي من بغداد على ساحل دجلة . وفي الجانب الغربي من بغداد انشا في زمن المستنصر (جامع قمرية) على شاطيء النهر واصبح مدرسة للحديث والقرآن ، وتعد المئذنة في هذا الجامع من أجمل المآذن من حيث التناسب والتناسق ، كما ان قبلة هذا الجامع اصح اتجاها من غيرها من القبلات في المساجد الاخرى .

وفي جانب الكرخ بنى الخليفة الناصر لدين الله مرقـــدا للشيخ معروف الكرخي سنة ٦١٢هـ ـ ١٢١٥م ، وفي منــارة المسجد الملاصق للمرقد زخارف ومقرنصات تعد آية من آيـات الزخرفة الاسلامية .

وفي الموصل امر المهدي عامله فيها ان يقوم بتوسيع الجامع الاموي وذلك بضم الاسواق التي تحيط به ومواضع المطبخ التي بناها مروان الى مساحة المسجد ، فاتسعت المساحة واصبحت ١٥٠×٢٥٠ مترا . وفي هذا الجامع محراب آية في الفن والابداع لما يحويه من كتابات كوفية مشجرة ونقوش وزخارف متناظـرة وتعرف منارة هذا المسجد اليوم بـ (منارة الكوازين) .

الدولة الطولونية في مصر :

عندما أصبح الاتراك أصحاب السطوة في الدولة العباسية ، يعينون من شاؤا ومن يعتمدون عليه ولاة على مختلف الاقطــار الاسلامية اختاروا (احمد بن طولون) لولاية مصر ، فذهب اليها ودخل الفسطاط في سنة ٨٦٨م ، وهنا اخذت تظهر اطماعه ، وكانت ثروة مصر وغناها تساعدان على تنفيذ ما يطمع اليه من تاسيس مملكة لها شخصيتها ومكانتها بين الممالك الاسلامية .

بدأ ابن طولون اولا في تخطيط حاضرة جديدة تمــاثل سامراء ، تلك العاصمة التي ترعرع فيها واعجب بجمالها وبرحابة ميادينها وعظمة قصورها ومســاجدها ، فكان له ما اراد ، وأسماها (القطائع) ، وشيد فيها قصرا وساحة او ميدانــا للفروسية ، موقعها كما يصفها المقريزي ينطبق على (ميــدان رميله) في القلعة . اما المسجد فقد سمي بـ (جامع ابن طولون) وهو مازال قائما في القاهرة وبقي خالدا الى يومنــا هــذا . باشر ابن طولون في بناء الجامع سنة ٢٦٥هـ ـ ٨٧٧ واتمه بعـد سنتين وصار درة فريدة بين الجوامع في مصر ، ويعتقد المؤرخون ان ابن طولون قد تأثر بطراز بناء الجوامع الكبيرة في ســامراء وزخارفها عند بناء جامعه هذا .

يشغل الجامع ارضا مساحتها ٢٦٣١٨ مترا مربعا ، وفي حرمه خمسة اروقة موازية لجدار القبلة تنقسم الى سبع عشرة بلاطة ، وحول صحن الجامع المربع الشكل بلاطتان في كل جهة من الجهات الثلاث . ولهذا الجامع مئذنة اقرب في مظهرهـــا من مئذنة الملوية في سامراء وان اختلفت عنها بالمظهر والبنيان . ترتفع هذه المئذنة باربع دورات فوق قاعدة حجرية مربعة ارتفاعها ٢١ر٣٥ مترا ، وارتفاع المئذنة الكامل ٤٤ر٠٤ مترا .

لقد تعددت العناصر الزخرفية في هذا الجامــع وتنوعت تنوعا كبيرا في مواضيعها واساليبها واشكالها ، واكثر الزخارف تنوعا تلك التي نراها على بواطن العقود ، ففيها مجموعات من اشكال التوريق التي تتكون من عناصرها لآلىء وزهيرات وأوراق العنب واشرطة واسنة مثلثة وخطوط لولبية واخرى معقوفـة متعاقبة ودوائر مقصوصة .

الخلاصـــــة :

مما تقدم نرى ان العرب خلال هذه الفترة قد ادخـلوا تطورا كبيرا في فن العمارة الاسلامية ، فساد فيها مدرســتان للفن المعماري ـ المدرسة السورية المتأثرة لحد ما بالاسـاليب المعمارية الهلنستية المسيحية (البيزنطية) ، وقد انتشر هذا الطراز في بلاد الشام اولا ثم انتقل الى شمال افريقية حتى وصل الى الاندلس .

والمدرسة الثانية المدرسة العراقية التي كان للاساليب المعمارية الساسانية المعمارية العراقية القديمة ، البابليــة والاشورية وغيرهما بعض التأثير فيها . ولكن مهما كانت هــذه التأثيرات بادية في الطراز العربي الاسلامي فان العرب خلال هذه الفترة القصيرة التي لا تتجاوز القرن ونصف القرن قدموا للعالم فنا متميزا عن غيره من الفنون ، وجعلوا هذا الفن يتمشى مع مقاصدهم الدينية والدنيوية .

ومع اعترافنا بان اهل الفن من العرب قد تعلموا الشيء الكثير ممن سبقهم في هذا المضمار الا انهم عندما مرنت ايديهم على الانتاج والعمل اخذوا يبدعون في البناء والزخرفة وغيرهما من الفنون فتجلت في اعمالهم روح جديدة وبرزت لها خصائص باهرة غير مسبوقة .

هذا وفي بحثنا القادم سنتناول دراسة الفترة الثانية من الفترات الكبرى للفن المعماري الاسلامي ونبين ما انتجه العرب خلالها انشاء الله .

فن السخرية

في شعر الكتاب في العراق
في القرن الثالث الهجري

بقلم
حسين العلاق

ان بحث اية ظاهرة فنية جديدة او مجددة في الشعر العباسي ، كالسخرية مثلا ، لا يمكن ان يتم بمعزل عن الكلام على التحولات الحضارية التي ألمت بالمجتمع العربي في هذه الحقبة ، لان الفن ، والشعر احدى صوره ، هو تعبير العصر ، ونتاج قيمه الفنية السائدة التي لم تكن غير انعكاس صادق لمعطيات الواقع المادي والفكري والنفسي للمجتمع ، وعلى أساس من هذه العلاقة تفقد تلك القيم صفة الثبوت وتصبح في حال من التغير الدائم ، المنظور حينا ، وغير المنظور احيانا اخرى وفقا لوتائر التحولات الحضارية المادية والمعنوية التي تلم بالمجتمع ، وعلى اساس من هذه العلاقة — ايضا — يمكن القول : بان ليس ثمة جديد محض في الشعر ، لان الشعر ، ظاهرة حية من ظواهر الابداع الانساني ، انما يتطور بتطور المجتمع الذي ينشأ فيه ، وبالقدر الذي تسمح به تقاليد العصر الادبية ، فما كان جنينا في رحم حقبة ادبية سابقة قد ينمو غرضا شعريا متفردا في حقبة ادبية لاحقة .

واننا اذ نقرر اطمئناننا الى امكانية اعتماد هذا المنظور الفكري العلمي الجدلي اداة لتفسير ظواهر الابداع الفني ، والشعري خاصة ، لم نشأ ان نجعله افتراضا نظريا محضا ، ولذلك كان هذا الموضوع . اما مدى ما قد بلغناه من توفيق في تفسير ظاهر نمو فن السخرية وتطوره في شعر هذه الفئة المتفردة من ادباء العصر العباسي في القرن الثالث ، فذلك هو ما ستكشف عنه الصفحات التالية .

* * *

ان فن السخرية حين يعني الاسلوب الذي « يراد به كل نتاج يعمد الى كتابة موضوع جدي بمنوال ساخر وذلك بالمبالغة او الغلو بالتصوير والعرض » (١) ويتميز عن الهجاء التقليدي بدوافعه ومراميه التي تسمو به فوق الحزازات الشخصية الى حال من النقد للاوضاع العامة ، وحال اخرى من الافصاحالاقصدا للتسلية والترفيه ، وطلبا للتنفيس عن الآلام المكبوتة (٢) ، فان السخرية في الشعر العربي تكون من الفنون التي انضجتها عوامل التطور والتجديد في العصر العباسي ، لا من الفنون الجديدة المحض التي عرفتها الكوفة منذ اواسط القرن الثاني كما يرى الاعرجي (٣) ، ولا من الاتجاهات الجديدة في القرن الثالث كما يقول النجدي (٤) .

واذ نقول هذا ، فلان السخرية كانت قد ولدت في احضان الهجاء في العصر الادبي السابق ، وعاشت في كنفه حقبا طويلة قبل ان تنمو وتتطور غرضا مستقلا في القرن الثالث الهجري .

لقد توسل الهجاء في العصر الادبي السابق باكثر من صيغة للوصول الى هدفه . فكما توسل بابراز المثالب ونفي المحاسن ، وبلغ في كثير من نماذجه حد الاقذاع والفحش الرخيص ، فانه توسل بالسخر والتهكم والهزء في نماذج اخرى ليحقق بها ومن خلالها ذلك النوع من التسامي الذي ميزه من نماذج الهجاء التقليدية .

ان الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢هـ) — مثلا — قد نبه الى وجود ظاهرة السخر والتهكم في الشعر الجاهلي ، في شرحه لاختيارات المفضل بن محمد الضبي (ت ١٦٨ هـ) ، وفي شرحه لقصيدة سلمة بن الخرشب الانماري (٥) خاصة . فهو عندما يتصدى للبيت الاول من هذه القصيدة :

اذا ما غدرتم عامدين لارضنا
بني عامر ، فاستظهروا بالمرائر

يقول : « وقيل : معناه تهكم وسخرية . اي : خذو معكم عدة تأسروننا فيها . ويجوز ان يكون المعنى : استظهروا بها ، لتتخذكم فيها اذا أسرناكم » (٦) .

---

(١) المصطلح في الادب الغربي : ٧٤ .

(٢) ينظر الشعر والشعراء في البصرة — النجدي ، رسالة ماجستير بالالة الكاتبة ، ١٠٨ .

(٣) ينظر الشعر في الكوفة — الاعرجي ، رسالة ماجستير بالالة الكاتبة ، ٩٧ .

(٤) ينظر الشعر والشعراء في البصرة : ١٠٨ .

(٥) سلمة بن الخرشب الانماري : شاعر مقل من بني أنمار ابن بغيض بن ريث بن غطفان ، عاصر عروة بن الورد ، وسلمة يذكر في قصيدته هذه يوم الارقم الذي كان اواخر القرن السادس الميلادي . ينظر شرح اختيار المفضل — التبريزي ، تحقيق فخرالدين قباوة ١٦٤/١ ، هامش ١ .

(٦) ينظر شرح اختيارات المفضل — التبريزي : ١٦٤/١—١٦٥ .

وفي شرحه للبيت السابع من القصيدة ذاتها :

فائن عليها بالذي هي اهله
ولا تكفرنها ، لا فلاح لكافر

يقول : « هذا الكلام تهكم وسخرية .. والمراد : اشكر نعمة فرسك عليك حين خلصتك ، ولا تجحد يدها وصنيعتها عندك ، فان جاحد النعمة لا فلاح له ، ولا يستحق مزيدا بعده .. » (٧)

وعندما ناتي الى الحقبة الاموية تتطور السخرية وتدخل نسيج الثقافي لتكون معلما من معالم التطور الفني الذي حققته هذه الثقافي (٨) ، ونجد شاعرا مثل الحطيئة (ت٥٥هـ) يتطور الهجاء عنده الى شعر ساخر « لا يخلو من نكتة لاذعة وانتقاد اجتماعي دقيق لبعض ملامح الحياة الاجتماعية » (٩) ، ويقارب بعض تصوراتنا للخصائص الفنية للسخرية في القرن الثالث .

ففي ابياته الاربعة التي هجا فيها بخيلا يقول : « لقد بذلت ما استطيع من جهد ومشقة في استمالة هذا البخيل فلم اوفق . انني امام صخرة صماء ، لا تعي معنى وجودي ولا تسمع كلماتي ورجائي ، فتشاغل عن حاجتي ورجائي ، وراح مطرقا حتى خيل الي بانه قد مات او كاد .. واوشكت ان انعاه عندما لمحته يسترجع شهقته العالية بعد الاحتضار ، فادركت انه حي ، فتركته بعد ان قلت له : اني لست عائدا بعد اليوم حيث هدات روحه وبدات نفسه ترجع اليه :

كدحت باظفاري واعملت معولي
فصادفت جلمودا من الصخر املسا
تشاغل لما جئت في وجه حاجتي
واطرق حتى قلت قد مات او عسى
واجمعت ان انعاه حين رأيته
يفوق فواق الموت حتى تنفسا
فقلت له لا باس لست بعائد
فافرخ تعلوه السمادير ملبسا

ان هذه الصورة الهجائية الساخرة تجعل من الحطيئة رائدا لهذا الفن في الادب العربي . وقد تطور هذا الفن في العصر العباسي على يد شاعر ساخر مبدع الا وهو ابن الرومي ، ابو الحسن علي بن العباس (٢٢١هـ ـ ٢٨٣هـ) (١٠) ، وعدد من الشعراء والشعراء الكتاب في القرن الثالث الهجري .

* * *

هذا ما كان من حال السخرية في شعر العصر السابق كما دلت عليها تلك النماذج الساخرة المتعمة بين ابيات الهجاء في قصيدة ذلك العصر ، وظلت كذلك خيطا زاهيا ضئيلا في نسيجه التقليدي القاسي الكدر . ولم يقدر لها ان تنمو وتتطور غرضا مستقلا قائما بنفسه الا في العصر الادبي اللاحق ، العصر العباسي .

---

(٧) المصدر نفسه .
(٨) ينظر التطور والتجديد في الشعر الاموي : ١٧٤ .
(٩) نزعة التمرد والسخرية في شعر الحطيئة ـ مستل من مجلة البلاغ عدد ٣/السنة ٤/ص١٤ بقلم الدكتور عناد غزوان .
(١٠) المصدر نفسه ، وينظر الشعر في ديوان الحطيئة (ط صادر) : ٢٦٢ ، والسمادير ما يتراءى للانسان عند السكر .

وان كان ثمة ما يبيح لدارسي ادب العصر السابق ان ينوهوا بالسخرية من خلال دراستهم فن الهجاء ، على انها بعض من مضامينه وادواته ، وانه لا ياتي الا عرضا ، ولا يملك ان يستطيل، بفعل ضغط القيم الفنية لقصيدة ذلك العصر ، فان الاصرار على هذا النهج في الدراسات اللاحقة التي تعرضت لشعر العصر العباسي ، موقف ليس له ما يسوغه باية حال .

ان التطورات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية التي نشطت في هذه الحقبة الحضارية و « قضت بنشوء فنون جديدة ... وتطوير اغراض كانت قبل صغيرة وضيقة الى فنون مهمة ذات نفوذ شعري كبير » (١١) ، بفعل ما رافق تلك التطورات من تغير في ذوق العصر وتجدد في قيمه الفنية ، هي نفسها التي قضت بتطور فن الهجاء ، والسير ببعض نماذجه الساخرة باتجاه مفارقته ، مضامين وصياغات ، ومن ثم استوائها فنا شعريا مستقلا ، هو فن السخرية ، حين بدا الهجاء بمراميه وصياغاته ومضامينه البدوية عاجزا عن تمثل قيم الحضارة الجديدة ، ومضامينها .

* * *

واذا كانت دراسة النجدي قد عنيت بشعر السخرية في القرن الثالث وفي حاضرة البصرة خاصة لتتدارك ما فات الدراسات السابقة التي كانت قد انبرت له من خلال الهجاء مرة (١٢) ومن خلال ادب الفكاهة مرة اخرى (١٣) ، وتوصلت الى انه من نتاج الحياة في العصر العباسي ، ورجحت « ان العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية هي العوامل الاساسية التي ادت الى ظهور هذا الاتجاه الادبي ، اضافة الى ما للمعتزلة من اثر في ظهوره » (١٤) ، ومن ثم ميل المجتمع الى الفكاهة وسيلة لمواجهة ضغوط الاوضاع القاسية التي كانت تكتنف حياتهم في هذا العصر (١٥) ، فان ثمة دراسة اخرى لاحقة ـ اعني دراسة الاعرجي عن شعر الكوفة ـ كانت قد اهتدت بهذا المنهج لتوثقه من جهة ، ولتستدرك عليه من جهة اخرى . فهو حين يرى ان « المعقول ان تكون كل هذه العوامل مجتمعة هي التي تبنت هذا الفن حتى ربي بين احضانها..» (١٦) يضيف ، بان « هذه الاسباب كلها تبقى عقيمة اذا لم تصادف روحا ميالة بطبعها الى الفكاهة واختلاق النادرة ، والا فان هذه العوامل التي خلقت من ابي علي البصير وابي العنبس وابي حكيمة .. شعراء ساخرين لم تخلق من ابن كناسة والحماني اللذين هما اولى بها لما يعانون شاعرين ساخرين كما لم تخلق سواهما » (١٧) .

وقد حاولت هاتان الدراستان ، بعد ذلك ، ان تعللا

---

(١١) محاضرات عن الشعر العباسي ـ بالالة الكاتبة ـ د . علي الزبيدي : ٢٧ .
(١٢) أعني بذلك دراسة الدكتور محمد مصطفى هدارة ، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، وينظر فصل الهجاء فيها : ص ٤٣٣ وما بعدها .
(١٣) أعني بذلك دراسة الدكتور احمد الحوفي « الفكاهة في الادب » ، ودراسة الدكتور شوقي ضيف « الفكاهة في مصر » .
(١٤) الشعر والشعراء في البصرة : ١١٠ .
(١٥) المصدر نفسه : ١١٠ .
(١٦) الشعر في الكوفة : ٩٨ .
(١٧) المصدر نفسه : ٩٩ .

الاسباب التي حالت دون حضور السخرية غرضا مستقلا في الدراسات المحدثة التي تصدت للشعر العباسي استقراء ودراسة وتقويما . لقد اكتفت رسالة النجدي بالاشارة الى ان ظاهرة السخرية في شعر ابن الرومي كانت قد الفتت نظر بعض الدارسين المحدثين لشعر القرن الثالث ، وانهم ظلو « ينتبهون الى هذه الظاهرة في ابسط صورها ومراميها كما تتمثل في بعض اشعار ابن الرومي التي لا تتعدى في معظمها الهجاء الساخر ، ولم ينتبهوا الى ما في شعر غيره من شعراء القرن الثالث من اتجاه ساخر ذي مرام عميقة سامية » (١٨) ، اما رسالة الاعرجي فقد عزت اغفال تلك الدراسات امر السخرية في الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث الى ان السخرية لم تكن من الاغراض الرسمية التي كانت موضع عناية تلك الدراسات (١٩) ، و « ان الادب العربي درس في العموميات دون الخصوصيات» (٢٠)» والى خلة نماذج السخرية في شعر الكوفة (٢١) .

واذا كانت هاتان الدراستان قد وفقتا في طرح بعض الاسباب المنهجية التي حالت دون عناية الدراسات السابقة عليهما بالسخرية فنا شعريا طوره مناخ الحياة الجديدة في هذا العصر ، فان ثمة قصورا منهجيا كان يقعد بتلك الدراسات عن تمثل المنطق « الجدلي » القائم بين الظاهرة الادبية واسبابها ، وان ثمة علاقة متينة ودائمة بين التحولات المادية التي يشهدها عصر ما ، ومجتمع ما ، وبين ما يجد فيهما من تحولات نوعية ، فكرية وفنية ، وان الادب ، شعرا كان او نثرا ، كائن حي يتطور بتطور البيئة التي ينشا فيها ، وبالقدر الذي تبيحه له التقاليد الفنية السائدة فيها .

* * *

وقبل ان نتحدث عن ضروب السخرية ومضامينها ووسائلها الفنية ، نرى ان نفصل الكلام على ما كنا اجملناه في الفقرات السابقة ، وان نربط بين السخرية ظاهرة شعرية وبين ظروفها الموضوعية التي كان من اسباب استوائها غرضا شعريا قائما بنفسه ، مضامين وصياغات ووسائل فنية تميزه من الهجاء ، لانه « اذا كان الهجاء اسلوبا بدويا في مجتمع اولي فالسخرية اولى ان تكون في مجتمع متحضر اذ هي تحتاج النظر العقلي في الساخر والمسخور به » (٢٢) ، وبعبارة اخرى ، هي هجاء العصر الحضاري المهذب السامي الى صعيد النقد الذاتي والاجتماعي والسياسي ، والملبي حاجة نفسية كان المجتمع العباسي بامس الحاجة اليها للتنفيس عما كان يعانيه من ضغوط الاوضاع الحياتية المعقدة .

لقد كان لاضطراب الحياة السياسية ، وفقدان العدالة الاجتماعية في هذا القرن اثر غلبة العنصر التركي على شؤون الخلافة والرعية ، اثره في حمل كثير من المفكرين والادباء على النقد السياسي الصريح الساخر ، كما ان اضطراب الحياة الاقتصادية تبعا لتردي المؤسسات الادارية والاقتصادية ، وما رافق ذلك من شيوع المصادرات المالية ، وظاهرة الارتشاء والارتفاق على حساب الرعية ، وانكفاء الموسرين على ذواتهم بغية الحفاظ على ما اكتنزوه من اموال ، وبروز ظاهرة البخل ، وتردي القيم الاجتماعية ، وانتكاس القيم التي تقاس بها اقدار الناس على اختلاف كفاءاتهم ونوازعهم وطبقاتهم ، وتعقد الحياة الاجتماعية قد ادى الى شيوع السخرية الاجتماعية نقدا لهذه الظواهر المدانة ، والى ظهور السخرية الفكاهية – ايضا – يواجهون بها ما في حياتهم من قسوة وحرمان .

واذا كانت هذه العوامل – اصلا – سببا في ظهور السخرية حسا نقديا في نفوس المفكرين والادباء في القرن الثالث ، فان ما وجد فيه من قيم فنية جديدة تمثلت باحتياز الشاعر حريته الذاتية والفنية ، والخروج على كثير من القيم الفنية لقصيدة العصر الادبي السابق ، أي الخروج على القيم الفنية لعمود الشعر ، كان وراء تحول هذا الحس النقدي الساخر الى شعر ساخر عند كثير من الكتاب والشعراء ، والشعراء الكتاب في هذا القرن .

* * *

لقد اصطلحت دراستا النجدي والاعرجي على تسمية ثلاثة انواع من فن السخرية الشعرية هي : السخرية السياسية والسخرية الاجتماعية وسخرية غرضها الفكاهة والتندر ، وهي مسميات محكومة – كما يبدو – بالموضوعات التي تناولتها . ولما كانت هذه التسميات قاصرة عن استيعاب جميع الموضوعات التي يمكن ان يستمد منها فن السخرية من ناحية ، ولان كثيرا ما كان هذا التقسيم سببا في قسر المتون الشعرية الساخرة ، وتوجيهها الى غير وجهتها حين يعز المتن على الباحث ، ارتأينا ان نصطلح على تسمية نوعين من فن السخرية هما : السخرية الانتقادية والسخرية الفكاهية ، ونضف الى ذلك « السخرية العقلية » وهي تسميات مستمدة مما يهدف اليه هذا الفن في شعر هذه الحقبة ، لا الموضوع ، ليستقيم لنا المنهج ، ولنجنب الدراسة المزلق الذي عانته هاتان الدراستان .

ان النجدي عندما حاول ان يلم بالعوامل التي دعت الى ظهور فن السخرية في شعر البصرة في القرن الثالث ، افترض – كما افترضنا – ان الحالة السياسية تستدعي بالضرورة شعر السخرية السياسية ، وان تعقد الحياة الاجتماعية يستدعي شعر السخرية الاجتماعية ، وهكذا ، وهو افتراض له ما يسوغه لو كان الباحث قد توفر على دراسة شعر اقليم العراق ، لا على دراسة شعر حاضرة من حواضره . وحينئذ ليس ما يغني المنهج المحكوم بهذا الافتراض ان افتقد شعر السخرية السياسية في شعر البصرة مثلا ، لانه سيجده في شعر بغداد او الكوفة او سامراء ، وحينئذ فقط يزول ما يستدعي قسر المتون الشعرية ، وتحميلها من المعاني ما لم تحمله . ولكن الذي حدث ان النجدي حين اخضع المنهج الى الافتراض النظري السابق ، ولم يجد من المتون الشعرية ما ينسجم مع ذلك الافتراض ، في موضوع السخرية السياسية خاصة ، اضطر الى ان يجور على الشعر ، وينجر الى منزلق خطير ، هو قسر المتون الشعرية على اداء ما يريده هو لا مايريده المتن حين جعل من رسالة « صناعة القواد » للجاحظ (٢٣) رسالة في السخرية السياسية، معتمدا راي الدكتور محمد مهدي البصير في هذه الرسالةالمتمثل في ان الجاحظ « اول من صنع المقامة في الادب العربي اذ لا جدال في ان رسالته التي يتحدث فيها عن صنائع القواد مقامة رائعة يديرها بطلان هما الجاحظ والمعتصم . وموضوعها سياسي خطير لانها تهدف الى نقد سياسة المعتصم في اختيار

(١٨) الشعر والشعراء في البصرة : ١٠٨ .

(١٩) ، (٢٠) ، (٢١) – الشعر في الكوفة ٩٧ .

(٢٢) نفسه : ٩٨ . وفي مختار الصحاح : ٣١١ « سخر منه .. وحكي ابو زيد سخر به وهو اردأ اللغتين ، وقال الاخفش سخر منه وبه .. كل يقال .

(٢٣) رسائل الجاحظ – تحقيق هارون : ١/٢٧٥ – ٢٩٣ .

قواده من بين الخياطين والخبازين والطباخين وامثالهم من ارباب الحرف والاعمال التي لا تتطلب ثقافة سامية ومدارك ممتازة » (٢٤) . ولعل افتقار شعر البصرة الى السخرية السياسية التي افترضها النجدي افتراضا نظريا هو الذي جعله يتشبث بما كان قد وهم فيه الدكتور البصير ذلك الوهم كله على حد تعبير الدكتور محسن غياض (٢٥) ، بدليل ان النجدي لم يوفق الى غير هذا المتن ، اذ « ليس في تلك الرسالة ما يمت بصلة الى القواد وصناعاتهم ولعل عنوان الرسالة هو الذي اوقع الاستاذ في ذلك الوهم وحمله عليه . وعنوان الرسالة وهو (صناعات القواد) لا ينطبق على ما بداخلها ولعله قد وضع على الرسالة خطأ وسهوا . ومن يقرأ الرسالة بامعان يحس ذلك ويؤمن به . فالجاحظ لم يتحدث فيها عن القواد ولا عن مؤهلاتهم وحروبهم والمشهورين منهم ، وانما اراد في رسالته تلك ان يوضح ظاهرة معروفة وهي اثر المهنة في حديث صاحبها وظهور الفاظها ومصطلحاتها في كلامه واراد ان يشرح هذه الظاهرة بامثلة نثرية وشعرية وضعها على السنة اناس اختار لهم مهنا مختلفة . وقد جعل الامثلة النثرية اجابات لهؤلاء عن سؤاله لهم كيف الحرب ؟ بعد رجوعهم مع جيش المعتصم من بلاد الروم . وكان الذين سالهم طباخ الجيش وسائس خيله وطبيبه وبعض المحاربين ممن كانوا مزارعين ومعلمين وخياطين وفراشين وكناسين .

ولم يقل الجاحظ ان هؤلاء كانوا قادة الجيش . وانما هم جنود يوجد مثلهم في كل جيش من جيوش الدنيا . ولهذا اختار الجاحظ شخصيات رسالته هذه من بين جيش عائد من الحرب ليستطيع ان يسالهم جميعا سؤالا واحدا وهو كيف كانت الحرب ؟ وليستطيع ان يضع على السنتهم جوابا واحدا في سطرين يغير في بعض كلماته لتعبر عن مهنة صاحبه ... ثم انه جعل كل واحد ممن سالهم يقول شعرا في الغزل . وجعل في شعر كل منهم ايضا ما يدل على مهنة صاحبه من الاصطلاحات والكلمات .

وكانت خلاصة ما يريده الرجل ان للمهنة اثرا في كلام صاحبها وحديثه . وقد بدأ الجاحظ رسالته تلك بشرح فضائل اللسان وما يدل عليه من علم صاحبه او جهله ثم طلب الى المعتصم ان يعلم اولاده من كل ادب ولا يقتصروا على علم واحد » (٢٦) .

وعلى هذا الاساس فرسالة « صناعات القواد » رسالة في السخرية من ظاهرة التخصص في المعرفة التي بدات تترسخ في هذا العصر ، ومن ثم فهي اقرب الى النقد الادبي الساخر منها الى السخرية السياسية ، وهذا الضرب هو ما لم تتسع له مسميات النجدي ، ولو قدر له ان يركن الى مصطلح « السخرية الانتقادية » وهو ما ارتأيناه ووضعناه موضع التطبيق في دراستنا ، لكان بامكانه استيعاب كل انواع السخرية التي تهدف الى النقد مهما كان موضوعها ، ولنأى برسالته عن مثل هذا المنزلق ، لان هذه التسمية بشموليتها تمنحه حرية اختيار النص الساخر الناقد ايا كان موضوعه من غير حاجة الى اكراه النفس والقلم على تناول المتون الشعرية بشيء من العسف والمجاز البعيد الى حد المحال كما رأينا .

والاعرجي — ايضا — لم ينج من مثل هذا المنزلق ، منزلق قسر المتن الشعري وتحميله من المعاني ما لا يحمله ، ولكن في حال تغاير ما كنا وقفنا عليه عند النجدي ، حين نقل متنا شعريا لابي علي البصير في وصف طير « القبج » من مجاله الوصفي المحض الى مجال السخرية الاجتماعية (٢٧) .

ولعل السهو في النقل من المصدر ، وتمكن ابي علي البصير من الوصف وبراعته فيه واستعانته بـ « التشخيص » اسلوبا بلاغيا لاحكام صنعة هذا الوصف ، وذلك باضفاء الافعال والصفات الانسانية على هذا الطير ، هو الذي اوقع الاعرجي في هذا الوهم .

* * *

وقبل ان نتوفر على دراسة السخرية في شعر الشعراء الكتاب بضروبها الثلاثة التي اصطلحنا على تسميتها بالسخرية الانتقادية ، والسخرية العقلية ، والسخرية الفكاهية ، نرى ان نعلل لظاهرة شيوع السخرية في شعر الشعراء الكتاب الذين ضج شعرهم بالشكوى ، مثل الجاحظ وابي العيناء والحمدوي وابي علي البصير وابن بسام والمفجع البصري وابن زريق الكوفي وابي حكيمة وآخرين ، اذ قد ينصرف الذهن في مثل هذه الحال الى ان ثمة تناقضا بين روح الشكوى التي كانت ترين على نفوس هؤلاء وبين نزوعهم الى السخرية .

ان ميل هؤلاء الشعراء الكتاب الشاكين الى السخرية لم يكن الا مجرد صدى لما حفلت به حياتهم من آلام ومحن ومصائب. وليس من شك في ان النفوس المعذبة كثيرا ما تلتمس في السخرية ملاذا للترويح عنها ، فلا تكون السخرية عندهم سوى منفذ للتنفيس عن آلامها ، واداة للتهرب من الواقع المؤلم الذي يرين على كواهلها ، ولهذا لم يكن الانسان « حيوانا ضاحكا » ومضحكا الا لانه اكثر الموجودات على الارض شقاء واعمقها الما (٢٨) . وعلى هذا الاساس فالسخرية عند الشعراء الكتاب المتألمين الشاكين « اداة دفاعية » لمواجهة ما في حياتهم من قسوة وحرمان وشقاء ، و « اداة تطهيرية » تبدد ما ترسب في اعماق نفوسهم من الهواجس الكئيبة ، وتعتقها مما يغلها من قيود الفقر والفشل (٢٩) .

١ — السخرية الانتقادية

السخرية الانتقادية ، مصطلح اصطلحنا به على تسمية ضروب من الشعر الساخر على اساس الغاية لا الموضوع ، لاسباب منهجية كنا قد عرضنا لها قبل قليل ، وليكون على حظ من الشمولية يستوعب معها كل انواع الشعر الساخر الذي يهدف الى السخر من الظواهر المدانة في الحياة ونقدها من خلال افراد بعينهم ، او جماعة بعينها ، او تقليد بعينه ، سواء اكانت هذه

---

(٢٤) في الادب العباسي — البصير : ٥٣—٥٤ .

(٢٥) الخلاف في نشأة المقامات — كراس ، ص ٦ ، بقلم الدكتور محسن غياض .

(٢٦) المصدر نفسه : ٩—١١ ، وفي جمع الجواهر ١٤١ وما بعدها عقد الحصري فصلا بعنوان : « كلام مستطرف لاهل الصناعات من طريق صناعتهم اشار فيه الى المعنى الذي قصده الجاحظ من رسالته هذه ، فقد ذكرها بأكملها كما استشهد له بنصوص اخرى غير هذه الرسالة ، ولاخرين في الموضوع نفسه .

(٢٧) ينظر الشعر في الكوفة : ١٠٥ .

(٢٨) ينظر ابو حيان التوحيدي — زكريا ابراهيم : ٢٤٧ .

(٢٩) نفس المصدر : ٢٥٠ .

الظواهر المنقودة ، المسخور منها ، اجتماعية ام سياسية ام ادبية ام سلوكية شخصانية .

ومهما بدت السخرية الانتقادية هادئة في بعض نماذجها ، فهي عملية تاديب مؤلمة مخزية ، لانها ما وجدت واتسمت بسمة النقد الا لتخزي وتؤلم في آن واحد ، ولهذا كان لابد من ان يشعر الشخص المسخور منه ، المنقود ، بالخزي والالم . والشاعر الساخر اذ يعمد الى هذا فانما يريد من خلال الشخص موضوع النقد والسخرية ، نقد ظاهرة مدانة بنظره على صعيد الحياة الاجتماعية او السياسية ... وان كان ثمة ما يشير الى ان الشخص نفسه كان منقودا بهذه السخرية، فان الشاعر الساخر كان يريد ان ينتقم منه وامثاله الذين يريدون التطاول على المجتمع ، وحينئذ تكون سخريته بهم — اشخاصا فرادى — هو كون عيوبهم غير اجتماعية ، لا لكونها غير اخلاقية . وسخرية كهذه لا يمكن ان تكون عادلة في تناولها ، وليست طيبة في كل الاحيان ، ولكنها مقبولة على كل حال لانها ما استخدمت الشر الا من اجل الخير (٣٠) .

* * *

ان استقراء الشعر الساخر الذي يمكن ان يندرج تحت هذا العنوان من دون عسف او قسر ، يمكننا من الوقوف على ثلاثة انماط من الشعر الساخر الناقد : نمط يتكفل بالسخر من ظواهر اجتماعية معينة ، واخر يعني بالسخر من ظواهر سياسية مختلفة ، وثالث يتوجه الى السخر من ظواهر ادبية . وكل هذه الانماط التي عالجها الشاعر الساخر الناقد انما عالجها من خلال التوجه الى السخرية من اشخاص بعينهم ومواضيع بعينها ، ليخلص منها الى نقد تلك الظواهر بهدوء مرة، وبلا طيبة ولا عدالة مرات ، لا لغرض شخصي ، وانما دعوة الى الخلاص وتطهير المجتمع من كل ما من شانه طمس نضارته ، وتشويه انسجامه ، وبلبلة طمانينته ، وخلخلة تماسكه .

فمن النمط الذي تكفل بالسخرية من الظواهر الاجتماعية تلك النماذج التي قالها الشعراء الكتاب في السخر من ظاهرة البخل والحرص التي شاعت في القرن الثالث . ومن الشعراء الكتاب الذين شهروا بهذا اللون ، الحمدوي وابن بسام العبرتائي البغدادي .

لقد استفرغ الحمدوي اغلب شعره الساخر في موضوعين اثنين ، طيلسان ابن حرب ، وشاة ابن سعيد . وليس الحمدوي في هذا الا سائرا على قافية من سبقوه في هذا اللون .

ففي موضوع « طيلسان ابن حرب » الذي ينصب على الطيلسان الخلق الذي اهداه اليه محمد بن حرب احد الموسرين في البصرة ، كان يحلو حذو احد شعراء عصره ، « فقد كان الحمدوني (كذا) يحفظ قول ابي حمران السلمي في طيلسانه ، وهو :

يا طيلسان ابي حمران قد برمت
بك الحياة فما تلتذ بالعمر
في كل يوم له رفا يجدده
هيهات ينفع تجديد مع الكبر
اذا ارتداه لعيد او لجمعته
تنكب الناس لا يبلى من النظر

فاحتذى حذوه ، وانثالت عليه المعاني ، حتى قال في وصف الطيلسان قرابة مائتي مقطوعة ، ولا تخلو واحدة منها من معنى بديع ، وصار الطيلسان عرضة لشعره ومثلا في البلى والخلوقة .. (٣١) . ولا شك ان ثمة وهما في عدد المقطوعات التي ذكرها الثعالبي ، ونرى ان الاقرب الى الصحة هو ما ذكره ابن المعتز : « وله فيه قريب من مائتي بيت في خمسين قطعة تفنن معانيها » (٣٢) ، يوثق هذا ما كان الحصري قد ذكره في كتابه « جمع الجواهر » (٣٣) .

« وكان المثل يضرب بشاة منيع ، ثم تحول المثل الى « شاة سعيد » لكثرة ما قاله الحمدوني فيها ، وتسييره الملح في وصف هزالها » (٣٤) . وهكذا فالحمدوي في شعره الساخر يكون قد متح من المحاولات الجديدة التي بدأت تنمو في هذه الحقبة لتستقل عنده فنا قائما بنفسه بعد ان اغناها بتفننه وصياغاته واساليبه الفنية التي بلغ فيها حدا من الابداع جعله نسيج وحده ، ومثالا يحتذيه من جاء بعده من الشعراء (٣٥) .

وقد نوه القدامى بطبيعة الوسائل الفنية التي هيات لاشعار الحمدوي الشيوع والسيرورة على لسان . فقد قال ابو العباس المبرد وهو يتحدث عن الحمدوي واشعاره في طيلسان ابن حرب : « فانشدنا فيه عشر مقطعات ضمن اواخرها ابيات المثل ملاحا فاستحلينا مذهبه فيها فجعلها خمسين شعرا فطارت كل مطير ، وسارت كل مسير » (٣٦) .

ومن طريف شعره فيه :

كساني ابن حرب طيلسانا كانه
فتى عاشق بال من الوجد كالشن
يغني لابراهيم حين لبسته
« ذهبت من الدنيا وما ذهبت مني » (٣٧)

ونقرا هذين البيتين ، وتضحك في اعماقنا ، وترتسم البسمة العريضة على وجوهنا ، ويعمر نفوسنا الاشفاق على ابن حرب من هذه السخرية ، كما قراها اناس القرن الثالث ، وارتسمت البسمات على وجوههم ، وعمر الاشفاق نفوسهم عليه من هذه السخرية من قبل ايضا . لا شك ان ثمة شيئا في هذين

(٣٠) ينظر الضحك — برجسون : ١١٤ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، علما باننا كيفنا ما ورد في هذه الصفحات حول الوظيفة الاجتماعية للضحك وفقا للوظيفة الاجتماعية للسخرية الانتقادية لان ثمة اكثر من اصرة حميمة بين السخرية الانتقادية والضحك ، بل ان الاضحاك والضحك اداة من ادواتها .

(٣١) ثمار القلوب : ٦٠١-٦٠٢ .
(٣٢) طبقات الشعراء — ابن المعتز : ٣٧٢ .
(٣٣) ينظر جمع الجواهر : ١٥٣ .
(٣٤) ثمار القلوب : ٣٧٥-٣٧٦ .
(٣٥) المصدر نفسه : ٦٠٣-٦٠٤ . وفيه : « والشك في ان ابن الرومي تعقبه ، فقال على لسانه ما لا يقصر عن ابداعه » .
(٣٦) جمع الجواهر : ١٥٢ .
(٣٧) ديوان الحمدوي ، جمع وتحقيق احمد النجدي نشر في مجلة المورد م ٢ ع ١٩٧٢/٣ ص ٨٧ قطعة ٦٩ ، والشن القربة الخلق .

البيتين هو ما يثير كل هذه الاحاسيس فينا بما فيها الضحك ، ولكن اين يكمن هذا الشيء المضحك ؟ ، الذي لا اشك فيه ان الحمدوي قد وفق الى ابرع اساليب الاضحاك التي كشف عنها التفسير الفني المعاصر ، اعني اسلوب « التشخيص » الذي استخدمه الحمدوي من خلال تضمين بيت ابراهيم بن المهدي ، واضفاء الاعمال الانسانية – كالغناء – على طيلسان ابن حرب ، لانه – كما يقول برجسون – : « لا مضحك الا فيما هو « انساني » فالمنظر قد يكون جميلا لطيفا رائعا ، وقد يكون تافها او قبيحا ، ولكنه لا يكون مضحكا ابدا ، واذا ضحكنا من حيوان فلاننا لقينا عنده وضع انسان او تعبيرا انسانيا » (٣٨) وعلى هذا ما ضحكنا من طيلسان ابن حرب من خلال تشبيهه بالقربة الخلق ، ولكننا ضحكنا منه لاننا لقينا فيه وضع انسان عندما شبهه بالعاشق الناحل ، ضحكنا منه لاننا وجدنا فيه تعبيرا انسانيا حين جعله يغني بيتا لابراهيم بن المهدي الذي ذهبت عنه الدنيا بذهاب الخلافة .

ويدرك الحمدوي هذا السر فيديره في اغلب مقطعاته ، ولا ينجح عنده كما ينجح في موضوع « شاة سعيد » ، حين يلح في استخدام اسلوب « التشخيص » من خلال تضمين الابيات من القصائد المغناة المشهورة ، ليقف بنا على الوضع الانساني البائس ، او التعبير الانساني البائس في مثل حال « شاة سعيد » الهزيلة الجائعة . فمما قاله الحمدوي في الاضحية التي اهداها له سعيد بن احمد بن سبنداد ، هذه المقطوعة الساخرة :

أبا سعيد لنا في شاتك العبر
جاءت وما ان لها بول ولا بعر
وكيف تبعر شاة عندكم مكثت
طعامها الابيضان الشمس والقمر
لو انها ابصرت في نومها علفا
غنت له ودموع العين تنحدر
« ياماتمي لذة الدنيا باجمعها
اني ليفتنني من وجهك النظر » (٣٩)

ان هذه القطعة تثير فينا من الضحك ما اثارته قطعته السابقة في طيلسان ابن حرب ، والذي يضحكنا فيها ، ويثير اشفاقنا على صاحبها من هول هذه السخرية البارعة ، ليس وصف هزال هذه الشاة وجوعها ، ولا الكناية البارعة التي عبر بها عن هذه الحال التي تعانيها هذه الشاة المهداة ، بقوله « طعامها الابيضان الشمس والقمر » ، ليس هذا ما يضحكنا ، ولكن الذي يضحكنا هو اضفاء الافعال الانسانية عليها ، البكاء والغناء، هذه الافعال التي وقفت بنا عند « شاة سعيد » على وضع انسان وتعبير انساني ، باستخدامه اسلوبي التشخيص والتضمين .

وكلما امعن الحمدوي في اضفاء المزيد من الافعال الانسانية والصفات الانسانية على « شاة سعيد » كلما تعمقت السخرية في نماذجه ، وزادت قدرتها على الاضحاك كما في قوله :

لسعيد شويهة	نالها الضر والعجف
فتغنت وابصرت	رجلا حاملا علف
« بابي من بكفه	برء دائي من الدنف »
فاتاها مطمعا	واتته لتمتلف

ثم ولى فابلت تغنى من الاسف
« ليته لم يكن وقف عذب القلب وانصرف » (٤٠)

ان ما زاد في قدرة هذه المقطوعة على السخرية والاضحاك ، هو هذا السرد القصصي ، اضافة الى استخدام الحمدوي اسلوبي التشخيص والتضمين في حالين ، لقد جعلها تتغنى في حالتي الامل والفشل ، كما يتغنى اي انسان يعيش املا قريبا ، ثم لا يلبث عندما يخيب امله ، ان يغني خيبته شعرا اسيفا .

ولعل هذا النجاح الذي تحقق في موضوع « شاة سعيد » يعود الى ان الحمدوي ادرك ما ندركه الان من ان اضفاء فعل الغناء ، وهو فعل انساني ، على الطيلسان او الشاة ، هو اكثر اثارة للسخرية وابعث على الضحك ، مما لو اضفاه الحمدوي على نفسه ، كما فعل ذلك مرات كثيرة في مقطوعاته عن الطيلسان، لان في مثل هذه الحال ليست ثمة مفارقة صارخة تبعث على الضحك ، فمن الطبيعي جدا ان يتغنى شاعر ببيت شعر لشاعر اخر ، ولانه في مثل حاله ليس ثمة حضور لوضع انساني او تعبير انساني في ما ليس انسانيا كما هو الشان مع الطيلسان او الشاة .

ولم يقتصر الحمدوي على استخدام اسلوب التشخيص من خلال تضمين بيت من الاشعار الشهيرة المغناة ، وانما تجاوزه الى استخدامه من خلال الاقتباس من القرآن ، فمن نوادر ماقاله مقتبسا من القرآن :

يا ابن حرب كسوتني طيلسانا
امرضته الاوجاع فهو سقيم
واذا ما رفوته قال سبحا
نك محيي العظام وهي رميم

... المقطوعة (٤١)

ولم يقتصر الحمدوي على الاستفادة من اساليب التشخيص والتضمين والاقتباس والسرد القصصي فحسب ، بل تجاوزها الى الاستفادة من اساليب فنية اخرى كالاقتباس من الحديث الشريف (٤٢) ، والاستمداد من القصص السائرة التي يتناقلها الرواة (٤٣) ، ومن العلوم الفلسفية والكلامية (٤٤) ، وكذلك من الغلو والافراط في استخدام المفارقات والتشبيهات والكنايات (٤٥) ، واننا اذ نكتفي بهذه الاشارات فلان النجدي كان قد توفر على كل هذه الانواع (٤٦) .

ومن كل ما توصل به الحمدوي من اساليب فنية في موضوعي « طيلسان ابن حرب » ، و « شاة سعيد » يتضح لنا ان الطيلسان غير مقصود لنفسه ، كما ان الشاة غير مقصودة لنفسها ، كما ان من اهداهما غير مقصود وحده اذ لو كان هذا هو قصده لاكتفى ببضع مقطوعات لكل منهما ، ولما نظم في موضوع الطيلسان

---

(٣٨) الضحك – برجسون : ٦–٧ .
(٣٩) ديوان الحمدوي : ص ٨٠ قطعة ٢٥ .
(٤٠) المصدر نفسه : ص ٨٢ قطعة ٤٠ .
(٤١) المصدر نفسه : ص ٨٥ قطعة ٥٨ .
(٤٢) المصدر نفسه : ص ٨١ قطعة ٣٢ .
(٤٣) المصدر نفسه : ص ٨٨ قطعة ٧٥ .
(٤٤) المصدر نفسه : ص ٨١ قطعة ٢٨ ،
(٤٥) المصدر نفسه : ص ٧٨ ، ٧٩ قطعة ٩ ، ١٣ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٢١ ، ومقطوعات كثيرة اخرى لا تخفى عن حس الباحث .
(٤٦) ينظر الشعر والشعراء في البصرة ، فصل السخرية : ١١٨–١٢٢ .

مثلا خمسين مقطوعة ، وفي موضوع الشاة اقل من هذا العدد(٤٧)» ، وهذا « مما يدل على انه كان يقصد الى معنى ابعد مما يشير اليه المعنى الظاهري لشعره ، الا وهو مهاجمة البخل الذي ادى الى اهداء مثل هذه الهدية البالية . ولعله عبر بهذا عما يحس به افراد مجتمعه وما يعانونه من عادة سادت مجتمعهم ، ومن ثم كان تقبل الكثيرين لاشعاره هذه » (٤٨) . وهكذا فشعر الحمدوي الساخر « يمثل نقدا اجتماعيا اتخذ من السخرية مادة له » (٤٩) . وقد حقق الحمدوي كثيرا مما قصد له ، فبعد ان طارت مقطعاته كل مطير وسارت كل مسير ، وغدت لعنة تؤرق ابن حرب وغيره من بخلاء الموسرين ، وتفزعهم ، قال :

طيلسان لابن حرب ... ذو اياد ليس تحصى
انا فيه اشعر النا ... س اذا ما الشعر نصا
واراني صرت أدنى ... بعدما كنت اقصى
واتقاني الناس وازدا ... دوا على شعري حرصا
ولكم قد حاز لي ار ... دية ترى وقمصا
كان دهرا طيلسانا ... ثم قد اصبح شصا (٥٠)

ان رحلة الحمدوي مع طيلسان ابن حرب على طولها لم تستطع ان تستنفد المخزون من طاقة السخرية عنده ، ان نغمة السخر ما زالت على عنفوانها في هذه القطوعة ، فطيلسان ابن حرب الذي كان مبعث شكواه وسخريته صار مبعث انتفاعه، يحوز له الاردية تلو الاردية ، والقمص تلو القمص ، وهو ان كان لدهر طويل طيلسانا خلقا ، فها قد اصبح شصا . وهنا تكمن المفارقة الكبيرة ، فاية علاقة هذه التي تجمع بين الطيلسان والشص ؟ انها العلاقة غير المنطقية التي تصدمنا ، وتمنح هذه الابيات القدرة على زرع البسمة على اغلظ الشفاه قسوة ، واكثر الوجوه عبوسا .

* * *

واراد بعض الشعراء الكتاب مجاراة الحمدوي في فنه هذا فما قاربوه الا بقدر ، وممن تصدى منهم للسخرية من بعض مظاهر الحرص على ما ملكت اليمين في المجتمع العباسي ، ابن بسام العبرتائي البغدادي ، هجاء العصر العباسي الجريء . ولكنه على جلالة قدره في فن الهجاء ، فانه لم يبلغ منزلة الحمدوي في فن السخرية ، كما وكيفا ، ولكن هذا لا يعني انه لم تكن لابن بسام نماذجه الشعرية الساخرة البارعة ، ووسائله الفنية الخاصة في التصوير « الكاريكاتوري » الذي لم نقف له على ملامح واضحة في سخرية الحمدوي . فمن جيد نوادر ابن بسام الساخرة قوله في ابيه :

بعثت لاستهديه عيرا ولم اكن
لاعلم ان العير صار لنا صهرا
فوجه لي كي نستوى (كذا) في ركوبه
فيركبه بطنا واركبه ظهرا (٥١)

ان ما يدفعنا على الضحك في هذا النموذج الساخر البارع هو هذه « المفارقة » الصارخة الكامنة في اسلوب « التشخيص » الذي تضمنه البيت الاول ، فقد اسهم هذا الاسلوب في خلق وضع انساني فيما هو حيواني ، حين ربط بين العير وبين عائلته برابط المصاهرة ، وكانه كان يدرك ، ان لا مضحك الا الانسان . ومما قوى نزعة السخرية في هذا النموذج هو استخدام ابن بسام اسلوب التصوير « الكاريكاتوري » ، في هذه الصورة المضحكة البارعة الباعثة على السخرية القاسية ، وكاني بابن بسام يدرك للمرة الثانية بحسه النقدي المرهف الحاد بان للشعر الساخر وظيفته الاجتماعية ، وانه لا يتمكن من اداء هذه الوظيفة اذا كان على قدر من الطيبة والعدالة ، لان مهمته تاديبية ، ولابد له من ان يؤلم ويخزى (٥٢) ، وهذا ما كان قد تحقق له في هذا النموذج الساخر . ولا يتضح ما في الصورة من سخرية قاسية مخزية الا حين ندرك خوف هذا الانسان وحرصه في آن واحد ، فهاتان الحالان اللتان كانتا وراء حضور هذا التشكل « الكاريكاتوري » الساخر الرائع الذي وفق فيه ابن بسام ، الى حد جد بعيد ، للسخر من ظاهرة الحرص في ابيه . فاينما كان مكان ابيه من هذا الحمار ، البطن ام الظهر ، على اساس قبول كلتا الروايتين ، فهو في حال لا يمكن ان يحسد عليها ، لانها حال لا تثير الا الضحك والسخر منه . وليس لنا ان ناخذ سخرية ابن بسام على انها سخرية من ابيه وحده ، لان سخريته شانها شان هجائه لا يصدر الا عن موقف نقدي عقيدي يشمل كل جوانب الحياة العباسية ، السياسية والاجتماعية والادبية ، كما دلت على ذلك هجائياته (٥٣) .

وهذا سهل بن هارون بعث الى جار لهم ليستعير منه بغلا فزعم له انه مبطون ، فلم يملك الا ان يسخر من حرص جاره ، فكتب اليه بعد ايام :

نبئت بغلك مبطونا فزعت له
فهل تماثل او ناتيه عوادا ؟ (٥٤)

ان محاولة سهل بن هارون في خلق وضع انساني فيما هو حيواني هو الذي يثير فينا الضحك من صاحب البغل ، والسخر منه ، وهو في هذا يترسم اسلوب التشخيص الذي عرفناه عند الحمدوي وابن بسام .

* * *

وبخل الموسرين المتمثل بقلة ما يقدمونه على موائدهم ، او بضنهم بالخبز على الاخرين كان ـ ايضا ـ من موضوعات السخرية عند الشعراء الكتاب .ومن الذين تعاطوا هذا الموضوع ، ابن بسام والحمدوي وعصابة الجرجرائي ، لقد سخر ابن بسام بخبز ابيه ومطبخه باكثر من مقطوعة واحدة . فمما قاله في احداها :

---

(٤٧) ان ما وصل الينا من مقطوعات الحمدوي في الطيلسان ٣١ مقطوعة ، وفي شاة سعيد ٨ مقطوعات ، ينظر الديوان .

(٤٨) ينظر الشعر والشعراء في البصرة : ١٢٥ـ١٢٦ .

(٤٩) المصدر نفسه : ١٣١ .

(٥٠) ديوان الحمدوي : ص ٨١ قطعة ٣٠ .

(٥١) مروج الذهب (ط دار الاندلس) ـ تحقيق يوسف اسعد داغر : ٢٠٨/٤ ، وشرح مقامات الحريري ـ الشريشي : ٢٢٦/٣ وفيه :
١ ـ بعثت لاستهديك عيرا ولم اكن ... علمت ...
٢ ـ فوجه بي كي نشترك (كذا) في ركوبه ... فنركبه...

(٥٢) ينظر الضحك ـ برجسون ١٦٠ .

(٥٣) ينظر الفصل الثالث من الباب الثاني من رسالتنا الموسومة بـ«الشعراء الكتاب في العراق في القرن الثالث الهجري» .

(٥٤) رسائل الجاحظ ـ « كتاب البغال » ـ هارون : ٢٠٣/٢ـ٢٠٤ .

دار ابي جعفر مفروشة
ما شئت من بسط واسماط
وبعد ما بينك من خبزه
كبعد بلخ من سميساط
مطبخه قفر وطباخه
افرغ من حجام ساباط (٥٥)

ان ما يثير ضحكنا في هذه السخرية ليس هو الجمع بين المتناقضات ، بين الثراء والشحة ، بين كثرة الاسماط وبعد الخبز عنا بعد ما بين بلخ وسميساط ، ولا بهذه التقريرية المباشرة في الشطر الاول من البيت الثالث وانما في تضمين هذا المثل المولد « حجام ساباط » ولا نصل الى مدى هذه السخرية الا بعد ان نقف على قصة هذا المثل . ان « حجام ساباط » : يضرب به المثل في الفراغ يقال : افرغ من حجام ساباط .. ومن خبره انه كان حجاما ملازما لساباط المدائن ، فاذا مر به جند ، وقد ضرب عليهم البعث حجمهم نسيئة بدانق واحد الى وقت قفولهم ، وكان مع ذلك يمر به الاسبوع والاسبوعان ولا يدنو منه احد ، فعندها يخرج امه فيحجمها ليرى الناس انه غير فارغ ، فما زال ذلك دابه حتى نزف دم امه ، فماتت فجاة ، وسار فراغ الحجام مثلا » (٥٦) ، وضمن ابن بسام هذا المثل سخريته هذه التسير مثلا ـ ايضا ـ في فراغ طباخ ابيه ، ومن ثم ليشهر بخله بفعل هذه السخرية .

وفي مقطوعة ثانية يقول في خبز ابيه ، ابي جعفر :

خبز ابي جعفر طباشير
فيه الافاويه والعقاقير
فيه دواء لكل معضلة
للبطن والصدر والبواسير
وقصعة مثل مدهن صفرا
تزعق من حوله النواطير
ونيل ما ترتجيه من يده
ما ليس تجري به المقادير (٥٧)

الواضح في هذه المقطوعة ان ابن بسام يريد ان يشهر بخل ابيه ، ولكنه يريد في الوقت نفسه ان يحتال على هذا الامر احتيالا لطيفا يخرجه من الهجاء الى السخرية ، ليكون تاثيره في نفوسنا اكثر وادعى للضحك . ولهذا اخر ابن بسام حكمه على ابيه بالبخل الى البيت الاخير من المقطوعة ، وبدأها بـ «مفارقة» مثيرة للضحك والسخرية ، شئنا ام ابينا ، لقد افقد خبز ابيه صفته الحقيقية ، وحوله وقصعة الطعام معه الى واجهة في صيدلية عطار من عطاري العصر العباسي ، فالخبز له لون الطباشير ، لانه دواء مركب يصلح لاكثر من مرض واحد ، للبطن والصدر والبواسير ، والقصعة صغيرة صغر المدهن الذي يداف فيه الدواء ويسحق ، وهي بعد هذا محاطة بعيون النواطير ، فنحن لسنا امام خبز وقصعة ، وانما امام مواد صيدلانية ومدهن لدواء محذور ، لا يصلح ان يستعمل الا بقدر ما يستعمل الدواء وباشارة صيدلي ، وهل الصيدلي الا ابو جعفر ؟ وهل الدواء الا خبزه ؟ وهكذا نصل مع ابن بسام الى خاتمة هذا التصور ، ونحن ماخوذون بهذه السخرية ، ليلقي في سمعنا حكمه على ابيه بالبخل وشحة اليد ، انها شحة الصيدلي في الدواء :

ونيل ما ترتجيه من يده
ما ليس تجرى به المقادير

وعندما نأتي الى الحمدوي وخبز الموسرين البخلاء ، نقف على اساليب فنية اخرى في السخرية هي غير ما كنا وقفنا عليه عند ابن بسام . ولعل ابرع هذه الاساليب واكثرها اثارة للضحك هو الاسلوب « الدرامي » بما يقتضيه من راو ، وممثلين ، وحوار ، وحركة ، ومسرح ، و « ديكور » زمني ومكاني ، وحضور . وهذا ما يمكن تمثله من خلال هذا النص :

رايت ابا زرارة قال يوما
لحاجبه وفي يده الحسام :
لئن وضع الخوان ولاح شخص
لاختطفن راسك والسلام
فقال : سوى ابيك فذاك شيخ
بغيض ليس يردعه الكلام
فقام ، وقال من حنق ، اليه
ببيت لم يرد فيه القيام :
أبي وابنا أبي والكلب عندي
بمنزلة اذا حضر الطعام
وقال له : ابن لي يا ابن كلب
على خبزي أصادر ام اضام
اذا حضر الطعام فلا حقوق
علي لوالدي ولا ذمام
فما في الارض اقبح من خوان
عليه الخبز يحضره الزحام (٥٧)

فالمقطوعة ـ كما اراد لها الحمدوي ـ تبدو وكانها « ملهاة » حوارية ساخرة مضحكة ، مفعمة بالحركة والصور ، راويها الحمدوي نفسه ، وبطلاها ابو زرارة الموسر البخيل ، وحاجبه الذي يبدو على شيء من الشيطانية ، ومسرحها بيت ابي زرارة نفسه ، وزمنها الساعة التي تسبق ساعة الغداء ، وهي ساعة الترقب والتوقع المضنية التي يخشى الشحيح فيها طرقة على الباب من زائر ، أي زائر ، والحضور هم اناس القرن الثالث ، ومن قراها من ابناء القرون التالية حتى القرن العشرين ، فملهاة كهذه تملك حضورها في الاذهان على امتداد الزمان ، وقدرتها على انتزاع البسمة الساخرة من شفاه ابناء القرن الثالث وابناء القرون التالية ، لان البخل صفة مدانة على امتداد العصور وتعدد الامكنة .

ان الحمدوي ينقل مشاهدي ملهاته الى مسرحها بلا مقدمات ولا ستارة ، لانه لا يريد ان يكلفهم الانتظار ، انه يقف بهم امام المشهد الاول من هذه الملهاة ، حيث يفاجأ المشاهدون بابي زرارة الموسر الذي تتناقض علائم ثرائه مع شحته وبخله ، في وضع لا يمكن الا ان يسخروا منه ، ويضحكوا .

لقد نجح الحمدوي في ان يمنح ملهاته ما تنتزع به ضحك الحضور من ابي زرارة انتزاعا . ان الهيأة المضحكة التي اظهر بها ابا زرارة ، والشيطانية التي اضفاها على الحاجب واستخدمها من اجل ان يجر ابا زرارة الى مضايق الحوار الذي يكشف ابعاد بخله ، المصحوب بالتصرفات الحنقة ، ومن ثم اعادته الى نوع من العقلانية ، وهي عقلانية مضحكة ايضا

---

(٥٥) ثمار القلوب ٢٣٥ .
(٥٦) نفسه .
(٥٧) مروج الذهب : ٢٠٩/٤ .

(٥٧) ديوان الحمدوني : ص ٨٥ قطعة ٥٧ .

حين ينطقه بهذه الحكمة التي لا رواج لها الا في بيئات البخلاء من الموسرين :

فما في الارض اقبح من خوان
عليه الخبز يحضره الزحام

وللحمدوي غير هذه القطوعة مقطوعتان اخريان ، في السخر من خبز البخلاء ، توسل في الاولى بالمغالاة في نعته ، فهو من حموضته يضرس الاسنان ، ومن خشونته يتشبث باللهاة ، وهو بعد هذا كالدراهم في حجمه ، ومن الخفة بحيث يتطاير من انفاس الحاضرين ، وتزداد سخريته من هذا البخيل ومن خبزه حين يصور لنا الحضور وهم يدارون التنفس خشية طيرانه من بين ايديهم (٥٨) .

اما الثانية فهي في خبز ابي نوح ، وعول فيها على اسلوب السرد القصصي والاقتباس من القرآن (٥٩) .

* * *

والشعراء الكتاب ان عنوا بالسخر من ظاهرة البخل والحرص ، وقالوا فيها شعرا ملك القدرة على السيرورة على شفاه الناس جيلا بعد جيل ، فان جوانب اخرى من الحياة الاجتماعية كانت قد امدت ملكتهم الشعرية الساخرة بموضوعات اخرى .

ان ابراهيم الصولي الذي عانى جفاء الاخوان بفعل انتكاس احواله ، وكان في ذلك اشكى اقرانه لهذه الظاهرة ، فاننا لا نعدم له الاشعار التي جمع فيها بين الشكوى والسخرية و « قد احسن التصرف فيها فما قاربه في معانيها احد » (٦٠) . ومن هذه الاشعار قوله :

ولما رايتك لا فاسقا
تهاب ولا انت بالزاهد
وليس عدوك بالمتقي
وليس صديقك بالحامد
اتيت بك السوق سوق الرقيق
فناديت هل فيك من زائد
على رجل غادر بالصديق
كفور لنعمائه جاحد
فما جاءني رجل واحد
يزيد على درهم واحد
سوى رجل حار منه الشقا
وحلت به دعوة الوالد
فبعتك منه بلا شاهد
مخافة ادرك بالشاهد
وابت الى منزلي سالما
وحل البلاء على الناقد (٦١)

لقد حاول ابراهيم الصولي ان يسخر في هذه المقطوعة بعد ان لم تجده الشكوى . واذا نحن فتشنا عن مواطن السخر فيها لوجدناها تكمن في الصورة الخلقية الشوهاء التي مسخ فيها هذا الصديق الكفور بالنعماء الجاحد لها . فهل ادعى للسخر من رجل بلا لون ، من رجل لا هو بالفاسق الذي يهاب ولا هو بالزاهد الذي يجل ؟ وهل ابعث على الضحك من رجل لا يتقيه العدو ولا يحمده الصديق ؟ وهل هذه الا صفات واحد من الرقيق بمقياس ذلك العصر الذي اهار العصبية القبلية واضعف من تاثيرها ، ومنح كل فرد حريته الذاتية على مختلف صعد الحياة الا الرقيق ؟ هذا ما اراد ابراهيم ان يقوله لنا ، وقد قاله . ولكن من اجل ان يصل بعملية المسخ الى مداها يعمد الى معاملته وكانه قد غدا حقا احد من ملكته يمينه من الرقيق ، فيذهب به الى سوق النخاسة ليبيعه ، وذلك جانب من عملية طويلة بداها ابراهيم اولا بان زهدنا فيه انسانا بلا لون، وها هو يحاول من جديد ان يزهدنا فيه رقيقا بلا قيمة ، فيقول لنا بانه لم ياته رجل واحد يزيد في قيمته على درهم واحد غير رجل كانت قد حلت به دعوة والده ، وشقاوة حظه . ويواصل ابراهيم سخريته منه استجابة لعاطفة جريحة اثقلتها خيانة الاصدقاء وجفاؤهم وتلونهم حين اعلن بانه باعه بلا شاهد لئلا يدرك به ، وعاد الى منزله سالما ليحل البلاء على من نقد ثمن هذا الصديق - الرقيق .

* * *

وكما وجدنا من الشعراء الكتاب من يتجه بشعره الى الفئات الدنيا من المجتمع في هذا القرن يمدحهم ويهجوهم ، وجدنا كذلك من يتوجه اليهم بسخريته .

فابن زريق الكوفي ، وقد تهيا له ان يحضر مجلسا للقصف واللذة والشرب والغناء ، ويلتقي فيه بـ « قينة تسمى دبسية حسنة المخبر قبيحة المنظر » (٦٢) قال يسخر منها :

أبا سعيد اصغ لي	يا سيدي ونديمي
منيت امس بأمر	من الامور عظيم
حصلت عند صديق	حر ظريف كريم
اسقى على شدو دبسيـ	ـة فتنفي همومي
فكنت حين تغني	لدى جنان النعيم
وان نظرت اليها	ففي العذاب الاليم
وان شربت بصوت	فالراح بالتسنيم
وان شربت بلحظ	فالمهل بالزقوم
فكان سمعي بخير	ومقلتي في الجحيم (٦٣)

ومن الدواعي التي دفعت ابن زريق الكوفي الى السخرية بهذه المغنية هو ان « الشاعر الذي يحضر مجلسا تحييه هذه القينة او تلك لا يريد ان يتمتع بعذوبة غنائها وحده دون ان يجمع الى لذة السماع الفتان النظر » (٦٤) واذ تكون القينة « حسنة المخبر قبيحة المنظر » ، فتلك هي المفارقة الحادة التي تدعو الى السخرية حين يحاول الشاعر ان يبعد في تصويرها . وابن زريق الكوفي « في سبيل تجسيدها استعمل كلمات ذات ايحاء خاص اشاعها القرآن الكريم وظلت مغيبات لا تنتهي عند حد مثل « العذاب الاليم » و « جنات النعيم » و « الزقوم » و « الجحيم » كما انه لجا الى السرد القصصي الذي يهتم بحاله

---

(٥٨) المصدر نفسه : ص ٧٨ قطعة ١١ .
(٥٩) المصدر نفسه : ص ٨٨ قطعة ٧٦ .
(٦٠) ديوان المعاني ١/١٨٣ .
(٦١) المصدر نفسه .

(٦٢) يتيمة الدهر : ٢/٣٧٧ .
(٦٣) المصدر نفسه : ٢/٣٧٧-٣٧٨ . والتسنيم : من قوله تعالى : « ومزاجه من تسنيم » ، قالوا هو ماء في الجنة . مختار الصحاح ٣٢٨ .
(٦٤) الشعر في الكوفة : ١٠٣ .

هو واللي نستشف من ورائه ما اتصفت به هذه القينة من قبح المنظر وجمال الصوت » (٦٥) .

* * *

ولم تقتصر السخرية عند الشعراء الكتاب على نقد بعض المظاهر الاجتماعية الدانة في المجتمع العباسي في هذا القرن ، بل جاوزته الى السخر من بعض المظاهر السلبية في الحياة السياسية وبدأ هذا الضرب من السخرية الانتقادية ينمو مع بداية الاضطراب السياسي والاقتصادي الذي شهدته الخلافة العباسية اثر مقتل المتوكل ٢٤٧هـ ، وسيطرة العنصر التركي على الخلافة ، وتطور وازداد حدة بعد ان ذهبت هيبة الخلفاء ، وغدوا العوبة بايدي هؤلاء الموالي يحركونهم كيفما وانى ووفقا لرغائبهم دون اعارة اية اهمية لمشاعر الرعية ومصالحها .

فـ « لما غلب وصيف وبغا على امر المستعين كله حتى كان لا يصدر الا عن رأيهما قال في ذلك جنيد الكاتب :

خـلافـة جائـرة	فاسـدة ما تبتغـي
صاحبهـا محتجـب	يفرق من حـر الوغـى
مقتسـم معتبـد	بـين وصيـف وبغـا
يقـول ما قـالا لـه	كمـا تقـول البـغا » (٦٦)

وقد بلغ الشاعر غاية السخرية عندما وفق الى خلق تلك المفارقة الصارخة بين ما يجب ان يكون عليه المستعين الخليفة وما آل اليه من حال هي حال الببغاء . ولم يتهيأ له هـذا لو لم يضمن معنى المثل المولد « كلام الببغاء » الذي « يضرب مثلا لمن يقول ما يقول بغير علم ولا معرفة ، وانما يؤدي شيئا سمعه يحكي ما يلقنه » (٦٧) ، وهو تضمين ذكي وبارع ، كثف المسألة واعطاها بعدها الساخر من دون حاجة الى الاطالة ، مما كتب لها السيرورة على الافواه سريان النار في الهشيم .

ولعل ابن بسام العبرتائي البغدادي هو اكثر الشعراء الكتاب تعاطيا لهذا الضرب من الشعر الساخر ، فقد كان ـ كما نعته ياقوت ـ شاعرا ماضيا لا يسلم من لسانه احد وقد استغرق شعره في هجاء ابيه والخلفاء والوزراء (٦٨) . وهو في هذا يصدر عن موقف مذهبي سياسي معارض ، ومعارضته تأتي من كونه شيعي المعتقد اولا ، ولانه على جلال قدره في الكتابة والادب والشعر لم يكن ينال ما يناله اقرانه ثانيا ، ولهذا اشعلها نار حرب لم تنطفىء ضد الخلفاء والوزراء والكتاب حتى توفي عام ٣٠٢ هـ . وقد اوضحنا جانبا من هذا في دراستنا هجائياته السياسية حين تعرضنا لهجاء الشعراء الكتاب (٦٩) .

واذ يحاول ابن بسام تنويع وسائله الفنية في نقداته السياسية الساخرة ، كان يستخدم التضمين والاقتباس والمغالاة في اضفاء النعوت ، فانه لم يوفق فيها كما وفق في تعاطيه اسلوب التصوير « الكاريكاتوري » . هذا الاسلوب الذي عرضنا له نموذجا في السخرية من حرص ابيه في الصفحات السابقة . ومن امثلته ما قاله في العباس بن الحسن لما وزر للمكتفي سنة ٢٩١هـ :

وزارة العبـاس من نحسهـا
مستقلع الدولـة من اسـها
شبهتـه لمـا بدا مقبـلا
في خلـع يخجـل من لبسـها
جاريـة رعنـاء قـد قـدرت
ثيـاب مولاهـا على نفسـها (٧٠)

ان الصورة الساخرة التي حاول ابن بسام ان يظهر بها الوزير وان جاءت باسلوب بلاغي ، هو اسلوب التشبيه التمثيلي ، وهو تشبيه صورة بصورة ، فان صورة الجارية الرعناء التي ابدع باخراجها هي التي منحت هذه القطعة بعدا « كاريكاتوريا » ساخرا . واذ نقول هذا فلاننا نطوي على فهم لاسلوب التصوير « الكاريكوتوري » سنكشف عنه عندما نعرض لنماذج من السخرية الشعرية الفكاهية من شعر ابن الزيات التي تعد اكمل النماذج له .

وفي المقطوعة التالية التي سخر فيها ابن بسام من الوزير نفسه ، اتبع الاسلوب نفسه ، ولكنه كان هذه المرة اقرب فيه من مفهوم التصوير « الكاريكاتوري » الذي نعنيه ، حين حاول ان يضخم بعض عيوب الوزير الجسمانية في قوله :

فوزيـر شنـنج الوجـ
ـه بطـين كالفـراره
وقفـا فيـه سنامـا
ن وراس كالخيـاره
. . . المقطوعة (٧١) .

وهو ان هجا المعتضد هجاء سياسيا مرتين (٧٢) ، واستطرد به في مقطوعة ثالثة (٧٣) ، فقد سخر من بخله في مقطوعة رابعة اذ قال :

انصـرف النـاس من ختـان
يدعـون من جوعهـم حزامـنا
فقلـت لا تعجبـوا لهـذا
فهكـذا تختن اليتـامى (٧٤)

وظل ابن بسام يواصل سخريته من خلفاء بني العبـاس .

---

(٦٥) المصدر نفسه : ١٠٤ .

(٦٦) ، (٦٧) ثمار القلوب : ٤٨٨ . وفي جمع الجواهر : ١٥٨ « وكان المعتضد مضعوفا ، وكان امره قبل تمكن الموفق في يد وصيف حتى قال باذنجانة الكاتب :

يادولـة بائـرة	كاسفة ما تبتغي
خليفة مستضعف	بين وصيف وبغا
يقول ما قالا لـه	كما تقول البغا

وعندنا ان الرواية الاولى اقرب الى الوقائع التاريخية ، ينظر محاضرات الخضري ـ الدولـة العباسيـة : ٢٧٣-٢٧٤ .

(٦٨) معجم الادباء (ط مرجليوث) : ٣١٨/٥ .

(٦٩) ينظر الفصل الثاني من الباب الثاني من رسالتنا .

(٧٠) زهر الاداب : ٢/٦٧٠-٦٧١ . وفي جمع الجواهر : ٢٢٣ مع اختلاف في الرواية :
١ ـ ... ... تستقلع ... ...
٢ ـ خازنة الكسوة ... ...

(٧١) مروج الذهب : ٢٠٨/٤ .

(٧٢) المصدر نفسه ، ومعجم الادباء : ٣٢٠/٥ .

(٧٣) ينظر جمع الجواهر : ٢٢٣ .

(٧٤) مروج الذهب : ٢٠٨/٤ ، وفي جمع الجواهر : ٢٢٢-٢٢٣ مع اختلاف في رواية البيت الاول ... يرعون من جوعهم خزامى .

ووزرائهم (٧٥) كما واصل من قبل هجاءهم ، وهو في هجائياته تلك ونقداته الساخرة هذه ينطلق من موقف عقائدي معارض واضح تدل عليه هذه المطاولة والاستمرارية التي لم تعرف المهادنة او النكوص يوما .

وتردي الحالة الادارية في هذا القرن كان من موضوعات سخرية الشعراء الكتاب ، ومثال ذلك ان المتوكل عندما عزم على بناء « الجعفري » تقدم الى احمد بن اسرائيل باختيار رجل يتقلد الاسواق والمستغلات فيه قبل ان يبنى ، واخراج فضول ما بناه الناس من المنازل ، فسمى له ابا الخطاب الحسن بن محمد الكاتب ، فكتب هذا الى ابي عون لما دعي الى هذا العمل ، يسخر :

انى خرجت اليك من اعجوبة
عما سمعت به ولما تسمع
سميت للاسواق قبل بنائها
ووليت فضل قطائع لم تقطع (٧٦)

وعندما بدأت القيم تنتكس بالنابهين من الكتاب ، وتشهر الخاملين منهم ، لم يجد عيسى الفاسي الكاتب ، وقد نمي اليه ان صاعدا قرأ كتابا على الموفق فلم يفهم بعض ما فيه ، وفهمه الموفق ، الا ان يسخر من ذلك قائلا :

ارى الدهر يمنع من جانبه
ويهدي الحقوق الى عاتبه
ومن عجب الدهر ان الامي
ـر اصبح اكتب من كاتبه (٧٧)

والسخرية تكمن في هذه المفارقة : « ان الامير اصبح اكتب من كاتبه » وكان العكس هو الصحيح دائما .

وسخر ابو علي البصير من « ابن سعدان » عامل الكوفة فقال :

يا ابن سعد ان اجلع الرزق في ام
رك واستحسن القبيح بمره
نلت ما لم تكن تمنى اذا ما
اسرفت غاية الاماني عشره
ليس فيما اظن الا كيلا
ينكر المنكرون لله قدره (٧٨)

« وموطن الهزء في البيت الاخير ، وهو ـ بتعبير ادق ـ في هذا الظن الذي لا ترقى الى قوته عبارة اخرى تستبدل منه . اذ ان لله ـ فيما يظن ابو علي ـ ان يثبت قدرته بوسائل شتى ، ومنها المعجزات التي لا تتحقق الا بالقدرة الخارقة ، والا فكيف يفسر الشاعر تولي ابن سعدان زمام الامور ؟ وهذا الاسلوب الذي يصطنع الشاعر فيه الجد هو الذي اعطى الابيات ما اناط بها من سخرية » (٧٩) .

وقريب من هذا ما قاله الحمدوي في سعيد بن حميد حينما صير اليه ديوان الرسائل في عهد المستعين :

لبس السيف سعيد بعد ما
كان ذا طمرين لا توبة له
ان لله لآيات وذا
آية لله فينا نزله (٨٠)

ويطول الحديث بنا ان نحن واصلنا الاستشهاد بالنصوص الشعرية الساخرة ذات النزوع النقدي السياسي عند الشعراء الكتاب ، وحسبنا ما قدمناه من نصوص كشفنا من خلالها عن المضامين السياسية في شعرهم الساخر ، والوسائل الفنية التي توسلوا بها لبلوغ الهدف الذي كانوا ينشدونه .

* * *

وقد عني الشعراء الكتاب بالسخرية الانتقادية ذات النزوع الادبي ، كما عنوا بالسخرية الانتقادية ذات المضمون الاجتماعي والسياسي من قبل . ولعل ذلك يعود الى ان عددا من الشعراء الكتاب كانوا من نقاد القرن الثالث كما مر بنا في التمهيد .

وهذه النقدات الادبية الساخرة وان كان بالامكان حملها على محمل المداعبة والتظرف والتنادر ، الا انها بما تحمله من تصورات نقدية لمفهوم الشعر ، وتقويم لمكانة ادباء العصر ، يمكن ان تدرج من غير تعسف تحت عنوان هذا اللون من السخرية ، اعني « السخرية الانتقادية » .

فاذا كان من المعروف « ان البرودة في الشعر تعني فتور العاطفة فيه » (٨١) ، وان الشعراء الكتاب في سخريتهم الانتقادية الادبية من شعر بعضهم او من شعر شعراء القرن الثالث ، كانوا يعتمدون « توهم الحقيقة في المجاز الشائع » (٨٢) الذي اشرنا اليه .

ومن هذا المنطلق وجدنا احمد بن ابي طاهر يقول في الفتح بن خاقان ، وقد اعتل من حرارة :

ما دواء الامير فتح بن خاقا
ن سوى شعر هذا الزمان
ودواء الامير ان ينشدوه
بعض ما قاله ابو هفان (٨٣)

ومن المنطلق نفسه يسخر ابن زريق الكوفي من شعر ابي بكر الصولي حين قال :

داري بلا خيش ولكنني
اقعد من خيشي طالبين
دار اذا ما اشتد حري بها
انشدت للصولي بيتين (٨٤)

وفي قول ابي العيناء في علي بن الجهم (ت ٢٤٩ هـ) :

اراد علي ان يقول قصيدة
بمدح امير المؤمنين فاذنا
فقلت له : لا تعجلن باقامة
فلست على طهر ، فقال : ولا انا (٨٥)

---

(٧٥) ينظر مروج الذهب : ٢٠٩/٤ـ٢١٠ ، ومعجم الادباء : ٣٢٥/٥ـ٣٢٦ .
(٧٦) معجم البلدان : ٨٦/٢ـ٨٧ الشعر والخبر .
(٧٧) اعتاب الكتاب : ١٧١ .
(٧٨) شرح نهج البلاغة : م ٤ جـ ٥١٦/٢٠ .
(٧٩) الشعر في الكوفة : ١١٦ .
(٨٠) ديوان الحمدوي ص ٨٣ قطعة ٤٩ ، تاريخ الطبري ٢٦٤/٩ .
(٨١) الشعر في الكوفة : ١١١ .
(٨٢) المصدر نفسه .
(٨٣) الكناية والتعريض : ٤٢ .
(٨٤) المصدر نفسه ، وفيه ابن وريق وهو تصحيف لكلمة « ابن لدريق » .
(٨٥) الديارات : ٨٦ .

ثمة سخرية من ابن الجهم وشعره ، ولكنها سخرية ذات مسار نقدي آخر غير الذي ذكرناه ، فابو العيناء توسل بالمفارقة المضحكة حين حاول ان يخلق علاقة غير منطقية بين ابن الجهم الشاعر ، وبين ابن الجهم المؤذن ، وذلك على سبيل المجاز حين حاول ان يربط بين انشاده القصيدة واقامته الاذان . ويتضح هذا حين غلب ابن الجهم المؤذن على ابن الجهم الشاعر ...

اراد علي ان يقـول قصيدة
بمدح امير المؤمنين فاذنـا

ولعل ابا العيناء كان يريد من وراء هذه السخرية ان يخلص الى نقده ادبيا واجتماعيا ، وذلك بان وصمه بمخالفته قواعد المنادمة والبلاغة في آن واحد ، لان قواعد كلا هذين الفنين تفترض تطبيقا دقيقا للقاعدة البلاغية « مطابقة الكلام لمقتضى الحال » وهذا يقودنا بالضرورة الى ان ابا العيناء اراد ان يقول لابن الجهم : ان شعرك ليس مما يمكن ان ينشد في مجالس الخلفاء حين يخلون الى نفوسهم وجلسائهم وندمائهم طلبا للاستجمام والترويح عن النفس .

ومن اجل ان يصل ابو العيناء الى الغاية في سخريته من ابن الجهم الشاعر المؤذن ، يتوسل بالقاعدة الفقهية التي تقف بالمؤذن عند التكبير ولا تتعدى به الى اقامة الصلاة ، ليقف بابن الجهم عند مطلع القصيدة ويحول بينه وبين اتمام انشادها ، والقاعدة الفقهية المعنية هي اشتراط الطهر في المؤذن ومن يؤذن فيهم لاقامة الصلاة ، ولذلك قال لابن الجهم المؤذن - الشاعر « لا تعجلن باقامة فلست على طهر » . وتبلغ سخرية ابي العيناء غايتها حين ينطق ابن الجهم بـ « ولا انا » ليقيم عليه الحجة بالا ينشد شيئا غير المطلع ، كما تقوم على المؤذن فلا يتجاوز التكبير الى اقامة الصلاة بعد ان يتذكر عدم طهارته .

والجمع بين المتناقضات وحشدها هي وسيلة المفجع في السخر من بعض ادباء زمانه ، فمما يؤثر عنه انه « دخل .. يوما الى القاضي ابي القاسم علي بن محمد التنوخي فوجده يقرأ معاني الشعر على العبيسي ، فانشد :

قد قدم العجب على الرويس
وشارف الوهد ابا قبيس
وطاول البقل فروع الميس
وهبت العنز لقرع التيس
وادعت الروم ابا في قيس
واختلط الناس اختلاط الحيس
اذ قرا القاضي حليف الكيس
معاني الشعر على العبيسي (٨٦)

ان سخرية المفجع من التنوخي القاضي والعبيسي الاديب لا تكمن في جمعه بين المتناقضات الكثيرة في ثلاثة ابيات ، ولا في مجافاة منطق الامور بقلبه الوقائع وتغليبه صغير هذه المتناقضات على كبيرها فحسب ، بل في جعله ذلك نتيجة طبيعية لانتكاس القيم التي تقوّم بها اقدار الناس ومنازلهم ممثلة بقراءة التنوخي القاضي حليف العقل والظرف والفطنة على العبيسي الاديب الغمر ، لانه ان قدر للامور ان ترتكس بهذا الاتجاه ، وهو ارتكاس غير طبيعي ، فالاحرى بمنطق الحياة ان ينقلب رأسا على عقب .

٢ ـ السخرية العقلية

ان ظهور ما يمكن ان يسمى بالسخرية العقلية لا يمكن عزله بحال عن البيئة الفكرية في هذا القرن ، الاعتزال ومنهجه العقلي ، و « لقد كان المعتزلة يحسون بانهم من طبقة اخرى غير طبقات الناس العادية ، وقد كان هذا الاحساس يدفعهم في كثير من الاحوال الى السخرية من الناس والتهكم بهم ، ولكنهم كانوا حينما يسخرون او يتهكمون ، لا يصدرون في ذلك عن احقاد شخصية ، او ضغائن ذاتية ، على نحو ما كان الامر في ظاهرة الهجاء في الادب العربي ، ولكنهم كانوا يصدرون في ذلك عن فلسفة خاصة ، قوامها العطف على الناس ، وتوجيههم الى عيوبهم حتى يصلحوها ، فالتهكم عند المعتزلة هو نوع من الترقية لفن الهجاء في الادب العربي ، والتسامي به عن ان يكون صدى لعداوات شخصية ووسيلة الى التشفي والانتقام ، فهم حينما يتهكمون ينتقدون ويضحكون ، ولكنهم لا يحقدون ولا يكرهون » (٨٧) ، ولهذا فـ « قد كان البخل والبخلاء مجالا من مجالات التهكم والسخرية التي افتن فيها المعتزلة وابدعوا ، فالجاحظ في بخلائه يتعقب حياة البخلاء ، ويكشف خبايا نفوسهم ، ويصور حيلهم واخلاقهم ، ويسرد طرائفهم ونوادرهم ، ويستبطن ما وراء حياتهم الظاهرة التي يحاولون فيها ان يخدعوا الناس عن باطنهم ، ويوهموهم بانهم كرماء يجودون بالطعام والمال ، ولكنه يظل بهم حتى يضيق عليهم ويسد في وجوههم الطرق فلم يلبثوا ان ينموا عن بخلهم ، ويكشفوا حقيقة نفوسهم بكلمة يقولونها او تصرف يعملونه ، فلا يسعهم في آخر الامر الا ان يعترفوا ببخلهم » (٨٨) .

وعلى هذا الاساس تكون المعتزلة قد ادركت بحسها النقدي الاجتماعي قبل الف عام ويزيد ما ادركه « برجسون » بعد الف عام ويزيد ، من ان « للضحك دلالة اجتماعية ، واثرا اجتماعيا ، وان الضحك يعبر قبل كل شيء عن حالة من عدم تلاؤم الشخص مع المجتمع .. » (٨٩) ، وكان اساليب المعتزلة في السخرية من ابناء زمانهم ، ومقاصدهم من هذه السخرية كانت حاضرة بتفصيل في ذهن « برجسون » ، وهو ينظر لوظيفة الضحك الاجتماعية ، ويؤكد بانه اداة للتأديب قبل كل شيء ، وانه وجد ليخزي ويؤلم ، وان هذا الضحك ليس عادلا عدلا مطلقا ، وليس طيبا في كل الاحيان ، وانه ما كان ليظفر في مهمته لو لم يكن هكذا (٩٠). وهذا هو مقصد المعتزلة من السخرية التي عرفوا بها ، وتوفروا عليها في كثير مما انتجوا من ادب ، وهذا هو السر في القسوة التي اتسمت بها سخريتهم ، لانهم كانوا يدركون انه بغير هذا لا يمكن ان يؤدوا رسالتهم الاصلاحية ، وان لابد من توظيف الشر من اجل الخير . وهذا ما يمكن ان نلمسه بوضوح في ادب الجاحظ المعتزلي الكبير ، « ان الجاحظ يسخر من بخلائه سخرية لاذعة ،

(٨٦) معجم الادباء : ٦/٣١٩ ، العجب : اصل الذنب في الحيوان . الرويس : تصغير الرأس . الوهد : الارض المنخفضة . ابو قبيس : الجبل المعروف بمكة . البقل : النبات العشبي . الميس : شجر من اشجار الاحراش . العنز : الانثى من المعز . التيس : ذكر المعز . القراع : الضراب . الحيس : طعام من السمن والتمر والدقيق . الكيس : العقل والظرف والفطنة .

(٨٧) أدب المعتزلة : ٢٩٥-٢٦٦ .

(٨٨) المصدر نفسه : ٢٩٨ .

(٨٩) الضحك ـ برجسون : ١٠

(٩٠) المصدر نفسه : ١٥٨ ، ١٦٠ .

ولكنه لا يضيق بهم ولا يحقد عليهم ، بل انه ينقدهم ويكشف حيلهم ، وهو في الوقت نفسه يضحك منهم ويعطف عليهم بطريقة نحس معها نوعا من السيطرة العقلية والنفسية على هؤلاء الذين كانهم بين يديه دمى يحركها ذات اليمين وذات الشمال ، وهي طيعة منقادة لا تملك من امرها شيئا ، انظر الى اية قصة من قصص البخلاء ، فان الاعجاب سيغمر نفسك حينما ترى هذه الصور المختلفة من التصوير النفسي الساخر الذي افتن فيه الجاحظ ، ودل على عظمة عقله وروعة فنه وقدرته على الحوار، ومعرفته باحوالها واسرارها . » (٩١)

وهذا هو الذي جعل من الجاحظ اماما للساخرين ، ومن كتبه مدرسة كبيرة للسخرية في القرن الثالث وما تلاه من القرون، وكان لها تلامذتها من كبار ادباء العربية ، ولو لم يكن غير ابي حيان التوحيدي تلميذا لهذه المدرسة ، لكفاها .

ولو بحثنا اثر هذه المدرسة الساخرة في ادب القرن الثالث لوجدناه يتمثل في نثره اكثر ما يتمثل في شعره ، لانها قدمت كثيرا من النماذج النثرية التي يمكن ان تحتذى ، ولم تقدم الا القليل من الشعر الذي لا يشكل قيمة فنية يمكن ان تترك طابعها على شعر السخرية في القرن الثالث ، « وكل ما وجدنا لهم من شعر لا يعدو ان يكون مقطعات وابياتا يسيرة متناثرة في ثنايا كتب الادب واللغة والتاريخ ، فلم نعثر لاحدهم مثلا على ديوان يستوعب عددا من القصائد في مختلف الفنون والموضوعات، بل لم نعثر لاحدهم مجموعة من القصائد المكتملة التي يمكن ان تكون في مجموعها صورة واضحة عن نمط شعري معين نستطيع ان نستخلص منه خصائص مدرسة ، او اتجاه ، او مذهب » (٩٢)

ولعل ذلك يعود الى ان « طبيعة التكوين الثقافي للمعتزلة ، وطبيعة المهمة التي كرسوا جهودهم في سبيلها وهي الدفاع عن دينهم ومبادئهم ، ومقارعة خصومهم بالحجة والبرهان لم تكن تسمح لهم بالاكثار من قرض الشعر والافتنان فيه ، لان الشعر له مجال خاص هو التعبير عن التجارب النفسية التي ينفعل بها الشاعر انفعالا خاصا . اما المناظرة والمناقشة واستخدام الادلة المنطقية والبراهين العقلية ، فليس ذلك مما يستطيع الشعر ان يعبر عنه » (٩٣) يضاف الى هذا ان مذهب المعتزلة كان « قد قام في معظم امره على تيارات فكرية عقلية ، والثقافة التي اعتمد عليها او على اصول كثيرة منها هي الثقافة العقلية اليونانية ، وهذا كله مما يجعل النثر اكثر طواعية وافسح مجالا للتعبير عنه دون الشعر (٩٤) .

ومن هذا نخلص الى ان اثر السخرية العقلية في شعر الكتاب لا يتمثل الا بما كان استمده الشعراء الكتاب من الفاظ المعتزلة ومصطلحاتهم واساليبهم في الجدل والحوار والمناظرة ، وما عدا هذا فنثرهم هو الاغنى من دون شك ، وهذا ما كنا صفحنا عنه صفحا جميلا ، لان شعر الكتاب هو موضوع دراستنا .

ان اقتباس الشعراء الكتاب من الفاظ المعتزلة ومصطلحاتهم واساليبهم في الجدل والحوار والمناظرة في شتى فنونهم الشعرية انما كان بسبب تاثرهم ببيئاتها المنتشرة في حواضر العراق ، وبفعل ما ملكته من قوة التاثير بسبب سيطرتها على سياسة الخلافة العباسية ومجالس الجدل حقبة طويلة من القرن الثالث، الى ان انتقض امر عزتها على يد المتوكل ، وهي مدة كفيلة بغلغلة افكارها واساليبها ولغتها ومصطلحاتها الى بيئات الكتاب والشعراء ، والشعراء الكتاب في هذا القرن . وهذا ما نحاول ان نقف عليه في بعض النماذج الساخرة من شعر الكتاب .

ان الحمدوي احد الشعراء الكتاب الساخرين الذين استمدوا من العلوم الفلسفية والكلامية ، بما نقله من الفاظها ومصطلحاتها وطرائقها في الحوار ، مادة لتعميق سخريته وزيادة تاثيرها في النفوس لا لـ « يحيل اشعاره الى قطع غامضة كما هو الشان في الشعر الذي يتكلف اصحابه الاساليب والالفاظ الكلامية ، بل نراها واضحة ، اذ ان الشاعر ياخذ ما هو مشهور من هذه المصطلحات والالفاظ وهو لا يقصد من هذه الاساليب الى غير السخرية » (٩٥) ، ومثال ذلك قوله :

ولي طيلسان ان تاملت شخصه

تيقنت ان الدهر يفنى وينقرض

تصدع حتى امنت انصداعه

واظهرت الايام من عمره الغرض

كأني لاشفاقي عليه ممرض

اخا سقم ممن تمادى به المرض

فلو ان اصحاب الكلام يرونه

لماروك فيه وادعوا انه عرض (٩٦)

ويتضح من هذه المقطوعة ان الحمدوي اعتمد اسلوب المبالغة ليخلص الى ان طيلسانه قد بلغ غاية التصدع حتى امن من اي تصدع له جديد (٩٧) . ومن اجل ان يعمق الحمدوي مغالاته هذه استمد من الفاظ المتكلمين ومصطلحاتهم ما يبلغ به الغاية التي ينشدها فيقول : لو ان اصحاب الكلام يرون هذا الطيلسان لجادلوك فيه وادعوا انه عرض . « ومعروف ان العرض هو الصورة الخارجية للشكل ، وليس هو الجوهر الذي هو اصل المادة ، ومعنى هذا ان الطيلسان اصبح صورة لا حقيقة مادية » (٩٨) .

وللحمدوي مقطوعة اخرى ينحو فيها هذا المنحى (٩٩) . ولعصابة الجرجراني مقطوعة يسخر بها من الحسن بن رجاء كان قد استمد فيها بعض المصطلحات العقلية وهي مما كان يدور في بيئات الفلاسفة والمتكلمين . قال عصابة :

خوان الامير معمى المكان

له شبح ليس بالمستبان

يرى بالتوهم لا بالمجس

وبالخبر الفذ لا بالعيان

دعا بالخوان على لؤمه

لكيما يقال دعا بالخوان

(٩١) ادب المعتزلة : ٢٩٨-٢٩٩ .

(٩٢) المصدر نفسه : ٣٢٨-٣٢٩ .

(٩٣) ادب المعتزلة : ٣٢٨ .

(٩٤) المصدر نفسه : ٣٢٩ ، هامش (٢) .

(٩٥) الشعر والشعراء في البصرة : ١٢٢-١٢٣ .

(٩٦) ديوان الحمدوي : ص ٨١ قطعة ٣١ .

(٩٧) ، (٩٨) الشعر والشعراء في البصرة : ١٢٣-١٢٤ .

(٩٩) ديوان الحمدوي : ص ٨١ قطعة ٢٨ .

فأما غضائره السواردات

فاسماء ليست لها من معان

واما غضائره الصادرات

فقد أعلمت في مكان مكان

ونقط منها عراق عراق

كم (كلا) تعجم الصحف بالزعفران(١٠٠)

ويتضح من هذه المقطوعة ان عصابة الجرجراني اذ ألح على نعت خوان الامير الحسن ابن رجاء بمعان عقلية كان قد استمدها من البيئات العقلية التي تعمر الحواضر في العراق يوم ذاك ، فانما كان يريد تعميق سخريته من بخل الامير وشحة خوانه، وهل اعمق سخرية من ان يكون الخوان معنى عقليا ؟ (١٠١)

وتوسل الشعراء الكتاب بالحوار اسلوبا فنيا في اشعارهم الساخرة ، كما هو في فنونهم الشعرية الاخرى ، يمثل صورة من صور السخرية العقلية ، فالحوار في قصيدة القرن الثالث اثر من اثار البيئات العقلية في هذه الحقبة ، ولم يشع اسلوبا فنيا الا بعد ان تعرف شعراء القرن ، كتابا وغير كتاب ، على انماط من اساليب المتفلسفة والمتكلمين في الجدل والمناظرة ، ومنها الحوار ، وحسبنا ان نشير الى هذا ، ففي الحواريات التي مرت بنا في الصفحات السابقة ما يغني عن ايراد امثلة جديدة ، دفعا لتكرار لا يضيف جديدا .

٣ ـ السخرية الفكاهية

وهي السخرية التي قصدها التندر والاضحاك والتفكه ترويحا عن النفوس المتعبة ، وتنفيسا عن آلامها ، وليس لها بعد هذا قصد آخر ، وهي بهذا اقرب الى المزاح الذي ينفي عن النفس ما طرأ عليها من سأم ، ويزيل ما علق بالقلب من هم (١٠٢) . وقد أكد ابو حيان التوحيدي قيمة هذا الضرب من السخرية في حياة الناس ، وضرورة تذوق النفس لفرح الهزل والتندر والهزل اذا ما علق بها غم الجد وأرمضتها متاعب الحياة ، فقال : « اياك ان تعاف سماع هذه الاشياء المضروبة بالهزل ، الجارية على السخف ، فانك لو اضربت عنها جملة لنقص فهمك ، وتبلد طبعك .. واجعل الاسترسال بها ذريعة الى احماضك ، والانبساط فيها سلما الى جدك ، فانك متى لم تذق نفسك فرح الهزل ، كربها غم الجد ، وقد طبعت في اصل تركيبها على الترجيح بين الامور المتفاوتة ، فلا تحمل في شيء من الاشياء عليها ، فتكون في ذلك مسيئا لها .. » (١٠٣) .

لقد قال الشعراء الكتاب اشعارا في اغراض مختلفة ولكنها اذا ما تبيناها وجدنا ان الاغراض التي قيلت فيها غير مقصودة لذاتها ، وانما المقصود هو ما تضمنته من سخر وهزل ونادرة لاجل الاضحاك والتسلية والترفيه .

فأبو العيناء حين يقول :

حمدت الهي اذ منيت بحبها

على حول يغني عن النظر الشزر

نظرت اليها والرقيب يظنني

نظرت اليه فاسترحت من الغدر (١٠٤)

لا يريد ان يسخر من نفسه بقدر ما يريد ان يثير في نفوس سامعيه الضحك ، والضحك وحده ، حين يحمد لحول عينه ما اصبح فيه من امن الرقيب .

وللجاحظ نصيبه من السخرية الفكاهية ، نثرا وشعرا ، بما اصطنعه من الاقاصيص هازلة ونوادر مضحكة ، ومن ذلك قوله :

مر غراب البين من حالق

له نعيب فرشقناه

عن قوس وصل بسهام الهوى

فلم نزل حتى صرعناه

وباشق الحب نصبنا له

ببلبل الصدق فصدناه

واضطرب الباشق مستوحشا

فخيطت بالوصل عيناه

فقر واستأنس حتى اذا

اجابنا حين دعوناه

وثقت بالصيد فارسلته

فصاد لي من كنت اهواه (١٠٥)

فالمقطوعة كما تبدو ليست استهزاء بالحب واصحابه ، وليست غزلا قيل للاستهزاء والتفكه (١٠٦) وانما اقصوصة هازلة ونادرة مضحكة . ابطالها غراب البين وباشق الحب وبلبل الصدق . ووسائلها : قوس الوصل وسهام الهوى وخيوط الوصل . واحداثها مصرع غراب البين وصيد باشق الحب بخديعة بطلها بلبل الصدق . وختامها استجابة باشق الحب الى دعوة الجاحظ لصيد من كان يهواه ، فصاده ، وهكذا تنتهي هذه الاقصوصة الهازلة لنضحك بعدها مع الجاحظ حيث لم يكن قصده الا الاضحاك ، وليس غيره .

وفي مجالس الشعراء الكتاب الخاصة التي تعقد للشراب والسماع ، كان الشعر يقال في بعض الاحيان لا لشيء الا للتفكه والسخر . « ذكر الصولي في كتاب « الوزراء » قال : حدثني محمد بن يحيى قال : قدم اعرابي اسمه عتبة يقول الشعر ، وكان ظريفا من الاعراب ، فضمه الحسن بن وهب اليه ، فاجتمع الحسن يوما وابراهيم بن العباس ، فقال لهما عتبة هذا : ان كنتما تقولان الشعر بالعجلة ، فاهجواني ، فقال الحسن :

لمن طلل في رأس عتبة مقحل

---

(١٠٠) ادب الكتاب : ٦٠ ، وفيه « كم تعجم » وهو تصحيف ، والصواب « كما تعجم » .

(١٠١) الشعر في الكوفة : ١٢٢ .

(١٠٢) ابو حيان التوحيدي ـ زكريا ابراهيم : ٢٤٩ .

(١٠٣) البصائر والذخائر ـ احمد امين ، سيد صقر : ٤٩ـ٥٠ .

(١٠٤) الوافي بالوفيات : ٢٤٣/٤ .

(١٠٥) البديع في نقد الشعر : ١٥٣ـ١٥٤ .

(١٠٦) الشعر والشعراء في البصرة : ١١١ .

فقال ابراهيم :

عفتـه ريـاح الصفـع تعلو وتسفل

فقال الحسن :

شـكا ما يلاقيـه من الصفـع راسه

فقال ابراهيم :

تناوبـه منـه جنـوب وشـمال

فقال الاعرابي : « والله لئن لم تمسكا لاخـرجن مـن البلد » (١٠٧)

وتفنن الشعراء الكتاب في التندر والمداعبة المقصود لذاتها ، ومن ذلك اعتماد اسلوب الايحاء كما فعل ابو علي البصير في قوله يداعب صديقه ابا هفان :

لي صـديق في خلقـة الشيطان
وعقـول النسـاء والصبيـان
من تظنونه ؟ فقـالوا جميعـا
ليـس هذا الا ابا هفـان (١٠٨)

« وبراعة البصير تظهر في هذا الايحاء الذي اخرجه مخرج اللغز . فهو اذ يسأل الناس عن صديقه الذي يتصف بهـذه الصفات ويجيبونه بهذا الحصر وكأن ابا هفان متفرد فيها فانما يهيء الاذهان الى ان اتصافه بها مسألة مفروغمنها .. والصفات التي خلعها عليه من صميم الحياة العباسية التي يتنافى تانقها مع خلقة الشيطان التي تاخذ بعنان الخيال في مهاوى القبح ، كما تبتعد حياتها العقلية عن عقول النساء والصبيان »(١٠٩) .

ولاسلوب التصوير « الكاريكاتوري » بالكلمات نصيب وفير من شعر السخرية الفكاهية عند الشعراء الكتاب ، ولكنهـم لم يبلغوا في هذا الفن ما بلغه محمد بن عبدالملكالزيات منكمال. ولهذا سيكون فن ابن الزيات هذا هو وكدنا ، فنقف عنـده وقفة قد تطول ، ولكنها وقفة لابد منها لتقويمه وفق احـدث التصورات لفن التصوير « الكاريكاتوري » .

ولكن قبل ان نتحدث عن قدرة محمـد بن عبد الملك الزيات في حوز زمام هذا الفن والتمكن فيه ، نرى ان نجيب على هذا السؤال : ما هو المضحك في فن « الكاريكاتور » ، وما هي مقوماته الفنية ؟

لكي نفهم المضحك في « الكاريكاتور » يجب ان نعرف « ان الهيئة مهما انتظمت ، ومهما انسجمت خطوطها ومرنت حركاتها ، لا يمكن ان يكون التوازن فيها تاما تماما مطلقا ، ففيها ابدا نذير باعوجاج ، وايذان بجعدة ، اي فيها تشوه ما ، كان يمكن ان يعيب الطبيعة » (١١٠) .

الان ما يعيب الطبيعة البشرية هو ما يضحك في فـن « الكاريكاتور » . وهذا هو ما يبحث عنه الفنان رساما كـان ام اديبا ، لان فن « الكاريكاتوري » انما يقوم على ادراك هذه الحركة التي قد لا تدرك ، يضخمها ويجعلها مرئية لكل الناس . انه يشوه نماذجه على نحو ما كان يمكن ان تتشوه من تلقـاء ذاتها لو ذهبت بتجعدها الى اقصاه . وهو يستشف ، فيما وراء انسجام الصورة الظاهري ، عصيان المادة العميق ، فيرسـم لنا تنافرا وتشوها موجودين في الطبيعة على حال الشروع ، ولكنهما لم يكتملا لان ثمة قوة اسمى قد كبحتهما .. وهذا الفن فن مبالغة من غير شك .. ولكننا نسيء تعريفه ايما اسـاءة اذا زعمنا ان المبالغة غايته ، فرب صورة « كاريكاتورية » اكثر شبها بصاحبها من صورة « فوتوغرافية » . فلكي تكون المبالغـة مضحكة ينبغي الا تبدو غاية بل مجرد وسيلة يستخدمها الفنان في ابراز هذا العجو الذي يراه في الطبيعة على حال التحفز ، والمهم انما هو العجو نفسه ، ولذلك نرى الفنان يبحث عنه حتى في الاجزاء غير المتحركة من الوجه ، كانحناءة الانف او شكل الاذن ، ذلك ان الشكل هو في نظرنا صورة حركة ، والرسـام « الكاريكاتوري » الذي يفسد طول الانف من غير ان يبدل شكله كان يطيله في نفس اتجاهه الطبيعي ـ انما يجعل هذا الانف يتشوه حقا ، فنرى الشيء الاصلي كانما اراد هو ايضا ان يستطيل ويتشوه (١١١) .

والان اين يقع فن ابي الزيات من هذا الفهم لفن التصوير « الكاريكاتور » ؟

لا نغالي اذا قلنا : ان ابن الزيات ادرك بحسه الفنـي المرهف ما هو المضحك في هذا الفن ومقوماته حين صب الملب نماذجه الشعرية السـاخرة على انف عيسى بن زينب (١١) ، فمما قاله في ذلك :

قـل لعيسـى انـف انفـه
انفـه ضعـف لضعفـه
لـم ينـم مـذ كـان الا
الصـق الانـف بسقفـه
فـترى السـقف وقـد اخـ
ربـه منـه بحرفـه
ان مـن عـاداك يا عيـ
سى لمقـرون بحتفـه
انت لـو تستنشـق الثور
د بقرنيـه وظلفـه
لهـوى في منخـر يسـ
ـتفرق الخلـق بنصفـه
لـو تـراه راكبـا والتيـ
ـه قـد مـال بعطفـه
لـرايت الانـف في السـر
ج ، وعيسـى ردف انفـه (١١٢)

---

(١٠٧) بدائع البدائه : ١٧٦-١٧٧ .

(١٠٨) اشعار ابي علي البصير ، جمع وتحقيق يونس احمـد السامرائي ، المـورد م ١ ع ٣-١٩٧٢/٤ ، ص ١٦٨ قطعة ٥٦ .

(١٠٩) الشعر في الكوفة : ١٠٨ .

(١١٠) الضحك ـ برجسون : ٢٣-٢٤ .

(١١١) المصدر نفسه : ٢٣ .

(١١٢) لعله عيسى بن زينب المراكبي الذي ترجم له ابن المعتز في كتابه : طبقات الشعراء : ٣٢٦-٣٢٧ .

(١١٣) ديوان الوزير محمد بن عبدالملك الزيات : ٨٧-٨٨ .

ان هذه المقطوعة تشير الى ان ابن الزيات كان قد ادرك في وجه عيسى بن زينب الحركة التي لا يدركها الاخرون ، طول انفه ، والشكل كما مر بنا صورة حركة على حال تحفز ، ثم اخذ بالسداد طول هذا الانف من غير ان يبدل شكله بان اطاله في نفس اتجاهه . وابن الزيات وان بالغ في ذلك ، فلم تكن المبالغة غايته وانما مجرد وسيلة استخدمها لابراز هذه الحركة في الوجه « الانف » وهي على حال الشروع في الحركة والاستطالة باتجاهها الطبيعي ، على سبيل المبالغة المضحكة ، وقد بلغ الغاية في ذلك في البيتين الاخيرين حين صور عيسى بن زينب راكبا ، فجعل الانف ، وقد استطال ، في السرج ، وجعل عيسى ردف هذا الانف بعد ان تضاءل حجمه بالقياس الى استطالة الانف .

ولابن الزيات قصيدة طويلة في انف عيسى بن زينب انطلق فيها من هذا المنطلق ذاته ، ولكنه جمع فيها بين التصوير « الكاريكاتوري » والحوار والسرد القصصي مما منحها قيمة اخرى في فن السخرية الشعرية الفكاهية (١١٤) .

* * *

هذا هو فن السخرية عند الشعراء الكتاب كما مثلته لنا المتون الشعبية الكثيرة التي حفل بها ديوان شعرهم الكبير . وان كانت ثمة اطالة فمبعثها الرغبة المخلصة في استيعاب موضوعات هذا الفن ومضامينه ، وتمثل اساليبه الفنية التي ميزته من الهجاء ، وافردته فنا قائما بذاته في هذا القرن .

---

(١١٤) تنظر القصيدة في ديوانه : ٤٢-٤٣ .

★



طب العيون عند العرب

الدكتــور

محمود الحاج قاسم محمد

اذا كان الوقوف في وجه التطور الطبي تأباه طبيعة العلوم الطبية لكونها مبنية على التجربة ، واذا كان كل محاولة لتجميد تقدمه لابد ان ينسخه البحث العلمي فليس يجوز ايضا ان نجمد قانون الوراثة في العلوم الطبية ويضل ضلالا بعيدا من يتصور ، امكان الاستغناء عن دراسة تراثنا الماضي في الطب ، وذلك لان اي جديد في الطب شانه شان بقية العلوم لا يمكن ان يقوم على هباء . ومثل من يتوهم ان تطورنا في الطب يمكن ان يبدأ منطلقه بمعزل عن ميراثنا الماضي منه كمثل من يتوهم ان البشرية اليوم تتطور من نقطة الصفر ضاربة في فراغ لا اثر فيه من تجارب ماضيها الطويل .

لذلك يجب ان نعد قضية التراث الطبي بين القديم والجديد مفروغا منه لاننا كما تقول الدكتورة بنت الشاطي (نعيش يومنا بالامس الذي يعيش فينا) ، وتاريخ الحضارة الطبية ليس الا مراحل تنتفع كل منها بتجارب ما قبلها وتضيف ما هو ميراث لما بعدها واليك عزيزي القارىء ميراث الاطباء العرب في طب العيون .

يبتدأ تاريخ طب العيون عند العرب بمعناه الشامل بنشوئه خلال ايام الخلفاء العباسيين في القرن الثالث الهجري بترجمة كتب اليونان الى العربية وفي سنة ٤٠٠ هجرية بلغ طب العيون مرتبة رفيعة باضافة ما جادت به عبقرية اطباء العيون العرب امثال علي بن عيسى البغدادي وعمار بن علي الموصلي .

لقد ذكر لنا ابن ابي اصيبعة في طبقاته اسماء اكثر من ثلاثين كتابا عربيا في امراض العيون واسماء مؤلفيها من اطباء العيون العرب والمسلمين ، كما ذكر ستة اقسام في طب العيون تشتمل عليها الموسوعات الطبية العربية كالقانون لابن سينا ، والحاوي للرازي والتصريف للزهراوي وغيرهم لقد ذكر ماكس مايرهوف قائمة بالمصنفات العربية الاولى في امراض العيون وتشمل القائمة (١٧) كتابا (١) سوف نذكر فيما يلي اشهر هذه الكتب واهمها .

١ ـ كتاب العشر مقالات في العين وهو من تصنيف حنين بن اسحاق (١٩٤–٢٦٤هـ) وهذا الكتاب هو اقدم كتاب مؤلف على الطريقة العلمية في طب العيون واقدم كتاب مدرسي منتظم عرفه البشر في امراض العيون كما يقول الدكتور ماكس مايرهوف محقق الكتاب .

٢ ـ الحاوي في الطب : لابي بكر محمد بن زكريا الرازي المتوفى سنة ٣٢٠ هـ ويحتوي هذا الكتاب على قسم مطول في امراض العيون وهو الجزء الثاني من الكتاب المطبوع وهو يتضمن مقتطفات من كتاب حنين السابق ومن كتب اليونان الا ان الكتاب يحوي افكارا جديدة للرازي اكتسبها بالتجربة سواء على مرضاه الخاصين او نتيجة لتجاربه في البيمارستان . كما ونجده في بعض الاحيان ينتقد آراء جالينوس او غيره بطريقة علمية واسلوب في غاية الادب والاحترام .

٣ ـ تذكرة الكحالين : لعلي بن عيسى البغدادي صنفه حوالي سنة ٤٠٠هـ وهو الى حد كبير احسن واوفى كتاب في طب العيون ويتضمن ما كتبه السابقون في طب العيون مع اضافات علمية كثيرة وافكار جديدة .

٤ ـ كتاب المنتخب في علاج امراض العين لعمار بن علي الموصلي (صنفه حوالي ٤٠٠هـ) وهو كتاب اقصر من سابقه لكنه يماثله جودة مع كثير من الملاحظات والارشادات المبتكرة حيث يعتبر بحق اكثر اطباء العيون ابتكارا واصالة اتخذ كتابه هذا للتعليم في طب العيون في جامعات الغرب

---

(١) راجع القائمة في كتاب العشر مقالات في العين ـ لحنين بن اسحاق ـ تحقيق الدكتور ماكس ماير هوف ص ٦–١٢ .

من القرن الثالث عشر الى القرن الثامن عشر واهم اقسام الكتاب القسم الخاص بالجراحة الذي يحتوي على ست عمليات لقدح العين المصابة بالساد احداها المص .

٥ ـ صلاح الدين بن يوسف الكحال : عاش في مدينة حماة في الربع الاخير من القرن الثالث عشر وله مؤلف سماه (نور العيون وجامع الفنون) (٢) وهو اكبر مؤلف جامع لامراض العيون كما يقول الدكتور امين اسعد خير الله (٣) المؤلف يشير الى اسماء المصادر التي اخذ عنها ويتكلم عن آداب الطب وواجبات الممارس لامراض العيون وهو يقسم الى عشرة فصول :

الفصل الاول : في وصف العين .

الفصل الثاني : في وصف البصر .

الفصل الثالث : في امراض العين واسبابها واعراضها .

الفصل الرابع : في حفظ صحة العين وفي امراض الجفون .

الفصل السادس : في امراض الملتحمة

الفصل الخامس : في زاوية العين .

الفصل السابع : في امراض القرنية

الفصل الثامن : في امراض الحدقة

الفصل التاسع : في امراض العين التي لا تقع تحت الحواس

الفصل العاشر : جدول ادوية العين .

وفضل الاطباء العرب في مؤلفاتهم في طب العيون يشمل ما يلي :

١ ـ الاطباء العرب اول من الف كتابا في طب العيون بطريقة علمية (٤) وكان ذلك كتاب ـ (العشر مقالات في العين) لحنين بن اسحق .

٢ ـ الاطباء العرب هم اول من سلك الطريقة الاكاديمية الصحيحة عند التكلم عن الامراض : ونعني بهذه الطريقة وصف وتشخيص المرض واعراضه وعلاجه في الفصل الواحد كما هو الحال في كتب عصرنا الحاضر (٥) خلافا لمن سبقوهم حيث كانوا يذكرون اعراض الامراض كلها في فصل والتشخيص في فصل والعلاج في فصل آخر .

كان ابتكار هذه الطريقة الصحيحة في التاليف من قبل علي بن عيسى البغدادي وعمار بن علي الموصلي .

٣ ـ تاليفهم اول اكبر مؤلف جامع لامراض العيون Text Book والكتاب هو (نور العيون وجامع الفنون) لصلاح الدين بن يوسف الكحال .

تشريح العين :

لقد اهتم الاطباء العرب اهتماما شديدا في دراسة تشريح العين واعتبروا ذلك من المبادي التي لا يسمح لاحد ممارسة طب العيون اذا كان جاهلا بالتشريح كما وانهم قاموا بتشريح عيون الحيوانات ودرسوا ذلك دراسة دقيقة وافية فتوصلوا الى كثير من الحقائق التي لم يذكرها الاطباء اليونان فمثلا يقول حنين بن اسحق ان العضلة الثلاثية الخلفية الموجودة في مؤخرة عين الحيوانات لا توجد عند البشر . يقول بورتال ان اطباء اليونان لم يشيروا الى ذلك (٦) وقد جاء في كتاب المنصوري للرازي وصف هيئة العين كما يلي : (العين مركبة من سبع طبقات وثلاث رطوبات وترتيبها على ما اصف ان العصبة المجوفة التي هي اول العصب الخارج من الدماغ تخرج من القحف الى مقر العين وعليها غشاءآه ، غشاء الدماغ .. ويسميه المشرحون الطبقة الصلبة ... والغشاء الدقيق ويسمى الطبقة المشيمية لشبهها بالمشيمة .. ويتكون في وسط الغشاء الشبكي قسم لين رطب في لون الزجاج يسمى الرطوبة الزجاجية وفي وسطه الرطوبة الجليدية) وقد كان اطباء العرب يعلمون جيدا بان حركات الحدقة ناتجة عن انقباض القزحية (٧)

وقد وصف ابن سينا عضلات العين وصفا صحيحا حين قال :

« واما العضل المحركة للمقلة فهي ست عضلات اربع منها في جوانبها الاربع فوق واسفل المآقين . كل واحد منها يحرك العين الى جهته وعضلتان الى التوريب ما هما يحركان الى الاستدارة ووراء المقلة عضلة تدعم العصبة المجوفة التي يذكر شانها بعد لتشبثها بها وما معها فيثقلها ويمنعها الاسترخاء المجمظ ويضبطها عند التحديق .

وهذه العضلة قد عرض لاغشيتها الرباطيةمن

(٢) هذا الكتاب لم يذكره ماكس مايرهوف في القائمة .
(٣) الطب العربي : الدكتور امين اسعد خير الله ص ١٨١
(٤) العشر مقالات : ماكس مايرهوف
(٥) العشر مقالات : ماكس مايرهوف

(٦) الطب العربي : خير الله ص١٦٩
(٧) المصدر السابق ص١٦٩

التشعب ما شكك في امرها . فهي عندبعض المشرحين عضلة واحدة وعند بعضهم عضلتان وعند بعضهم ثلاث وعلى كل حال فراسها راس واحد (٨) وكان للاطباء العرب الفضل الاكبر في عمل الرســـوم التوضيحية لمعرفة تشريح العين ومع كون قسم من تلك الرسوم مقتبسة عن اليونان الا انهم رسموها بشكل واضح واضافوا اليها اضافات مما جعــل الكثيرين اعتبار هذه الرسوم اول رسوم معروفـــة لتشريح العين .

فسلجة العين والنظــر

تقول سيغريد هونكه (لقد بلغ العرب في فرع العيون شأوا عظيما تفـوقوا فيـه على اليـونان وساعدهم في هذا اكتشافاتهم الناجحة في علــم البصـــريات (Optik) الذي يعد علما عربيا دون اية مبالغة) اجل لقد احدث العرب ثورة في علــم الضوء عند ما اعلن ابن الهيثم آراءه ومنــذ النظرية القديمة في كيفية الابصار كانت الفكرة القديمـــة المتوارثة عند الاغارقة تتمثل في ان الابصار يكون عن طريق خروج شعاع من العين حين يقع على المبصر بسبب الاحساس بالابصار ، شعاع له ارادة موجهة عنيدة تريد مستقرا، جاء ابن الهيثم واثبت ان الضوء مجموعه من احداث وان له وجودا في ذاته وانه ينتقل طبقا لنظام ثابت ذي نموذج آلي مسبق في كل زمان وفي كل مكان والاضواء كلها من مبنى واحد ، سواء كانت اضواء ذاتية من الشمس او الكواكب او اضواء عرضية او اضواء صادرة من فتيلة مشتعلة ، كلهــا تخضع لنظام واحد من المبصر الى البصر على سموت خطوط مستقيمة (٩) وهو الذي قال ان شبكية العين هي مركز المرئيات وان هذه المرئيات تنتقل الــى الدماغ بواسطة عصب البصر وان وحدة النظر من الباصرتين عائدة الى تماثل الصور على الشبكتين (١٠)

يقول الدوميلي « تقدم ابن الهيثم في كتــاب (المناظر) تقدما ملحوظا وبقطع النظر عن تاكيــده ان الضوء ينشأ من المرئيات وليس كما ظنه اكثــر القدماء من ان الضوء يخرج من العين ليلمس المرئيات بطريقة ما ، نجد في كتاب المناظر وصفا للعــين وادراكا للرؤية ادق كثيرا واكثر تجديدا من جميع من تقدموه ، ونجد وصفا لظاهرة الانكسار الجوي ، ومحاولات الرؤية المزدوجة بالعينين واول استعمال عرف للغرفة المظلمة ، الخ » (١١)

يقول الدكتور الشطي (وبحث في كتابه ايضا عن قوى تكبير العدسات وقد تكون كتاباته هذه هي التي أومت اختراع النظارات (١٢) .

وكان الرازي اول طبيب لاحظ تجاوب بؤبؤ العين مع النور ضيقا واتساعا وسجل ملاحظتــه هذه (١٣) وروى ان بعض الكحالين العرب مال الى التنويم المغناطيسي بحكم صنعته فقد ذكــر داود الانطاكي في تذكرته في مادة مغنطيس ما يلي « يصنع من المغنطيس كحل ومن الحديد كحل اخر ، وتكحل من شئت من الحديد وتتكحل انت من المغناطيس فاذا اطلت النظر اليه فانه ينقاد اليك وقــد جربــه ابن سينا (١٤) »

جراحــة العــين

عملية الساد (الماء الابيض) (١٥)

كانت العملية السائدة عند البابليين والمصريين هي دفع العدسة المعتمة الى داخل العين بواسطــة ادخال ابرة حادة في العين وعند وصولها الى العدسة ترفع الاخيرة بلطف الى الاسفل لتستقر داخل كرة العين بعيدة عن منطقة البؤبؤ وتسمى هذه العملية في الوقت الحاضر (Couching) او قدح العدسة واستمرت هذه الطريقة في الحضارة اليونانيـــة واستعملها ابو قراط وجالينوس . جاءت الحضارة العربية وترجمت الكتب اليونانية ولم يكتف العرب في العصر العباسي بذلك بل اضافوا وسعوا الــى التطــوير .

ذكر الطبيب الرازي انه من الممكن استخراج الماء الابيض من العين بعد قص قسم من قزحيــة العين . وعملية قص القزحية لتوسيع البؤبؤ هي الخطوة الاولى في العمليات الحديثة لهذا المــرض والتي تعرف بـ (Iridectomy) وجاء بعــده عمار بن علي الموصلي وذهب الى ابعد من ذلك بكثير بان استعمل انبوبا زجاجيا دقيقا ليدخله في مقدمــة العين ويفتت العدسة المعتمة ثم تمتص هذه العدسة

---

(٨) القانون : ابن سينا جزء ١ ص ٤٠

(٩) ابن الهيثم : احمد سعيد الدمرداش ، ص ٩٠

(١٠) الطب العربي : امين اسعد خيرالله ، ص ١٨٠

(١١) العلم عند العرب ـ الدوميلي ص٢٠٦

(١٢) مجموعة ابحاث في تاريخ العلوم الطبيعية الدكتور احمد الشطي ص٤٠

(١٣) فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم زكريــا هاشم ص٤١٤

(١٤) تاريخ العلوم في الاسلام : انور الرفاعي ص١١٢

(١٥) ملخصة عن الدكتور عبدالمنعم عبدالحميد ص٦٧-٦٩ مجلة الجامعة عدد ٥ السنة الثانية .

المعتمة وكانت هذه العملية هي اول عمليــــة حديثة للساد وظلت هذه العمليةسائدة فيالشرق ولم تنتشر في الغرب في القرون الوسطى .

كانت الالتهابات التي تصيب العين بعد هذه العملية اهم عائق لاستخراج العدسة بعد فتحمقلمة العين . الا ان تقدم العلم واكتشاف التعقيـــم والمعقمات وبالتالي اكتشاف مبيدات الحياة سهلت هذه العملية كثيرا .

وتطورت هذه العملية كثيرا وباشكال مختلفة .

كان آخـر مقــال في مجلـة الجمعية الطبيــة العينية البريطانية للدكتور جارلس كليمان مـــن الولايات المتحدة الذي قام باجراء ما يزيد على ١٥٠ عملية في عام ١٩٧٠ بواسطة ادخال ابرة داخل العين بقطر ١ ملم تتحرك بذبذبة عالية جـدا (٤٠,٠٠٠ ذبذبة في الثانية) بواسطة الامواج فوق الصوتيــــة (Ultra - Sonic) ضمن مسافة ١/١٠٠٠ من الانج لتعمل على تفتيت العدسة واستحلابها كمـــا نستحلب اللبن بخلطه بقوة ، ومن ثم سحبها بواسطة جهاز ماص متصل بجوف الابرة الدقيقة . وبذلك يمكن تجنب احداث فتحة كبيرة بالعين ويغــــادر المريض المستشفى في اليوم الثاني وقد كانت نسبة نجاح هذه العملية اكثر من ٩٨٪ .

واذا رجعنا الى محاولة عمار بن علي راينــــا الشبه بينهما وبين اخر ما توصل الطب الحــديث كبيرا وعلى نفس القاعدة ولكن بالات حديثة جدا . فالفكرة القديمة هي لب العملية والتقنية هي عائدية العصر لاعادة اجمل واروع ما في الانسان عينيه .

مقدمات جديدة

لقراءة الشعر الجاهلي

بقلم

خالد محي الدين البرادعي

حرية الاختيار :

بعد مرور خمسة عشر قرنا - بالتقريب - على تلك الطلائع الابداعية الشاهقة التي غسلتها شمس صحرائنا الخالدة ، ونمنمتها عرائس عبقر بين قبلة حب ولمسة انملة كانها ورق العنم. ونقلتها افواه الراحلين بين نجد والحجاز ووادي اليمن السعيد. لتزين نجوم الصحراء وتؤنس وحشة المتوحدين بين الحيرة والشام والانبار . وبين غزة والبحرين ، وفي مناطق اخرى لامست ترابها قدم انساننا المتطلع الى حجب الغيب يود اجتيازها - حتى ولو بالاحلام - . قد يخطر لانسان ما يعيش في عصر الغيت فيه الحدود بين الارض والسماء ، وربما بين كوكب وكوكب ان يسال . كيف استطاع راعي الشياه وحادي العيس . والباحث عن اسباب البقاء في تلك الدوائر البيض التي تغيب فيها الاتجاهات ان يحول الوجود الى لغة ؟ لم يحتمل هذه اللغة اعتصارا ومخاضات .. ينفخ منها فيما بعد شحنات علت بزخم ما فوق زخم الكلام العادي . تتصادم اعناقها باعناقها متوالدة من جديد في متحرك وساكن . يترك عند السماع بوحا منغما يرتفع بسامعه الى كون من القوة الخارقة غير المنظورة .. ويكون الشعر الوجه المشرق الذي شد اليه انساننا عبر التاريخ ؟

تشير اشراقات اللحن التي انبلت من هناك ان الشعر ضرورة . لم تولد كما عرفناها . بل ثمة ضرورات اخرى ، كانت هي رحيقها المصفى وسلافها المسكر . وليس بدعا ان يكون الشعر احدى ولادات السحر .. تلك اللفتة التي حاول الانسان تسلية وحشته عن طريقها . واذا كان لكل شعب من شعوب هذا الكوكب طريقته الخاصة في التعبير عن وجوده في مجالات السحر ، فيكون الانسان العربي قد اهتدى الى مسلاته الساحرة عن طريق الابجدية واذا استطاع علماء « الانتربولوجيا » ان يكتشفوا خصائص الشعوب ، ويدرجوها كلا الى فصيلته من حيث التعبير عن وجوده وتطوير ذاته من اجل البقاء الافضل، فانهم لن يتعبوا طويلا ليكتشفوا ان من اعظم الخصائص التي امتاز بها انساننا العربي ايجاده واحدة من اهم المعادلات الكبرى وهي - لغة الشعر - طبيعة هي نمت لدى انساننا المتطور . فاهتزت وربت واتت تلك الثمار اليانعة التي نقف بين يديها مبهوتين « لا علم لدينا ولا ذكر » عاجزين - الا من رجم بالغيب - عن تتبع نشاتها الاولى بشكل علمي يدعو الى الاطمئنان . خلف لنا الاوائل رجزا . وقال القائلون . منه فتق القريض .

كانت تلك المحاولة الانسانية الخالدة - الشعر - لدى انساننا الجاهلي تدور في فلك المحسوس والملموس من علله المترامي الاطراف . وقبل المضي في هذا البحث اود ان الفت النظر الى ببغائية بعض المحققين من مستشرقين وعرب حول ضيق خيال الانسان العربي والتصاقه بالارض . مقارنة بما اوجده انسان الاغريق مثلا من مخلوقات اسطورية شاركت في صنع الغيب وصنع الواقع . وهي ان المفاضلة بين الشعوب لا تقاس بالمقارنة . بل بما ابدع كل شعب على حدة . مع التاكيد الجازم على الطبيعة الجغرافية التي وجد هذا الشعب في احضانها . والتي كانت العلة الاولى لميلاد الخصائص البيئية من سلوك فكري وسلوك عملي لدى كل شعب . ويجدر التاكيد على ان حديثنا هنا ينطبق على الحالة المتطورة التي وصل اليها الشعب العربي بعد المرور بعدة مراحل بدائية كما هي الحال لدى كافة شعوب العالم .

اجل ان الشعر العربي الجاهلي الذي قراناه يدور في فلك المحسوس والملموس انطلاقا من بساطة الحياة الصحراوية الجافة الموشاة بين الان والان بتطريز جميل من موجة تداعب الساحل وشجرة نخيل ودالية .

ويسرح العربي بصره في الافق بين رحابة الصحراء والسماء الصافية لينطبع في اعماقه الصفاء والوضوح والبساطة . وتتمازج في وجدانه اشتات الصور منقولة عن واقع هو في احشائه . النجوم . الشمس . القمر مسايل الامطار. النسيم. الرياح . الجفاف . الكلاء . احجار الموقد . الظباء . حيوانات الصحراء المالوفة لديه . ادوات بقائه وتاكيد ذاته . السيف الرمح . الخمر ذات الطبيعة السحرية التي الهمت انساننا الجاهلي الكثير . يضاف هذا كله الى المراة التي لم يرسمها الشعر القديم كما هي - فقط - .

وعندما نؤكد على ظاهرة تنمية اللغة وتطويرها لدى العربي حتى لكانها الوجود كله ، منطلقين من قراءة تلك الجداول اللغوية الصافية التي تكونت من خلال احساس العربي بقيمة الحركة والنمو . فليس ترفا ان يكون للاسد مئات « الصفات » والتي نقلت الينا على انها « اسماء » وهي في الحقيقة مرافقة لحركة الاسد وليست اثوابا البسه اياها الشعر القديم . وصفات الناقة او الجمل تراكمت في قواميسنا من جراء احساس ابن الصحراء بقيمة وقدرة هذا الحيوان الذي وصلنا بالشعر كما الاسطورة التي لا حدود لابعادها . واذا قدر من خلال ضغط عوامل

البيئة ان يكون السيف رفيق انساننا نعرف بالتاكيد قيمة الصفات التي تعد بالمئات لهذا الصديق الذي طالما جلى الكرب عن وجه انساننا في رحلة الحياة الطويلة . وقدر لتلك الحياة الزاخرة بالحركة ان تكون المعين الثر لشاعرنا الجاهلي يغرف منه غرفا على مدار العصور .

وثمة وجه داخلي للحياة العربية في الشعر هو العمق الانساني الذي ترجمه شاعرنا رجزا وقصيدا . احساساته ونوازعه ونزواته . خيرها وشرها بلا قصد ومواربة . والتي ما كان يكتفي بترجمتها الى لغة الشعر بقدر ما كان يوائم اعظم المواءمة بين اللفظة والحركة . بين التصور والحياة . بين القول والفعل . لم يكن الكرم كالعظم خاصة تمتع بها انساننا الجاهلي كلفظة شاعرية . بقدر ما كان الواقع التطبيقي لها يعكسها في الشعر . ولم يتغن بالشجاعة لانها كلمة تعكس مدلولا انسانا نبيلا بقدر ما كانت الشجاعة جزءا لا ينفصم عن كيانه الانساني العام . ولم يتغزل الجاهلي بالمرأة وهو بعيد عن ممارسة الحب . بل لم يصف المرأة كما هي ابدا . بقدر ما كان يصفها كما يحبها .

كان الشاعر الجاهلي اذن مخلوقا . فارسا . كريما . عاشقا . نبيلا . يحتضن هذه الخصائص السامية التي تمثل تطور المخلوق البشري كما يحاول الخيال الانساني الراقي ان يصوره .

اما التصاق الارض والمرأة بتكوين القصيدة الجاهلية . فانما يحملان لنا الجانب الاهم من خصائص الشعر الجاهلي الذي علينا ان نتعمقه بوضوح .

البيئـــة :

الجاهلي الشاعر الف نفسه كما قلنا في بيئة ذات خصائص معينة . هي التي ساعدت على تكوين شعره والوصول به الى مراقي الكمال ممثلا بتلك القصائد الجياد التي قرأناها للفحول منهم . ولا نبالغ اذا اعتبرنا ان الشاعر الجاهلي كان يكثف وجوده بكافة جوانبه في قصيدة واحدة . ولان الطبيعة متقاربة الابعاد في انساننا الشاعر . تشابهت القصائد من حيث مسرحها الفكري . واشعاعاتها الذاتية والموضوعية ـ الامر الذي دعا النقاد فيما بعد ليعتبروا القصيدة الجاهلية كتابا مقدسا لا يجوز الخروج على نصوصه ـ وحرية الجاهلي الشاعر وبلا حدود تبرز في كل اثر شعري وصلنا . صارخا ناطقا بان الشعر الجاهلي هو التجربة الانسانية الحية التي ارتادها شاعرنا عذراء. مستودعا لديها كل نوازعه واحلامه وتطلعاته ونظرته في ذاته ـ واهله ـ ووجوده .

والشعر الجاهلي هو الطفل الاسطوري الذي عانق الحياة كاعظم ابنائها المخلوقين الخالقين دون وصاية من ناقد او لغوي او رجل تاريخ او عروضي . نما كما استطاعت طبيعته ان تمنحه عوامل النماء . بلا تأثير من مربين وحملة اختام وسدنات عروش . ووصل بالنمو والتطور الى اعلى درجات الكمال التي ان لم تتصل بالمطلق فلان طبيعة الكمال الشعري تقف هناك .

شعر رأى الواقع وعاشره وعاناه . ثم انعكس والمعا اخر منقى صافيا اسقط الدرن ليصبح نموذجا لواقع افضل .

ولا ينبغي ان يشحط بنا الخيال الى مزار بعيد . فنفهم ان الشعر الجاهلي هو النموذج الذي علينا ان نصوغ شعرنا الان على مثاله . ومن هذا الفهم الخاطىء لطبيعة الشعر وعلاقته بتكوين الشاعر العقلي والخيالي . وارتباطه بالبيئة . حاول المعنيون رسم حدود للشعر لا ينبغي تجاوزها ولم يعلموا انهم بذلك قيدوا خطوات هذا الطفل الاسطوري الذي كان بامكانه الوصول الى معارج الكمال المطلق . وكانوا اوصياء بذلك موقفوا حركة الشعر . والانفجارات التي كانت تظهر بين الحين والحين في تاريخنا الشعري . كانت تمردا على قوانين الوصاية وتجاوزا لعقلية الاوصياء . وتحطيما لقضبان سجون سجنه بها الرسميون بعد نزول القران بقليل . وهذا القليل يتمدد ليصبح مائة وثلاثين او اربعين سنة . اي منذ انتشار التدوين في بداية الحضارة الاسلامية .

لكننا ننظر الى القصيدة الجاهلية كمثل اعلى لحرية الشاعر في صوغ تجربته الشعرية . ومن ضمنها الادوات التي حملها احاسيسه وخطرات وجدانه .

الشاعر الجاهلي انسان الفى نفسه وحيدا في الصحراء . بين نجمة تبتسم له على خد السماء البعيد . وخيمة ترافقه في حله وترحاله . وناقة ينظر اليها كما ننظر اليوم الى طائرة نفاثة او قطار متقن الصنع والحركة . ووجد بين يديه حواء رفيقته وملهمته . ومستودع الجمال المحسوس الذي اضفى عليه الكثير من تطلعاته الذكية والمثلى .

وازاء وحدته بين ثنائية الارض والسماء كان عليه ان يفعل ويتكلم فماذا يقول ؟

سمع السيمفونية الطويلة المبهمة الالحان . تعزفها قدرة لابد من وجودها . بعضها في بكاء الغيم وضربات الرعد الرعناء . وبعضها في عويل الرياح ذات المصدر الخفي البعيد ، وبعضها في حسيس النار الباهرة ، وبعضها في حفيف النسمة البادرة في جمود الصقيع المحرق . والبعض الاخر كان ينبع من طنين اذنيه وهو ينظر الى امواج السراب تهتز كاعمدة من ماء على مرمى البصر في الحر اللافح المحرق في ثغر الافق وكان لابد له من ان يتكلم .. فغنى .. مؤنسا وحدته . وتلذذ في الغناء وهو يبصر الناقة الامينة الذلول تنصت لهذا الغناء الشجي فاستمر . يصفها ويستوحي من خطواتها . اي ان الشاعر الجاهلي كان بينه وبين حيوانه واشيائه علاقة اخذ وعطاء ، وتفاعل في سبيل البقاء . ونظر الى حواء الملهمة التي انتصبت امامه رمزا لاستمرار الحياة . واكتشف تلك العلاقة الحميمة بين الارض والمرأة من حيث هما سببا الوجود والتوالد والاستمرار . الارض تنبت له الكلأ ، وحواء تنبت له الانسان فيبقى . فكل ما في المرأة شهي ولذيذ وجميل . وكل ما في الارض شهي ولذيذ وجميل . فكانت حواء مدخله الى محراب الشعر وكانت الارض محرابا لهذا الشعر باحجارها . وكثبان رمالها ، ومسايلها وشعابها واسماء ابارها .. كانت الارض جسد القصيدة الجاهلية يطرح عليها انساننا الشاعر كل بضاعته . حتى خفقات قلبه . وكانت المرأة المخلوق الشهي اللذيذ . باب الشعر الذي يفتحه برفق لدخول الهيكل . وتتنوع لدى شاعرنا الخالد عملية الدخول . فهي قبلة حينا ، ودمعة حينا . ولمحة من ذاكرته حينا اخر . وقد تكون رسما لاحدى لوحات الخيال البريء بين الحين والحين . اما جسد القصيدة الذي يعج بالنشاط فهو مستودع هائل لتلك اللباقة التعبيرية النادرة المثال . البارعة في التوافق المدهش بين توظيف اللغة لرفع المحسوس . وبين الاشياء الخام التي كانت تتشكل منها القصيدة الجاهلية .

واذا توصلنا الى ان اللغة هي المعادلة الطبيعية التي استطاع الانسان الجاهلي الحياة عن طريق حلها . نصل الى عدة نتائج هامة . منها او من اهمها ان الشعر ضرورة للانسان الجاهلي . مع تأكيدنا على ان الشعر رفيق الانسانية منذ اكتشاف خفقات القلب وخطرات الوجدان اينما وجد الانسان مما حدا بانسان كهامان ان يقول «الشعر هو اللغة الام للبشرية». لكنها ضرورة اكتشفها انساننا الجاهلي وعاشها ونما بها ونمت به دونما وصاية او اكراه .

المعاناة :

الانسان الجاهلي سائر . او قل هو يدور في مزالق الصحراء لا يكاد يستقر بمطرح . والقراءة واعية للاثار الشعرية الجاهلية تطلعنا على ان الرؤية الشعرية للجاهليين ، بما فيها من حركة ونمو هي ترجمة هذا الانسان الى شعر . الشعر لدى الجاهلي . هو الانسان الجاهلي نفسه . واذا وجد في هذا العصر من يصف الحضارة الجاهلية بانها حضارة لغة. يحق لنا كخلفاء لذلك الانسان العظيم ان نفخر بهذه الخاصة ، لا ان نقلدها بخطو ببغاوي ارعن ، بل توصلا الى ان الدفع الزاخر الذي حملته اللغة العربية قبل القرآن كان اصدق ظاهرة لاثبات الانسان العربي ذاته في مجال الحركة والتطوير وتوكيد نفسه في الوجود عن طريق اللغة ذاتها . حيث استطاع رسم وجهه الثاني في مجالي الفعل والاختيار . وكان الشعر عملا متمما حمله الجاهلي نسخة ثانية من كيانه . وحركة الانسان الدائبة في الصحراء عكستها لغته بشكل تصورها حركات الاعراب نفسها . لا يبدأ كلام العربي بساكن ، لا يلتقي في اللغة ساكنان. معظم القصائد الجاهلية التي وصلتنا تبدأ بفعل . « قفا نبك » « صحا القلب .. » « ودع هريرة » « سائل معدا » .. الخ

معظم القصائد الجاهلية تبدأ هذه البدايات التي تنم عن الحركة ـ والسير ـ والرغبة في الاستمرار وما تبقى من القصائد وهي قليلة ، لا تبدأ بفعل تبدأ باحرف استفهام . من ؟ لمن ؟ اين ؟ هل ؟ او تنبيه . الا . أ . او نداء . يا . أيا . أ . ونتساءل بعد هذا الكشف عن احد جوانب التجربة الشعرية الجاهلية . هل جاءت الحركة الى مطلع القصيدة مصادفة دون اختيار من قبل الشاعر الجاهلي ؟ وهل كانت حواء التي احتلت مدخل التجربة الشعرية حلية او زخرفا في القصيدة ؟ وهل اقحم الشاعر الجاهلي الدمن والاطلال في قصيدته بلا معنى ؟

ان الحركة . والمرأة . والطلل كثالوث مقدس في الشعر الجاهلي ، يعكس لنا بشكل خفي وربما لم يتنبه له دارس او محقق حتى الان طبيعة المعاناة وتشخيص الصدق في العمل الفني الانساني الخالد .

ان الثالوث هذا ترجمة للفعل ـ والحب ـ والتعلق بالارض. كوجه خلفي او عمقي لشكل الانسان العربي الذي كشف ذاته في لغته ومنحها ما يريد ان تمنحه اياه الطبيعة من طول وعمق وحركة واستمرار . مما يدعونا الى التأكيد على ان الشعر الجاهلي كان معاناة من قبل الانسان لرسم انسانيته فيه . وعندما نصف هذا القدر الذي وصل الينا من شعر اسلافنا الخالدين . بانه ديوانهم . ومرآة وجودهم . وحامل حركتهم والمعبر عن تواجدهم في هذه البقعة من العالم . علينا ان نضيف لكل ذلك ان الشعر الجاهلي بما حمل من فخر ذاتي ، وقوة انتماء قبلي ، ووصف حي للطبيعة والحياة ورسم دقيق لم ينس خطا واحدا من خطوط الحياة العربية في فترة ما من التاريخ . كان هو الانسان الجاهلي نفسه بمعاناته وتركيبته النفسي والفكري ـ ونزعة تطلعه ، او ملكة تشبثه في الحياة ومواجهة همومها . او بتصير وجودي كان يختار مصيره وينقله بالشعر . واذا كانت كل « حقيقة لا تكون الا بفعل عاملين ، عامل البيئة وعامل الذاتية الانسانية » كما قال سارتر فالشعر الجاهلي هو الاثر الاعظم الذي حمل في طياته هذه المعادلة بكل صدق . فنجد في لغته الجزلة المنسوجة على نول الجمال العبقري البالغ روح ذلك الانسان وموقفه من الحياة والاخرين متغلغلا في البيئة ، ومتغلغلة فيه البيئة كاكمل ما يكون التداخل والاعتناق والالتحام . حتى كان القارىء في كثير جدا من هذه القصائد لا يستطيع ان يسأل عن مفردة لا لزوم لها في الشعر . اي انه شعر ليس فيه « حشو » تلك الخاصة التي انزلقت الى الشعر العربي فيما بعد وشوهت الكثير من معالمه وعندما ضاقت نصوص القوانين بتمدد الانسان وسعته .

كانت التجربة الشعرية الجاهلية كما نفهمها تجربة خاضها الانسان الجاهلي مختارا شكلها ، وارضها وخلفيتها وعمقها . فمن حيث اللغة كان الشاعر حرا في اختيار الفاظه، بما يتلاءم مع مستواه الفكري ، ومظاهر حياته وخصائص بيئته . ومن حيث الموسيقى فقد ظلت الفترة الزمنية التي وصل الينا جزء من نتاجها الشعري فترة مخاضات ايقاعية ، وولادات موسيقية لم تحصرها القوانين ، ولم تقيدها الاقياد ولم يخنقها الاوصياء والنقاد . كان الشاعر لا يهتصر قافيته ويشدها او يمطها حتى تخضع للقالب « الاعرابي » وظهرت في الشعر الجاهلي الحركة المختلفة عن حركات السياق والتي سميت فيما بعد « بالاقواء » . وكان الشاعر الجاهلي يتحرر من دقات الايقاع الذي سحرنا بالضجيج الموسيقي الصاخب ويختار كلمات تظن انها حطمت وزن البيت ، كان حرا في اختيارها . لكن الاوصياء بعد العصر الجاهلي وجدوا لها وعاء خاصا اسموه « بالاشباع » . وكان الشاعر الجاهلي يخرج نهائيا عن الاوزان المألوفة لدى معاصريه وسابقيه . ويصنع لنفسه عملا شعريا تتخلق فيه الموسيقى بشكل نطلع عليه الان فنحسبه مليئا بضربات وايقاعات غير متجانسة ، كما هي الحال في البحور العروضية السليمة . وهذه الظاهرة شملت شعرنا الجاهلي بشقيه ـ الرجز ـ والقصيد ـ . وابرز من هذا كله ان البيئة الجاهلية بكل ما فيها وذاتية الانسان الجاهلي بكل ما فيها ، كانتا ميدان الشعر الفسيح ومسرح تجارب الشاعر الخلاقة . لم يكن في الشعر الجاهلي غزل . وفخر . وهجاء . ونسيب . ووصف . والى هذه المرفقات التي حبل النقاد زمنه طويلا وتمخضت عنها ارحامهم الفارغة . كل هذه الخصائص كانت دفعة واحدة بالقصيدة الجاهلية . البكاء على الاطلال كان واقعا ملموسا ولم يكن زخرفا جماليا في الشعر ، المطلع الغزلي كان الشحنة الاولى التي تتفجر من ورائها مخزونات النفس الشاعرة. الرحيل على الناقة والجمل ، والصيد والرعي . ونصب الخيام. وصليل السيوف وكرع الخمر والانتماء القبلي . والاشارة بعظمة القبيلة . كانت هذه المظاهر التي عرفناها ميدانا للشعر . كانت جزءا او اجزاء من صميم تكوين الانسان الجاهلي وقراءة المعلقات فقط كعنصر بارز من عناصر هذا الشعر مع الاطلاع المبدئي على حياة اصحابها ، تقدم لنا الدليل على ان الشاعر الجاهلي لم يكن زائغا في انتقاء مسرحه الشعري وملموسه وجوه الموسيقى ، بقدر ما كان ممارسا لهذا الانتقاء . وحرا في ممارسته وقد يسأل سائل ونحن نتعمق جلود الكمال في الشعر الجاهلي سؤالين لا انكر انهما طرحا في معظم الدراسات التي تناولت هذا الشعر العظيم . وقد مرا بذهني منذ عشرين

سنة ، عندما كنت اقرا الشعر الجاهلي . واراء اللاحقين به من عرب ومستشرقين . وهذان السؤالان هما .

١ – اين وحدة العمل الشعري في القصيدة الجاهلية ؟

٢ – لماذا طغى عنصر الوصف على هذا الشعر حتى كاد يستهلكه؟

ولا اظن مبغيا ان السؤالين خطرا للشاعر الجاهلي نفسه. اي اننا نسالهما من خلال احساسنا بقيمة الشعر وتنوعه واتساع حدوده وآفاقه . ونحن في القرن العشرين . بزمان غير الزمان . ومكان ان لم يكن قد تغير فلا شك انه طرا عليه الكثير من التعديل والتبديل .

وبالتالي هل من المنطق ان نسال الشاعر الجاهلي ان يكون ترجمانا امينا لذاتية الانسان في القرن العشرين ؟ بل المنطق ان نعيش قدرة ذلك الانسان وتكوينه العقلي ، ثم نعكف على دراسة منجزاته فان تفوق الانجاز على امكانية متاحة للمنجز نقول على الفور انه تجاوز عصره . وان تفوقت امكاناته المتاحة على حجم ونوع انجازه اتهمناه على الاقل بالخور والجمود . وهذا ما لا يوافق مفكر او مثقف على الصاقه بانساننا العربي الجاهلي الشاعر .

قلت في سطور سابقة ان الحركة الناتجة عن سرعة التنقل هي التي طبعت الجاهليين بطابعها . وانعكست هذه الحركة على لغته وشعره فكلامه يبدأ بمتحرك كانما اللغة تتململ .. لتنطلق في رحاب العالم غير المنظور تكتشفه . وشعره في الغالب يبدأ بالفعل الذي يعبر عن تلك الحركة . واسبغ هذه الخاصة نفسها على كل ظاهرة تبرز له في ثنايا رحلته الحياتية المعطاء . اسبغ على كثير من الاسماء صفات تحول هذه الاشياء الى اساطير .. الى شحنات تتفجر طاقات الشعر منها جميعا . حتى كفاحه من اجل البقاء كان – سيرا – فتحا – تحركا – تموجا في وديان الحياة . ارايته بعد نزول القرآن مباشرة كيف انزرع في رحاب العالم من شرقه الى غربه ومن شماله الى جنوبه ؟ وكانه المارد تفجر عنه القمقم ليملأ الحياة البشرية بالعطاءات والهبات وتاكيد الذات في الارض ؟ اما قرات تاريخ هذا النفر الطائر في الفتوحات العربية في القادسية ، في دمشق ، في حمص، في اسبانية في مصر في افريقيا ، في فارس ، في الهند ؟ الم تحس بان هذا العربي المسافر في خياله وعينيه وقدميه ويديه وشعره .. اراد ان يتجاوز الكوكب . الارض ، الى سدرة المنتهى ، ودوحات عليين لدى الملا الاعلى ؟ الم تر الغافقي الذي هجم على البحر بحوافر مهره يود ان يقتحمه ؟ لن استرسل في ضرب الامثلة لانها كثيرة .. وجزء منها ينبئك اليقين . ولماذا نريد – الان – ونحن نقرا التاريخ والادب والفلسفة وعلم النفس، وشذرات من العلم المنظور ان نقيم الجاهليين بنفسية انساننا المعاصر القلقة التي ازدحمت في ظلماتها من الثقافات والعلوم ، ونطالب شاعرنا الجاهلي بان يكتب قصيدة وحدة البنـاء الذي – اصبحنا الان نفهمه – واذا ما تهدم بيت منها تنهار كما لو كانت حائطا منسوجا ؟

في واقع الامر ان القصيدة الجاهلية لم تعتمد البناء الكلي المتسق للعمل الفني بحيث لا تخلخلها الزيادة والانتقاص. ولكن طبيعة البيئة الجاهلية المتحركة السائرة . والتي كانت التجربة الشعرية نقلا « مثاليا » لها فرضت على الانسان الجاهلي النسق الشعري الخاص ، محمولا في شحنة وجدانية تغلي وتصبب قطعا قطعا كانها جمال القافلة او خراف القطيع اسميت كل شحنة منها بيتا ولم تكن القافية الرنانة الا الخيط الذي يربط البيت والبيت . وكان من اختيارات الجاهلي لفنه – وربما عن تصميم وتصور مسبقين – ان تكون كل شحنة شعرية مستقلة ببنائها المحكم المتقن . بحيث اذا ضاع من القافلة جمل لا تضيع القافلة ، واذا ضاع من القطيع حمل لا يضيع القطيع ولكن ابتعد بهذا التحليل عن تلك البيئة الجاهلية نفسها ، قلت القافلة ، وقلت القطيع . كظاهرتين من تلك البيئة . تتوافر فيهما – الحركة – واسرار البقاء – .

وقراءة متانية للقصائد الجياد الجاهليات ترينا ان الابيات لو زادت او نقصت تظل بين ايدينا روح الشاعر وجو القصيدة العام ، وقسط وفير من الخصائص الفنية السامية التي عانى شاعرنا الجاهلي وجاهد في سبيل خلقها .

اضيف الى هذا التحليل ملاحظة لم يشر اليها قط دارس لهذا الشعر خلال مئات السنين الماضيات بمن فيهم نقادنا المعاصرون الذين منحوا هذا الشعر حياة جديدة من خلال قراءته وتعريفنا به . هي فقدان النهاية من العمل الشعري الجاهلي . وحيث ينتهي الشاعر الجاهلي من انشاد قصيدته يدفعنا لنتساءل . وبعد ؟ . القصيدة ذات مطلع بالتاكيد . حتم عليه الشاعر ان يكون مدخلا الى محراب شعره . واما من بين آثار مضارب خيامها واطلال اهليها . ولكن الباب الثاني لهذا المحراب المقدس يظل مفتوحا على مصراعيه ، حتى لتحس بان الشاعر الجاهلي عائد اليك يستانف رحيله الشعري مرة اخرى ، فهل نضيف هذه الخصيصة الى طبيعة الحركة ؟ طبيعة الرحيل ؟ طبيعة السير الذي اراده الجاهلي لنفسه ؟ وان شاعرنا ما دام ينقل لنا وجودها شعرا يريد لهذا الوجود ان يستمر . وانه لا يريد ابدا ان يضع الخاتمة لعمله الشعري ؟ من يدري ربما يكون ذلك تعبيرا عن اختياره وحريته . وسمة خاصة في شعره العظيم .

ثم لماذا طغى الوصف على تجربة الشعر الجاهلي ، اليس هذا هو السؤال الثاني الذي طرحناه ؟ اجل . قلت ان الانسان الجاهلي يسير وكل ما بين يديه من مقومات حياته سائر . سد مارب التاريخي الذي كان سببا لبناء حضارة عظيمة من حضارات الامم . هو الآخر سار . الحبيبة تنزلق من امام ناظريه . ولا يراها الا محمولة في هودج على ناقة في قافلة تبحث عن الكلا .. حامل اكسير الحياة . في خضرته الزاهية ، البيوت التي يتبطنها .. هربا من حرارة الشمس الحارقة ، وصقيع الشتاء الكالح .. وبها يلوذ الى نفسه بين الحين والحين . هي الاخرى تسير .. ترحل .. تنقل مع القبيلة او مع فخذ من افخاذها . الخرفان تركض .. وعيون المها الزئبقية تنفض غشاء الصمت والسكون ، وتسير هي الاخرى . الظباء التي طالما سرق منها العين الساحرة واللفتة الباهرة ، والخطوة الراقصة .. هي الاخرى لا تقف قط امام عينيه في مكان ما . وحياته اذن رحلة .. مسير لا وقفة بعده . ترحل مستمر منذ كان جنينا حتى يستل عنقه سيف او يغتاله الموت في ساعة غفلة .

اما كان ذلك الانسان يحن لاستجماع اشياء لا تستقر بها ارض ولا ينعم بها نظر طويلا . في ذاكرته على الاقل . في وجدانه المرهف وفي فؤاده الذكي . بالتاكيد ما دام وجد السبيل الى ذلك متاحا له في كشفه السحري الباهر الممتع المدهش ، الشعـر .

الشاعر الجاهلي رسام . لم تسعفه العين المجردة على رسم صوره فاستعان بعين خياله . لينفذ منها شعاع سحري

انيق . يحيل حياته الى لوحة بارعة لها مطلع وليس لهـــا نهاية . ذات الوان ليس قوس قزح احلى ، وذات حياة ليست الطبيعة اكمل . حسناء عذراء . نحتت من مقاطع الضوء في ساعات الصفاء الملهم ، عليها ثياب من سندس ، واستبرق يطوف بها ولدان مخلدون .

الانسان الجاهلي شاعر عانى الحياة رحلة بلا توقف . هو على صهوة جواده الذي احبه . وكان له صديقا وفيا . فاقسم ان يخلده ومنحه الكثير . وامامه ناقته الـــذلول . وبعيره السفينة ، يتهدجان على شوك البادية او رمال الصحراء. اليسا صديقيه في رحلته ؟ ويمر ظبي فقد اقرانه . اللهفة ملء قفزاته . والحنان ملء نظراته . والبحث عن امه او حبيبته ، شنقه في اشرئباب عنق اتلع لن ينحني .. اليس جديرا بهذا الشاعر ان يلتقط له صورا عديدة في طريقه ، يعيد النظر فيها ويمنحها بالشعر حياة اخرى ؟ كان الشاعر الجاهلي في رحلته الشعرية ، سابحا فوق المحسوسات والموصوفات يحط حينـــا ويحلق حينا . يختطف مشهدا خطف الطائر شربته انا ، ويقف وقفات قصارا ليتمحص المشهد الذي ينقله آنا آخر ، ويلح بين الحين والحين على التعمق في خطوط المشهد وجزئياته . حتى اذا نقله وفرده بين يدي حبيبته الملهمة لا يترك لها مجالا لسؤال عن جزء من اجزائه .

كانت الصورة في قصيدة صورتين ، صورة المشبه ، وصورة المشبه به . وكثيرا ما كان يمحو الفرق الزماني والمكاني بـين المشبه به ليحتل الاثنان حيزين متكافئين في قصيدته . مضيفا عليهما لمسات من روحه الشفافة وخياله ــ الخالي من التعقيد ــ وقليلا ما كان يلجأ الى تصوير غير المرئي . لكان ذاكرته في رحلته كانت وعاء حشرت فيه اشتات من الصور .. ولم يبق فيها مكان الا لما يوحيه قلب العاشق ، وتصور الفارس لباسه وشجاعته وكرمه وعفته وحفاظه على فضائله المثلى بالنسبة الى مجتمعه القبلـي .

وكثيرا ما كانت صور الشاعر الجاهلي ملتصقة بذكرياته الماضية قريبها وبعيدها . واثناء التصوير يعن له ان يسرد قصة من قصصه الماضية . كرحلة صيد ، او رحلة حرب . او مغامرة مع الانسان المعبود حواء الخالدة .

الوصف اذن من طبيعة التركيب الاصيل للتجربة الشعرية في الصحراء . كانت الصورة في القصيدة المفاعل الشعري الذي يحفظ توازنها . ويركز اجزاءها من جهة . وعن طريق الوصف كان الانسان الجاهلي يؤكد وجوده كناقل ومضيف ورابط بين الترحل بالحبل الشعري المدهش الريشة واللوحات .

ان احساسا ساحرا اخاذا كان يلاحق الانسان الشاعر في تلك الفترة من تاريخه ان يحتفظ باكبر قدر من الصـــور في محرابه الشعري العبق الموشى بزخرف الجمال والبراءة . وهو لهذا ماضٍ على شيء رآه في رحلته دونما احتفاظ بتوقيعه . من عزيف الجن في الصحراء الناتج عن اشتباك الريح بالرمل . حتى رسم الصورة الدقيقة لدبيب النمل في مفاصله بعـــد احتساء الخمر . وشكل الحياة المنزلقة امامه بكل ما فيها . حتى جبال الرمال التي يراها في بعض مناطق الجزيرة العربية. كانت تتحرك منزلقة من مكانها . هو الذي أملى عليه ان يكون المصور البارع الانامل . والدقيق الخطوط . والقوي الملاحظة. لكانه بمجموع ملكاته . عين ترى . وريشة ترسم . ليخـــرج من هذا التلاحم البصري اللمي ضجيج موسيقى يكتمل كل يوم بل لدى كل شاعر .

مغرقا فيه ذاته الهائمة الخالية من العقد .

الواقع والفن :

الاكتفاء بالقول ، ان الشاعر الجاهلي رسام مدهش ، لا يفي ذلك الانسان الفنان حقه من الوصف . وان هو كفـــاه فسيظل سؤال يلح علينا ، وقد ظل موضع اخذ ورد بين النقاد العالميين حول الادب الكلاسيكي . هو : هل الشاعر رسام فقط ؟ اذا كان الامر كذلك فهو لم يشعر حتى وان نقل خطرات الوجدان من حزن وفرح وتطلع وتذكر ، لان النقل الامين لما في الطبيعة هو احد جوانب العمل الفني . وتظل هناك رؤية الفنان نفسه . وتدخله في صنع الطبيعة كشريك صانع في عملية اكتمالها وتطويرها، اليس كذلك ؟

وقراءة الشعر الجاهلي الدقيقة المتانية تطلعنا على اكثر من وجه مشرق لهذا الفن الخالد . من هذه الوجوه تنميه الحركة الطبيعية الموصوفة في التكوين الموسيقي الذي فتح ابوابـــه الشعراء الجاهليون ، وتركوا الشعر العربي منذ نزول القرآن حتى منتصف القرن العشرين عالة عليهم . وعلى كشوفهم المهمة. ومن هذه الوجوه نحت الظواهر الموصوفة وتهذيبها ونقلها الى الشعر كما يتمنى الشاعر لا كما هي في موضعها من الواقع . ومن هذه الوجوه رفع حواء عن مرتبة المخلوق البشري القائم على اساس الوظائف العضوية الى جعلها نموذجا مثاليا للجمال الانثوي المشتهى . ولم تكن المراة في الشعر الجاهلي الا هذا المثال .

من هنا نرى ، ومن خلال نصوص الشـــعر الجاهلي ان الاشياء التي احبها الشاعر احببناها نحن بمجرد عرضها على الاذن او العين بعد تلك القرون الطوال التي تعاقبت على وجود هذا الشعر . فمن منا لا يحب الكرم ؟ ومن منا لم يمر الخمـــر بباله ــ حتى ان لم يشربه ــ ومن منا لم يتمن رؤية الظباء وهي تسبح على رمال البيد ؟ ومن منا لم تعجبه تلك المنـــاقب والخصائص التي حملها الشاعر للجواد ؟ ومن هو الانسان الذي قرا شعر الصعاليك ولم يحب عروة بن الورد مثلا ؟ مع العلم بان جانبا من حياة الصعاليك وسلوكهم كان شـــرا كله . ان الشاعر الجاهلي حدثنا عن احجار الموقد فاحببناها . وارتسمت في اذهاننا دون ان نراها . وحدثنا عن ركوب الابل وامتطـــاء الجياد ، فالفينا بانفسنا حنينا مسرفا الى ممارسة ولو للحظات تلك الحياة على سذاجتها وبداوتها وخشونتها المسرفة. الا ترى معي ان السيف . المهند . الفيصل . العضب . الحسام . عندما نستخدمها الآن في شعرنا ونثرنا جميعا نستشعر امامها العمق التاريخي والشحنة الشاعرية التي اكتسبتها من خلال مرورها في ذاكرة الانسان العربي جيلا بعد جيل ؟ وهي مرتاد نرتاده في كل استخدام فكري او فني كاحدى خلايا الرمزية اللغوية في ادبنا . نتكلم كثيرا عن السيف ونحن في عصر الذرة . اترانا نقصد السيف الذي رسمه الجاهلي كاداة للقتل ، او هو رمز خصب في ذاكرتنا الجماعية . ينبهنا فورا الى الشجاعة . الاقدام . الحفاظ على البقاء . الانتقام . هذه صورة واحدة كانت لهـــا وجوه وخطوط في المحراب الشعري الجاهلي . واذا تركنـــا الاشياء التي لا نزال نشارك الشاعر الجاهلي في استخدامها من الكلمات المالوفة في اللغة . ترانا منشدين تلقائيا الى صور لا تربطنا بها رابطة من حيث ممارسة الحياة . واصبحت لدينا رموزا شعرية او اساطير شعرية . كلما زاد استخدامها اتسعت اعماقها وتمددت ابعادها . لقد ظل الشاعر الجاهلي بمغامرتـــه الشعرية مولدا شعريا يمدنا بالطاقة والحركة . حتى ونحن مبتعدون جدا عن طريقة نظمه . وعن قاموسه الشعري . واذا

ابتعدنا عن صور الشاعر التي امدتنا بهذا المعين نجد ان حياة نفر من هؤلاء الشعراء وحكايا مقتلهم او معاركهم . عنترة . امرؤ القيس . طرفة . الخنساء . لبيد . الاعشى . مسعود الحكماء . النابغة ... نجد ان حيوياتهم . او سلوكياتهم . غدت ذخيرة للرمز في ادبنا . كلما اغرقنا بالرحيل الى المستقبل ، تبدت لنا منها اساطير ملهمة ورموز شعرية .

اما حواء فطالما الهمت وفعلت وتفاعلت . واثرت في هذا الشعر العظيم . ان قارىء الجاهليين لا يزال يحتفظ باسماء لحواء ان تذكرها فرموزا . ولئن استخدمها فرموزا . وما كان الا من خلال التعاطف والحب . فكافة المهندسات النسوية التي خلفها الجاهليون حبيبة الى قلوبنا .

انتساءل لم كان هذا كله ؟

الجاهلي — الا في القليل النادر — لم تكن حواء بين يديه الا ملكا كريما في محراب الشعر . ولم يتناولها في ريشته الساحرة الشاعرة كما هي فقط . المراة لديه ملاذ . وبداية رحلة . وحضن دافىء ، وصنم مرمري مقدس ، واله ملهم . ومحاور ومستفهم . ومستودع ذكريات . وسم كل شيء بالمراة ابعد من عمقه ، واطهر من وضعه . واكثر شفافية من سماكته . لم يصور لنا الجاهليون امراة شرسة نكدة . ولم يوصلوها الى جناح الشعر مثقلة بوظائفها العضوية — الا في حالات الهجاء القليلة — . وفي الغالب الاعم كانت مولدا شعريا لشاعرنا الفارس النبيل. ترحالها يلهمه ، ونظرتها تنطقه ، وهجرانها يفرد له المغلق من سراديب ذكرياته ، وهي بعيدة جدا عن تكوين الانسان البيولوجي ، فهل قرانا لشاعر جاهلي دون ان نحتفظ بهذه الصورة . ان المراة وهي نائمة تنشر المسك والزعفران وكافة اصناف الطيوب . وان الانثى الجاهلية دائما عطرة ينضح من فمها الطيب . ودائما جميلة وضاجرة وفتانة لكان الشاعر البسها غلالة مسحورة لا يريد ان يراها الا من خلالها . وكان خياله الرسام يمده بالكثير من الصور الخلابة المتدفقة بالسحر والجمال والصفاء والطهر . فالرسوم الطبيعية المنتزعة من البيئة الجاهلية ، والتي رصف بها جسد حواء وجوارحها ، كانت كلها شهية الطعم ، لذيذة المذاق ، محببة الى النفس ، لونا وشكلا وشذى .

عنق المراة كجيد الغزال وشفتاها كاوراق الورد . وعيناها كعيني البقرة الوحشية . تجمع بين سواد الليل ونقاء الفجر بسمتها تغريك دائما باستجداء اللذة . وحديثها يوحي اليك بطعم فمها العسلي واسنانها كاوراق الاقحوان . وشعرها جدول من جداول الليل يتيه المشط فيه . ونهداها جامدان متماسكان دائما . وبطنها قطعة من نسيج فني املس . وهي دقيقة الخصر ابدا حتى لكانها قطعتان التحمتا بعنق دقيق . وكان يخشى الشاعر عليها من ان تتقصف اثناء المسير . ولرقتها لا تكاد تلامس قدماها الارض بل تكاد ترقص كالحجال . ويرى فارس كامرىء القيس فيدعي ان النملة الصغيرة لو سارت على بشرتها لاذتها او جرحتها . واخشن ما عليها ان تستتر به هذا الجمال الباذخ وهذه الرقة المفرطة ، الخز . اما السوار والدملج والقرط فقد بثها الشاعر الروح ونفخ فيها فاذا هي تتحسس مواضع الجمال من هذا الجسد المثير . واذا اعتصر الشاعر ثوبا لامس جسمها لقطر منه المسك والكافور والطيب . ولاثر الموجد الذي تفرزه جوارح المراة هو دمعها . ولم يبخل الشاعر على هذا الاثر فاكسبه الكثير من الرونق .

والمراة لا تبرح ذهن الشاعر الجاهلي . ولا تفارق خياله .

واننا نحس الان ان الجاهلي كان ينظر الى هذا المخلوق الساحر — المراة — نظرة فيها الكثير من التقديس والتاليه والعطاء والخير . فهو اذا فرد ذكريات الامس يدخل حتى الى ذاكرته من خلال حواء ، واثار اقدامها وصورة هودجها ، ووسوسة حليها ، ومن وراء نظراتها الذابلة الهادئة . وكان التجربة الشعرية الجاهلية مرتبطة بالتكوين الانثوي الذي يذكر شاعرنا الجاهلي بسر مغلق من اسرار التوالد والبقاء . وعنصر الانوثة كان لديه او في غمرة شاعريته الفياضة الانبوب الذي يتدفق منه جدول الشعر الطيفي التركيب . وتركيزنا على هذه الخاصة جاء من الالتحام الوثيق الذي كان بين القصيدة وبين حواء . فدريد بن الصمة يرثي اخاه متوجعا متفجعا ولكنه يصل الى احزانه من خلال « ام معبد » . وزهير بن ابي سلمى ينثر حكمه التي حملت مثالية المجتمع الجاهلي . ويطرق باب الحكمة في معلقته بيد « ام اوفى » وقيس بن الخطيم يسرد تاريخ حرب بين الاوس والخزرج اسرتي المدينة ، وهي الحرب المعروفة بيوم حاطب . وقبل وصوله الى صليل السيوف وقراع الكتائب والجيش الذي رآه موجا آتيا متراكبا ، وقبل الفخر في ذاته التي تقدم طائعة على السلم والحرب والحياة والموت جميعا . قبل كل ذلك يتقدم من بين يدي الحبيبة التي عرفها صغيرة غرا ذات ذوائب ، الى ان نمت ورآها تحج وتنشر الفتنة في البيت الحرام. وليس هذا فقط انما هي من الرقة والرهافة والوضاءة بحيث لو بدا نصف وجهها فقط ، تبدت لقيس كنصف الشمس . ونصفها الثاني تغشته سحابة . انظر اين المراة لدى ابن الخطيم — الشمس — الغيم — البيت الحرام — منى — اترى هل اختار هذه الظواهر مجازفة وقذف بها المراة ؟

على انه لا ينبغي ان يذهب بنا الظن الى اعتبار كل الشعر الجاهلي يتميز بهذه الخصائص الجمالية الباهرة . وجزء غير قليل من هذا الشعر لا يحمل من رونق التعبير ، وحسن المداخل ، ورواء التصوير ، ودقة التشبيه ، واصابة النفس . وهناك مقطعات سردية مسطحة لا تصوير فيها ولا فن . وليست اكثر من مجرد كلام موقع على اعاريض الشعر . ويقع هذا الجانب ضمن الاراجيز . ثم في بعض المقطعات القصيرة التي نحس بارتجالها وطفوها على سطح الشعر . وكذلك نجد بعض الابيات تقع تحت هذا الصنف في القصائد الطوال الجياد . لكانها اقحمت اقحاما على العمل الفني . ومن يدري ان يكون من طبيعة النبت الطيب الكريم ، اتاحة الفرصة للاعشاب الخالية من نكهة الارض وبهاء السماء ان تنمو حوله ؟ وتحدثنا عن محراب الشعر الذي تحتل حواء مدخله ، باثر خلفته ، ونظرة اصابت بها ذاكرة الشاعر ، وهودج رآه يتمايل من بعيد مخلفا لديه الحسرة والاسى . وكثير من القصائد الجاهلية وصلتنا ناقصة المطالع ، ولم يعد يخفى على عربي مدى ما تعرض له الشعر الجاهلي من نسيان وضياع وحلف وانتحال . ولا ادل على ذلك من وجود قصائد يتيمة في كتب الادب القديم ، وابيات مفردة . واسماء بلا شعر . وتعرفنا — عن طريق التذوق — بين الجيد من هذا الشعر العظيم الذي حمل بين طياته مفاخرة التجربة ، وصدق المعاناة ، وحرارة الجهد المبذول وبين قليله الذي يعتمد على الود اللغوي . هذه التفرقة تؤكد لنا ما كان يبذله اسلافنا الجاهليون من جهد وحرارة وداب وسهر على اخراج هذه الروائع الخالدة . فمنهم من نوه بالجهد والسهر كما فعل زهير واصحابه . ومنهم من لم ينوه به . بل يشا اطلاع الجماهير على اسرار التكوين ، والمودات الجنينية سواء كانت على الجلود والعظام او على دفتر الذاكرة .

ومن هذه الناحية اراني وبكل جرأة ارفض الرفض المطلق المدارس الشعرية في العصر الجاهلي ، واستبدالها بالافراد الشعراء ، ولكل واحد من اولئك الخالدين كان له نهجه الشخصي الخاص في معاناته الشعرية . دون ان ينفصل عن بيئته التي طالما احبها واوجد لها الفضائل والاستمرار .

والمعاناة . والجهد المبذول في اخراج تلك الروائع، يدفعاني وعلى استحياء وخجل ان اقف مشدوها مبهوتا امام الورطة الرهيبة التي تورط بها الجاحظ . المفكر المثقف المجدد ، عندما اعتبر ان كل شيء للعرب بديهة وارتجالا – بما في ذلك الشعر – ولم يكلف نفسه عناء البحث والتمحيص في اعماق العصر الجاهلي فاعتبر ان الشعر « حديث الميلاد صغير السن . اول من نهج سبيله وسهل الطريق اليه امرؤ القيس بن حجر ومهلهل بن ربيعـــة ... » وهذه الاقوال التي ارتجلها الجاحظ لا تستقيم بالتاكيد مع طبيعة الشعر كفن صعب . ولا مع طبيعة الفن من حيث نشأته وطفولته والمراحل التي مر بها حتى وصل الـى هذه الدرجة المدهشة عند من قرانا لهم من فحول الشعر الجاهلي – المتاخرين – زمنيا .

متى توقفت التجربة الجاهلية ؟

ترى من هو الانسان الفنان ، الذي نستطيع اعتباره خاتمة للشعراء الجاهليين ؟ مدارات الزمن الغابر ؟ والى متى استمرت التجربة الشعرية الجاهلية في النمو . وكيف حدث التحول ؟

اطلق على الفترة الزمنية التي سبقت نزول القرآن . والتي تضرب عمقا الى حدود المئتي سنة بالعصر الجاهلي . واما الفترة التي قبلها فهي فترة غامضة لم يخلف لنا اهلها شيئا من شعرهم او ان الرواية في الشعر العربي تقف عندها فقط . ونعلم ان الانسان العربي الذي عاصر هذه الفترة الممتدة من نزول القرآن وانتشاره الى ما قبل القرن السادس للميلاد . كان يتمتع بخصائص معينة يتقارب فيها ابن الجزيرة ، وابن الشام وابن العراق . وهي البيئات التي انتشر الشعر فيهـا ، او هي البيئات التي كانت مسرحا لتجربتنا الشعرية الناضجة . من هـذه الخصـائص اعتـداد الانســان بذاتــه . ذوده عن شـرفه . حبه للضيف . كرمه . حبـه للمـراة واعتبارهـا مخلوقا غامضا – كما راينا في شعره – تزجية وقته بين الرعي والصيد وشرب الخمر . الاسراف في الحب . الاسراف في الكره ، الخاصتان اللتان نتج عنهما في كثير من الاحيان حساسية متحفزة تنزلق الى السفه والطيش . وفخره في الموت قعصا عـلى اسنة الرمـاح .

ونلاحظ ان كل هذه الخصائص انعكست بشكل – مثالي – في شعره الجيد . حتى ليستطيع قارىء هـذا الشعر ان يرسم صورة دقيقة واضحة لذلك الانسان من خلال اثره الادبي الذي طالما اعتز به ومنحه الكثير من ذاته .

فقارىء شعر الصعاليك لا تغيب عن ادراكه صورة الصعلوك الذي اطلع على التوزيع السيء للثروة الجاهلية . فثار وتمرد وضاع هدفه النبيل امام سرعة غضبه واختلاط الامور عليـــه فانقلب الى لص يبعد قليلا او كثيرا عن غايته الانسانية السامية .

وقارىء شعر طرفة ، ينهض امام بصره ذلك الانسان المتمرد اللامبالي واللامنتمي . والذي ادرك عبثية الحياة فعكف على شرب الخمر . ومعاقرة اللذة بين ذراعي المراة . ووجد لعبة وجود المجهول في المقامرة عن طريق القداح .

وقارىء شعر عنترة يلمس روح الانسان الشفافة . وعاطفته النبيلة وعفته المتعالية . وحبه الذي لا حدود له . وشجاعته التي تفوق الاساطير . وقارىء شعر اي واحد من هؤلاء النابغة . زهير. الاعشى . لبيد . يرى بوضوح مجموعة من القيم حرص الشاعر العربي الجاهلي على تنميتها وصقلها ورفعها الى مدارج الكمال . حتى خاصة القوة ، فلسفها زهير في معلقته الى جانب ايمانـه بالسماحة . والكرم . والحب . والاستسلام للقدر المجهول .

اذن هؤلاء وغيرهم كثير . خلفوا لنا قيما كانت برايهم هي الانسان الفاضل في العالم . ولو قمنا بتلخيصها او بايجاد مفردات لها لكانت او كان معظمها على الشكل التالي .

الكرم – التسامح – البحث عن اللذة – الاخذ بالثار – حب القتال – تفضيل الموت قتلا – عدم الايمــان بالبعث – الشجاعة – النجدة – الاحساس بالرحيل –

وكل هذه الخصائص استخلصناها من الشعر نفسه . وهنا نسأل اين يقف او ينتهي الانسان الشاعر الذي الح على ابرز هذه الخصائص وتنميتها ؟ والجواب بالجزم عندما تتوقف في شعره . او تمحى لتحل محلها قيم اخرى جديدة او بمعنى ادق عندما يعثر على فلسفة خاصة في الحياة ، فتتحول مفاهيمه بشكل جذري .

اما اذا استمر بتنميتها وتهذيبها وابرازها كمثل اعلى للانسان المتكامل ، فليس ما يدفعنا على الاطلاق الى اعتباره توقف او نضب .

نهض محمد «ص» في اعماق الجزيرة العربية وبين يديه قيم تختلف كثيرا عما الف الانسان الجاهلي ، من ابرزها ، تمزيق التشكيل القبلي . تحطيم الشخصية المفردة . وهاتان الخاصتان كانتا جزءين هامين في وجود المجتمع الجاهلي. وكان عليه من جهة اخرى ان يضيف الى كيانه قيما جديدة كل الجدة . ولان انشاء الكيان الانساني لم يكن يتم بهذه السهولة وهذا اليسر ، كان من الطبيعي والمالوف ان يظل الانسان العربي متعلقا بانسانـــه الماضي لصيقا به مهما حاول الفكاك من اسره والتخلص من ربقته .

والآيـــات الاولـــى المكيـــة . كـانت بمثابـــة ناقوس الخطر المرعب الذي اعقبـــه الصـــراع العنيـف بين انسانين انسان يؤمن بعالم الروح ، وتفتح على فضائل انسانية كريمة . وانسان يدور في فلك القبيلة وحول محور الذات . ولم يكن الشعر بعيدا عن تلك المعركة الحاسمة في تجذير الانسان وتغييره. – الانسان العربي بوجه خاص . الذي عنى بهـــذا الشـــعر ونمـــاه – .

القرآن كتاب جديد . ولغة جديدة . وفكر جديد تتدفق البلاغة من آياته كانها الامواج . قرأ الانسان الجاهلي بعضـه ورسم صورتين اثنتين له . صورة شعر لم يالفه . وصورة من صور البلاغة الشاهقة . اتت على بنائه البلاغي فامسى قزما . وعليه ان يختار وكيف يختار ؟ هل يتخلى عن الشعر ؟ وهـل تقل للشعر قيمته ويظل له كيانه الشاهق بعد « طه .. ما انزلنا عليك القرآن لتشقى » ؟ ودوت في مسامع الانسان الجاهلي صور لم يكن قد الفها لا في قلب الصحراء ولا بين سلاسل الجبال . وهضاب الارض من حول الجزيرة . صور عن عالم اسمه : الجنة تجري من تحتها الانهار . وسرح بخياله في هذا العالم المنقى المصفى . ليرى فيه حواء اكثر صفاء مما رسمها ، واتم حسنا مما صورها . واحب اليه مما ارادها او الفها . سمع بالخيرات الحسان . حور : مقصورات في الخيام . وسمع كلاما كانه البرق

يصف به يستحثه ليرى اناسا امنوا بالاخرة . وحق الوعد . ونالوا ما املوا . ويراهم متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان . في جنة ذات فاكهة ونخل ورمان . سمعوباللؤلؤوالمرجان. وانهار من عسل مصفى . وكائنات اجسامها من نور . ودنيا من العذاب فيها ماء من يحموم . وشجر من زقوم . ومرت امامه صور من اقوام غابرة ، وحضارات دائرة . وعصور دائرة . وسمع قصصا مفصلا عن عدد لا يحصى من الانبياء . واذا به في عالم كانه الحلم يعصف به عصفا .

وتصدع الابنية الجاهلية التي آلفها واحبها وصرف لها بناءه الشعري كله . ويتصدع بهذا التصدع الشعر انذاك الى اقسام . او قل يتقسم الشعراء انذاك الى اقسام .

اما قسم منهم فظلوا على ما هم عليه يطورون الشعرضمن خصائصه الاولى . وقد امتد الشعر بين ايديهم الى ان تهاانتشار الفكر الاسلامي وغرس تياره في الانسان الجديد . مضافا اليه الثقافات الانسانية الكبرى التي ترعرعت من جديد في غير اوطانها . من فارسية ويونانية ورومانية . وهندية . ونعلم انها لم تنصب فجاة في الارض العربية ، وقسم من الشعراء استجابوا بسرعة مذهلة للفكر الاسلامي الجديد وكانت قراءاتهم للقرآن . وصحبتهم لمحمد «ص» بمثابة شرارات حركت تلك الطاقات المكنوزة في اعماقهم والتي تدل على استجابة الانسان العربي للتجديد والتطوير . وحبه للانطلاق الفكري . وهذا ما ابتته الانفجارات الفكرية التي رافقت العصر العباسي .

وقسم منهم استجاب للدعوة دون ان يدخل شعره معركتها. وهذا ما نخالف فيه معظم الذين ارخوا لادبنا .

وقسم رابع اقام بينه وبين الشعر سدا . واختار موقف التخلي عن هذا الطفل الاسطوري . ليتفرغ نهائيا الى الذوبان في ماء القرآن وفصاحة محمد .

ولاني ما قصدت التاريخ للشعر في هذا الحديث اكتفي بالتقسيم الذي ارتأيته دون الخوض فيه . حتى لا اخرج عن الغرض . الا ان من يقرأ على سبيل المثال يائيه مالك بن الريب . تلك القصيدة الاسطورة التي عرفت بعد نزول القرآن بعشرات السنين هل يرى فيها اي اثر للاسلام ؟ وهل يرى فيها اكثر من البناء الشعري الجاهلي بكل عباراته وموسيقاه وصوره وتشبيهاته ومعانيه ؟ بل هل يستطيع ان يرسم من خلال قراءتها اكثر من صورة الانسان الجاهلي الذي حددنا له خصائصه الفكرية والجمالية في شعره ؟

ومن يقرأ شعر متمم بن نويرة – وهذا صحابي – وقصة مقتل اخيه مالك بن نويرة على يد خالد بن الوليد مشهورة . ومرثيته التي انشدها بين يدي ابي بكر مشهورة ايضا . هل يرى في هذا الشعر غير البناء الشعري الجاهلي بكل قيمه وخصائصه ؟ وان هذه المرثية التي تقع في الغر الجياد السامقات من قصائدنا الخالدة . قطعة من النار تنصب حمما . فيها فخر الجاهلي بسيفه وخمره . وكرمه وقماره . وغربته امام ظاهرة الموت . ولاخيه مالك شعر لا يقل روعة عن شعره . ومن يقرا شعر عبدالله بن عنمة الضبي وهو صحابي شهد فتح القادسية وشارك فيها ، هل يستطيع ادراج شعره الا في الديوان الجاهلي ؟

ومن يقرا شعر المرار بن منقذ . وهو اسلامي عاصر جرير وبينهما مهاجاة . بماذا يقتنع بعد قراءة شعره حتى يدرجه تحت اسماء الشعراء الذين غزا الاسلام شعرهم وتاثروا فيه . وقد رويت له واحدة من غرره في المفضليات تصح ان تكون انموذجا مثاليا للشعر الجاهلي .

سأقتصر على ذكر هذه الاسماء وهي كثيرة جدا وجاء تصنيفها في سجل الشعر الاسلامي تاريخيا فقط . معنى هذا ان الشعر الجاهلي ظل متغلغلا الى ما بعد سقوط العرش الاموي . واذا كنا نتحدث عن الشعر الجاهلي وخصائصه علينا ان لا نقف ابدا عند نزول القرآن لنقصر شعرنا الجاهلي على الفترة الزمنية السابقة لنزوله . بل علينا ان نتغلغل مائة سنة اخرى على الاقل ونجمع قسما كبيرا من القصائد المتكاملة ونعتبرها شعرا جاهليا بكل خصائصه .

وهذا القسم من شعرنا الذي اصطلح على تسميته شعرا جاهليا يشمل نتاج الشعراء الذين لم يتاثروا بالاسلام لا من بعيد ولا من قريب . ونتاج الشعراء الذين اسلموا دون ان يطوعوا شعرهم لمفهوم الفكر الاسلامي .

حدثنا رواة ومؤرخون . ان رجلا طلب من لبيد بن ربيعة كتابة قصيدة من شعره فكتب له سورة البقرة . وقال . استبدلني الله الشعر بهذا .

وهذه القصة تدلنا على قسم من الشعراء بهرهم القرآن بلغته . وشدهم الاسلام الى حومته فتخلوا عن كتابة الشعر .

والكميت بن زيد الاسدي يمثل احد عباقرة شعرنا الذين كان القرآن شرارة فجرت فيهم طاقات هائلة من الشعر . فهو شاعر في جاهلياته . وشاعر في هاشمياته . وشاعر في كل ما كتب . وحسان بن ثابت يمثل جانبا من الشعراء الذين لم يتمثلوا الفكر الاسلامي ويعانقوا الشعر من خلاله . وملاحظة الاصمعي على شعره ذات قيمة عظمى في ان شعره سقط في الاسلام .

اذن نافذة الشعر الجاهلي ظلت مفتوحة للتجارب الخصبة زمنا طويلا بعد الاسلام . وعندما اقول الشعر الجاهلي اعني فترة تمتد من قبل نزول القرآن بمائة وخمسين عاما الى ما بعد نزول القرآن بمائة عام تقريبا ولكنها لا تشمل شعرنا كله .

الهيثم بن عدي

بقلم
هادي حسين حمود

« تعتبر دراسة المؤرخين الاوائل للتاريخ الاسلامي مهمة جدا ، وذلك لاعتماد جمهور المؤرخين الذين جاءوا من بعدهم عليهم من جهة ، ولضياع اثار هؤلاء المؤرخين من جهة اخرى بسبب عوامل كثيرة لا مجال لذكرها هنا . اما ما عرفناه عن هؤلاء ومؤلفاتهم فلا تتعدى النتف القليلة التي وردت في مصنفات الاخرين الذين جاءوا من بعدهم . وعلى هذا الاساس فان دراسة هؤلاء المؤرخين تعتبر شاقة ، ذلك لاننا نستطيع تقييم المؤرخ صاحب التصانيف الموجودة المنتشرة من خلال دراسة مؤلفاته . اما المؤرخ الذي فقدت اثاره فنحن لا نستطيع تقييمه بصورة صحيحة وعندئذ نضطر الى دراسة النتف الباقية من مؤلفاته تلك التي وردت عند غيره من المؤرخين الذين اخذوا عنه » (١) . ومهما يقال عن مثل هذه الدراسات التي قد تتصف بعدم الاحاطة والشمول ، فهي في اعتقادي الطريقة الوحيدة الممكنة في الوقت الحاضر لدراسة مثل هؤلاء المؤرخين .

سنحاول في هذه الدراسة القصيرة للهيثم بن عدي ، ان نتعرف على حياته ومؤلفاته ، ومدى مساهمته في تدوين التاريخ الاسلامي ، كما اننا سندرس طريقة بحثه في هذا التاريخ وذلك من خلال النصوص الباقية له في المؤلفات التي اخذت عنه ولا سيما في تاريخ الطبري . وهذه النصوص الباقية هي من القلة بمكان لا يسمح للباحث ان يكون صورة واضحة نهائية عنه من خلالها من ناحية الاسلوب او العرض . وعلى كل حال فمن هو الهيثم بن عدي ؟ ومن هم اساتذته ؟ وما مدى استفادة المؤرخين منه ؟ وما هي كتبه ومؤلفاته ؟ وما هو منهجه في البحث التاريخي ؟ تلك امور سأتحدث عنها في هذه المقالة ، وانا مشدود الى مصادري القليلة عنه .

ولد الهيثم بن عدي بن عبدالرحمن الطائي في الكوفة في او قبيل سنة ١٣٠هـ (٢) . وابوه عدي « ... صحيح النسب من طي ، من ثعل ، وكان نازلا بواسط من خير الناس » . (٣)

اما امه فكانت من سبي منبج (٤) . وقد ولد الهيثم في الكوفة ، ونشأ فيها ، ثم انتقل الى بغداد وحدث بها ، وقد اختص بمجالسة خلفاء بني العباس مثل المنصور والمهدي والهادي والرشيد وروى عنهم (٥) . وقيل ، وقد تكون هذه تهمة ، انه كان على رأي الخوارج (٦) . كما كان له علم واشتغال بالحديث النبوي (٧) . وفي بغداد حدثت له حادثة مهمة ، وهي ان بني الحارث بن كعب صاهروه ، والظاهر ان العلاقات لم تكن حسنة بينه وبينهم فاتهمه هؤلاء بانه كان قد تحدث بشيء غير حسن عن العباس بن عبدالمطلب جد العباسيين ، وشكوه الى الخليفة الرشيد ، فحبس لعدة سنوات ولم يزل القوم به حتى طلق زوجته (٨) . وكان للهيثم بن عدي مجلس علم في بغداد يجتمع فيه طلاب العلم والمعرفة ويتدارسون على الهيثم ، وقد حضر هذا المجلس مرة في المرات الشاعر الشهير ابو نؤاس فلم يجد عناية من الهيثم او ربما كان الهيثم لايعرف هذا الشاعر ، فترك ابو نؤاس المجلس غاضبا ، فلما عرف الهيثم بالامر اسرع يعتذر من ابي نؤاس الذي كان قد نظم شعرا في هجائه (٩) . والظاهر ان الهيثم لم يكن شخصا محبوبا في بغداد ، لان حب الاستطلاع لديه كان كثيرا . وكانت رغبته في جمع الاخبار تصل به الى حد التجسس على الناس ، ومحاولة معرفة كثير من اسرارهم الخاصة وعيوبهم الشخصية « .. وكان الهيثم يروي تلك الاخبار على وجوهها ويشيع ما كتموا ، فكرهه الناس من اجل ذلك ، ووشوا به الى الولاة ، واغروا به الشعراء فاوسعوه هجوا ... » (١٠) .

توفي الهيثم بن عدي سنة ٢٠٧هـ بفم الصلح عند الحسن بن سهل (١١) . وقد بلغ من العمر ـ٧٧ـ سنة . هذا مجمل ما تحدث به المؤرخون عن الهيثم اما علاقته باولي الامر فالظاهر

(١) قلت ذلك في حديثي من « ابي مخنف » و « المدائني » المنشورين في مجلة البلاغ عددي (نيسان ١٩٦٩) ، و (كانون الثاني ١٩٧١) .

(٢) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٥ ، (القاهرة ، ١٩٤٩) ، ص ١٥٨ ، ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج١٩ ، (القاهرة ، بدون تأريخ) ، ص٣٠٤ .

(٣) القفطي ، انباه الرواة على انباه النحاة ، ج٣ ، (القاهرة ، ١٩٥٥) ، ص ٣٦٥

(٤) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٤ ، (بيروت ، بدون تاريخ) ، ص ٥١

(٥) ابن خلكان ، المصدر السابق ، ص١٥٨

(٦) ابن قتيبة ، المعارف ، (القاهرة ، ١٩٣٤) ، ص٢٣٤

(٧) القفطي ، المصدر السابق ، ص٣٦٨

(٨) ياقوت ، المصدر السابق ، ص٣٠٥ـ٦

(٩) الخطيب البغدادي ، المصدر السابق ، ص ٥٤

(١٠) ادهم ، علي ، بعض مؤرخي الاسلام ، (القاهرة ، بدون تأريخ) ، ص١٩

(١١) ابن النديم ، الفهرست ، (القاهرة ، بدون تأريخ) ، ص ١٥١ . اما فم الصلح فهو نهر كبير فوق واسط

انها كانت سطحية ، ولا تظهر لنا النصوص التي بايدينا ما يفيد بان الرجل كان مادحا للخلفاء الذين عاصرهم بالشكل الذي يجعله يزيف التاريخ اكراما لهم ، وان كان الطبري قد روى عنه قليلا من اخبار الخليفة المنصور فيها شيء من المدح .

شيوخ الهيثم :

تتلمذ الهيثم بن عدي على جماعة من علماء عصره منهم هشام بن عروة ومحمد بن اسحق صاحب السيرة النبوية ومجالد بن سعيد ومحمد بن عبدالرحمن بن ابي ليلى وسعيد بن ابي عروبة وشعبة بن الحجاج وعبدالله بن عياش وعوانة بن الحكم (١٢) . وما دامت النصوص التي بايدينا من مرويات الهيثم تاتي عن طريق ثلاثة من هؤلاء الرواة وهم : مجالد بن سعيد وعبدالله بن عياش وعوانه بن الحكم ، سنحاول ان نتعرف على قيمة اختصاصات هؤلاء وما اخذه الهيثم عنهم .

اما عوانه بن الحكم فهو « .. من علماء الكوفة راوية للاخبار عالما بالشعر والنسب ، وكان فصيحا ضريرا ... » (١٣) وقد ظهر هذا « .. قبل شيوع الكتب المدونة ... » (١٤) واذا ما عرفنا ان عوانة هذا قد توفى سنة ١٤٧هـ (١٥) ، يتضح لنا ان الهيثم اخذ عنه وهو في بداية مراحله الدراسية الاولى وربما في الكوفة .

اما مجالد بن سعيد فكان الهيثم « ... يروي عنه ويكثر وكان راوية للاخبار وقد سمع الحديث وكان ضعيفا عند المحدثين وتوفى سنة اربع واربعين ومائة . » (١٦) و « كان نسابا والاغلب عليه رواية الاخبار ... » (١٧) والظاهر انه كان من اوائل شيوخ الهيثم ايضا . اما عبدالله بن عياش المعروف بالمنتوف الهمداني فكان « ... صاحب رواية للاخبار ، والاداب ، وكان من صحابة ابي جعفر المنصور ... » (١٨) والظاهر انه كان جريئا في كلامه حتى مع المنصور ، توفى سنة ١٥٨هـ وحدث عن عامر بن شراحبيل الشعبي (١٩) .

يتضح لنا من هذا العرض البسيط لشيوخ الهيثم انه اعتمد في مروياته على رجال عرفوا برواية الاخبار والاشعار والنسب وقد اشتهروا في ذلك الاختصاص . هذا من جهة ، واما من جهة اخرى فان وفيات هؤلاء في السنين الاولى من تكوين الهيثم الثقافي يبين لنا انه ربما اعتمدهم في مسائل قد لا تاتي بالدرجة الاولى بالنسبة لما رواه عن غيرهم ولو اننا لا نستطيع اثبات او نفي ذلك لفقدان اثار الهيثم في الوقت الحاضر . هذا ومن العبث ان نتحدث عن بقية شيوخ الهيثم ، لاننا بصدد دراسة النصوص المتوفرة لدينا حاليا والتي جاءت عن طريق الشيوخ الذين ذكرناهم آنفا .

روى عن الهيثم كثير من العلماء فهم : العلاء بن موسى ، ومحمد بن سعد صاحب الطبقات وكاتب الواقدي ، والقاسم بن سعيد بن المسيب ، وعلي بن عمر الانصاري ، واحمد بن عبيد بن ناصح وغيرهم (٢٠) .

مؤلفات الهيثم ومدى استفادة المؤرخين منها :

ذكر ياقوت الحموي (٢١) وابن النديم (٢٢) مؤلفات الهيثم بن عدي حينما ترجما لحياته . ويمكن تقسيم هذه المؤلفات بحسب المواضيع التي تناولتها الى الاقسام التالية :

١ ـ الكتب التاريخية :

ويمكن ان ندرج من هذا النوع الكتب التالية :

تاريخ العجم وبني امية ، اخبار زياد بن ابيه ، الوفود ، الصوائف ، الخوارج ، طبقات من روى عن النبي (ص) من الصحابة ، الحسن بن علي ووفاته ، اخبار الفرس ، مقتل خالد بن عبدالله القسري ، اما كتابه المسمى بـ « التاريخ على السنين » فهو كما يرى روزنثال من المحاولات الاولى لتدوين التاريخ الاسلامي على طريق الحوليات ، والتي سبق فيها الهيثم المؤرخ الشهير الطبري في هذا المجال (٢٣) . ويقول الدوري ان الهيثم اكد في هذا الكتاب على « ... فكرة وحدة تجارب الامة » (٢٤) .

٢ ـ كتب المفاخرات والصراع القبلي والانساب واخبار القبائل :

تحت هذا العنوان ندرج الكتب التالية : ـ

كتاب المثالب ، مديح اهل الشام ، حلف كلب وتميم وحلف دهبل وحلف طي واسد ، المثالب الصغير ، المثالب الكبير ، مثالب ربيعة ، تاريخ الاشراف الصغير ، بيوتات العرب ، بيوتات قريش ، اخبار طي ونزولها الجبلين ، فخر اهل الكوفة على اهل البصرة ، مداعي اهل الشام ، اما كتابه المسمى (كتاب الاشراف الكبير) فيقول الدوري عنه انه يعبر « .. عن نظرة الارستقراطية العربية الى مكانها في المجتمع الاسلامي ويعبر عن فكرة الوحدة الثقافية في تاريخ العرب » (٥) .

٣ ـ كتب الخطط والبلدان والادارة :

وقد الف الهيثم فيها الكتب التالية :

كتاب الدولة ، هبوط آدم وافتراق العرب في نزولها ومنازلها ، نزول العرب بخراسان والسواد ، الجامع ، ولاة الكوفة ، شرط الخلفاء ، قضاة الكوفة والبصرة ، عمال الشرط لامراء العراق ،

---

(١٢) الخطيب البغدادي ، المصدر السابق ، ص٥٠ـ٥١

(١٣) ابن النديم ، المصدر السابق ، ص١٤٠

(١٤) مرغوليوث ، دراسات عن المؤرخين العرب ، ترجمة الدكتور حسين نصار ، (بيروت ، بدون تاريخ) ، ص٩٧

(١٥) ابن النديم ، المصدر السابق ، ص١٤٠

(١٦) ابن النديم ، المصدر السابق ، ص١٣٩

(١٧) ابن قتيبة ، المصدر السابق ، ص٣٢٤

(١٨) الخطيب البغدادي ، ج١٠ ، ص١٥

(١٩) الخطيب ، ج١٠ ، ص١٦

(٢٠) الخطيب ، ج١٤ ، ص٥١

(٢١) معجم الادباء ، ج١٩ ، ص٣٠٩ـ٣١٠

(٢٢) الفهرست ، ص١٥١ـ٥٢

(٢٣) روزنثال ، فرانز ، علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة الدكتور صالح احمد العلي ، (بغداد ، ١٩٦٣) ، ص١٠٤ـ٥

(٢٤) الدوري ، عبدالعزيز ، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، (بيروت ، ١٩٦٠) ، ص١٣٤

(٢٥) الدوري ، نفس المصدر ، ص١٣٤

اما كتابه المعروف باسم خطط الكوفة فقد اهتم فيه بالشؤون المحلية كما يقول الدوري (٢٦) .

٤ ـ كتب مختلفة :

وهي كتب متنوعة المواضيع عالج فيها الهيثم بعض المسائل في التاريخ العربي والاسلامي ويمكن ان ندرج منها ما يلي :

المعمرين ، النوافل ، من تزوج من الموالي من العرب ، اسماء بقايا قريش في الجاهلية واسماء من ولدن ، النكد ، تسمية الفقهاء والمحدثين ، منتخل الجواهر ، المحبر ، خطب المفرس بمكة والمدينة . خواتيم الخلفاء .

هذا ويمكن ملاحظة ما يلي على هذه المؤلفات :

١ ـ ان هذه الكتب ، في اعتقادي ، ما هي الا كراريس صغيرة تناولت موضوعات تاريخية ذات وحدة موضوعية قائمة بذاتها ، وهي لا ترقى ، باي حال من الاحوال ، الى مرتبه الكتب الضخمة التي الفت فيما بعد . واذا جاز لنا ان نجعل الهيثم من طبقه المدائني مثلا ، فيمكن القول ان مؤلفات هذه الطبقة كانت لمساعدة الذاكرتوعدم النسيان ، وليست هي مؤلفات بالمعنى الصحيح (٢٧) .

٢ ـ ان مؤلفات الهيثم هذه مفقودة كلها عدا كتاب المثالب الموجود في مكتبه كرنكو (٢٨) .

٣ ـ يذكر بروكلمان (٢٩) ان الهيثم الف بسبب تنافس القبائل وصراعها ، وفي هذا القول شيء من التعميم غير الصحيح اذ ان كثيرا من هذه المؤلفات كانت تنطوي على مواضيع تاريخية لا علاقة لها بصراع القبائل ، وان كان جزءا منها قد مثل هذه الناحية .

٤ ـ استفاد كثير من المؤرخين من مؤلفات الهيثم ، ومن هؤلاء الطبري والبلاذري والمسعودي ووكيع وابن قتيبه في كتابه « عيون الاخبار » وغيرهم .

فالطبري اخذ عن الهيثم اخبار هشام بن عبدالملك وخالد القسري وثورة زيد بن علي ومقتله واحداث سنة ١٢٩هـ ، وخروج عبدالله بن علي على المنصور واحداث سنة ١٣٧هـ وقدوم ابي مسلم الخراساني على السفاح ووفاة السفاح ، وبناء بغداد وغيرها (٣٠) . كما كان الهيثم مصدرا مهما للطبري في احاديثه عن عصر الخليفة المنصور بشكل واسع وكبير (٣١) .

وقد استفاد البلاذري من الهيثم في كتابه «فتوح البلدان» فذكر عنه اخبار البصرة ، وفتح شراحبيل ابن حسنه الاردن ، ومصالحه المسلمين اهل دمشق ، وفتح وادارة المسلمين للمدائن، وبعض اخبار سجستان واخبار الخوارج فيها ، وفتح بلاد الشاش ، واسكان قتيبة بن مسلم العرب في فرغانهوالشاش (٣٢) . كما استفاد منه في الجزء الخامس من كتابه « انساب الاشراف » حيث روى عنه اخبار عبدالملك بن مروان والمختار ، وحركة التوابين ، واخبار مصعب بن الزبير ومقتله وغيرها من الاحداث (٣٣) .

وقد اخذ المسعودي قليلا من مرويات الهيثم حيث روى عنه بعض اخبار السفاح والمهدي وبني امية (٣٤) .

اما محمد بن خلف بن حيان المسمى « وكيع » فقد كان الهيثم مصدرا مهما له في اخباره عن قضاة الكوفة (٣٥) وقد اورد ابن عبد ربه الاندلسي في كتابه « العقد الفريد بعض الاخبار عن الهيثم(٣٦) . كما استفاد من الهيثم قليلا ابن قتيبة الدينوري في كتابه « عيون الاخبار » .

ان التتبع لاخبار وآراء الهيثم التي وردت في كتب التاريخ والادب يجدها كثيرة متفرقة في اجزاء كثيرة من الكتب ، ولكن السمة العامة لهذه الاخبار تكون عادة قصيرة وفي بعض الاحيان غير هامة .

واذا ما قورن الهيثم بن عدي مثلا بابي مخنف والمدائني وسيف بن عمر وغيرهم من رواة الطبري فلا تكون مروياته شيئا مذكورا بالنسبة الى هؤلاء المؤرخين .

مناهج البحث عند الهيثم بن عدي :

قد يكون من التجوز بمكان ان نقول انه كان للهيثم مناهج بحث كما هو معروف في الدراسات التاريخية الحديثة . والذي نقصده هنا هو ايضاح طريقة الهيثم في عرض الاحداثالتاريخية من ناحية الاعتماد على السند او عدمه ، او استخدام الشعر ، او الآيات القرآنية ، او الوثائق او غيرها . وقبل التحدث عن هذه الامور لابد من التاكيد على ناحية هامة في هذا المجال ، وهي اسلوب الهيثم في الكتابة التاريخية .

ان الهيثم ليس هو الراوي الاصلي للاحداث التي وردت عنه ، وانما كان بينه وبين الاحداث التي كان يرويها اكثر من راو . هذا وقد استعمل طريقة الاخذ عن الرواة حتى في الاحداث المعاصرة له الامر الذي يجعل من الصعوبة حقا التعرف على اسلوب خاص للهيثم . واذا جاز لنا ان نستشف من هذه الروايات اسلوبا خاصا يمكن ان يميز الهيثم عن غيره فيمكن

---

(٢٦) الدوري ، نفس المصدر ، ص٤١

(٢٧) مرغوليوث ، المصدر السابق ، ص٩٦

(٢٨) بروكلمان ، كارل ، تاريخ الادب العربي ، ج٣ ، ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار ، (القاهرة ، ١٩٦٢) ، ص٣٢ـ٤

(٢٩) بروكلمان : نفس المصدر ، ص٣٤

(٣٠) الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، (القاهرة ، ١٩٦٦) صفحات : ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٦٠ ، ٢٥٥ ، ٣٤٩ ، ٤٦٨ ، ٤٧١ ، ٤٧٥ ، ٦١٥

(٣١) الطبري ج٨ ، صفحات : ٦٩ ، ٧٨ ، ٨٤ ، ٩٢ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١١٣ ، ١٤٥ ، ١٧٦

(٣٢) البلاذري ، احمد بن يحيى ، فتوح البلدان ، (بيروت ١٩٥٧) صفحات ١١٢ ، ١٥٩ ، ١٦٨ ، ٣٩٠ ، ٥٦٦ ، ٥٩٣ ، ٦٠٦

(٣٣) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٥ ، (القدس ، ١٩٣٦) صفحات : ١٣٦ ، ٢٣١ ، ٢١٢ ، ٢٦٤ ، ٢٤٠

(٣٤) المسعودي ، علي بن الحسين ، مروج الذهب ، ج٣ ، (القاهرة ، ١٩٤٨) صفحات : ٢٢٣ ، ٢٥٨ ، ٣٣١

(٣٥) وكيع ، محمد بن خلف ، اخبار القضاة ، ج٢ ، (القاهرة، ١٩٤٧) ، صفحات ٣٨ ، ١٩٩ ، ٢١٤ـ٢٢١ ، ٣٩٦ ، ٤٠٨ـ٩ ، ٤١٣ .

(٣٦) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٢ ، (بغداد ، ١٩٦٧) صفحات ١٥٨ ، ١٤٨ ، ٤٠١ ، ٤٢٩

القول ان اغلب الروايات التي رواها كانت تاخذ شكل محاورات بين المشتركين في الاحداث التاريخية (٣٧) . كما ان اسلوب الهيثم في عرض الاحداث التاريخية كان قصيرا ، وكانت الروايات التي ترد عنه مختصرة بشكل عام (٣٨) . هذا من ناحية الاسلوب . اما من ناحية مناهج البحث الاخرى فيمكن ان نجمل ما يلي :

اولا : ان الهيثم بن عدي كان يستخدم السند في رواياته التاريخية ، وكانت اغلب الروايات ترد عن طريق الشيوخ الثلاثة الذين اخذ عنهم ، فهي اما ان تاتي عن طريق الهيثم عن مجالد ، عن الشعبي وتصل الى ابن عباس في بعض الاحيان (٣٩) . او تاتي عن طريق عبدالله بن عياش الهمداني (٤٠) . وقد تاتي عن طريق ابن الكلبي (٤١) ، وهي قليلة جدا . هذا وقد استخدم الهيثم احيانا قليلة اخبارا رواها عن بعض اهل الكتاب (٤٢) . ولم يأخذ الهيثم عن شيخه عوانه بن الحكم الا قليلا من الروايات حسب ما توفر لدينا من النصوص الباقية (٤٣) . وعموما يمكن القول بان الرجل استخدم السند كثيرا ، الامر الذي يجعل من تهمه الدوري له في التساهل باستعمال السند (٤٤) لا تقوم على اساس واقعي .

ثانيا : وردت في تاريخ الطبري وغيره كثير من الروايات التي تحدث بها الهيثم مباشرة عن احداث تاريخية خاصة ، واغلب هذه الروايات كانت من الاحداث المعاصرة ، ولا سيما من عصر المنصور ، وحتى من عصور بعيدة عن عصر المؤلف (٤٥) .

ثالثا : استخدم الهيثم قليلا من الشعر في مروياته (٤٦) .

رابعا : لم يستخدم الهيثم ، وهو المؤرخ المعاصر لبعض الاحداث التي كان يرويها ، الوثائق ، كما انه لم يستعمل الآيات القرآنية المناسبة .

خامسا : اهتم الهيثم بصورة عامة في احداث العراق وخراسان في عصر عبدالملك وثورات العراقيين على الخلافة الاموية ، كما انه اهتم بالصدر الاول من تاريخ الدولة العباسية ولا سيما عصر المنصور .

سادسا : يذكر الدكتور الدوري ان الهيثم يجمع في دراساته بين الدراسة التاريخية ودراسة الانساب وذلك نتيجة وجهات نظر مختلفة في هذه الدراسات (٤٧) . وهذه ملاحظة لم نجدها في النصوص المتوفرة من روايات الهيثم .

سابعا : يذكر بروكلمان (٤٨) ان الهيثم كان يهتم فيما يرويه بصراع القبائل . وهذه ملاحظة صحيحة حيث ان الهيثم الف كتبا في هذه المسائل ، وان كان قد الف في مواضيع اخرى كما ذكرنا سابقا . وفي ايدينا بعض النصوص التي ربما تؤيد اتجاه الهيثم الى مسالة الصراع القبائلي ، فقد ذكر هو عن بعض الرواة قوله « ... كنت كثيرا ما اقول لاصحابي : اني احسب هذا الرجل (خالد القسري) قد تخلي منه ، ان قريشا لا تحتمل هذا او نحوه ، وهم اهل حسد ... » (٤٩) . وفي اخبار خالد القسري ايضا يروي الطبري نصوصا اخرى عن هذه المسائل القبلية كقول الوليد بن يزيد بعض الشعر « يوبخ به اهل اليمن في تركهم نصرة خالد بن عبدالله » (٥٠) والرواية منقولة هنا عن الهيثم . وفي نص اخر يورد الهيثم بن عدي راي يوسف بن عمر ، وهو والي الكوفة الذي تولى امرها بعد خالد القسري ، الذي يبين فيه ان « .. بني هاشم قد كانوا هلكوا جوعا ، حتى كانت همة احدهم قوت عياله ، فلما ولي خالد العراق اعطاهم الاموال فقووا بها حتى تاقت انفسهم الى طلب الخلافة ... » (٥١) . هذه بعض النصوص التي ربما تعين على ايضاح اهتمام الرجل في ذلك الصراع القبلي العنيف ، والتي حفظت لنا في تاريخ الطبري مروية عن الهيثم .

تقييم مرويات الهيثم :

تحدث كثير من المؤرخين وعلماء الحديث عن قيمة مرويات الهيثم بن عدي ومدى صحتها . وسنحاول فيما يلي ان نبين اهم الاراء التي قيلت في هذا الرجل ، وفي مروياته ، محاولين ان نكون من خلال هذه الاراء صورة صادقة عنه .

اورد الخطيب البغدادي كثيرا من الاحاديث حول كذب الهيثم ، وعدم الوثوق في مروياته ، ولا سيما فيما يتعلق بالانساب والحديث ، ولكنه بين ان الهيثم كان عارفا باخبار الناس (٥٢) . وذكر الذهبي ايضا احاديث عن كذب الهيثم ، ونقل روايات عن البخاري والنسائي حول كذبه ، وبانه متروك الحديث ، كما اورد نصا عن احد العلماء قال فيه « ما اقل ما له (للهيثم) من المسند ، انما هو صاحب اخبار » . وقد علق الذهبي على هذه الاحاديث بقوله « كان اخباريا علامة » (٥٣) . وذكر ابن ابي حاتم الرازي مجموعة من الروايات عن كذب الهيثم ،وعدم

---

(٣٧) انظر مثلا ، الطبري ، ج٧ ، ص١٥٢ ، ٣٤٩ ، ٦١٥ ، ج٨ ، ص٧٨ ، ٨٤ ، ١١٣-١٤ ، ١٧٦

(٣٨) يلاحظ ذلك في مروياته التي اوردها الطبري في الجزئين السابع والثامن من تاريخه ، وكذلك في عيون الاخبار لابن قتيبة ، وانساب الاشراف للبلاذري ، وغيرها من الكتب

(٣٩) انظر سبيل المثال ، الطبري ، ج٢ ، ص٣١٥ ، ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ج١ ، ص٣١١

(٤٠) تكاد تكون كافة الروايات التي وردت عن الهيثم في تأريخ الطبري والبلاذري في الانساب وابن قتيبه في عيون الاخبار مأخوذة عن شيخ الهيثم ابن عياش

(٤١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٩٠

(٤٢) محمد بن حبيب ، المحبر ، (حيدر آباد ، ١٩٤٢) ، ص٢، الطبري ، ج٢ ، ص٢٣٨

(٤٣) العقد الفريد ، ج٢ ، ص١٠٤ ، انساب الاشراف ، ج٥ ، ص١٤٠

(٤٤) الدوري ، المصدر السابق ، ص٤٢-٤٣

(٤٥) الطبري ، ج٧ ، ٣٤٩ ، ٤٦٨ ، ٤٧٥ ، ج٨ ، ١٠٢ ، ١٤٥ ، ١٧٦ ، البلاذري ، فتوح البلدان ، ص١١٢ ، ٢٩٠، ٢٩٣

(٤٦) الطبري ، ج٨ ، ص٩٨ ، البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٥ ، ص١٤٠

(٤٧) الدوري ، المصدر السابق ، ص٤٢

(٤٨) تاريخ الادب العربي ، ج٣ ، ص٣٣

(٤٩) الطبري ، ج٧ ، ص١٥٢

(٥٠) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ص٢٤٣

(٥١) الطبري ، ج٧ ، ص٢٥٥

(٥٢) تاريخ بغداد ، ج١٤ ، ص٥٢-٣

(٥٣) الذهبي ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، القسم الرابع ، (القاهرة . بدون تاريخ) ، ص٣٢٤

الثقة فيما يقول ، وقال ابن ابي حاتم انه سأل والده عن الهيثم فقال له « متروك الحديث ... » (٥٤) . واورد كل من ياقوت الحموي وابن خلكان (٥٥) ، ولعل احدهما اخذ عن الاخر ، نصا بينا فيه ان الهيثم كان « راوية ، اخباريا ، نقل من كلام العرب وعلومها واشعارها ولغاتها الكثير ... » (٥٦) . وقال ابن النديم في الهيثم « ... عالم بالشعر والاخبار والمثالب والمناقب والمآثر والانساب ... » (٥٧) .

اذا نحن امام روايات مختلفة حول قيمة مرويات الرجل ، تمثل المجموعة الاولى منها ، وهي التي ترمي الهيثم بالكذب ، موقف رجال الحديث من الهيثم . ولو نظرنا الى بعض هذه الروايات لوجدناها لا تبخس الرجل حقه في مجال رواية الاخبار. اما المجموعة الثانية من هذه الروايات فهي اراء المؤرخين ، وقد بينت هذه الروايات قيمة الهيثم ومروياته في مجال التاريخ والانساب ووثقته فيهما لقد بين الاستاذ احمد زكي طبيعة هذه المشكلة حيثما تحدث عن هشام الكلبي (٥٨) . فقال ان هشام ومن هم على شاكلته ، ومنهم الهيثم بن عدي في اعتقاد كاتب هذه المقالة ، قد « تعرضوا لرواية الاثار دون ان تتوفر فيهم الشروط اللازمة فيمن يتصدر لاملاء الحديث ... » وهذا الامر هو الذي دعا رواة الحديث الى « ... الطعن على امثال اولئك المصنفين والتحذير من الاخذ باقوالهم » (٥٩) والظاهر ان هذه المشكلة قد ابتلى بها اكثرية المؤرخين الاوائل ومنهم هشام الكلبي والهيثم بن عدي وغيرهم .

لقد اتهم رجال الحديث مثل هؤلاء المؤرخين بالكذب في قضايا الاحاديث ، وامتدت هذه التهمة الى كتابات هؤلاء المؤرخين التاريخية .

لقد استفاد كثير المؤرخين من مرويات الهيثم ، وان كانت هذه الاستفادة قليلة ، فقد كان ، كما ذكرنا ، احد رواة الطبري . ومصدرا من مصادر البلاذري في كتابيه « فتوح البلدان » و « انساب الاشراف » ، كما اعتمده ابو حنيفة الدنيوري في كتابه « الاخبار الطوال » ، كما اخذ عنه ابن قتيبة الذي كان يتشدد كثيرا في قبول الروايات . ولم يشر المسعودي في مقدمة كتابه « مروج الذهب » الى الهيثم حينما تحدث عن ضعاف المؤرخين (٦٠) .

هذه الامور وغيرها تؤكد مكانة الهيثم في الدراسات التاريخية، وان كانت هذه المكانة لا تصل به الى مرتبة المدائني وابي مخنف وابن الكلبي وغيرهم (٦١) . واذا كان لنا ان نقول شيئا عما اورده هذا المؤرخ عن الذين عاصرهم ، الامر الذي قد يؤدي الى تحيزه لهم ، فيمكن القول بان ما رواه عنهم ما كان ليخالف بقية الروايات الاخرى المروية عن غيره عنهم .

وبعد :

فهل استطعنا ان نقيم الهيثم بن عدي حقا ؟

في اعتقادي ان الهيثم سوف لن يقيم بصورة صحيحة ما دامت مؤلفاته مفقودة ، ذلك لان النصوص الواردة عنه في تاريخ الطبري وغيره غير كافية لاظهار ارائه ومناهجه بصورة واضحة، اضافة الى انها لا ترد عنه مباشرة حيث ان بينها وبين راوي الحادثة المباشر اكثر من راو ، وعندئذ لا نستطيع ان نتصرف من خلالها — بصورة اكيدة — على اسلوب الهيثم ولا على ارائه ونوازعه السياسية والمذهبية ، وهي امور لابد من التعرف عليها واظهارها ونحن في مجال مثل هذه الدراسات النقدية . وما هذه الدراسة الا محاولة بسيطة للتعرف على بعض جهوده في مجال التاريخ .

---

(٥٤) الرازي ، ابن ابي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج٤ ، (حيدر آباد ، ١٩٥٣) ، ص٨٥

(٥٥) معجم الادباء ، ج١٩ ، ص٣٠٤ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٥ ، ص ١٥٧ .

(٥٦) اورد كل من ياقوت الحموي وابن خلكان هذا النص في كتابيهما مع فارق بسيط جدا

(٥٧) الفهرست ، ص١٥١

(٥٨) مقدمة الاستاذ احمد زكي لكتاب « الاصنام » لابن الكلبي، (القاهرة ، ١٩٦٥) ، ص١٣

(٥٩) نفس المصدر ، ص١٣

(٦٠) مروج الذهب ، ج١ ، ص١٢-١٧

(٦١) درس كاتب هذه المقالة هؤلاء المؤرخين وكتب عنهم في اجزاء متعددة من مجلة البلاغ .

علاقـــة المندائيـــة بالعربيـــة

بقلـــم

اديبة الخميسي

لا يختلف اثنان حول سيطرة البيئة على اللغة المحكية وقد اخذت مسلماتها ذريعة للتقاعس في البحث . فالكتب المحفوظة ليست بمنأى عن الدخيل نظرا لحركة الاقتبـاس والنقـــل والاستنساخ المقصود مقابل ذلك تنمو فعاليات غير مقصودة على اصعدة مختلفة ، فما يجري بين الدول من تنافس وغزو على الواقع العسكرية والسياسية يحصـل بـين اللغــات ، فالغزو اللغوي او الفكري يتبع الغزو السياسي ، وربما يحدث العكس ، ولو نقبنا بين الكتب عن مدى الامتزاج بين اللغة العربية واللغة الارامية او احد فروعها وهو ما نعنيه بهذه المقالة اي اشتباك الارامية ــ المندائية بالعربية لما عثرنا على ادلة واضحة تقرب للافهام الازدواج اللغوي الذي حدث بالفعل اثناء انتقال السيادة من الارامية الى العربية ، وتبقى المسألة صامدة امام اي فاتح لغوي لا يجيد الغوص في خفاياها ودقائقها ، وان مايدرج هنا مجرد هيكل يمكن المتابع للموضوع حسب خبرته ان يجد في اطاره مكانا منطقيا يسهل له معرفة عموميات الظاهرة اذا ما حاول دراستها

كان الاولون يفخرون بلغتهم الى حد المبالغة والتباهـــي وصدرت عنهم احكام عاطفية بحتة ، وفي تصورهم ان الارامية تبوات أعلى مكانة يمكن ان تبلغها لغة على وجه البسيطة ، وعلى هذا الاساس الفوقي الواهي كتبوا فيها ، وعلى ســبيل الاستشهاد نورد قول ابي الفداء وناقشه : ــ « .. امة السريان هي اقدم الامم وكلام آدم وبنيه بالسرياني وملتهم هي ملـــة الصابئين » (١) . وهكذا شأن جميع علماء السامية والـكتاب الاوائل فهو يمثل شعور التعصب الذي كانوا يحملونه للغتهم حتى جعلوها لغة آدم التي نطق بها ووجدوه قليلا بحقها ايضا فصارت لغة آدم في الجنة ولغة السماء ولغة البشر بعد الموت (٢) . ولعل ابا الفداء كان مؤيدا للكلام بحذافيره لما دونه بالنص عن احدهم ولم يدحضه بحجة ولربما تأثر برأي اليونانيين الـذين سموا اللغة العربية ــ ليست العربية الحالية ــ باللغة السريانية خطأ ، وهي اللغة التي كانت تتداولها الاقوام القديمة خاصة تلك التي كانت تعيش في شبه الجزيرة العربية قبل الهجرة ، وهي لغة واحدة من اليمن الى مشارف العراق والشام وتخوم فلسطين وسيناء (٣) . ولكنه غطى على التعميم بالتخصيص ، وكما هو معروف ان لغـات عديدة كانت تنضوي تحت جنح السامية من بينها الارامية والعربية ، والسريانية تسميـــة اعقبت دعوة المسيح اطلقها الكلدان والاثوريون (الاراميـــون الذين كانوا يسكنون سوريا وفلسطين) على انفسهم ليتميزوا

(١) المختصر في اخبار البشر لابي الفداء (مصر ١٣٢٥) ص ٨١.
(٢) اللسان العربي (الرباط ١٩٧٢) ج ٩ / الجزء الاول ، ص ٧٠ .
(٣) نفس المصدر السابق .

من الوثنيين وليظهروا تمسكهم واعتزازهم بالدين المسيحي (٤) . وملة الصابئة لا تنتمي الى ملة المسيحيين او غيرها من الملل فهي خاصة باصحابها بصرف النظر عن القرابة العائلية التي تربط يحيى بن زكريا وعيسى بن مريم عليهما السلام ، وكذلك تعاقبهما على الرسالة السماوية مما يبعث على الظن بالتشابه واستمرار المبادىء الدينية وهو ما لم يحصل ، والصفة التاريخية بقيت كما هي لان كلا منهما سار على نهج خاص به ، والقصد بالصفة التاريخية ما اعتمدت عليه اوليات الدين المسيحي حينما عمد يحيى المسيح وباركه وبشر به نبيا ومنقذا للبشرية من الظلم والاستبداد ، فملة السريان مسيحية بحتة ولا علاقة للـدين المسيحي بالدين الصابئي الذي يختلف عنه جملة وتفصيلا .

ولو فسرنا القول من وجهة اخرى كان يفترض ان الاراميين كانوا يعتقدون ان آدم وبنيه منهم ، كما يوحي به النـــص ويحتمله ، فهو قول أوحد لم يعزز بغيره او لم يقل احد ــ لا قبل ابي الفداء ولا بعده ــ ان لسانهم بالسرياني لان كلمة السريان ماخوذة من كلمة (سوريا) الارامية اي نصراني (٥) ، وان الاراميين كما في المدونات الاثارية لم يكونوا اقدم الامم لان هناك من سبقهم بالوجود والحضارة كالمصريين والسومريين والاكديين والاشوريين والكنعانيين والحثيين ، وانهم خلافا لهذه الاقوام جميعا كانوا بدوا اميين (٦) ، ولحد الان لم يهتد الى اصلهم وكان تاريخهم بدأ حينما هجروا موطنهم الجزيـرة العربيـة وظهروا على مسرح الاحداث في منطقة الهلال الخصيب حتى ذلك التاريخ كانت دياناتهم السابقة مجهولة وكل ما قيل عنهـا محض افتراض (٧) . فان كان يقصد بالصابئة من كلامه السابق معتنقي الوثنية فدونه جميع الاقوام القديمة التي كانت تدين بها قبل مجيء الرسل والانبياء ، وليس الاراميون فقط ، ان غرضنا من طرح المثال هو استطلاع رأي احد مفكري العرب القدماء حول لغة الديانات القديمة المشهورة انذاك وموقع اللغة الارامية بينها ، فاذا تغلب الهوى على الاجداد فما احوجنا الى رأي علمي مجرد ينتزع الحقيقة وان كانت مبطنة بالصعاب . فمن هم الاراميون اذن ، وما هي لغتهم ؟ يؤكد المؤرخون ان الاراميين قوم عرفوا في الهلال الخصيب لاول مرة اي عندما تغالبوا عليه في هجرات متتابعة لا يعرف زمنها بالضبط ويعتقد انها كـانت بين القرنين الرابع عشر والثاني قبل الميلاد (٨) . وذلك عندما

(٤) دليل الراغبين في لغة الاراميين (الموصل ١٩٠٠) ص ٩ـ١١ .
(٥) نفس المصدر السابق .
(٦) مجلة سومر ١٩ (بغداد ١٩٦٢) ص ١٣٢ .
(٧) نفس المصدر السابق ص١٤٧ .
(٨) دراسات في فقه اللغة للدكتور صبحي الصالح (بـيروت ١٩٦٨) ص ٥١ .

ثم القحط الجزيرة العربية فهربوا منها طلبا لحياة اكثر رخاء ووجدوا في موطنهم الجديد ما افتقدوه هناك لكنهم اخطأوا الموقع والسياسة الداخلية ، اذ اختاروا بقعة ارض تقع على طريق الفتوحات فكانت مطمع الدول المجاورة الطامعة في الاستيلاء عليها ، وما لبثت الاطراف المتحاربة تثير الفتن والثورات لم وحدت قواها ضدهم ، وكانت تتحين الفرص وتترقب السوانح للاطاحة بهم ، واخيرا شكلت طوقا محكما حولهم من جميع الجهات ، وما كان لهذه الدولة الممزقة ذات الامارات المتنافرة الا ان تسقط ، فالاراميون على ذكائهم وبراعتهم في العلوم والتجارة كانوا يجهلون لعبة السياسة وقد ادت وطأة الحروب الى زعزعة كيانهم واستهلكت قواهم التي كانت في حالة استنزاف داخلي لتفرقهم وفشلهم المتواصل في تكوين دولة موحدة قوية مستعدة لصد الاعداء ومحق الطامعين ، فرجحت كفة الطرف الاخر وازالوهم من الحكم ، ولم يحالفهم السعد اكثر من اربعة او خمسة قرون (٩) ، استطاعوا خلالها ان يؤثروا في المنطقة وينشئوا نهضة ثقافية استهدفت العلوم اليونانية الناضجة لتبحرهم في لغة اهلها ، فكانت معينا علميا كبيرا فقد قلبت الاوضاع لصالح المعارف الجديدة وانتشارها لسنوات عديدة ، ولا زالت لحد الان تحظى بالتقدير والاهتمام وتعد اللبنةالاولى للعلوم الحديثة . اما لغتهم فقد رفعت هامتها على منطقة شاسعة وكانت اللغة الوحيدة المرغوبة والمتداولة . وكما خبا نجمهم السياسي تضاءل المد اللغوي تدريجيا بعد الفتح الاسلامي وفرض العربية لغة دين ودنيا ، وبقي للارامية المخلفات الثقافية والترجمات ، وبعد ان استأثرت العربية بالسلطان وجاءتها العلوم اليونانية متكاملة ترجمت الى العربية دون جهد كبير اعتمادا على الاصول السامية المشتركة .

من المناسب ان نذكر ان الارامية لم تسلم من التداخل اللغوي فاندفعت بعض لهجاتها نحو اليونانية كالسريانية مثلا، واخرى واجهت التيار بتحفظ شديد ساعدها على هذا السلوك الحصار الديني الذي تمنطقت به وفرضته على نفسها او فرضته الظروف عليها ، كالفئات الدينية الصغيرة التي انطوت وتكورت على ذاتها خشية التشتت والضياع حيث عالم النسيان ، وكان خوفها المشروع على قيمها يدفعها الى المزيد من التكتم ، ونجحت في هواجسها حتى طواها الصمت قرونا تتداول موروثاتها الدينية والادبية في توحد ذاتي قلق هدفه الاكتفاء بما خلفه السلف ، فاكسبتها الحالة صلابة وشدة تحمل ، وتحت سياط الاعداء والضغط الخارجي كانت تداعب المحيط بالتأقلم الفوقاني المتند الحذر راضية وبمرور الزمن اضحت تلك اللغات قليلة الشأن وسرية حتى طمست معالمها الا ما ندر عندما تستدعي المناسبة ، وفي العصر الحديث انبرى عشاق اللغات القديمة لازالة الغبار عنها ومنها المندائية فكافأوا اصحابها بالثناء لانهم صانوها من الدخيل وابقوها كما هي ، وتصاعد شأنها نسبيا لانهم اعتبروها الطريق الوحيد المؤدي الى اللغات الاخرى (اللهجات الارامية) في الدراسات المقارنة وهو ما تمثل فيه المندائية تماما ، فبعد ظلام السنين اخرجت الى النور وارتفع رصيدها التاريخي ، بينما كانت قبلا ولوقت قريب جدا تصنف مع اللغات الميتة وفي التعداد اللغوي للارامية فقط ، يجهل عنها كل شيء والمؤرخون يعلمون ان مخلفاتها الادبية قد سطت عليها الكوارث المتلاحقة الا القليل الذي لا يعتد به ، والكتب الدينية (عشرون كتابا) تتطلب دراية باللغة الارامية لفهمها اولا وترجمتها ثانيا ، وهي

(٩) مجلة سومر ص٩٦ .

بحد ذاتها سفر تاريخي مهم ، تدور حوادثها على جميع العصور التي عرفتها البشرية منذ تكوينها ، ولم تستقر على زمن بعينه ، وقد جاء في الانسكلوبيديا البريطانية انها وليدة القرن السادس عشر (١٠) وهو ليس اكثر من ظن يعوزه الدليل ، ومما يجعل الاحتراز في محله غلبة الافكار الدينية فيها . والتي آمن بها الانسان في بداية تطوره الفكري يقابلها كل مراحل عباداته السابقة واللاحقة حتى المستقر الديني الاخير (الاسلام) واختلاط العربية بالمندائية بارز في الفاظ لا تحصى يدل على اللقاء الاكيد بينهما في عمق زمني غير معلوم ، والراجح ان بعض المأثورات المندائية المنسوجة على شكل اساطير كثيرها اضافها النساخ في عصور متاخرة على الاصل حسبما تمليه معرفتهم واجتهاداتهم الخاصة بتعاليم الدين الاسلامي لذا لم تسلم من التحوير والتبديل .

اجتمعت في المندائية خصائص اهمها الارامية الشرقية وهذه الخصائص مفتقدة في اللهجات الارامية الاخرى ، وكما قرر علماء اللغات ان اصل جميع اللهجات الارامية هي الارامية الشرقية(١١)، والمندائية صورة حقيقية لها في قواعدها واصولها لانها والآرامية اليهودية ـ البابلية قد تنازعتا البنوة وسحبتا جميع موروثات الام اليهما ، ما عدا ذلك تبلورت المندائية واستقرت على خصائص الام مصفاة من الشوائب التي لحقت اخواتها وللعلماء مذاهب في مدى نقاوتها ، فمنهم من يعتقد انها امينة على مبادئ الوراثة الجوهرية الا انها انحرفت عن بعض المظاهر كاختفاء الاصوات والحروف الحنجرية والتي كانت ميزة اللغة السامية ، وشمل الانحراف ايضا حروف العلة وطريقة رسمها (١٢) . ومنهم من يورد رأيا معاكسا تماما فالاصوات لم تختف وانما صارت اكثر بساطة من جميع اللغات السامية الاخرى ، والنظام الصوتي احد العلائم الهامة والفريدة بنفس الوقت (١٣) ، والذين استحوذت النقاوة على مشاعرهم اساسا لا يشيرون لا من قريب ولا من بعيد الى مكانة العربية وتواجدها لفظا بكثرة بين ثنايا المندائية !! انما انصبت الجهود وعقدت المقارنات على الالفاظ العبرية واليونانية وتجرد المندائية منها ! لكون اليونانية كانت ذات تماس مباشر مع الارامية ابان ازدهار الترجمة ، والعبرية كانت تحتل مساحة بشرية واسعة في زمن غير معروف ، وامتزجت فيها عدة لهجات ارامية ، ولابد من التنويه ان العبرية قد عرفت قبل ظهور اليهود الديني كما تشير اليه بوضوح كتب التاريخ واللغة .

ابحاث المستشرقين لم تقف عند هذا الحد بل شملت التسمية ايضا فتدخلت اهواؤهم فيها وطغى سوء الفهم على الحياد المفترض فيهم فحولوا ابسط المعاني الى مذاهب غريبة مثلما فعل سفن داك بلاس **SVEN DAAG PALLIS** حينما عزا معنى كلمة (مندائية) الى ان جماعة المندائيين هم فرع من الاوفيت (١٤) . والمسألة بعيدة عن هذا التاويل الغريب

(١٠) Encyc. Bri. (1968) Vol. 14, p. 787

(١١) دراسات في اللغة للدكتور ابراهيم السامرائي (بغداد١٩٦١) ص٢١١ .

(١٢) Encyc. Bri. Vol. 14, p. 787.

(١٣) Rudolf Macuch : Hand Book of Classical and Modern Mandaic, Berlin 1965, p. 1.

(١٤) Seve Doage Pallis : Mandean Studies, London 1919, p. 151.

ولا تحتمل كد الذهن او تصعيد الوهم . فالصابئة يعتقدون ان التسمية تيمنا ب (مندا اد هيي) وهو كبير الالهة وله سلطة وجبروت كبيران كما تنص عليه الاساطير الصابئية ، اما التفسير السابق وغيره فلا يأبهون به ، و (مندائي) في لغتهم ـ المعرفة الروحية ، فما نصيب العربية في المندائية ، وما مدى التجاذب بينهما ؟ ان تحديد قضية التداخل من منطلق علمي دقيق غاية في الصعوبة في الوقت الحاضر على الاقل . وبعيدا عن التفرعات الكيفية ومن منطق العموميات يمكن القول ان لقاء اللغتين قد تم منذ آماد بعيدة ، وقد تسربت العربية تلقائيا بالاحتكاك اليومي دون تقصد ، واخذت تسري لفظيا امتزج باللفظ المندائي توضحت معالمه بالتكرار والنقل المستمر ، وصار لا يختلف كثيرا عن اللفظ العربي وبما ان اللغتين العربية والارامية تنتميان الى اصل واحد هو الاصل السامي فهما متقاربتان في وجوه لغوية عديدة ، وقد جاء انفصال العربية عن السامية متاخرا بينما سبقتها اليه العبرية والسريانية بشوط بعيد فاستطاعت ان تتجنب المزالق اللغوية التي وقعت فيها اللغتان المذكورتان ، ومن مظاهر التقارب بين الارامية والعربية الماثلة الى يومنا هذا ، القلم الكوفي الذي انحدر من القلم الفينيقي والذي وجدت له بقايا في مناطق اثرية يرقى عهدها الى القرن الثامن قبل الميلاد ، ثم تطور حتى صار لكل منطقة قلم خاص باهلها ، ومن اشهرها القلم الرهاوي (في منطقة الرها) ومنه اخذ العرب الخط الكوفي (١٥) . وان شئنا الدقة في مسالة شيوع العربية في المندائية ، فمن الصحيح ان لا يبت فيها الان ويترك الامر للكشوفات اللغوية القادمة المدعومة بالنصوص المحققة ، وبالتالي لا يبقى امامنا الان الا الافتراض المطروح وهو استقرار الصابئة في البلاد العربية خاصة في العراق ، فتقادم الزمن او العامل الزمني فعل فعله في تغيير كثير من المفاهيم اللغوية (اللفظية) . لما فقدت الاجيال المتعاقبة اللسان القديم صار من الطبيعي ان تكتسب من العربية الفاظها مع شيء من التحوير ، ثم تعاظم المنقول في الكتب المستنسخة الخاصة ، وتفشت الى حد ملحوظ ، والواقع اللفظي لا يناقض الحقيقة المستنتجة بالبحوث الطويلة ، والتي تقول ان المندائية هي الوجه المشرق للارامية الشرقية (الام) في قواعدها واصولها ، ومع ذلك فواقع اللفظ العربي يطفح على النطق المندائي ويمكن تبيانه بسهولة حتى للذين يجهلون المندائية وان ما يقدم ادناه ليس الاحصاء النهائي للالفاظ ، انما هو بعض ما عثرت عليه وغيره كثير لا ادري سبب اهمال الكتاب المعاصرين له لما تحدثوا عن المندائية باسهاب ما عدا تنويه بعضهم عن ذلك (١٦) ، وكأنهم افترضوا سلفا وجود العربية متذرعين بالبيئة متناسين العوامل الضرورية الاخرى وذلك لا ينفي دراسة الظاهرة وتحليلها ولا يتعارض البتة مع من يريد التقصي المستند على الاثار المكتوبة ، وعلى هذا فالموضوع كما قلت ليس اكثر من تمهيد عسى ان تلحقه بادرة جادة من لدن محبي اللغات القديمة .. واليك بعض الامثلة الدالة التي توضح الترابط الوثيق بين العربية والمندائية : ـ

اللفظ العربي	اللفظ المندائي
الرب	ربي
الحي	هيي (الرب)
العلي	ايلايا (الرب)
الحكيم	هكيما (الرب)
العزيز	ازيزا (الرب)
العالم	آله (الرب)
روح	روهه
عالم الانوار	آله دنهورا
المطهر	المطرائي
يحيى	يهيه (يحيى بن زكريا أو يوحنا المعمدان)
نور	نهورا (تذكر في حالة التبرك باسم الاله وعندما يوصف الشيء بالجودة)
رئيس	ربش (رئيس ديني)
تلميذ	ترميدا (درجة دينية متوسطة يتمكن الحاصل عليها من ممارسة بعض الطقوس الدينية البسيطة في حالات خاصة)
دراسة ، تعاليم يحيى	دراشه ادبهيه (كتاب ديني خاص بتعاليم يحيى المعمدان)
تفسير الالف سؤال	ترسر الف شياله (عنوان لكتاب ديني)
سفر النجوم	اسفر ملواشا (كتاب ديني مختص بطوالع الافراد تلفظه العامة خطأ اصفر ملواشا)
صدر آدم	سدرا اد آدم (القدس كتب الصابئة) ويقال انه أول ما نزل على صدر آدم
كنز الرب	كنزه ربه (اسم ثان لنفس الكتاب السابق)
الاغاني	الانياني (كتاب ديني قيم خاص بالاغاني الدينية)
التوبة	تيابه
الخطايا	هطايي
مذكور علي	مدخرالي
النار الموقدة	نوره اد يافده
الرحمة	مرحمانه
الاب	الآب
الام	الآيم
تاج	تاغه (جزء من اللباس الديني ـ اصغر جزء فيه ـ يضعه الكاهن تحت عمته)
الرسم	رشما (رسم ديني او تقليد ديني)

(١٥) دراسات في اللغة ، ص٢١١ .

(١٦) مجلة المشرق ٤ (بيروت ١٩٠١) ص ١١٢٦ .

اللفظ العربي	اللفظ المندائي
الشمس	شامش
النفس	نشما
ذكـرى	دخرانه
اكليل	كليله (خاتم يصنع من غصن الاس الطري لاغراض دينية مختلفة)
مسلم	مشـــماني
اســم	اشمت (اشمت هيي : باسم الحي) يطلق القول اثناء الصلاة او عند البــدء بالطعام او اي عمل مهم تبركا
قـديم	قدمايي
الثـاني	تنياني
الثـالث	تلثاني
لســـان	لشان
خمـــره	همره

اللفظ العربي	اللفظ المندائي
لـكن	آلطن
الناي	ادني
فمي	بمي
الزوجة	الزوي
اللي ربى	الربى
الارض	ار٢
كلهـم	كلهون
نهـــر	نهـره
يــوم	يومــه
اســق	اشق
شـهادة	شهدوثه
صــدقة	زدقه
عــين	اينه

● ● ●

ما يتعلق بالعـــراق

من [كتاب الصعود](*) لزينوفون

ترجمة

يعقوب افرام منصور

كان لداريوس و (باريزاتس) نجـــلان ، اكبرهمـــا (ارتاكسركسس)(١) واصغرهما (كورش)(٢) . وعنـدما بلـغ داريوس حد الوهن ، واخذ يشعر بدنو اجله ، رغب ان يكون نجلاه دانيين منه . واتفق أن كان الاكبر هناك ، فكان عليـه ان يرسل في طلب (كورش) من المحافظة التي قد عينه عليهـا حاكما ، كما كان قد عينه قائدا عاما على سائر القوات المحتشدة في سهل (كاستولس) ـ Castolus

عندئذ ، رحل (كورش) الى العاصمة برفقة (تيسافرنوس) Tissaphernes الذي كان (كورش) يعده صديقـــا ، مستصحبا معه ثلاثمئة جندي يوناني من مشاة الاسلحة الثقيلة تحت امرة (زينياس) Xenias الذي من (بارهاسيا) . لكنه ، غب وفاة (داريوس) ، وعندما ارتقى (ارتاكسركسس) العرش ، قدح (تيسافرنوس) في كورش لدى شقيقه ، واتهمه بالتآمر عليه(٣) . وصدق النجل الاكبر الوشاية ، فاعتقـل (كورش) بقصد القضاء عليه . لكن والدته انقذت حيـاته بتوسلاتها ، واعادته الى محافظته . غير أن كورش ، بعد نجاته من الخطـر والفضـيحة ، اتخـذ الاحتياطات التي تضمن عدم وقوعه ثانية في قبضة أخيه ، بل حاول بديلا ، لو استطاع ، أن يغدو عاهلا مكان اخيه . كانت امه (باريزاتس) الى جانبه ، لانها كانت محبة له اكثر من الملك الحاكم (ارتاكسركسس) . ولقد استغل نفوذه على أولئك الذين قصدوه من البلاط الى حد غدوا معه ، لما عادوا ، اكثر تعلقا به من الملك . كما اهتم بمواطني منطقته ليراهم في حال ملائمة لتجريد حملة ، وقـــد استمالهم اليه جيدا . وجمع عساكره الاغريق بكتمان متناه ، هادفا الى مداهمة الملك بصورة مباغتة بقدر الامكان .

بهذه الطريقة كون جيشه . لقد انفذ اوامره الى قواد الحاميات في مختلف المدن باكتتـاب المحـاربين من اقليـم (بيلوبونيز) Peloponese باوفر واجود عدد ممكن ، بباعث ظاهره أن (تيسافرنوس) مبيت النية على القيام بعمل ما تجاه المدن . والحقيقة ان المدن (الايونية) كانت بالاصـل تابعة لتيسافرنوس لانها قد اعطيت اليه من قبل الملك ، أمـا الان ، فقد غدت باجمعها تؤول الى (كورش) باستثناء ميليطوس (Miletus) (٤) . احس (تيسافرنوس) في (ميليطوس) أن ثمة مؤامرة تحاك ، نظير انحياز الولايات الاخرى الى (كورش) فاعدم حياة بعض المتآمرين ، واقصى آخرين . لقد استـقبل (كورش) المنفيين ، والف جيشا ، وعزل (ميليطوس) بـــرا وبحرا ، وحاول ارجاع الزمرة المنفية . فاتخذ ذلك ذريعـة أخرى لتجميع الجيش وارسل طلبه الى الملك ، باعتباره شقيقه راجيا تسليم المدن اليه بدلا من حكمها من قبل (تيسافرنوس) . اما والدته ، فقد لعبت دورها كذلك في هذا المجال . ونتيجة لذلك ، لم تحصل للعاهل فكرة عن المؤامرة التي كانت بيتت ضده ، بل ظن أن (كورش) كان ينفق امواله ويكون جيشـــا لمحاربة (تيسافرنوس) . وهكذا ، ولما كان من خصومة دائرة بين ذينك الاثنين ، يقلق الملك ، خصوصا وان (كورش) كـــان يزوده بالخَـراج من المـدن التي كـانت ســابقا في قبضـة (تيسافرنوس) .

وكانت هناك قــوة أخــرى ، في طــور التـــكوين ، في (شرسونيز)(٥) المواجهة (آبيدوس)(٦) . وقد تم ذلك على هذا النحو : كان (كليرخوس) Clearchus الاسپرطي مقصيا . فواجهه (كورش) ، وحصل لديه انطباع قــوي الاثــر عــن

(*) اشتهر كتاب (الصعود) Anabasis للمؤرخ الاغريقي زينوفون باسم (الحملة على فـارس) أو (الحمـلة الفارسية) .. وقد آثرنا الاكتفاء بما يتعلق بالعــراق على الصعيد البلداني ، صافحين عما عقد على كردستان لعلمنا بان صلاح سعدالله قد ترجمه الى العربية ونشره في بغداد عام ١٩٧٣ بعنوان : مسيرة العشرة آلاف عبــر كردستان والجدير بالتنويه ان الاستاذ يعقوب منصور قد اعتمد طبعة Penguin لسنة ١٩٦١ في ترجمته لهذا الاثر .

(١) Artaxerxes هو (أرتحششتا) الثاني المعروف بالمدبر .

(٢) بالانكليزية يكتب (Cyrus) ويلفظ (سايروس) ، وكذلك بالافرنقية .

(٣) أورد الاستاذ (طه باقر) في كتابه (مقدمة في تاريـخ الحضارات القديمة) ـ الجزء الثاني ص ٤١١ و ٤١٢ مايلي : « وقد بُدئ حكمه بمحاولة فاشلة لاخيه المسمى كورش الاصغر لاغتياله بطعنة خنجر في أثناء الاحتفـــال بالتتويج في المعبد الذي في (بزرگادة) ولكن نجا كورش من العقاب بتوسلات امه وتضرعها » .

(٤) هي (ملاطيه) الحالية في تركيا .

(٥) The Chersonese يرجع انها جزر في بحر (ايجه) بالابيض المتوسط أو عند مدخل مضيق الدردنيل .

(٦) مدينة (Abydus) على ساحل بحر (ايجه) .

امكانياته . وزوده بعشرة آلاف جنيه(٧) . فانفق (كليرخوس) الدراهم في تاليف جيش . بعد ذلك ، وقد كانت (شيرسونيز) قاعدته ، شن الغارة على (التراشيين) شمالي (هيليزبونت)(٨) وكان ذلك لمنفعة الاغريق ، ونتج ان مزيدا من المال تدفق عليه طوعا من قبل حواضر (هيليزبونت) لدعم عساكره . وهكذا بات لكورش جيش آخر لم يسترع الريبة لتاليفه على هذا النمط .

ثم كان هناك (اريستيبوس) ـ الذي من (ثساليا) صديق (كورش) ، الذي احاقت به صعوبات سياسية في موطنه من قبل الحزب المناوىء . لقد اقبل على (كورش) ، يرجو تزويده بالفين من الجنود المرتزقة ، وجعالة ثلاثة شهور لاجلهم ، قائلا ان ذلك يعينه في الغلبة على مناوئيه . فامده (كورش) باربعة آلاف رجل ، وجعالة ستة شهور ، وطلب منه الا يعقد اي اتفاق مع مناهضيه قبل استشارته أولا . وهكذا بات له جيش آخر في (ثساليا) دون اثارة شك .

كما انفذ ايعازا الى (بروكسينوس) البيوطي(٩) صاحبه ، بالتوجه شطره بمعية اكبر عدد مستطاع من الرجال ، اذ انه رغب في تجريد حملة على (البيزيديين) الذين كانوا يثيرون القلاقل في محافظته . واوعز الى (سوفاينتوس)(١٠) الذي من (ستيمفاليا) و (سقراط) الذي من (آشاي) ، وهما صديقاه كذلك ، بجلب ما يسعهما من الرجال ، لانه كان سيشن الحرب على (تيسافرنوس) ، وذلك دعما منه للمبعدين عن (ميليطوس) وقد نفذ (سوفاينتوس) و (سقراط) تعليماته .

ولما قرر أن قد آن أوان الزحف على العاصمة ، زعم أن غايته كانت تجريد منطقته من (البيزيديين)(١١) نهائيا ، وهو كأنه يستهدفهم ، حشد المفارز الفارسية واليونانية من جيشه سوية . عندئذ امر (كليرخوس) بالتقدم مع كامل قوته ، واوعز الى (اريستيبوس) أن يتوصل الى وفاق مع أعدائه في الوطن ، ويعيد اليه العساكر التي معه . وامر (زينياس) الاركادي ، الذي انيطت به قيادة مرتزقته في المدن ، بالمجيء مع جميع قواته الفائضة عن العدد الواجب لحماية الحصون . كما استدعى اولئك الذين كانوا قد احاطوا (ميليطوس) وحث المنفيين على الالتحاق به في تجريدته ، واعدا اياهم انه ، اذا ختمت حملته بالظفر ، لن يقر له قرار حتى يعيدهم الى اوطانهم وقد ارتضوا ذلك مبتهجين لثقتهم به . فوفدوا الى (سرديس)(١٢) مع أسلحتهم .

بعد ذلك ، وصل (زينياس) الى (سرديس) مع رجاله من المدن ، وكانوا زهاء أربعة آلاف راجل من المشاة الثقيلة ، كما قدم (بروكسينوس) برفقة ما يقارب الفا وخمسمئة من مشاة الاسلحة الثقيلة ، وخمسمئة من مشاة الاسلحة الخفيفة . اما (سوفاينتوس) الستيمفالي ، فقد وصل بالف راجل من ذوي الاسلحة الثقيلة ، و (سقراط) الآشي جاء بحوالي خمسمئة راجل من حَمَلَة الاسلحة الثقيلة . وكان لدى (بازيون الميجاري) ثلاثمئة راجل من الصنف الثقيل وثلاثمئة من مشاة الصنف الخفيف . كان سقراط وبازيون من ضمن القوة العاملة ضد (ميليطوس) .

ثم توجهت هذه القوى الى (كورش) في سرديس ، لكن تيسافرنوس عندما علم الامر ، ادرك ان القوة كانت من الضخامة بشكل لا يعقل اعدادها لمقاتلة (البيزيديين) ، فتوجه باقصى السرعة الممكنة ، مع خمسمئة فارس ، الى العاهل . فلما وقف العاهل على جلية الامر ، اتخذ التدابير لمجابهة كورش .

لقد انطلق كورش ، مع من ذكرت ، من سرديس ، وقد استغرق ثلاثة أيام في قطع (٦٦) ميلا داخل (ليديا) حتى بلغ نهر (مياندر)(١٣) الذي عرضه (٢٠٠) قدم ، وفوقه جسر عائم على سبعة قوارب . بعد اجتياز النهر ، ومسيرة (٢٤) ميلا خلال يوم واحد ، داخل (فريجيا) ، اشرف على مدينة (كولوساي) الواسعة المأهولة ، ذات الخيرات الغزيرة . فمكث هناك سبعة ايام ، ووصل (مينون) الذي من (ثساليا) مع الف من المشاة الثقيلة ، وخمسمئة من المشاة الخفيفة(١٤) . من ثم ، وعقب مسيرة (٦٠) ميلا خلال ثلاثة ايام ، بلغ (سيلانياي) وهي مدينة واسعة مقطونة واقعة في منطقة (فريجيا) . وكان لكورش ثمة قصر وحديقة شاسعة مليئة بالحيوانات البرية التي اعتاد اقتناصها ، وهو على ظهر جواده ، متى رغب في تدريب نفسه وخيوله . وكان نهر (مياندر) يخترق وسط الحديقة ، وكانت ينابيعه تتدفق خارجة من القصر ، كما انه يجري مخترقا مدينة (سيلايناي) . وكان للعاهل العظيم ايضا قصر في (سيلانياي) في موقع منيع عند منابع نهر (مارسياس) تحت القلعة . وهذا النهر كذلك يخترق المدينة ويلتئم بنهر (مياندر) . ان سعة مارسياس تبلغ (٢٥) قدما . وههنا مسرح الحكاية القائلة بان (ابولو)(١٥) سلخ جلد (مارسياس) عند اندحاره في الرهان بانه الغالب عليه في الحكمة ، وعلق اهابه في المغارة التي منها تنفجر المياه ، ولهذا دُعي النهر (مارسياس) . والمقول بان (زركسس) هو الذي شيد القصر وقلعة (سيلايناي) اثر عودته من اليونان مقهورا .

لقد اقام كورش في هذا الموضع ثلاثين يوما ، حيث وصل (كليرخوس) المنفي الاسبرطي مع الف من المشاة الثقيلة ، وثمانمئة جندي (ثراشي) من المشاة الخفيفة ، ومئتي نبّال (كريتي) . في نفس الحين ، لاح (سوسيس) السيراقوسي مع ثلاثمئة من المشاة الثقيلة و (سوفاينتوس) الاركادي بصحبة ألف من المشاة الثقيلة . وهنا استعرض كورش اليونانيين في حديقته ، واحصاهم . فبلغ عددهم احد عشر الفا من مشاة الصنف الثقيل ، وحوالي الفين من مشاة الصنف الخفيف .

وبعد أن قطع (٣٠) ميلا من هنا خلال يومين ، ادرك المدينة الآهلة (بلطاي) ، فمكث فيها ثلاثة ايام ، احتفل خلالها (زينياس) الاركادي بالعيد الليكي(١٦) ، ونظم العاب الفتوة . وكانت الجوائز تيجانا ذهبية ، وقد شهد الالعاب كورش نفسه .

---

(٧) Daric عملة فاسية نسبة الى (دارا) ـ داريوس ـ الملك وقيمتها زهاء جنيه واحد .

(٨) التراشيون الشعب القاطن (ثراشيا) وهي حاليا (بلغاريا) والهيليزبونت واقعة في مدخل الدردنيل The Hellespont

(٩) Proxenus the Boeotian

(١٠) Sophaenetus .

(١١) قوم منسوبون الى (بيزيديا) يقطنون شمالي جبال طوروس .

(١٢) الارجح أنها (مانيسا) الحالية شمال شرقي أزمير .

(١٣) هو النهر المسمى (بوك مندرس) حاليا ويصب في بحر ايجه .

(١٤) من الثساليين واليونانيين .

(١٥) هو اله الجمال والرجولة والشعر والموسيقى عند الرومان وقد طغى على الاسم الاغريقي (فوبوس) .

(١٦) Lycaen Festival

وبعد مسيرة (٣٦) ميلا خلال يومين ، بلغ آخر مدينة آهلة قبل حدود (ميسيا) ، يطلق عليها (سوق الفخارين) ومن هناك ، بعد ان قطع (٦٠) ميلا في ثلاثة ايام ، وصل (سهل كايستر) وهي مدينة آهلة .

وظل هناك خمسة ايام . ولما كانت جعائل الجنود ، لما ينوف على ثلاثة شهور لم تسدد فان الجنود غالبا ما توجهوا نحو فسطاطه ، وطالبوه بالجعائل . وكان عليه أن يقصيهم عنه بالوعود المستمرة ، وغير خاف أن ذلك قد اقلقه ، اذ ان رجلا مثل كورش ما كان ليحتجز الجعائل لو توفرت لديه . عندئذ ، وفدت ابياكسا Epyaxa قرينة (سينسيس) عاهل (كيليكيا) لزيارة كورش ، وقيل انها وهبته مبلغا وافرا من المال . ومهما يكن من امر ، فان كورش عند ذاك فقط ، وزع رواتب الجند المستحقة لاربعة شهور . كان برفقة ملكة (كيليكيا) حرس (كيليكيون) و (اسبنديون) . كما قيل انها رافقت وكورش سوية .

وبعد مسيرة (٣٠) ميلا من هنا ، خلال يومين ، ادرك المدينة الآهلة (ثيمبريون) . وكان هنا على جانب الطريق العين التي الحق بها اسم (ميداس) Midas ملك فريجيا ، اذ يقال ان (ميداس) قد اسر الشخص الخرافي(١٧) ـ الذي نصفه الاعلى بصورة بشري وشطره الاسفل بشكل ماعز ـ وذلك بمزج النبيذ مع الماء . ومن هنا سار قاطعا (٢٠) ميلا خلال يومين ، فوصل (تيرياون) وهي مدينة ماهولة . فاقام هناك ثلاثة ايام ، ويقال ان ملكة (كيليكيا) طلبت منه ان يريها عسكره . فشاء ان يقيم عرضا من اجلها . واستعرض في السهل جيشه اليوناني والوطني (الفارسي) . لقد اوعز الى اليونانيين بالاصطفاف واتخاذ مواضعهم الحربية المعتادة ، على ان يهتم كل ضابط بنظام رجاله ، فاصطفوا للعرض اربعة اربعة ، وكان (مينون) ومحاربوه على الميمنة ، و (كليرخوس) ورجاله على الميسرة ، والقادة الآخرون في القلب . فتفقد كورش جيشه الفارسي اولا ، متقدمين بهيئة زمر وبتشكيلات ايضا ، ثم تفقد اليونانيين ، وهو بمركبة على طول جبهتهم ، والملكة في عربة مظلة . وكانوا جميعا يرتدون الدروع البرونزية والقمصان الحمراء والدروع لوقاية الساقين ، وقد ازاحوا عنهم تروسهم . وحين اتى على نهاية العرض ، اوقف مركبته مقابل وسط الفيلق ، وانفذ ترجمانه (بيجرس) نحو القادة اليونانيين مع ايعاز بامر جنودهم بتجريد رماحهم للتاهب ولحركة الفيلق باكمله . فبلغ القادة الجنود اوامرهم ، ونفخ في النفير ، ورماحهم مجردة ، فتقدموا نحو الامام . فلما اسرع الجنود الخطى ، واطلقوا صراخهم ، وجدوا انهم في الحقيقة يهرولون نحو خيامهم . فاصاب الذعر المواطنين كافة ، وانهزمت ملكة (كيليكيا) بعربتها المظلة ، وغادر الناس في السوق مصطباتهم ، بينما انطلق اليونانيون الى خيامهم ضاحكين . اما ملكة (كيليكيا) ، فقد اعتراها الذهول وهي تنظر العرض الرائع الذي قام به الجيش ونظامه ، ولقد اغتبط كورش بما لاحظ من وقوع الهلع الذي احدثه اليونانيون في صفوف الاهالي .

وبعد ان اجتاز مسافة (٦٠) ميلا في بحر ثلاثة ايام ، وصل (ايقونية)(١٨) وهي آخر مدينة في (فريجيا) . فمكث هناك ثلاثة ايام ، ثم تابع التقدم خلال (ليكاونيا) ، فاستغرق ذلك خمسة ايام ، قطع اثناءها (٩٠) ميلا . ولما كانت هذه المنطقة معادية ، عهد الى اليونانيين بغزوها ، واعاد من هنا ملكة (كيليكيا) ، عن اقصر مسلك ، الى بلدها بحماية (مينون) نفسه ورجاله . اما كورش ومن معه ، فقد تقدموا خلال (كبدوكية) ، فوصل مدينة (دانا)(١٩) الواسعة الآهلة الغنية بعد أن قطع (٧٥) ميلا في اربعة ايام . وظل فيها ثلاثة ايام ، اعدم خلالها فارسيا يدعى (ميجافرنوس) الذي كان يحق له ارتداء الحلة الارجوانية السلطانية ، وشخصا آخر ذا صولة من الفئة الحاكمة ، وذلك بتهمة التآمر .

من هنا ، حاولوا اجتياز الحدود نحو (كيليكيا) . وكان المجاز عبارة عن مسلك عجلة واحدة ، شديد الانحدار ، يتعذر على جيش عبوره لو تعرض لادنى مقاومة . ولقد تواتر ان (سينيسيس) كان يراقب ذلك الممر من نقطة سامقة في المرتفعات وعليه انتظر كورش يوما واحدا في السهل . وفي اليوم التالي ، ورد مخبر فافاد ان (سينيسيس) قد هجر المرتفعات بعد علمه ان عسكر (مينون) سبق ان اجتاز جبال (كيليكيا)(٢٠) ، ولانه سمع ان بعض السفن الحربية تحت امرة (تاموس) وبعض السفن الاسبرطية وغيرها من اسطول كورش بالذات ، كانت ماخرة حول الساحل من (ايونيا)(٢١) باتجاه (كيليكيا) .

على كل حال ، بلغ كورش قنن الجبال من غير مقاومة ، ولمح مخيم الحامية الكيليكية . فانحدر من هناك الى سهل فسيح خلاب ، غزير المياه ، حافل بصنوف شتى من الشجر والاعناب ، وينتج كميات من السمسم والذرة والحنطة والشعير . ان الجبال الشاهقة المحدقة به من كل صوب ، والممتدة من البحر الى البحر ، جعلت منها حوله موقعا منيعا . وبعد الانحدار من الجبال ، ادرك (طرسوس) بعد قطعه (٧٥) ميلا في بحر اربعة ايام خلال هذا السهل ، وهي مدينة واسعة وغنية في (كيليكيا) حيث قام قصر (سينيسيس) عاهل (كيليكيا) . وكان نهر (سيدنوس)(٢٢) الذي عرضه (٢٠٠) قدم ، يشطر المدينة الى شطرين . ان السكان ، باستثناء اصحاب الحوانيت ، هجروا المدينة ورافقوا (سينيسيس) الى موقع منيع محصن في الجبال . كما تخلف عنهم القاطنون عند ساحل البحر في (سولي)(٢٣) و (ايسس)(٢٤) .

لقد وصلت (ابياكسا) قرينة (سينيسيس) طرسوس قبل كورش بخمسة ايام . وفقدت جماعتان من عسكر (مينون) اثناء اجتياز الجبال نحو السهل . واستنادا الى بعض التقديرات يقال ان (الكيليكيين) قد ابادوا هاتين الجماعتين اثناء قيامهما

---

(١٧) Satyr : شخص خرافي في اساطير الاغريق . وشبه الجملة المعترضة من (الذي) الى (ماعز) اضافة من المعرب .

(١٨) Iconium وهي (قونية) الحديثة .

(١٩) Dana وهي (أظنه) الحالية في تركيا .

(٢٠) تدعى اليوم (كولاك بوغاز) ـ مجلة (سومر) العدد (٢٠) ص ٢٢٨ .

(٢١) Ionia : الجزء الغربي من آسيا الصغرى المطل على بحر ايجه والجزر التي فيه .

(٢٢) قد يكون هذا النهر هو سيحون او احد روافده لقربه جدا من طرسوس .

(٢٣) ارجح انها (ايشيل) أو (مرسين) حاليا .

(٢٤) Issus ـ المشهورة في التاريخ القديم بموقع المعركة التي وقعت عندها بين دارا الفارسي والاسكندر المقدوني .

بحملة سلب ، واستنادا الى غيرها ، لقد تركنا في المؤخرة ، فلم تتمكنا من العثور على بقية العسكر ، او اقتفاء الاثر الصحيح ، فتاهتا وابيدتا . ومهما كانت الحقيقة ، فالقوة كانت مئة جندي من المشاة الثقيلة . ولما وصلت البقية من عسكر (مينون) ، سلبوا مدينة (طرسوس) وقصرها الملكي لحنقهم من جراء فقدان رفاقهم .

بعد دخول كورش المدينة ، انفذ في طلب (سينيسيس) للحضور لديه . فكان رد (سينيسيس) انه لم يمس بعد في حوزة اي فرد اقوى من ذاته ، وظل مصرا على رفضه زيارة كورش في هذه المناسبة حتى تمكنت عقيلته من اقناعه بالذهاب ، وحتى ضمنت له السلامة . بعد ذلك ، جرى لقاء بين الاثنين ، ووهب (سينيسيس) كورش مبلغا كبيرا من المال من اجل الجيش ، في حين منحه كورش اشياء تعتبر من هدايا الشرف في البلاط ـ جوادا مزودا بلجام ذهبي ، ورباطا وسوارا ذهبيين ومهندا ذهبيا احدب ، وحلة فارسية . وضمن له عدم اغتصاب ارضه ، وقطع له وعدا أن رعاياه سيستعيدون العبيد الذين اسروا حيثما صادفوهم .

مكث كورش والجيش هنا مدة عشرين يوما ، لان الجنود ابوا متابعة المسير . فقد ارتابوا بانهم انما يزحفون ضد العاهل ، وقالوا بانهم لم يستخدموا من اجل ذلك . حاول (كليرخوس) أول الامر ، ارغام الجنود التابعين له للمضي قدما ، بيد انهم رجموه بالحجارة ، ورجموا حيواناته ، ناقلة الامتعة والحقائب ، حالما حاولوا الشروع في الحركة . وكاد (كليرخوس) أن يموت رجما في هذه الحادثة ، لكنه بعد ان ادرك انه لن يفلح في قصده عنوة ، نادى باجتماع الجنود التابعين له . فانتصب بادىء الامر امامهم دون حراك لفترة طويلة وهو ينتحب ، فتعجبوا لمرآه ، وظلوا صامتين . ثم خاطبهم قائلا : « زملائي الجنود ، لا تستغربوا اضطرابي من جراء ما يجري . لقد اضحى كورش صديقي ، وعندما كنت منفيا عن تربتي ، لم يعاملني باحترام كبير فحسب ، بل وهبني عشرة آلاف جنيه . وعندما حصل المال لدي ، لم احتفظ به جانبا لذاتي ، ولم انفقه على ملذاتي الخاصة ، بل صرفته عليكم . لقد حاربت (التراشيين) أولا ، وانتم وانا وجهنا ضربة لصالح اليونان ، وذلك باكتساحهم من (شيرسونيز)(٢٥) حيث ارادوا اغتصاب الارض من مستوطنيها اليونانيين هناك . فلما دعاني كورش ، توجهت نحوه معكم ، بقصد ان ارد صنيعه ، اذا احتاج الى مساعدتي ، تعويضا لكل ما حباني من لطف . على اية حال ، ما دمتم غير راغبين في الزحف معه ، فينبغي علي تخير احد امرين : اما يتحتم علي أن انبذكم واحافظ على صداقة كورش ، واما ان انقض وعدي له ، وانطلق معكم . فلا ادري الآن ان كنت اتصرف تصرفا سليما ام لا ، ومهما يكن ، فاني سافضلكم ، وساتحمل تبعة ما سيكون لئلا يقال ابدا باني قد اقتدت اليونانيين الى بلد اجنبي ، ثم تخليت عنهم ، وفضلت مصادقة اهل البلاد ، كلا بما انكم لن تطيعوني ، فانا تابعكم واتحمل المغبة ، ذلك لاني اعدكم بلدي واصدقائي وحلفائي ، حينما اكون بين ظهرانيكم ، اعتقد ان الشرف سيلازمني حيثما كنت ، ولكن من دونكم لا اعتقد انه سيكون في وسعي فعل الخير من اجل صديق ما او الحاق الاذى بعدو ما . لذا تستطيعون الوثوق اني ذاهب الى حيث تذهبون » .

ذلك ما تفوه به . فصفق له الجنود قاطبة ـ تابعوه وغيرهم ايضا ـ وذلك عندما اصغوا الى عزوفه عن الزحف ضد العاهل . فانحاز اليه ما يربو على الفي مقاتل من رجال (زينياس) و (باژيون) ، آخذين اسلحتهم وحقائبهم وخيموا بجوار (كليرخوس) . لقد اقلق هذا كورش واحزنه ، فارسل في طلب (كليرخوس) ، فلم يشأ (كليرخوس) الذهاب ، بل بعث رسولا الى كورش من غير معرفة الجنود ، واخبره أن يتمسك بشجاعته لان الامور ستجري بصورة افضل . وقال له أن يطلبه ثانية ، لكن (كليرخوس) رفض الذهاب ايضا . بعد ذلك جمع الجنود من تابعيه والذين التحقوا به وكل من شاء الاستماع . وخطبهم قائلا : « زملائي الجنود : من الواضح أن نظرة كورش عنا قد تبدلت ، مثلما تبدلت فكرتا عنه تماما . لاننا لم نعد جنوده (اذ كيف نكون كذلك أن نتخلف عن اللحاق به ؟) كما انه لم يعد مستخدمنا . على كل حال ، اني موقن انه يعتقد باننا قد اسأنا معاملته ، فعليه ـ حتى حينما يرسل في طلبي ـ لا ارغب في المضي اليه . ومرد ذلك ، بصورة رئيسية ، هو الشعور بالخجل ، لادراكي باني قد خيبت امله في كل وسيلة ، لكنني اخشى ، كذلك ، أن يعتقلني ويعاقبني على معاملتي الخاطئة التي يحسب صدورها مني نحوه . فرأيي لذلك ، ان ليس هذا أوان الذهاب للنوم ، واهمال مصلحتنا الذاتية . بل حري بنا أن نتدبر ما ينبغي علينا عمله كخطوة ثانية . فطالما نحن نقيم هنا ، اعتقد انه يجب علينا اعتبار افضل طريقة نستطيع بها ان نجعل بقاءنا مأمونا جهد الطاقة . فان كان قد تقرر الذهاب ، فعلينا أن نفكر في كيفية ذلك باقصى درجة من السلامة ، وفي كيفية تمكننا من الحصول على الميرة ، اذ بدونها لا يصلح قائد ولا جندي بسيط لاي شيء . ان الشخص الذي يهمنا امره ، عظيم الفضل عند اولئك الذين يحبهم ، لكنه عدو بالغ الخطورة عند مناوئيه ، والقوة التي في حوزته من مشاة وفرسان وسفن مرئية ومعلومة لدى كل فرد منا . في الحقيقة ، اعتقد أن معسكرنا لا يبعد عنه كثيرا . لذا ، قد آن الاوان ليقول الناس ما هو افضل شيء يجب عمله في اعتقادهم » .

لقد توقف عن النطق بعد قوله ذلك ، فنهض بعضهم ليقولوا ما يدور في خلدهم ، بيد أن آخرين ممن القى عليهم (كليرخوس) ذات المسألة ، اوضحوا الصعوبة الجسيمة في مكوثهم هناك ، او الرجوع من غير موافقة كورش . وتكلم احد هؤلاء ، زاعما انه مشتاق الى العودة الى الوطن (اليونان) باسرع ما يمكن ، وطلب أن ينتخبوا قادة آخرين في الحال ، اذا عارض (كليرخوس) قيادتهم اثناء الرجوع وأن يبتاعوا الميرة (وكانت السوق في معسكر الجيش الوطني)(٢٦) وأن يحزموا امتعتهم ، ويتحتم عليهم اللجوء الى كورش برجاء تزويدهم بالسفن ليتمكنوا من الرحيل بحرا ، فان احجم عن تزويد السفن ، وجب عليهم أن يسألوه تزويد الدليل لمرافقتهم خلال تغلغلهم في قطر صديق . فان لم يشأ حتى تزويد هذا المرشد ، وجب عليهم التجمع تأهبا للمعركة بالسرعة المستطاعة وارسال مفرزة لتحتل المرتفعات للحيلولة دون وصول كورش هناك أولا او (الكيليكيين) الذين منهم اغتصب اليونانيون ـ وما زالوا كذلك ـ عددا جما من الرجال ، ومبالغ طائلة من المال .

---

(٢٥) Chersoneso ويجوز أن تلفظ (خيرسونيز) ايضا . ويغلب أنها الآن ضمن حدود (بلغاريا) أو عند مدخل الدردنيل .

(٢٦) يقصد الجيش الفارسي .

بعد ان تكلم هذا على ذلك النحو المقتصر (كليرخوس) على القول : « لا يتوهم احدكم ابدا باني قائدكم في حملة من هذا الطراز . استطيع رؤية عدة عوامل في الموقف من شانها ان تجعل ذلك مستحيلا علي . لكنكم تاكدوا اني ساساند مخلصا ذلك الشخص الذي تنتخبون ليحل محلي ، لتعلموا ان في مقدوري الاذعان للنظام على احسن وجه يستطيعه غيري بالضبط » .

لم نهض رجل آخر ، وبين خطل رأي المتكلم الذي اوصاهم بمطالبة كورش بتزويد المراكب ، كأن كورش هو الذي يعيد جيشه القهقرى ، وقال : « ما اسخف أن نطلب الدليل من نفس الرجل الذي انهار مشروعه بسببنا ! فان كنا حقيقة سنضع ثقتنا في الدليل الذي يزودنا به كورش ، فينبغي علينا ، كذلك ، ان نطالب كورش باحتلال المرتفعات من اجلنا . اني بالتوكيد ساحجم عن ركوب السفن التي يجهزها (كورش) ، فهو قد يغرقنا بزوارقه ، واني اخشى اتباع الدليل الذي يعطينا ، فلربما يقتادنا الى موضع لا سبيل للنجاة منه . فان كان لي ان اقفل راجعا ضد رغبة كورش ، تمنيت الاياب دون علمه ــ وهذا ليس بالمستطاع . لكن الحقيقة هي ان كل هذا هراء . رأيي انه يتحتم ذهاب فئة ملائمة من الرجال مع (كليرخوس) الى كورش للوقوف على ما ينوي استخدامنا من اجله . فان كان المشروع ، على وجه التقريب ، نظير المشاريع التي استخدم فيها جنود المرتزقة ، وجب علينا كذلك المضي معه وان نكون بواسل كاولئك الذين عملوا بمعيته في الداخل سابقا . اما اذا لاح المشروع اوسع نطاقا مما سلف ، وان اخطارا وصعوبات اكثر ستكتنفه ، فيلزم ان يسالوه ، على اساس من اتفاق الطرفين ، اما ان يقودنا قدما ، واما ان يدعنا نغادر بسلام . بهذا النحو ، اذا رافقناه ، فسنمضي معه بعلاقات اطيب وبرغبة اعظم ، وان غادرناه ، فعلنا ذلك بشكل مأمون العاقبة . على مبعوثينا ان يعودوا لاعلامنا بجوابه ، وسنتخذ التدابير على ضوء ما نسمع منهم » .

هذا هو النهج الذي عزموا عليه . فانتخبوا مندوبين عنهم ، واوفدوهم مع (كليرخوس) ليعرضوا على كورش المسائل التي تعلق عليها الجيش . فرد كورش انه قد انبىء بان خصمه (ابروكوماس) بات عند الفرات وعلى مسيرة اثني عشر يوما من هذا الموضع . وقال انما اراد الزحف عليه وانه لو كان هناك ، لانتقم منه . اما اذا شاء الفرار ، فعندئذ قال « يتحتم علينا فورا أن نرسم الخطط لمجابهة الوضع » .

فعندما اصغى الموفدون الى ذلك ، نقلوه الى الجنود الذين بينما ارتابوا في انه كان يقودهم ضد العاهل ، قرروا ــ مع ذلك ــ الذهاب معه . الا انهم طلبوا مزيدا من الجعائل ، فوعدهم كورش جميعا نصف ما استلموا سابقا ، اي جنيها ونصف جنيه عن الشهر لكل جندي بدلا من جنيه واحد . اما فيما يتعلق باقتيادهم ضد العاهل ، فلم يخبره اي واحد منهم بذلك ، حتى في هذه المناسبة ، اقلها ليس جهرا .

من ثم ، بلغ نهر (بساروس)(٢٧) بعد قطعه (٢٠) ميلا في يومين ، وكان عرض النهر (٣٠٠) قدم . وبعد ان سار (١٥) ميلا في يوم واحد ، وصل النهر المدعو (بيراموس)(٢٨) الذي عرضه (٦٠٠) قدم ، فبلغ (ايسس) ، الآهلة الزاهرة بعد مسيرة (٤٥) ميلا خلال يومين . انها اقصى مدينة في (كيليكيا) وتشرف على البحر .

هنا ، مكث كورش ثلاثة ايام ، فانضمت اليه السفن القادمة من (البيلوبونيز) والمؤلفة من خمس وثلاثين قطعة منها تحت امرة امير البحر (بيثاغوراس) الاسبرطي ، وقد قادها من (افسس) تاموس الفرعوني الذي كان آمرا على خمس وعشرين سفينة اخرى عائدة لكورش ، بها كان قد عزل (ملاطية) حينما كانت منحازة الى (تيسافرنوس) . كما كان على ظهر السفن (خريسوفوس) الاسبرطي الذي طلبه كورش فقدم بصحبة سبعمئة راجل من الصنف الثقيل ، قادهم بنفسه ضمن جيش كورش . وقد رست السفن مقابل فسطاط كورش وهنا ايضا ، تمرد اربعمئة راجل من الصنف الثقيل ومن مرتزقة (ابروكوماس) والتحقوا بكورش للزحف على العاهل .

فانطلق من هنا نحو ابواب (كيليكيا) وسورية ، وادركها بعد قطعه (١٥) ميلا في يوم واحد . وكان هنالك حصنان : داخلي يقي كيليكيا وكان تحت سيطرة (سينيسيس) وحامية من الكيليكيين ، وخارجي يصون سورية ، قيل انه بيد حامية من جنود العاهل . كان نهر (كارسوس)(٢٩) ، الذي عرضه (١٠٠) قدم يجري بين الحصنين ، والفسحة بينهما (٦٠٠) ياردة . لذا كان شق الطريق بينهما لا يصح ذكره نظرا لضيق الممر وامتداد الاسوار حتى البحر ، تعلوها اجراف قائمة . وكان ثمة ابواب في كل من الحصنين . وقد حدت بكورش رغبة الاحاطة بهذا الموقع ، ان يستدعي اسطوله ، اذ كانت الخطة انزال المشاة الثقيلة على جانبي الابواب ، ولشق الطريق عبر صفوف العدو في حال حراسته الابواب السورية ، كما توقع كورش ان يفعل (ابروكوماس) لان القوة التي كانت معه لا يستهان بها . على كل حال ، لم يقدم (ابروكوماس) على ذلك ، لكنه غادر (فينيقيا) ، وتقدم للالتحاق بالملك مع جيش ، قيل انه كان مؤلفا من ثلاثمئة الف مقاتل ، وذلك حالما بلغه وجود كورش في كيليكيا .

وبعد ان سار كورش يوما واحدا من هذا الموضع ، مجتازا (١٥) ميلا ، اشرف على (مرياندروس)(٣٠) وهي مدينة تطل على البحر ، يقطنها الفينيقيون . كان هذا المكان مركزا تجاريا ، وكانت سفن تجارية عديدة راسية هناك . فاقام هنا سبعة ايام ، صعد القائدان (زينياس) الاركادي و (بازيون) المجاري ظهر سفينة واحدة ، ضمت اثمن مقتناهما ، واقلعا . لقد ظن اغلب الناس ان الحسد كان دافع ذلك لان كورش سمح لكليرخوس ان يضع تحت امرته جنودهما الذين انضموا اليه عندما عرضت لهم فكرة الرجوع الى اليونان وعدم الزحف على العاهل . بعد اختفائهما اشيع ان كورش يتعقبهما بالزوارق ، وان البعض ، وقد نعتوهما بالجبن آملوا انهما سيمسكان ، بينما شعر آخرون بالحزن عليهما لو قبض عليهما . بيد ان كورش جمع قادته ، وقال : « لقد تخلى عنا (زينياس) و (بازيون) ، لكنهما لن يكونا فوتَ الادراك . اني اعرف الطريق التي سلكا ، ولم يفلتا مني مازلت امتلك الزوارق التي في مقدورها ان تباغت مراكبهما . لكني قسما بالسماء ، لن اتعقبهما بالتاكيد ، لئلا يقول عني احد باني انتفع بالرجل مادام في خدمتي ، لكني اعتقله واسيء

---

(٢٧) Psarus يرجح انه نهر (سيحان) حاليا .

(٢٨) Pyramus يرجح انه نهر (جيحان) حاليا

(٢٩) Carsus يرجح انه نهر (الاسود) حاليا .

(٣٠) Myriandrus

معاملته واستحوذ على ما يقتني ، عندما يشاء المبارحة . كلا ، ليلهيا مع العلم انهما قد سلكا معنا أسوأ مما سلكنا معهما . اقر اني قد وضعت الحجر على اولادهما ونسائهما تحت الحراسة في (ترالس)(٣١) لكنهما لن يحرماهم . كلا ، بل سيستعيدانهم مقابل ما اسدياني من العمل الصالح في الماضي »

ذلك ما قال . اما الاغريق ، فحتى اولئك الذين لم يكونوا في غاية الحماس للتغلغل نحو الداخل ، اضحوا اكثر اغتباطا ورغبة في الانطلاق معه ، عندما سمعوا كيف تصرف كورش تصرفا حسنا .

بعدئذ ، تابع المسير قاطعا (٦٠) ميلا خلال اربعة ايام ، فوصل (خالوس)(٣٢) وهو النهر الذي سعته (١٠٠) قدم عرضا ، وكان مليئا بالاسماك الاليفة التي عدها السوريون آلهة لا يجيزون احدا بايذائها (وهم يعتقدون ذات الاعتقاد في طيور الحمام) . ان القرى ، حيث عسكروا ، تؤول ملكيتها الى (باريزاتس) وقد وهبتها لتدر نفقة لجيبها الخاص .

وبعد اجتياز (٩٠) ميلا في خمسة ايام ، اشرف على منبع نهر (داردیس)(٣٣) الذي عرضه (١٠٠) قدم . هنا قام قصر (بلسيس) - حاكم سورية - وحديقة مترامية جدا وجميلة ، ضمت جميع النباتات القابلة للنماء . لكن كورش عاث في الارض ، واحرق القصر .

ثم واصل الزحف من هنا ، قاطعا (٤٥) ميلا خلال ثلاثة ايام ، فبلغ نهر (الفرات) الذي كان عرضه (٨٠٠) ياردة ، وهنالك قامت على ضفتيه مدينة عظيمة ثرية تدعى (ثابساكوس)(٣٤) حيث مكث خمسة ايام .

عند هذا الموضع ، ارسل كورش في طلب القادة اليونانيين وابلغهم بزحفه ضد العاهل العظيم نحو مدينة (بابل) . وطلب منهم اعلام الجنود بذلك واقناعهم بالمضي معه . فالتأم القادة وبلغوا بلاغ كورش . لكن الجنود كانوا ساخطين ، وقالوا ان القادة على علم سابق منذ البداءة ، لكنهم حجبوا ذلك ، فابوا الذهاب ابعد من ذلك ، الا اذا منحوا مزيدا من المال . كما اعطي قبلهم الذين رافقوا كورش الى العاصمة حيث والده ، علما أن المسألة اذ ذاك لم تكن مسألة قتال ، بل مجرد دعوة (كورش) من قبل والده الى البلاط .

فاخبر القادة كورش بكل ذلك ، فوعدهم باعطاء كل فرد منهم عشرين جنيها(٣٥) من الفضة حين وصوله الى بابل مع راتب كامل حتى العودة باليونانيين الى (آيونيا) . لقد استميل اغلب الجيش اليوناني بهذه الشروط ، لكن (مينون) قبل التأكد من عزم باقي الجيش على ما سيقدم عليه ، وفيما اذا كان سيتبع كورش ام لا ، دعا الى اجتماع المقاتلين التابعين له قصيا عن البقية ، وخاطبهم قائلا : « ايها الجنود : ان تتقبلوا نصيحتي ، فانكم - دونما خطر او صعوبة مطلقا - ستحصلون على مزيد من تقدير كورش دون سائر البقية . وهذا ما اوصي به : ان كورش ، في هذه اللحظة ، يرجو اليونانيين ان يلتحقوا به ضد العاهل . فاقول : يتحتم عليكم اجتياز الفرات قبل ان يبدو اكيدا نوع الجواب الذي سيوجهه اليونانيون الاخرون الى كورش . اذ عندئذ ، ان يحبذوا مرافقته ، فانتم - بصفتكم اول الذين سيجتازون النهر - سيكون لكم الفضل في اتخاذ القرار ، وسيغدو كورش ممتنا لكم لانكم اشد مناصريه تحمسا ، وسيظهر شكرانه . صدقوني انه يعلم كيف يفعل ذلك . وان يصوت الاخرون ضد الفكرة ، فسنقفل راجعين ، لكن نظرته اليكم ستكون انكم وحدكم الذين تطيعون اوامره ، والافضل من يعتمدهم في تادية واجبات الحراسة وترقية في الرتب ، وكل ما رغبتم في ما عدا ذلك ، فانا واثق من نوالكم اياه عن سبيل صداقة كورش » .

بعد سماعهم هذا ، تقبلوا مشورته ، وعبروا الفرات قبل ان يبعث الاخرون بردهم . فاغتبط كورش باجتيازهم ، وانفذ (جلاوس) الى عسكر (مينون) مع البلاغ التالي : « ايها الجنود ، اني لمسرور بكم الآن . لكني ساضمن مسرتكم بي كذلك ، والا فلست ادعى كورش » .

ان الجنود من جانبهم ، وهم بآمالهم العظام ، ابتهلوا من اجل فوزه ، وقيل انه قد ارسل هدايا سخية الى (مينون) . بعدئذ ، عبر هو النهر ولحق به الجيش الباقي باكمله . واثناء العبور ، لم يبتل احدهم من ماء النهر فوق مستوى الاثداء . وقال سكان (ثابساكوس) انها المرة الوحيدة التي غدا فيها من الميسور عبور النهر خوضا لتعذر ذلك بدون زوارق ، وقد احرق (ابروكوماس) الزوارق في هذه المناسبة ليعيق كورش عن العبور . بدا مؤكدا انه قد كان ثمة شيء يفوق المعتاد بهذا الشأن ، وان النهر ، من غير شك ، قد يسر العبور لكورش ، مادام قد قدر له أن يغدو ملكا .

من هنا ، واصلوا التغلغل في سورية ، فقطعوا (١٥٠) ميلا خلال تسعة ايام ، حتى ادركوا نهر (اراكسس)(٣٦) ، حيث القرى العديدة الزاخرة بالغلال والنبيذ . فمكثوا ثلاثة ايام وتزودوا اتاءها بالقوت .

من هنا ، والفرات عن يمينهم ، واصل (كورش) التقدم داخل شبه الجزيرة العربية . فتغلغلوا عبر الصحراء ، قاطعين (١٠٥) اميال خلال خمسة ايام . في هذا الشطر من العالم ، كانت البسيطة سهلا على مستوى واحد كالدأماء . كان الشيح وفيرا ، وكان القصب وجميع الشجيرات النامية هنالك ذات

(٣١) Tralles هي مدينة آيدين (Aydin) الحالية في تركيا .

(٣٢) Chalus يرجح الرحالة المستشرق الجيكي (ألويز موسيل) مؤلف كتاب (الفرات الاوسط) أن هذا النهر هو عفرين الحالي .

(٣٣) يرجح المستشرق (موسيل) ان Dardes نهر (الذهب) شرقي حلب . يبعد عن (ثابساكوس) مسيرة ثلاثة ايام .

(٣٤) Thapsacus تعني المخاضة وهي التي وردت في (التوراة) باسم (تفساح) التي فتحها الملك سليمان ، ويعينها (موسيل) الى الشمال من مدينة (بالس) التي هي قنسرين . انظر ص ٢٢٩ من المجلد (٢٠) من مجلة (سومر) .

(٣٥) Five Minae والمفرد (Mina) عملة فضية تعادل زهاء أربعة جنيهات.

(٣٦) Araxes هو نهر الخابور ويدعى كذلك (خابوراس) Chaboras . والملاحظ ان (زينوفون) لم يذكر نهر (البلخ) بعد اجتياز الفرات حيث مدينة الرقة التي كانت تعرف آنذاك أو في عهد الاسكندر باسم نيسيفوريوم (Nicephoriom) ويجوز ان هذا النهر كان جافا آنذاك .

رائحة ذكية كالعطر(٣٧) . لم تكن ثمة اشجار ، بل كانت هنالك حياة حيوانية منوعة . كانت الحمر الوحشية بوفرة ، كما كان النعام والحبارى والغزلان بكثرة . لقد تصيد الفرسان كل هذه الحيوانات مرات عديدة . اما الحمر الوحشية ، فكانت ـ عند ملاحقتها من قبل احد ـ تعدو قدما ثم تقف ساكنة ، فقد كانت في عدوها اسرع بكثير من الخيول ، وعند دنو الخيول منها ثانية ، تفعل ذات الشيء ، وكان من المتعذر امساكها الا بوساطة وضع الفرسان على مسافات متتابعة والقنص على مراحل . وكان لحم الحمر التي اقتنصت اشبه بلحم الظباء ، الا انه اكثر طراوة . لم يفلح فرد في اقتناص النعامة . والحقيقة ان الفرسان الذين حاولوا ذلك ، سرعان ما عدلوا عن اقتفائها ، اذ اوجب عليهم تقفل مسافات سحيقة جدا عند هروبها منهم . كانت تستخدم قدميها للجري ، وتستعين باجنحتها كما لو كانت تستعمل الشراع ، لكن المرء يستطيع اصطياد الحبارى اذا حملها على التحليق بسرعة ، لانها لا تطير الا قليلا حتى يعتريها الاجهاد سريعا نظير الحجل . وكان لحمها لذيذا .

بعد التغلغل داخل هذه البلاد ، بلغوا نهر (ماسكاس)(٣٨) الذي عرضه (١٠٠) قدم . كانت هنا مدينة مهجورة ، واسعة الرقعة ، تدعى (كورسوت)(٣٩) وكان نهر (ماسكاس) يجري متعرجا حولها ، فبقوا هناك ثلاثة ايام ، وتزودوا بالطعام . بعدها ، ساروا ثلاثة عشر يوما ، قطعوا اثناءها (٢٧٠) ميلا عبر الصحراء ، والفرات مازال عن يمينهم ، حتى وصولهم الموضع الذي يطلق عليه (الابواب)(٤٠) . لقد مات جوعا عدد وافر من حيوانات نقل الامتعة لانعدام الحشائش واي نبت نام . كانت الارض جرداء تماما . واعتاد السكان اقتلاع الاحجار عند ساحل النهر لصنع احجار الرحى لطحن الحبوب ، فيأخذونها الى بابل بقصد بيعها ، وتعيشوا على القوت الذي ابتاعوا بالايراد .

لقد نضبت الغلال التي حملها العسكر اثناء هذه المسيرة ، ولم يكن في الامكان ابتياع اية كمية الا في سوق (ليديا) بين جند كورش الفرس ، حيث كان من الميسور حصول الفرد على زهاء نصف كيلوغرام(٤١) من دقيق الحنطة او من الشعير المقشور مقابل اربعين فلسا تقريبا(٤٢) . لذلك عاش الجنود على اللحم فحسب .

وقد جعل كورش بعض هذه المسيرات طويلة جدا وذلك في حالة احتياج الى بلوغ الماء والعليق . وفي احدى المرات ، كان الطريق ضيقا موحلا ، يصعب على قافلة العربات عبوره ، عندما توقف كورش مع انبل واغنى مرافقيه ، واوعز الى (جلاوس)(٤٣) و (بيجرس)(٤٣) باتخاذ مفرزة من الجيش الفارسي للاسهام في انتشال العربات من الوحل ، وعندما حسب انهم جادون في ذلك ببطء ، بدا عليه السخط ، واوعز الى ابرز الفارسيين في حاشيته ، ليسهموا في انهاض العربات . اذ ذاك حقا ، رأى الفرد شيئا من نظام . فحيثما اتفق ان كانوا واقفين ، القوا عنهم ارديتهم الارجوانية ، وخفوا نحو الامام كانهم في سباق ـ منحدرين من تل شديد الانحدار ايضا ، ومرتدين القمصان الغالية والسراويل المطرزة . كما كانت لبعضهم سلاسل حول اعناقهم واسورة حول معاصمهم . لكنهم مع كل ما عليهم ، قفزوا نحو الطين رأسا ، وازاحوا العربات نحو اليابسة باسرع مما لاح ممكنا لاي فرد .

كان جليا ، بصورة عامة ، ان كورش كان مسرعا طول الطريق ، دون توقف ، الا حينما حط من اجل التجهيزات أو ضرورة اخرى . لقد حسب انه كلما عجل الوصول ، كان العاهل اقل تأهبا اذا اشتبك معه ، وكلما ابطأ السير ، تضاعف الجيش الذي كان في وسع العاهل تجميعه . في الحقيقة ، ان المراقب اللبيب لامبراطورية العاهل ، سيتوصل الى هذا التقدير : انها قوية بالنسبة الى اتساع رقعتها وعدد سكانها ، لكنها واهنة فيما يخص مواصلاتها الطويلة ، وتفرق قواهـا ، وذلك اذا استطاع احد الهجوم بسرعة .

على الجانب الآخر من نهر الفرات ، مقابل الصحراء التي كانوا يسلكون ، كانت ثمة مدينة واسعة غنية ، تدعى (خارمند)(٤٤) ، فابتاع الجنود ما احتاجوا اليه من هنا ، وعبروا النهر فوق الطواف بالنحو الآتي : لقد حشوا الجلود ، التي استعملوها اغطية لخيامهم ، بالحشيش اليابس ، ثم ضموا بعضها الى بعض ، ورتقوها كي لا يصل الماء الى الحشيش

---

(٣٧) يؤيد هذا حتى الآن الشيخ محمد رضا الشبيبي في بحثه (رحلة في بادية السماوة) المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي ـ مجلد ١١ .

(٣٨) للاستزادة حول Mascas راجع ص ٢٣٢ من مجلة (سومر) ع ٢٠ .

(٣٩) ارجح ان Corsote في موضع قريب من مدينة (البو كمال) الحالية في سورية . ويرجح المستشرق الجيكي (موسيل) انها خرائب (الناوي) . واغلب الظن انه يعني (الطاوي) التي لم اعثر عليهـا في الخـرائط للاستزادة راجع ص ٢٣١ من مجلة (سومر) ع ٢٠ .

(٤٠) اورد الاستاذ طه باقر في ص (٤١٣) من كتابه (مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ـ الجزء الثاني) ما يلي : « ويصل الجيش اخيرا الى موقع شمالي الرمادي بنحو خمسين ميلا ذكره زينوفون باسم (الابواب) . ولا يعلم موضع هذا الممر ... » وخريطة الكتاب تدعوه (Pylae) ويعينها (موسيل) عند (تل الاسود) ويحدد المسافة بينها وبين (كورسوت) ب (٢٦٥) كيلومترا .

(٤١) لقد توصلت الى هذا المقدار بدليل نص في الكتاب يشرح ذلك ، قائلا (The Capithe is Equal to Three Pints) اي ان الكابيث يعادل ٣ باينتات . وبما ان (الباينت) مكيال سعته زهاء نصف لترة ، فقدرت ان (الكابيث) الواحد من الدقيق يعادل وزنا زهاء نصف كيلوغرام .

(٤٢) يذكر النص الانكليزي (Four Sigli) . مفرد هذه العملة (سيجلوس) Siglus تعادل ٧ (أوبولات) ونصف الاوبول (Obol) وهو عملة تساوي (٦) فلوس تقريبا . وارجح ان (الشاقل) قريب من هذه الكلمة مبنى ومعنى .

(٤٣) احد مترجمي كورش .

(٤٤) ارجح انها في موضع قريب من هيت او حديثة الحاليتين على الضفة اليسرى من الفرات . ويعينها المستشرق الجيكي (موسيل) في جنوب غربي (تل الاسود) حاليا . ولقد جاء ذكر هذه المدينة في ص ٢٣٢ و ٢٣٣ من ع ٢٠ من مجلة (سومر) بهذا الشكل (شارمانده) . وقد تكون ـ في ترجيحي ـ في موضع قريب من الرمـادي الحاليـة .

الجاف ، فاجتازوا النهر عليها ، وحصلوا على الميرة والخمرة المستخرجة من التمر و (نوع من الغلال)(٤٥) المبلولين في تلك الديار بكثرة .

في هذا الوضع ، حدث شجار حول امر ما بين عسكر (مينون) وعسكر (كليرخوس) . ولما حكم (كليرخوس) ان جندي (مينون) كان المخطيء ، امر بضربه . وعند اوبة ذلك الجندي الى جماعته ، انباهم بذلك ، فباتوا بعد سماعهم الحكاية ، في اقصى حال من السخط والصرامة تجاه (كليرخوس) . وفي ذات اليوم ، عند زيارة الموضع الذي عبروا عنده النهر ، وتفتيش السوق التي كانت هناك ، كان (كليرخوس) يعود راكبا الى خيمته برفقة بعض الخدم عن طريق معسكر (مينون) . وكان كورش لايزال يتابع المسير هناك ، ولم يدرك الموضع بعد . ولما كان فرد من جيش (مينون) يقطع الخشب ، ولمح (كليرخوس) راكبا يخترق المعسكر ، رماه بالفأس ، لكنه اخطأ الهدف ، فرماه جندي آخر بحجر ، وتبعه آخر ثم آخرون عديدون ، فسادت جلبة شاملة . فاعتصم (كليرخوس) بجنوده ، ونادى حالا باتخاذ الاجراء . لقد امر افراد المشاة الثقيلة بملازمة موضعهم ، ودروعهم على رُكَبِهم ، بينما هو ذاته تحرك باتجاه رجال (مينون) مع رجاله (التراشيين) ومع فرسانه الذين يملك منهم في معسكره اكثر من اربعين رجلا ، اغلبهم من التراشيين . ونجم عن ذلك ، حلول الذعر بمينون ذاته وبرجاله، فهرعوا الى اسلحتهم ، ولو ان بعضهم ظلوا حيث كانوا ، عاجزين عن العمل لمعالجة الوضع . في هذه اللحظة بالذات ، قدم (بروكسينوس) في المؤخرة ، يقود ثلة من المشاة الثقيلة . لذلك جلب رجاله فورا نحو موقع بين الفريقين ، والتمس (كليرخوس) بالكف عن فعله . بيد أن كليرخوس تميز غيظا اذ تكلم (بروكسينوس) دونما تأسف على ما تعرض له كليرخوس وقد اوشك فعلا على الموت رجما ، فقال له الا يعترض السبيل . عندئذ ، قدم كورش ، والفى ما يدور ، فتناول رماحه فورا ، وركب منطلقا نحو وسط الافريق برفقة حراسه الحاضرين ، وخاطبهم قائلا :

« ايا كليرخوس وبروكسينوس ، وانتم جميع اليونانيين الآخرين هنا : انكم لا تعلمون ما انتم فاعلون . لئن تشرعوا في الاقتتال فيما بينكم ، فتأكدوا بأني مقضي علي للحال ، وعليكم ايضا بعد امد قصير . فان ساءت الاحوال بيننا ، فجميع هؤلاء الوطنيين (الفرس) الذين تشاهدون سيصبحون اشد خطرا علينا من اولئك الذين بجانب العاهل » .

فعاد (كليرخوس) الى صوابه اثر سماعه ذلك . واسترخى الطرفان ، واعادا الاسلحة الى مواضعها .

وبينما هم منطلقون في السير من هنا ، صادفوا روث وآثار سنابك الخيل ، فقدر احدهم ان فرسانا يعدون زهاء الالفين ، قد تركوا تلك الآثار ، وانهم قد مضوا قدما لاحراق كل العليق وكل ما عداه مما قد يستفاد منه .

وكان رجل فارسي ، يدعى (اورونتاس) تنتسب عائلته الى العاهل ـ حائزا على أبرز صيت عسكري بين الفرس ، ويتآمر على (كورش) . والحقيقة انه كان في حرب معه سابقا ، لكنهما توصلا الى تسوية . اما الآن ، فقال لكورش انه اذا زوده بالف فارس ، فاما سيكمن فيبيد الفرسان الذين داسوا التربة امامهم ، واما سيأخذ منهم اسرى ، وبذا يضع حدا لاتلاف الارض التي يسلكون ، ويعيقهم عن الحصول على فرصة لاخبار العاهل انهم قد شاهدوا جيش كورش .

وعندما استوعب كورش الخطة ، خالها جيدة ، واعلم (اورونتاس) باخذ مفرزة من كل قائد من قواده . فلما ايقن (اورونتاس) من حصوله على الفرسان ، حرر خطابا الى العاهل يعلمه بالتوجه اليه مع اكثر ما يستطيع اصطحابه من الفرسان ، ويساله اعلام الفرسان الخاصين به أن يستقبلوه كصديق . كما ذكره ، في الخطاب ، بصداقته السالفة وباخلاصه له . فدفع الخطاب الى شخص يعتمده ـ أو كذلك ظن . والحقيقة ان الرجل تناول الكتاب ، واعطاه الى كورش .

ولما وقف كورش على محتواه ، القى القبض على (اورونتاس) ، واستدعى الى خيمته الخاصة السبعة الممتازين جدا من مساعديه الفرس . واوعز الى القادة اليونانيين بجلب مشاة ثقيلة ، واتخاذ موقف الحراسة حول الخيمة ، فامتثلوا اوامره ، وجلبوا ما يقرب من ثلاثة آلاف راجل من الصنف الثقيل . واستدعى كورش القائد (كليرخوس) داخل خيمته راسا للاسهام في الاجتماع ، لان كورش ذاته والفارسيين الآخرين عدوا (كليرخوس) بصورة عامة افضل اليونانيين منزلة . وبعد مغادرة (كليرخوس) الاجتماع ، اخبر اصدقاءه كيف جرت محاكمة (اورونتاس) ، اذ لم يكن ثمة مانع من الاخبار بذلك . فقال : (ان كورش استهل القضية بالكلام التالي : « اصدقائي ، لقد استدعيتكم للاجتماع هاهنا بقصد البت في الاجراء اللازم بخصوص (اورونتاس) كي ـ بعد المشاورة معكم ـ نقرر النهج المصيب كما تراه الآلهة والناس . كان هذا الرجل ، اول الامر ، قد عُيِّنَ من قبل والدي ليكون تحت امرتي ، ثم بموجب تعليمات شقيقي ، كما يقول ، اغتصب حصن (سرديس) ، وشهر الحرب علي . فقاتلته وحملته على أن يقرر ايقاف القتال ضدي . ثم مد كل منا للآخر يمين الصداقة . منذ ذلك الحين ، يا اورونتاس استمر كورش ، هل آذيتك باي شكل كان ؟ » فاجاب اورونتاس بالنفي . ثم وجه سؤالا آخر : « اليس يقينا ، مع انك لم تلق مني اي ضرر فيما بعد ، كما تعترف بنفسك ، قد تحولت الى (الميسيين)(٤٦) ، والحقت بمنطقتي كل ما تمكنت عليه من الضرر ؟ » فاعترف اورونتاس انه قد فعل ذلك . وقال كورش : « اليس صحيحا انك ، عندما عدت فاكتشفت حقيقة قوتك قصدت هيكل ارتاميس(٤٧) وقلت انك قد ندمت ، ونتيجة لتوسلاتك ، عدنا فتبادلنا العهد على الصداقة ؟ » فسلم اورونتاس بصحة ذلك ايضا . فقال كورش : « اذن ما هو الأذى الذي بدر مني تجاهك هذه المرة الثالثة ، لتبرر خيانتك الجلية فيها ؟ » اجاب اورونتاس انه لم يُصَب باي اذى . فساله كورش : « اذن ، اتسلم ان تصرفك نحوي كان خاطئا ؟ » فقال اورونتاس : « فعلا . اني مضطر ان اعترف بذلك » . ثم ساله كورش سؤالا آخر : « امازلت في مقدورك ان تكون خصما لشقيقي ، وصديقا صدوقا لي ؟ » : فرد قائلا : « حتى وان

(٤٥) يذكر النص الانكليزي (Panic Corn) ولم استطع الوقوف على مدلول لها في القواميس التي في حوزتي .

(٤٦) ذكر الاستاذ فؤاد جميل في ص ٢٣٤ من مجلة سومر ـ ع (٢٠) أن (الميسنيين) هم قوم من العرب ، واعتقد أن ثمة فرقا بين (الميسنيين) وبين (الميسيين) الذين هم سكان ميسيا (Mysia) الواقعة غربي الاناضول حيث استبعد أن تكون قد قطنت من قبل أقوام عربية قديما .

(٤٧) الاهة القنص والقمر وشقيقة (أبولو) عند الاغريق .

كنت سأفعل ذلك ، فانت — ياكورش — لم تعد قـادرا على تصديقه » .

(بعد ذلك ، خاطب كورش الاخرين هنـاك : « هاهي تصرفات الرجل وكلماته امامـكم . هل لك ، ياكليرخوس ، ان تبدي رايك اولا ، وتفصح عما تفكر ؟ » فقال كليرخوس : « نصيحتي هي ازاحة الرجل من السبيل باسرع ما يمكن ، لئلا نضطر ثانية الى الاحتراس منه ، بل سنكون طليقي الايدي ، بقدر ما يتعلق الامر به ، لنسدي الخير الى الاخرين الذيـن يرومون ابداء العون حقا . ») .

واستطرد كليرخوس قائلا : « لقد وافقوا على فكرتي ، ثم وقفوا جميعا ، حتى اقرباء اورونتاس ، وامسكوه من زنـاره كعلامة على الحكم عليه بالموت . ثم اقتاده الذين عهدت اليهم المهمة ، بعيدا ، واولئك الذين قد اعتادوا الانحناء له سابقا ، انحنوا له آنذاك ايضا ، ولو انهم علموا بانه كان يقاد الى حتفه. فجيء به الى خيمة (ارتاباتاس) وهو افضل ثقات كورش مـن حملة صولجانه . غب ذلك ، لم يلمح احد مطلقا اورونتاس حيا او ميتا ، ولا استطاع اي فرد ان يتكلم ، عن دراية ، كيـف لقي منيته . » لقد اثيرت عدة ظنون ، بيد انه لم يهتد الى اي ضريح يضمه .

من هنا ، واصل التقدم نحو (بابل) ، فاجتاز (٣٦) ميلا خلال ثلاثة ايام . وعند ختام مسيرة اليوم الثالث ، استعرض كورش عساكره اليونانية والوطنية (الفارسية) في البـراح حوالي منتصف الليل ، اذ حسب ان العاهل سيبرز فجر الغد بجيشه للقتال . فامر (كليرخوس) بقيادة الميمنة ، وميـنون (التسالي) بقيادة الميسرة ، بينما هو نفسه اهتم بتنسـيق عسكره الخاص .

مع انبلاج الصبح ، وبعد العرض ، قدم بعض الهاربين من العاهل العظيم ، وزودوا كورش بمعلومات عن جيش العاهل . فجمع كورش القادة وضباط المئة الاغريق لبحث كيفية خوض المعركة ، ثم خطب بنفسه يستحثهم لبذل المزيد من الجهود : « ايها الجنود الاغريق : لست قائدكم معي في المعركة لقـلة في جنودي الوطنيين . كلا ، ان الباعث على نشداني معاضدتكم ، لهو اعتباري انكم اكثر كفاءة ومهابة من اعداد هائلة من الوطنيين. لذا اود ان تبرهنوا انكم اهل للحرية التي ظفرتم بها ، والتي اهنئكم سعداء في امتلاكها . لكم ان تتأكدوا اني افضل احراز تلك الحرية على كافة ما اقتني وزيادة على ذلك بكثير . لكن ، لاعرفكم ايضا ، نوع القتال الذي ستخوضون ، ساخبركم عن ذلك من تجاربي الخاصة . اعداد العدو ضخمة جدا ، وهم يغـيرون بصراخ كثير ، لكنكم ان صمدتم تجاه ذلك ، فانا اخجل حقـا ان اقول اي صنف من الناس ستجدون رجال هذه البلاد في كل ناحية من النواحي الاخرى . لكنكم ان برهنتم على كونكم رجالا ، واذا كنت موفق الجدود ، فسأضمن لكم ان الذين يرومون منكم العودة الى الوطن ، سيحسدون من رفاقهم عند وصولهم هناك ، ولو احسب اني ساجعل العديد منكم يفضلون ما سينالون مني هنا على ما سيحصلون عليه في الوطن » .

ثم تكلم (جوليتيس) الذي حضر الاجتماع ، وهو احـد المبعدين من (ساموس)(٤٨) وكان موضع ثقة كورش ، فقـال : « ومع ذلك ، ياكورش ، بعض الناس يقولون ، انك الآن تمنح الوعود الكثيرة بسبب من حراجة موقفك واعتراض الخطر سبيلك

(٤٨) Samos جزيرة اغريقية في بحر (ايجه) .

وبالنسبة اليهم ، ان جرت الامور جريا حسنا ، فسوف لـن تتذكر . ويقول بعضهم ، حتى اذا توفرت لديك الذاكرة والارادة فسوف لن تملك الطاقة على تنفيذ جميع الوعود التي قطعتها » .

فلما وعى كورش ذلك ، قال : « لكن ، ايها الجنود ، هاهي امبراطورية والدي تمتد امامنا . انها ممتدة جنوبا حيث الحر ، وشمالا حيث البرد حائل دون عيش البشـر . ان اصدقاء شقيقي يحكمون كولاة على كل الارض المحصورة بـين الحدين . اما اذا ربحنا ، فسينبغي ان نجعل من اصدقائنـا سادة على كل هذا . ونتيجة لذلك ، ان خشيتي من عـدم حصولي على عدد واف من الاصدقاء لاعطائهم ما اتمكن منـه ، تفوق عدم حوزتي على ما امنح رفاقي قاطبة ، اذا سارت الامور سيرا حسنا . كما اني ساخلع على كل يوناني فيكم خلعـة اضافية من تاج ذهبي » .

عندما اصغى اليونانيون الى ذلك ، غدوا اشد حماسـا بكثير ، وبلغوا الاخرين ذلك . فالقادة وعداهم من اليونانيين الذين ودوا معرفة ما سينالون ان كسبوا ، قصدوا كورش بصورة خصوصية ، فارضى كل آمالهم قبل ان سمح لهـم بالخروج . ان جميع الذين بحثوا الامور معه ، حثوه على عدم الاسهام في المعركة شخصيا ، بل على اتخاذ موضع في المؤخرة . عند ذاك ساله (كليرخوس) سؤالا كهذا : « هل تحسـب — ياكورش — ان اخاك سيتقدم الى المعركة ؟ » فاجاب كورش : « حتما ، ان كان هو شقيقي ونجل (داريوس) و (باريزاتس) فسوف لن احصل على السلطان ، من غير القتال في سبيله » .

ثم احصي المدججون ، فكان في الجيش اليوناني عشـرة آلاف واربعمئة من مشاة الصنف الثقيل ، والفان وخمسمئة من مشاة الصنف الخفيف . وكان لدى كورش مئة الف جندي فارسي ، وما يقرب من عشرين عجلة مسننة ، وقيل ان بجانب العدو مليونا ومئتي الف رجل ، ومئتي عجلة حربية مسننة ، وعلاوة على ذلك ، كان هناك ستة آلاف فارس تحت امـرة (ارتاجرسس) وقد اتخذوا مواضعهم لحماية شخص الملك ذاته . كانت قيادة جيش الملك بيد اربعة قواد او زعمـاء : (ابروكوماس) ، (تيسافرنوس) ، (جوبرياس) و (ارباكس) — لدى كل منهم ثلاثمئة الف جندي تحت امرته . لقد اشترك في المعركة ، من مجموع هذه القوة ، تسعمئة الف جندي ومئة وخمسون عجلة حربية مسننة فقط ، اذ ان (ابروكوماس) الذي كان يزحف من (فينيقيا) وصل متاخرا خمسة ايام . لقد تلقى كورش هذه المعلومات من الهاربين من جانب العاهل العظيم قبل المعركة ، وافاد الاسرى الاعداء ، الذين اخذوا بعد المعركة ، عين الخبر .

لقد سار كورش بكامل جيشه اليوناني والفارسي مسافة تسعة اميال من هذا الموضع ، خلال يوم واحد بنظام حربي ، وتوقع من العاهل ان يشتبك معه ذا لماليوم ، اذ اثنـاء منتصف مسيرة النهار تقريبا ، كان ثمة خندق عميق ، عرضه (٣٠)(٤٩) قدما وعمقه (١٨)(٤٩) قدما . وكان امتداد الخندق نحو الداخل على السهل حتى يبلغ السور المادي . امـا بجوار الفرات ، فكان ثمة مجاز ضيق عرضه حوالي (٢٠)

(٤٩) يذكر النص الانكليزي (5 Fathoms) (3 Fathoms) والفاثوم الواحد يعادل (٦) اقدام . واعتقد ان هـذا الخندق هو خندق (الوشاش) المعروف ايضا بنهر الصقلاوية .

قدما بين النهر والخندق ، ولقد احتفر العاهل العظيم ذلك الخندق كعقبة ، عندما بلغه تقدم كورش . فاجتاز كورش ذلك المجاز بجيشه ، وبات فيما وراء الخندق .

عندئذ ، اخفق العاهل ذلك اليوم في الشروع في المعركة ، لكن علامات عديدة قد شوهدت تدل على تراجع الرجال والخيول . اذ ذاك ، استدعى كورش العراف (سيلانوس الامبراسي) واعطاه ثلاثة آلاف جنيه . وقد انبأ كورش قبل احد عشر يوما ، اثناء تقدمه القربان ، ان العاهل لن يشرع في المعركة خلال الايام العشرة المقبلة ، فقال له كورش : « اذن ان هو لا يحارب خلال تلك الفترة ، فلن يحارب مطلقا . اما اذا تحقق قولك ، فاعدك عشر وزنات من الفضة »(٥٠) ولما انصرمت الايام العشرة ، دفع له المال .

وبما ان العاهل لم يقم ، عند الخندق ، بمحاولة للحيلولة دون عبور عسكر كورش ، اعتقد كورش والباقون ان العاهل قد عدل عن فكرة القتال . ونتيجة لهذا الاعتقاد ، زحف كورش في اليوم التالي قدما باحتراس اقل من السابق . وفي اليوم الثالث ، تابع المسير وهو في عجلته الحربية ، تتقدمه تشكيلات نظامية اعتيادية قليلة فقط . كان معظم جيشه سائرا بدون شكل نظامي ، وكان الكثير من معدات الجنود محمولا على العربات وحيوانات نقل الامتعة .

كان الوقت ضحى ، واوشكوا ان يبلغوا الموضع الذي صمم كورش على التوقف عنده ، عندما برز (باتجياس) للعيان ، وهو فارسي وصديق حميم لكورش ، راكبا بسرعة ، وحصانه ينضح عرقا . وشرع في الحال يصيح عاليا بالفارسية واليونانية ، على كل من اجتاز به ، ان العاهل متقدم بجيش جرار بنظام حربي . اذ ذاك ، وقع بينهم فعلا ارتباك جسيم ، لان اليونانيين ، وكل من عداهم ، ظنوا ان العاهل سينقض عليهم قبل ان يستطيعوا اتخاذ مواضعهم . فقفز كورش من عجلته ، ووضع عليه الدرع ، وامتطى جواده ، وقبض على رماحه . واوعز الى الباقين قاطبة ، ان يتدججوا بالسلاح ويتخذوا اماكنهم الصحيحة . فتم ذلك بسرعة كافية . كان (كليرخوس) على الميمنة يحاذيه الفرات ، والى جانبه (بروكسينوس) ثم اليونانيون الآخرون مع (مينون) على ميسرة الجيش اليوناني . اما الجيش الفارسي ، فكان يضم زهاء الف فارس (بافلاجوني) (٥١) اخذوا مواضعهم في جناح (كليرخوس) وكذلك مع مشاة الصنف الخفيف على الميمنة . اما (آريوس) ـ نائب كورش ـ فكان على الميسرة مع بقية الجيش الفارسي . كان كورش وستمئة من فرسانه الخاصين به في القلب ، مزودين بالدروع ، وبالزرود لوقاية افخاذهم . لقد وضع جميعهم الخوذ على هاماتهم ، خلا كورش الذي دخل المعركة حاسر الراس . وكانت كل خيولهم مزودة بالزرود لصيانة الجباه والصدور ، كما حمل الفرسان السيوف اليونانية .

فحان الظهر ، والعدو ما برح غير باد للعيان ، لكن في اول العصر ، لاح النقع كسحابة بيضاء ، وبعد فترة ، شوهد شيء كالسواد يمتد نحو مسافة طويلة على السهل . ولما ازدادوا دنوا ، لمحت فجاة ومضات برونزية ، وبدت رؤوس الحراب وتشكيلات العدو مرئية . كانت ثمة خيالة بزرود بيضاء على الميسرة قيل انها تحت امرة (تيسافرنوس) والى جوارهم جنود يرتدون التروس المعمولة من الاغصان المجدولة ، يليهم مشاة من الصنف الثقيل بتروس خشبية حتى القدمين ، وقيل عن هؤلاء انهم فرعونيون . ثم كان هناك المزيد من الخيالة ورماة السهام . هؤلاء كلهم كانوا يتقدمون بشكل فصائل ، كل فصيلة على هيئة مستطيل كثيف ، تتقدمهم على مسافات متباعدة عن بعضها عجلات حربية مسننة ، مزودة باسنة رقيقة تمتد بشكل مائل من المحورين الموصلين بين العجلات وكذلك من اسفل مقعد السائق منكسة نحو الارض ، وذلك لبتر كل ما يعترض طريقها ، وكانت النية تسييرها لتخترق صفوف اليونانيين وتشق الطريق .

لكن كورش كان مخطئا عندما اوصى اليونانيين ، اثناء اجتماعهم به ، بالثبات في مواضعهم تجاه صراخ الجنود الفارسيين . اذ على العكس ، تقدموا باقصى السكون والهدوء وبسير وئيد ثابت .

هنا توجه كورش نفسه راكبا مع ترجمانه (بيجرس) وثلاثة او اربعة آخرين ، ونادوا (كليرخوس) واخبروه أن يقتاد عسكره باتجاه قلب العدو ، اذ ان العاهل كان هناك . وقال : « وان نفز هناك ، يتم كل شيء » . لاحظ (كليرخوس) ان الوحدات في القلب متراصة ، وسمع من كورش ان العاهل اقصى من ميسرة اليونانيين ، فقد كان تفوق العاهل في العدد عظيما الى حد غدا العاهل معه ، وهو يقود قلب جيشه ، ابعد من ميسرة كورش ، لكنه بالرغم من ذلك (اي كليرخوس) كان مترددا بسحب جناحه الايمن من ناحية النهر ، خشية التطويق . فرد على كورش عندئذ انه سيضمن سير الامور سيرا حسنا .

واذ كان ذلك يجري ، واصل الجيش الفارسي (٥٢) تقدمه برسوخ ، وظل الاغريق ملازمين مواقعهم ، وازدحمت صفوفهم باولئك الذين ما انفكوا يتوافدون باستمرار . فبرز كورش راكبا امام الجيش ، وتطلع نحو خطوط الفريقين . فلمحه (زينوفون) الآثيني من موضعه في الخط اليوناني ، وتقدم نحو مواجهته ، واستفسره ان كان يعتزم توجيه اية اوامر . فجذب كورش جواده ، وقال : « الفال حسن والقرابين جيدة » واخبره بتبليغ ذلك كل فرد ، وبينما كان هو يتكلم ، سمع صوتا على طول الصفوف ، فاستعلم عنه ، فاخبره (زينوفون) انها كلمة السر المرسلة عبر الصفوف للمرة الثانية . فتعجب كورش من يكون مطلق الكلمة ، وسال عن ماهيتها ، فاجاب (زينوفون) انها كانت (زيوس المنقذ ، والظفر) . عند سماع كورش ذلك ، قال : « اذن اتقبل الكلمة . فلتكن كذلك . » ومع هذه الكلمات ، غادر راكبا نحو مركزه في الميدان .

ساعتئذ ، لم تكن الشقة بين الجيشين تعدو ستمئة ـ لثمانمئة ياردة ، فشرع الاغريق الآن ينشدون نشيد الحرب . واخذوا في التقدم صوب العدو . واذ هم يتقدمون ، جاشت موجة من الفيلق نحو الامام ، وبرزت امام البقية ، وشرع الشطر المتخلف في التقدم بهيئة ازدواجية . وفي ذات الحين ، اطلقوا جميعهم صرخة كصرخة (اليلو) (٥٣) التي يوجهها الناس

---

(٥٠) يذكر النص الانكليزي (Ten Talents) و (التالنت) عيار فضي يعادل حوالي (٢٤٤) جنيها استرلينيا .

(٥١) نسبة الى (بافلاجونيا) اقليم في شمال الاناضول (آسيا الصغرى) يطل على البحر الاسود .

(٥٢) جيش العاهل .

(٥٣) "Eleleu" ضرب من الهتاف اما لبث الرعب في قلوب الاعداء او لشحذ الهمم لدى المحاربين .

الى آلة الحرب ، ثم اخلوا يعدون نحو الامام . ويقول البعض انهم ، كي يبثوا الرعب في الخيل ، شرعوا يصدعون تروسهم بحرابهم . اما الفرس ، فقبل ان باتوا على مرمى السهام ، تذبذبوا وولوا الادبار . وبعد ذلك جد اليونانيون حقا في ملاحقتهم بعزم ، لكنهم تنادوا فيما بينهم بعدم الركض ، بل ان يتبعوا العدو متراصين ، دون تباعد في الصفوف ، فبادرت العجلات الحربية بالهجوم ، وتغلغل بعضها داخل صفوف العدو ، مع ان بعضها ، وقد هجرها سائقوها ، اخترقت جموع اليونانيين . عندما شاهد اليونانيون قدومها ، انفرجوا ، ولو ان جنديا ، وقف راسخا في موضعه وكانه في حلبة سباق ، ثم تدحرج . على كل حال ، حتى هذا الشخص، قيل انه لم يصب باذى ، كما لم تقع اية اصابات بين اليونانيين اثناء هذه المعركة ، باستثناء جندي واحد في الجناح الايسر ، قيل انه رشق بسهم .

لقد سر كورش تماما اذ لاحظ غلبة اليونانيين ، واكتساحهم العدو من امامهم ، وتمت المناداة به ملكا من قبل اولئك الذين كانوا بمعيته ، لكنه لم ينجرف الى درجة الاشتراك في المطاردة . لقد حافظ على الفرسان الستمئة من حرسه الخاص بهيئة متراصة ، وارتقب ينظر ما سيقدم عليه العاهل ، لانه كان موقنا ان موضعه وسط الجيش الفارسي . والحقيقة ، ان القادة الفرس كافة ، يتخذون اماكنهم وسط وحداتهم عند اشتراكهم في المعمعة ، والقصد من ذلك ، انهم بهذه الطريقة يمسون في اسلم موضع ، مع قواتهم على كل جوانبهم ، وان اعتزموا اصدار الايعازات ، وصلت جيشهم في نصف المدة . وفي هذه المرة ، كان العاهل كذلك في قلب عسكره ، لكنه كان ، مع ذلك ، ابعد من جناح كورش الايسر . ولما لم يلاحظ ، عندئذ ، هجوما جبهويا عليه ، او على الوحدات الحائلة دونه ، استدار ميمما شطر اليمين بحركة مثنية .

ثم ان كورش ، اذ خشي ان يصبح العاهل خلف اليونانيين فيمزقهم ، تحرك نحوه راسا . فاغار مع الستمئة الذين معه ، واخترق ستار الجند امام العاهل ، ودحر الستة آلاف ، واشيع انه قتل بيده آمرهم (ارتاجرسس) ، لكن عندما لاذوا بالفرار ، فقد الستمئة ، التابعون لكورش ، ترابطهم اثناء اندفاعهم المتحمس في مواصلة الملاحقة ، وتخلف معه عدد قليل جدا ، اغلبهم اولئك الذين اطلق عليهم « رفاق المائدة » . وعندما بقي مع هذا العدد الضئيل ، لمح العاهل والصفوف المتراصة حوله ، ودون ان يتردد لحظة ، صاح :« ارى الرجل » ، وهجم عليه ، ووجه نحو صدره طعنة اخترقت درعه فجرحته ، كما يقول (تسياس) الطبيب ، وقال ايضا انه ضمد الجرح بنفسه . لكنه في ذات اللحظة التي كان يوجه اثناءها الطعنة ، تجلكه احدهم برمح اسفل ناظره بشدة . ويقول الطبيب (تسياس) ـ الذي كان مع العاهل ـ انه قد سقط العديد من جنود العاهل اثناء اقتتال العاهل وكورش . لكن كورش نفسه قد قتل ، وارتمى على جثمانه بلا حراك ثمانية من انبل حاشيته . لقد قيل ان (ارتاباتاس) اوثق خادم من حملة صولجانه ـ اذ لمح (كورش) صريعا ، قفز عن جواده ، ورمى نفسه عليه . ويقول البعض ان العاهل امر من يقتله وهو مسجى على كورش ، ويقول آخرون انه سحب سيفه ، وقتل نفسه هناك . كان لديه سيف ذهبي ، وقد اعتاد ان يضع عليه سلسلة وقلادة والحلى الاخرى نظير انبل الفرس ، لانه كان يعد من قبل كورش صديقا صدوقا ، وخادما مؤتمنا (٥٤) .

ثم حز راس كورش وكذلك يمينه ، وانقلب الملك ملاحقا ، واخترق معسكر كورش . فلم يلبث رجال (آريوس) بعدئذ ، بل ركنوا الى الفرار خلال معسكرهم حتى بلغوا آخر مرحلة توقفوا عندها قبل ان تحركوا . وقيل ان ذلك الشوط يبلغ (١٢) ميلا .

ضمن الاسلاب العديدة التي استحوذ عليها العاهل واصحابه ، حظية كورش ، وهي فتاة من (فوسيا)(٥٥) ، قيل انها خلوب وفهيمه في آن معا . اما حظيته الصغرى ، وهي غادة من (ملاطية) ، فقد اسرها جنود العاهل ، لكنها افلتت منهم نصف عارية ، ولجات الى اليونانيين الذين اتفق ان كانوا هنالك ، شكاك السلاح ، يحرسون المتاع . فاخلوا مواضعهم ، وافنوا عددا من السالبين ، ولو ان قسما منهم قد قتل ايضا . الا انهم ، لم ينهزموا ، بل انقذوا الفتاة وكذلك جميع الممتلكات من اموال وعبيد ، كانت في معسكرهم .

في هذه المرحلة ، بات جيش العاهل وصلب العسكر اليوناني على مسافة ثلاثة اميال من بعضهما . كان اليونانيون يطاردون القوات المجابهة لهم ، وكانهم قد احرزوا نصرا ناجزا ، وكان الفرس منهمكين في السلب ، وكان فوزهم بات كاملا كذلك . بيد ان اليونانيين اكتشفوا ، غب ذلك ، ان العاهل وجنوده اضحوا بين امتعتهم ، وسمع العاهل من (تيسافرنوس) ان اليونانيين قد دحروا الوحدات المجابهة لهم ، وانهم مندفعون قدما يواصلون الملاحقة . عندئذ استجمع قواته وهياها بنسق حربي ، بينما استدعى (كليرخوس) القائد (بروكسينوس) الذي كان يليه ، وبحث معه ان كان ينبغي ارسال مفرزة لانجاد المعسكر ، ام ان يسير الجميع الى هناك سوية .

في نفس الحين ، تجلى ان العاهل ايضا ، عاد يتقدم نحوهم مجددا ، كما ظنوا ، من المؤخرة . اذ ذاك ، واليونانيون يفترضون قدومه من هناك ، استداروا وتهيأوا لمناوشته . بيد ان العاهل لم يتقدم بجيشه من تلك الجهة ، بل ـ كما فعل سابقا بالضبط بان اجتاز ميسرة اليونانيين ـ اقتاد الآن جيشه عائدا بنفس الطريق ، آخذا معه من فر الى اليونانيين اثناء المعركة ، وكذلك (تيسافرنوس) والجنود الذين تحت امرته .

ان (تيسافرنوس) لم ينهزم اثناء الغارة الاولى ، لكنه تقدم شطر مشاة الاغريق من الصنف الخفيف بحذاء النهر ، واخترق صفوفهم . بيد انه لم يقتل شخصا واحدا ، فقد

(٥٤) يعتقد الاستاذ طه باقر أن موضع هذه المعركة قريب من (المسيب) الحالية ، استنادا الى ما ورد في ص ٤١٣ من كتابه (مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ـ الجزء الثاني) ، بينما يعتقد الدكتور أحمد سوسه (استنادا الى رسالة شخصية الى المترجم مؤرخة في ٦٥/٨/٢١) أن موقع هذه المعركة قريب من (الانبار) لكنني أعتقد أن موقعها قريب من (تل كنيسة) القريب جدا من الفرات وجدول (الرضوانية) وربما يكون موقعها قريب من (اليوسفية) .

(٥٥) اما انها مستعمرة أيونية ـ وهي ميناء اغريقي قديم في آسيا الصغرى (تركيا اليوم) ـ أو أنها ولاية اغريقية قديما في شرقي (بيوطيا) شمالي خليج كورنث .

افرج اليونانيون صفوفهم ، واعملوا في رجاله السيوف والرماح . كان (ايبستنيز) الذي من (امفيبوليس)(٥٦) آمرا على مشاة الصنف الخفيف ، وقيل انه قد ابدى مهارة فائقة . ولما الفى (تيسافرنوس) انه المتضرر من جراء الاشتباك ، لم يعد الكرة بهجوم آخر ، بل توجه نحو المعسكر اليوناني حيث التقى العاهل ، وهناك التأمت قواتهما ، وسارا عائدين بنظام حربي . وبما انهم كانوا مقابل ميسرة اليونانيين ، خشي اليونانيون أن يداهم الفرس هذا الجناح ، ويطبقوا عليهم من الجانبين فيمزقوهم تمزيقا . لذا بدت لهم افضلية تمديد الجناح المذكور ، تاركين النهر خلفهم . لكنهم بينما كانوا يبحثون هذه المناورة ، غير العاهل الاتجاه على حين غرة ، ومضى مجتازا بهم بأن جعل خطه يواجه جبهتهم بنفس الهيئة التي برز فيها لمقاتلتهم في الجولة الاولى .

فعندما لاحظ اليونانيون اصطفافهم تجاههم متكاثفين ، أنشدوا نشيد القتال ثانية ، وحملوا عليهم بروح عدائية اقوى من السابق . فاخفق الفرس في الصمود بوجه الغارة ، والحقيقة انهم ركنوا الى الفرار ، حتى عندما بات اليونانيون على مسافة ابعد مما كانوا عليه في الجولة السابقة . فتعقبهم اليونانيون حتى أدركوا قرية ، فتوقفوا هناك لوجود رابية فوق القرية ، وانثنى رجال العاهل على هذه الرابية لمعاودة القتال . لقد كان المشاة ، في الحقيقة ، يواصلون الانهزام ، لكن الرابية قد اكتظت بالفرسان ، فلم يعد من الميسور رؤية ما يدور . وقالوا انهم شاهدوا شعار العاهل بشكل نسر ذهبي ، على حربة ، منشور الجناحين .

كان اليونانيون ، في الواقع ، يزحفون نحو هذا الموضع عندما كانت الخيالة ايضا تغادر الربوة لا بشكل وحدة متراصة ، بل فصائل مختلفة باتجاهات متغايرة ، حتى تجردت الرابية من الخيالة تدريجا ، وانزاحوا نهائيا . ولم يرتق (كليرخوس) التل ، بل أوقف جيشه عند سفحه ، وانفذ (ليسيوس) السيراقوسي(٥٧) وفردا آخر نحو القمة ، يرتق (كليرخوس) التل ، بل اوقف جيشه عند سفحه ، هنالك . فارتقى (ليسيوس) راكبا ، وبعد استطلاعه ، عاد مخبرا بتقهقر العدو التام .

وحينما كان هذا يجري ، كانت الشمس آخذة في الغروب ، فتوقف اليونانيون حيث كانوا ، وجمعوا السلاح ، واخلدوا الى الراحة . في ذات الحين ، تعجبوا لعدم ظهور كورش في اي موضع ، ولعدم ورود مخبر منه . اذ لم يعلموا انه قد قضى ، بل خُيّل اليهم اما انه قد انطلق لمسافة في اثر العدو ، أو قد واصل السير لاحتلال مركز ما . اما هم ، فبعد ان تشاوروا في أمر مكوثهم حيث كانوا ، وجلب امتعتهم اليهم ، او عودتهم الى معسكرهم ، قرروا الأوبة . فوصلوا خيامهم اوان العشاء ، وتلك كانت خاتمة ذلك النهار . لقد اكتشفوا ان جميع امتعتهم تقريبا ، ومنها ارزاقهم وشرابهم ، قد انتُهبت . كما كانت هناك بعض عربات ــ قدرت باربعمئة ، مزودة بالشعير والنبيذ ، هيأها كورش لد اليونانيين بها اذا حدث نقص كبير في ميرة الجيش . لقد نهب رجال العاهل هذه العربات كذلك ، حتى بات اكثر اليونانيين بلا عشاء . فالحقيقة انهم لم يتناولوا وجبة الظهيرة ، لأن العاهل برز اليهم قبل توقف الجيش لتناول الغداء . وهكذا امضوا تلك الليلة .

عند الفجر ، التام القادة ، مستغربين عدم اوبة (كورش) ذاته ، وعدم ايفاده مخبرا يعلمهم ما ينبغي أن يفعلوا . وبحكم الظروف ، عزموا على حزم حاجياتهم ، ومواصلة التقدم ، مدججين ومتاهبين للقتال ، حتى يتسنى لهم الالتحاق بكورش. لكن ، مع بزوغ الشمس في الفضاء ، تماما ، وهم على وشك التحرك ، وصل (بروكلس) ــ Procles ــ حاكم (يتوثرانيا) ــ سليل (داماراتوس) ــ Damaratus الاسبرطي ومعه « جلوس » نجل « تاموس » بنبأ مفاده أن (كورش) ميت ، وان (آريوس) قد ركن الى الفرار ، وانه الآن مع بقية القوات الوطنية(٥٨) ، عند آخر مرحلة توقفوا عندها وتحركوا منها في اليوم المنصرم . كانت الرسالة من (آريوس) تفيد أنه سينتظر سحابة النهار ليرى ان كانوا(٥٩) سيلحقون به ، لانه قد ارتأى ان ينطلق في الغد الى (ايونيا)(٦٠) التي توجه منها .

عندما سمع القادة هذا النبأ ، وعلم به اليونانيون الاخرون ، ألم بهم قنوط شديد . فتكلم (كليرخوس) قائلا : « تمنيت أن يكون (كورش) حيا يرزق . على كل حال ، لما كان قد قضى ، فيجب أن تخبروا (آريوس) اننا قد قهرنا العاهل ، وكما ترون ليس ثمة عقبة دوننا الآن . في الحقيقة ، لولا قدومكم ، لكنا الآن زاحفين عليه . اننا نعد (آريوس) ان اتانا ، فسنجلسه على عرش الملك . وأولئك الذين يربحون المعركة ، لهم كذلك الحق في السلطة العليا » .

بهذه الكلمات أعاد الرسولين ، واوفد معهما (خريسوفوس) الاسبرطي و (مينون) الثسالي(٦١) . كان مينون يتشوق الى الذهاب تلقائيا ، اذ كان خليل (آريوس) وكان له نصيب من حسن ضيافته .

فذهبوا وتخلف (كليرخوس) . وتزود الجيش بالطعام باحسن ما تيسر من دواب نقل الامتعة ، وذلك بنحر الثيران والحمير . واستحصلوا الوقود بالتقدم قليلا ، بعيدا عن الخط ، باتجاه ميدان المعركة التي خاضوا ، مستعملين السهام الوفيرة التي القاها على الارض الفارون من جانب العاهل ، عندما أرغمهم اليونانيون على ذلك في ساحة المعركة بالامس ، والدروع المجدولة من اغصان الشجر ، ودروع الفرعونيين الخشبية . كما كان عدد من التروس الخفيفة والمركبات التي هجرها سائقها . فاستعملوا كل هذه المواد لانضاج اللحم ، فتناولوا وجبة ذلك النهار .

---

(٥٦) مدينة تفيد معنى المدينة المدورة في (مقدونيا) .

(٥٧) نسبة الى سيراقوس (Syracuse) ثغر قديم في طرف الجنوب الشرقي من جزيرة (صقليا) ، حاصرها الاثينيون حصارا فاشلا بين عامي ٤١٤ و ٤١٣ قبل الميلاد .

(٥٨) يقصد جيش كورش الفارسي .

(٥٩) يقصد اليونانيين .

(٦٠) Ionia ــ المنطقة الساحلية من غرب آسيا الصغرى والجزائر المحاذية لها وكانت مستعمرات اغريقية .

(٦١) من منطقة (تساليا) في شمالي اليونان ، مشهورة بسهولها التي تنتج الحبوب ، أهم مدنها (لاريسا) ــ Larissa .

كان الوقت قد ناهز الضحى عندما وفد المخبرون من لدن العاهل ، ومن (تيسافرنوس) . كانوا من الفرس بأجمعهم ، خلال واحدا يدعى (فالينوس) ، فكان هذا يونانيا في خدمة تيسافرنوس الذي كان يعتد به كثيرا ، اذ ادعى البراعة في التدريب وفنون المشاة الحربية . جاء هؤلاء راكبين ، وطلبوا الكلام مع القادة اليونانيين ، فقالوا بما ان العاهل قد احرز النصر وقضى على (كورش) ، امر اليونانيين بالقاء اسلحتهم، وبالمثول في البلاط ، وباستحصال الحظوة الملكية لانفسهم ، ان استطاعوا .

هذا ما قال مخبرو العاهل ، فحنق اليونانيون اذ سمعوه بيد أن (كليرخوس) لم يزد على القول : « ليس للظافرين ان يسلموا اسلحتهم ، لكن — انتم القادة الآخرون — عليكم ان تعدوا ما يلوح لكم الافضل وانبل رد على هؤلاء الرجال . ساعود حالا . » فقد استدعاه احد ضباطه لفحص الاحشاء المستخرجة من الضحية ، وهو يؤدي الشعائر القربانية .

عندئذ اجاب (كلينور) الاركادي[٦٢] ، الذي كان اكبرهم سنا ، انهم سيموتون قبل القاء اسلحتهم . وقال (بروكسينوس) الثيبي[٦٣] : « ان ما يحيرني ، يافالينوس ، هو فيما اذا كان العاهل يطالب باسلحتنا بحق من الظفر ، ام كهدايا للاعراب عن صداقتنا . ان كان بحق الظفر ، فلِمَ يطالبنا بها دون القدوم لاخذها ؟ وان كان يبغي الحصول عليها نتيجة اتفاق ، فليقل ما الذي سيكسبه الجنود ، اذا كانوا على استعداد ان يسدوا اليه هذا الفضل » .

اجاب (فالينوس) على هذا بالقول : « يعتبر العاهل النصر له ، مادام قد قتل (كورش) . اذ ، في الحقيقة ، من تبقى لينازعه الامبراطورية ؟ كما يعتقد انكم في قبضته كذلك ، مازلتم في أصقاعه المحاطة بانهر لا يُستطاع عبورها ، وهو قادر على اجتلاب الحشود العظيمة من الرجال ، لا قبل لكم بافنائها قاطبة ، حتى لو اتاح لكم الفرصة لتفعلوا ذلك » .

بعدئذ ، تكلم (ثيوبومبوس) الاثيني قائلا : « كما ترى ، يا فالينوس ، ان الاشياء الوحيدة ، التي بقيت لدينا حاليا ، ذات قيمة : اسلحتنا وشجاعتنا . مادمنا مالكين السلاح ، نتصور بمقدورنا استخدام بسالتنا جيدا . اما اذا القينا السلاح ، فسنفقد حياتنا كذلك . لذلك لا تتوهم اننا سنسلمكم الاشياء الثمينة الوحيدة في حوزتنا . على النقيض من ذلك ، سنقاتل مستعينين بها ، في سبيل ما تثمنون انتم كذلك » .

فلما وعى (فالينوس) هذا ابتسم وقال : « انك ايها الشاب ، كفيلسوف تو'ما . قد اجدت الافصاح ! مع كل ذلك ، دعني افهمك انك مجذوب لو فكرت أن بسالتكم تستطيع النيل من قدرة العاهل . »

ان الذين حضروا هناك ، افادوا بوجود آخرين طفقوا يفقدون عزيمتهم ، ويقولون انهم كما كانوا مخلصين لكورش ، ستكون لهم قيمة كبيرة عند العاهل كذلك ، اذا ابتغى كسب صداقتهم ، ومن جملة ما ابدوا انه قد يرغب في استخدامهم في تجريدة على مصر ، واذا كان الامر كذلك ، فهم يودون الانخراط معه لفتحها .

لحظتئذ ، وصل (كليرخوس) عائدا ، واستفهم ان هم قد أعطوا الجواب ، بعد . فتدخل (فالينوس) قائلا : « ان هؤلاء الرجال هنا ، ياكليرخوس ، قد اجابوا اجابات متباينة . فاخبرنا الآن ما تقول انت » .

قال كليرخوس : « سرني أن أراك يافالينوس ، وأرجح أن هذا هو شعور الآخرين كافة ، لانك اغريقي كجميع من تشاهد هنا . في ظرفنا الراهن ، نريد مشورتك بشأن ماينبغي علينا فعله بخصوص رسالتك . لذا أرجوك ان تزودنا بنصيحة هي الافضل والاشرف ، في اعتقادك ، ومن النوع الذي يجتلب لك التكريم في المستقبل ، عندما يخبر الناس عنها قائلين : (ان فالينوس قد ارسل ، ذات مرة ، من لدن العاهل ، يطالب اليونانيين بالقاء اسلحتهم . وعندما سالوه النصح ، كانت نصيحته بان قال كذا ... وكذا ...) لانك تعلم ان المشورة ، التي أنت مبديها ، سيفشو خبرها في اليونان ، لامحالة » .

لقد نطق كليرخوس بذلك تلميحا ، وفكرته أن يحمل رسول الملك ذاته على نصحهم بعدم القاء السلاح ، كي بهذا يكتسب اليونانيون الثقة . بيد أن (فالينوس) تخلص من ذلك بمهارة ، وتكلم عكس مأمول كليرخوس ، قائلا : « مشورتي الا تلقوا أسلحتكم ، ان كانت لكم فرصة واحدة من عشرة آلاف بانقاذ انفسكم عن طريق محاربة العاهل . اما اذا لم يكن لكم مجال واحد في النجاة عن سبيل مناهضة العاهل ، فانصحكم اذ ذاك باتخاذ الخطوات الوحيدة التي في مقدوركم ان تصونوا بها ذواتكم » .

فرد (كليرخوس) على ذلك قائلا : « حسن اذن ، الى هذا القدر من مشورتك . تستطيع الآن اخذ جوابنا ، وهو اننا نعتبر اذا كانت القضية بان نغدو اصدقاء العاهل ، فسنكون اكثر نفعا للعاهل لو احتفظنا باسلحتنا مما لو تركناها لغيرنا ، واذا كانت المسالة قتالا ، فسنحارب ، ونحن نمتلك السلاح ، افضل مما لو كان في حوزة سوانا » .

فقال (فالينوس) : « اذن هذا هو الرد الذي سننقله . لكن العاهل أبلغنا أن ننقل اليكم هذه الرسالة كذلك : انه يعتبر الهدنة قائمة ما لبثتم حيث أنتم ، أما اذا تحركتم قدما أم الى الوراء ، فذلك يعني الحرب . لذا عليك ان تجيبني عن هذه النقطة كذلك ، اذا كنتم ستلبثون بهذا المكان وتعقدون المهادنة ، أم ينبغي أن أبلغه عنك بانكم معتبروها حالة حرب » .

فاجاب كليرخوس : « قل له ، بصدد هذه النقطة ، اننا نفكر عين تفكيره » .

فقال فالينوس : « وماذا يعني ذلك ؟ »

اجاب كليرخوس : « يعني الهدنة ان مكثنا ، والحرب ان تقدمنا او تراجعنا » .

فاستفهم فالينوس ثانية : « ما الذي سأقول : هدنة أم حربا ؟ » . فاجاب كليرخوس نفس الاجابة مكررا : « هدنة اثناء مكوثنا هنا ، وحرب ان تقدمنا أم تراجعنا » . ولم يشر الى المسلك الذي ارتأى أن يتبع .

عندما غادر (فالينوس) ومن معه ، عاد (بروكلس) و (خريسوفوس) ضمن الموفدين من (آريوس) . أما (مينون) فلبث مع آريوس . فافادوا ان آريوس قد قال بوجود عدد من الفرس ، أرفع منه منزلة لا يطيقون تنسيبه ملكا . اما ان شاء اليونانيون مرافقته في طريق العودة ، فهو يستحثهم على القدوم تلك الليلة . والا ، فانه مبارح في الغد الباكر .

---

(٦٢) من (أركاديا) وهي منطقة زاهية المناظر في اليونان ، شهيرة بكونها الوطن التقليدي للشعر الريفي .

(٦٣) من (ثيبا) وهي عاصمة (بيوطيا) قديما شرقي اليونان وقد خربها الاسكندر الكبير .

فقال كليرخوس : « حسنا . هذا ما ينبغي علينا فعله . ان نات ، فسيكون كما تقولون . ان لم نات ، فعليكم بانتهاج الخطة التي تحسبون اجدى لكم » . فلم ينبيء ، حتى هؤلاء ، ما الذي كان سيقدم عليه .

بعد ذلك ، عندما غربت الشمس ، استدعي القادة وضباط المئة للاجتماع ، وخاطبهم قائلا : « اصدقائي : عندما كنت اقدم القربان بقصد الزحف على العاهل ، لم تكن الدلائل ملائمة . وهذا طبيعي ، اذ ـ كما ادرك الآن ـ يوجد بيننا وبينه نهر صالح للملاحة ـ الدجلة . لا يسعنا عبور النهر دون زوارق ، ونحن لا نحوزها . من المؤكد لا نستطيع البقاء هنا ، لعدم توفر امكانية الحصول على التجهيزات . اما في حالة الذهاب الى اصحاب كورش ، فدلائل القرابين كانت ملائمة للغاية . اذن هذا ما يتحتم علينا ان نفعل : بعد مغادرة الاجتماع ، علينا بتناول ما توفر من العشاء ، وعندما يطلق النفير نداء الانصراف الى الرقاد ، المعتاد ، احزموا امتعتكم . وعند نداء النفير الثاني ، ضعوها على الدواب الناقلة . وعند اطلاق النداء الثالث ، اقتفوا الذين يقتادونكم ، على ان تكون الدواب بجانب النهر ، والمشاة الثقيلة خارجها » .

عند تسلم هذه الايعازات ، مضى القادة وضباط المئة ونفذوها . ومنذئذ ، اضحت القيادة لكليرخوس ، وغدوا هم مرؤوسيه . ولم يحصل هذا نتيجة انتخاب ، بل لوثوقهم انه الرجل الوحيد الذي يمتلك النوع الصحيح من عقلية القائد ، بينما كان الآخرون غير مجربين .

بعدئذ ، عندما حلت الدجنة ، فر (ميلتوسولس) التراشي نحو العاهل ، مستصحبا اربعين من افذاذ الفرسان الذين كانوا لديه ، ما يقرب من ثلاثمئة راجل تراشي . اما الباقون ، فسار بهم كليرخوس حسب تعليماته ، وتبعوه حتى ادركوا محطة التوقف الاولى حوالي منتصف الليل ، حيث آريوس وعسكره . لقد اوقف القادة وضباط المئة اليونانيون رجالهم في نسق حربي ، وانطلقوا ليواجهوا آريوس . ثم ان اليونانيين من ناحية ، وآريوس مع اهم ضباطه من الناحية الاخرى ، اقسموا اليمين على عدم خيانة احدهم الاخر ، وعلى ان يكونوا حلفاء صادقين . كما ان رجال الفرس ادوا قسما آخر على اقتياد اليونانيين للعودة بهم دون اي خداع . لقد سبقت هذين القسمين ، تضحية ثور وخنزير وكبش على مجن . فغمس اليونانيون في الدم حساما ، والفرس حربة .

وعندما تم التعاهد على ذلك ، قال كليرخوس : « والآن يا آريوس ، ما دمنا سالكين نفس السبيل ، قل لنا ما وجهة نظرك بشأن الطريق التي ستسلك . هل سنعود من حيث اتينا ام ان في ذهنك مسلكا افضل ؟ » .

اجاب آريوس : « اذا كنا سنسلك في الاوبة طريق مجيئنا ، هلكنا جميعا من الجوع ، فقد امسينا الآن من غير مؤن . وحتى اثناء طريقنا الى هاهنا ، عجزنا عن استحصال اي شيء من البلاد التي اجتزنا خلال سبعة عشر يوما ـ اذ لو كان ثمة شيء ما ، لوجدناه اثناء توجهنا الى هنا . اننا الآن نرتئي الرجوع من طريق اطول حقا ، لكن المؤن لن تعوزنا خلالها . ينبغي ان نجعل المراحل الاولى من مسيرنا ابعد ماتستطيع ، لنترك اقصى مسافة ممكنة ، تفصلنا عن جيش العاهل . ان تمكنا ، لاول وهلة ، من السير مسافة يومين او ثلاثة بعيدا عنه ، فسوف لن تتوفر للعاهل فرصة اخرى لادراكنا . انه لن يجازف بان يلاحقنا بقوة ضئيلة ، واذا سار بجيش جرار ، فلا يستطيع السير حثيثا . كما يحتمل ان تنقصه التجهيزات . هذا هو رايي حول الموقف » .

ان الامكانيات الوحيدة ، في هذه العملية الحربية ، كانت اما الابتعاد على غير مرأى من العدو ، او الانتئاء عن مجال مطاردته . غير ان الحظ بات احسن دليل . اذ بطلوع النهار ، ساروا والشمس عن يمينهم ، مقدرين انهم مع صفو الشمس ، سيدركون القرى التي في بلاد بابل . ولم يخطئوا في هذا ، اذ بينما كان الوقت عصرا ، تخيلوا انهم يستطيعون مشاهدة فرسان العدو . فهرع اليونانيون السائرون بدون نظام الى اتخاذ مراكزهم . اما آريوس الذي كان في عجلته ، لاصابته بجرح ، فترجل ووضع عليه درعه كما فعل الآخرون الذين معه . لكنما اذ كانوا يتدججون بالسلاح ، عادت طليعة من الكشافة ، ارسلت للاستطلاع ، وافادت انهم ليسوا فرسانا بل دواب نقل الامتعة ، ترعى . فادرك كل فرد في الحال ان معسكر العاهل في موضع قريب ، وفي الحقيقة كان الدخان يشاهد في القرى غير البعيدة كثيرا . لكن كليرخوس لم يقد رجاله قدما ليغيروا على العدو ، لعلمه ان التعب قد انهكهم ، وانهم لم يتناولوا وجبة طعام . كما ان الوقت كان متاخرا الان . ومن ناحية اخرى ، اهتم الا يدع مجالا للانطباع عنه انه كان لائذا بالفرار ، فلم يغير وجهته ، بل استمر في السير قدما . ومع غروب الشمس ، خيم مع الطليعة في اقرب قرية ، حيث ان جيش العاهل قد اقتلع من المنازل حتى ابوابها ونوافذها الخشبية .

مع ذلك ، تمكنت الطليعة من تهيئة مخيم نوعا ما ، لكن الذين وصلوا فيما بعد اثناء العتمة ، خيموا انى وجدوا انفسهم ، واحدثوا الكثير من الجلبة اثناء مناداتهم بعضهم بعضا حتى بات في مقدور العدو ان يسمعهم . فنجم عن ذلك ، ان الاعداء الاقربين فروا فعلا من خيامهم . لقد اتضح هذا في اليوم التالي ، اذ لم يبق ، ضمن مدى البصر ، اية دابة نقل الامتعة كما انه لم يُرَ اي معسكر او خان فيما جاور . كما ظهر ان العاهل ذاته قد اصيب بالذعر عند دنو اليونانيين ، والحقيقة انه كشف عن ذلك بجلاء فيما فعل في اليوم التالي .

لكن اليونانيين انفسهم ، قاسوا من ذعر مباغت ، داهمهم ليلا ، فحدث من الضجيج والضوضاء ما يتوقع الفرد عندما تسود حال من الفزع . بيد ان كليرخوس اوعز الى (توليدس) الايلي(٦٤) الذي اتفق ان كان معه ، وكان احسن مناد في زمانه ، ان يامر بالصمت ثم بالمناداة : « يعلن القادة ان الرجل الذي ياتي بمعلومات حول الذي سمح بانفلات حماره بين الاسلحة ، سينعم عليه بوزنة فضة(٦٥) . فعندما وعى الجنود هذا النداء ، اطمانوا ان ليس للذعرهم مبرر ، وان القادة كانوا في مامن . وعند الفجر اوعز كليرخوس الى اليونانيين بجعل صفوفهم بنفس التشكيل الذي كانوا عليه اثناء المعركة .

ان ما ذكرت آنفا حول ذعر العاهل عند دنو اليونانيين ، قد ثبت بما جرى فيما بعد . فمع انه في اليوم المنصرم ، اوفد من يامر الاغريق بتسليم اسلحتهم ، لكنه الان انفذ ، مع بزوغ الشمس ، مخبرين لبحث الشروط .

---

(٦٤) نسبة الى Elea وهي من مستعمرات الاغريق في جنوبي ايطاليا المسماة ايضا Graecia Magna

(٦٥) وزنة الفضة تعادل (٢٥٠) او (٢٤٠) جنيها .

قدم هؤلاء المخبرون الى الخفراء في المقدمة ، وطلبوا مواجهة القادة ، فابلغ الخفراء تلك الرسالة . فقال لهم كليرخوس ، وهو حينذاك يفتش المفارز ، أن يخبروا الموفدين بالانتظار ، ريثما يسنح له الوقت . ثم جعل العسكر حسب تشكيل ، بدا زاهيا للناظر - فيلق مرصوص من اية ناحية شوهد ، دونما فرد مجرد من السلاح . ثم استدعى كليرخوس المخبرين ، وتقدم بنفسه نحو الامام ، بصحبة احسن جنوده قيافة وسلاحا ، واخبر القادة الاخرين أن يحذوا حذوه . وعندما وصل الى المخبرين ، استفهمهم حاجتهم ، فاجابوا انهم قد قدموا ليبحثوا الشروط ، وأن لديهم من التخويل ما يكفي لتبليغ اليونانيين رغبات العاهل، او ابلاغ العاهل برغبات اليونانيين .

فقال كليرخوس : « اذن تستطيعون ابلاغه بهذا : سينبغي ان نخوض الهيجاء اولا . لا نملك شيئا للفطور ، وما من فرد سيجرأ على ان يحادث اليونانيين بشأن الشروط حتى يزودهم بالفطور » .

عند سماع ذلك ، انطلق المخبرون بخيولهم ، وآبوا مسرعين فاتضح ان العاهل ، أو غيره ممن قد عهد اليه في هذه المهمة ، كان في موقع قريب . فافادوا ان العاهل عد قول كليرخوس معقولا، ولذا فقد استصحبوا مرشدين ، يرشدونهم الى موضع يستطيعون فيه الحصول على الذخائر ، ان تم الاتفاق على الشروط .

واستفهم كليرخوس ان كانت الهدنة ستسري فقط على الذين ذهبوا وعادوا، امعلىكلفردكذلك.فقالوا : «لانالهدنةتطبق على كل فرد ، وستكون نافذة المفعول حتى يتبلغ العاهل برسالتك » .

عندئذ ، سالهم كليرخوس ان ينسحبوا ، وتداول المسألة مع الاخرين . لقد كانت الفكرة ، عامة ، تحبذ عقد الهدنة في الحال ، ثم الذهاب بيسر للحصول على الذخيرة . قال كليرخوس: « تلك هي فكرتي الخاصة كذلك . لكني لا اشاء اعطاء الجواب حالا . سامدد الوقت حتى يتبادر الى المخبرين الوجل اننا قد نجمع لا على الهدنة » . بيد أنه أضاف : « يخيل الي أن جنودنا كذلك سيعتريهم الوجل مثلهم تماما » .

ولما حسب ان الوقت الموائم قد حان ، أجاب انه سيعقد الهدنة ، واخبرهم ان يرشدوا الى حيث المؤن في الحال . ففعلوا ذلك ، لكن كليرخوس ، بالرغم من عقد الهدنة ، سار مع الجيش بنظام حربي ، واقتاد المؤخرة بنفسه . فاعترضتهم قنوات وترع مغمورة بالمياه الى حد تعذر عليهم اجتيازها من غير جسور . بيد أنهم وضعوا المعبرات باستخدام سيقان النخيل والتقاط أخرى .

هنا تيسرت فرصة حسنة لمشاهدة الكيفية التي بها قاد كليرخوس رجاله ، بحربته في يسراه ، وقناته في يمناه . اذا ظن تهاونا من اي فرد من الرجال في عمل ما قد أوكل اليهم ، التقط الرجل المتهاون وبقزه . وفي ذات الحين ، طمس في الوحل ، وساهم في الاعانة بيده ، وبذا خجل كل فرد من عدم الاشتغال معه بجد . ان الذين اختيروا للمهمة ، كانوا ممن ناهزوا سن الثلاثين ، ولكن عندما لاحظوا كليرخوس يعمل فيها جادا ، انضم اليه من هم أكبر سنا كذلك . كان كليرخوس اكثرهم ذهافا لارتيابه ان القنوات ما كانت طافحة بالمياه الى هذا القدر دائما ، لان اوان ارواء السهل لم يكن في ذلك الفصل من السنة . فارتاب ان العاهل قد غمر السهل بالماء ، وغايته من ذلك هي ان اليونانيين قد يحصل لديهم الظن بوجود اخطار عديدة تجابههم في طريقهم حتى في هذا الحين .

وبعد التقدم ، وصلوا القرى حيث قال لهم الادلاء انهم يستطيعون الحصول على المؤن . فكانت الغلال مبذولة بوفرة وكذلك الصهباء المصنوعة من التمر ، وشراب حامض معمول من التمر المطبوخ . اما التمر ذاته ، فالصنف الذي يراه الشخص في اليونان ، كان يعزل جانبا للخدم ، بينما الانواع المخصصة للسادة ، كانت فاكهة منتقاة ، كبيرة الحجم ، رائقة المنظر ، الوانها كالعنبر تماما،واعتادوا تجفيفبعضهاوحفظها كحلويات . وكان ثمة مشروب آخر ، حلو المذاق(٦٦) ، لكنه قد يصيب شاربه بالدوار . ولاول مرة ، هنا كذلك ، أكل الجنود الجمار(٦٧) المستخرج من قلب النخلة ، وكان معظمهم مفتونين جدا بمظهره ومذاقه اللذيذ الغريب ، ولو ان متناوله كان ، كذلك ، شديد التعرض للاصابة بالصداع . وكل نخلة ، استخرج منها الجمار ، ذبلت نهائيا .

فاقاموا هنا ثلاثة ايام ، ثم جاء بصفة رسل من لدن العاهل: تيسافرنوس وصهر العاهل وثلاثة آخرون من الفرس ، مع جملة من العبيد ليقفوا على خدمتهم .

فذهب القادة اليونانيون لاستقبالهم ، واستهل تيسافرنوس المباحثات بالكلام على النحو التالي بوساطة مترجم : « اني ذاتيا ، اصدقائي الاغريق ، اعيش متاخما حدود اليونان ، وعندما رأيت أنكم امسيتم في مثل هذا الوضع الحرج للغاية ، اعتبرتها فرصة موفقة لي ان تمكنت باية وسيلة من اقناع العاهل بقبول التماسي بان اعيدكم سالمين الى بلادكم بالذات . اظنه صنيعا ساحمد عليه منكم ومن بقية اليونانيين . فاعتقادا مني بذلك ، رفعت رجائي الى العاهل ، وأن من الصواب والملائم له ان يمنحني هذا المعروف ، لاني أول من انباه بزحف كورش عليه ، وعندما جلبت النبا ، استصحبت العساكر ، كما اني الوحيد الذي لم ينهزم من بين الذين جابهوا اليونانيين في المعركة بل على النقيض ، اخترقتهم واتصلت بالعاهل عندما وصل معسكركم بعد مقتل كورش ، وبعد ذلك ، طاردت جيش كورش الفارسي برفقة هؤلاء الرجال الذين معي حاليا ، وهم أوفى اصدقاء العاهل . حينذاك ، وعدني العاهل النظر في مطلبي ، وفي ذات الحين ، امرني بالتوجه اليكم لاستوضحكم الغاية من زحفكم عليه . اني انصحكم باعطاء رد معقول ، كي استطيع بسهولة اكثر ، استحصال كل منفعة اقدر عليها من اجلكم » .

عند ذلك ، انسحب اليونانيون ، وتشاوروا فيما ابداه . فاجابوا بلسان ناطقهم كليرخوس : « لم نات ، لاول وهلة ، سوية بقصد محاربة العاهل ، وما كنا بعدئذ زاحفين على العاهل لقد كانت الحال ، بالاحرى ، كما تعلم حق العلم ، ان كورش ظل يختلق لنا الاعذار المختلفة للزحف بنية الامساك بك بمنأى عن جندك ، فيحملنا على القدوم الى هنا . بيد اننا لما لا حظنا انه غدا في وضع خطر ، شعرنا بالخجل امام السماء وتجاه أعين الملأ ان نخونه . اما الان وقد قضى كورش نحبه ، فلسنا منازعين العاهل امبراطوريته ، وليس من باعث يستوجب رغبتنا

---

(٦٦) يصعب التكهن بنوع الشراب المقصود لوجود أشربة عديدة قديما منها شراب البطيخ المسكر مثلا وغيره كثير . ولعله يقصد الدبس الحلو الذي هو عصير التمر .

(٦٧) لقد استعمل الناقل الى الانكليزية كلمة (Cabbage) التي تعني (اللهانة) بلغة العراق والكرنب أو الملفوف بلغة سورية ، ليدل بها على كلمة (جمار) وهي قلب النخلة والمدلول الصحيح الانكليزي لها هو (Spadix)

في الحال الضرر ببلاده ، او في قتله . ان رغبتنا الاوبــة الى الوطن ، شريطة الا يعاكسنا احد . اما اذا اساء احد معاملتنا ، فاننا سنبذل كل ما في وسعنا ، بعون الآلهة لاقصائه عنا . ومن جهة اخرى ، ان كان ثمة من يسدي الينا العون ، فســنعمل حتما ، غاية جهدنا ، لمنحه نفس المقدار من المساعدة تماما » .

ذلك ما قال كليرخوس . لقد اصغى اليه تيسافرنوس ، وقال : « سانقل رسالتك الى العاهل ، ثم اعود اليك برده . اننا نعتبر الهدنة سارية المفعول حتى اعود ، وسنتيح لكم الفرص لابتياع الطعام » .

في اليوم التالي ، لم يعد تيسافرنوس ، فشعر اليونانيون ببعض القلق ، لكنه جاء في اليوم الثالث ، وقال انه قد وصل بعد فلاحه في اقناع العاهل ان يسند اليه مهمة انقاذ اليونانيين — بالرغم من وجود العديدين الذين خالفوه ، قائلين : « ليس من الصواب ان يسمح العاهل بنجاة الذين زحفوا عليه ، لــذا في مقدوركم قبول ضماننا . اننا نعد أن نيسر لكم ارشــــادا مأمونا عبر بلادنا ، وان نعيدكم الى اليونان من غير خــــداع ، ونتيح لكم فرصا لتبتاعوا الطعام ، وعند تعذر ذلك ، نسمح لكم باخذ مؤنكم من الريف . ومن ناحيتكم ، عليكم ان تؤدوا لنا القسم وتعدون انكم ستسيرون وكانكم في قطر صــديق ، وان اخفقنا في اتاحة الفرصة لكم ان تبتاعوا المؤن ، فســتاخذون طعامكم وشرابكم من غير احداث ضرر ، وان اتحنا لكم فرصة ، فستدفعون اثمان ما تحصلون عليه من المرة » .

لقد اتفق على هذا ، وحلف اليمين . فمــد كل مــن تيسافرنوس وصهر العاهل يمينه نحو القــادة والرؤســــاء اليونانيين ، وتصافحا معهم . بعد ذلك ، قال تيسافرنوس : « والآن ساعود الى العاهل . سافقل راجعا حال فراغي من انجاز ما يجب ، وأنا بكامل الاهبة لمرافقتكم في الاوبة الى اليونــــان ، والرجوع بنفسي الى محافظتي » .

بعد ذلك ، انتظر اليونانيون ، وعسكر(٦٨) آريوس رجعة تيسافرنوس مدة نيفت على عشرين يوما ، وكانوا قد عســكروا متلاصقين . اثناء هذه الفترة ، قدم اشقاء آريوس واقربــــاء آخرون لرؤيته ، وجاء عداهم من الفرس لزيارة أصدقائه . وقد ادلوا ببيان امور مشجعة ، وجلبوا الى بعض الافراد ضمانـــات من العاهل ، انه لا يحمل نحوهم اية نية سيئة لانضوائهم تحت لواء كورش ضده ، او لاي شيء قد حدث سابقا .

وبان بعد هذه المحادثات ان جماعة آريوس غــدوا أقــل اهتماما باليونانيين ، وكان هذا باعثا آخر لتمقتهم غالبيــــة اليونانيين . والحقيقة ، لقد قصد الجنود كليرخوس والقــادة الآخرين ، وقالوا : « علام انتظارنا ؟ أليس واضحا ان العاهل سيفعل اي شيء ليبيدنا ، كي يجعل بقية اليونانيين يخشــــون المسير ، كما فعلنا ، ضد العاهل العظيم ؟ انه الان بسبب تشتت جيشه ، ولقاءات عدة ، يشجعنا على المكوث حيث نحن ، لكنــه سيهاجمنا حتما حالما تتجمع قواته ثانية . أم يجوز انه يحفــر الخنادق،ويقيم القلاع،في مكان ما لجعل طريقنا متعذر الاجتياز . انه حتما لا يرتضي ، اذا استطاع الى ذلك سبيلا ، رجوعنا الى اليونان لنسرد قصتنا اننا ، بضآلة عددنا ، قهرنا العاهل عند أبواب جوسقه ، ثم عدنا الى الوطن سالمين ، جاعلين من شخصه اضحوكة » .

(٦٨) كلمة (عسكر) زيادة من المعرب للايضاح اذ ان النص الانكليزي يذكر « اليونانيون وآريوس » .

فرد كليرخوس على الذين افصحوا عن ذلك ، بالقــول : « اني اشعر عين شعوركم تماما . ومن جهة أخرى ، أعتبر لو ذهبنا الان ، لعد عملنا اعلان الحرب ونقض الهدنة . ان أول شيء سيعقب ذلك هو ان ما من احد سيتيح لنا ابتياع المؤن او اي مجال لاطعام أنفسنا . ثم ، لن يتوفر لنا الدليل ليدلنا علــى الطريق . في نفس الوقت ، ان فعلنا كما تقترحون ، سيتخلى عنا آريوس في الحال ، فتغدو النتيجة اننا سوف لا نملك صديقا واحدا . وعلى النقيض من ذلك ، سيمسي اصحابنا ســابقا خصوما . لا اعلم ان كنا سنجتاز انهارا أخرى ، لكننا نعرف أن من المتعذر عبور الفرات مع مواجهة مقاومة العدو . ثم ، ليس لدينا الفرســان اذا نشبت معركة ، بينما فرسان العاهل ، اعداد هائلة واكثر اسلحته مضاء . لذا ان احرزنا نصرا ، صعب علينا قتل أي فرد من اعدائنا ، بينما اذا قهرنا ، فلن ينجو منا أحد . ان كان العاهل يروم تحطيمنا ، فلا علم لدي — وهــو يمتلك كل هذه المزايا — بالداعي لتأديته القسم ، وتبادل يمين الصداقة ، فحنث وجعل ضماناته عديمة القيمة في عيون الاغريق والفرس » . كثيرا ما تعود كليرخوس هذا الضرب من الجدال .

في غضون ذلك ، وصل تيسافرنوس بجيشه ، ونيتــه — ظاهرا — الاوبة الى الوطن . كما جاء اورونتاس مع عسكره مصطحبا ابنة العاهل ، قرينة له . فساروا من ثم قدمــا ، وتيسافرنوس يدلهم الطريق ويتيح الفرص لابتياع المرة . كمـا أن آريوس سار مع جيش كورش الفارسي بمعية تيسافرنوس وأورونتاس وعسكر معهما . فتطلع اليونانيون اليهم بارتيــاب ، وساروا مستقلين أثناء الطريق ، مستخدمين مرشديهم الخاصين بهم ، وعسكر الجيشان تفصلهما مسافة ثلاثة اميال على الاقــل دائما . وراقب كل جانب الاخر كانهما متعاديان ، فنجم عن ذلك، بطبيعة الحال ، مزيد من الريبة . وفي بعض الاحيان ، عندمـــا كانوا يحتطبون في نفس الموضع ، او يجلبون العليق وما شابه ، حدثت المشاجرات بينهم ، وهذا ايضا ، يستثير الضغينة طبعا .

بعد مسيرة ثلاثة أيام ، وصلوا السور المادي ، واجتازوه نحو الطرف الاخر . كان ذلك السور مصنوعا من الطابوق الذي يتخلل القار طبقاته ، وكان سمكه عشرين قدما وارتفاعه مئة قدم وقيل ان طوله يمتد نحو ستين ميلا . انه جد قريب من بابل(٦٩) .

اعقب ذلك مسيرة (٢٤) ميلا خلال يومين ، عبروا أثناءها ترعتين ، احداهما فوق جسر ثابت والاخرى فوق جسر عائم على سبعة قوارب . كان ماء الترعة يرد من دجلة ، ومنها تتفــرع قنوات تمتد الى اطراف البلاد ، عريضة في البديئة ، ثم تضيق حتى تغدو في النهاية كالمجاري التي عندنا في حقول الدخن في اليونان .

ثم جاءوا دجلة حيث قامت بقربه مدينة واسعة كثيفــة السكان ، تدعى (سيتاس)(٧٠) ، تبعد عن النهر ميلا ونصــف

(٦٩) من كلام (زينوفون) يبدو أن السور المادي لا يبعد كثيرا عن (بابل) — اي مســيرة يوم أو اقل ، بينما يذهب الاستاذان طه باقر وفؤاد سـفر الى ان موقع السور المذكور شمالي (بلد) وجنوبي (اصطبلات) . ولذلك أرجح أن شطرا منه قد انهدم . او ان ما ذكره (زينوفون) ليس سوى سد خزان نبوخذنصر .

(٧٠) Sittace — أغلب الظن انها (المدائن) التي يقوم بحذائها طاق كسرى المشهور واطلالها حاليا قريبة جدا من نفاء سلمان باك المطلة على دجلة أو بالاحرى موضـــع

الليل . لقد عسكر اليونانيون بجوار المدينة قرب حديقة شاسعة مكتضة بجميع اصناف الشجر . اما الجيش الوطني ، فقد اجتاز دجلة ولم يعد له اثر .

وبعد العشاء ، عندما اتفق ان كان (پروكسينوس) و (زينوفون) ماشيين امام الموضع الذي كدست عنده الاسلحة ، قدم رجل يستفهم الحراس عن المكان الذي يستطيع فيه العثور على پروكسينوس وكليرخوس . لم يستفسر عن (مينون) مع انه قدم من قبل صديق (مينون) : آريوس . عندئذ قال پروكسينوس : « أنا هو من تطلب » . فتكلم الرجل قائلا : « لقد بعثت من لدن آريوس وارتاوزوس المخلصين لكورش ، وهما صديقاكم . انهما يستحثانكم لتكونوا على يقظة من هجوم يشنه الجيش الوطني اثناء الليل . ثمة قوة هائلة في الحديقة المجاورة . كما يستحثانكم على اقامة حراسة على الجسر فوق دجلة ، لان تيسافرنوس ينوي ، ان استطاع ، تحطيمه ليلا ، كي تعجزوا عن عبوره ، فتعزلوا بين النهر والقناة » .

عندما وعى پروكسينوس وزينوفون هذا ، اخذا الرجل الى كليرخوس واخبراه بما افاد . فاضطرب كليرخوس وانزعج كثيرا عندما سمع الحكاية . لكن شابا حاضرا هناك ، قال بعد تمعن قليل : ثمة تناقض في هاتين الخطتين : شن الهجوم وتحطيم الجسر . فجلي اما ان يكون هذا الهجوم ظافرا ام فاشلا . فان كان ظافرا ، ما قصدهم من هدم الجسر ؟ سوف لن تتوفر لدينا فرصة النجاة حتى لو تيسرت الجسور العديدة . ولنفرض من ناحية اخرى انه فاشل ، عندئذ اذا دمر الجسر ، فلن تتوفر لديهم وسيلة النجاة . فضلا عن ذلك ، اذا هدم الجسر ، استحال على اي فرد من أصحابهم كافة ، في الطرف الآخر ، أن يخف الى نجدتهم » .

لقد أصغى كليرخوس الى ذلك ، واستعلم المخبر عن فسحة الارض الكائنة بين دجلة والقناة . فاجاب : « انها كبيرة وفيها ضياع وعدد من المدن الكبيرة » .

عند ذلك اجمعوا ان للفرس غرضا خاصا من ارسال هذا الرجل . فهم خشوا ان يلجأ اليونانيون الى تجزئة الجسر الى اوصال ، فيمكثوا في الجزيرة ، وبذا يشكل كل من دجلة والقناة خطي دفاع على الجانبين . انهم يستطيعون الحصول على التجهيزات من الصقع الخصيب المترامي ، الآهل بالناس العاملين . وبالتالي يغدو وضعهم كملجأ لأي فرد شاء العمل ضد العاهل .

وبعد توصلهم الى هذا الاستنتاج ، ذهبوا للرقاد . غير انهم اقاموا الحراسة فوق الجسر ، لكن الحرس أنبأ بعدم حدوث هجوم من أي اتجاه ، ولم يدن من الجسر اي نفر من العدو .

مع بزوغ الفجر ، عبروا الجسر المشيد من سبعة وثلاثين قاربا ، واتخذوا جميع الاحتياطات الممكنة ، اذ ان بعض اليونانيين الذين في خدمة تيسافرنوس افادوا ان الفرس مبيتين الهجوم أثناء اجتياز اليونانيين . بيد ان هذا الاخبار كان عاريا من الصحة ، ولو ان (جلوس) وآخرين برزوا للعيان اثناء عبورهم للتثبت من اجتيازهم النهر حقيقة . فعندما رآهم فاعلين ذلك ، انطلق راكبا .

تلا ذلك مسيرة (٦٠) ميلا في بحر اربعة أيام ، فوصلوا نهر (فيسكوس)(٧١) الذي عرضه (١٠٠) قدم وفوقه جسر . كانت هنا مدينة عظيمة تدعى (اوپس)(٧٢) حيث التقى بالقرب منها شقيق كورش وارطحشست غير الشرعي باليونانيين . وكان يقود جيشا لجبا من (شوشه)(٧٣) و (اكباتانا)(٧٤) للقتال في نصرة العاهل ظاهرا . وعند مرور اليونانيين ، اوقف جيشه وراقبهم . لقد قاد كليرخوس رجاله قدما بشكل اثنين اثنين ، جنبا لجنب ، يسيرهم ويوقفهم عند مراحل . وعند توقف الطليعة ، كان الصف بطوله يتوقف طبعا ، حتى ان اليونانيين انفسهم حسبوا أن جيشهم كان جرارا للغاية ، بينما كان الفرس في اقصى العجب لمنظرهم .

اعقب ذلك مسيرة (٩٠) ميلا خلال ستة أيام عبر الصحراء داخل (ميديا) ، فوصلوا الارياف العائدة الى (پاريزاتس) والدة كورش وارطحشست . ان تيسافرنوس ، بغية اهانة كورش ، أباحها لليونانيين لاخذ ما شاءوا منها ، خلا العبيد . كان هنالك الكثير من الغلال والضان واشياء اخرى ذات قيمة .

ثم تلت مسيرة (٦٠) ميلا خلال اربعة أيام عبر الصحراء تاركين دجلة على اليسار . في اليوم الاول للمسير ، لاحظوا

سلوقية (تلول عمر) وهذا هو نفس رأي المستشرق الجيكي موسيل في كتابه (الفرات الاوسط) — ص ٢٢٦ . وقال الدكتور أحمد سوسه في كتابه (وادي الفرات ومشروع سدة الهندية) — ص ٢٢ : « لقد اختلف العلماء في أمر تعيين موقع مدينة سيتاس ، فظنه بعضهم في شمال بغداد وهؤلاء ممن يعتنقون النظرية القائلة بأن سور الميديين كان يقع شمالي بغداد ، وبينهم المستر (جيزني) الذي يميل الى الظن بأنها كانت تقع في (الشريعة البيضاء) شمالي التاجي بقليل . والبعض الآخر ، ممن يرون أن سور الميديين كان يقع جنوب بغداد ، ظن أن موقع (سيتاس) يحتمل ان يكون في اماكن عدة جنوب بغداد . فالمستر (كروت) في كتابه (تاريخ اليونان) — الجزء التاسع — يرى أن مدينة سيتاس كانت تقع على بعد ثلاثة أميال من جنوب مدينة بغداد ، بينما نجد المستر (رولنسن) في كتابه (الممالك القديمة) — الجزء الاول — يميل الى تعيين موقع سيتاس على الضفة الشرقية من دجلة في مسافة تبعد (٣٣) ميلا من جنوب شرقي نهر ديالى . وهناك من يرى أن (تلول الدير) الواقعة على الضفة الشرقية من دجلة على بعد زهاء (٦٠) كم من جنوب مصب نهر ديالى هي عبارة عن أطلال سيتاس . وقد ذكر (سترابون) ان مدينة سيتاس تقع على الطريق بين بابل وسوسه وعلى بعد نحو (٥٠) ميلا من الاولى . ومهما يكن من امر ، فاننا نميل الى الاعتقاد بأن سيتاس كانت تقع في محل ما جنوب بغداد بالقرب من نهر دجلة » .

(٧١) Physcus أرجح أنه نهر الادهم المسمى العظيم حاليا

(٧٢) Opis — المرجح أنها (بلد) الحالية والاختلاف في تعييننا يعود الى الاختلاف في تعيين السور المادي وبحث هذا الموضوع طويل . راجع ص ١١–١٢ من كتاب (وادي الفرات ومشروع سدة الهندية) للدكتور أحمد سوسة .

(٧٣) Susa — عاصمة الفرس قديما .

(٧٤) Ecbatana هي مدينة (همدان) أو (همذان) حاليا وعاصمة ميديا قديما ، اسست حوالي سنة (٧٠٠) ق.م .

مدينة كبيرة غنية تدعى (كايناي)(٧٥) مشيدة على الضفة الاخرى من النهر . لقد جلب سكان هذه المدينة ارغفة وجبنا ونبيذا ، عابرين بها النهر فوق الاطواف(٧٦) المصنوعة من الجلود .

بعدئذ ، جاءوا نهر الزاب(٧٧) الذي كان عرضه (٤٠٠) قدم ، فمكثوا هناك ثلاثة ايام ، وخلال هذه المدة ـ رغم استمرار الارتياب ـ لم تبد دلالة حقيقية على الغدر . لذا صمم كليرخوس على مواجهة تيسافرنوس والعمل ، غاية المستطاع ، لايقاف هذه الشكوك قبل ان تؤول الى خصومة سافرة . فانفذ فردا ينبيء انه شاء مواجهته ، فاستدعاه تيسافرنوس في الحال للمجيء . وعند اجتماعهما تكلم كليرخوس قائلا : « اني اعلم ، ياتيسافرنوس ، اننا قد اقسمنا اليمين ، وتبادلنا الضمانات الا يلحق احدنا الضرر بالآخر ، بيد اني الاحظك تراقب تحركاتنا وكاننا خصوم . فنحن اذ نلاحظ هذا ، ننظر اليكم بالمثل . عند تفحص الامور ، اعجز عن ايجاد الدليل انك تحاول الاضرار بنا ، واني لموقن تماما ـ بقدر ما يتعلق الامر بنا ـ اننا لا نفكر اصلا في مثل هذا ، لذا قررت ان ابحث القضايا معك ، لارى ان كنا نستطيع وضع حد لسوء الظن المتبادل هذا . فكما اعلم من حوادث وقعت في الماضي ، نتيجة لانباء مفتراة احيانا ، ولمجرد عامل الشك احيانا اخرى ، عند توجس اناس فزعا بعضهم من بعض ، ثم في خضم تشوقهم الى انزال الضربة اولا ، قبل حدوث اي شيء لهم ، قد الحقوا ضررا لا يرجى اصلاحه باولئك الذين لم يعتزموا ، ولا ارادوا اصلا ، ان يلحقوا بهم اي اذى مطلقا . فاقتنعت عندئذ ان سوء التفاهم ، من هذا القبيل ، يسير انهاؤه على افضل وجه بالاتصال الشخصي ، وابغي ان اوضح لك ان ليس لديك ما يبرر اساءتك الظن بنا . فاول واهم سبب هو ان قسمنا قدام الآلهة يمنعنا ان نصبح اعداء بعضنا لبعض . ان الرجل الذي يمتلك ضميرا يحتمل نبذ مثل هذه اليمين ، ليس بالشخص الذي اقدر على تهنئته ابدا . ان فردا ، هو عدو الآلهة ، لا ارى كيف يستطيع الافلات العاجل ، ولا موضعا يهرب اليه للنجاة ، ولا ما سيكتنفه من الظلمة ، ولا مكانا من القوة ما يحمله على اللجوء اليه . فجميع الاشياء في كل الاماكن معرضة للآلهة ، وطاقة الآلهة تشمل جميع الاشياء على حد سواء .

« هذا اذن ، اعتقادي عن الآلهة والايمان التي اقسمنا ـ تلك الايمان التي صيانة لها ، اودعناها ايدي الآلهة حينما تحالفنا على الصداقة . والان عند بحث علاقتنا بالافراد ، اعتقد انك في هذا الظرف افضل ما نملك . بعونك كل طريق سهلة ، كل نهر ممكن العبور ، ولن يكون ثمة نقص في التجهيزات ، لكن بانعدام مساعدتك ، ستمسي رحلتنا باسرها في الظلام ، مازلنا لا نعلم عنها شيئا ، اذ سيغدو كل نهر عقبة شاقة ، وكل فئة من الخلق ستوحي الينا الخوف ، واكثر ما يرهب الاصقاع غير المأهولة ، حيث يدجر المرء في كل السبل .

« لو كنا من الجنون بان نقتلك ، ما الذي سنتوصل اليه غير القضاء على المحسن الينا ، ثم ينبغي ان نعادي العاهل الذي سيكون بالمرصاد مع كامل قوته ليثأر لك . وبقدر ما يخصني الامر ، استطيع ان اخبرك عن جميع المطامع العظيمة التي سأخسرها ان انا حاولت الاضرار بك . ان الباعث الذي رغبني ان يكون كورش صاحبي ، هو اعتقادي انه احسن معاصريه قاطبة من حيث القدرة على مساعدة الذين شاء مساعدتهم . اما الان ، فالاحظك تملك ولايات كورش وقواته ، كما تملك ما يعود اليك ، وقوة العاهل التي ناهضت كورش بجانبك كذلك . فمع كل مكاسبك هذه ، من هو ذلك المعتوه الذي لا يود ان يغدو صاحبك ؟ كما اني سانبئك عن الباعث الذي يجعلني اعقد آمالا طيبة في رغبتك لتكون صاحبنا كذلك . اولا ، هناك (الميسيون)(٧٨) الذين ، كما اعلم ، يسببون لك الاضطراب ، وانا واثق ان في مقدوري اخضاعهم بالقوة التي امتلك حاليا . كما اعرف (البيزيديين) كذلك ، واعلم بوجود فئة من مثيري الشغب ، واعتقد ان في وسعي منع هؤلاء قاطبة من اقلاق راحة بالك باستمرار . واني لعالم بنقمتك على المصريين بصورة خاصة ، ولا ارى كيف يتسنى لك الحصول على قوة افضل مما في حوزتي الان لتعضدك في معاقبتهم . اجل ، وفيما يتعلق بالولايات على تخومك ، تستطيع ان شئت ان تغدو اجدى الاصدقاء ، او ان اثار احدهم الاضطراب ، استطعت ـ ونحن في عونك ـ ان تتصرف كحاكم بامره ، وسوف لن نخدمك لاجل مجرد الاجر ، بل من اجل الشكران المناسب الذي سنكنه لك لانك انقذت حياتنا . عندما افكر في كل هذا ، يبدو لي ان انعدام ثقتك بنا غير قابل للتصديق الى حد اود كثيرا معرفة اسم الرجل الذي له من المقدرة على الاقناع ما يجعلك تعتقد تآمرنا عليك » .

هذا ما قال كليرخوس . فاجاب تيسافرنوس قائلا : « اني ياكليرخوس في الحقيقة لمغتبط ان اسمع حديثك المعقول . انك بما تمتلك من المشاعر ، يتراءى لي انك لو كنت تفكر في ايذائي ، لكنت في الوقت عينه تتآمر على مصالحك الذاتية . اما الان فعليك ان تصغي بدورك كي تقتنع انك انت ايضا ستكون مخطئا لو خامرك اي نقص في الثقة بالعاهل او بي .

« لو شئنا فعلا ابادتكم ، هل تعتقد ان الفرسان والمشاة تنقصنا ، ام النوع المناسب من المعدات التي نتمكن بها من اتلافكم دون تعرضنا لخطر ازهاق الارواح من جانبنا ؟ ام انك تحسب من الجائز عدم عثورنا على مبرر ملائم نهاجمكم بموجبه ؟ تذكر الاصقاع الدلصة التي تخترقون بمشقة كبيرة حتى حينما يكون القاطنون مسالمين . تامل كل الجبال التي ينبغي ان تجتازوها ، والتي نستطيع احتلالها اولا ، فنجعل عبورها من المتعذر عليكم . تصور جميع الانهار حيث نستطيع اقتطاعكم الى مفارز ، فنشاغلكم ما شئنا من الوقت . وثمة انهار لاتستطيعون عبورها مطلقا الا اذا اجتلبناكم عبرها . وحتى لو فرضنا ان حظنا من ذلك كان الاسوأ على طول هذه الجبهات ، فلك ان تتأكد ، على كل حال ، ان النار تفوق الغلال باسا ، واذا اضرمنا

---

(٧٥) Caenae التسمية يونانية معناها (المدينة الحديثة) والحديثة مدينة قديمة على دجلة غير التي على الفرات . وخارطة (تاريخ كلدو وآثور) للمطران ادي شير تبين وجود مدينة (شنا) الى الشمال من (بيجي) الحالية ، وربما هي كايناي .

(٧٦) الاطواف جمع (طوف) وهي قرب ينفخ فيها ويشد بعضها الى بعض فيركب عليها في الماء .

(٧٧) Zapatas ـ اغلب الظن انه نهر الزاب الاعلى الكبير حاليا ، مع العلم ان المؤلف لم يات على ذكر (الزاب) الاسفل الصغير مع انه قد اجتازه . وأرجح ان هذه التسمية فارسية لان اليونانيين ، كما يقول المطران ادي شير في كتابه (تاريخ كلدو وآثور) ، يطلقون اسم (لوقوس) على الزاب الاعلى واسم (كابروس) على الزاب الاسفل .

(٧٨) القوم المنسوبون الى اقليم (ميسيا) غربي آسيا الصغرى .

النار في الظلال ، استطعنا اجتلاب المجاعة في المعركة الدائرة عليكم ، فلا تستطيعون مكافحة ذلك لو اوتيتم كل الشجاعة في العالم . فمع جميع هذه الوسائل التي نملكها لشن الحرب عليكم ، وبدون أن تجر احداها اي خطر الينا ، كيف تستطيع التصور أننا من دونها جميعا سنختار الاسلوب الذي ينطوي على الشر في نظر الآلهة ، والعار في عيون الناس ؟ بين الحانثين والذين لا حيلة لهم ، ومن لا يملكون أي مخرج ، فقط ، ستجد اناسا (وحتى انذاك يتحتم ان يكونوا اوغادا) يرغبون في تامين غاياتهم عن سبيل تادية اليمين الغموس امام الآلهة ، ونكث العهود تجاه الناس . ليس ذا شاننا ياكليرخوس ، لسنا حمقى وبلهاً كهؤلاء .

« قد تسأل ، مازلنا نملك الطاقة على ابادتكم ، لماذا لم نقدم على ذلك ؟ اسمح لي ان اقول لك ان المسؤول عن ذلك رغبتي في كسب ثقة اليونانيين ، واني عن طريق اسدائهم الخير ، ابتغي الرجوع الى الساحل بمعاضدة جيش المرتزقة الذين اعتمدهم كورش اثناء مسيرته الداخلية لسبب واحد هو انه اعطاهم اجرهم . أما اوجه الاستفادة من مساعدتكم ، فقد ذكرت بعضها بنفسك ، واهمها ، مع ذلك ، لا تعدو علمي . اعني ان للعاهل وحده أن يضع التاج على راسه ، لكن واحدا غير العاهل بفضل معونتك ، ربما تيسر له ان يحوز التاج في قلبه » .

فظنه كليرخوس مخلصا فيما ينطق ، فقال : « اذن ، فاولئك الناس الذين يحاولون بافتراءآتهم جعلنا متعادين ، في حين نملك جميع مقومات الصداقة هذه ، الا يستحقون أسوأ مصير يلحقهم ؟ » . فقال تيسافرنوس : « اجل . وان كنتم ايها القادة والرؤساء ، على استعداد للقدوم الي ، فساعلن جهاراً اسماء الاشخاص الذين انباوني انكم كنتم تتآمرون علي وعلى عسكري » .

فقال كليرخوس : « ساتي بهم جميعا . وانا من ناحيتي ، سادلك من اين استقيت معلوماتي عنك » .

بعد هذه المحادثة ، تصرف تيسافرنوس بتودد جم نحو كليرخوس ، وحثه انذاك على البقاء ، فجعله ضيف العشاء .

في اليوم التالي ، عند عودته الى المعسكر ، اوضح كليرخوس انه اعتبر كونه على غاية الوفاق مع تيسافرنوس ، وأن اولئك اليونانيين الذين ثبت انهم كانوا يشيعون المفتريات ، تنبغي معاقبتهم كخونة وغير عابئين بالقضية اليونانية . لقد شك أن (مينون) يبث الاراجيف ، اذ بلغه ان مينون وآريوس قد اجتمعا بتيسافرنوس ، وانه كان يعمل سرا لتشكيل حزب مناوىء ضده ، بقصد استمالة الجيش باكمله نحوه ، فيصبح صاحبا لتيسافرنوس . لقد ابتغى كليرخوس لذاته ولاء الجيش باسره ، وأراد اقصاء المتذمرين عن سبيله .

لقد عارض بعض الجنود كليرخوس ، قائلين بعدم وجوب ذهاب الرؤساء والقادة كافة ، وبانه يتحتم الا يثقوا بتيسافرنوس لكن كليرخوس اصر بشدة حتى اقنع اخيرا في حمل خمسة قواد وعشرين رئيسا على المضي ، وانطلق معهم كذلك حوالي مئتين من الجنود الاخرين ، وكانهم ينوون ابتياع الاطعمة .

فعندما بلغوا مدخل خيمة تيسافرنوس ، دعي القادة داخلا وهم : بروكسينوس البيوطي ، مينون التسالي ، آجياس الاركادي ، كليرخوس الاسبرطي وسقراط الآخي . وانتظر ضباط المئة (الرؤساء) عند المدخل . بعد لحظات ، وباشارة واحدة ، قبض على من في الداخل ، وذبح من في الخارج . ثم انطلقت مفارز من فرسان الفرس تعدو على الارض المنبسطة ، وقتلت جميع اليونانيين في طريقها ، عبيدا واحرارا على السواء . فاندهل اليونانيون اذ شاهدوا من معسكرهم مناورات الفرسان هذه ، وكانوا في ريبة مما كانوا فاعلين ، حتى نجا (نيكارخوس) الاركادي وجاءهم بجرح في معدته ، ماسكا امعاءه بيديه ، فانباهم عن كل ما وقع .

نتيجة لذلك ، هرع اليونانيون نحو السلاح . فساد رعب عام ، وتوقعوا زحف العدو عاجلا على المعسكر . بيد انهم لم ياتوا بكامل قوتهم ، بل كانوا : آريوس وآرتاوزوس وميثريداتس ، وهم رجال كانوا غالبا موضع ثقة كورش . ان الترجمان الاغريقي افاد انه لمح وميز شقيق تيسافرنوس ضمنهم كذلك . كما جاء معهم حوالي ثلاثمئة آخرون من الفرس وقد لبسوا الدروع .

وعندما دنوا من المعسكر ، طلبوا ان يبرز اليهم اي قائد او رئيس يوناني هناك كي يبلغوا رسالة من العاهل . وبعد اتخاذ كل الاحتياطات ، خرج نحوهم القائدان اليونانيان (كلينور الاورخوميني) و (سوفانيتوس الستيمفالي) ومضى معهما زينوفون الاثيني ليتحرى عما جرى لبروكسينوس . واتفق ان كان خريسوفوس خارج المعسكر مع فئة لجمع التجهيزات في قرية ما .

وعند وقوفهم على مسافة يمكن معها سماع بعضهم البعض ، قال آريوس : « ايها اليونانيون : وجد كليرخوس مذنبا في حنث اليمين ونقض الهدنة ، فنال استحقاقه وقضى . اما بروكسينوس ومينون ، بما انهما اخبرا عن تآمره ، فهما في غاية التكريم . اما انتم ، فالعاهل يطالبكم بالقاء السلاح ، اذ يقول انها عائديته ، لانها كانت ملك كورش الذي كان خادمه » .

فكان رد اليونانيين على ذلك بلسان كلينور : « آريوس ، يانذلا كله ، وانتم ياامن كنتم أصحاب كورش : الا تشعرون بالخجل امام الآلهة والبرايا ؟ لقد اقسمتم ان اصحابكم وخصومكم سيكونون نفس أصحابنا وخصومنا ، ثم غدرتم بنا مع ذاك الملحد والمجرم تيسافرنوس . لقد قتلتم عين الناس الذين اقسمتم معهم اليمين ، والآن بعد أن خذلتم بقيتنا ، تاتون ضدنا مع اعدائنا » .

فقال آريوس : « الحقيقة ، لقد ثبت اولا أن كليرخوس كان يدبر مكيدة ضد تيسافرنوس واوورنتاس ونحن الذين معهما جميعا » .

فرد زينوفون على ذلك قائلا : « اذن ، بقدر ما يتعلق الامر بكليرخوس ، لقد نال ما استحق اذا هو حنث اليمين ، ونقض الهدنة . انه لحق ان يمحق الحانثون . اما بروكسينوس ومينون ، اذ انهما محسنان اليكم ، وقائدانا ، فابعثوا بهما الينا . اذ يبدو جليا ، لكونهما صديقي الطرفين ، أنهما سيحاولان اسداء افضل النصح من أجل مصالحكم ومصالحنا » .

لقد استغرق الفرس وقتا طويلا للتباحث في ذلك ، ثم غادروا دون أن يبدوا أي رد على الاقتراح .

ان القادة الذين أسروا على هذا النحو ، اخذوا الى العاهل ، وضربت اعناقهم . كان كليرخوس ، احدهم ، جنديا حقيقيا متحمسا للحرب أكثر من المعتاد ، كما سلم بذلك كل الذين تهيئ لهم ان يتكلموا عنه بعد خبرة . ويتجلى هذا من هذه الحقيقة : أبان حرب اسبرطة مع اثينا ، ظل هو في اليونان ، لكنه بعد الصلح ، اقنع السلطة الوطنية أن

(التراشيين) كانوا يقومون باعمال عدائية تجاه اليونانيين ، وغب ان وجد سبيله ـ الى حد ما ـ نحو الحكام ، أبحر من الوطن ليشن الحرب على التراشيين شمالي (شيرسونيز)(٧٩) و (بيرنثوس)(٨٠) . بيد ان الحكام ، بعد اقلاعه ، عدلوا عن رأيهم لسبب ما ، وحاولوا حمله على الرجوع من البرزخ ، لكنه لم يعد اذ ذاك يرضخ لهم ، بل مخر نحو (هيليزبونت)(٨١) . نتيجة لذلك ، حكمت عليه السلطات الاسبرطية بالموت لعصيانه. وهو كمنفي ، قصد كورش ، وقد كتبت في موضع آخر(٨٢) حول الآراء التي ابداها لكسب عطف كورش . فوهبه كورش عشرة آلاف جنيه ، لم يحيا بعد استلامها حياة رخية ، بل انفقها في انشاء جيش . بهذا الجيش،شن الحرب على التراشيين ودحرهم في معركة ضارية ، ومنذئذ غزا وخرب ديارهم ، واستمر على محاربتهم حتى احتاج كورش الى جيشه ، فغادر (تراشيا)(٨٣) بقصد الاسهام في حرب اخرى بمعية كورش .

يلوح لي ان هكذا ينبغي ان يكون سجل امرىء مخصص للحرب . كان في مقدوره العيش بسلام دون تعرضه للمثالب او اي سوء لكنه آثر خوض الوغى . كان في استطاعته ان يحيا برخاء ، لكنه فضل حياة خشنة تصحبها الحرب . لقد تسنت له حيازة المال والامان ، لكنه تخير الاقلال من المال ، الذي احرزه ، بالانهماك في الحرب . فقد كان ، في الحقيقة ، يهوى انفاق المال لاغراض الحرب ، تماما كمن ينفقه في شؤون الحب أم أية لذة اخرى .

كل هذا يدل الى اي مدى كان قد كرس ذاته للحرب . اما خصاله العالية كجندي ، فتبرز في الحقائق التي تشير انه كان مولعا بالمجازفة ، ومتاهبا لقيادة الحملة على العدو نهارا ام ليلا وانه عندما الم به الظرف المربك ، كان يتمالك صوابه ، كما يسلم بذلك كل من وجد معه اينما كان . وقيل انه حاز جميع مؤهلات القيادة التي يمكن توفرها في رجل من طرازه . كان يملك مقدرة فائقة على تنظيم الوسائل التي تمكن الجيش من الحصول على الميرة وضمان توفرها ، كما كان ذا قدرة جيدة على ان يوحي الى من معه ان كليرخوس رجل يجب ان يطاع . لقد حقق هذه النتائج بصلابته . لقد كان ذا مظهر رادع وصوت اجش . كانت عقوباته صارمة ، وتفرض احيانا اثناء الغيظ ، حتى انه بالذات كان يندم احيانا على ما بدر منه . لقد كان العقاب عنده بمثابة قاعدة ، لانه كان يؤمن ان جيشا بلا انظام لا يصلح لشيء . والحقيقة ، لقد عرف انه القائل ان على الجندي ان يرهب قائده اكثر من العدو ، اذا اريد له ان يصبح قادرا على الاحتفاظ باليقظة الوافية ، وان يمسك عن الحاق الاذى بجانبه ، او ان يدخل المعمعة دون تراجع . فحصل من ذلك ، ان الجنود في المواقف المحرجة كانوا يمنحونه ثقة تامة ، ولم يتمنوا افضل منه . قالوا ان نظرته المانعة ، في تلك الاحيان ، كانت تلوح بهيجة حتما ، وصلابته ثقة في وجه الخصم ، فهي بعد ليست صلابة عندهم ، بل شيئا آخر يحطهم على الشعور بالطمانينة . ومن ناحية اخرى ، عند زوال الخطر ، وسنوح فرصة الذهاب تحت خدمة غيره ، هجره العديدون ، اذ لتجرده من اي جاذب نحو شخصه ، كان صلبا وشرسا دائما ، وبهذا كانت علاقاته بجنوده كتلك التي بين التلاميذ ومعلم المدرسة .

وهكذا بات لايملك التابعين بدافع الصحبة أو الشعور الطيب نحوه . ومن ناحية اخرى ، لقد فرض الطاعة التامة على جميع الذين تحت سلطته في مدنهم ، أم العاملين معه بباعث من الفاقة او تحت وطأة قاهر آخر . ثم حال شروعهم في احراز النصر برفقته ، استطاع الفرد ادراك اهمية العوامل التي جعلت من رجاله جنودا اكفاء . لقد تميزوا بالثبات في وجه العدو ، وكانوا منظمين خشية عقوباته . فهو كقائد ، الذي كان على هذه الشاكلة ، لكنه ـ كما قيل ـ لم يرغب كثيرا في الخدمة تحت امرة الآخرين . كانت سنه اثناء وفاته حوالي خمسين سنة .

اما بروكسينوس البيوطي ، فشاء منذ صباه المبكر ان رجلا يغدو رجلا قادرا على انجاز الاعمال العظيمة . وبهذا الهدف ، نصب عينيه ، انفق المال على تهذيبه من قبل (جورجياس) اللذي من (ليونتيني)(٨٤) . وبعد ان امضى معه ردحا ، قرر انه اضحى الآن قادرا على قيادة جيش ، وانه ان صاحب العظماء ، فما يحققه لهم من خير لن يقل عما حققوه له ، ولذلك انضم الى مجازفة كورش ، حاسبا انه سيكسب من ورائها اسما عظيما ، وقوة كبيرة ، ومالا وفيرا . بيد انه ، مع هذه المطامح ، اوضح كذلك بقدر واف ، أنه لا ينوي الحصول على اي منها بوسائل دنيئة . بل على النقيض ، فكر بوجوب احرازها بالاعمال العظيمة المجيدة ، والا فلا قطعا . لقد كان قائدا صالحا لاناس فضلاء ، لكنه لم يكن قادرا على الزام جنوده باحساس الاحترام له والخشية منه . في الحقيقة لقد ابدى تهيبا تجاه جنوده يعدو ما ابدى مرؤوسوه نحوه ، واكثر من ذلك جلاء كانت خشيته الا يكون محبوبا من جنوده ، تفوق خشية جنوده من عصيان اوامره . فخيل اليه انه كي يغدو قائدا صحيحا ، ولاجل ان يكون اسمه في عدادهم ، اكتفى بكيل الثناء للذين احسنوا عملا ، وبحجبه عن المسيئين . فكان الحاصل ان الناس في حاشيته احبوه ، ولكن الاثمين،حطوا من شانه اذ ظنوا سهولة التعامل معه . كان عمره عند الوفاة حوالي ثلاثين عاما .

اما (مينون) الثسالي ، فقد اوضح تماما ان مطمحه الغالب هو الاثراء . وقد ود ان يكون قائدا كي يكسب مرتبا اوفر ، واراد الامجاد ليحصل على المزيد عن سبيلها . ان امنيته في مصادقة اكثر الناس نفوذا ، نبعت من رغبته في تجنب العقاب لسوء تصرفاته . وخال ان اقصر سبيل ، لارضاء مطامحه ، وسائل الحنث والكذب والغش ، وعليه فقد عد الاخلاص والصدق في مستوى سذج العقول . وكان جليا انه لم يضمر الود لاي فرد ، لكنه ان افصح عن صداقته لاحد ما ، كاد ذلك ان يكون دليلا واضحا على تآمره عليه . لم يضحك على اعدائه مطلقا ، لكنه ابان التحادث لم يعامل احدا من جماعته جادا . لم تكن لديه اية مقاصد تجاه ممتلكات خصومه ، لانه عد الحصول على املاك الناس اليقظين امرا صعبا ، اما مقتنيات اصدقائه ، التي لا رقابة عليها ، فحسب انه كان ابرز الطرفين باليسير الذي يستطيع معه ان يسطو عليها . وعند عثوره على رجل ينقض الوعود ، ويرتكب الخطأ ، عده شخصا حسن المؤهلات ، فكان

---

(٧٩) كان الاغريق يطلقون هذه التسمية على شبه جزيرة (غاليبوليس) قرب مضيق الدردنيل وشبه جزيرة القرم في البحر الاسود .

(٨٠) Perinthus

(٨١) مدخل مضيق الدردنيل حاليا .

(٨٢) يقصد الفصل الاول من القسم الاول .

(٨٣) اقليم في جنوب (بلغاريا) اليوم وجائز ان كان بعضها في (تراقيا) الحالية .

(٨٤) Leontini مدينة قديمة في جزيرة (صقليا) جنوبي ايطاليا .

بخشاه . لكنه حاول التعامل مع امرىء متحسب ويحترم الحقيقة كما لو كان ناقص النُهى . ومثلما كان بعض الخلق يفخرون بخشية الله وبصدقهم واستقامتهم ، هكذا كان (مينون) يفخر بقدرته على الغش والاختلاق والبهتان والهزء بخلانه . كان دائما ينظر الى الشخص المرتاب على انه نصف مهذب فحسب . وعندما شاء ان يتبوأ مكانة رفيعة في مصادقة احدهم ، حسب ان السبيل الى تحقيق هذا الغرض كان بتنحية الذين سبقوه في احتلال المقام الذي رنا اليه . ان وسيلته لضمان طاعة جنوده له كانت اسهامه في جرائمهم . واعتبر انه بعرض قواه العظيمة ورغبته في اساءة استعمالها ، استحق التمجيد والاكرام . وعند تخلي اي فرد عن العمل معه ، اعتاد القول ان استخدامه وعدم الاستغناء عنه كانا لطفا منه . اما بخصوص المجالات الاكثر غموضا من حياته ، فقد يدلي المرء بما كان عاريا من الصحة . لكن الحقائق الآتية معلومات عامة . فلما كان لا يزال حائزا رونق الصبا ، اقنع (اريستبوس) أن يسند اليه قيادة مرتزقته. اذ ذاك عاش على اتم الوفاق مع آريوس رغم كونه فارسيا ، لان آريوس كان مولعا بالشبان ذوي الوسامة ، وهو ذاته ، قبل ان ينبت عذاره ، احتفظ ب (ثاريباس) المراهق كرفيق ذكر . لقد اعدم رفاقه القادة لزحفهم مع كورش ضد العاهل ، لكنه ، رغم انه فعل كما فعلوا ، لم يمت ميتتهم . فبعد أن اعدم القادة الآخرون ، عوقب هو من قبل العاهل ، ولم يهلك كما قضى كليرخوس والقادة الآخرون بضرب رقابهم (اسرع ميتة بعدئذ آنذاك) ، بل قيل انه لقي حتفه غب ان عاش حولا تحت وطأة أسوأ المعاملة كمجرم عادي .

لقد اعدم كذلك (اجياس) الاركادي وسقراط الآخي . لم يكن في وسع احد ان يستهين بشجاعتهما في الوغى ، أو ان يتهمهما بقلة الاعتبار لاصدقائهما . وكان عمر كل منهما يناهز خمسة وثلاثين عاما .

اثر اعتقال القادة ، والقضاء على ضباط المئة والجنود الذين رافقوهم ، امسى اليونانيون في وضع مرتبك للغاية . فقد عرض لهم أن كانوا بالقرب من عاصمة العاهل ، تحيطهم من كل الجوانب شعوب ومدن عديدة من خصومهم ، وكان غير متوقع ان احدا سيزودهم بفرصة لابتياع الاطعمة في المستقبل . كانوا يبعدون عن اليونان زهاء الف ميل على الاقل ، ولم يتوفر لديهم الرائد ليدلهم الى الطريق . لقد حجزوا بين انهار لا يمكن اجتيازها ، فعرقلت اوبتهم الى الوطن ، حتى الفرس الذين زحفوا على العاصمة برفقة كورش ، انقلبوا عليهم ، فباتوا منفردين دونما فارس فرد في عسكرهم ، فبدا جليا انهم لو احرزوا نصرا ، لتعذر عليهم قتل اي من اعدائهم ، وانهم لو دحروا ، لما نجا واحد منهم بجلده . فلما تبدى لهم كل ذلك ، اضحوا في حال من القنوط العميق . قليلون تذوقوا الطعام ذلك المساء ، وقلة اضرمت النار . ولم يستعرض العديد منهم قرب السلاح تلك الليلة ، لكنهم استراحوا حيث اتفق ان كان كل فرد منهم ، ولم يستسلموا للكرى بسبب بؤسهم وتشوقهم الى اوطانهم ووالديهم وازواجهم واطفالهم . فظنوا انهم لن يحظوا بمشاهدتهم ثانية . في مثل هذه الحال من الفكر ، اخلدوا جميعا الى الراحة .

كان ثمة اثيني في الجيش يدعى زينوفون ، رافق الحملة لا كقائد ولا ضابط مئة ولا جندي عادي . ان (بروكسينوس) ، صديقه القديم ، ارسل في طلبه من موطنه ، ووعد ان يجعله صديق كورش الذي كان بروكسينوس يثمنه اكثر من وطنه بالذات . عندما اطلع زينوفون على خطاب بروكسينوس ، استشار سقراط الاثيني(٨٥) حول التجريدة المطروحة . واذ كان سقراط في ريبة من ان مصادقة كورش قد ينجم عنها السخط على آثينا — لان المعتقد ان كورش كان ذا نشاط جم في معاضدته الاسبرطيين في حربهم مع آثينا — اوصى زينوفون بالمضي الى (دلفي)(٨٦) لاستشارة الرب في شأن الحملة . فذهب زينوفون الى هناك ، وسأل (ابولو) السؤال التالي : « لاي رب ساصلي واضحي ، كي استطيع الانطلاق في الرحلة التي في خلدي ، على احسن وجه وافضل التكريم ، فاعود الى الوطن سالما ، ظافرا ؟ » كان رد (أبولو) أن عليه وجوب التضحية للآلهة المناسبة ، وعند أوبة زينوفون الى آثينا ، انبأ سقراط بجواب الكاهن(٨٧) . عندما وعى سقراط ذلك ، لامه لعدم استفهامه اولا ان كان الافضل له السير مع الحملة ام المكوث في الوطن ، بدلا من تصميمه الذاتي على وجوب الذهاب ، ثم استفساره عن احسن وسيلة للقيام بالرحلة . فقال : « على كل حال ، مازلت قد صغت سؤالك على تلك الشاكلة ، تحتم عليك ان تفعل ما امرك الرب » .

اذ ذاك ، ضحى زينوفون الضحايا كما اوعز اليه الرب ، وأبحر فالفى بروكسينوس وكورش في سرديس(٨٨) على وشك الشروع في المسيرة الداخلية(٨٩) ، فقدم الى كورش . لقد كان بروكسينوس مشتاقا الى بقائه معهما ، وكذلك كان كورش اذ قال انه سيعيده الى الوطن حالما تنتهي التجريدة . كان المفروض أن تكون التجريدة ضد البيزيديين . وهكذا انضم زينوفون الى الجيش عن فهم خاطىء ، ولو أن هذا لم يكن خطأ بروكسينوس ، اذ لا هو ، ولا أي فرد عداه من اليونانيين — باستثناء كليرخوس — ادرك ان التجريدة كانت سائرة على العاهل . بيد أنه ، لما وصلوا (كيليكيا) ، اتضح للجميع انهم كانوا زاحفين على العاهل . ومع ذلك ، فبالرغم من عدم تحمسهم للرحلة ، ومن مخاوفهم بصددها ، استمر اغلبهم على المسير كي لا يفقدوا الاعتبار لدى بعضهم البعض وفي نظر كورش . ولم يختلف زينوفون عن الباقين ، فاسى الان ، مع موقفهم الصعب ، تعسا كاي فرد منهم ، ولم يغلبه النعاس . غير أنه نال ، في الاخير ، قسطا يسيرا من النوم ، لاحت له رؤيا خلاله . لقد حلم ان ثمة زوبعة مرعدة ، وأن صاعقة هبطت على بيت والده ، فالتهب البيت باكمله ، واستيقظ حالا ، يسوده الذعر الشديد . وعد الرؤيا جيدة من بعض النواحي ، لانه — وسط مشاقه واخطاره — لمح ضوءا شديد السطوع من (زيوس)(٩٠) ، لكنها

---

(٨٥) المقصود هنا هو الفيلسوف اليوناني الاشهر الذي يبدو انه كان معلم زينوفون .

(٨٦) Delphi — مدينة في اليونان القديمة مشهورة بمعبد (أبولو) أحد الارباب واله الجمال والرجولة والشعر والموسيقى عند الاغريق .

(٨٧) Oracle — هو الوسيط أو العلام أو العراف أو الوحي أو المتنبىء الذي يبلغ مقدم القربان رسالة الرب .

(٨٨) مدينة على الساحل الغربي من آسيا الصغرى وهي منطلق الحملة .

(٨٩) المقصود بالمسيرة الداخلية هو سير الحملة داخل آسيا الصغرى وأصقاع الامبراطورية الفارسية بالذات وليس على دولة أجنبية .

(٩٠) Zeus — هو رب الارباب عند الاغريق ويقابل (بيل) أو (بعل) عند البابليين الملقب في تراتيلهم بالملك الجليل وبرب العباد .

ــ من نواح اخرى ــ كانت نذيرا له ، لانها بدت له صـــادرة من زيوس بصفته كالعاهل ، وان النار بدت ملتهبة حول سائر اطرافه ، وهذا قد يعني انه لن يكون في مقدوره مغادرة بـــلاد العاهل ، بل ستنغلق عليه جميع المسالك،لصعوبة ما او عداها. ان حقيقة تفسير رؤيا كهذه ، ستظهر مما حدث بعد الرؤيا .

هذا ما قد حدث . حالما استيقظ ، كان اول ما تبادر الى ذهنه هو هذا « علام رقادي هاهنا ؟ ان الليل يتصرم ، وقد يلوح العدو هنا فجرا . ان وقعنا في قبضة العاهل ، فليس ما يحول دون مشاهدتنا وقوع افظع الامور ، ومقاساتنا كل صنـــوف العذابات ، واهلاكنا ملطخين بالشنار . ومع ذلك ، ونحن في غاية البعد عن اي شخص مهتم باتخاذ اية خطوات لحمايتنا ، نرقـد هاهنا وكاننا نملك فرصة الاستمتاع بوقت هاديء . وعليه ، ما هي المدينة التي انتظر منها انجاب القائد ليقدم على الخطوات الصائبة ؟ هل سانتظر حتى اغدو اكبر سنا قليلا ؟ سوف لا انمو مطلقا ، لو سلمت العدو ذاتي هذا اليوم » .

فنهض واقفا ، وقبل كل شيء استدعى للاجتماع ضبـــاط المئة التابعين لبروكسينوس ، وقال لهم : «اني شخصيا ، ايها الضباط ، آمل عدم استطاعتي النوم اكثر منكم ، ولست بقادر ، بعد الآن ، على الاضطجاع دون حراك عند تفكري في الوضع الذي نحن فيه ، اذ لا ريب ان العدو حاربنا بصورة سافرة فقط عندما حسب ان خططه غدت ناجزة . اما من جانبنا نحن ، فليس ثمة الآن اي فرد يفكر في احتياطات مضادة ، بها نستطيع القتال على احسن ما يمكن . على اننا ان تراخينا ووقعنا في قبضة العاهل ، فما نوعية المعاملة التي نتوقع منه ؟ انه الرجل الذي حز يد وراس شقيقه ، ابن امه بالذات ، ورفعهما على وتد حتى بعد مفارقته الحياة . لذا اي طراز من المعاملة ننتظر ، نحن الذين لا تشـفع لنا رابطة من دم ، وقد زحفنا عليه بغية عزله وجعله مواطنـــا وقتله ان تمكنا ؟ اما سيمضي الى جميع المجالات المتيسرة ليوقع بنا كل داهية دهياء قابلة للتصور ، وبذا يرهب الزحف ضـده ثانية كل البرايا ؟ كلا . من الواضح مؤكدا ، ان يتحتم علينا فعل كل شيء في طاقتنا لتجنب الوقوع في قبضته .

« والآن ، انا شخصيا ، عندما كانت الهدنة سارية ، لم استطع التخلي عن شعوري بالغم من اجلنا ، والنظر بحسد نحو العاهل ومن بجانبه . تاملت كم واسعة وزاهية البلاد التـــي يمتلكون ، والاقوات التي لا تنفد ، وكم من الخدم يملكـــون والمواشي والعسجد والاكسية ، ومن ناحية اخرى ، تمعنت بعد ذلك في مستقبل رجالنا ، واننا نستطيع الحصول على جزء فقط من جميع هذه الاشياء الطيبة عن سبيل الانفاق ، وادركت انه لم يتبق الكثير ممن يحوزون المال فيستطيعون ذلك ، وان القسم الذي ادينا ، قد اعاقنا عن استحصال الاطعمة الا عن طريق دفع اقيامها . عندما فطنت لكل ذلك ، كنت احيانا اشعر بهواجس حول الهدنة اكثر مما افعل الان بشـــان الحرب . الا انهم ، حاليا ، قد وضعوا حدا للمهادنة ، واحسب ان فترة غطرستهم ومشاعرنا القلقة قد ادبرت كذلك . اذ ان هذه الاشياء الطيبة باتت الان مطروحة قبالتنا كغنائم للطرف الذي يثبت انه افضل رجالا ، والآلهة هم المحكمون في النزاع،وهم بطبيعة الحال والقوون بجانبنا ، مادام خصومنا هم الذين لفظوا اسماءهم عبثا ، بينما نحن ، مع وفرة الاشياء العديدة الطيبة امام ابصارنا ، اقصينا ايادينا عنها بثبات بسبب القسم الذي ادينا امام الآلهة . لهذا يبدو لي اننا نستطيع دخول المنازعة بثقة غالبة على ثقتهم . ثم اننا بعدئذ نفضلهم قدرة على احتمال القر والحر والمشـــقة ، وقوتنا المعنوية ، والآلهة في جانبنا ، افضل من قوتهم ، واذا منحتنا الآلهة نصرا ، كما فعلت سابقا ، فقتلنا وجرحنا الاعداء ايسر علينا منهم .

« من المحتمل جدا ، هناك آخرون يشعرون نفس الشعور. حسنا اذن ، بحق السماء ، دعونا الا ننتظر اناســـا آخرين يقصدوننا مطالبين ان نقوم بالاعمال العظيمة . بدلا من ذلك ، فلنكن اول من يدعو الباقين نحو سبيل العزة . اثبتوا انـــكم اشجع الضباط كافة ، وانكم احق بالقيادة من اولئك الذين هم قادتنا حاليا . وفيما يخصني ، ان شئتم المبادرة على هـــذا النحو ، فانا مستعد لاتبعكم ، وان عينتموني قائدكم ، فلست منتحلا الاعذار بصدد سني . فالحقيقة احسب اني من العمـــر بدرجة استطيع العمل للمدافعة عن نفسي بالذات » .

هذا ما تفوه به زينوفون ، وبعد الاصغاء اليه ، حرضه ضباط المئة جميعا ان يكون قائدهم ، خلا واحدا هنـــاك يدعى (ابولونيدس) الذي كانت لهجته بيوطية . ان ابولونيدس هذا اعرب انه لهراء ان يقال بوجود اية فرصة للنجاة الا اذا امكن التوصل الى الوئام مع العاهل ، وطفق في ذات الوقت يتـــكلم بشان جميع مصاعبهم . غير ان زينوفون قاطعه ، قائلا : « عزيزي ايها الرجل الطيب : انك لشخص من الصنف الذي لا يدرك ما يرى ، ولا يتذكر ما يسمع . مع ذلك ، لقد كنت مع الباقين عندما اوفد العاهل رسله ، مطالبا بوجوب تسليم اسلحتنا غب وفاة كورش وهو مزهو بذلك ، ثم ــ ونحن ابعد ما نكون عن التخلي عنها ــ حينما تاهبنا للقتال ، وعسكرنا بجوار جيشه ، لم يدع وسيلة لم يلجا اليها ــ موفدا جماعة للتفاوض ، راجيا التهادن ، مزودا ايانا بالاقوات ــ حتى حصل على هدنته . لكن عندما ذهب قادتنا ورؤساؤنا للاجتماع ، كما تقترح انت بالضبط مخلفين اسلحتهم ، معتمدين على الهدنة ، فما الذي وقع ؟ اماهم في هذه اللحظة ، يضربون ويعذبون ويهانون ، حتى انهم البؤساء المساكين ، لا يستطيعون الموت ــ ولو ان الموت ــ كما اتصور ــ هو ما يصبون اليه ؟ رغم كل هذه المعلومات لديك ، هل تصر ان الذين يوصون بالدفاع عن النفس ، ينطقون هراء ، فتقتـــرح علينا الذهاب لنحاول ثانية التوصل الى مصالحة العاهل ؟ ايها الجنود ، ارى انه يتحتم علينا الا نكابد وجود هذا في معيتنا ، فينبغي ان نجرده من رتبته ، ونضع على ظهره الامتعـــة ، ونستخدمه كدابة . فلكونه يونانيا ، وهو ما هو ، يجتلب العار لا على موطنه بالذات فحسب ، بل على اليونان باسرها » .

عند ذلك ، برز (آجاسياس الستيمفالي) وقال : « ليست لهذا الشخص علاقة ببيوطيا او باليونان . لقد لاحظت وجـــود ثقوب في اذنيه كشخص ليدي(٩١) تماما » . وكان كذلك حقـــا ، فاقصوه خارجا .

لقد ذهب الباقون حول المفارز المختلفة ، فاستدعوا كـــل قائد تخلف حيا ، وحيث وجد مفقودا ، نادوا نائبه ، وحيـــث وجد رئيس ، مازال على قيد الحياة ، استدعوه . فلما التاموا جميعا ، جلسوا امام الاسلحة . ان القـــادة وضباط المئـــة (الرؤساء) الذين اجتمعوا ثم ، عدوا قرابة مئة . وكان وقت الاجتماع حوالي منتصف الليل . لقد استـــهل الحـــديث (هيرونيموس) من (اليس)(٩٢) ــ اكبر قادة بروكسينوس سنا ،

---

(٩١) نسبة الى (ليديا) وهي مقاطعة في القسم الغـــربي البحري من آسيا الصغرى (تركيا اليوم) .

(٩٢) صقع في اليونان قديما يقع فيه السهب الذي كانت تقام فيه الالعاب الاولمبية

فقال : « ايها القادة وضباط المئة : نظرا لوضعنا الراهن ، قررنا الاجتماع سوية ، ودعوتكم للمشاركة معنا كي نتوصل ، لو امكن الى قرار مجد . والآن ادعو زينوفون للكلام كما سبق ان كلمنا » .

وعليه ، تحدث زينوفون كما يلي : « ها هنا شيء واحد نعلمه جميعا ، وهو ان العاهل تيسافرنوس قد اسرا من عندنا جميع الذين تمكنا منهم ، وجلي انهما مصممان ، لو تمكنا ، على ابادة البقية منا . ان دوننا ، كما اراه ، عمل كل شيء ممكن للحيلولة دون وقوعنا في قبضة الفرس ، بل احرى بنا ان نضمن كونهم في قبضتنا . اود ان اؤكد لكم هذه النقطة بانكم ـ انتم الذين اجتمعتم هنا بعددكم الحالي ـ قد اصبحتم في مركز ذي مسؤولية فوق العادة . ان جنودنا هؤلاء ، كافة ، شاخصو الابصار نحوكم ، فان لاحظوكم مغتمين ، تخاذلوا جميعا ، بينما اذا كنتم انفسكم مستعدين تماما لمجابهة العدو ، وطالبتم الباقين بتأدية الواجب عليهم ، فلكم ان تتأكدوا انهم سيترسمونكم ويحاولون الاقتداء بكم . واحسب ، يصح كذلك ، انه ينبغي عليكم ان تظهروا عليهم شيئا من الرياسة ، فانتم ـ بعد كل الاعتبارات ـ قادة ورؤساء وضباط . في وقت السلم ، نلتم مرتبات واحتراما اكثر مما نالوا ، والآن حين الحرب ، يفرض فيكم ان تثبتوا ذواتكم اشجع من الناس العاديين ، وان تتخذوا القرارات نيابة عن الباقين ، واذا لزم ، ان تكونوا اول من يؤدي العمل الشاق . اعتقد انكم قبل كل شيء تستطيعون ان تسدوا خدمة عظيمة الى الجيش بتعيينكم قادة ورؤساء بالسرعة الممكنة ليحلوا محل الذين فقدناهم . فحيث ينعدم المسيطر ، يتعذر تماما عمل اي شيء نافع او بارز . انها حقيقة تشمل جميع مناحي الحياة تقريبا ، وهي حقيقة ناجزة من الوجهة العسكرية فالنظام هنا يحمل الفرد على الشعور بالطمأنينة ، بينما انعدام النظام قد اهلك كثيرين من الخلق فيما سلف .

« ثم احسب انكم بعد ان تكونوا قد عينتم العدد اللازم من الضباط ، لو دعوتم لاجتماع الجنود الباقين ، فزودتموهم بقسط من الاقدام ، لكان ذلك ما يتطلب الظرف بالضبط . في هذه اللحظة ، اتوقع انكم تدركون مثلي تماما ، كم كانوا مكتئبين وهم يحملون اسلحتهم اثناء الخفارة الليلية . فهم في مثل تلك الحال، لا ارى اية جدوى منهم ليلا ام نهارا . لكن نهوضا عظيما سينشأ في ارواحهم ، اذا استطاع احد ابدال منهج تفكيرهم . وبذا ، بدلا من حملهم فكرة وحيدة في رؤوسهم ، وهي : « ماذا سيحدث لي ؟ » يتسنى لهم ان يفكروا : « اي اجراء ساتخذ ؟ »

« تعلمون جيدا ، ليست الاعداد او القوى جالبة الانتصارات في الحرب . كلا ، عندما يتقدم جانب ما ضد العدو، وقد تزود بقوة معنوية اعظم ، بهبة من الآلهة ، لا يستطيع الخصوم ، كقاعدة ، الصمود امامه . كما قد لاحظت ، ايها الرفاق ، هذه النقطة في الاحوال العسكرية : ان الناس الذين هدفهم الوحيد هو البقاء احياء ، يلاقون عادة ميتة تعيسة مزرية ، بينما الناس الذين يدركون ان المنية نصيب يشمل جميع البرايا ، يحاولون الموت بشرف ، فيغلب ـ نوعا ما ـ ان يعمروا طويلا ويحظوا بحياة اسعد لو عاشوا . هذه حقائق يجب ان تدركوها انتم كذلك (فوضعنا يتطلب هذا) وان تثبتوا انفسكم رجالا بواسل ، وان تطالبوا الآخرين ان يحذوا حذوكم »

وهكذا انهى خطابه . وتكلم خريسوفوس بعده قائلا : « حتى الآن يازينوفون ، الشيء الوحيد الذي عرفت عنك هو سماعي انك اثيني . والآن اهنئك على خطابك واجراءاتك ، واتمنى ان يكون هاهنا اكثر ما يستطاع من اضرابك . اذ ذاك تعم الروحية الصحيحة الجيش قاطبة . والآن لا ندع الوقت ينصرم هدرا ايها الاصحاب . دعونا ننطلق ، وليختر ضباطا جددا من هم في حاجة اليهم . وعند اختياركم اياهم ، تقدموا نحو وسط المعسكر مستصحبين الذين انتخبتم . بعد ذلك سنحشد بقية الجنود هناك . الافضل ان يأتي (توليدس) المنادي برفقتنا » .

بهذه الكلمات ، نهض على قدميه ليظهر عدم وجوب التأخير، وان ما هو ضروري ينبغي انجازه حالا . بعدئذ ، انتخب الآتون ضباطا : (تيماسيون) الدردني ليحل محل كليرخوس ، (زانثيكلس) الآخي ليحل محل سقراط ، (كلينور) الاركادي لياخذ مركز (اجياس) و (فيليسيوس) الاركادي ليحل محل (مينون) و (زينوفون) الاثيني لياخذ مكان بروكسينوس .

عندما تم اختيار الضباط الجدد ، كان الفجر انذاك قد اخذ في الانبلاج ، فجاءوا وسط المعسكر ، وقرروا اقامة الحراسة ، ودعوة الجنود للاجتماع . فلما ترتب بقية العسكر، نهض (خريسوفوس) اولا ، وتكلم قائلا : « ايها الجنود ، ان وضعنا لعسير دون ريب . لقد خسرنا بعض القادة والرؤساء والجنود الاكفاء للغاية ، علاوة على ذلك ، حتى رجال (آريوس) الذين كانوا في جانبنا ، انقلبوا علينا غادرين . مع كل ذلك يتحتم علينا ان نستظهر على صعابنا كرجال شجعان ، والا نستسلم بل نحاول ، ان تمكنا ، كسب الشرف والسلامة بالظفر . وان كان ذلك في غير مقدورنا ، فعلى الاقل لنمت بالعز ، ولا نقع في قبضة خصومنا ، ما دمنا احياء . لاننا ان وقعنا ، فاتصورنا حتما سنكابد ذلك المصير الذي اتضرع ان تلحقه الآلهة بمناوئينا » .

ونهض بعده (كلينور) الاورخوميني فقال : « تستطيعون ان تروا بام اعينكم ، ايها الجنود ، ما عليه العاهل من الحنث والالحاد . تستطيعون مشاهدة غدر (تيسافرنوس) . هو الذي قال انه جار اليونان وانه سيعلق اهمية عظمى على انقاذ حياتنا . وعلى هذا الاساس ، حلف لنا اليمين بشخصه ، وبفاته مد نحونا يمينه ، وبنفسه خدع قادتنا وجعلهم اسرى ، مبديا من قلة الاجلال لزيوس ، القيم على الاكرام ، بان شارك كليرخوس وجبة طعام بالفعل ، مستخدما ذلك بالذات وسيلة للايقاع بضباطنا في الشرك ، والقضاء عليهم . ثم هناك (آريوس) الذي تأهبنا لتنصيبه ملكا ، وتبادلنا معه الضمانات ان واحدنا لن يخون الآخر ، وهو كذلك ، دون ان يبدي خشية من الآلهة ، او اجلالا لذكرى كورش الراحل الذي كان يعامله افضل المعاملة عندما كان حيا يرزق ، قد تخلى عنا الآن ، والتحق بالد خصوم كورش ، وهو يحاول معهم ايذاءنا ، نحن الذين كنا اصحاب كورش . حسنا ، اني اتضرع الى الآلهة ان تلحق بهؤلاء الرجال ما يستحقون . اما نحن الذين نرى كل هذا ، فينبغي علينا الا نخدع ثانية من قبلهم ، بل ان نحارب بكل ضراوة ممكنة ، ونتحمل مشيئة السماء » .

بعده ، استقل زينوفون ، وقد ارتدى افخر بزة عسكرية توفرت ، حاسبا ان الآلهة اذا منحت النصر ، فالنصر يستحق افضل السلاح مظهرا ، او ان كان سيلاقي حتفه ، حق له ارتداء اجود الثياب وهي عليه ساعة مصرعه ، وشرع في خطابه كمايلي : « لقد تكلم كلينور عن لتلة الفرس وعدوانهم ، واني متأكد انكم تتفقون مع مقالته . لذا ان شئنا خطب ودهم ثانية من جديد ، وجب علينا ، في الحقيقة ، ان نكون في منتهى

الهوان عند اعتبارنا ما اصاب قادتنا الذين ، بسبب وثوقهم بصحة ايمانهم ، وضعوا نفوسهم بين أيدي خصومهم . اما اذا كان غرضنا اخذ السلاح بايدينا ، وارغامهم على تادية الثمن عما اقترفت ايديهم ، وان نحارب في المستقبل حربا ناجزة ضدهم ، فلدينا اذ ذاك ، بعون السماء ، جملة آمال جليلة في النجاة » .

وما ان تفوه بذلك ، حتى عطس احدهم ، وحينما سمع الجنود تلك العطسة ، خروا جميعا على ركابهم دفعة واحدة ، وسجدوا للرب الذي اطلق هذه الاشارة(٩٣) . وواصل زينوفون يقول : « أعتقد ، ايها الجنود ، مادام قد بان لنا فال حسن من (زيوس) المنقذ حالما كنا نتحدث عن السلامة ، وجب علينا أن نعطي عهدا بتقديم الشكران للرب من أجل نجاتنا في أول موضع نبلغ عنده تربة صديقة ، وعلينا نذر القرابين للآلهة الاخرى على أحسن وجه نستطيع . فليرفع يده كل من يوافق على ذلك » فرفع الجميع اياديهم ، ثم نذروا وانشدوا نشيد الحرب .

بعد تادية فرائض الدين على هذا النمط ، شرع زينوفون في الكلام ثانية : « سبق ان قلت الآن اننا نملك آمالا باهرة في النجاة . أولها ، حافظنا على قسمنا تجاه الآلهة ، بينما اعداؤنا قد حنثوا قسمهم ، وعلاوة على ذلك ، زوروا ذواتهم في تجاوز الهدنة . لذا من المعقول ، والحال كذلك ، ان نفرض بان الآلهة ستناوىء ، خصومنا ، لكنها ستحارب في جانبنا ، وانها قادرة عاجلا على جعل الاقوياء ضعفاء ، وأنقاذ الضعفاء بيسر متى شاءت ذلك ، حتى لو كانوا وسط الخطر . ثم سأذكركم بالمخاطر التي اعترضت آباءنا ، لتدركوا ان الجدير بكم ان تكونوا رجالا بواسل ، وان الشجعان ـ بعون الآلهة ـ يجدون النجاة حتى من شر المشاق . تذكروا كيف تقدم الفرس وحلفاؤهم بجيش لجب ، ظانين انهم سيمسحون آثينا من وجه البسيطة ، لكن الاثينيين امتلكوا الشجاعة لمجابهتهم بانفسهم فقهروهم . آنذاك نذروا ان يضحوا لارتميس عنزة عن كل فرد قتلوه من الاعداء ، بيد أنهم لعدم تمكنهم من الحصول على العدد الوافي من العنز ، قرروا تضحية خمسمئة عنزة سنويا ، وما برحوا يضحونها حتى هذا اليوم . بعدئذ ، عندما جمع (زرسيس)(٩٤) جيشه ، ألذي لا يحصى ، واغار على اليونان ، كانت جولة اخرى دحر فيها آباؤكم هؤلاء الخلق برا وبحرا . انكم تستطيعون العثور على ما يثبت كل هذا في الانصاب التي لدينا ، لكن اعظم شاهد على ذلك لهو حرية المدن التي ولدتم وانشئتم فيها . فانتم لا تعبدون انسانا كسيد ، بل الآلهة فقط . هؤلاء هم الرجال الذين انتم انجالهم ، واني حتما لن اقول انكم تشينون آباءكم . فمنذ ايام قليلة فحسب ، كنتم في حرب ضد ابناء اعدائنا القدامى ، ورغم كونهم اضعافكم في العدد مرات عديدة ، فانتم ـ بمعونة الآلهة ـ قد دحرتموهم . في تلك الجولة ، ابديتم شجاعتكم كي تحرزوا مملكة لكورش ، لكن القتال الآن لنجاتكم بالذات ، ولذلك فانا موقن انه يجدر بان اتوقع منكم مزيدا من البسالة الفائقة ، ومزيدا من العزم الفائق على الانتصار ، كما عليكم ان تشعروا بمزيد من الثقة تجاه العدو . في المرة السابقة ، لم تكونوا قد اختبرتموهم بعد ، وتمكنتم من مشاهدة اعدادهم الجسيمة ، لكنكم ـ مع كل ذلك ـ بروحية آبائكم ، ملكتم الشجاعة فنازلتموهم . غير انكم الآن ، اذ تعلمون من التجربة ، مع كونهم اضعافكم عددا ، لا يتمنون مجابهتكم ، فما هي حجتكم لتخشوهم بعد الآن ؟ لا تتوهموا اننا اسوأ مما كنا سابقا لان العساكر الفارسية التي كانت في صفوفنا قد بارحتنا الآن . انهم لأجبن من الفرس الذين قهرنا ، وقد دلوا على ذلك بانهزامهم من جانبنا نحو الجانب الآخر . انه لافضل بكثير ان يشملك الناس ، الذين يرومون ان يكونوا اول الفارين ، واقفين ضمن صفوف العدو ، بدلا من كونهم في صفوفهم بالذات .

« ان يشعر احدكم بهبوط العزيمة نظرا لعدم حيازتنا الفرسان ، بينما العدو يملك اعدادا هائلة منهما ، ينبغي أن تتذكروا ان عشرة آلاف فارس يعادلون عشرة آلاف رجل فقط . لم يلق احد مصرعه قط بعضة أو رفسة من حصان . فالرجال هم الذين يفعلون كل ما يحدث اثناء المعركة . اذن نحن على اساس اثبت بكثير من الفرسان الذين في الهواء على ظهور الخيل ، وهم لا يخشوننا فحسب ، بل يخافون السقوط عن صهوات جيادهم ، بينما نحن ، من جهة اخرى ، نستطيع باقدامنا الراسخة في الارض ، توجيه ضربات أقسى نحو مهاجمينا ، كما اننا اكثر قدرة على اصابة ما نستهدف . ثمة سبيل واحد فقط به تمتاز الخيالة علينا ، وهو ان الفرار اسهل لهم مما لنا . طبعا ، يسعكم ان تكونوا على اتم الثقة بشان القتال ، لكن قد تقلقكم الحقيقة ان (تيسافرنوس) لن يدلكم الطريق بعد الآن ، ولن يتيح لكل العاهل فرص ابتياع الطعام . ان تكن الحال كذلك ، فتاملوا ان كان الافضل ان يرشدنا (تيسافرنوس) ، وهو الرجل الذي يعمل ضدنا علانية ، ام ان يكون لدينا أسرى ، نامرهم بارتياد الطريق لاجلنا ، وسيدركون ان يرتكبوا اية اخطاء تصيبنا ، فستمسهم بالذات ، وتلحق حياتهم كذلك . اما مسألة المؤن ، فالافضل شراؤها من الاسواق التي تجهزها ، حيث علينا دفع الكثير لابتياع القليل (اذ حتى المال لم يعد في حوزتنا) ، أم ان الافضل دحرهم في المعركة ثم الاستحواذ على ارزاقهم لانفسنا ، كل آخذ القدر الذي يشاء ؟ .

« قد تدركون ان هذه الوسائل الاخرى هي الفضلى ، لكن لا يغرب عن بالكم ان الانهار عقبة كاداء ، واعتبروا ذواتكم مقودين باحكام نحو الكمين باجتيازها . فان كان الامر كذلك ، سالتكم ان تعتبروا فيما اذا لم يرتكب الفرس هنا فعلا في منتهى الحمق . لان الانهار كافة ، مهما تعذر اجتيازها ، على شوط من منابعها ، ميسور خوضها دون بلوغ الماء حد الركبتين غالبا ، لو ان الفرد يتتبعها مصعدا باتجاه المنابع . وحتى اذا عجزنا عن عبور الانهار ، ولم ياتنا احد ليرشدنا نحو الطريق ، فليس ما يدعو لتثبيط عزيمتنا . لن ندعو (الميسيين) افضل منا رجالا ، مع علمنا بامتلاكهم المدن الواسعة الغنية في اصقاع العاهل وعكس مشيئة العاهل . ونعلم ان ذلك ينطبق على (البيزيديين) كذلك ، وقد شاهدنا بام اعيننا كيف ان (الليكونيين) قد ضبطوا المواقع المحصنة في السهول ، يتمتعون بما تدر عليهم ، العائدة الى هؤلاء الفرس . والآن فيما يعني قضيتنا ، علي ان اقول : ينبغي الا نوضح اننا عائدون الى الوطن بل ان نتصرف وكاننا قد نوينا على البقاء هاهنا ، اني على يقين ان العاهل سيزود (الميسيين) بكل الادلاء الذين يحتاجون اليهم

(٩٣) مازال فريق من الناس يؤمنون أن العطاس دلالة على الفال الحسن .

(٩٤) هو العاهل الفارسي (أحشيرش بن داريوس) استولى على مصر في السنة الثانية من ملكه وهاجم آثينا في السنة التاسعة ، لكن الاغريق دحروه عند سلاميس وهو حفيد كورش الكبير .

ويعطيهم جملة من الرهائن كي يستوثق تماما من اخلاصهم عبر القطر ، وانه في الحقيقة سيعبد لهم الطرق حتى لو رامــوا الذهاب في عربات ذوات اربعة جياد . وانا واثق أن جبــوره سيكون ثلاثة اضعاف ذلك ليفعل كل هذا لاجلنا ، اذا رأى عزمنا على الاقامة هنا . كلا ، فانا اخشى بمجرد اننا تعودنا الحيـاة بترف ونغدو في رسلة من العيش ، متمتعين برفقة هؤلاء النساء العظيمات الفاتنات ، حليلات وبنات (الميديين) والفرس ، قد ننسى كآكلي (اللوتس)(٩٥) ، ونسلو مسلكنا نحو الوطن . لـذا اعتقد ان المناسب والمعقول جعل سعينا الاول بلوغ بني جنسنا في اليونان ، وان نكشف لليونانيين ان بؤسهم كان بمحض اختيارهم كي يتمكنوا من رؤية اناس يحيون في اقطارهم حياة بائسة ، فيصبحون اثرياء بقدومهم الى هنا . ايها الجنود ، لا احتـاج الى الاسهاب في هذا المجال . فجلي ان جميع هذه الطيبـات تصيب الظافرين .

« غير اني يجب ان أتطرق الى هذه القضايا ـ كيف يتسنى لنا ان نجعل سيرنا مجردا من الخطر بقدر الامكان ، وكيف نخرج من القتال بالفضل نتيجة اذا ارغمنا على القتال . ان اول اقتراح ابديه لكم هو ان تضرموا النار في جميع عربات النقل التي لدينا كي لا تقودنا حيواناتنا ، بل نستطيع السير حيث تملي علينـا مصلحة الجيش ذلك . ثم علينا ان نحرق خيامنا كذلك ، اذ انها تخلق بعض العراقيل في النقل ، وهي بلا جدوى للقتـال او الحصول على المؤن . ولنتخلص من كل المواد غير الماسة ضمن معداتنا الاخرى ، ونبقى فقط ما نملك لغاية القتال والمأكـل والمشرب ، حتى يستطيع اكبر عدد ممكن منا حمل الاسـلحة واقل ما يطاق حمل الامتعة . عندما ينحدر قوم ما ، كما تعلمون ، تضحي مقتنياتهم في متناول أيدي الآخرين ، وان نفز ، فيجب ان ننظر الى اعدائنا وكانهم حاملو امتعتنا عنا .

« بقي علي أن اذكر ما اعتقد اهم نقطة من عداها . يمكنكم ان تروا ما الذي ظن اعداؤنا بصددها . لم يجسروا على اشـهار الحرب علينا الا لحب اسرهم قادتنا ، ومرد ذلك الى حسبانهم اننا مازلنا نملك قادة نوليهم طاعتنا ، كنا قادرين على الفوز في القتال ، لكنهم ما ان قبضوا على قادتنا ، خالوا اننا سننهار بسبب انعدام السيطرة والنظام . لذا من الضروري أن يكون اهتمام قادتنا الحاليين اكثر بكثير من اهتمام قادتنا السابقين ، وينبغي على الذين في الصفوف أن يكونوا اكثر تنظيما ، واغلب بكثير من السابق استعدادا لاطاعة ضباطهم حاليا . في احوال العصيان ، يجب ان نصوت أن أيا منكم اتفق له ان يكون في ذات المكان ، وجب عليه الاسهام مع الضباط في تطبيق العقـاب . سيكون هذا أمر اخفاق لاعدائنا ، اذ في اليوم الذي نصوت على هذا ، لن يعودوا ليروا (كليرخوس) فردا فحسب ، بل عشرة الآف ، لا يحتمل واحدهم اي تصرف غير عسكري .

« لكن حان لي ان اختتم . يجوز ان العدو سيداهمنا في الحال . اذا تقبلتم الاقتراحات التي عرضتها ، فلتبلغ رسـميا باسرع ما يمكن ، كي توضع موضع التنفيذ . ان كان هنالك من يعلم سبيلا لمعالجة الامور امثل مما بينت ، فلتكن لديه الشجاعة ليخبرنا عنها ، ولو انه جندي عادي لا غير . ان السلامة التي ننشد ، تهم كل فرد » .

(٩٥) اللوتس ورد من فئة الزنابق المائية ينمو في مصر واليونان والهند . وهو كذلك شجر يؤكل ثمره فيسبب لمتناوله السبات العميق والنسيان .

بعد ذلك ، تكلم (خريسوفوس) : « ان شئنا تبني اي حل آخر ، علاوة على ما يقترح زينوفون ، فنستطيع ذلك في لحظة أو لحظتين . افترض انه ، دون ابطاء ، ينبغي التصويت على أن ما اقترح زينوفون الان لهو افضل نهج يتبع . فليرفع الموافقون ايديهم » .

فرفع الجميع ايديهم ، واستقل زينوفون ثانية ، وقال : « ايها الجنود ، اصغوا لاقتراحاتي الاخرى . من الواضح ، علينا بالمسير حيث يتسنى لنا الحصول على الميرة ، واحسب ان هناك بعض القرى الزاهية على مسافة لا تعدو الميلين من هنا . لكني لن استغرب اذا تمثل العدو بالكلاب الرعديدة التي تهـر خلف أي فرد يجتازها ، فتحاول عضه ، لكنها تفر من وجه اي شخص يلاحقها . لا استغرب كذلك لو تقفوا اثرنا ونحن ننطلق . آنذاك ، ربما يكون من الاسلم ان نسير والمشاة الثقيلة على شكل مربع مفرغ ، فتكون الامتعة وما عداها من المواد الكثيفة آمن في الداخل . فان قيل لنا الان ، من يحتل الموقع الامامي من المربع، وينظم الفصائل الطليعية ، ومن ينبغي ان يكون على الجانبين ، ومن يتحتم أن يكون مسؤولا عن المؤخرة ، فعلينا الا نصم كل هذا بينما يتوجه الاعداء نحونا ، بل نستطيع حالا استخدام أولئك الذين قد اختيروا خصيصا لهذا العمل . ان كان لاي منكم اقتراح افضل ، فلنتبناه . والا فاني اقترح ان (خريسوفوس) يجب ان يقود المربع ، فهو ذو ميزة اضافية لكونه اسبرطيا . وقائدان آخران ، يكبرانه سنا ، ينبغي أن يهتمـا بالجانبين ، واصغرانا ، أي (تيماسيون) وانا يلزم ان يكونا مسئولين عن المؤخرة . اقترح هذا كاجراء مؤقت . بعدئذ ، نكـون قـد اختبرنا هيئة المسير هذه ، فنستطيع البت في افضل الاجراءات على حسب اختلاف الظروف . ان كان لدى اي منكم اقتـراح امثل ، وددت أن يعرضه » .

آنذاك ، اذ لم يبد احد اية اعتراضات ، قال زينوفون : « فليرفع اولئك الذين يرتضون ذلك ايديهم » . فنفذ الاقتراح ، وواصل يقول : « والآن ، اذن ، علينا ان نغادر الاجتمـاع ، وتنفيذ مقرراتنا . كل من يبغ رؤية عشيرته ثانية ، يتحتم ان يتذكر بان يكون جنديا مقداما . هذا هو الحل الوحيد . كل من ينشد البقاء حيا ، يجب أن يهدف الى النصر . ان الفائزين هم الذين يقومون بالتقتيل ، والخاسرين هم القتلى . وأولئك الناس الذين يرومون المال ، عليهم أن يحاولوا كسب المعارك . ان الرابحين لا يستطيعون الاحتفاظ بما لديهم فحسـب ، بل تناول ما يعود للخاسرين » .

مع اختتام هذا الخطاب ، نهضوا وانطلقوا لاضرام النـار في عربات نقلهم وخيامهم . ان شاء احد ايا من المعدات الفائضة اقتسموها بينهم ، والقوا المتبقي في الضرام . عند اتمام ذلك ، تناولوا فطورهم ، وبينما كانوا منهمـكين في ذلك ، قـدم (ميثراداتس) برفقة ثلاثين فارسا ، فطلب تقدم القادة نحو مدى يستطيعون ضمنه السماع ، وقال : « اني ، أصحابي الاغريق ، كنت كما تعلمون مخلصا لكورش ، وما ازال صديقكم . واني كذلك لاجد موقفي الراهن هنا مزعجا جدا . لذا ان الفيت انكم تفكرون في اي مخرج أمين ، وددت الالتحاق بكم ، وجلب جميع تابعي معي . لذلك خبروني ما ترتأون فعله ، وعدوني صديقـا في جانبكم ، ويود الانضمام اليكم في مسيركم » .

بعد المداولة ، قرر القادة ان يردوا عليـه الرد الآتي ، وكان ناطقهم (خريسوفوس) الذي قال : « ما صممنا عليه ، هو هذا : اذا اتيحت لنا العودة الى الوطن ، فسنخترق القطر ،

ملحقين اقل تلف ممكن ، لكن ان يحـاول اي فرد ايقافنـــا ، فسنناضل في شق سبيلنا باعنف ما نستطيع » .

عندئذ ، حاول (ميثرايداتس) البرهنة على استحالة بلوغ الامان ضد ارادة الملك ، وعند هذه النقطة ، ادرك انه قـد اوفد لغرض خفي مقصود . والحقيقة ، لقد كان فعلا احد رجال (تيسافرنوس) بمعيته ليضمن الركون اليه .

غب حدوث ذلك ، اجمع القادة ان الافضل لهم ، ماداموا في بلاد العدو ، وجوب ادارة الحرب دون اية مفاوضات مـع العدو ، لان رسل الطرف الاخر جنحوا الى افساد ولاء الجند . فهم في الحقيقة اغروا احد ضباط المئة (نيكارخوس الاركادي) الذي فر تحت جنح الظلام مع ما يناهز عشرين رجلا .

وبعد تناولهم وجبة طعام ، عبروا نهر الزاب(٩٦) ، وساروا بنظام حربي ، مع حيوانات نقل الامتعة وتابعي المعسكر داخـل مربع ، وما ابتعدوا الا قليلا ، حتى لاح للعيان (ميثريداتس) مجددا ، برفقة ما يقرب من مئتي فارس وحوالي اربعمئة من رماة السهام والمقاليع ، وكان هؤلاء مدججين باسلحة خفيفة ، ويعدون على اقدامهم بسرعة شديدة .

لقد يمم (ميثريداتس) شطر الاغريق وكانه كان على وفاق معهم ، لكن ما ان تدانى الجمعان ، حتى شرع رجاله ، المشاة والفرسان ، فجاة في اطلاق نبالهم ، بينما قذف الاخــرون مقاليعهم ، واحدثوا بعض الاصابات . لقد كابد جند مؤخـرة الاغريق كثيرا ، لكنهم لم يتمكنوا من مقابلتهم بالمثل لعدم قدرة النبالة (الكريتيين)(٩٧) على الرمي نحو اشواط تماثل مسافات الفرس ، كما انهم نظرا لكونهم من افراد المشاة الخفيفــة ، اعتصموا بقلب المربع . اما رماة الرماح ، فان مداهم لم يكن من البعد ما يكفي لاصابة رماة المقاليع الفرس .

عندئذ ، جزم (زينوفون) ان عليهم اكتساح العدو الى الخلف ، وتم ذلك على ايدي المشاة الخفيفة والثقيلة معه في المؤخرة . بيد انهم ، اثناء تعقيبهم ، اخفقوا في مسك اي نفـر من العدو ، وذلك لانعدام الفرسان لدى الاغريق ، وكان مشاتهم لا يستطيعون خلال شوط قصير ، ان يدركوا مشاة العدو الذين لاذوا بالفرار ، وهم آنذاك بعيدون عنهم لمسافة ما . وكان من الطبيعي تعذر مواصلة التعقيب على مسافة قصية عن بقيـة الجيش . ان خيالة الفرس ، وهم يسددون نحو الخلف من فوق ظهور جيادهم ، تمكنوا من احداث الجروح حتى اثناء فرارهم ، وعندما ادركهم اليونانيون الى بعد ما ، كان عليهم ان يعودوا القهقرى الى ذات المسافة ، وهم يقاتلون على طول الطريق . فنجم عن ذلك انهم لم يقطعوا اكثر من ميلين ونصف الميل في ذلك النهار باكمله . لكنهم ادركوا الارياف عصرا .

هنا كذلك ، كان قنوط جم . ان (خريسوفوس) والقائدين الاكبر سنا ، عذلوا (زينوفون) لقيامه بالتعقيب بعيدا عن صلب الجيش الرئيسي ، ورغما عن الاخطار التي تجشم ، كان عاجزا عن الحاق اي ضرر بالعدو . لقد اصغى زينوفون الى انتقاداتهم، وسلم انهم كانوا محقين في عذلهم اياه ، وكانت الحقائق في جانبهم لتدعم دعواهم ، فقال : « غير ان الواجب علي كان ازاحتهم الى الوراء ، اذ لاحظت اننا كنا نقاسي كثيرا من جراء وقوفنا حيث كنا ، واننا عاجزون عن اتيان اي شيء في الرد عليهم . لكن قولكم يصح حالما شرعنا في ارجاعهم القهقرى . لم نكن اكثر طاقة على الحاق الاذى بهم . ولقينا غاية المشقة في ارجاع انفسنا . علينا الان ان نحمد الالهة لعدم توجههم نحونا بقوة اكبر ، بل باعداد ضئيلة ، وخرجنا بالنتيجة انهم دون ايذائنا كثيرا ، قد ارشدونا الى مواضع عجزنا . تستطيع نبالة العدو حاليا رشقنا لمسافة ابعد مما تستطيع نبالتنا (الكريتيون) ردا عليهم ، ورمـاة مقاليعهم يستطيعون العمل خارج نطاق مرمى رماة رماحنا . عندما نرجمهم القهقرى ، يتعذر علينا اقتفاؤهم لمسافة تبعد كثيرا عن صلب الجيش ، وفي شوط قصير ، لا يستطيع الراجل ، مهما بلغ من السرعة في الجري ، ادراك الراجل الاخر الـذي يبعد عنه مجال رمية قوس . لذلك ، ان اردنا منعهم من حيازة الطاقة على ايذائنا في المسير ، وجب علينا الحصول على رماة المقاليع والفرسان باسرع ما يمكن . هناك ، كما بلغني ، بعض (الروديسيين)(٩٨) في عسكرنا ، ويقال ان اغلبهم يعلمون كيفية استعمال المقلاع . كما ان سلاحهم ، في الحقيقة ، ذا مدى يبلغ ضعف مدى المقلاع الفارسي . ان المقاليع الفارسية لا تقـذف بعيدا ، لانها تستخدم للرمي احجارا بحجم قبضة اليد ، لكن الروديسيين يعرفون كيف يستعملون الكرات الرصاصية كذلك . لذا ان وجدنا من الذي يحوز مقلاعا ، ودفعنا عن اية كميـة متوفرة ، واكثر مالا من ذلك لمن يتطوع بصنع المزيد من المقاليع ، ونفكر بان نمنح امتيازات اضافية كل من يتخير العمل في صفوفنا كرامي مقلاع ، اذ ذاك ربما سيتقدم عدد واف ننتفع بهم . كما لاحظت ان في حوزتنا خيولا في الجيش ، بعضها خاصتي وبعضها خاصة (كليرخوس) التي خلفها . وثمة العديد غيرها قـد استولينا عليها ، نستخدمها حاليا لحمل الامتعة . فان صنفناها بان تحل محل بعضها بهائم نقل المتاع ، واعددنا الخيول للفرسان فقد يسبب هؤلاء كذلك ارباكا للعدو اثناء فراره » .

لقد تم الاتفاق على هذا ، فبرز ما يقرب من مئتي رام من رماة المقاليع تلك الليلة . وفي اليوم التالي ، تم اعداد خمسين حصانا وفارسا صالحين للعمل ، وزودوا باغطية جلدية ودروع ، وجعل (ليسيوس) الاثيني ، نجل (پوليستراتوس) آمـرا على الفرسان .

توقفوا ذلك اليوم ، وتقدموا في اليوم التالي ، وقـد استيقظوا مبكرين قبل المعتاد ، اذ كان عليهم ان يجتـازوا جدولا ، وكانوا في خشية من مداهمة العدو اثناء عبورهم . لقد اجتازوه قبل ان ظهر (ميثريداتس) للعيان ثانية ، وكان هذه المرة بصحبة الف فارس وحوالي اربعة آلاف من رماة السهـام والمقاليع . لقد طالب بهذا العدد واستحصله من تيسافرنوس ، واعدا اياه ، ان هو حصل عليه ، ان يسلمه اليونانيين اسرى . ان استصغاره شان اليونانيين بني على اساس من الحقيقة انه في الفترة السابقة لم يصب باذى ، بالرغم من ضآلة قواته ، وحسب انه قد اوقع في الاغريق خسائر فادحة .

عندما بات اليونانيون على مسافة تبعد زهاء الميل عن موقع عبورهم الجدول ، تحرك (ميثريداتس) كذلك بكامل قوتـه . فاصدرت الاوامر الى الاعداد اللازمة من المشاة الخفيفة والثقيلة بارجاع العدو القهقرى ، واوعز الى الفرسان ان يجـدوا في

---

(٩٦) Zapatas — اغلب الظن انه الزاب الاعلى الكبير .

(٩٧) نسبة الى جزيرة (كريت) اليونانية في البحر الابيض المتوسط .

(٩٨) نسبة الى جزيرة (رودس) الاغريقية في البحر الايجي جنوبي آسيا الصغرى ، مساحتها (٥٦٥) ميلا مربعا ، وكانت قديما ثغرا حصينا .

التعقيب بعزم ، اذ كانت هناك قوات كافية لتدعمهم . وعندما ادركهم (ميثريداتس) واخذت تصل احجار المقاليع والسهام ، نفخ في النفير ، وللحال كرت نحو الامام كتلة واحدة من الذين اوعز اليهم بذلك ، وشن الفرسان هجومهم . ان العدو لم ينتظرهم ، بل ركن الى الفرار عائدا نحو الجدول . فقتل العديد من مشاة الفرس اثناء هذه الملاحقة ، وقبض على ما يقرب من ثمانية عشر فارسا حيا وسط المجرى المائي . فبادر الاغريق تلقائيا الى تشويه جثثهم ، كي يخلق مرآها اكثر رعب ممكن بين العدو .

بعد مقاساة هذه الهزيمة ، تقهقر العدو ، وواصل الاغريق سيرهم بامان لما تبقى من النهار ، ووصلوا نهر دجلة . وكانت ثم مدينة واسعة مهجورة تدعى (لاريسا)(٩٩) ، قطنها الماديون في الايام الغابرة . كانت مسورة بسور سمكه (٢٥) قدما وارتفاعه (١٠٠) قدم ومحيطه ستة اميال ، مشيد من الطابوق فوق قاعدة صخرية تمتد نحو عمق (٢٠) قدما . عند استيلاء الفرس على امبراطورية الميديين ، حاصر العاهل الفارسي هذه المدينة ، لكنه عجز تماما عن احتلالها . غير ان غمامة حجبت الشمس واخفتها عن البصر ، حتى هجر السكان الموضع ، وهكذا تم احتلال المدينة . وكان بالقرب من المدينة هرم صخري ، عرضه (١٠٠) قدم وارتفاعه (٢٠٠) قدم ، ففر اليه العديد من سكان الارياف المجاورة ، واعتصموا به .

من هنا ، ساروا قاطعين (١٨) ميلا في يوم واحد ، فبلغوا قلعة لا تقهر بالقرب من مدينة تدعى (مسبيلا)(١٠٠) ، التي كانت ردحا آهلة بالميديين . كان اساس هذا الحصن حجرا املس ، يحوي كثيرا من الاصداف . كان عرض الحجر (٥٠) قدما وارتفاعه (٥٠) قدما ، يقوم عليه سور مشيد من طابوق ، عرضه (٥٠) قدما وارتفاعه (١٠٠) قدم ، ومحيط الحصن (١٨) ميلا(١٠١) . ان (ميدي) ـ قرينة العاهل ـ يرجح انها قد لجأت الى هذا الحصن عندما خسر (الماديون) امبراطوريتهم وتسنمها الفرس ، وحينما قصد العاهل الفارسي المدينة ، لم يستطع احتلالها ، لا بمرور الزمن ، ولا بالغارة عليها . الا ان (زيوس)(١٠٢) افقدهم رشدهم بصاعقة ، فتم احتلال المدينة .

بعد ذلك ، ساروا يوما واحدا قاطعين (١٢) ميلا ، لاح خلاله (تيسافرنوس) للعيان ، برفقة تابعيه من الفرسان بالاضافة الى القوة التي تحت قيادة (اورونتاس) الرجل الذي اقترن بابنة العاهل ، والعساكر الفارسية التي كانت بامرة كورش اثناء مسيره ، والقوات التي رافقها شقيق العاهل لتعضده ، وعلاوة على ذلك جميع العساكر التي زوده بها العاهل ، فبدا جيشه عرمرما . عند الدنو ، جلب بعضا من زمره نحو مؤخرة الاغريق ، واقتاد آخرين شطر الجانبين ، لكنه لم يجسر على شن هجوم مباشر ، او يبد اية رغبة في المجازفة . بدلا من ذلك ، امر رجاله باستعمال مقاليعهم واقواسهم . ان (الرودسيين) الذين وضعوا على مسافات معينة في صفوف اليونانيين ، استعملوا عندئذ مقاليعهم ، وسدد النبالة سهامهم ، فلم يخفق احدهم في اصابة رجل ما (في الحقيقة استبعد ان يخطيء الهدف فرد لو حاول ذلك) ، فابتعد (تيسافرنوس) عن المجال سريعا ، ومثله فعل سائر جيشه .

فواصل اليونانيون مسيرهم لما تبقى من النهار ، والفرس يتعقبونهم . ان الفرس ، بوسائلهم القديمة المتبعة في الاقتتال من بعيد ، لم يلحقوا اية اضرار اخرى ، مادام (الرودسيون) قادرين على قذف مقاليعهم نحو مسافات ابعد من المقاليع الفارسية ، بل ابعد كذلك من غالبية نبالتهم . ان الفرس يستخدمون اقواسا كبيرة . لذلك غدت جميع النبال التي التقطت نافعة للكريتيين الذين استعملوا نبال العدو باستمرار، ومارسوا الرمي على المدى البعيد بمسار مرتفع . ولقد عثر في الارياف على كمية من اوتار القوس ، وكذلك بعض الرصاص الذي امكن استعماله للمقاليع .

بعدئذ ، غب ان وصل اليونانيون بعض القرى ، وخيموا ذلك اليوم ، ارتد الفرس وقد كابدوا اسوأ النتائج من جراء المناوشات من بعيد . في اليوم التالي ، مكث اليونانيون في موضعهم ، وتزودوا بالطعام الذي كان وفيرا في الارياف . وفي اليوم الذي اعقبه ، استأنفوا سيرهم على الصيهب ، وتيسافرنوس في الرهم يصوب نحوهم من بعيد . اثناء هذه المسيرة ، استنتج اليونانيون ان هيئة المربع المتخذة كانت رديئة حينما كان الاعداء عند المؤخرة . اذ عند تلاصق جانبي المربع ، من جراء تضايق الطريق او مجتازهم عبر ممر جبلي او عبورهم فوق جسر ، فان ما سيحدث حتما هو ان المشاة الثقيلة ستزاح من موضعها ، وتغدو بطيئة السير ، متلاكمين مع بعضهم ومرتبكين ، فتمسي النتيجة ، وهم في وضع مشوش ، عدم الاستفادة منهم . ثم عندما ينحرف الجانبان ثانية ، سيرغم على التفرق من سبق ان ازيحوا من مواضعهم وتضحى المسافة بين الجانبين خاوية ، وعند حدوث هذا ، تخور عزائم الرجال بينما العدو في اعقابهم . وهكذا كلما استوجب عليهم العبور على جسر او اي شيء عداه ، ناضل كل فرد في

---

(٩٩) Larissa ـ عند التمعن في بعض الخرائط التي تبين المواقع الاثرية القديمة في العراق ، وتقدير المسافة التي سلكها الجيش بعد عبوره (الزاب الاعلى) ، اميل الى الاعتقاد ان هذه المدينة هي في الاصل موضع (نمرود) حاليا العاصمة الآشورية (كالح) التي قطنها الفرس الماديون ، وارجح لذلك ان هذه التسمية فارسية بعد اندثار الاسم الاشوري .

(١٠٠) Mespila ـ اغلب الظن انها مدينة (الموصل) حاليا وهذه التسمية مشتقة من الاشورية (مشفالو) . اما موقع الحصن الذي يذكره المؤرخ ، فارجح انه موضع قريب من مدينة (نينوى) المندرسة او بالاحرى (تل توبة) الذي يقوم عليه جامع (النبي يونس) حاليا وقرية بجواره تماما المواجهة لاطلال نينوى (تل قوينجق) الحالية .

(١٠١) اغلب الظن ان هذا المحيط هو السور الذي حول نينوى و (تل توبه) فقد شاهدته بنفسي قبل عشرين سنة تقريبا ، وسرت فوقه ، مدركا آنذاك انه تل غير طبيعي بل سور مندرس . وكان قد انقضى على سقوط نينوى حينما اجتاز بها زينوفون زهاء مئتي سنة .

(١٠٢) Zeus ـ هو رب الارباب عند الاغريق وهو في المنزلة مثل (بيل) او (بعل) عند البابليين الذين يلقبونه بالملك .

سبيل ان يكون اول العابرين ، مما اتاح للعدو فرصة ثمينة لمهاجمتهم .

لقد لاحظ القادة هذا الوضع ، وشكلوا ستة فصائل ، كل فصيل يؤلف مئة رجل ، وعينوا قواد مئة للفصائل الستة ، وضباطا لكل خمسين رجلا ولكل خمسة وعشرين رجلا . فمتما تعاكم الجانبان بعضهما نحو الاخر اثناء المسير ، انتظرت هذه الفصائل الستة خلفهما كي لا يحدثا اي تشويش في نظام الجانبين ، ثم عادت ثانية الى الجانبين الايمن والايسر . وعندما انفرج جانبا المربع ، كانت الفصائل الستة ستملأ الوسط ، ساترة نحو الانفراج ، ان كان صغيرا فبزمر مع ستة افراد في الامام ، وان كان اوسع فمع اثني عشر رجلا في الامام ، وان كان واسعا جدا . فمع خمسة وعشرين رجلا في الامام ، كي يظل قلب المربع مليئا دائما . وعندما وجب عليهم عبور اي جسر او غيره ، حافظوا على نسقهم ، بان يقود ضباط المئة فصائلهم عبره بالتعاقب كما كانوا على اهبة العمل اذا تطلب الامر ذلك في اي شطر من صلب الجيش الرئيسي .

فتقدموا على هذه الهيئة لمدة اربعة ايام . وخلال سيرهم في اليوم الخامس ، شاهدوا طرازا من جوسق ، تتاخمه بعض الضياع ، ورأوا ان الطريق الى هذا الموضع ممتدة عبر ارض مرتفعة ، تشكل سفوح التلال المحيطة بالطود الذي قامت القرية تحته . لقد سر اليونانيون بمرأى الروابي ، وكان ذلك طبيعيا لاعتبارهم قوة عدوهم من الفرسان ، لكنهم عندما ساروا قدما ، وبعد ان ارتقوا التل الاول ، وهبطوا نحو الوادي لارتقاء الثاني ، داهمهم الفرس . وبدافع من التحريض ، اطلقوا رماحهم ومقاليعهم وسهامهم من مرتفعهم على الارض المنخفضة ، فاحدثوا عددا من الكلوم . لقد ادركوا الطرف الاعلى من عساكر اليونانيين الخفيفة ، وارغموهم على البقاء محصورين ضمن مربع المشاة الثقيلة ، وبذا بات النبالة ورماة المقاليع دون الفائدة مطلقا ذلك اليوم ، لامتزاجهم بالزحام الشامل . وعندما عالج اليونانيون التخلص من صعابهم برد العدو الى الوراء ، وجدوا - لكونهم مشاة من الصنف الثقيل - صعوبة بلوغ قمة الاكمة ، حينما اندلق العدو مبتعدا عنهم بسرعة . وعندما عادوا ثانية الى بقية الجيش ، قاسوا كالسابق تماما ، وحدث ذات الشيء على الرابية الثانية . لذا قرروا عدم السماح للجنود بالتحرك من التل الثالث حتى يكونوا قد اقتادوا نحو الجبل قوة مشاة خفيفة من الجناح الايمن من المربع . ولما ارتقت هذه المشاة الخفيفة ارضا ارفع من ارض العدو الذي كان يتعقبها ، كف الاعداء عن مهاجمة الجنود عند انحدارهم ، لانهم خافوا تشتيت شملهم وصيرورة الاعداء على طرفيهم . فساروا بهذا الشكل خلال ما تبقى من النهار ، بعضهم بمحاذاة الطريق فوق التلول ، والاخرون يواكبونهم بحذاء الجبل ، حتى وصلوا الارياف . فعينوا بعدئذ ثمانية اطباء ، لوجود العديد من الجرحى .

لقد لبثوا هنا ثلاثة ايام لسببين : اولهما من اجل الجرحى ، وثانيهما لاستطاعتهم الحصول على قوت وفير - دقيق الحنطة ونبيذ وكثير من الشعير المخزون لاجل الخيول . كل ذلك كان مدخرا لوالي الناحية .

في اليوم الرابع ، هبطوا نحو الصيهب ، لكن عندما ادركهم (تيسافرنوس) مع قوته ، اتعظوا بدرس الحقائق القاسية ، وهو ان يعسكروا في اول موضع وجدوا فيه قرية ، والا يواصلوا المسير والاقتتال في آن معا . ومرد ذلك الى وجود العديد من الرجال عاطلين عن العمل : الجرحى وحملتهم والذين استلموا اسلحة الحاملين . لكن عندما عسكروا ، واتجه الفرس صوب القرية في محاولة لمشاغلتهم في قتال عن بعد ، خرج اليونانيون بنتيجة افضل كثيرا . فكان ثمة فارق عظيم بين شروع الواحد من ارضه بالذات في صد العدو وبين المقاتلة اثناء المسير حينما يكون العدو في اعقابه .

وعند حلول العصر ، ازف وقت تراجع العدو ، لان الفرس (خشية من قيام اليونانيين بشن هجوم ليلي) عسكروا دائما على مسافة تبعد ستة اميال على الاقل عن الجيش اليوناني . ان الجيش الفارسي عديم الجدوى في الليل ، مادامت خيوله تعقل ، كما تربط اقدامها عادة ، كي لا تنهزم لو تركت سائبة . لذا ان حدث اي اضطراب ، فينبغي ان تسرج الخيول لراكبيها الفرس وتلجم ، ثم على الراكب أن يرتدي درعه ويمتطي جواده وهذه كلها امور يصعب انجازها ليلا وسط الضجيج . هذا ما حملهم على ان يعسكروا عند مسافة نائية عن اليونانيين . فلما علم اليونانيون الان عزم الفرس على التراجع ، اذ كانوا في الحقيقة يبلغون الايعازات بذلك ، اصدروا امرا لعساكرهم - على مسمع من العدو - بتجميع امتعتهم . عندئذ احجم الفرس عن الانسحاب لفترة ما ، لكنهم بعد حين عادوا ، غير محبذين السير ثم الاوبة الى المعسكر اثناء الليل .

واذ لاحظ اليونانيون انهم عائدون دون ريب ، رفعوا خيامهم ، وانطلقوا سائرين لمسافة ستة اميال تقريبا . بهذا غدت الشقة بين الجيشين حدا لم يعد معه بالامكان رؤية اي اثر للعدو ، لا في اليوم التالي ولا الذي اعقبه . في اليوم الرابع ، تقدم الفرس ليلا ، واحتلوا موقعا مطلا على يمين الطريق التي نوى اليونانيون على طرقها . كان ذلك الموقع احدى ذرى الطود المشرف على الطريق الممتدة في السهل . عندما شاهد (خريسوفوس) انهم قد سبقوا الى احتلال ذلك المرتفع ، استدعى زينوفون من المؤخرة ، وطلب منه استقدام مشاته الخفيفة والمجيء نحو المقدمة . غير أن زينوفون لاحظ (تيسافرنوس) وقد بدت كامل قوته للعيان ، فلم يقتد المشاة الخفيفة الى الامام ، بل انطلق راكبا بمفرده نحو (خريسوفوس) وساله : « لماذا تناديني ؟ » فاجاب خريسوفوس : « تستطيع أن ترى ذلك بنفسك . ان الرابية المطلة على طريقنا في الاسفل ، قد سبقنا في ضبطها . لا يسعنا العبور الا اذا اكتسحناهم منها . لكنك لِمَ لمْ تجتلب المشاة الخفيفة ؟ » فرد زينوفون انه لم يفكر من الصواب ترك المؤخرة بلا قوة ، بينما العدو على مرأى ، وقال : « على كل حال ، لقد حان الوقت حتما ان نصمم كيف يتسنى للفرد ازاحة اولئك القوم من الاكمة » .

حينذاك ، لاحظ زينوفون ان عرعرة الجبل اعلى من الارض التي عليها الجيش اليوناني ، وان بالامكان السير منها نحو الجبل الذي صعده الاعداء ، فقال : « ان افضل ما نفعل ، يا خريسوفوس ، هو التقدم نحو القمة باسرع ما نستطيع . ان تمكنا من ضبطها ، فسيعجز عن الاحتفاظ بموقفهم اولئك الذين يشرفون على طريقنا . اذا شئت ، فامكث هنا مع الجيش الرئيسي . ساتطوع بالمضي قدما . ام ، اذا فضلت ، فسر نحو الجبل ، وسالبث هنا » فقال خريسوفوس : « ساترك لك الخيار ان تفعل ما تشاء » .

فاعرب زينوفون بما انه الاصغر سنا ، اختار التقدم نحو الجبل ، لكنه طلب من خريسوفوس ان يمده ببعض الرجال من المقدمة للمضي معه ، اذ ان جلب الرجال من المؤخرة كان سيستغرق وقتا . فاذن له خريسوفوس باخذ المشاة الخفيفة التي كانت في المقدمة ، والتي كانت وسط المربع ، كما امر لاثمئة من الرجال المختارين ، الذين كانوا تحت امرته الشخصية في واجهة المربع ، باللحاق مع زينوفون .

فانطلقوا في السير باسرع ما تمكنوا ، لكن الاعداء فوق الاكمة ، اذ لاحظوا اليونانيين متوجهين صوب القمة ، هرعوا هم كذلك في الحال لينازعوهم الموقع . فكان ثمة استصراخ كثير : من الجيش الاغريقي يستحث رجاله من جانب ، ومن قوم (تيسافرنوس) يحرضون رجالهم من الجانب الاخر . لقد ركب زينوفون جوادا على طول الصفوف ، يستحثهم على الارتقاء قائلا : « ايها الجنود ، اعتبروا انكم الان تقاتلون من اجل اليونان ، وانكم تشقون الان طريقكم نحو اولادكم وحليلاتكم ، واننا بقليل من المشقة حاليا ، سنمضي في ما تبقى من طريقنا دون مقاومة » فقال (سوتريداس) وهو رجل من (سيكون)(١٠٣) : « لسنا متعادلين يا زينوفون . انك ممتط صهوة جواد ، بينما انا قد انهكني مجن احمله » .

عندما وعى زينوفون ذلك ، قفز عن صهوة جواده ، واقصى (سوتريداس) عن الصفوف ، وجرده من ترسه ، وتقدم راجلا باسرع ما استطاع ، حاملا الترس . واتفق انه كان متدرعا بدرع الفرسان كذلك ، فصار انطلاقه بطيئا . لقد ظل مشجعا اولئك الذين في الطليعة على الاستمرار في السير ، واولئك الذين خلفهم على اللحاق بهم ، مع انه بالذات كان يناضل خلفهم على طول . غير ان الجنود الاخرين ، ضربوا (سوتريداس) ورجموه بالحجارة ولعنوه حتى ارغموه على استعادة ترسه ومتابعة السير . عندئذ عاد زينوفون فاعتلى جواده ، وقادهم نحو الطريق على ظهر الحصان ، طالما كانت الطريق صالحة . ولما غدا ركوبه مستحيلا ، غادر حصانه الى الخلف ، وذلك في سيره نحو الامام على قدميه . وهكذا بلغوا القنة قبل العدو .

وعلى ذلك ، ولى الفرس الادبار ، وهربوا في جميع الاتجاهات ، وضبط الاغريق القنة . فعاد جانبا جيش تيسافرنوس وآريوس ، ومضوا في مسلك آخر ، وانحدر رجال خريسوفوس الى السهب ، وعسكروا في قرية حافلة بطيبات غزيرة . في هذا السهل المحاذي دجلة ، كانت ارياف عديدة زاخرة بالمؤن كذلك .

غير ان العدو شوهد في السهب بعد العصر على حين غرة ، وشتت بعض الاغريق المنتشرين هناك ، والمنهمكين في الاغتنام ، اذ قد امسكت بعض قطعان الماشية عند جلبها لعبور النهر الى الضفة الاخرى . فحاول عندئذ تيسافرنوس ورجاله احراق القرى ، فاغتم بعض الاغريق لذلك ، اذ قد خيل اليهم انهم ان احرقوا القرى ، فلن يجدوا موضعا يحصلون فيه على الميرة .

(١٠٣) Sicyon ـ مدينة تقع الى الشمال الشرقي من مدينة (كورنثوس) باليونان .

كان (خريسوفوس) ورجاله قد عادوا حديثا من انقاذ الذين في الدلصة ، وعندما صادف فريق الانقاذ زينوفون عند انحداره من الاكمة ، مضى راكبا بحذاء صفوفهم ، وقال : « اما ترون ، ايها الاغريق ، انهم اذعنوا الان باننا مالكو ارضهم ؟ عندما مهدوا للهدنة ، ركزوا على هذه النقطة كثيرا ، وهي لاينبغي احراق ارض العاهل ، وهاهم الان يحرقونها بانفسهم وكانها ليست ملكه . لكنما ان توفر اي طعام لانفسهم حيثما كان ، فسيجدوننا سائرين هناك ايضا . في الحقيقة ، يا خريسوفوس ، ارى انه يستوجب علينا اعتبار هذه الملكية خاصتنا ، ونمنعهم من احراقها » فقال خريسوفوس : « لا اخال ذلك ، بل نستطيع اعانتهم في مسعاهم ، وآنذاك سيكفون سريعا » .

عندما عادوا الى مضاربهم ، التام القادة وضباط المئة في اجتماع ، بينما انشغل الباقون بالتجهيزات . انهم الان في وضع جد عصيب . فمن احدى الجهتين ، كانت ثمة جبال سامقة جدا ، وعند الجهة الاخرى ، كان النهر الذي بلغ من العمق ، عند اختباره ، حدا غدت الرماح التي نكست فيه دون مستوى الماء ، وبينما كان القادة غير متاكدين مما سيقدمون عليه ، برز شخص من (رودس) ، وقال : « اني اتعهد بالعبور بكم على دفعات ، اربعة آلاف من المشاة الثقيلة في كل دفعة ، اذا زودتموني بما اتطلب ، ووهبتموني وزنة(١٠٤) فضة اجرا » .

وعندما سالوه عما احتاج اليه ، اجاب : « ساحتاج الى الفي قربة من الجلد ، اذ ارى عددا من الاغنام والماعز والثيران والحمير حولنا . عند سلخنا جلودها ونفخنا فيها ، ستزودنا بوسيلة يسيرة للعبور . كما ساتطلب حبال الحيوانات التي تحمل الحقائب . بهذه الحبال ، ساوثق القرب ببعضها ، واضع كل قربة في موضعها بربطها بحجر يتدلى في الماء كمرساة . ثم ساثز القربات عبر النهر ، واشدها الى الضفتين ، واضع فوقها الخشب ، تعلوه طبقة من تراب . بلحظة واحدة ، ساثبت لكم الا خطر من الغرق . كل قربة ستحمل شخصين ، والخشب والتراب يمنعان انزلاقهما » . فاصغى القادة اليه ، لكنهم فكروا ، رغم كونها فكرة حسنة ، ان من المتعذر تنفيذها ، لوجود اعداد جسيمة من الفرسان عند الضفة الاخرى لتصد تقدمهم ، وانها للفور ستعيق الرجال الاوائل عبر النهر عن تادية مهامهم .

في اليوم التالي ، عادوا القهقرى ، سالكين طريقهم السابقة المؤدية الى الارياف التي لم تضرم فيها النار ، فاحرقوا القرى التي شرعوا منها في الحركة كي يعيقوا دنو العدو منهم ، لكنه لاحظهم من بعيد ، حائرا في الظاهر بشان السبيل الذي سيسلكه اليونان بعد الان ، وماهية نياتهم . عندئذ عقد القادة اجتماعا آخر ، بينما انشغل الجيش الباقي بالتجهيزات . فاستحضروا الاسرى ، واستفسروهم مفصلا عن الاصقاع التي تحيطهم . فكانت الردود ان الاصقاع في الجنوب متجهة نحو

(١٠٤) الوزنة (Talent) تعادل (٢٥٠) أو (٢٤٠) جنيها . كما أنها تدل على وزنة ذهب تساوي عشرة آلاف جنيه تقريبا . والاولى أقرب الى المعقول .

(١٠٥) Susa ـ عاصمة فارسية قديمة .

(١٠٦) هي Ecbatana سابقا عاصمة ميديا .

بابل وميديا ، وهي في الحقيقة الطريق التي قد سـلكوها . والطريق شرقا ، تتجه نحو شوشه(١٠٥) وهمدان(١٠٦) التي قيل انها مقر العاهل صيفا ، وان عبر الواحد النهر وانطلق غربـا ، اتجهت به الطريق نحو (ليديا) و (ايونيا) ، والطريق المتجهة شمالا فوق الجبال ، تسلك نحو (الاكراد) . وافصحـوا ان هؤلاء القوم يقطنون الجبال ، وانهم بواسل جدا ، وغير خاضعين للعاهل . والحقيقة أن جيشا ملكيا ، قوامه مئة وعشرون الفا ، غزا مرة ديارهم ، فلم يعد منهم فرد واحد بسبب وعورة الارض التي وجب عليهم أن يوغلوا فيها . لكنما في احوال عقد المصالحة مع الوالي المسيطر على السهل ، كان ثمة تخالط متبادل بين الاكراد وبينهم . فاستوعب القادة هذه المعلومات ، وعزلوا جانبا الذين اعربوا عن المامهم بالطريق في كل اتجاه ، ولم يلمحوا باية اشارة نحو المسلك الذي سيتبعون ، غير انهم فكروا بوجوب غزو (كردستان) عبر الجبال ، اذ انهم ـ استنادا الى الاسرى ـ سيصلون ارمينيا حالما سيجتازون هؤلاء القوم ، وهي قطر واسع غني يحكمه (اوبونتاس) ، ومن ثم ـ قال الاسرى ـ يسهل السير في اي اتجاه شاء الفرد .

فقدموا القرابين لتبريك هذا القصد ، كي يسـتطيعوا الشروع في المسير عندما يعتقدون ان الوقت اللازم لذلك قد حان. فقد كانوا في خشية من ان يسبقهم الفرس في احتلال الممر فوق الجبال . ثم اصدروا الاوامر ، انهم بعد العشاء ، ينبغي على كل فرد ان يحزم عائديته فيستريح ، ويجب ان يكونوا متاهبين لاقتفاء ضباطهم عند صدور الايعاز .

● ● ●

النصوص المحققة

كتاب الموفقي في النحو

لابن كيسان

المتوفى سنة ٢٩٩

تحقيـــق

الدكتور عبدالحسين الفتلي

و

هاشم طه شلاش

مقـــــدمة

نحمده ونستعينه

وبعد : فقد وفقنا للعثور على نسخة مخطوطة من « كتـاب‌الموفقي في النحو » تأليف ابي الحسن احمد بن محمد كيسان ــ رحمه الله ــ وهو كتاب نحوي وصرفي جدير بالنشر للسببين‌التاليين :

١ ــ ان مخطوطة هذا الكتاب لا اخت لها في المكتبات المفهرسة‌في العـالم .

٢ ــ ان هذا الكتاب من الكتب المختصرة التي تضع امام القارئ‌المادة النحوية الكاملة التي يستطيع الاستفادة منها في اقصر وقت دون الرجوع الى الكتب المفصلة في النحو والصرف مع مافيها من صعوبة ومع ما يحتاجه الرجوع اليها من وقت .

ولقد اجتهدنا في ضبط نصوص هذا الكتاب على الوجه‌المقنع ، وراجعنا ما يقتضي التحقيق مراجعته واثبتنا ما وجدناه نافعا في الهامش . فان وفقنا في عملنا فمن الله وله الحمد ،ونحن نشكره على كل حال .

المصنف :

الملاحظ في ترجمة ابن كيسان ان الذين ترجموا له نقل بعضهم مادة بعض ولذلك جاءت ترجمته متشابهة في الكتـــب المختلفة . اضافة الى ذلك ان المعلومات التي تقدمها لنا تلـك الكتب مجتمعة لا تضع امامنا صورة كاملة عن هذا النحوي ، وانما هي شذرات متفرقة لا تتعدى الاسم واسم الاب والكنية واللقب وشيئا قليلا عن ثقافته النحوية ومنهجه ، ويمكن للكتب التي خلفها لنا هذا الرجل ان تعطينا صورة ادق مما قدمته لنا كتب التراجـــم .

هو محمد بن احمد بن ابراهيم بن كيسان(١) وقيل محمد ابن احمد(٢) وقيل محمد بن ابراهيم بن كيسان(٣) وقيل كذلك محمد بن احمد بن كيسان (٤) .

كان يكنى بابي الحسن (٥) ويلقب بابن كيسان . وكيسان لقب واسمه ابراهيم (٦) . وذكر ابو القاسم عبدالواحد علي ابن برهان : ان كيسان ليس اسم جده وانما هو لقب ابيه(٧) . واشار ابن النديم (٨) الى ان الكيسان بمعنى : الغدر وانه اسم لصاحب الترجمة وهي لغة سعدية .

وكان كيسان نحويا وذكر عنه انه خلط المذهبين واخـذ من الفريقين (٩) يعني البصريين والكوفيين ــ وانه كـان يحفظ المذهب البصري والكوفي في النحو لانه اخذ عن ابي العباس المبرد

---

(١) معجم الادباء جـ٦ ص٢٨٠ ، هدية العارفين جـ٢ ص٢٣

(٢) الفهرست لابن النديم ص٨١

(٣) بغية الوعاة السيوطي ص٨

(٤) نزهة الالباء ص١٦٢ وتاريخ بغداد جـ١ ص٣٣٥ وتاريخ الادب العربي بروكلمان جـ٢ ص١٧١

(٥) انظر معجم الادباء جـ٦ ص٢٨٠ وبغية الوعاة ص٨ ونزهة الالباء ص١٦٢ وهدية العارفين جـ٢ ص٢٣ وبروكلمان جـ٢ ص١٧١ وتاريخ بغداد جـ١ ص٣٣٥ .

(٦) معجم الادباء جـ٦ ص٢٨٠

(٧) انظر تاريخ بغداد جـ١ ص٣٣٥ ونزهة الالباء ص١٦٢

(٨) الفهرست ص٨١

(٩) الفهرست ص٨١

وابي العباس ثعلب (١٠) وانه كان انحى من الشيخين يعني المبرد وثعلبا (١١) وقد كان الى مذهب البصريين اميل (١٢) .

وحدث ابو الطيب اللغوي قال كان ابن كيسان : يسال المبرد عن مسائل فيجيبه فيعارضها بقول الكوفيين فيقول في هذا على من يقوله كذا ويلزمه كذا فاذا رضي قال له قد بقي عليك شيء لم لا تقول كذا (١٣) .

وحدث ابو بكر محمد بن مبرمان قال قصدت ابن كيسان لاقرا عليه كتاب سيبويه فامتنع وقال : اذهب الى اهله يعني الزجاج وابن السراج وكان ابو بكر بن الانباري يتعصب عليه ويقول خلط المذهبين فلم يضبط منهما شيئا وكان يفضل الزجاج عليه جدا (١٤) .

توفي ابن كيسان واختلف في سنة وفاته . واشهر تاريخين لوفاته هما سنة ٢٩٩هـ(١٥) وسنة ٣٢٠هـ(١٦) .

مصنفات ابن كيسان :

خلف ابن كيسان مجموعة من الكتب في مختلف العلوم الانسانية ان دلت على شيء فانما تدل على طول باعه وتمكنه من علوم العربية وادابها مع معرفةواسعة بعلوم القرآن والحديث. ومؤلفاته التي نذكرها هي التي اوردتها كتب التراجم في اثناء ترجمتها لمؤلف هذا الكتاب وهذه الكتب هي :

١ ـ المهذب في النحو . ذكر بول سباط ان منه نسخة مخطوطة في مكتبة محمد علية الكهرباتي في القاهرة .
٢ ـ غلط ادب الكاتب
٣ ـ الامالي
٤ ـ كتاب البرهان
٥ ـ غريب الحديث وقيل عنه انه في اربعمائة ورقة (١٧) .
٦ ـ معاني القرآن
٧ ـ علل النحو
٨ ـ مصابيح الكتاب
٩ ـ ما اختلف فيه البصريون والكوفيون
١٠ ـ كتاب تلقيب القوافي وتلقيب حركاتها ذكره بروكلمان (١٨) واشار الى انه توجد منه مخطوطة في ليدن ٣٦٤ وان وليم رايت نشره في Opsenla Arab من ص ٤٧-٧٤ ونشير الى ان الدكتور ابراهيم السامرائي اعاد نشره في مجلة الجامعة المستنصرية .
١١ ـ شرح المعلقات : ذكره بروكلمان (١٩) . وهو شرح لمعلقات امرىء القيس وطرفة ولبيد وعمرو والحارث . وتوجد منه مخطوطة في برلين ٧٤٤٠ . ويوجد شرحه لمعلقة امرىء القيس فقط في المكتب الهندي (اول ٨٠٠) ونشر شلوسنجر شرحه لمعلقة عمرو بن كلثوم عن مخطوط برلين .
١٢ ـ كتاب الموفقي في النحو : وهو الكتاب الذي نقدمه للقارىء محققا عن نسخة مخطوطة فريدة موجودة في خزانة الرباط في المغرب الاقصى تحت رقم ١٢٧ وهو نفسه المسمى بالمختصر في النحو ويظهر انه قدم الى الموفق بالله فسمى بالموفقي كما سميت كتب اخرى بنفس التسميةللغرض نفسه ككتاب الموفقي في النحو للامام احمد بن يحيى ثعلب(٢٠) وكذلك الاخبار الموفقيات للزبير بن بكار والذي حققه ونشره الدكتور سامي مكي العاني :
١٣ ـ كتاب التصاريف
١٤ ـ كتاب الحقائق
١٥ ـ كتاب الشاداني في النحو
١٦ ـ كتاب القراءات
١٧ ـ الكتاب المختار وهو في ثلاثة مجلدات (٢١)
١٨ ـ كتاب المذكر والمؤنث
١٩ ـ كتاب المقصور والممدود
٢٠ ـ كتاب الوقف والابتداء
٢١ ـ كتاب الهجاء والخط
٢٢ ـ كتاب الفاعل والمفعول به
٢٣ ـ كتاب المسائل على مذهب النحويين

كتاب الموفقي في النحو :

هو كتاب صغير في النحو والصرف كتبه ابن كيسان للموفق بالله القائد العباسي بعد ان سمع من رجل اسمه ابن جسان ان الموفق بالله طلب شيئا من مختصرات النحو فعمل له عدة كتب فعمل ابن كيسان كتابا مماثلا ضغط فيه القواعد النحوية والصرفية ضغطا كبيرا ودقيقا .

ولم نجد ذكرا لاسم هذا الكتاب في طبقات النحويين واللغويين ولا نعلم متى سمي هذا الكتاب بالموفقي ومن الذي سماه هذه التسمية وكل الذي نعرفه ان لابن كيسان كتابا مختصرا في النحو اشار اليه الذين ذكروا كتبه ونعتقد ان المختصر هو نفسه الكتاب الموفقي .

اما نسبة هذا الكتاب لابن كيسان فمن الممكن توثيقها بما يأتي :

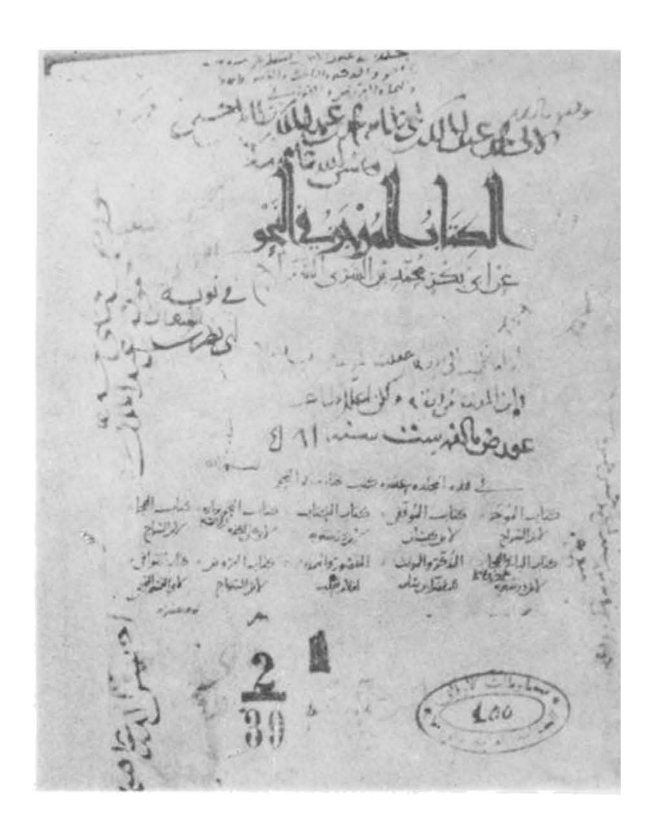
١ ـ ان هذا المصنف يبدا بعبارة « قال ابو الحسن محمد بن احمد كيسان ... » وقد تردد ذكر عبارة « قال كيسان » في عدة مواضع من الكتاب .

٢ ـ نقل ابن السيد البطليوسي في كتابه الحلل في اصلاح الخلل من كتاب الجمل (٢٢) تقسيم ابن كيسان للفعل قال

---

(١٠) بغية الوعاة ص٨ وتاريخ بغداد جـ١ ص٣٣٥ ومعجم الادباء جـ٦ ص٢٨٠
(١١) نزهة الالباء ص١٦٢ ومعجم الادباء جـ٦ ص٢٨٠ وتاريخ بغداد جـ١ ص٣٣٥ وبغية الوعاة ص٨
(١٢) معجم الادباء جـ٦ ص٢٨٠ وبغية الوعاة ص٨
(١٣) مراتب النحويين ص٨٨ ومعجم الادباء جـ٦ ص٢٨١
(١٤) معجم الادباء جـ٦ ص٢٨١
(١٥) انظر نزهة الالباء ص١٦٢ وتاريخ بغداد جـ١ ص٣٣٥
(١٦) انظر معجم الادباء جـ٦ ص١٨١ وبغية الوعاة ص٨ ومرآة الجنان لليافعي ٢/٢٣٦ .
(١٧) معجم الادباء جـ٦ ص٢٨١
(١٨) جـ٢ ص١٧١ الترجمة العربية
(١٩) جـ١ ص٧٠

(٢٠) هدية العارفين جـ١ ص٥٤
(٢١) هدية العارفين جـ٢ ص٢٣
(٢٢) تحقيق سعيد عبدالكريم انظر النسخة المطبوعة على الالة الكاتبة في كلية الاداب ص٧٤



الصفحة الاولى من المجموع



الصفحة الاولى من الموفقي

الصفحة الثانية من الموفقي

الصفحة الاخيرة من الموفقي

« قال ابو الحسن بن كيسان : الفعل ما كان مذكورا لاحد زمانين ما مضى وما يستقبل او احدهما وهو الحال » ويوجد في الموفقي ما يشبه هذا التقسيم قال « والفعل ما كان مشتقا من احداث الاسماء ، مبنيا لما مضى من الزمان ، وما يستقبل وما هو في حال الحديث به نحو قام يقوم وعلم يعلم » (٢٣)

٣ ـ ذكرت كتب الطبقات النحوية ان ابن كيسان خلط المذهبين البصري والكوفي واخذ عن الفريقين وانه كان يحفظ المذهبين لانه اخذ عن ابي العباس المبرد وابي العباس ثعلب ولو تتبعنا المصطلح النحوي الكوفي والاقوال الكوفية في هذا الكتاب لوجدنا من ذلك شيئا ليس قليلا وقد اشرنا في هوامش الكتاب الى كل مصطلح او راي للكوفيين .

وصف المخطوطة :

النسخة المخطوطة لهذا الكتاب عثر عليها في اوائل سنة ١٩٥٨ بمدينة تمفروت في جنوب المغرب الاقصى . ويقع المخطوط ضمن مجموع يضم عشرة كتب مختصرة في اللغة والنحو والعروض . ويوجد هذا المجموع الان في مكتبة الخزانة العامة بالرباط تحت رقم ١٢٧ .

وقد كتب في الصفحة الاولى من المجموع ما ياتي « في هذه المجلدة عشرة كتب مختارة في النحو » وهذه الكتب بحسب تسلسلها هي :

١ ـ الكتاب الموجز في النحو لابن السراج
٢ ـ كتاب الموفقي في النحو لابن كيسان
٣ ـ كتاب الكتاب لابن درستويه
٤ ـ كتاب النحو لابي علي المعروف بلغدة
٥ ـ كتاب الهجاء لابن السراج
٦ ـ كتاب الياء على حروف الهجاء لابن درستويه
٧ ـ كتاب المذكر والمؤنث للمفضل بن سلمة
٨ ـ المقصور والممدود لغلام ثعلب
٩ ـ كتاب العروض لابن السراج
١٠ ـ كتاب القوافي لابي القاسم التميمي

وقد كتب فوق الفهرست هذه العبارة « عورض بالفهرست سنة ٥٨١ .

وكتاب الموفقي في النحو لابن كيسان هو الكتاب الثاني من هذا المجموع وان ناسخ المجموع كله شخص واحد ذكر اسمه في الصفحة الاولى وهو « ابو محمد عبدالملك بن طاهر ».

ولم نستطع ان نحصل على تاريخ نسخ الموفقي ولم تسعفنا الكتابات الموجودة في الصفحة الاولى من المخطوط ولا الكتابات الموجودة في خاتمة كل مصنف على ضبط ذلك التاريخ .

والذي نستطيع قوله ان كتاب الموفقي نسخ قبل نهاية القرن الخامس الهجري لاننا وجدنا في نهاية كتاب الياء لابن درستويه ـ وهو الكتاب السادس ـ ما نصه « كتبه في المحرم سنة احدى وخمسمائة ابو محمد عبدالملك بن طاهر . ولما كان الموفقي الكتاب الثاني من المجموع فمعنى ذلك انه نسخ قبل ذلك التاريخ .

والمجموع كله ـ بما في ذلك الموفقي ـ مكتوب على ورق ابيض يميل الى الصفرة . والخط المستعمل هو النسخي الشرقي المشكول . وهو واضح في اغلب الاحيان الا ان الناسخ كان يهمل النقط او يسيء استعماله ، فقد لوحظ انه كثيرا ما يقلب ياء المضارعة تاء والتاء ياء . وقد صحف الناسخ كثيرا من الكلمات فاجتهدنا في تصحيحها وقد اشرنا الى كل ذلك في مواضعه . وقد وقع سقط ليس بالكثير ذكرناه واشرنا اليه على انه مما يقتضيه السياق معتمدين في ذلك على ما تقدم وما تاخر من الالفاظ .

وقد ذكرت على هامش الصفحات بخط مخالف لخط النص تصحيحات وزيادات يصعب قراءتها .

اما الصفحة الاولى من الموفقي فلم نجد فيها غير العنوان واسم المؤلف وعبارة يتيمة موجودة تحت اسم الكتاب واسم المؤلف وهذه العبارة هي « ابن الشعار » وقد ذكرت ايضا في الصفحة الاولى من المجموع ولا ندري ما المقصود بها بالضبط فقد يكون هذا الرجل احد مالكي هذا الكتاب او احد مصححيه ولكن لا يمكن الجزم بذلك .

والمخطوطة مؤلفة من اثنتي عشرة ورقة او ثلاث وعشرين صفحة ، طول كل واحدة ٢٠ سم وعرضها ١٥ سم على وجه التقريب وعدد السطور يتراوح بين ١٨ و ٢٣ سطرا ويحتوي كل سطر على ٢٢ كلمة تقريبا .

عملنا في التحقيق :

١ ـ لما كان اعتمادنا في تحقيق هذا الكتاب على نسخة فريدة لا اخت لها في المكتبات المفهرسة في العالم ، فقد اجتهدنا في ضبط النص على الوجه الاكمل ، وصححنا الاخطاء الاملائية واشرنا الى ما سقط من الكلمات اثناء النسخ وصححنا ما وقع في الكتاب من تصحيف وقد اشرنا الى كل ذلك في هوامش الكتاب .

٢ ـ نبهنا على المصطلحات والاقوال الكوفية التي وردت في النص على اعتبار ان ابن كيسان كان ممن يميلون الى المذهب الكوفي .

٣ ـ قمنا بشرح قسم من المسائل النحوية او الصرفية التي شعرنا بغموضها على القارئ واستدركنا شيئا يسيرا على المسائل النحوية والصرفية التي نعتقد انها تحتاج الى اضافة علمية حتى تظهر بالصورة المطلوبة .

٤ ـ خرجنا قسما من النصوص التي نقلها ابن كيسان مع انه لم يشر الى ذلك ـ وارشدنا الى اماكنها في كتب الاقدمين .

٥ ـ قمنا بتقسيم الابواب الكبيرة الى ابواب فرعية بحسب ما يحتويه كل باب من موضوعات .

٦ ـ وضعنا فهرسا للموضوعات في آخر الكتاب بينا فيه الابواب الرئيسة والابواب الفرعية .

---

(٢٣) انظر الصفحة الاولى من الكتاب

كتاب الموفقي في النحو

تاليـف

ابي الحسن محمد بن احمد كيسان

المتوفى سنة ٢٩٩ هـ

بســـــــم الله الرحمن الرحيم

قال ابو الحسن احمد بن محمد كيسان(١) : قال لي ابن حسّان(٢) : طلب الموفق(٣) شيئا من مختصرات النحو فعمل له غير كتاب . قال ابو الحسن : فعملت أنا عند ذلك هذا الكتاب .

قال : الكلام(٤) ينقسم ثلاثة اقسام وهي : اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل .

فالاسم ما وضع لشيء ليفصل بينه وبين غيره من المسميات ، وصلح ان يكون فاعلا ومفعـــولا ومضافا اليه ، وذلك نحو رجل وفرس وزيد .

والفعل ما كان مشتقا من احداث الاسماء ، مبنيا لما مضى من الزمان ، وما يستقبل ، وما هو في حال الحديث به (٥) ، نحو قام يقوم وعلم يعلم .

وحروف المعاني ما لم يكن اسما ولا فعلا ، ولكن يتعلق بأحدهما نحو . إنّ وليت وفي ومن ولم ولن وما اشبه ذلك .

وليس يعرب من الكلام شيء الا الاسم المتمكن والفعل المستقبل الذي في اوله ياء أو تاء أو نون او الف ، نحو : انا اذهب وانت تذهب وهو يذهب ونحن نذهب ، وسائر(٦) الكلام مبني لا تتغير حركاته ولا يزول آخره .

والاعراب يلزم اواخر الاسماء والافعال ، وهو الرفع والنصب والخفض والجزم . فاعراب الاسماء رفع ونصب وجر . واعراب الافعال نصب ورفـــع وجزم وليس في الاســـماء جزم ولا في الافعـــال خفض(٧) .

باب معرفة الرفع

فالرفع في الاسماء والافعال يكون باربعـــة اشياء ، بالضمة والواو والالف والنون .

فاما الضمة ففي اكثر الاسماء والافعال نحو زيد وعمرو وصاحبك ورجال ويقوم ويعلم .

واما الواو فتكون في خمسة اسماء مضافة ، وفي الجمع الذي على هجائين(٨) ، ولا يكون في شيء غير ذلك .

فاما الاسماء الخمسة فهي ابو زيد وأخو محمد وفو عمرو وحمو خالد وذو مال (٩) .

واما الجمع الذي على هجائين فقـــولك : المسلمون والزيدون والصالحون والقائمـــون (١٠) . وانما سمي جمعا على هجائين لانه في الرفع بالواو وفي الخفض والنصب بالياء ، تقول بنون وبنين وعشرون وعشرين .

واما الرفع في الاثنين فعلامته الألف « و »(١١) لا يكون في شيء غير ذلك نحو قولك : رجلان وغلامان والعمران والزيدان .

واما النون فيكون في خمسة امثلة من الافعال المستقبلة ، ولا يكون في شيء غير ذلك وهو قولـــك للمراة : انت تفعلين وانتما تفعلان وهما يفعلان وانتم تفعلون وهم يفعلون ، علامة الرفع ثبات النون ، لا يكون الرفع بشيء غير ما ذكرنا .

---

(١) المعروف انه محمد بن احمد كيسان

(٢) لم نتوصل الى معرفة هذا الرجل

(٣) هو ابو احمد الموفق . واسمه طلحة ، اخو الخليفة المعتمد على الله وابن الخليفة المتوكل وقد عينه اخوه قائدا له لمحاربة صاحب الزنج يوم الخميس سنة ٢٥٨هـ وقد كان الموفق الحاكم الحقيقي للدولة لان امـــور الدولة كانت بيده بعد ان ضعف شأن أخيه فحبسه وحجر عليه ومات الموفق سنة ٢٧٨هـ عن ٤٩ سـنة وخلفه ابنه المتضد . (انظر مروج الذهـــب جـ٢ ص٤٧٢-٤٩٣)

(٤) في كتاب سيبويه الكلم بدل الكلام فقد جاء في الكتاب « فالكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل » جـ١ ص٢

(٥) جاء في كتاب سيبويه جـ١ ص٢ « واما الفعل فأمثلة اخذت من لفظ احداث الاسماء وبنيت لما مضى ولما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع »

(٦) في الاصل « سابر » والصواب ما أثبتناه

(٧) الخفض مصطلح كوفي . جاء في مدرسة الكوفة ص٣٥٦ « ويريد به الكوفيون ما يريد البصريون بالجـــر . والخفض ليس من وضع الكوفيين ولا الجر من وضـــع البصريين وانما هما مقتبسان من اوضاع الخليـــل ومصطلحاته الا ان الكوفيين توســـعوا في الخفـــض فاستعملوه في الكلمات المنونة وغير المنونة بعد ان كان الخليل لا يستعمله الا في المنون » وقد تكرر هـــذا المصطلح في هذا الكتاب في مواضع كثيرة

(٨) يقصد جمع المذكر السالم والملحق به

(٩) يضاف اسم سادس وهو « هنو »

(١٠) في الاصل « قايمون » والصواب ما أثبتناه

(١١) زيادة يقتضيها السياق

باب معرفة النصب

واما النصب في الاسماء والافعال فيكون خمسة أشياء ، بالفتح والالف والياء والكسر وبحذف النون .

والفتح يكون في اكثر الكلام(١٢) نحو قولك : رايت زيدا وعمرا وعبدالله .

واما الالف ففي الاسماء الخمسة التي رفعها بالواو ، نحو (١٣) قولك رأيت ابا عمرو واخا زيد وفا محمد وحما خالد وذا مال .

واما الياء ففي الاثنين ، والجمع الذي على هجائين نحو قولك رايت رجلين وغلامين والزيدين والعمرين . وكذلك الجمع رايت مسلمين وقائمين (١٤) وصالحين .

واما الكسر فيكون في جمع التانيث اذا زيد في آخر الاسم الالف والتاء ، [و] (١٥) لا يكون الكسر علامة النصب الا في هذه التاء ، وذلك قولك رايت مسلمات وصالحات والهندات والاخوات ، تكسر التاء في النصب .

واما حذف النون ففي الامثلة /٣ التي علامة الرفع فيها ثبات النون (١٦) نحو قولك : لن تفعلي ولن تفعلا ولن يفعلا ولن تفعلوا ، [و] سقوط النون علامة النصب ، [و] لا يكون النصب في شيء من الكلام الا بما ذكرنا .

باب معرفة الخفض

واما الخفض فيكون بثلاثة اشياء ، بالكسر وبالياء وبالفتح ، فالكسر في اكثر الكلام نحو قولك مررت برجل وبعمرو وبرجال .

واما الياء ففي الاسماء الخمسة التي رفعها بالواو ونصبها بالالف وخفضها بالياء نحو قولك مررت بأبي حفص واخي محمد وفي زيد وحمي عمرو وذي مال . ويكون في الاثنين والجمع الذي على هجائين مثل النصب سواء نحو قولك : مررت برجلين وغلامين ومسلمِين وصالحِين ، يستوى النصب والخفض في الاثنين والجمع الذي على هجائين والجمع المؤنث الذي في آخره الف وتاء . والباب للنصب والخفض مقرون اليه ليس بينهما في اللفظ فرق نحو قولك رايت رجلين ومررت برجلين ورأيت الهندات ومررت بالهندات .

واما الفتح فيكون فيما لا ينصرف من الاسماء فان الاسماء التي لا تنصرف خفضها كنصبها بالفتح بغير تنوين وسنذكرها بعد هذا الموضع ان شاء الله ، [و] (١٧) لا يكون الخفض بغير ما ذكرنا .

باب معرفة الجزم

واما الجزم فيكون بالتسكين ويكون بالحذف .

فأما التسكين ففيما كان آخره مضموما في الرفع نحو قولك : هو يذهب فتقول لم يذهب فتسكن الباء .

واما الحذف فأن يكون آخر المستقبل ياء او واوا او الفا ، فتسكن في الرفع ويحذف في الجزم وذلك قولك يقضي ويمشي ويغزو ويدعو(١٨) ويخشى ويرضى تقول اذا جزمت لم يغز ولم يقض ولم يرض تحذف الياء والواو والالف .

ويكون الجزم ايضا بحذف النون التي تكون علامة للرفع فيستوي النصب والجزم في الافعال كما يستوي النصب والخفض فيالاسماء وذلك قولك لم تفعلي ولن تفعلي ولم تفعلا ولن تفعلا ولم تفعلوا ولن تفعلوا [و] (١٩) سقوط النون علامة الجزم ولا يكون الجزم بغير ما ذكرنا .

باب ما يتبع الاعراب

يتبع اعراب الاسماء التنوين ليكون فصلا بين اعراب الاسم واعراب الفعل نحو قولك زيدٌ وزيدٍ وزيداً ، فيوقف على المنصوب اذا كان منونا(٢٠) بالالف نحو قولك رأيت زيدا ، ولا يوقف على المرفوع بالواو لثقلها ، ولا يوقف على المخفوض بالياء لئلا يلتبس بانه مضاف الى المتكلم (٢١) .

---

(١٢) في الاصل « والفتح يكون في اول الكلام واكثرها » وربما كان في هذه العبارة زيادة ليست منها في الاصل او وهم وقع فيه الناسخ ولعل العبارة هي ما اثبتناه حملا على قوله في « باب معرفة الخفض » : « فالكسر في اكثر الكلام » .

(١٣) في الاصل » ونحو « فالواو زائدة على ما نرى

(١٤) في الاصل « قايمين » والصواب ما اثبتناه

(١٥) زيادة يقتضيها السياق وقد زدنا الواو هذه في عدة مواضع ووضعناها بين قوسين معكوفين .

(١٦) وتسمى الافعال الخمسة

(١٧) زيادة يقتضيها السياق

(١٨) في الاصل « يغزوا ويدعوا »

(١٩) زيادة يقتضيها السياق

(٢٠) في الاصل « مؤننا » والصواب ما اثبتناه

(٢١) اي ان الوقف على المرفوع بالواو – ويقصد به جمع المذكر السالم والملحق به – ثقيل لثقل الواو . وان ←

والنون في الاثنين والجمع الذي على هجائين عوض من التنوين الذي في الواحد ولا يسقط الا في الاضافة نحو غلاما زيد وغلاما عمرو وغلامي بكر وبنو زيد وبني عمرو .

والتنوين ايضا يسقط في الاضافة ومع الالف واللام نحو قولك عبدالله والغلام . والتنوين ساكن [و] (٢٢) نون الاثنين مكسورة ابدا لسكون ما قبلها ونون الجميع مفتوحة ابدا لئلا يشبه نون الاثنين ، فاذا كان الجمع على واحد ثبتت في كل شيء وجرت بالاعراب نحو البساتين والمساكين .

باب معرفة الافعال وما يعتريها

والافعال تكون ماضية فتبنى على الفتح نحو قام وذهب وعلم فاذا ثبتت (٢٣) ثبتت على الوقف (٢٤) نحو ذهبت وعلمت كرهوا كثرة الحركات فاسكنوها .

وتكون مستقبلة فتجرى بالرفع والنصب والجزم/ نحو يقوم ويعلم ويذهب ويقبل فهو رفع ابدا حتى يدخل عليها حروف النصب والجزم .

وحروف النصب التي تنصب الافعال المستقبلة هي ان ولن وحتى وإذن وكي وكيلا وكيما ولام كي ولام الجحد ولأن ولئلا وان لا وحتى لا : وتنصب بالفاء اذا كانت جوابا للامر والنهي والدعاء والاستفهام والجحد والتمني والعرض . وتنصب بالواو وثم واو على الصرف (٢٥) .

باب الحروف التي تجزم الافعال المستقبلة (٢٦)

وهي لم ولما والامر باللام والنهي بلا وتجزم بحروف الجزاء وهي إن ومن وما واي ومهما ومهمن ومتى ومتى ما واين واينما وحيث ما وكيفما واذ ما واي [ما] (٢٧) .

وتجزم بغير حروف اذا كانت (٢٨) جوابا للجزاء وجوابا للامر والنهي والدعاء والتمني والعرض والاستفهام .

والفعل لا يثنى ولا يجمع اذا كان متقدما على الاسماء ويثنى ويجمع اذا تأخر واضمر فيه الاسم ، وانما يثنى الضمير الذي فيه ، وتثنية الضمير بالالف وجمعه بالواو في المذكر وبالنون في المؤنث وذلك قولك علما ويعلمان وعلمتا وتعلمان ، الالف علامة تثنية الاضمار ، والنون في المستقبل علامة الرفع .

وتقول في الجمع علموا ويعلمون وللنساء علمن ويعلمن [و] (٢٩) نون التأنيث لا تسقط في شيء من الإعراب تقول هن يعلمن ولم يعلمن ولن يعلمن ، تثبت النون لانها علامة الجمع وليست علامة للرفع وهذا الفعل مبني لا يتغير .

وان شئت ثنيت الفعل وجمعته مقدما فجعلت التثنية والجمع علامة لما يقع بعده وذلك يجوز في الشعر فتقول قاما أخواك وقاموا اخوتك مثل قولهم اكلوني البراغيث (٣٠) .

والاسم المبني على الفعل يجري مجرى الاسماء في الاعراب ومجرى الفعل في المعنى ويسميه الكوفيون الفعل الدائم (٣١) وذلك قولك قائم وضارب وعالم ، فمن اجراه على اللفظ فله حكم الاسماء ومن حمله على المعنى وحده قبل الاسماء وثناه وجمعه مؤخرا ، وحكمه حكم الاسماء في الاعراب على كل حال والاختيار جمعه وتثنيته في التقديم (٣٢)

باب معرفة اقسام المعاني في الكلام

الكلام ينقسم اربعة اقسام في المعاني وهي الخبر والاستخبار ، والاستخبار الاستفهام ، والنداء هو الدعاء . والطلب هو (٣٣) الامر والنهي .

---

(٢٢) زيادة يقتضيها السياق
(٢٣) في الاصل « ثبت » بتاء واحدة
(٢٤) أي « بنيت » على السكون لكثرة الحركات .
(٢٥) احرف الصرف ويطلقها الكوفيون على الواو والفاء واو التي تنصب الفعل المضارع بعدها مسبوقة بنفي أو طلب وهي الناصبة للفعل المضارع عند جمهور الكوفيين اما عند الفراء فالناصب لهذا الفعل هو الصرف اي الخلاف ، مدرسة الكوفة ص٣٥١
(٢٦) الافعال المضارعة
(٢٧) زيادة يقتضيها السياق لانها لو لم تكن كذلك لكانت أي مكررة
(٢٨) في الاصل « كان » ويقصد بها الافعال المضارعة التي قد تقع جوابا للطلب فتكون مجزومة .
(٢٩) زيادة يقتضيها السياق
(٣٠) لغة بلحرث من كعب
(٣١) ويريد به الكوفيون ما يريد به البصريون باسم الفاعل
(٣٢) اذا جمع او ثنى اسم الفاعل وقدم فانه يكون خبرا مقدما وما بعده مبتدأ مؤخرا الا اذا كان ذلك على لغة اكلوني البراغيث اذ يكون الاسم المتأخر فاعلا وما اتصل باسم الفاعل علامة له .
(٣٣) في الاصل « والامر » والصواب ما اثبتناه فلو كانت الواو في موضعها لزادت الاقسام على اربعة والكلام عنده ينقسم الى المعاني التالية « الخبر والاستخبار والنداء والطلب »

والخبر أوسعها تصرفا ولا يكون الخبر الا باسم يقرن به حديث ، وحديث الاسم احد اربعة اشياء وهي : اسم او ظرف او فعل او جملة فيها ذكر الاسم المحدث عنه . والجملة هي اسم ثان ومعه خبره وهما جميعا خبر للأول . فاذا كان الحديث عن الاسم اسما فالاسمان مرفوعان وبهما تقع الفائدة وذلك قولك : الله الهنا ومحمد نبينا ، وزيد اخوك ، الاول يرتفع بالابتداء والثاني خبر الابتداء يرتفع بالاول ، وبعضهم يقول ارتفع هذا بهذا وهذا بهذا (٢٤) . وكذلك التثنية والجمع : الزيدان عالمان والزيدون عالمون .

واذا كان الحديث عن الاسم فعلا وجد مقدما (٢٥) وجاء على عدد الاسماء متاخرا(٢٦) وذلك قولك قام زيد وقام الزيدان وقام الزيدون ويقوم عمرو ويقوم العمران ويقوم العمرون وزيد قام والزيدان قاما والزيدون قاموا وعمرو يقوم والعمران يقومان والعمرون يقومون اذا تقدم الفعل وفيه ارتفع الاسم ولا ذكر فيه من الاسم ، واذا تأخر(٢٧) فالاسم رفع بالابتداء والفعل خبر عنه وثني الفعل وجمع للذكر(٢٨) الذي فيه من الاسم اي فيه ضمير الاسم .

ومالم يسم فاعله يجري مجرى الفاعل ويصير الفعل حديثا عنه وذلك قولك ضرب عمرو وضرب /٥ العمران وضرب العمرون ويضرب الزيدان ويضرب الزيدون ، والزيدان ضربا والزيدون ضربوا والعمران يضربان والعمرون يضربون .

واذا كان الحديث عن الاسم ظرفا كان الاسم مرفوعا وكان الظرف منصوبا والظرف موجد في تقدمه وتأخره وذلك قولك خلفك زيد وخلفك الزيدان وخلفك الزيدون ، والزيدان خلفك والعمران قدامك ، الاسم مرتفع بالابتداء والظرف خبره وهو نصب باضمار فعل المعنى ثبت خلفك زيد واستقر قدامك زيد (٢٩) .

(٢٤) هو قول الكوفيين : فقد جاء في الانصاف – المسألة الخامسة – ما يأتي « انما قلنا ان المبتدا يرتفع بالخبر والخبر يرتفع بالمبتدا لانا وجدنا المبتدا لابد له من خبر والخبر لابد له من مبتدأ ولا ينفك احدهما من الاخر ولا يتم الكلام الا بهما »

(٢٥) تكون الجملة من باب الفعل والفاعل

(٢٦) تكون الجملة من باب المبتدا والخبر

(٢٧) أي الفعل .

(٢٨) يقصد الضمير العائد

(٢٩) اذا كان ذلك من قبيل الاخبار بالجملة اما اذا كان ذلك من قبيل الاخبار بالمفرد فيكون التقدير « كائن او مستقر »

واذا كان حديث الاسم جملة كان الاسم مرفوعا بالابتداء والجملة اسم مضموم اليه حديث ، وهو وحديثه حديث عن الاسم المقدم وذلك قولك : زيد ماله كثير ، فماله كثير جملة وهما جميعا خبر زيد ، وكذلك زيد قام ابوه فهذا الخبر : ولا يكون الخبر مفيدا بأقل من هذا . ويتعلق به اشياء نذكرها في موضعها .

والاستخبار كالخبر الا انه لا يتم الا باسم وحديث وله حروف نذكرها في موضعها ان شاء الله .

والنداء يكون على اربعة اوجه ، وجهان منها مرفوعان . ووجهان منصوبان .

فكل اسم مفرد وليس بمضاف فهو رفع بغير تنوين . نحو يازيد ياعمرو ويازيدان ياعمران [و] (٤٠) يازيدون ياعمرون .

واذا كان قبله ياأيها فهو رفع وذلك نداء ما كانت فيه الف ولام نحو ياأيها الرجل وياأيتها المرأة .

وكل مضاف فهو نصب في النداء نحو ياعبدالله وياصاحب الفرس وياغلامي زيد .

وكل(٤١) نكرة موصوفة فهي نصب بالتنوين يارجلاً عالماً ويارجلاً في الدار وياقوماً صالحين ، ونعت المنادي يتبعه الا أن تنعت مفردا بمضاف فانك تنصب المضاف ولا يجوز غيره . وان شئت نصبت النعت فيه كله وذلك قولك ياعبدالله الظريفُ ويازيد الظريفُ . وان شئت الظريف بالنصب : ويازيد ذو الجمة (٤٢) لا غير لانه مضاف .

وفي النداء الندبة وهو قولك وازيداه واعمراه .

وفيه الترخيم وهو حذف من آخر الاسم تقول ياحارِ تريد ياحارث ، وياطلحَ تريد ياطلحة .

والطلب على ثلاثة اوجه فمنه امر ومسألة ودعاء .

فالامر لمن هو دونك . والمسألة لمن أنتدونه . والدعاء لله تبارك وتعالى تقول : ياغلام قم امر . وياأيها الامير اجزني وهب لي مسألة ، وياالله اغفر

(٤٠) زيادة يقتضيها السياق

(٤١) في الاصل « فكل » والصواب ما أثبتناه لان الفاء لا معنى لها هنا ولان المعنى جديد لا علاقة له بالكلام السابق

(٤٢) في الاصل « الجمة » فقط وهو يتحدث عن النعت اذا كان مضافا

لي ارحمني وهو جزم ، ويجمعه الطلب الا انــه فرّق بالاسماء لاختلافه فقيل امرت غلامي وسألت الامير ودعوت الله وسألته ايضا جائز (٤٣) قال : « وسألوا الله من فضله » (٤٤) ، وانما سمي دعاء لانه يقال بالله أفعل واليه أدعى

باب ما يوجب الرفع

الفاعل رفع وما لم يسم فاعله رفع، والابتداء رفع وخبر الابتداء رفع اذا كان اسـما ، وخبر إنّ واخواتها رفع ، ويجمع ذلك كله ان يكون الاسـم مقرونا بحديثه فيوجب ذلك له الرفع .

والحروف التي ترفع ايضا حبذا ولولا(٤٥) ونعم وبئس ونعما وبئسما . كل شيء يقع بعد هذه الحروف رفع .

ومما يرفع وهو خبر ، الاسم اين ومتى وكم وما وكيف والظرف .

باب ما يوجب النصب

كل منصوب فهو مشبه بالمفعول به وهــو مدخل في حديث المرفوع . فالفعل اذا رفع الاسم نصب /٦ خمسة اشياء وهي : المفعول به والمصدر والوقت (٤٦) والظرف والحال .

فالمفعول نحو اخذ زيد مالا واعطى عمـرو خالدا ثوبا .

والمصدر نحو ضرب عبدالله زيداضربا شديدا، وقام خالد قياما وجلس جلسة . المصدر ما كان الفعل مشتقا من لفظه .

والوقت نحو قامزيد يوما وسار عمرو شهرا.
والظرف نحو جلس عبدالله امامك وقـام مكانا واسعا .

والحال نحو خرج زيد راكبا وسار عمـرو متوجها ومضى الرجل ضاحكا .

وكل منصوب بالفعل (٤٧) يقع مقدما ومؤخرا قبل الفاعل وقبل الفعل كقولك اخذ المال زيـد والدار سكن عمرو .

وينتصب بغير الفعل التميز وهو ان يكون الشيء يحتمل انواعا فتميزه بنوع منها فتجيىء به منصوبا كقولك عشرون درهما ، وعنده منوان ذهبا، وهو اكثر الناس مالا ، لان العشرين يحتمل ان يكون من انواع كثيرة ، فاذا ميزت بنوع كان ذلـك منصوبا .

والاستثناء نصب وله حروف نذكرها

والمتعجب منه منصوب وذلك قولك ما احسن زيدا وهو على هذا اللفظ ابدا .

والنداء المضاف نصب وكذلك النكرة المنعوتة منصوبة في النداء .

واسم ان واخواتها منصوب .

وخبر الظن واخواته منصوب ايضا

وما كان في موضع الفعل فهو منصوب ايضا كقولك زيد قياما وقعودا اي يقوم قيامـا ، [ويقعد قعودا] (٤٨) ، وضربا ضربا أي اضربضربا، وسقيا له يعني سقاه الله سقيا .

والنكرة تنصب(٤٩) بلا تنوين كقولك لا رجل في الـدار .

باب ما يوجب الخفض

الخفض بالاضافة وهو اضافة اسم الى اسم بمعنى اللام او من كقولك هذا غلام زيد اي غلام لزيد ، وهذا ثوب خز اي ثوب من خز ، وبختمها بالياء أن تقول غلامي وثوبي ، فاذا وضعت موضـع الياء اسما كان مخفوضا .

وللخفض حروف تحفظ ، بعضـها ظـروف وبعضها اسماء وبعضها حروف معان وذلك : من والى وعن وفي ومع(٥٠) والباء والكاف واللام وواو القسم فهذه حروف معان . والظــروف نحو ، على(٥١) ولدن ولدى وبين وسوى وخلف وقدام وامام

---

(٤٣) في الاصل « جايز » والصواب ما ذكرناه

(٤٤) سورة النساء ٣٢

(٤٥) ذهب الكوفيون الى الرفع بلولا لانهم كانوا يرون ان الاداة تعمل اذا كانت مختصة ولولا مختصة بالاسماء فينبغي اعمالها ... » مدرسة الكوفة ص٣٣٢

(٤٦) يطلق ابن كيسان الظرف على ما كان للمكان فقط لانه يسمي ظرف الزمان (الوقت)

(٤٧) في الاصل « فالفعل » والصواب ما ذكرناه

(٤٨) زيادة يقتضيها السياق

(٤٩) يقصد اسم لا النافية للجنس اذا كان مفردا ويستعمل مصطلح النصب للبناء لان « الرفع والنصب والجزم عند الكوفيين للمعرب والمبني ولحالات اواخر الكلمـات وغيرها » انظر مدرسة الكوفة ص٣٦٠

(٥٠) يعدها آخرون ظرف مكان او زمان .

(٥١) يعدها اخرون حرف جر

وفجأة وقبالة واذا وحذاء ووراء وتلقاء ووسْط ووسَط وفوق وتحت واسفل واعلى وقبلُ وبعدُ وبعدَ ونحو ودونَ . فهذه اسماء تسمى الظروف ، وبعضهم (٥٢) يسميها الصفات وهي منصوبة اذا كانت خبرا او متصلة بخبر (٥٣) لقولك زيد خلفك وامامك وقام زيد عندك وقدامك .

واما الاسماء التي تضاف فتعد في حروف الخفض وهي غير وكل واي ومثلُ ومَثَل وبدل وبعض وذو وذات وذوا وذواتا وذَو'و(٥٤) وذوات واولو واولات وسنى وقُرْب وشِبَه وشبيه ولِدة وقَرَن وقِرْنَ وعِدْل وكلا وكلتا واجل واجْل وجَرَّى وبيدَ بمعنى غير ومالم اكتبه فان قياسه ان يعتبره المتكلم بأن يضيفه الى نفسه فان كان له بزيادة ياء على آخره كان مما يخفض غيره كقولك هذه داري/٧ وهذه دار زيد ومثلي ومثل زيد وقعد عندي وقعد عند اخوتك وهذا صاحبي وصاحب العمرين ، يقاس على هذا الرفع والنصب والخفض في كل كلام ان شاء الله .

باب ما يتبع الاسماء فيكون معربا بمثل اعرابها تابعا لالفاظها

اعلم انه يتبع في اعرابه النعت (٥٥) والتوكيد والبدل والنسق (٥٦) .

[النعت]

فالنعت يكون على اربعة اوجه، يكون خلقة(٥٧) لازمة مثل الطويل والقصير والحسن والقبيح والاصفر والاحمر ، ويكون من فعل مشهور نحو العاقل والظريف والكريم والشريف والجاهل والغني ، ويكون نسبا نحو القرشي والعربي والاعجمي والنبطي ، ويكون حرفة وصناعة نحو الوزان والبزاز والعطار . فهذه النعوت تتبع بالالف واللام وتتبع النكرة بغير الف ولا لام نحو جاءني زيد العاقل ورايت زيدا العاقل ، ومررت بزيد العاقل ، وجاءني رجل عاقل ورايت رجلا عاقلا ومررت برجل عاقل. فاذا خالفت النكرة بعد المعرفة نصبته على الحال تقول جاء زيد عاقلا ومررت بزيد عاقلا ، ورايت زيدا عاقلا .

نعت النكرة حال من المعرفة والحال في كل حال منصوبة ، وان قدمت نعت النكرة قبلها نصبته على الحال كقولك جاءني عاقلا رجل ، وان قدمت نعت المعرفة كان اسما ، وكان الاسم بدلا منه كقولك جاءني الظريف زيد .

[التوكيد]

واما التوكيد فيكون بأربعة اشياء : النفس والعين وكل واجمع ، تقول جاءني زيد نفسه وجاءني عمرو عينه ، وجاءني القوم كلهم وجاءني اصحابك اجمعون . وتتبع اجمعين واكتعين ابْصعون وأبتعون . وللنساء جمع وكُتع وبُصع وبتع وفي التثنية جاءني المحمدان انفسهما وكلاهما وعينهما . وكلا في الاثنين بمنزلة كل في الجميع .

والتوكيد يتبع المعرفة ولا يتبع النكرة الا ان تكون متبعضة موفية فتؤكد بكل واجمع نحو قمت يوما اجمع واخذت مالا كله .

[البدل]

واما البدل فهو اجراء الاسم على الاسم يتبع الثاني الاول ويكون على أربعة اوجه ، يكون الثاني هو الاول تقول جاءني زيد وكلمني عمرو ابو محمد(٥٨) الثاني بدل من الاول وهو هو . ويكون الثاني بعض الاول كقولك لقيني القوم بعضهم ورايت اصحابك اكثرهم وجاءني الزيدون طائفة منهم وهو مصدر تبدله من اسم كقولك عجبت من زيد أمره وحديثه وعجبت من اصحابك مجيئهم وذهابهم .

ويكون البدل غلطا كقولك مررت بزيدٍ عمروٍ، تريد بل عمرو فعلى هذا يجري البدل ويكون بمنزلة التوكيد للاول كقولك رايت القوم صغيرهم وكبيرهم واسودهم واحمرهم واحسنهم .

[النسق]

واما النسق فانه يعطف على ما قبله بخمسة احرف : الواو والفاء وثم وأو ولا كقولك جاءني زيد

---

(٥٢) هم الكوفيون اذ يسمون الظرف صفة سواء كان ظرفا زمانيا أم ظرفا مكانيا .

(٥٣) اي ان الظرف متعلق بمحذوف هو الخبر وهذا المحذوف اما ان يقدر بمفرد والتقدير « كائن » او بجملة والتقدير « استقر » .

(٥٤) في الاصل « ذو » بواو واحدة

(٥٥) مصطلح كوفي وربما قال به بعض البصريين ويقابله عند البصريين الصفة والوصف . انظر الهوامع جـ٢ ص١١٦ ومدرسة الكوفة ص٣٥٩

(٥٦) عبارة كوفية يقابلها عند البصريين العطف بالحرف كالواو والفاء ولم وغيرهن .. انظر مدرسة الكوفة ص٣٦٠

(٥٧) اي صفة

(٥٨) في الاصل وابو محمد والصواب أبو محمد باسقاط الواو

وعمرو ، اردت اجتماعهما في المجيء وجاءني زيد فعمرو واخبرت ان زيدا تقدم وان عمرا كان في أثره ، وجاءني زيد ثم عمرو . وهو مثل الفاء الا ان بين مجيئهما مهلة ، وجاءني زيد لا عمرو ، اوجبت للاول المجيء ونفيت عن الثاني . فهكذا هذه الحروف في كل الكلام .

الواو : توجب الاجتماع وليس فيها دليل على السابق .

والفاء : توجب بسبق الاول /٨ واتصال الثاني بـه .

وثم : كذلك وهي اشد تراخيا من الفاء

واو : شك او تخيير يوجب احد الشيئين .

ولا : نفي يخرج الثاني مما دخل فيه الاول وهي نسق في كل الكلام ويجري مجراها في بعض المواضع .

ولكن : نسق في الجحد (٥٩) . وأم نسق في الاستفهام .

وحتى : بمنزلة الواو والفاء . وليس بمنزلة لا . واما بمنزلة او . وهذه الوجوه الاربعة النعت والتوكيد والبدل والنسق تتبع ما قبلها ان كان رفعا فهي رفع وان كان نصبا فهي نصب وان كان خفضا فهي خفض .

باب معرفة الاسماء

الاسماء تنقسم قسمين معرفة ونكرة فالمعرفة منها خمسة اشياء وهي الاسماء الاعلام وما دخلته الالف واللام ، واسماء الاضمار واسماء الاشارة . وما اضيف الى احد هذه الاربعة (٦٠) فهو معرفة .

فالاعلام مثل زيد وعمرو وابي جعفر وزينب . وما دخلته الالف واللام نحو الرجل والغلام والثوب والدار .

واما اسماء (٦١) الاضمار فهي حروف المكني (٦٢) نحو انا وانت وهو وهي واياك واياي واياه واياهما .

واما اسماء الاشارة فهذا وهذه وذلك وتلك .

واما المضاف فغلام زيد ودار الرجل وثوبه وثوبي ودار هذا . هذه المعارف .

والنكرات ما كان غيرها وهو الاسم الذي يقع على امّة(٦٣) كلها فيه سواء نحو دار وثوب ورجل وفرس . وما كان نعتا للنكرة فهو نكرة .

[المنصرف وغير المنصرف من الاسماء]

فالاسماء تكون منصرفة وغير منصرفة ، ومبنية لا تعرب .

وما لا ينصرف لا يدخله التنوين وخفضه كنصبه ، فمنه ما لا ينصرف في معرفة ولا نكرة وذلك ما كان على أفعل وانثاه على فعلاء مما هو نعت ، نحو احمر وحمراء واصفر وصفراء ، وكذلك افعل من كذا نحو اطول منك وافضل من زيد واكرم من عمرو ، وكذلك كل نعت على فعلان انثاه على فَعلى نحو سكران وسكرى وغضبان وغضبى . وكذلك كل واحد او جمع كان في آخره الف التأنيث مقصورة او ممدودة نحو حمراء وحبلى وفقهاء وعلماء واولياء واسرى وجرحى وجمادى وحبارى . وكذلك كل جمع بعد الفه حرفان او ثلاثة او حرف مشدد نحو دراهم ودنانير ودواب . هذه الاسماء لا تنصرف في معرفة ولا نكرة .

واما ما ينصرف في النكرة ولا ينصرف في المعرفة فكل اسم على بناء الفعل المستقبل نحو يزيد وتغلب ونرجس ويشكر . وكل اسم كانت فيه هاء التأنيث نحو طلحة وحمزة . وكل اسم كان مؤنثا نحو زينب وسعاد الا ان يكون على ثلاثة احرف مسكن الوسط فانه يجوز صرفه نحو هند ودعد وجُمل(٦٤) ، وان شئت لم تصرف شيئا منه . وكذلك اسماء البلدان والبقاع اذا اردت بها التأنيث . وكذلك اسماء الاعاجم نحو ابراهيم واسحق . وكل اسم كان في آخره ألف ونون

---

(٥٩) الجحد : مصطلح كوفي بمعنى النفي عند البصريين . جاء في مدرسة الكوفة ص٣٥٤ « وقد جاءت كلمة الجحد في كلام الفراء وثعلب كثيرا ولا اعلم انهما استعملا كلمة النفي »

(٦٠) لم يذكر الاسماء الموصولة ويظهر انه ادخلها في ما دخلته الالف واللام ، ولم يذكر المعرف بالنداء والذي يسمى النكرة المقصودة

(٦١) في الاصل « الاسماء » والصواب ما اثبتناه

(٦٢) يستعمل الكوفيون المكني بمعنى المضمر وهو من الاسماء المترادفة عندهم « شرح المفصل جـ٣ ص٨٤ »

(٦٣) الامة يقصد بها الجنس

(٦٤) جُمْل اسم امرأة . ولعله في الاصل جمع جمل لانها جمعت على جمال واجمال وجمل . وقيل الجمل السفينة « انظر القاموس المحيط مادة (جمل) »

زائدتان نحو عثمان وسفيان . وكل اسم عدل من فاعل الى فُعَل نحو عُمَر وزُهَر . وكل شيء عدل من العدد من واحد الى اربعة نحو مَوحـد واحاد ومَثنى وثناء ومَثلث وثُلاث ومَربع ورُباع. وكل اسم كان في أوله همزة ووافق بنـاء الفعـل المستقبل او بناء الامر نحو افعَل وإفعَل واُفعَل كقولك إربع واصبع واحمد وايهم . هـذا كـله لا ينصرف في المعرفة وينصرف في النكرة تقـول جاءني /٩ عُمَرُ ورايتُ عُمَرَ ومررت بعُمَرَ ، فاذا ادخلت فيه الالف واللام أو اضفته صار جميع ما لا ينصرف منصـرفا فقلت مررت بأحمركـم يجرى مجرى المنصرف .

[المبنى من الاسماء]

وأما ما بني ولا يُعرب فنحـوكم ومَن واين وكيف وهؤلاء وحذام وحيثُ ومنـذُ لا يتغـير آخره لانه ليس بمتمكن .

واذا كان الاسم مرفوعا ثم كنيت عنه قلت زيد قام وقلت في الكناية هو قام وانا قمت وانت قمت وهي قامت . فان كان منصوبا قلت زيدا ضربت وفي الكناية اياه ضربت واياي أردت واياك طلبت واياها أخذت ، فاذا كان بعد الفعل قلت قام، اضمرت الاسم في نفسك . فاذا اردت نفسـك قلت قمت . فاذا قلت ضربت زيدا قلت ضربته ، ولنما يجيء بهو اذا لم يقدر على الاضمار في الفعل وعلى الهاء كقولك ضربت زيدا واياه ، وجاءني زيد وهو ، وما قام الا هو ، ولا رايت الا اياه ، واين انت . فاذا قلت مررت بزيد قلت في الكناية مررت به . فاذا نسقت على المكنى قلت قمت أنا وزيد وقام هو وعمرو وقمت انت ومحمد كثرت المكنى بما يكون منفصلا من الفعل ، هكذا الاختيار في المرفوع . وان شئت حذفته فقلت قام وزيد وقمت وعمرو . وفي المنصوب تقول رايتك وعمرا ورايته واياه ، لا تحتاج ان تكثره بشيء . وان شئت قلت(٦٥) رايتك اياك وزيدا . ولك ان تقول رايتك أنت وزيدا . والوجه الا يكثر . واما المخفوض (٦٦) فتقول مررت به وبزيد فتعيد مـع الاسم الثاني الخافض فان كان الاول في معنـى نصب نصبت الثاني كقولك هذا ضاربه وزيدا وان

(٦٥) في الاصل « فقلت » والفاء زائدة على ما نرى

(٦٦) في الاصل (المخفوظ) بالظاء اخت الطاء .

كان في معنى رفع رفعت الثاني كقولك يعجبنـي ركوبه هو وزيد الفرس .

باب الابتداء بالاسماء

اذا ابتدات الاسم لتحدث عنه فلابد من أن تجيء بعده بأحد أربعة اشياء : اسم أو ظرف أو فعل أو جملة فيها تكره (٦٧) .

فاذا كان بعده اسم فهما رفعان وذلك قولك: زيد أخوك ، واذا كان بعده فعل او ظرف او جملة فهو على ما قدمت لك لا يتغير وقد فسرت هـذا الاسم المبتدأ وهو المحدث عنه ، وما بعده خبـره وحديث عنه .

فالفعل والظرف والجملة لا تتغير في شيء من الكلام عن حالها بعد المبتدأ .

وقد يدخل على حروف الاسم فيغيره ويغير خبره اذا كان اسما . فمما يدخل فينصب المبتدأ ويرفع خبره اذا كان اسما إنَّ وانَّ وليت ولعـل وكأن ولكن ، تقول ان زيدا اخوك ، وان عمـرا ابوك .

ومما يدخل على المبتدأ فيرفع الاسم وينصب الخبر اذا كان اسما : كان وامسى واصبح وظل وبات ولم يزل وما زال وصار وليس وما دام وما برح وما فتىء وما يفتأ (٦٨) ، تقول كان عبدالله عالما ، يجري اسمها مجرى الفاعل وخبره مجرى المفعول به ، ويقدم كل واحد منهما على صاحبه .

ومما يدخل /١٠ على الاسم فينصبه وينصب خبره ظننت وحسبت وزعمت ورايت وعلمـت ووجدت ونبئت وانبئت واُريت واُعلمت واُخبرت وحُدثت ، تقول ظننت عبدالله عالما وحسبت أخاك فقيها .

ومما لا يغير ما بعده ويقع قبل المبتدأ انما وكأنما ولعلما وبينا وبينما واذ واذا وهل وبل ومتى واما وان (٦٩) ولكن اذا خففت هذه الحروف تدخل على الاسماء والاخبار .

[إن واخواتها]

فأما انَّ واخواتها فان الاسم لا يفرق بينهـا

(٦٧) الذكر يعني « العائد »

(٦٨) وكذلك اضحى وما انفك

(٦٩) اذا خففت « ان » يجوز اعمالها وابطالها فاذا اعملت نصبت الاسم ورفعت الخبر واذا اهملت فانها تدخل على الاسم وعلى الفعل

وبينه بشيء الا بالظرف (٧٠) تقول ان زيدا قام ويقوم وخلفك وابوه قائم ، فتجيء بكل شيء بعد الاسم على ما كان يكون عليه في الابتداء ، وزيد مرفوع تقول : ان خلفك زيدا اذا كان معه الظرف جاز ان يقع بينه وبين ان . فان ادخلت مع ان هاء فقلت انه ضارب ، الهاء منصوب ان ، وكان ما بعدها كالمبتدا تقول انه زيد اخوك ، وانه قام زيد وهذه الهاء كناية عن الحديث . وتؤنث مع المؤنث ان شئت فقلت انها قامت هند ، وان شئت تركتها على التذكير : انه قامت هند .

[كان واخواتها]

واما كان واخواتها فهن افعال تقول كان يكون وهو كائن مثل قام يقوم فهو قائم ، فترفع هذا الاسم وتنصب خبره وتقدم احدهما على الآخر فتقول كان زيد عالما او عالما كان زيد وكان عالما زيد .

فاذا كان الخبر فعلا او ظرفا او جملة تركته على حاله في الابتداء فقلت كان زيد يقوم وقام وابوه قائم لا يتغير منه شيء الا ان تقدم الى زيد ما يصلح ان يكون خبرا له نحو قولك كان زيد قائما ابوه .

[ظن واخواتها]

واما ظننت واخواتها فهي افعال من المتكلم يوقعها على الابتداء وخبره فتجيء بالناصبة مفعولين كقولك ظننت زيدا عالما . فان وسطتها او اخرتها ضعف عملها فابطلتها ان شئت وان شئت اعملتها على ضعف ، تقول زيد ظننت عالم اذا ابطلت ظننت وزيدا عالما اذا اعملتها ، والتأخير لضعف في الاعمال تقول زيد عالم ظننت . وان ادخلت فيها الهاء ابطلتها ايضا فقلت ظننته زيد عالم يجري مجرى انه زيد عالم . وان اوقعت بعدها انّ كانت مفتوحة ونصبت ما بعد ان وبانّ ورفعت الخبر كقولك : ظننت ان زيدا عالم ، وان جئت باللام في خبر انّ لم يغير الكلام وكانت ان مكسورة ابدا كقولك ان زيدا لعالم . يقاس على هذا .

[ما النافية]

ومما يدخل على الابتداء ما اذا كانت جحدا . تقول ما زيد عالم ، تميم ترفع الخبر ، واهل الحجاز ينصبونه اذا كان الاسم مقدما والخبر مؤخرا .

فاذا تأخر الاسم وتقدم الخبر او وقع بعد الا رفع الاسم والخبر جميعا فقلت ما قائم زيد وما زيد الا قائم .

[التعجب]

ومما يجرى مجرى الابتداء التعجب وذلك قولك ما احسن زيدا ، ما اسم مبتد(واحسن خبر ما وزيد منصوب بالتعجب . وتقول ما كان احسن زيدا فيدخل كان بين ما وبين احسن(٧١) ولا يدخل من الافعال غيرها . وان جئت بها بعد فعل التعجب ادخلت ما فقلت : ما احسن ما كان زيد فترفع زيدا . ويقع في هذا الموضع كل الافعال كقولك ما احسن ما فعل زيد ، وقع التعجب على ما الثانية (٧٢) وارتفع زيد بفعله .

[الاستفهام]

/١١ ومما يجري مجرى الابتداء وخبره الاستفهام وله حروف : وهي : الف وهل ومن واي ومتى واين وكم وكيف وايان وانى .

فالالف تدخل على كل الكلام (٧٣) ، وهل تستعمل بها الاستفهام ولا يغيران ما بعدهما وعما كان عليه الكلام . تقول زيد اخوك فاذا استعملت قلت ازيد اخوك ؟ وهل زيد اخوك ؟ وكذلك اقام زيد ؟ وهل قام زيد ؟

اما الحروف الباقية فاسماء تبنى عليها الاسماء والاخبار وتكون هي معاني الاسماء والاخبار فمن سؤال عن الآدميين وما يفعل كقولك من زيد ؟ ومن قام ؟ وموضعها يكون رفعا ونصبا وخفضا فيجيء الجواب على ذلك كقولك من قام فتقول زيد ويقول من رايت ؟ فتقول زيدا . وتقول بمن مررت ؟ فيقول بعمرو ، ويرد عليها بالاستفهام بالالف وبام كقولك من قام أزيد ام عمرو ؟ ومن رايت ازيدا ام عمرا ؟

واي بمنزلتها وهي بعض ما يضاف اليه

وما سؤال عن كل شيء وكذلك أي .

ومتى وقت كقولك متى قام ؟ فيقول يوم الجمعة .

---

(٧٠) لم يذكر الجار والمجرور وكانه يعد ذلك ظرفا ايضا .

(٧١) وتكون « كان » زائدة

(٧٢) في الاصل « التثنية »

(٧٣) اي ان همزة الاستفهام حرف غير مختص فيدخل على الاسماء والافعال

واين ظرف كقولك أين قام ؟ فيقول خلفك وموضع كذا .

وكم سؤال عن العدد تقول كم انفقت ؟ فيقول عشرين . وتقول كم عطاؤك فيقول الفان .

وكيف سؤال عن الحال كقولك كيف زيد ؟ فيقول صالح . فان قلت : كيف كان زيد ؟ قال صالحا ، يريد كان زيد صالحا ، فالجواب على الموضع الذي وضع السائل كلامه فيه .

وايان بمنزلة متى . واي بمنزلة كيف واين .

وقد تقع حروف الاستفهام في الخبر وذلك اذا اجتلبها النظر والسؤال والعلم والتسوية ، كقولك لانظرن أيهم قام ومن قام ، ومن قعد وهل قام ولأسالن ولأعلمن وسواء علي من قام ومن قعد وسواء علي اقمت ام قعدت . هذه الافعال (٧٤) كيف تصرفت وما كان في معناها يقع بعدها حروف الاستفهام ولا يعمل في الاستفهام شيء قبله وانما يجيء كالمستانف الذي ليس قبله شيء .

وقد يحكى ببعض حروف الاستفهام كلام المتكلم وذلك اذا انكر عليه ما قال كقولك ضربت زيدا فيقول : ازيدا ؟ . وجاءني زيد فتقدل ازيد ؟ وتقول مررت بزيدٍ ، فيقول أزيدٍ ؟. وربما زادوا في آخره حرفا للمد فاتبعوا المفتوح الفا ، والمكسور ياء والمضموم واوا وكسروا الساكن فاتبعوه ياء فيقولون ، اذا قال رايت الرجل الرجلاه ؟ وجاءني الرجل الرجلوه ؟ واذا قال مررت بالرجل فيقول الرجليه ؟ . واذا قال رايت زيدا قالوا ازيدنيه ؟ لان التنوين ساكن فيكسر ويتبع الياء ويدخل للوقف الهاء وربما اقروا الشيء على هيئته ، وقالوا بعده انيه . واذا قلت رايت رجلا قالوا منا ؟ واذا قال مر رجل قالوا منو ؟(٧٥) واذا قال مررت برجل قالوا منى ؟ واذا وصلوه بشيء قالوا من يا فتى في كله . يقول وتقول في الاثنين منان وفي الجميع منون في الرفع ومنين في الخفض والنصب ، وللمراة منه ومنت بتسكين النون ، فاذا ثنوا اسكنوا النون لا غير فقالوا منتان ومنان .

وان قال اي اجراها بالاعراب على حسب ما يتكلم المتكلم بالاسم ان رفعا فرفع وان نصبا فنصب وان خفضا فخفض ، وتثنى وتجمع اذا كانت حكاية وتوحد اي في كل موضع من الكلام سوى هذا الموضع . وان ثنيت وجمعت وانثت جاز ذلك كقولك رايت رجلا فيقول أيا ؟ ورايت رجلين فيقول ايَّين ؟ وايِّين في الجمع . وتقول جاءني رجل فيقول اي وايان وايون وباي يحكي الناس وغير الناس .

واذا قال رايت زيدا قال من زيدا ؟ وان قال جاءني زيد قال من زيد ؟ وان قال /١٢ مررت بزيد قال من زيد ؟ وكذلك الكنى من ابو جعفر ؟ ومن ابا جعفر ؟ ومن ابي جعفر ؟

فاذا كان غير ذلك من الاسماء والنعوت والتثنية والجمع لم يكن فيها الا الرفع : من الزيدان ومن العمران ومن صاحبك وان شئت رفعت الكنى، والاسماء ايضا وكذلك ان قدم الواو قبل من كقوله ومن زيد ، الاسم في كل حال رفع لا غير .

باب ما لم يسم فاعله

اذا لم يذكر الفاعل رفع المفعول ونصب ما سوى ذلك لان الفعل لابد له من أن يكون معه اسم مرفوع او ما يقوم مقامه وذلك قولك ضُرِبَ زيد ضربا شديدا ، وأُكرم عمرو وأُسكن زيد الدار يافتى ، وأُعطي أخوك درهما. الدرهم والدارنصب لوقوع الفعل ، وزيد رفع لانه لم يُسم فاعله ، ولا يرفع شيء بالفعل سوى المفعول به الا ان لا يكون في الكلام مفعول فيرفع المصدر او الوقت(٧٦) او المكان ولا يجوز رفع الحال وذلك قولك ضُرِبَ عبدالله ضربا ، لا يجوز رفع الضرب ، فان قلت قيم قيام حَسَنٌ وجُلِسَ في الدار جلوس كثير جاز ذلك ، وكذلك اختلف اليه شهران ، وسير عليه يومان ومشي اليه ميلان (٧٧) تنظر الى احد ما يجيء من الفعل فترفعه وتنصب ما سواه .

باب معرفة الافعال وتصرفها

الفعل يتصرف فيكون منه الماضي والمستقبل والمصدر واسم الفاعل واسم المفعول وله أمثلة كثيرة مبلغها تسعة عشر بناء :

(٧٤) يقصد الافعال التي تضمنت معنى السؤال والعلم والنظر

(٧٥) في الاصل « او » والصواب ما اثبتناه

(٧٦) ظرف الزمان

(٧٧) لا يكون المصدر والظرف نائبي فاعل للفعل اللازم الا اذا كانا متصرفين ومختصين . والمتصرف من المصدر ما يفارق النصب على المصدرية كفتح ونصر . والمتصرف من الظرف ما يفارق النصب على الظرفية او الجر بمن كيوم وجهة والمختص من الظرف ما خصص بنوع من انواع المخصصات كالاضافة والوصفية مثلا . والمختص من المصدر ما ليس لمجرد التاكيد كان يكون مثلا لبيان النوع او العدد .

يكون على فَعُلَ يفعل مثل كرُم يكرُم كرُما وهو كريم وهذا فعلٌ لا ينصب مفعولا فهو للفاعل في نفسه .

ويكون فَعِل يفعَل نحو علِمَ يَعلمُ علما وهو عالم والمفعول معلوم وربما جاءت اسماؤه على فعِل وافعل وفعلان نحو حذِر وعطشان واعمى ، الفعل منه حذِرَ وعطِش وعمِيَ . وفاعِلٌ فيها كلها جائز (٧٨) اذا بنيته على الفعل يكون ناصبا وغير ناصبٍ . ومستقبله مفتوح ابدا وماضيه مكسور .

ويكون على فَعَل يفعِل ويفعُل نحو ضرب يضرب ضربا وهو ضارب والمفعول مضروب وكذلك يقتل قتلا وهو قاتل والمفعول مقتول وهذا مستقبله يكون على وجهين بالضم والكسر جميعا(٧٩) وربما فتح اذا كانت فيه حروف الحلق وهي الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء وذلك ان تقع في موضع اللام(٨٠) أو العين من فعل فيفتح في الاستقبال(٨١).

ومصادر هذه الابنية الثلاثة مختلفة انما تدرك بالسماع فأما ما سواها فهو على القياس (٨٢) . فاذا لم تعرف السماع فيها بنيت على فَعْل وعلى فُعُول فَفَعل [لما](٨٣) كان متعديا الى المفعول نحو قتله قتلا وضربه ضربا وسجنه سجنا . وفُعول لما كان غير متعد نحو جلس جلوسا [وقعد] (٨٤) وقعودا

ويكون الفعلُ على فَعْلَلَ يفعلِلُ نحو دحرج يدحرج دحرجةودحراجا ، وهومدحرج ، والمفعول مدحرَج وكذلك اسم الموضع والزمان والمصدر(٨٥) كله مثل المفعول(٨٦) مدحرج .

ويكون على /١٣ افعل يفعل نحو اكرم يكرم اكراما وهو مكرِم والمفعول مكرَم . واسم المفعول في كل شيء يجيء من هذه الافعال المجاوزة للثلاثة احرف يكون للزمان والمكان والمصدر والوقت(٨٧) .

ويكون على فعّل يفعّل نحو كسَّر يكسِّر تكسيرا وهو مكسِّر [واسم المفعول مكَسَّر](٨٨) .

ويكون على فاعَلَ يفاعِلُ على مثال قاتَل يقاتِل مقاتلة وقتالا وهو مقاتِل والمفعول(٨٩) مقاتَل .

اذا جاوزتالافعال ثلاثة أحرف لم يكن بين اسماء الفاعلين والمفعولين الا كسر الفاعل وفتح ذلك الحرف من المفعول (٩٠) .

ويكون على تفعّل يتفعّل نحو تكلّم يتكلّم وهو متكلّم والمفعول متكلَّم فيه والمصدر التكلّم .

ويكون على تفاعل يتفاعل نحو تغافل يتغافل تغافلا وهو متغافل والمفعول متغافَل عنه والمصدر التغافل .

ويكون على تفعلل يتفعلل نحو تدحرج يتدحرج تدحرجا وهو متدحرج ومُتَدَحرَجٌ عليه .

ويكون على افتعل يفتعل نحو احتقر يحتقر احتقارا وهو محتقِر والمكان محتقَرٌ .

ويكون على انفعل ينفعِل نحو انطلقَ ينطلِقُ انطلاقا وهو منطلِق ومكانٌ منطلَق فيه .

ويكون على افعلّ ثم يدغم فيه(٩١) نحو احمرَّ احمرارا وهو محمرٌ ومكان محمرٌ فيه يستوي فاعله ومفعوله لمكان الادغام .

ويكون على استفعل نحو استخرج يستخرج استخراجا وهو مستخرِج والمالُ مستخرَجٌ .

---

(٧٨) في الاصل « جايز » والصواب ما اثبتناه

(٧٩) قال ابو زيد الانصاري « اذا جاوزت المشاهير من الافعال التي يأتي ماضيها على فعل فانت في المستقبل بالخيار ان شئت قلت يفعل بضم العين وان شئت قلت يفعل بكسرها » مقدمة القاموس المحيط جـ١ ص٤

وانظر ما يماثل هذا القول في المصباح المنير ــ الخاتمة جـ٢ ص١٠٦٤ والمزهر جـ١ ص٢٠٧ــ٢٠٨ وجـ٢ ص٣٩

(٨٠) في الاصل « الكلام » والصحيح ما ذكرناه

(٨١) لم يذكر المؤلف البناء السادس « فعل يفعل » بكسر العين في الماضي والمضارع وكانه يرى ان هذا البناء ليس بناء اصليا وانما هو من تداخل اللغات كما يرى بعضهم . الا ما جاء من هذا الباب وكان مثالا واويا ، انظر كتاب سيبويه جـ ٢ ص ٢٢٧ ، وأدب الكاتب ص ٣٧٢ ، والمزهر جـ ١ ص ٤٠٥ والاضداد لابن الانباري ص ١٠ ، ولسان العرب م ٦ ص ٢١ ، ص ١٥٩ ، والمفصل لابن يعيش جـ٧ ص١٥٢ في الافعال ، نعم وحسب ويئس وبئس ونحت وعرش وقنط حيث جاء مضارعها بكسر العين كذلك وعد ذلك من التداخل

(٨٢) يقصد مصادر الابنية الرباعية والخماسية والسداسية

(٨٣) زيادة يقتضيها السياق

(٨٤) زيادة يقتضيها السياق

(٨٥) يقصد المصدر الميمي

(٨٦) في الاصل المفعول به

(٨٧) ذكر اسم الزمان فما المقصود بالوقت اذن

(٨٨) زيادة يقتضيها السياق .

(٨٩) في الاصل المفعول به ولفظة به زائدة

(٩٠) في الاصل المفعول به ولفظة به زائدة .

(٩١) فيكون وزنه بعد الادغام افعلّ .

ويكون على افعوعَل يفعوعِل نحو أغـدودَن يغدودِن اغديدَانا وهو مغدودِن ومكان مغدودَن فيـــه .

ويكون على افعوّل يفعوّل نحو اخـــروّط يخروّط اخرواطاً وهو مخروّط ومكان مُخرَوّط فيــنه .

ويكون على افعالّلَ ويدغم(٩٢) نحو اشــهابَّ يشهابُّ يافتى اشهيبابا وهو مشهابٌّ فيه يستويان للادغام . يبطل الحرف الذي يُكسَر ويفتح فـلا يقع به الفصل(٩٣) .

ويكون على افعنلل يفعنلل نحـو احرنجـم يحرنجمُ احرنجــاما وهو محرنجـــم ومـــكان مُحرنجَم فيه .

ويكون على افعلّـَل يفعَـلِل ويلحقه الادغام(٩٤) نحو اسجَهرَّ(٩٥) يَسجهرُّ وهو مُسْجَهِرٌّ ومكان مُسْجَهَرٌّ فيه .

فهذه ابنية الافعال ماضيها ومستقبلهـــا ومصادرها واسماؤها . فالماضي مفتــوح ابـــدا والمستقبل رفع ابدا الا ان تدخل عليه حـروف النصب فتنصبه او حروف الجزم فتجزمـــه . واسماؤها ومصادرها ترفع وتنصب وتخفض عـلى قدر ما يستحق من الاعراب .

باب الامر والنهي

اذا امرت فالامر بالفعل، يكون مجزوما(٩٦) وهو مبني على الاستقبال . اذا كانت الياء في المستقبل مفتوحة وبعدها حرف ساكن ثم امرت من ذلـك الفعل كان بالالف وكانت الالف الف وصل يكون في ابتدائك في الفعل وتذهب اذا تقدمها شيء من الفعل في اللفـظ (٩٧) .

وتكون مكسورة ابدا الا ان تجيىء بعدها ضمة في الحرف الثالث من الفعل . ولا يكون الا والذي بعدها ساكن وذلك قولك اذهب ، اضـرب /١٤ بكسر الالف وهو من يذهب ويضرب ، الذال والضاد ساكنان . وتقول اُدْخل فتضم الالف من ادخـل لانه من يدخل ، الثالث مضموم وهو الخاء فيقاس على هذا .

واذا كانت الياء في المستقبل مضمومة والفعل في الماضي على اربعة احرف اوّلها الف فالالف فـي الامر مفتوحة ويثبُتُ في الوصل همزة منقطعة فيما قبلها فتسمى الف القطع وذلك قولك اكرم ، اتقن ، لانك تقول يُكرم فتضم الياء ، والماضي اكرم ففي اوله الف وهو على اربعة احرف وتثنى وتجمع في الافعال الأوّلِ فتقول اضربا ، اضربوا وللمـراة اضربي ، اضربا ، اضربن ، ولا تزاد فيه نون الا في فعل جمع المؤنث .

واذا امرت غائبا كان باللام كقولك ليقمْ زيد ولينصرف عمرو وليضربا وليضربوا وليقوما وليقوموا وليضربنَ وليقمنَ ، نون المؤنث لا تسقط وسقطت نون الاثنين والجمع لانها انما تكون في الرفع وتحذف في الجزم والنصب واذا تحرك(٩٨) ما بعد الياء في الاستقبال لم تدخل في اوّله الالف في الامر وذلك قولك عُدْ وقلْ ودحرجْ لانك تقول يعود ويدحرجُ فما بعد الياء متحرك فيبتدأ به الامر ولا يحتاج الى الف الوصل يقاس على هذا كل شيء واذا نهيت كان النهي بلا كالامر .

باب معرفة الالف التي تذهب في وصل الكلام ويكـون في الابتـداء

قال كيسان : الف الوصل يكون في ثمانيـــة اسماء وهي فيها مكسورة فاذا تُكلِّمَ قبلها بشيء واتصلت بـه سـقطت [من] (٩٩) اللفظ ، فاذا

---

(٩٢) فيكون وزنه بعد الادغام « افعالّ » .

(٩٣) اي تتشابه صورتا اسم الفاعل واسم المفعول فلا يظهر كسرها قبل الاخر في اسم الفاعل ولا فتح ما قبل الاخر في اسم المفعول بسبب الادغام . ويتضح ذلك اذا فك ادغام

(٩٤) ويكون وزنه بعد الادغام افعلل يفعلل بتشديد اللام .

(٩٥) تأتي اسجهر للمعاني التالية : اسجهر الال : ابيض ، واسجهر النبات والليل والبناء طال . واسجهر : توقد حسنا بألوان الزهر . واسجهرت الزماح : وسحابة مسجهرة : اذا كان يترقرق فيها الماء . واسجهرت النار : اتقدت والتهبت . (انظر تاج العروس مادة سجهر)

(٩٦) يرى الكوفيون ان فعل الامر مجزوم وهو معرب عندهم بخلاف البصريين الذين يرون انه مبني وبناؤه علـى السكون اصلا

(٩٧) يريد ان يقول ان فعل الامر مأخوذ من المضارع فاذا كان حرف المضارعة مفتوحا وبعده حرف ساكن جعلنا فعل الامر مسبوقا بهمزة وصل وهذه الهمزة تلفظ في ابتداء الكلام وتعدم في درج الكلام

(٩٨) في الاصل « تحركت » ولا معنى لوجود التاء

(٩٩) زيادة يقتضيها السياق .

ابتدأت (١٠٠) فهي بألف مكسورة وتلك الاسماء ابن وابنة واثنان واثنتان وامرؤ (١٠١) وامراة واسم واست ، واذا صغرت ذهبت منها الالف كقولك بُنيّ وبُنيّة وثنيّان وثنيتان ومُريّ ومريئة وسُتَيّ وستيهة وتكون في تسعة افعال ماضية وفي الامر منها ، وفي مصادرها ، وهي ايضا فيها مكسورة الا ان تترك الفاعل(١٠٢) فتضم أول الفعل، وتلك الافعال افتعل وانفعل وافعلّ(١٠٣) واستفعل وافعوعل وافعوّل وافعنلل وافعللّ (١٠٤) وافعالّ (١٠٥) وقد ذكرتها في أبنية الافعال .

وقد يخرج اليها تفعّل وتفاعل اذا وجب أن تدغم فاؤه فيما بعده نحو قوله عز وجل « اطيّرنا بك وبمن معك » (١٠٦) الاصل تطيّرنا بك فلما ادغمت التاء في الطاء وجب اسكانها فادخلت الف الوصل فأشبهت الف افتعل فقلت اطيّر وإذا امرت قلت اطيّر وتقول في المصدر اطيُّرا ، ومثله «ادارك علمهم»(١٠٧) « واذا اداركوا فيها»(١٠٨) الاصل تداركوا فادغمت التاء في الدال . والالف التي تدخل للتعريف الفها الف وصل ، تكون في الابتداء وتسقط في الوصل نحو قولك الرجل والغلام وهي مفتوحة .

باب تصرف الاعراب في مسائل(١٠٩) الابتداء

تقول عمرو أخوك فاذا ادخلت انّ قلت : ان عمرا اخوك فان جعلت بينهما كان ، قلت ان عمرا كان اخاك نصبت عمرا بان وتضمره في كان وتجعل الاخ خبر كان .

وان جعلت الظن بينهما لم يتغير الكلام فقلت ان عمرا اظن اخوك . الظن يكون لغوا (١١٠) اذا توسط فان أضمرت معه عمرا /١٥ نصبت الاخ فقلت ان عمرا اظنه اخاك ، عمل الظن في الهاء وفي الاخ وكذلك أخوات هذه الحروف وقد ذكرناها .

وتقول زيدا ضربتُ تنصب زيدا لانه مفعول به فان اعدت عليه الهاء فرفعته فقلت زيد ضربته رفعتَ زيدا بالابتداء ، لانك شغلت الفعل عنه بالهاء وموضع الهاء نصبٌ ، وكل مفعول عاد عليه ذكره رفعٌ ، فان قدمت قبله شيئا يحسن الفعل بعده نصبته ، وان شئت رفعته كقولك ان زيدا ضربته، هل زيدا ضربته ، الا زيدا ضربته ، تريد أضربت زيدا فتضمر الفعل قبل زيد . وتقول زيدا مررت به وازيدا ضربت اياه اذا أوقعت الفعل على شيء تعلق به او بشيء من سببه جاز ان يضمر قبله ما ينصبه .

وتقول عبدالله قائما احسن منه قاعدا تنصب قائما وقاعدا على الحال وعبدالله ابتداء واحسن خبره . وتقول عبدالله قياما وقعودا ترفع عبدالله بالابتداء وتنصب قياما وقعودا تريد يقوم قياما ويقعد قعودا . وان شئت رفعتهما تريد عبدالله ذو قيام وذو قعود فتحذف ذو وترفع القيام والقعود له وتقول ما احسن ما يكون عبدالله جالسا تنصب جالسا على الحال .

باب معرفة اجزاء النعوت على الاسماء

قال كيسان النكرة يتبعها نعتها الذي يحسن ان يكون للمعرفة بالالف واللام تقول مررت برجل عاقل فتخفض عاقلا باتباعه الرجل وهو هو .

وتقول في المعرفة مررت بزيد العاقل فيكون بالالف واللام فان لم يجيء بالالف واللام في النعت مع المعرفة نصبته على الحال ويكون نعت النكرة والمعرفة ما كان فعلا لغيرهما اذا عاد بذكرهما كقولك مررت برجل عاقل ابوه(١١١) . ومررت بزيد العاقل اخوه ، العاقل نعت لزيد وكذلك عاقل نعت للرجل وهو فعل للاب وقد عاد الذكر وهو الهاء التي في الاب .

يقاس على هاتين كل شيء من النعوت ، فاذا كان بعد النكرة ظرف أو فعل او جملة فيها ذكر النكرة فما بعدها نعتها ولا يتبعها في اللفظ لانه شيء سواها ولا يكون ذلك نعتا للمعرفة الا ان تجعل قبله الذي فيكون الذي نعتها ويكون الظرف والفعل والجملة صلة الذي ، وذلك مررت برجل قام ، ويدخل ويقوم وبرجل في الدار وبرجل ابوه قائم فاذا جعلت زيدا مكان رجل قلت مررت بزيد الذي قام والذي يقوم في الدار والذي ابوه قائم ، فالذي

---

(١٠٠) في الاصل « ابتديت » بالياء
(١٠١) في الاصل وامرىء
(١٠٢) اي بعد بناء الفعل للمفعول
(١٠٣) في الاصل « افعلل » من دون ادغام
(١٠٤) في الاصل « افعللل » من دون ادغام
(١٠٥) في الاصل « افعالل » من دون ادغام
(١٠٦) سورة النحل آية ٤٧
(١٠٧) سورة النمل آية ٦٦
(١٠٨) سورة الاعراف آية ٣٨
(١٠٩) في الاصل « مسايل » والصواب ما إبتثناه .
(١١٠) « لغوا » بمعنى « حشوا »

(١١١) يقصد النعت السببي : وهو ما كان نعتا في اللفظ لما قبله ونعتا في المعنى لما بعده

لا يتم اسما الا بصلة وصلته ابدا تكون احد ثلاثة اشياء : يكون فعلا وظرفا او جملة ويكون في صلته ذكره(١١٢) ابدا .

باب الاسماء التي توصل

وهي الذي ومن وأي فالذي لا يكون اسما الا بصلة وهو موصل بأحد ثلاثة اشياء : الافعال والظروف والجمل ، ولابد في صلته من ذكره فاذا وصل فهو بمنزلة اسم يحتاج الى مايعربه/١٦ من رافع او ناصب او خافض تقول جاءني الذي قام واللذان قاما والذين قاموا فاذا كان الفعل : جاءني الذي كلمت واللذان كلمت [والذين كلمت] (١١٣) تريد كلمته وكلمتهما وكلمتهم وكل شيء يعمل فيه الفعل الذي في الصلة فهو من تمام الذي داخل في صلته . وكذلك من وما واي اذا كُنَّ في الخبر ويكنَّ استفهاما وجزاء فلا يوصلن .

ومما يجرى مجرى الموصول ما كان فيه الالف واللام من الاسماء (١١٤) المبنية على الافعال (١١٥) نحو قولك القائم زيد تريد الذي يقوم زيد . فما عمل فيه الفعل فهو صلته ونحو قولك الضارب زيدا يوم الجمعة ضربا شديدا عمرو فكله من تمام الضارب الى عمرو وعمرو الضارب .

ومما يجري مجرى الموصول المصادر توصل بالفاعل والمفعول وجميع ما عمل فيه الفعل الذي يسبق منها فيكون ذلك تماما لها كقولك ضربُ عمروٍ زيدا يوم الجمعة ضربا شديدا اعجبني . فكل الكلام الى اعجبني صلة للضرب ، واعجبني الخبر ، وما كان صلة شيء فلا يفرق بينه وبينه .

ومما يجري مجرى الموصول جميعا ما كان في نعت النكرة فتصيّر النكرة بمنزلة ما وصل اذا قال جاءني رجلٌ يضربُ زيدا في الدار ، فما بعد رجل نعته ، ونعته كالصلة له .

واما ان فانها توصل بالفعل فتكون هي والفعل بمنزلة المصدر تقول اعجبني ان قُمتَ ويعجبني ان تقوم بمنزلة يعجبني قيامك ، فتوقع عليها ما توقع على الاسماء . والفعل صلتها وهي تنصبه ، وما عمل فيه من شيء فهو داخل في صلتها ، وما يشتق على صلة او كان متعلقا بها فهو في الصلة داخل فيها وهو من تمامها .

باب ما يعرض في الاسماء

[جمع التكسير]

فمنها الجمع وللجمع امثلة يراد بها قليل الجمع وهي : افعُلٌ وافعالٌ وافعلة وفِعْلة .

فأفعُلُ لما كان على فَعْل نحو كلب واكلب وفَلْس وافلس وما كان على غير ذلك فعلى افعال نحو جَبَل واجبال وقُفْل واقفال وجذع واجذاع. وما كان على اربعة احرف وثالثه واو او ياء او الف فهو على افعِلة نحو قفيز(١١٦) واقفزة وغراب واغربة وعمود واعمدة وغلام واغلمة وصبي واصبية هذا يراد به ما بين الثلاثة الى العشرة وربما كان اكثر من ذلك (١١٧) .

ومن اسماء الجمع نحو فُعُول وفِعال وفِعلان وفُعلان نحو فؤوس(١١٨) وكِلاب وغربان وقضبان فهذا للكثير .

وللجمع اسماء كثيرة كاسماء الواحدة. والبناء الذي هو غاية الجمع (١١٩) أن تقع الالف متوسطة الحرف فيكون بعدها حرفان او ثلاثة او حرف مشدد نحو دراهم ودنانير ودَوَابّ . وما كان من الاسماء للمعارف والنعوت (١٢٠) جاز أن يجمع على هذه الوجوه وهذا الجمع يسمى جَمع التكسير وهو ما غُيِّر بناء واحده عن بنائه/١٧ .

وجُعِلَ للجمع بناء آخر ويكون ان يجمع بالواو والنون للمذكر والالف والتاء للمؤنث على واحده ، لا يغيّر اسم الواحد نحو الزيدون والزيدين والهندات والعمرات والصالحون والصالحات .

[التصغير]

ومما يعرض في الاسماء التصغير وهو على وزن فُعَيل وفُعَيعِل وأُفَيعال وفُعَيلاء وفُعَيلان .

---

(١١٢) يطلق الذكر على العائد

(١١٣) زيادة يقتضيها السياق لدلالة ما بعدها عليها

(١١٤) في الاصل « من اسماء »

(١١٥) يريد الوصف الذي يعمل عمل الفعل كاسم الفاعل واسم المفعول

(١١٦) القفيز : مكيال

(١١٧) وما جمع على فعلة صبية جمع صبي وغلمة جمع غلام

(١١٨) في الاصل « فاوس » والصواب ما كتبناه

(١١٩) يقصد صيغتي منتهى الجموع على وزن مفاعل ومفاعيل

(١٢٠) في الاصل « والمنعوت » والصواب ما ذكرناه

فامّا فُعَيل ـ بضمّ اوّله وفتح ثانيه وزيادة ياء التصغير فيه ؛ وكذلك اوّل كل مُصَغّر ـ فما كان على ثلاثة احرف فتصغيره على فُعيل نحو عُمير وبُكَير وصُغَير وفلَيس . واذا كان مؤنثا كان بالهاء نحو فُعيلة وعُيينة واذينة .

وما كان على أربعة احرف كان على فعيعِل نحو جعيفر وجنيدل تصغير جعفر وجندل .

وما كان على خمسة احرف رابعه ياء او واو أو الف كان على فُعيعيل نحو دينار ودنينير وقنديل وقنيديل وعُصفور وعُصيفير .

وما كان على خمسة احرف او اكثر حذف منه حتى يبقى منه اربعة احرف ثم يصغر على فعيعِل وان شئت على فُعيعيل نحو سفرجل تحذف اللام فتقول سفيرج وان شئت سفيريج وكذلك شمردل شميرد وشميريد .

واذا كان(١٢١) فيه حرف من حروف الزوائد جعلت الحذف لذلك الحرف نحو حبنطا ، النون والالف فيه زائدتان تقول حُبيط اذا حذفت الالف ورايت حبيطا(١٢٢) اذا حذفت النون .

وافيعال تصغير الجمع(١٢٣) الذي على أفعال نحو احمال واحيمال واعدال واعيدال .

وفُعيلاء وفُعيلان تصغير ما كان في آخره مدّة للتأنيث أو الف ونون زائدتان نحو حمراء وعطيشان تصغير حمراء وعطشان ، وكذلك تصغير ما جاوز ذلك مما في آخره الف ونون أو الف ممدودة للتأنيث نحو تصغير زعفران زعيفران وخنفساء خُنيفساء .

وما كان فيه الف مقصورة للتأنيث كان على فُعيلى نحو عَطشى وعطيشى . فان جاوز هذا حذفت الالف .

[النسبة]

ومما (١٢٤) يعرض (١٢٥) في الاسماء النسبة اليها ، والنسبة تكون بياء (١٢٦) مشددة تقرّ الاسم على بنائه وتزيد على آخره (١٢٧) ياء مشددة كقولك عمرو . فاذا نسبت اليه قلت عمرى والى بكر بكري والى جعفر جعفري ، فان كان على فَعيل أو فَعيلة او فُعَيل او فُعَيلة نحو ثقيف وربيعة وقريش وجهينه جاز ان تحذف الياء وان شئت اثبتّها كقولك قُرشي وقُريشي وثَقفي وثَقيفي ونختار حذف ياء فعيلة واثبات ياء المذكر وهما جائزان ، الاثبات والحذف .

وقد غيروا اسماء (١٢٨) في النسب لا يقاس عليها قالوا دُهري وسُهلي في الدهر والسهل .

وان نسبت الى مضاف نسبت الى الاشهر من الاسمين ان شئت نسبت الى الاول /١٨ وان شئت الى الثاني كقولك عبدي في عبد القيس وبكري في بني بكر (١٢٩) . وان نسبت الى ما فيه الف مقصورة ثالثة جعلتها واوا كقولك في رحى رحوي وفي قنى قنوي ، وان كانت رابعة جعلتها واوا وان شئت حذفتها كقولك حبلى حبلوي ومغزى مغزوي وان شئت قلت حبلي ومغزي ، واثبات الواو في مغزى احسن من حذفها لانها من الاصل وحذف التي للتأنيث احسن ويجوز فيما كان للتأنيث ان يزاد عليه فيقال حبلاوي ، فاذا كانت خامسة حذفت البتة ، وان نسبت الى ما كان على حرفين جاز ، وان شئت رددته الى ثلاثة احرف كقولك دميّ وان شئت دمويّ وفي شفه شفي وان شئت شفهي .

باب الاستثناء

الحروف التي يستثنى بها عشرة : الا وغير وسوى وما خلا وما عدا وليس ولا يكون وحاشى وخلا وعدا .

فاما إلا فتنصب ما بعدها اذا كان الذي قبلها كلاما تاما لقولك : قام القوم الا زيدا ، نصبت زيدا على الاستثناء وكذلك رايت القوم الا زيدا ومررت بالقوم الا زيدا . واذا كان قبلها جحدٌ رُدّ الى ما قبلها نحو قولك ما قام الا زيدٌ ترفع زيدا بالفعل ، وما رايتُ احدا الا زيدا وما مررت بأحدٍ الا بزيدٍ وان شئت نصبت في هذا لان الذي قبلها يتم .

وغير تخفض ما بعدها ويكون اعرابها مثل اعراب ما بعد الا وكذلك سوى وخلا وما عدا وليس

---

(١٢١) في الاصل « كانت » ولا معنى لوجود التاء
(١٢٢) في الاصل « حبيطيا » والياء الثانية زائدة
(١٢٣) يستعمل لفظ الجميع كثيرا بدل الجمع
(١٢٤) فيالاصل « وربما » والصواب ما ذكرنا لدلالة ما قبله عليه اذ سبق ان قال ومما يعرض في الاسماء التصغير .
(١٢٥) في الاصل « تعرض » بالتاء المثناة والراء المشددة
(١٢٦) في الاصل (بناؤه) والصواب بياء كما ذكرنا

---

(١٢٧) في الاصل على « الفه » ولا معنى لها .
(١٢٨) في الاصل « غيره اسما » والصواب ما اثبتناه
(١٢٩) في الاصل « بني ابي بكر »

ولا يكون وعدا ينصبن ما بعدهن أبدا وحاشى وخلا يخفضان ما بعدهما ويجوز النصب بهما .

باب النصب بالاغراء وغيره

يغرى بالشيء على جهة الامر فتنصب وله حروف (١٣٠) من الظروف وهي : على ودون وعند كقولك عليك عمرا ودونك زيدا وعندك (١٣١) خالدا اي خذ عمرا (١٣٢) [وزيدا وخالدا] (١٣٣) ، أو تغري بالشيء فيكون منصوبا كقولك زيدا واكثر ما يقع هذا في التحذير كقولك الاسد الاسد اي احذر ، والله الله ، ويكون اسمين احدهما معطوف على الآخر كقولك اياك وزيدا ، وماز راسك والسيف (١٣٤) ، اي احذر السيف ان يصيب راسك ، ويكون بالمصادر كقولك ضربا ضربا، وقياما وقعودا ، ويكون بمصادر لا تصرف نحو الحذر الحذر وحذارك زيدا ورويدك زيدا ، وتيد زيدا ، وتيدك زيدا ، هذا كله في معنى الامر . وتقول عمرا هذا كله في معنى الامر ، وتيد زيدٍ ربما خفض بها (١٣٥) .

ومنه شيء يبنى على الكسر نحو حذار زيدا ودراك عمرا اي احذر وادرك . ومن هذا ما ينصب نحو /١٩ سقيا لزيد ورعيا له وبعدا لعمرو وسمعا له اي سقاه الله ورعاه وابعده الله واسحقه وتبا له وبُعدا .

ومنه ما يكون مضافا نحو ويله وعوله وويحه وويسه ومنه ما يكون اسما نحو تربا (١٣٦) له وجندلا وكل هذا في معنى الدعاء . ومنه ما يرفع نحو الحمد لله وويل لزيدٍ وفيه تأويل ما يكون منصوبا .

باب ما ينصب على اضمار الفعل

قال كيسان كل شيء حَسُن في موضعه الفعل واضماره فالنصب يحسن فيه اذا كان في الكلام ما يدل على الفعل وذلك سبحان الله اي اسبِّحُ الله ، وحمدا لله وشكرا اي احمد الله . وهنيئا ومريئا اي هنّاك الله ومرّاك. واهلاً وسهلاً اي اهلتُ واسهلتُ ، اصبتُ اهلاً ووطئتُ سهلاً . ومرحبا اي رَحُبت بلادك واصبت رحبا اي سعة . ونَعَم وكرامة اي اكرمك ، وزيدٌ اخوك حقا اي احق ذلك . وكذلك يقينا وغير شك اي اتيقن ولا اشكُ . والمال لك هبة اي اهبه هبة . واتى بزيد سحبا اي اسحبُ سحباً . وضرباً زيداً اي اضربُ زيداً . والناس مجزيون باعمالهم ان خيرا فخيرا اي ان كان خيرا فخيرا ، ولزيدٍ عليَّ الف درهم عُرفاً اي اعترف بذلك . وقتل عمرو صبراً اي صبرَ صبراً . واذا تُدُبِّر هذا عُرِفَ إن شاء الله .

وما ينصب على التمييز كقولك عنده عشرون درهما . والتمييز ما كان يكون على انواع ووجوه فذكرت احدها . فالعشرون يكون من أشياء كثيرة فاذا جئت بعدها بشيء كان تفسيرا وتمييزا ، وكذلك امتلاتُ ماءً اي من الماء والحب ملآن ماءً وعنده رطلان زيتاً .

باب نعم وبئس

نعم وبئس ترفعان ما فيه الالف واللام وتنصبان ما سقطتا منه ثم ترفعان بعد ذلك الاسم الممدوح والمذموم بهما تقول نعم الرجل زيدٌ ، وبئس الرجل عمروٌ وبئس رجلا عمرو ، وكذلك ما اضيف الى ما فيه الالف واللام ، وتنصب ما اضيف الى ما حُذِف منها (١٣٧) . وتدخل ما فيهما فترفع ما بعدها نحو نعم ما زيدٌ وكذلك «ان الله نعما يعظكم به» (١٣٨) . «ان تبدوا الصدقات فنعمّاهي » (١٣٩) ، وحبذا الزيدان وحبذا الزيدون وحبذا هندٌ .

باب نصب الافعال

/٢٠ حتى اذا كانت غاية خفضت الاسماء ونصبت الافعال المستقبلة تقول سرت حتى ادخل المدينة اي الى ان دَخَلْتُها ، فان جعلت ما بعدها حالا (١٤٠) رفعت الفعل بعدها ويكون بمنزلة كي

---

(١٣٠) يسمي عمل قسم من اسماء الافعال ـ وهي المنقولة عن الظرف او الجار والمجرور ـ وكذلك المصادر النائبة عن افعالها النصب بالاغراء ويخلط ذلك بالاغراء المعروف

(١٣١) في الاصل « أو عندك » والهمزة زائدة

(١٣٢) في العبارة اشعار بوجود نقص في العبارة لان عليك بمعنى الزم ودونك بمعنى خذ

(١٣٣) زيادة يقتضيها السياق

(١٣٤) في الاصل « وما راسك والسيف » والزاي ساقطة من النص واصلها « يامازن ق راسك واحذر السيف » .

(١٣٥) اي يعاملها معاملة المصدر المضاف الى معموله

(١٣٦) في الاصل « ترابا »

(١٣٧) في الاصل « ما حذفها منه » ولم نر لها معنى

(١٣٨) النساء آية ٥٨

(١٣٩) البقرة آية ٢٧١

(١٤٠) في الاصل « حال » والسياق يقتضي ان تكون حالا

فتنصب نحو كلمته حتى يعطيني وكذلك كي ولام كي .

وان نَصَبَتْ فهي مع الفعل اسم . ولن تنصب وهي للفعل .

والفاء تنصب في الجوابات التي سميناها وهي الامر والنهي تقول اضرب زيداً فيتأدب يافتى ، ولا تقرب الاسد فيأكلك وما زيد اخاك فيسرك ، وليت زيداً عندنا فنصير اليك ، واين بيتك فنزورك .

باب العدد

من ثلاثة الى عشرة بالهاء للمذكر والمؤنث بحذف الهاء .

والعدد مضاف الى ما بعده كقولك عندي ثلاثة رجال وثلاث نسوة ، فاذا جاوزت العشرة كان العدد مبنيا على الفتح في كل حال من احد عشر الى تسعة عشر وكان للمذكر احد عشر .

ثلاثة عشر تثبت الهاء في ثلاثة الى تسعة وتحذف من العشرة .

وتحذف من ثلاث الى تسع للمؤنث وتثبت في العشرة فتقول :

احدى عشرة ، ثلاث عشرة ، وتنصبهماجميعا لانهما اسمان جعلا اسما واحدا الا اثنى عشر واثنا عشر واثنتي عشرة(١٤١) واثنتا عشرة فان اخرهما مفتوح وهما بالالف في الرفع وبالياء في الخفض والنصب ، وما بعد أحد عشر الى تسعة عشر منصوب(١٤٢) .

وكذلك المؤنث نحو عندي أحد عشر رجلا فاذا جاوزت العشرين قلت أحد وعشرون (١٤٣) في المذكر واحدى وعشرون في المؤنث ، وعشرون في الرفع بالواو [و] (١٤٤) في النصب والخفض بالياء .

فاذا بلغت مائة كانت مضافة الى ما بعدها نحو مائة درهم .

ومن ثلاث الى تسع مضافة الى المائة والمائة مضافة الى ما بعدها كذلك الى الالف . والالف مضاف الى مابعده من اسم المعدود .

ويُعَدُّ الالف كما يُعَدُّ الواحد من المذكر نحو الدرهم وما أشبه ذلك : ثلاثة آلاف وعشرة آلاف واحد وعشرون الفا كما تقول أحد عشر درهماً .

باب لا

لا : يكون في كل الكلام جحدا . فيكون نسقا كقولك قام زيدٌ لا عمرو ورأيت زيداً لا عمراً. وتكون نهياً فتجزم كقولك لا تقم ولا تذهب . وتكون جوابا للقسم فترفع الفعل بعدها كقولك والله لا تذهب ولا تقوم . وكذلك هي في الخبر . وتكون بمنزلة غير كقولك جئتُ بلا شيء فيعمل ما قبلها فيما بعدها . ويكون توكيدا للجحد مع واو النسق كقولك خفتُ الا يقوم ، « لئلا يعلم اهل الكتاب » (١٤٥) ، اي ليعلم . وتكون رَدّاً كقولك في الجواب لا كما تقول نعم وبلى ، ولا في الجواب /٢١ ضدهما وتكون صلة للو وهل كقولك لولا وهلا وكذلك الا . وتكون بمنزلة ليس كقولك لا زيدٌ قائم ولا عمروٌ ، واذا وليتها النكرة(١٤٦) نصبتها بغير نون(١٤٧) كقولك لا رَجُلَ لك ، وان شئت رفعت ونونت كقولك لا رجلٌ لك . فان فَرّقت بينهما بشيء رجعت الى الرفع فقلت لا لك رجلٌ .

باب ما

ما تكون اسماً في تسعة مواضع :

تكون بمنزلة اللذي فتوصل كقولك : اعجبني ما عندك (١٤٨) اي الذي عندك .

وتكون مصدرا فتوصل بالفعل وحده كقولك اعجبني ما صنعت اي أعجبني صنيعك .

وتكون استفهاما كقولك ما صنعت ؟ اي اي شيء صنعت ؟

وتكون جزاء كقولك ما يعجبك يعجبني فتجزم اي اعجبك شيء أعجبني .

وتكون تعجبا كقولك ما احسن عمراً وتكون بمنزلة شيء اسماً نكرة فينعت بما تنعت به النكرة كقولك يعجبني ما معجب لك ، وجئت بما معجب لك أي بشيءٍ معجب لك .

وتكون اسماً مبهماً فتسمّى الصلة لانها زائدة،

---

(١٤١) زيادة يقتضيها السياق
(١٤٢) يقصد تمييز العدد
(١٤٣) أو واحد وعشرون
(١٤٤) زيادة يقتضيها السياق

(١٤٥) سورة الحديد آية ٢٩
(١٤٦) يقصد لا النافية للجنس
(١٤٧) بغير نون اي بغير تنوين .
(١٤٨) كتبت الجملة مرتين « في الاصل » وهو سهو من الناسخ

ان حذفتها لم يفسد الكلام ، وان ادخلتها كانت فضلة مؤكدة كقولك عما قليل اي عن قليل .

وتكون حرفاً تجحد به وليست في هذا باسم كقولك ما زيدٌ قائما ، يريد بقائم (١٤٩) ، فاذا تقدم وكلن بعدها الا كان في الخبر الرفع لا غير كقولك ما قائم الا زيدٌ ، وما زيدٌ الا قائمٌ .

وتكون ما حرفاً يغير العامل فيسقط عمله كقولك ان زيدا قائم نصبت زيداً بأن ، فاذا قلت : انما زيدٌ قائم ابطلت ما علمت انَّ . وكذلك رُبَّ تخفض النكرة [و](١٥٠) زيدا ، فاذا قلت ربما يقوم زيدٌ ابطلت ما رُبَّ ورُفع بعدها كل شيء او نصبتَ بما تنصبه وكذلك لعلما وكأنما .

باب حروف الجحد

لن ولم وما ولا وليس وغير وإن

بـاب حـروف القسم

الواو والباء والتاء وهن يخفضن كقولك والله وبالله وتالله : الواو والباء تدخلان على كل الاسماء . والتاء لا تكون الا في الله عزوجل وحدها .

وجواب القسم بأن واللام ولا وما ، والله ما زيدٌ بقائم ووالله لا قام زيدٌ ولا يقوم زيدٌ . ووالله ليقومن زيدٌ ولقلثم زيدٌ /٢٢ ووالله إن زيداً لقائم، ووالله لزيدٌ خيرٌ منك .

ومما يجري مجرى الحروف وهي اسماء معروفة : لعمر الله ، وعلي عهدُالله ، وامانة الله ، ومما ينصب يمينَ الله وعَمرك الله ، وقعدَك الله، ونشدتك الله .

باب مواضع النون

تدخل النون في الفعل المستقبل مشددة ومخففةً في ستة مواضع : في الامر والنهي وفي الدعاء والاستفهام . وفي ما اذا كانت زائدة وقع اللام في جواب القسم وتلزم اللام ، ويجوز ان تحذف في كل موضع غيرها ، تقول لا تضربُنَّ زيداً ، تسقط واو الجمع معها لان الواو ساكنة والنون التي بعدها ساكنة ، ولا تسقط الف التثنية لئلا يشبه فعل الاثنين فعل الواحد .. وللمرأة لا تضربِنَّ زيداً ولا تضربانٌ زيداً ، ولا تضربنانٌ زيداً ، تزيد في الجمع الفاً بعد النون لتفرق بين النونات . وتخفف النون في كل موضع الا في التثنية وجمع التانيث ، فاذا خففت فكان قبلها فتحة ابدلتْ الفاً في الوقف . تقول لا تضربا في الوقف . فان كان قبلها كسرة او ضمة اخرجت الفعل في الوقف مخرج مالانون فيه . تنظر كيف كان قبل ان يدخله النون فتخرج ذلك المخرج كقولك : لا تضربي للمرأة ولا تضربوا للرجال وهل يضربون وهل تضربين .

هذا باب ما يجمع مسائل(١٥١) شتى وابوابا

اعلم ان الرفع كله من وجه واحد وهو ان تقترن خبرا باسم ، فان كان الخبر مقدما رفعت به الاسم والخبر ابدا فيه تأويل الفعل وذلك قام زيدٌ ، ويقوم عمرو ، وخلفك زيدٌ معناه استقر خلفك زيدٌ . وقام زيدٌ بمنزلة يقوم زيدٌ ، فان تقدم الاسم رفعه الابتداء والخبر مضموم الى ضميره ، وضميره في الخبر مرفوع ، نحو زيد قام، وزيدٌ يقوم ، وزيد خلفك ، هذا معناه مثل الاول في انه اسم وحديث الا ان في الخبر ضميره ، واذا تقدم الخبر فلا ضمير فيه فالرفع اذن في اجتماع اسم وخبر وهما جميعا مستحقان للرفع لان كل واحد منهما متعلق بصاحبه مسندٌ اليه لا يقتصر على احدهما دون الاخر والنصب كله من وجه واحد ، وهو ان يجمع بين شيئين فيكون احدهما اسما والاخر خبرا عنه ، ويجيىء المنصوب لما في الخبر من الدلالة عليه فيكون متعلقا بالخبر فيكون كالمفعول به ، وقد بينا وجوهه الا انه لا يكون ابدا الا وشيئان قد عمل كل واحد منهما في صاحبه في الكلام وفي نيتك ، وذلك نحو ضرب عبدالله زيدا ، فضرب عبدالله مقرونان ، وزيدٌ مدخل في الحديث، وكذلك ان زيدا قائم ، ان وقائم مقرونان /٢٣ وزيدٌ مدخلٌ فيهما ، وكذلك ظننت زيدا عالما فالظن والتاء مقرونان وزيدٌ وعالم مدخلان فيهما .

والخفض كله من جهة الاضافة الا ان يكون بالاسماء والحروف التي سميناها ، فهذا يأتي على اعراب الاسماء كلها . وفي الاسماء ما لا اعراب له ،

---

(١٤٩) يقصد ان الخبر منصوب على نزع الخافض على راي الكوفيين لانهم يرون ان ما لا تعمل شيئا

(١٥٠) زيادة يقتضيها السياق .

(١٥١) في الاصل « مسايل » والصواب ما أثبتناه

وهو في الحكم في موضع معرب مثل انا وانت وهو وهي واياك واياه واياها وإياي وهذا وما أشبه ذلك .

ومنها ما يستوي في كل حال مثل الاسماء المقصورة نحو عصا(١٥٢) ورحىً ، الا انه ينوّن ما كان نظيره ينصرف ، ولا ينوّن ما كان نظيره لا ينصرف وهو مسكن على كل حال .

ومنها ما يسكن في الخفض والرفع فيستويان ويكونان منونا في الاعراب وساكنا في الاضافة ويتحرك في النصب وذلك كل اسم في آخره ياء خفيفة قبلها كسرة نحو قاضٍ وجوارٍ .

ومنها ما لا ينصرف فلا يدخله التنوين .

واعلم ان حروفا تجري على وجهين : لَدُن غُدوةً ، وغُدوةٌ تخفض وتنصب ، وبَلْه كذلك وبَلْهَ يفسر على معنيين في معنى دع وفي معنى فكيف . ومُذْ ترفع ما مضى وتخفض ما انت فيه . ومنذُ تخفض كل ذلك .

والمقاديرُ كقولك عندي رطل زيتا ورطل زيت ومنوانِ عسلاً ومنوا عسلٍ .

والاضافة كلها ان يضاف الشيء الى غيره أو يضاف البعض إلى الكل وهما مضارعان اللامَ ومِن كقولك ثوب خَزٍ أي ثوب من خَزٍ وغلامٌ زيدٍ اي غلامٌ لزيد

تم الكتاب

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير البريّة محمد وآله الطيبين أجمعين وحسبي الله ونعم الوكيل والمعين .

---

(١٥٢) كتبت في الاصل هكذا « عصى »

مراجع الدراسة والتحقيق

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ ادب الكاتب لابن قتيبة تحقيق محيي‌الدين عبدالحميد ط٤ مصر ١٩٦٣م

٣ ـ الاضداد في اللغة لابن الانباري ـ المطبعة الحسينية مصر ١٣٢٥ هـ

٤ ـ الانصاف في مسائل الخلاف لابن الانباري ط٤ مصر ١٩٦١م

٥ ـ بغية الوعاة السيوطي ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة ١٣٢٦

٦ ـ تاج العروس الزبيدي ـ طبعة مصر ١٣٠٦-١٣٠٧

٧ ـ تاريخ الادب العربي بروكلمان ـ الترجمة العربية د . عبدالحليم النجار ط٢١ دار المعارف مصر ١٩٦٨

٨ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ـ دار الكتاب العربي بيروت ١٩٦٨

٩ ـ الحلل في اصلاح الخلل من كتاب الجمل لابن السيد البطليوسي ـ تحقيق سعيد عبدالكريم نسخة مطبوعة على الآلة الكاتبة ـ في مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب

١٠ ـ شرح المفصل لابن يعيش

١١ ـ الفهرست لابن النديم ـ نشره غوستاف فلوجل ١٨٧١م

١٢ ـ القاموس المحيط الفيروزآبادي ط١ مصر ١٩٢٥م

١٣ ـ كتاب سيبويه ـ طبعة بولاق ـ مصر ١٣١٦هـ

١٤ ـ لسان العرب لابن منظور ـ طبعة بيروت ١٩٥٥

١٥ ـ مدرسة الكوفة د . مهدي المخزومي بغداد ١٩٥٥

١٦ ـ مرآة الجنان اليافعي ـ حيدر آباد ١٣٣٧-١٣٣٩ .

١٧ ـ مراتب النحويين لابي الطيب اللغوي تحقيق ابو الفضل ابراهيم ـ القاهرة ١٩٥٥

١٨ ـ مروج الذهب للمسعودي تحقيق محيي‌الدين عبدالحميد ج٢ كتاب التحرير ١٩٦٧

١٩ ـ المزهر في اللغة للسيوطي تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم وجماعة من الاساتذة ـ دار احياء الكتب العربية

٢٠ ـ المصباح المنير للفيومي ط٢ ـ المطبعة الاميرية مصر ١٩٠٩م

٢١ ـ معجم الادباء لياقوت الحموي نشر مركليوث ط٢ ـ مصر ١٩٣٠

٢٢ ـ نزهة الالباء في طبقات الادباء لابن‌الانباري ـ تحقيق‌ابراهيم السامرائي بغداد ١٩٥٩

٢٣ ـ هدية العارفين لاسماعيل باشا البغدادي ـ استانبول ١٩٥١

٢٤ ـ همع الهوامع للسيوطي ط١ ـ مطبعة العادة مصر ١٣٢٧هـ

ديوان الشيخ كاظم الازري

١١٤٣ ـــ ١٢١٣

القسم الأول

عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه

شاكر هادي شكر

الشيخ كاظم الازري

نسبه وأسرته :

هو الشيخ كاظم (١) بن الحاج محمد بن الحاج مراد بن الحاج مهدي بن ابراهيم بن عبدالصمد بن علي البغدادي التميمي (٢) .

قال المرحوم الحاج عبدالحسين الازري في مقال له (٣) :

« بيت الازري : بيت علم وثراء ، ويظهر من ورقة الوقف المشهورة بوقف بيت الازري ، وبعض الحجج الشرعية القديمة ان اسرة هذا البيت كانت تقطن بغداد منذ اكثر من ثلاثة قرون. اما قبل ذلك فلا نعلم عنها شيئا (٤) . وقد اشتهر من بينهما علمان هما : الشيخ كاظم ، والشيخ محمد رضا (٥) ، وكان لهما أخ ثالث اكبر منهما سنا هو الفاضل الشيخ يوسف الازري (٦) ، ويوجد في مكتبة المغفور له السيد حسن صدرالدين مؤلف للشيخ يوسف المذكور في علم النحو شبيه بكتاب قطر الندى لابن هشام ، كتب على ظهره : هذا ما الفه الشيخ يوسف بن الحاج محمد بن مراد الازري البغدادي التميمي ، ومن هذا الكتاب تأكدنا ان هذه الاسرة ترجع الى قبيلة تميم في العراق . وقد اعقب الشيخ يوسف هذا ولدين هما الشيخ مسعود ، والشيخ راضي (٧) وكان الاول منها اديبا وشاعرا ، وقفنا على بند له شبيه بالبند المعروف للشاعر ابن الخلفة (٨).»

والظاهر ان الحاج مراد هو الذي لقب بالازري ، ولعله كان يبيع الازر (٩) أو يحوكها .

مولده ، ونشاته :

اتفق مترجموه على انه ولد سنة ١١٤٣هـ ، وجاء في مقال الحاج عبدالحسين المذكور انفا ما نصه :

« لم تزل داره التي ولد فيها قائمة في محلة راس القرية من بغداد وهي من جملة اوقاف والده التي وقفها عليه وعلى اخوته (١٠) . »

ومن الجدير بالذكر ان الشاعر يصرح في احدى قصائده (١١) انه كرخي فيقول :

سلام على تلك المغاني التي بها
نعمنا وحياها من المزن صيب
اذ الكرخ داري والاحبة جيرتي
وقومي ترضى ان رضيت وتغضب

وذكر الشيخ حرزالدين (١٢) انه توفي في كرخ بغداد .

وبقي في طفولته مقعدا سبع سنوات ، ثم مشى (١٣) وهنا تنقطع اخباره عنا فلم يذكر احد عن شبابه شيئا .

---

(١) سماه بعض الذين ترجموا له (محمد كاظم) وسماه اخرون (الملا كاظم) .

(٢) كذا ورد نسبه في الكنى والالقاب ١٩/٢ ، والذريعة الى تصانيف الشيعة ٦٩/٩ ، وفي معارف الرجال ١٦١/٢ ، ومراقد المعارف ١٣٨/١ تقديم مهدي علي مراد .

(٣) نشر في العدد (١٤) من مجلة الغري الصادر في جمادي الثانية سنة ١٣٦٤ هـ .

(٤) لما كانت الاسرة تميمية فمن غير المستبعد انها جاءت من مضارب بني تميم القريبة من بغداد .

(٥) هو اصغر من الشيخ كاظم ، توفي سنة ١٢٤٠هـ بلا عقب (الذريعة ٦٩/٩) .

(٦) توفي سنة ١٢١١ ورثاه السيد محمد زيني بقصيدة جاء في تاريخها (ليوسف مكنا المنازل في الخلد) ، انظر معارف الرجال ٢٩٦/٣ .

(٧) توفيا بالطاعون سنة ١٢٤٦ هـ (تاريخ الادب العربي في العراق ٢٩٦/٢) .

(٨) انظر ترجمة ابن الخلفة وبنده في كتاب البند للاستاذ عبدالكريم الدجيلي ص/٦٧ .

(٩) الازر ، جمع الازار ، كان النساء يلبسنه كالعباءة ، وهو مؤلف من قطعتين ، تتزر المراة بواحدة ، وتتجلبب بالثانية . وقد زال استعماله في العراق بعد زوال الحكم العثماني .

(١٠) تاريخ الوقفية سنة ١١٥٩هـ ، وقد حصل نزاع بين المرتزقة فصفي الوقف حسب قانون التصفية (تاريخ الادب العربي في العراق ٢٩٦/٢)

(١١) البيتان (٤٠و٤١) من القصيدة العاشرة

(١٢) مراقد المعارف ١٣٨/١

(١٣) مقال الحاج عبدالحسين الازري المار ذكره

صفاته :

كان قصير القامة مع سمنة فيه(١٤) ، واذا صح قوله(١٥) :

ولـم الغ حـرف الـراء الا انني
اذا فهت بالـراوي تفوهت بالغاوي

فهو الثغ بحرف الراء . كان سريع الخاطر ، حاضر النكتة، وقاد الذهن ، ومن ابرز صفاته الجراة ، والصراحة المتناهية ، والشواهد كثيرة . فمن ذلك انه لما قتل عبدالله الشاوي بامر من الوالي عمر باشا سنة ١١٨٨ رثاه بقصيدة ليست كالرثاء المألوف ، بل كانت ثورة عارمة على الوالي وحكومتـه ، جاء فيهـا (١٦)

سابكيك بالبيض اليمانيـة التي
تهـد من الاطـواد كـل مشيـد
وارثيك بالطعن الـدراك كانـه
قصـيد منـون مردف بقصيـد

* * *

بني حمير لا تطرحوا الحـزم خلفكم
فان اطـراح الحـزم غير سـديد
ولا تصبروا عن اخذ ثارات يومه
الا رب صـبر لم يكن بحميـد

* * *

قتلت على ايـدي الاذلين عنـوة
وما ذاك من اهـل التقى ببعيـد
فاين علـي من مقـام ابن ملجـم
وأين حسين من مقـام يـزيد

وكان اولاده الاشاوس ، وعشيرته المغاوير استجابوا لهـذا النـداء فشنوها حربا ضروسا كادت تزعزع حكومة المماليك .

هيئته :

قال بعض مترجميه انه كان حليـق اللحيـة مفتـول الشاربين (١٧) يعتمر اليشماغ والعقال ، ويحتذي (اليمني) الاحمر (١٨) ، ومنهم من يقول : انه كان وقورا ذا لحية بهيـة يعتمر (الكشيدة) . وقد انبرى من قبل ، المرحوم الاسـتاذ عبدالحميد الدجيلي مؤيدا اصحاب القول الاخير فقال (١٩) . « دفعني الى كتابة هذا الموضوع ما رأيته من تخرص بعـض المتشاغلين بتاريخ الادب اندفاعا للقول وان كان جزافا . فقـد ترجم هذا للازري ، ورماه ببعض النواقص اعتمادا علـى مـا عرف عن الازري في اوساط عوام الناس ، انه كان حليق اللحية مبروم الشاربين ، مخاصما عنيدا ...

انه كان معمما ، ومن ذوي العلم ، ورجال الفقه والادب المحترمين »

ثقافته :

قال الحاج عبدالحسين الازري في مقاله المذكور « درس العلوم العربية ، ومقدارا غير قليل من الفقه والاصول على فضلاء عصره ، ولكنه ولع بالادب فانقطع عن متابعة الدروس ، واخـذ ينظم الشعر وهو لم يبلغ العشرين »

وجاء في معجم المؤلفين لكحالة (٢٠) انه « اديب شاعـر مشارك في الحديث والتاريخ والكلام ، والتفسير والحكمة » .

ويقول العلامة المظفر في مقدمته المذكورة : انه درس في النجف ، ثم عقب على ذلك بقوله « لم يذكر عن شاعرنا ما درس في النجف ، وعلى من تلمذ ، وباية درجة كـانت ثقافتـه ؟ غير ان الذي يقرأ شعره يرى فيه لفتات الفاضل العالم بالمعارف الاسلامية ، بل اكثر من ذلك يجد انه قد درس الفلسفة ، وفهم دقائقها ، وان كان يقول :

كفي رويـدك والفـصري ياهـلي
هيهات ليس الفيلسوف بهاذ (٢١)

والا فلا تخل غير الدارس للفلسفة المتذوق لها يتمكن ان يقـول (٢٢) :

وهـو الآيـة المحيطـة بالكـو
ن ففـي عـين كـل شيء تراهـا
هـو طـاووس روضـة الملك بل نا
موسـها الاكبـر الـذي يرعاهـا
وهـو الجوهـر المجرد منـه
كـل نفـس مليكهـا زكاهـا
لـم تكـن هـذه العناصـر الا
من هيـولاه حيث كـان اباهـا

ففي هذه الابيـات :

اولا ـ تلمع النزعة الاشراقية الى القول بوحدة الوجود ، ذلك قوله (ففي عين كل شيء تراها) ، واراد بالعين : الوجود العيني للشيء كما هو اصطلاحهم .

ثانيا ـ قوله (طاووس روضة الملك) وهو اصطلاح عرفاني المسمى عندهم ايضا بالعنقاء ، ويقصدون به الملك الروحاني المدبر ، او العقل الفعال . وكذلك قوله (ناموسها الاكبر) من اصطلاحهم .

ثالثا ـ في البيتين الاخيرين يشير من طرف خفي الى نظرية المثل الافلاطونية في احدث تفاسيرها الدقيقة ، فيطبق المثـال المجرد للنوع الانساني على النبي (ص) كما هو رأي بعض الفلاسفة الاشراقيين ، ولذلك هو يعبر عن النبي(ص) (٢٣) بالجوهر المجرد الذي منه أشخاص النوع تمتد في تكوينها وتزكية اخلاقها بتدابير المليك المصور تعالى شأنه .

---

(١٤) المصدر السابق
(١٥) القطعة (١٠٩) من الديوان
(١٦) القصيدة (٣٧) من الديوان
(١٧) مقدمة القصيدة الهائية للازري بقلم المرحوم العلامة محمد رضى المظفر طبعة النجف ١٣٥٠هـ .
(١٨) هكذا عرفتهم للاستاذ الخليلي ٣/٣٧
(١٩) انظر كلمته (موازنة بين شاعرين) المنشورة في مجلة الدليل النجفية ، العدد /٦ السنة الثانية .

(٢٠) ج/٨ ص/١٣٩ .
(٢١) انظر القطعة (٥١) (وهي بيت واحد) وقلت في التعليق على البيت : لعل الاصل (ليس الفيلسوف بهاذ) من الهذيان، وبهذا التوجيه يزول التعارض الذي ذكره العلامة المظفر .
(٢٢) من قصيدته الهائية
(٢٣) في المصدر المذكور (الامام) مكان (النبي) في الموضعين ، وهو وهم ، لان هذه الابيات في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام وليست في مدح الامام علي (ع) .

ويشير الى نظرية السببية استطرادا ، وجيء عنده بموضع الاعتبار فيقول من قصيدة (٢٤) :

حبي لـه تصلني الى حـرم المنى
لابـد مـن سـبب لـكل مسبب

وهكذا تجد في ابيات كثيرة (اذا تدبرتها) ان الرجل صاحب فلسفة وعلم ، فضلا عما ينطق به شعره وبراعته فيه من دراسته للعلوم العربية والاسلامية » انتهى .

واضيف الى ما تقدم بعض اقواله التي تنم عن المامه بالعلوم السائدة في عصره ، قوله وهو من اصطلاحات الفلاسفة :

كن كيف شئت مكوكبا او مركزا
ما الجوهر النوري كالثقل الدجي (٢٥)

* * *

ما بعد جوهرك المجرد غايـة
فضح الجواهر غيرك التجريد (٢٦)

* * *

لم تدر انك للمكارم عنصر
وعناصر الاشياء لم تتحول (٢٧)

* * *

لك حكمة قام الوجود بلطفها
والروح موجبة قيام الهيكل (٢٨)

وله ، وفيه اشارة منطقية :

معاداة الرجال بغير داع
بناء للامور على فساد (٢٩)

ومن عرفانياته قوله : (٣٠)

ادر الزجاجة لا عدمت مديرا
واسق الندامى نضرة وسرورا
واجل علينا من تجلي حسنها
نارا تعد من القلوب الطورا
عجبا لها باللملا ببروزها
نارا وقد حشت العوالم نورا
هاتها اسقنا ذات الصفاء وخلنا
من عين كرم كدرت تكديرا
لله خمر لم يخامر جرمها
خبث فكانت للطهور طهورا
معصورة بالوهم لم تذكر لها
اهل العصور السالفات عصيرا
مخبومة في حانة قد عطرت
كل العوالم ريحها تعطيرا
ياصاحبي لا اعتراني بالتي
لقفت فكانت للرميم نشورا

(٢٤) البيت (٧٣) من القصيدة الثامنة .
(٢٥) البيت (١٠٢) من القصيدة (١٢)
(٢٦) البيت التاسع من القصيدة (١٧)
(٢٧) البيت (٥٦) من القصيدة (٨٦)
(٢٨) البيت (٦٢) من القصيدة المذكور
(٢٩) البيت (٢٨) من القصيدة (٤٥)
(٣٠) مطلع القصيدة الرابعة والستين

طوت العهود وما استحال شبابها
فكانها لم تعرف التغييرا
شمطاء فاعجب من عدالة سنها
عذراء فاغتنم وصلها معذورا
ام الدهور وحبلنا تاثيرها
من قبل ان يجد الوجود السرا
هي جنة المأوى فقل لأباتها
ذوقوا عذابا دونها وسعيرا
بل صورة الحسن التي مهما بدت
لعيون قوم كبّروا تكبيرا
الله اكبر يالها من صورة
لا يستطيع لها امرؤ تصويرا
فاشرب وغنِّ على اسمها مترنما
واقض الليالي ضاحكا مسرورا

وله في الجاذبية (٣١)

لولا ملاحظة الافلاك من صعد
ما كان قلب الحديد الصلد ينجذب

وله في الهيئة (٣٢)

ولا تطلبن السعد الا باسعد
فلولا ضياء الشمس لم يشرق البدر

وله ايضا (٣٣)

واذا الهداية لم تغب عن رايه
فالشمس عن اهل السما لم تافل

وله في طبائع الحيوان الصامت (٣٤) :

ويعرفونك من بعد كما عرفت
قرب الضياغم من انفاسها الحمر

وله ايضا (٣٥) :

كم في بنيه ظلما متظلما
كالذئب يقتنص الغزال ويضلع

هذه لمع عابرة علقت بالذهن اثناء تحقيق الديوان وهي غيض من فيض .

مكانته الاجتماعية :

نستشف من ديوانه انه كان متصلا بالوالي سليمان باشا الكبير مدة تقارب العشرين سنة ، مدحه خلالها بقصائد عامرة ، كما كان اتصاله وثيقا بالكثير من البيوتات الرفيعة في بغداد ، والموصل ، والبصرة ، والفرات الاوسط ، والنجف الاشرف ، كآل النقيب الكيلانيين ، وآل الحيدري ، وآل الفخري ، وآل الجليلي ، وآل عبدالسلام ، وعميد اسرة آل كاشف الغطاء (الشيخ جعفر الكبير) والشيخ حمد آل حمود رئيس الخزاعل ، وغيرهم ، ولكن انقطاعه كان الى آل الشاوي . بدات هذه الصلة بعبدالله بن شاوي الشاهري ، وبلغت ذروتها مع ولده

(٣١) البيت الثالث من القصيدة الثالثة
(٣٢) البيت (١٢) من القصيدة (٥٩)
(٣٣) البيت (٤٩) من القصيدة (٨٦)
(٣٤) البيت (٢٩) من القصيدة (٥٥)
(٣٥) البيت الثالث من القصيدة (١١٨)

سليمان الذي كان يقدر فضله ويرتاح لقربه ، ولم يزل يحمي جانبه ، ويدافع عنه . فلعلاقاته الواسعة هذه ، ولانه تميمي - وديار بني تميم مصاقبة لبغداد - ولذيوع صيته في العلم والادب والشعر ، ولجراته وقوة حجته ، اصبحت له في مجتمعه مكانة مرموقة .

حالته المالية :

قال مترجموه : انه من عائلة ثرية ، وان اباه وقف املاكه على اولاده ، وقيل ايضا انه حج بيت الله الحرام سنة الف ونيف ومائة وستين ، وله في حجه قصيدة مطلعها (٣٦) :

انخ المطي فقد وفدت على الحمى
والثم ثراه محييا ومسلّما

ومن موجبات الحج : الاستطاعة المالية ، غير انه كان يمدح للعطاء ، ويلح في الطلب ، وما ابدع اعتذاره عن هذا الالحاح حين يقول (٣٧) :

نذكر بالرقاع اذا نسينا
ونطلب حين تنسانا الكرام
لان الام لم ترضع فتاها
مع الاشفاق ان سكت الغلام

ولان حجه كان في ايام شبابه - ولربما كان برفقة والده - يلوح لي انه ادركته حرفة الادب فاقعدته عن العمل المثمر ، وان حصته من عائدات الوقف ضئيلة لا تسد حاجته ، فاضطره العوز الى التكسب بالشعر ، والا كيف نعلل قوله :

ومارث مجدي حيث رثت ملابسي
وقد تودع الحق الحقير الجواهر

وفاته :

اختلف المؤرخون في تاريخ وفاته ، ففي الكنى والالقاب ، والذريعة الى تصانيف الشيعة ، وتاريخ الادب العربي في العراق ، انه توفي سنة ١٢١١ ، وفي مقال الحاج عبدالحسين الازري ، انه توفي سنة ١٢١٢ ، وقال كاتبه « غير ان الحجر الذي وجد في داخل السرداب يدل على ان تاريخ وفاته سنة ١٢٠١ » .

ولعل طمسا حصل في الرقم الثاني للتاريخ بسبب قدم الحجر فقرئ (١٢٠١) بدلا من (١٢١١) .

وفي معارف الرجال انه توفي سنة ١٢١٣هـ . ولكنهم جميعا اتفقوا على انه دفن في الكاظمية في مقبرة تخص آل الازري تقابل الحجرة التي فيها القبر المنسوب الى علم الهدى الشريف المرتضى ويضمهما في الوقت الحاضر سقف واحد .

عقبه :

قال بعض مترجميه : المشهور انه لم يترك عقبا ، وسكت البعض الاخر عن ذلك . وقد اطلعني الاستاذ المحامي فاضل عباس العزاوي - مشكورا - على ورقة بخط والده جاء فيها ما ملخصه :

ان اسرة الازري انقرضت اعقابها الا من النساء ، وان الموجودين حاليا على قسمين :

القسم الاول ، اولاد نركز بنت فاطمة بنت الحاج يوسف بن الحاج محمد الازري ، واولادها الذكور :

١ - الحاج احمد المتوفى سنة ١٣١٠ عن ولدين هما :

ا - عبدالكريم المتوفى سنة ١٣٢١

ب - حميد المتوفى سنة ١٣٣٠

٢ - الحاج يوسف المتوفى سنة ١٣١٤ عن ولدين هما :

ا - عبدالحسين المتوفى سنة (...) (٣٨)

ب - محمد المتوفى سنة ١٣٤١

٣ - الحاج علي المتوفى سنة ١٣٠٦ عن ثلاث بنات

٤ - الحاج حسين

القسم الثاني اولاد حسين بن آمنة بنت الشيخ كاظم بن الحاج محمد الازري ، وهم :

١ - الحاج حمودي المتوفى سنة ١٣٣٥ عن اربع بنات

٢ - علوان ، المتوفى سنة ١٣٥٨ عن خمسة اولاد ، هم :

ا - عبدالحسين
ب - عبدالمنعم
ج - عبدالامير
د - عبدالخالق
هـ - عبداللطيف

وثلاث بنات

٣ - جواد المتوفى سنة (. . . .)

٤ - بنت توفيت سنة (. . .) عن ذيبان وشقيقته

ادبه وشعره :

يوجد في كل عصر شعراء يسهل على المؤرخ تصنيف درجاتهم ، وقد يوجد من بين كل صنف شاعر يتميز عن معاصريه بفوارق لا تكاد تحس . اما عصر الازري وقد حفل فيه العراق بطائفة كبيرة من الشعراء امثال السيد حسين بن السيد مير رشيد (ت ١١٥٦) وحسن عبدالباقي الموصلي (ت ١١٥٦) والسيد نصر الله الحائري (ت ١١٥٨) والشيخ محمد علي بشارة النجفي (ت ١١٦٠) والحاج محمد جواد عبدالرضا العواد البغدادي (ت بعد سنة ١١٦٣) والحاج احمد النحوي الحلي (ت ١١٨٣) وعثمان الدفتري العمري الموصلي (ت ١١٨٤) والشيخ محمد بن مصطفى الغلامي الموصلي (ت ١١٨٦) والسيد يحي الفخري الموصلي (ت ١١٨٧) وعبدالرحمن السويدي البغدادي (ت ١٢٠٠) والشيخ حسين العشاري (ت في حدود سنة ١٢٠٠) والسيد صادق الفحام النجفي الحلي (ت ١٢٠٤) والسيد سليمان الكبير بن السيد داود الحلي (ت ١٢١١) والشيخ محمد رضا الازري (ت ١٢٤٠) والسيد محمد جواد (سياه بوش) بن السيد محمد زيني البغدادي (ت ١٢٤٧) وغيرهم كثير ، فلا تجد فيهم من يدانيه في براعته الشعرية ، فهو وحده امة من الشعراء ، وقد صدق في قوله عن نفسه (٣٩) :

---

(٣٦) مقال الحاج عبدالحسين الازري ولا وجود لهذه القصيدة في الديوان

(٣٧) القطعة (٨٦)

(٣٨) اخاله الحاج عبدالحسين الازري الشاعر المشهور

(٣٩) البيت الاول من القطعة (١١)

يا ابا احمد رويداً رويدا
انا في الشعر صاحب المعجزات

وهو القائل ايضا (٤٠) :

ابى الشعر الا ان يحل بساحتي
فياكل من زادي ويشرب من شربي
اذا انا لم اعبأ به عمر ساعة
توهم هجراني فلاذ الى جنبي

فمن يتفحص شعره ، وشعر من جاء بعده ، يؤمن بانه صاحب مدرسة انتفع بمنهجها واسلوبها جماعة من الشعراء خلال القرنين الثاني عشر ، والثالث عشر الهجريين . بل لا اغالي اذا قلت انه الوحيد الذي استطاع - من بين الشعراء - ان يقارب المتنبي في الحكمة وضرب المثل . ولقد احصيت له ما يدخل في هذا الباب فوجدته اكثر من اربعمائة بيت (٤١) ، اجتزىء منها بهذه الباقة (٤٢) :

دم في ملازمة الغرام فانما
سبب الدخول دوام قرع الباب

* * *

لا تكثرن من الشباب وذكره
انت ابن يومك لا ابن ماضي الاحقب
ايام زان نتاجها عقم النوى
ومن الغنيمة عقم من لم تنجب

* * *

شديد حزم كأن الحزم قال له
لا يصدق النيل حتى يصدق الطلب
تابوا ولكنهم من بعد ما عطبوا
ما استنبط الراح حتى عتّق العنب

* * *

وخلتها في سبيل المجد مرقلة
فكل سعد بغير السعي مكذوب
ولنزل على طاعة الاقدار محتسبا
فان من غالب الاقدار مغلوب
ورب سيف يرى اوداج صيقله
وحافر لقليب فيه مقلوب

* * *

لا توحي الا على لديهم
ما على كل من يموت يناح
ومن الظلم ان تلام ببخل
انما البخل في الملاح سماح

* * *

ولسوف يدرك كل باغ بغيه
المرء ينسى والزمان يؤرخ

* * *

وفي العقل رشد النفس لو تقتدي به
وما يفعل المولى اذا ابق العبد

* * *

وعلى اختلاف الرأي كل قائل
ضل الورى وانا المصيب المهتدي
من امكنته فرصة فاضاعها
واستعتب الايام فهو المعتدي

* * *

والنفس لا تنفك من خدع المنى
العمر يبلى والمنى تتجدد

* * *

وقد تأتي الخديعة من صديق
كما تأتي النصيحة من معاد

* * *

اذا فسدت طباع الدهر سادت
على نجبائه اهل الفساد
وما اسفي على الدنيا ولكن
على ابل حداها غير حاد

* * *

واين البخل منك فررت منه
فرار الحسن من صور القرود

* * *

ابدوا وقائع تنسي ذكر غيرهم
والوخز بالسمر تنسي الوخز بالابر
صالوا وصلت ولكن اين منك هم
النقش بالرمل ليس النقش بالحجر
قد كنت في مشرق الدنيا ومغربها
كالحمد لم تغن عنها سائر السور

* * *

ولا تياسن من فرحة بعد شدة
فقد يرخص الغالي وتغلو البواتر
فدع منظري ليس الرجال مناظرا
وخذ مخبري ان الرجال مخابر

* * *

تركت بك الجدال فلذ عيشي
ولولا الحمق لم يكن الجدال

* * *

واذا الحب لم يكن عن عفاف
كان كالخمر مفسدا للعقول
نسأل الارسم الدوارس عنهم
ورب علم اصبته من جهول

* * *

كم مدع غير الحقيقة يدعي
والحق يظهر من كلام المبطل

* * *

وعلى الضلى منا رواصد لم تزل
كالصبح مرصودا بعين بلال

* * *

حسن الخلال متمم كل صنيعة
وزكاة كل صنيعة اتمامها

* * *

ولقد طرق شاعرنا فنون الشعر كلها فاجاد ، ولا اريد ان اثقل على القارىء بايراد الشواهد ، فالديوان بين يديه ، وفيه كل ما تشتهيه الانفس من ضروب الشعر وفنونه ، ولكن الجدير بالقول ان للشاعر قصيدة هائية طويلة تبلغ ٥٨٤ بيتا مطلعها :

---

(٤٠) البيتان الاول والثاني من القطعة العاشرة

(٤١) هذا العدد خاص بما في الديوان ولايشمل القصيدة الهائية.

(٤٢) مراعاة للاختصار لم اشر الى رقم البيت والقصيدة ، اذ من الممكن الاهتداء الى القصيدة من قافية البيت ، والديوان مرتب على حروف المعجم.

لن الشمس في قباب قباهـا
شف جسم الدجى بروح ضياها

تغزل في مقدمتها بما يقارب الخمسين بيتا ، ثم مدح النبي عليه الصلاة والسلام بمائة وثلاثين بيتا ، وخص بالباقي الامام عليا ، احتوى هذه القصيدة بعض مخطوطات الديوان ، وخلا منها بعض ، فرجحت عمل الذين لم يلحقوها به ، لانها اعتبرت هي وتخميسها كتابا مستقلا ، منذ ان طبع الديوان طبعته الاولى في الهند ، وقال الناشر ـ السيد رشيد داود السعدي رحمه الله ـ في خاتمة الديوان مانصه :

« وحيث ان هذه الهائية قصيدة مستقلة بنفسها تنوف على خمسمائة بيت ، ولا يرغب في قراءتها الا القليل من الناس لم نلحقها بهذا الديوان »

وحسنا فعل . واذا كنا قد رجحنا عدم ادخال هذهالقصيدة في صلب الديوان ، فلابد من ايقاف القارىء الكريم على نبذ منها ليرى من خلالها كيف بلغ الشاعر فيها ذروة التفصح الشعري .

ويبدو لي انه قد تفرغ خلال السنين الثلاث او الاربع الاخيرة من حياته لنظم هذه القصيدة بدليل ان اخر قصيدة مؤرخة في ديوانه كانت سنة ١٢٠٧ (٤٣) ولو كان له شعر بعدها لبان .

فمن تغنيه في مطلعها :

مـا اراني بعد الاحبة الا
رسم دار قد امحى سيماهـا
كم شجتني ذات الجناح سحيرا
حين طار الهوى بهـا فشجاهـا
ذكرتني وما نسيت عهودا
لو سلا المرء نفسه ما سلاها
يا خليلي كل باكية لـم
تبك الا لعلة مقلتاهـا
لا تلوما الورقاء في ذلك الوجـ
ـد لعل الذي عراني عراهـا
كان عهدي بهـا قريرة عين
فسلاهـا بالله مم بكاهـا
ليت شعري هل للحمائم نوحي
ام لديهـا لواعجي حاشاهـا
لو حوت ما حويته ما تغنت
سل عن النار جسم من عاناهـا
اهل نجد راعوا ذمام محب
حسب الحب روضة فرعاهـا
قربونا منكم لنشفي صدورا
جعل الله في الشفاء شفاهـا

* * *

كان اشكى الخطوب لم يبك مني
مقلة لكن الهوى ابكاهـا
لو تأملت في مجامد دمعي
لتعجبت من اسى اجراهـا
انا سيارة الكواكب في الخضـ
ـر فاني يعدو علي سهاهـا

كل يوم للحادثات عـواد
ليس يقوى رضوى على ملتقاهـا

ثم يتخلص من الغزل الى مدح النبي (ص) فيقول :

كيف يرجى الخلاص منهن الا
بذمام من سيد الرسل طـه
معقل الخائفين من كل خوف
اوفر العرب ذمة اوفاهـا

* * *

اي خلق لله اعظم منـه
وهو الغاية التي استقصاها
قلب الخافقين ظهرا لبطن
فرأى ذات احمد فاجتباهـا

* * *

نطقت يوم حمله معجزات
قصر الوهم عن بلوغ مداها
بشرت امه به الرسل طرا
طربا باسمه فيا بشراهـا
لم يكن اكرم النبيين حتى
علم الله انه ازكاهـا

* * *

والى فارس سرى منه سر
فاستحالت نيرانهـا امواهـا
واحاطت بهـا البوائق حتى
غاض سلسالهـا وغاض ظماها
والقامت في سفح ايوان كسرى
ثلمة ليس يلتقي طرفاهـا

* * *

شمس قدس بعث محق انشقاق (م)
البدر نصفين هيبة لبهاها
اي ارضية عصت لم يرضهـا
او سماوية سمت ما سماهـا
من تسنى متن البراق ليطوي
صحف الافلاك بـه فطواهـا
وترقى لقاب قوسين حتى
شاهد القبلة التي يرضاهـا
وعلى متنه يد الله شدت
فافاضت عليه روح نداهـا
وأراه مـا لا يشرى من كنوز (م)
الصمدانية التي اخفاهـا
ليت شعري هل ارتقى ذروة (م)
الافلاك ام طاطات له فرقاهـا

وبعد ان يسترسل في تعداد مناقبه صلى الله عليه وآله وسلم يقول متخلصا الى مدح امير المؤمنين علي (ع) .

لا تخف من اسى القيامة هولا
كشف الله بالنبي اساهـا
ملك شد ازره باخيه
فاستقامت من الامور قناهـا
اسد الله ما رأت مقلتاه
نار حرب تشب الا اصطلاهـا
فارس المؤمنين في كل حرب
قطب محرابهـا امام وغاهـا

---

(٤٣) انظر القصيدة (٢٧)

فالله راس الموحدين وحامي
بيضة الدين من اكف عداها

* * *

ظهرت منه في الوغى سطوات
ما اتى القوم كلهم ما اتاها
يوم غصت بجيش عمرو بن ود
لهوات الفلا وضاق فضاها
وتخطى الى المدينة فردا
بسرايا عزائم ساراها
فدعاهم وهم الوف ولكن
ينظرون الذي يشب لظاها
اين انتم عن قسور عامري
تتقى الاسد باسه في شراها
فابتدى المصطفى يحدث عما
يؤجر الصابرون في اخراها
قائلا ان للجليل جنانا
ليس غير المجاهدين يراها
ايـن من نفسه تتـوق الى (م)
الجنات او يورد الجحيم عداها
من لعمرو وقد ضمنت على (م)
الله لـه من جنانـه اعلاها
واذا هـم بفارس قرشي
ترجف الارض خيفة اذ يطاها
قائلا ما لها سواي كفيل
هذه ذمة علي وفاها
ومشى يطلب الصفوف كما (م)
تمشي خماص الحشا الى مرعاها
فانتضى مشرفيه فتلقى
ساق عمرو بضربة فبراها
والى الحشر رنة السيف منه
يملأ الخافقين رجع صداها
هذه من علاه احدى المعالي
وعلى هذه فقس ما سواها

تكتفي بهذا المقدار من القصيدة ، وفيه الدليل الواضح على ان شعره يجمع بين المتانة ووضوح الديباجة ، والجزالة ورقة الاسلوب ، فتراه وهو يسرد القضايا التاريخية ينساب كالماء الزلال ، مع الدقة في التعبير . ولو حاول كاتب بليغ ان ينثر شعره لما استطاع ان ياتي باوضح واوجز منه .

الديوان :

بحثت طويلا عن نسخة خطية بخط الشاعر ، او مقروءة عليه ، او انها منقولة عن واحدة منهما فلم اوفق ، ولكني تمكنت بعد التحري المتواصل من جمع تسع نسخ خطية ، وبعد فحصها فحصا دقيقا ، ومقارنتها مع بعضها وجدتها كلها على درجة واحدة تقريبا من حيث التصحيفات والتحريفات . واذا كان لابد من المفاضلة بينها فان النسخة الموصلية التي رمزت اليها بـ خ / ٧ افضل اخواتها ، ولكنها لا تصلح لان تعتبر الاصل الذي يعتمد عليه المحقق .

ولكي لا اثقل الديوان بالهوامش عند تبيان الفوارق بين النسخ حاولت اسقاط بعضها من الحساب ، وبعد تمحيص ومقارنات وجدت من الممكن الاستغناء عن نسختين ، هما مخطوطة مكتبة الاوقاف العامة ، ومخطوطة المكتبة القادرية ، لاني لم اجد فيهما ما يضيف جديدا ، او يقويم معوجا ، سوى وجود قصيدة واحدة في مخطوطة الاوقاف لا وجود لها في بقية النسخ ، ثم ظهر لي انها ليست للازري ، بل لعزالدين عبدالحميد بن ابي الحديد المتوفى سنة ٦٥٥هـ وهي قطعة من احدى قصائده العلويات السبع ، يراجع الشعر المنسوب للازري وليس له في الملحق الاول للديوان .

التعريف بالمخطوطات :

١ ـ مخطوطتي ، وقد رمزت اليها بـ (خ/١) وهي اسقم النسخ من حيث رداءة الخط ، وكثرة التحريف والتصحيف لا يوجد فيها ما يشير الى اسم المالك او الناسخ ، او تاريخ النسخ .

٢ ـ مخطوطة مكتبة الآثار العراقية المسجلة برقم ١٩٨٤ ، وقد رمزت اليها بـ (خ/٢) . خالية من كل شرح او تاريخ ، سوى انها مختومة بختم المكتبة الشرقية العراقية للآباء الكرمليين في بغداد ، وفي الصفحة البيضاء التي قبل الصفحة الاولى بيتان من الشعر لدرويش علي ، وتحتهما بيتان اخران للشيخ علي الخفاف ، في مدح الازري ، وخط الابيات الاربعة يختلف عن خط الديوان .

٣ ـ مخطوطة ثانية لمكتبة الآثار العراقية مسجلة برقم ١٩٢١ وقد رمزت اليها بـ (خ/٣) ، وعلى الصفحة البيضاء التي قبل الصفحة الاولى تقريظ لشعر الازري نثرا ، وبيتان من الشعر في هجاء الازري ، كتب تحتهما بخط يختلف عن الخط الذي كتب فيه التقريظ والهجاء (استكتبته وانا الضعيف) ثم كتب اسمه (السيد عباس) . ثم يلي ذلك ختم مكتوب فيه (السيد عباس صبري) . وبعده ختم المكتبة الشرقية للاباء الكرمليين ، ولم يرد فيها ما يشير الى تاريخ نسخها ، او عن اية مخطوطة نسخت .

٤ ـ المخطوطة المستعارة من الاستاذ السيد عدنان طعمة (كربلاء) ، وقد رمزت اليها بـ (خ/٤) . فيها نقائص كثيرة ، وقد ترك الناسخ اوراقا خالية من الكتابة بقصد اكمال تلك النقائص . لا يوجد فيها اي شرح او تاريخ عدا وقفية للكتاب مكتوبة باللغة الفارسية على هامش الصفحة (٨٥) من المخطوطة . وبطلب مني قام الصديق الكريم السيد شمس الدين القزويني (كربلاء) بترجمتها مشكورا وهذا نصها :

« هو الواقف على الضمائر ، وقف خادما الشريعة : الشيخ علي والشيخ مهدي هذا الكتاب ـ ديوان الازري ـ مع سائر كتب المكتبة التي هي من ثلث المرحوم المغفور له ساكن الجنان الشيخ عبدالحسين نور الله مضجعه ، وقفا شرعيا على كافة طلاب العلوم من سكنة العتبات المقدسة وغيرهم ، لينتفعوا بها ويحافظوا عليها ، والتولية بيد الواقفين ما وجدوا في العتبات المقدسة ، والكتب المزبورة عندهما ، واذا ارادا السفر فيضعون الكتب عند من شاءا ، وامر التولية حسب الوصاية راجع اليهما ، وبعدهما لاولادهما ، وعند وجود حضرة الاكرمدار الشريعة السيد اسد الله في العتبات المقدسة فهو شريكنا في التولية . جرت الصيغة في شهر محرم الحرام سنة ١٢٨٨ هـ » .

٥ ـ المخطوطة المستعارة من الاستاذ الكبير الشيخ صالح الجعفري ، المرموز اليها بـ (خ/٥) وفي آخرها مجموعة من شعر الشيخ محمد رضا الازري ، خالية من اي شرح او تاريخ .

٦ ـ المخطوطة الثانية المستعارة من الاستاذ الجعفري وهي التي رمزت اليها بـ (خ/٦) . وعلى الصفحة الرابعة والخمسين منها حاشية بخط المرحوم العلامة الجليل نعمان الالوسي هذا نصها :

« هذه القصيدة للعلامة الشهير حسين افندي محشي الحضرمية ، وهي بخطه في ديوانه ، ونسبتها الى المرقوم خطا فلا تغفل ـ نعمان آلوسي زاده » . وفي الصفحة الاخيرة منها ما نصه « هذا آخر ما رايناه مجموعا من شعر الاديب الكامل ، والاريب الفاضل الشيخ كاظم الازري، قد تم على يد ناقله افقر الورى الى الملك الرباني احمد بن عبدالله افندي الشهير بالداغستاني ، في قصبة بعقوبة حال نيابته في المحل المذكور . يوم الجمعة الساعة (٩)ـ ٨ صفر الخير سنة ١٢٨٨هـ » . وفي نفس الصفحة كتابة ضرب عليها بالمداد الاحمر مرارا فانطمست معالمها ، ولم اتبين منها سوى « والصلاة على محمد وآله الطاهرين . حرره العبد الفقير لرحمة ربه الكريم اسد بن محمد حيدر وفقه الله لمراضيه . ذي الحجة سنة ١٣٥٥ في النجف الاشرف »

٧ ـ المخطوطة المستعارة من الاخ النبيل الدكتور محمد صديق الجليلي المرموز اليها بـ (خ/٧) . وهي خالية من اي شرح او تاريخ .

تصنيف المخطوطات والنسخة المطبوعة :

من الممكن تصنيف النسخ المعتمدة في التحقيق الى ثلاث فصائل : تضم الفصيلة الاولى : النسخة المطبوعة ، والنسخ الخطية المرموز اليها بـ (خ/١ و خ/٣ و خ/٦) .

والفصيلة الثانية : تضم النسخ الخطية المرموز اليها بـ (خ/٢ و خ/٤ و خ/٥)

اما الفصيلة الثالثة فهي النسخة المرموز اليها بـ (خ/٧) وحدها ونسخ كل فصيلة من الفصيلتين الاولى والثانية تتقارب كثيرا مع اخواتها ، ولا تتفق معها اتفاقا تاما ، لاننا نلاحظ ـ في الاغلب الاعم ـ ان الخلل الحاصل في بيت من الشعر باحدى النسخ كالتصحيف ، او سقوط كلمة نجد نفس الخلل في بقية النسخ من تلك الفصيلة . اما الاختلاف الطفيف الذي يحصل بين نسخ الفصيلة الواحدة فراجع الى اخطاء النساخ اثناء نقل نسخة عن اخرى .

جمع الديوان :

تبين لي من النسخة المطبوعة ، ومن المخطوطات التي مر ذكرها ان الديوان لم يجمع في حياة ناظمه ، وان الشاعر كان يحتفظ بمسودات مكتوبة على قصاصات من الورق » وفيها الكثير من الابيات المنظومة بصيغتين او اكثر ، وان الذي جمع شعره من بعده لم يفطن لذلك فاثبت المكررات كما وجدها ، وان كثرة التصحيف والتحريف توحي بان الشاعر كان رديء الخط ، وان جامع الديوان كان سقيم الفهم ، فمن هنا وذاك حصل هذا الخلط الغريب العجيب . ولو حصل هذا لديوان شاعر جاهلي او اموي او عباسي لهان الامر ، ولامكن الرجوع في التصحيح الى المصادر الاخرى ، في حين لم اجد لشاعرنا في الكتب التي ترجمت له سوى مقطعات وقصائد تعد على اصابع اليدين ، ولا تقل تحريفا واخطاء عما ورد في الديوان المطبوع او النسخ المخطوطة .

تداخل الابيات في قصيدتين او اكثر :

نجد في بعض القصائد ابياتا سبق ورودها حرفيا في قصيدة اخرى ، او ان البيت المكرر قد حور تحويرا طفيفا ، او تكرر عجزه دون صدره ، ويحدث هذا ـ حصرا ـ في في القصائد المتشابهة في الوزن والقافية .

واخال ان المكرر حرفيا هو من عمل جامع الديوان ، لانه وجد قصاصات مبعثرة ـ كما اسلفنا ـ وان كل قصيدة مكتوبة على عدة اوراق ، فاذا صادف وجود قصيدتين متشابهتين في الوزن والقافية تعذر عليه الفصل بينهما .

اما الابيات المحورة ، او التي تكررت اعجازها دون صدورها فمن عمل الشاعر نفسه ، ومرد ذلك ـ على ما اظن ـ الى الظروف التي تحتم على الشاعر ـ في بعض الاحيان ـ ان ينظم قصيدة بصورة مستعجلة وهو غير متهيء لها . وقد سار على هذه الطريقة الكثير من الشعراء المحدثين قبل الازري وبعده (انظر القصائد ذوات الارقام (٨ و ١٥ ٣٦ و ٦٢ و ٧٤ و ٩٥ و ١٠٢)

الابيات المتجاورة وهي متحدة معنى وقافية :

اعتاد الشاعر ان ينظم بعض الابيات بصيغتين لم يختر الاجود ولا يتلف المهمل منهما ، ولم يفطن جامع الديوان لذلك فاثبت البيت بصيغتيه في القصيدة الواحدة . اما انا فقد اخترت اثناء التحقيق الاصلح فابقيته في محله ، ونقلت الثاني الى الهامش ، انظر على سبيل المثال (البيت ٨٦ من القصيدة ١٢ والبيت ٢٥ من القصيدة ١٥ والبيت ٤٦ من القصيدة ٣٦ والبيت ١٠ من القصيدة ٣٧) وغيرها كثير .

عناوين القصائد :

حدث من الفوضى في عناوين القصائد ولا حرج ، فكل قصيدة ورد فيها اسم سليمان وسمت بانها في مدح سليمان الشاوي، وبعد التمحيص والتحقيق ظهر ان من بينها سبع قصائد في مدح سليمان باشا الكبير والي بغداد ، وقصيدة في مدح سليمان باشا الجليلي ، وامثال ذلك كثير سيجده القارىء مفصلا في التعليق على عناوين القصائد .

عملي في الديوان وطريقتي في التحقيق :

عندما لا حظت ان النسخة المطبوعة من الديوان ، وجميع النسخ المخطوطة التي تحت متناول يدي مليئة بالتصحيفات والتحريفات الفظيعة ، ولا توجد من بينها نسخة يصح الاعتماد عليها لان تكون الاصل في التحقيق ، اعتبرتها كلها اصولا معتمدة بدرجة واحدة ، وان كل واحدة منها تكمل الاخرى . فعمدت الى مقابلة كل بيت في الديوان مع ما يماثله في النسخ الاخرى ، واقفا عند كل كلمة فاحصا مدققا ، ثم اثبت ما اراه صالحا ،

معتمدا بذلك على ذوقي ، ومقدار فهمي لمعنى البيت ، مشيرا في الهامش الى الاختلافات الواردة في سائر النسخ حسب القواعد الآتية :

١ ـ اذا اتفقت النسخ كلها على كلمة مصحفة او محرفة ابقيتها في محلها كما هي ، وحجزتها بين قوسين (هكذا) ثم ذكرت الصواب الذي ارتأيته في الهامش ، ولم اشذ عن هذه القاعدة الا اذا كان البيت يتضمن تاريخا ، ففي هذه الحالة اصحح الخطأ واذكر في الهامش ما كان عليه الاصل .

٢ ـ اذا اختلفت النسخ في رواية البيت اخترت من بينها اصح الروايات واحسنها ، واشرت في الهامش الى الروايات الاخرى .

٣ ـ اذا اختلفت الروايات ، وكانت كلها بعيدة عن الصواب عمدت الى تقويم النص حسب اجتهادي ، ووضعته في المتن بين قوسين معقوفين [هكذا] واثبت في الهامش ما ورد في الاصول .

٤ ـ اما اذا انفردت نسخة واحدة بايراد بيت ما ، وليس له وجود في مصدر اخر ، وكان في ذلك البيت خلل ، اصلحته ثم وضعت الكلمة المصلحة بين قوسين معقوفين ايضا ، واثبت الاصل المغلوط في الهامش .

٥ ـ وبهذه الطريقة المضنية استطعت ان استخلص هذا الديوان من تلك النسخ المشوهة .

بقي شيء يجب الا اغفل عن ذكره ، هو ان بعض القصائد يعوزها التنسيق ، وقد هممت ان اعيد ترتيب ابياتها ثم عدلت عن ذلك لاني محقق مكلف بتقويم النصوص ، وليس من شأني اعادة نسق القصائد .

٦ ـ بعد ان اكملت التحقيق على الصورة المعروضة انفا قمت بضبط الكلمات ضبطا خفيفا يسهل القراءة ، ويرفع اللبس ، وبذلت وسعي في شرح الالفاظ ، وابراز معانيها، سالكا في ذلك طريقا وسطا بين الاسهاب والايجاز ليستفيد منه اكبر عدد من القراء ، وهم على ما اعتقد متفاوتون جدا في درجة ثقافتهم ، ثم عرفت بالاعلام بتراجم مختصرة، وابرزت او صححت اسماء الممدوحين التي خفي علمها على جامعي الديوان او نساخه ـ ما استطعت ـ مستندا في ذلك على ما تضمنته القصيدة من اسماء او القاب ، او كنى صريحة ، او حوادث تاريخية معينة .

٧ ـ رتبت الديوان على حروف المعجم ، مبتدئا في كل حرف بالمضموم ثم المفتوح ، ثم المكسور فالساكن . واضفت اليه كل زيادة وجدتها في احدى النسخ المعتمدة ، وحذفت منه كل ما ثبت عندي بالدليل القطعي انه ليس للازري ، فمن ذلك : قصيدة ليحيى بن سلامة الحصكفي المتوفى سنة ٥٥٣هـ ، واخرى لعزالدين عبدالحميد بن ابي الحديد المتوفى سنة ٦٥٥ ، وقطعة لكمال الدين بن مطروح المتوفى سنة ٦٤٩ ، واخرى اوردها الابشيهي المحلي المتوفى سنة ٨٥٠ في كتابه المستطرف ، وقصيدة للشيخ حسين العشاري المعاصر لشاعرنا ، واخرى للشيخ محمد رضا الازري . ثم الحقت بالديوان تكملة اثبت فيها ما عثرت عليه في المصادر الاخرى منسوبا اليه ، واتبعت التكملة بملحقين ، الاول : يضم الشعر المنسوب للازري وهو ليس له ، والثاني : يضم قصيدتين وردنا مكررتين مع بعض الاختلافات ، فاثبت الاصل في الديوان ، واثبت المكرر في هذا الملحق .

طبعة الديوان السابقة :

طبع الديوان قبل طبعتنا هذه مرة واحدة في الهند بالمطبعة المصطفوية في (بمبي) سنة ١٣٢٠ هـ على نفقة الناشر المرحوم السيد رشيد السيد داود السعدي الموصلي ثم البغدادي . عدد صفحات هذه الطبعة (١٩٢) وعدد قصائدها (٩٨) بين قصيدة ومقطوعة ، تضم (٣٣٠٧) بيتا عدا المكرر والمنحول الذي مر ذكره . وهذه الطبعة غير مضبوطة بالشكل ، مليئة بالتصحيف والتحريف ، والاخطاء الفظيعة ، وقد جاءت فيها معظم العناوين واسماء الممدوحين بعيدة عن الواقع . يضاف الى ذلك ان الناشر لم يشر الى المخطوطة التي طبع عليها الديوان .

ومهما يكن في هذه الطبعة من عيوب ونواقص فان عمل الناشر هذا قبل اكثر من سبعين سنة ، وتجشمه في سبيل ذلك مشاق السفر الى الهند ، وبذله المال اللازم ، عمل مشكور وتضحية لا يقدم عليها الا المتفاني في حب وطنه ، ولغة امته ، كيف لا وهو القائل في المقدمة :

« يقول رشيد بن سيد داود السعدي : لما رايت ديوان فريد دهره وشمس عصره الشيخ كاظم الازري البغدادي مداح حضرة امير المؤمنين ، ويعسوب الموحدين ، الامام علي المرتضى عليه السلام تشتاق اليه الادباء لجودة شعره وسهولته وعذوبته احببت ان اتحفهم بطبعه ، وقد زاد شغفي ، وتضاعف شوقي لطبعه ونشره ما رايت فيه من المدائح ، والتهاني لاكابر بغداد الذين كانوا في القرن الثاني عشر من الهجرة ... » فجزاه الله جزاء العاملين المحسنين .

الديوان في وضعه الجديد :

اما طبعتنا هذه فقد بلغ عدد القصائد والمقطعات فيها مع التكملة (١٤٣) تضم (٤٤٧١) بيتا ، اي بزيادة (٥١) قصيدة وقطعة تحتوي على (١١٦٤) بيتا .

لا أجزم بان هذا الديوان ـ رغم كل الجهود المضنية التي بذلت في سبيل تحقيقه ـ قد خلص من الشوائب ، فليس من المستبعد انه لا يزال يضم شعرا لغير الازري (كالقصيدة ذات الرقم (٢٧) وغيرها) لم اتوصل الى معرفة أصحابه ، كما اكاد اقطع بان له شعرا كثيرا لا يزال مخبوءا في بعض المجموعات الخاصة التي لم يتيسر لي الوقوف عليها ، بدليل ان لشاعرنا صلات قوية بشخصيات عراقية اخرى مرموقة لم يرد ذكرها في الديوان ، وله مطارحات شعرية ومراسلات مع الكثير من اخوانه الادباء والشعراء في بغداد والموصل والنجف وغيرها . ولقد سعيت وراء هذه المجموعات بضع سنين في عدة مدن عراقية حتى تعبت ثم رجعت بخفي حنين ، وعسى ان يسعفني الحظ فاقف على هذه المجموعات كلها او بعضها في الوقت المناسب .

وقبل ان اختم كلمتي عن الديوان اود التنويه باهميته التاريخية بالاضافة الى قيمته الادبية .

فالشاعر ولد سنة ١١٤٣ ، وقامت دولة المماليك في العراق سنة ١١٦٢ وهو يافع ، وتوفي سنة ١٢١٣ على ارجح الروايات، اي انه عاش الحوادث الجسام في معظم ايام حكم المماليك ، ووعاها وسجلها بحكم اتصاله المباشر بالوالي سليمان باشا الكبير الذي دامت ولايته على العراق (٢٢) سنة ومدحه بالعديد من القصائد ، وكان على صلة وثيقة بالكثير من الشخصيات البارزة . ففي الديوان (١٨) قصيدة في مدح الحاج سليمان الشاوي عدا المشتبه بها و(٥) قصائد في مدح ابيه عبدالله الشاوي ، و (٥) قصائد في مدح ولده احمد ، وقصيدة في مدح اخيه محمد ، واخرى في مدح اخيه عبد العزيز . كما مدح الكثير من العلماء ، والزعماء وكبار الموظفين امثال السيد علي الاول نقيب الاشراف ، والشيخ جعفر الكبير ، والسيد صبغة الله الحيدري ، واحمد باشا كتخدا الوالي سليمان باشا الكبير والسيد يحيى الفخري ، والسيد عبدالله الفخري ، وولده السيد اسعد الفخري ، ومحمد امين باشا الجليلي وولده سليمان باشا الجليلي ، والشيخ حمود الحمود رئيس الخزاعل وعشائر الفرات الاوسط ، واحمد آل عبدالسلام البصري ، وغيرهم كثير . وفي معظم هذه القصائد سرد او اشارات عابرة لبعض الحوادث المهمة ، وتسجيل للعادات السائدة آنذاك ، تهم المعنيين بشؤون العراق الحبيب ، وتاريخه المجيد .

كلمة الختام :

لا اريد ان ابث ما عانيت وبذلت في سبيل تحقيق هذا الديوان واخراجه من العدم الى حيز الوجود ، فالجهد المبذول معوض باشباع الرغبة ، واراحة الضمير . ولكن المهم ارضاء القارىء الكريم الذي انتظر هذا الديوان اكثر من ستين سنة ، اي منذ ان نفذت الطبعة الهندية الصادرة سنة ١٣٢٠هـ ، فان تلقى الديوان بالرضا والقبول فذلك - بعد رضا الله - غاية مقصودي ، وان وجد فيه نقصا فليسعني عفوه ، وليتذكر ان العصمة والكمال لله وحده ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

الاصطلاحات والرموز :

١ - استعملت ثلاثة انواع من العلامات لترقيم الهوامش هي :

النجمة (*) لتراجم الاعلام

الحروف الهجائية (ا ب ت) للهوامش التي لا تخص الشعر.

ارقام تسلسل ابيات الشعر للتفسير والتعليق .

٢ - واستعملت الرموز الآتية للاشارة الى نسخ الديوان المعتمدة في التحقيق :

ط = النسخة المطبوعة

خ/١ = المخطوطة العائدة لي

خ/٢ = مخطوطة مكتبة الاثار العراقية المسجلة برقم١٩٨٤.

خ/٣ = مخطوطة ثانية لمكتبة الاثار مسجلة برقم ١٩٢١ .

خ/٤ = مخطوطة الاستاذ عدنان طعمة

خ/٥ = مخطوطة الاستاذ صالح الجعفري

خ/٦ = مخطوطة ثانية للاستاذ الجعفري

خ/٧ = مخطوطة الدكتور محمد صديق الجليلي

الاصول = النسخ التي اوردت القصيدة

الاصل = النسخة التي انفردت بايراد القصيدة .

● * ●

(١) قال يمدح اسعد افندي فخري زاده (*) ـ (١)

١ ـ عبثت بلبك وجنة حمراء
ام لاعبتك ذؤابة سوداء

٢ ـ أم مرت النفحات وهي بليلة
فتحركت بحراكها الاهواء

٣ ـ ام اسهرت عينيك اخبار الألى
منعوا الرضا فتمنع الاغفاء

٤ ـ ام جاد المام الخيال بزورة
ثم ارعوى فالمت البرحاء

٥ ـ أم جددت ذكرى الشباب لك الاسى
أين الشباب وأين منه وفاء

٦ ـ كم مر في الماضين مثلك مدنف
عز الدواء له واعيا الداء

٧ ـ ولو ان دائرة النجوم تعشقت
ما دار في قطب لها ارحاء

٨ ـ ومن التعلل ان تطارحك المنى
ما في مطارحة المنى استغناء

٩ ـ يا صاحبي ما عز قط لطالب
الا الصديق واخته العنقاء

١٠ ـ هل فيك من صلة فتطرق بي الحمى
جادتك يانادي الحمى انداء

١١ ـ حي يروقك منه كيف لحظته
رشأ اغن وروضة غناء

١٢ ـ واذا سالت عن الفؤاد فانما
هتفت به يوم الحمى ورقاء

١٣ ـ تشدو فيسعدها البكاء على الاسى
ولربما نقع الغليل بكاء

١٤ ـ ولقد ذكرت بذي الاراكة منزلا
نشرت جناحيها به السراء

١٥ ـ حيث الكؤوس كانهن حمائم
وكأن (لجلجلة) الكؤوس غناء

١٦ ـ ومذانب الغدران يطفح ماؤها
والدوح ترقص تحته الافياء

١٧ ـ واللثم يمتص الخدود كانها
ديم الندى ظفرت به رمضاء

١٨ ـ حلت به حلل الشقيق كانما
صبغت حواشي جانبيه دماء

١٩ ـ الراح تسكب في الزجاج كانها
نار احاط بجانبيها الماء

٢٠ ـ والجو وعث بالغيوم قد التقت
فيه الصفوف وضاق منه فضاء

٢١ ـ فكأن مرتكم السحاب عساكر
وكأن خافقة البروق لواء

٢٢ ـ لله من لوهم يسكب كأسها
غابت على آثاره الندماء

٢٣ ـ حتى اذا دبت بهم نشواتها
خروا لها موتى وهم أحياء

٢٤ ـ من عاذري في وجنة موشية
زرت عليها اللامة الخضراء

٢٥ ـ لا تعجبن من اصفراري في رشا
حجبته عني الكلة الصفراء

٢٦ ـ علقت بأذيله النوى فكانما
طارت بلب حشاشتي الكوماء

٢٧ ـ لم يشجني الا ترقرق مرشف
تحميه عني الطعنة النجلاء

(*) هو السيد اسعد بن السيد عبدالله الفخري من بيت علم وادب ، ومن السادة الاعرجية في الموصل . خلف والده بعد وفاته في كتابة ديوان الولاية ببغداد سنة ١١٨٨هـ . له ديوان باللغة التركية (مخطوط) . توفي في اوائل ايام سليم خان الثالث الذي تولى السلطنة سنة ١٢٠٣هـ (تاريخ الادب العربي في العراق ٢/٤٠ ضمن ترجمة عبدالله الفخري و ٢/٢٨٣) .

(١) لا وجود لهذه القصيدة في خ/٢ وخ/٥ و خ/٦ .

(٢) في خ/٧ (النسمات) مكان (النفحات) .

(٤) ارعوى : رجع . البرحاء : شدة الالى والمشقة

(٦) المدنف العاشق الذي اثقله المرض . عز الدواء : ندر فلا يكاد يوجد .

(٧) الارحاء ، جمع الرحى : الطاحون

(٨) طارحه الكلام : جاوبه ، والقى كل منهما الاسئلة على الاخر .

(١٤) ذو الاراكة : موضع باليمامة .

(١٥) اللجلجة : التردد في الكلام وفيها معنى . ولعل الاصوب (جلجلة) وهي شدة الصوت .

(١٦) المذانب ، جمع المذنب : مسيل الماء . الدوح ، جمع الدوحة : الشجرة العظيمة .

(١٨) الشقيق : نبات احمر الزهر مبقع بنقط سوداء ، ويسمى شقائق النعمان .

(٢٠) الجو : ما بين السماء والارض . الوعث : الشاق ، والعسر .

(٢٦) النوى : البعد . الكوماء : الناقة الضخمة السنام .

٢٨ ـ ويروقني للثم خـد مقرطـق
تنشـق عنــه شقيقـة حمراء

٢٩ ـ ويشوقني الشنب الشتيت كانما
نفضت عليـه صباغها الصهباء

٣٠ ـ كل المحاسـن للقلوب جواذب
واخصـهن المقلـة الكحـلاء

٣١ ـ ياقلب جعجع عن هواك فقد ذوت
تلك الرياض وجـف ذاك المـاء

٣٢ ـ لا تطمعن من الهوى بمخـائل
هي ضـلة للدهـر واسـتهزاء

٣٣ ـ ان ضاع شعرك في الغرام فانمـا
بمديح أسـعد تسعد الشـعراء

٣٤ ـ ملك كـأن الجود اقسم باسمـه
أن لا تـرى بوجـوده فقـراء

٣٥ ـ آلاؤه مثل النجـوم سـوافرا
في كـل ناحيـــة لهـا لألاء

٣٦ ـ علـم يمد العلـم من انـواره
فكانمـا هـو للضياء ضيـاء

٣٧ ـ فلك احـاط بكل شيء وسعـه
فالبحر فيـه والخليـج سـواء

٣٨ ـ ولكل ليث من سطاه تحـذر
ولكـل غيـث في نـداه رجـاء

٣٩ ـ يرعى المعالي الغر خـير رعايـة
فكأنهـن الاهـل والابنــاء

٤٠ ـ يرنو بنور الله حيث تراكمـت
حجـب الغيـوب وطبق الاخفـاء

٤١ ـ متهـلل بالمكرمـات كأنمـا
غذيت نمـير لبانــه الوطفــاء

٤٢ ـ صلت الجبين كأن غـر هباتـه
درر النجوم وداره الجــوزاء

٤٣ ـ في كل يوم للنضـار كتـائب
ولـه عليهـا الغـارة الشـعواء

٤٤ ـ لم يبـق باق للضـلال برشـده
ان الظـلام تميتـه الاضــواء

٤٥ ـ قد صافحت منه المكارم سيدا
بفعالــه تتـوج العليــاء

٤٦ ـ ويهزه بلل النـوال (فينثني)
فكأن راح الاريحـي عطــاء

٤٧ ـ ظفرت يد الرواد منه بمخصب
ثبتـت براحـة كفــه الآلاء

٤٨ ـ ان المنـاقب كلهـن بقيـة
من بعض ما تركت لـه الآبـاء

٤٩ ـ لم يقترن بدنيـة ومن الهـدى
والفضـل والتقـوى له قـرناء

٥٠ ـ يقضـي على المتمردين بانمـل
للنـاس منهـا نعمـة وشـقاء

٥١ ـ وتدور شـهب المكرمـات بداره
فكأنمـا أرض الكريـم سـماء

٥٢ ـ طلق اليدين تكاد انواء الحيـا
تحكيـه لو لـم تسـقط الانـواء

٥٣ ـ تلقي الى يده الامـور عنانهـا
فيصرف الاشياء كيـف يشـاء

٥٤ ـ كحلت به عـين السعود وركبت
في سـاعديه شجاعـة وسخـاء

٥٥ ـ وبل تسيل بل البطاح وبـارق
في كـل مقتـدح لـه ايـراء

٥٦ ـ ملك متى طلعت طـلائع رايـه
نكصـت عـلى اعقابهـا الآراء

٥٧ ـ من آل احمد والمقدسـة التي
للمجـد منهـا الطلعـة الزهـراء

٥٨ ـ ومطلق الدنيـا ثلاثا لـم يكن
لتغـره البيضـاء والصـفراء

---

(٢٨) المقرطق : لابس القرطق وهو قباء ذو طاق واحد (معرب). شقيقة حمراء : انظر شرح البيت (١٨) .

(٢٩) الشنب حدة في الاسنان . الشتيت : المفرق ، في ط ، و خ/٧ (الشنيب) .

(٣١) جعجع البعير : حركه للاناخة او الحبس او النهوض . في الاصول عدا خ/٧ (فانما) مكان (فقد ذوت) .

(٤١) الوطفاء : السحابة المسترخية لكثرة مائها . اللبان : لبن الرضاع . في خ/٧ (غلبت نمير لسانه الاطفاء) .

(٤٢) الجبين الصلت : الواضح ، والبارز المستوى . الجوزاء : احد ابراج السماء .

(٤٦) (فينثني) كذا ورد في الاصول وهو تصحيف واضح ، والصواب (فينتشي) .

(٥٢) الحيا : المطر . الانواء ، جمع النوء : نجم كانت العرب تضيف الامطار والرياح والحر والبرد الى الساقط منه ، فيقولون مطرنا بنوء السماك ، او بنوء الثريا .

(٥٥) الايراء ، من اورى الزند ايراء : اخرج ناره .

(٥٧) المقدسة : فاطمة الزهراء (ع) . في الاصول عدا خ/٧ (فيها) مكان (منها) .

(٥٨) مطلق الدنيا : امير المؤمنين علي (ع) لقوله من كلمة رواها ضرار بن ضمرة الكناني لمعاوية ـ (يادنيا غري غيري ، الي تشوقت ، هيهات هيهات قد باينتك ثلاثا لا رجعة فيها ... الخ) ـ الاستيعاب/١١٠٨ .

٥٩ ـ شهدت له سود الوقائع انـه
في كلهـن لـه اليـد البيضـاء

٦٠ ـ يا ايها الهادي الى طرق التقى
وكـذا هـداة العـالم العلمـاء

٦١ ـ اشكو اليك حـوادثا دهريـة
ضلت بهـا من قبلنـا القـدماء

٦٢ ـ تفضي عن السفل الرعاع ومالها
عن وجه ذي الشيم العلى اغضاء

٦٣ ـ فاليك معتصـم الطريد ثوت به
لحضيضها البأسـاء والضـراء

٦٤ ـ ان الهدى علـم وانت منـاره
ان العلـى قمـر وانـت سـماء

٦٥ ـ ولانت اكرم جوهر من معشـر
بيض اذا اعتكر الزمـان اضـاؤا

٦٦ ـ يحمى نزيلهـم ويأمن جارهـم
ولو اسـتجارت فيهـم الاعـداء

٦٧ ـ انتم بنو المختار ليـس بمنكـر
لكم النـدى والعفـو والاعفـاء

٦٨ ـ ما شانكم نقض العهود وشانكم
ابرام عهـد المجـد والايفـاء

٦٩ ـ فاجدر ذيول الفخر ان اصوله
وفروعـه اسـلافك النجبـاء

٧٠ ـ بكم تشرف جبرئيل واوجبت
لـكم عليـه مـودة وولاء

٧١ ـ اني [اهنئكم] بعيـد اكبـر
[ووجوهكم] شـرف له وهنـاء

٧٢ ـ بل انتم للعيـد عيـد اكبـر
بأسـاؤه بوجودكـم سـراء

٧٣ ـ لازلتم عون الضعيف [وركنه]
ما ضـوعت بولاكـم النعمـاء

---

(٦٠) في غ/١ د غ/٢ و غ/٧ (الفنى) مكان (التقى) .

(٦٣) المعتصم : الملجأ . الحضيض : القرار من الارض .

(٦٩) انفردت غ/٧ بايراد هذا البيت وما بعده الى آخـر القصيدة .

(٧١) فيالاصل (انهيكم) مكان (اهنيكم) و (وجهكم) مكـان (ووجوهكم) والتصحيف فيهما ظاهر .

(٧٣) الركن : العز ، والمنعة ، في الاصل (وكنهه) وهـو تصحيـف .

(٢) وقال يمدح سليمان بك الشاوي الشاهري الحميري (*)

١ ـ لمعت بروقهـم عـلى الدهنـاء
فانحـل عقد الدمعـة الحمراء

٢ ـ عرب متى انتشق العليل عرارهم
كانت رياحهـم ريـاح شـفاء

٣ ـ من كل مكحول اللحـاظ باثمـد
يجلـو غشـاء الطخيـة العميـاء

٤ ـ يستل من جفنيـه أرهف صـارم
فخـرت بـه الموتى على الاحيـاء

٥ ـ واذا ذكـرت حديث ربرب ضارج
لا تنس ذكـر اهلـة الـزوراء

٦ ـ بلد يفور الحسن من جنباتـه
فوران غيـث من عيـون سمـاء

٧ ـ هي بلدة ام جنـة ام وجنـة
شـرقت بماء الدميـة الادمـاء

٨ ـ لم انس ذكر الغيـد اذ صارمنني
وعلمـن ان بقـاءهن بقـائي

٩ ـ ايـام كـانت للملاحـة مـوردا
تنشـق عنـه مصـادر الاهـواء

١٠ ـ ايام ما كـانت تفيق من الهوى
حتى اسـتدارت دورة الاسـواء

(*) هو الحاج سليمان بن عبدالله الشاوي ، امير جليل ومن ابرز زعماء عشيرة العبيد . كان شاعرا اديبا . من اثاره : سكب الادب على لامية العرب ، وله مبرات جليلة منهـا انشاء خان كبير بين قرية المحاويل وكربلاء يأوي اليه زوار العتبات المقدسة ، ووقف عليه اوقافا كثيرة ، كما انشأ مدرسة وجامعا في عانة ووقف عليهما اوقافا . اغتاله احد اقاربه (محمد بن يوسف الحربي واولاده) في انحاء الخابور سنة ١٢٠٩ هـ . انظر ترجمته في تاريخ الادب العربي في العراق ٤١/٢ ، وتاريخ العراق بين احتلالين (فهـرس الجزء السادس) ، وتاريخ العصور المظلمة (الفهرس) ، ولب الالباب/١٧٨ .

(١) الدهناء : ارض واسعة من ديار بني تميم .

(٢) العرار : بهار ناعم اصفر طيب الرائحة .

(٣) الاثمد : حجر يكتحل به . الطخية : الظلمة ، والطخياء : الليلة المظلمة .

(٥) الربرب : القطيع من بقر الوحش . ضارج : موضـع بين اليمن والمدينة . الزوراء : بغداد .

(٧) الدمية : الصورة المنحوتة منالرخام تضربمثلا في الحسن. الادماء : السمراء .

(٩) الاهواء ، جمع اهوى : ميلان النفس الى ماتستلذ من الشهوات .

(١٠) في الاصول عدا غ/٦ (يضيق) مكان (تفيق) .

١١ ـ أترى الزمـان درى بما أوعى لنا
ان الزمـان وعـاء كـل بـلاء

١٢ ـ ونفائس الدنيـا لاهل زمانهـا
كالمـاء خانتـه فـروج انـاء

١٣ ـ لله قـوم كلمـا غلـت النـوى
رخصـت نفوسـهم على الاهـواء

١٤ ـ وجدوا بمفنيـة الغرام بقاءهـم
فمشـوا اليها مشـية الغرمـاء

١٥ ـ فهموا اشارات الهوى قبل الهوى
مـا اقنـع الاكيـاس بالايمـاء

١٦ ـ اشقيتموني بعـد اسعادي بكـم
والمـرء بـين سـعادة وشـقاء

١٧ ـ نبهتموني للغليـل وان اكـن
عـن لـذة الاغفـاء في اغفـاء

١٨ ـ لي فيكم قلب يقلبـه الجـوى
في بـردتين مـودة ووفـاء

١٩ ـ ومحاجر نجل الجـراح كأنهـا
شـرقت بوخـز الطعنة النجـلاء

٢٠ ـ يا أهل ودي هل يفيء زماننـا
فيعود فيء الدوحـة الخضـراء

٢١ ـ حي (اللويلات) التي سلفت لنا
ما بين سالفتي سـنى وسـناء

٢٢ ـ حيث الصبا حالي الاديم كأنمـا
تلـوى عليه ضـفيرة الجـوزاء

٢٣ ـ لا تنكروا دمـع المحـب فانـه
كـرة تدفـق من كـرات المـاء

٢٤ ـ ودعوا حجاب البين فيما بيننا
ياشمس لا تتبرقعي (بسـماء)

٢٥ ـ ياصاحبي ترفقـا بـي اننـي
كالريح قد علقت بذيل هبـاء

٢٦ ـ لا تطلبا منـي الهـدوء فـانني
أعـددته هـديا ليـوم لقـائي

٢٧ ـ ومتى دعا داعي الصلاح فان لي
أذنـا اليـه شـديدة الاصـغاء

٢٨ ـ ضمنت لبارقـة الفراق مفارقي
فليهنهـن اليـوم ري بكـائي

٢٩ ـ تسقى بادمعي الـديار كأنهـا
غـلل تبـل بديمـة وطفـاء

٣٠ ـ يابينهم كن كيف شئت فانمـا
برحـائي الاولـى بهـم برحائي

٣١ ـ هيهـات توقفني على سلوانهـم
سارت (مطايا) الحب في الاعضاء

٣٢ ـ يابعد ان غطى حجابك (عنهم)
فالشوق يهتك سـتر كـل غطاء

٣٣ ـ انا من علمت رضعت ثدي وصالهم
وعلـى الولاء طبعـت والايفـاء

٣٤ ـ ان عيل صبري من أذاك فانمـا
ذاك الزنـاد كبـا عـن الايـراء

٣٥ ـ كنا نشاوى اللهو قبل وداعهـم
واليوم طارت نشوة الصـهباء

٣٦ ـ اتروم مني اللهـو صوّح عوده
هيهـات أدلـي في المحـال دلائي

٣٧ ـ يا محدوا بالبيض دون مـزاره
سـيل البطاح بانفس الامـراء

٣٨ ـ لم أطو كشحا عن هواك وانمـا
علـق الفراق بأذيل الرفقـاء

---

(١١) اوعى : خبأ ، وجمع ، وحفظ .
(١٣) الاهواء ، جمع الهوى : العشق ، والمعشوق .
(١٦) في الاصول عدا خ/٥ (بعد) مكان (بين) .
(١٩) المحاجر ، جمع المحجر : ما دار بالعين . النجل ، جمع النجلاء : الواسعة . في الاصول عدا خ/٧ (تجلى الجراح) .
(٢٠) يفيء : يرجع . الفيء : الظل . الدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة من اي الشجر كانت .
(٢١) (اللويلات) كذا ورد في الاصول والصواب (الليبلات) . سلفت : مضت ، وتقدمت . السالفة صفحة العنق ، وهما سالفتان .
(٢٢) اديم الصبا : أوله ، ورونقه . الجوزاء : اسم يطلق على احد البروج الاثني عشر .
(٢٤) (بسماء) كذا ورد في الاصول ، ولعل الصواب (بطخاء) او (بعماء) او (بطحاء) وكلها بمعنى السحاب الكثيف .
(٢٧) في ط ، و خ/١ (داعي الفلاح) .
(٢٩) الغلل ، جمع الغلة (بالضم) كالغلالة (بالكسر) : شعار يلبس تحت الثياب . الديمة : مطر يدوم في سكون . وطفاء : مسترخية لكثرة مائها .
(٣٠) البين : الفراق . البرحاء : شدة الاذى والمشقة .
(٣١) (مطايا) كذا ورد في الاصول ، ولعل الصواب (طوايا) جمع طوية ، وهي الضمير والنية .
(٣٢) (عنهم) كذا ورد في الاصول . والصواب (عينهم) والعين: الانسان ، واهل البلد ، واهل الدار ، والجماعة ، وخيار الشيء ، ومعان اخرى .
(٣٣) في الاصول عدا خ/٧ (من علمة) مكان (انا من علمت) .
(٣٨) طوى الكشح عنه : اعرض عنه . الاذيل ، جمع ذيل ، وهو اخر الثوب ، والازار .

٣٩ ـ كم بت أرعى السائرات كأنني
منها اراقب اعين الرقباء

٤٠ ـ خانت بلمتي الخطوب وهل لها
الا الكريم بقية الكرماء

٤١ ـ المدرك الامد البعيد بسابق
من دون خطوته بلوغ ذكاء

٤٢ ـ الخارق النوب الشداد برايه
خرق الصباح غلالة الظلماء

٤٣ ـ شغف الصبا منه بأبلج واضح
سالت عليه غدائر العلياء

٤٤ ـ يحيي براحته السخاء وربما
تؤذي شحيح الطبع ريح سخاء

٤٥ ـ القاتل الآلاف يوم كريهة
والواهب الآلاف يوم عطاء

٤٦ ـ والطاعن البهم الكماة بنافذ
يمضي مضاء النار في الحلفاء

٤٧ ـ قناص حرب يعتري آسادها
فيصيدها بالصعدة السمراء

٤٨ ـ واخو السجايا المغدقات كأنها
(اخلاق) كل ملثة وطفاء

٤٩ ـ ريحانة الادباء بل ياقوتة (م)
الامراء بل اقليدس الحكماء

٥٠ ـ ذو راحتين يد على العادي ردى
ويد جدى وندى على الفقراء

٥١ ـ وافر في مرآة جوهر علمه
لاحت وجوه غوامض الاشياء

٥٢ ـ ينبوع روحانية الحكم التي
تنهل بالانوار والانواء

٥٣ ـ قيسي راي لا ترى آراءه
الا ملوك رعية الآراء

٥٤ ـ عبل الجلاد رقيق حاشية الندى
للمجد فيه مجامع الاهواء

٥٥ ـ لم تنكر الايام حدة عزمه
فأتته ماشية على استحياء

٥٦ ـ يا ابن الذين اذا تعطلت الوغى
كانوا حلي عواطل الهيجاء

٥٧ ـ والمرتقين الى ثنيات المنى
بسراة كل طمرة جرداء

٥٨ ـ والسائقين الى الملوك سحائبا
لا تستهل بغير ماء دماء

٥٩ ـ ان شف وصفك عن ملاحظة النهى
فالماء لا يبدو لعين الرائي

٦٠ ـ واذا اتخذت لك النوال تميمة
فالمكرمات تمائم الكرماء

٦١ ـ خفيت معانيك الحسان عن الورى
والكيمياء احق بالاخفاء

٦٢ ـ فاسلم ودم في عيشة شرفية
تنحط عنها همة الشرفاء

٦٣ ـ للسعد في كلتا يديك ازمة
ولحادثات الدهر طوع اماء

٦٤ ـ فانا ابن ودكم الطبيعي الذي
كانت مودته من القدماء

---

(٣٩) السائرات : يريد بها النجوم . في الاصول عدا خ/٥ وخ/٦ (كانما) مكان (كانني) .

(٤٣) الابلج : المشرق . الغدائر جمع الغديرة : اللؤابة . لا وجود لهذا البيت في خ/٧ .

(٤٤) في خ/٢ و خ/٥ و خ/٦ (تحييه رائحة السخاء) وفي خ/٧ (شغف لرائحة السخاء) .

(٤٦) البهم : الشجعان . الكماة ، جمع الكمي : لابس السلاح . في خ/٧ (الاعضاء) مكان (الحلفاء) .

(٤٧) يعتري الاساد : يغشاهم . في ط و خ/٢ و خ/٦ (آساده) . وفي الاصول عدا خ/٧ (فيصدها) مكان (فيصيدها) . الصعدة : القناة المستوية لا تحتاج الى مثقف .

(٤٨) (اخلاق) كذا ورد في الاقوال والصواب اخلاف ، جمع (خلف) : حلمة ضرع الناقة ، يقال : درت اخلاف السحاب .

(٥٣) قيسي راي : نسبة الى قيس بن زهير بن جذيمة العبسي ، أحد السادة القادة ، وكان يلقب بقيس الراي لجودة رايه ، وهو معدود في الامراء والشجعان ، والدهاة ، والخطباء ، والشعراء . (الاعلام للزركلي ٦/٥٥) . لا وجود لهذا البيت في خ/٧ ، وفي ط و خ/١ و خ/٢ و خ/٣ (رعية الامراء) .

(٥٤) عبل : ضخم . الندى : الجود

(٥٦) في الاصول عدا خ/٥ و خ/٦ (عواطل الاشياء) .

(٥٧) الثنيات ، جمع الثنية : العقبة ، والجبل . السراة : الظهر . الطمرة : الفرس الجواد . الجرداء : القصيرة شعر الجلد .

(٥٩) شف : رق ، وزاد ، ونقص ، والمعنى الاول او الثاني هو المقصود . النهى : العقل .

(٦٠) التميمة : العوذة . في الاصول عدا خ/٧ (السؤال) مكان النوال .

(٣) وقال يمدح سليمان (١) باشا الكبير

١ ـ حدث عن السعد لا نكر ولا عجب
فالسعد بحر من الاقدار منسكب

٢ ـ ولا تظن القنا تجدي بمفردهـا
السعد راس واطراف القنا ذنب

٣ ـ لولا ملاحظة الافلاك من صعد
ما كان قلب الحديد الصلد ينجذب

٤ ـ كم فتية لحظ التأييد قلتهم
وغالبوا العدد الاوفى فما غلبوا

٥ ـ والحظ يمنح لاجود ابن منجبة
فربما لم تجد بالقطرة السحب

٦ ـ لولا الحظوظ لما الفيت ذا بله
يجني النضار وشهم القوم يحتطب

٧ ـ تا لله كم قاعد يؤتى خزائنها
وربما لا ينال القوت مكتسب

٨ ـ اما ترى كيف قاد الحظ موكبه
الى سليمان حتى انقادت الرتب

٩ ـ ياايها العدل والجود ارقصا طربا
فما يعاب على مثليكما الطرب

١٠ ـ وافاكما العادل البر الذي انشعبت
به المظالم والتامت به الارب

١١ ـ وافى المؤدب فالدنيا وان جهلت
فاليوم يقطر من اطرافها الادب

١٢ ـ أبدت قوارعها الغضبى بشاشتها
من بعد ما كان يفري درعها الغضب

١٣ ـ وافى اخو نهز باتت تسالمه
خيل الليالي التي من شانها الحرب

١٤ ـ شديد عزم كان الحزم قال له
لا يصدق النيل حتى يصدق الطلب

١٥ ـ فضائل حملتهن الثرى عجبا
وفعل هذي الليالي كلها عجب

١٦ ـ كانه وملوك الارض في همم
خزر العواسل يوم الطعن والقضب

١٧ ـ لا يقبل الفتح الا حكم صارمه
تلك الرحى ما لها من غيره قطب

١٨ ـ فتح يدور على حدي مخلمه
كما يدور على مشمولة حبب

١٩ ـ له يد ليس يصلى نارها رجل
وكان من طرفيها الماء ينسكب

٢٠ ـ وحسب جحفله المرعي جانبه
جياد نصر متى هموا بها ركبوا

٢١ ـ من كل ذي شطب في متنه أسد
تنقد من لحظه الماذية اليلب

٢٢ ـ تلاعبوا بالمنايا عابثين بها
كأن جد المنايا عندهم لعب

٢٣ ـ يؤمهم علم الاسلام معلمه
لولاه لم تصب الاوثان والصلب

٢٤ ـ موكل بحجاب الغيب يخرقه
فما عليه بحمد الله يحتجب

٢٥ ـ اذا رمى عن قسي الراي أسهمه
مضت تميط له ما وارت الحجب

٢٦ ـ يافارس الخيل مقربها أسود وغى
أدنى فرائسها الايام والنوب

٢٧ ـ أتعبت حزمك فارتاحت عواقبها
من الاماني وعقبى الراحة التعب

٢٨ ـ ان المناصب لم تدرك بلا تعب
كانما ابواها الجد والنصب

---

(١) وردت هذه القصيدة في خ/١ و خ/٣ و خ/٦ بغير عنوان ، وجاء في ط و خ/٢ و خ/٤ و خ/٥ و خ/٧ انها في مدح الحاج سليمان بيك الشاوي ، والصواب انها في مدح سليمان باشا الكبير ، وهو السادس من (البشوات) المماليك في العراق ، تولى بغداد سنة ١١٩٤ هـ واستمر حكمه الى ان توفي سنة ١٢١٧ (دوحة الوزراء /٢١٨-٢٧٣) ودليلنا على ذلك ان الشاعر تكلم في البيت (٢٨) ومابعده الى اخر القصيدة من حرب الممدوح مع خزاعه ، وكيف انهم استعملوا الخداع (محاولتهم اغراق الجيش) وانه حاربهم بسلاحهم فسد منهم نهر الفرات حتى جاؤا اليه مستسلمين فعفى عنهم . وتلك وقعة مشهورة للباشا المذكور مع خزاعة حدثت سنة ١١٩٩هـ (انظر العراق بين احتلالين ٦/٩٤) .

(١) في خ/١ (فالسعد مجرى) وفي خ/٧ (من الاكدار منسكب) .

(٣) الافلاك ، جمع الفلك : مدار النجوم . الصعد (بالتحريك) الوضع العالي .

(٥) لا وجود لهذا البيت في ط و خ/٣ و خ/٦ .

(٦) البله : ضعف العقل . النضار : الذهب

(١٣) النهز (ككتف) : الاسد . الحرب (بالتحريك) : السلب . في الاصول عدا (ط) ـ (باتت مسالة) .

(٢١) ذو شطب : سيف في نصله خطوط . في متنه : في قوله . الماذية : الدرع اللينة . اليلب : الفولاذ ، والدروع اليمانية . كذا ورد صدر البيت ولعل الصواب (من كل ذي شطب في كف ذي لبد) .

(٢٢) في خ/٧ (مائلين بها) و (حب المنايا) .

(٢٥) في ط ، و خ/١ و خ/٦ (ماوارب) مكان (ماوارت) وفي الاصول عدا خ/٧ (يميط لها) .

(٢٦) لا وجود لهذا البيت والذي بعده في خ/٧ .

(٢٨) في الاصول عدا خ/٤ (بلا نصب) مكان (بلا تعب) .

٢٩ ـ ورب عادية اخمدت جذوتهـا
ببارق المتن لـم يخمد لـهُ لهب

٣٠ ـ حطمتها حطمة تهني الوغى وكفي
لنيار سيفك من آجالهـا حطب

٣١ ـ تركتهم اذ شطرت الخيل شطرهم
كاليم تضربه ريـح فيضطـرب

٣٢ ـ حسرى على الامن قد شالت نعامته
منها وعرس في ابياتهـا الرعـب

٣٣ ـ نهضت بالجد لم تعمل على حسب
والجد ينهض بالانسان لا الحسب

٣٤ ـ انت المقدم في اولى طلائعهـا
وهي السحائب خلف الريح تنسحب

٣٥ ـ تا الله لو مطرت بالموت ديمتهـا
لاصبحوا مرتعا ترعى به القضب

٣٦ ـ رات خزاعة من عطفيك ذا لبد
لـه الفتـوة ام والابـاء اب

٣٧ ـ وفي انامـلـك الامـال لامعـة
كانهن بـروج حشوهـا الشـهب

٣٨ ـ وفي جبينك من رقمي ظبى وقنا
حروف مجد خلت من مثلها الكتب

٣٩ ـ فايقنوا انك الاوفى اذا وزنـوا
وانك الكاتب الماحي لمـا كتبـوا

٤٠ ـ قادوا نفوسا الى ناديك سامية
لـم ترضها من سماوياتها رتـب

٤١ ـ وارغموا لك اجـلالا انوفهـم
لمـا رأوا بك انف الدهر يقتضب

٤٢ ـ ولو اتـوك على راس بلا قـدم
لما قضوا لك الا بعض ما يجـب

٤٣ ـ لم تنجهم خرزات الطعن من تلف
لـكن نجوا هربا فليحمد الهـرب

٤٤ ـ ظنوا الظنون وراحوا يخبطون بها
عشواء يركض فيها الغي والريب

٤٥ ـ اظماهم العجز فاستسقوا خداعهم
ولـم الاخل لبن الشـولاء يحتلـب

٤٦ ـ تابوا ولكنهم من بعد ما عطبـوا
ملا استنبط الراح حتى عذب العنب

٤٧ ـ لم يسلموا رغبة بل عاينوا همما
بجلبها بيضـة البيضـاء تجتلب

٤٨ ـ وجحفـلا يتهـادى في اكفهـم
من المنى والمنايـا جحفـل لجب

٤٩ ـ شروا بذاك الفدا امنا لانفسهم
والامن طورا ببذل المال يكتسب

٥٠ ـ ونازلـونا بارمـــاح مثقفـــة
من السـؤال فنالوا كل ما طلبـوا

٥١ ـ فان طلبت الفدا صونا لعرضهم
فـان صون العذارى بعض ماتهب

٥٢ ـ تالله ما حكموا الا اخـا كـرم
يرضى بتحكيمه العرفان والادب

٥٣ ـ اشـف من جوهر الاكسير نائله
هـذا ومطلبه للنـاس مقتـرب

٥٤ ـ لـه من الله اسـباب تؤيـده
مهما بدا سـبب منها بدا سـبب

٥٥ ـ القى عصا امره في الماء مندفقا
فقـام بين يديـه وهو منتصـب

٥٦ ـ يبين عن معجـم العليـاء معربها
لا العجم تدرك معناه ولا العـرب

٥٧ ـ بسـد سددت ثغور المفسدين به
فصار للمجد شعبا ليس ينشعب

---

(٢٩) البادية : جماعة القوم يعدون للقتال ، وقيل اول من يحمل من الفرسان ، او الرجالة . في ط (عارية) مكان (عادية) ، وفيها وفي غ/٥ و غ/٦ (لها لهب) . لا وجود لهذا البيت والبيتين اللذين بعده في غ/٧ .

(٣٠) تهني الوغى : تشبعها ، يقال : اكلنا الطعام حتى هنئنا ، اي شبعنا .

(٣١) شطرت الخيل شطرهم : وجهتها قصدهم . في ط و غ/١ و غ/٣ و غ/٦ (شطرتهم اذ شطرت) .

(٣٦) خزاعة : القبيلة المشهورة وتسمى في العراق (الخزاعل) . كانت لها امارة عظيمة في الفرات الاوسط في عصر حكومة المماليك في العراق . ذو لبد : الاسد . في ط ، و غ/١ و غ/٣ و غ/٦ (رعت) مكان (رات) .

(٤١) تقضب انفه : قطعه .

(٤٣) خرزات الطعن : نظامه .

(٤٥) الشولاء : الناقة التي تشول بلبنها للقاح ولا لبن لها اصلا . في الاصول عدا : ط ، و غ/٥ و غ/٦ ورد عجز هذا البيت وعجز البيت الذي بعده كل بمحل الاخر . هذا البيت وما بعده الى اخر القصيدة غير موجود في غ/٧ .

(٤٦) (تابوا) كذا ورد في الاصول ولعلها (ثابوا) . في ط ، و غ/٢ (لم يصلح الراح حتى يفسد العنب) .

(٤٧) لم يسلموا : لم ينقادوا ، ولعلها (ما استسلموا) . الجلب : السوق ، والجمع . البيضاء : الداهية .

(٥٠) (ونازلونا) كذا ورد في الاصول ، ولعله (ونازلوك)

(٥٣) اشف : الطف ، وافضل . الاكسير : ما يلقى على الفضة ونحوها ليحيله الى ذهب خالص ، وهو من خرافات الاقدمين .

(٥٤) بدا (الاولى) من بداله في الامر بدوا وبداء : نشا لـه فيه راي ، و (الثانية) من بدا بدوا وبدوا : ظهر ، وبـان .

(٤) وقال يمدح عبدالله بيك الشاوي الحميري (*)
بعد تغلبه على بعض المتمردين في اطراف ماردين (أ)

١ ـ هي الهجائن والقب السراحيب
فاطلب بها المجد ان المجد مطلوب

٢ ـ واقدم بها غير هياب ولا وكل
فكل أمر جرى في اللوح مكتوب

٣ ـ وخلها في سبيل المجد مرقلة
فكل سعد بغير السعي مكذوب

٤ ـ ولا ترم مطلبا الا بقائمه
فما وعود المنى الا أكاذيب

٥ ـ واصحب صروف الليالي في تقلبها
فلليالي تصاريف وتقليب

٦ ـ واشرف الملك ما أرست قواعده
بيض المباتر والسمر اليعاسيب

٧ ـ وخض بها غمرات الموت مقتحما
فالدر تحت عباب اليم محجوب

٨ ـ وانزل على طاعة الاقدار محتسبا
فان من غالب الاقدار مغلوب

٩ ـ وما لأم العلى كفؤ سوى رجل
بنانه بدم الاقران مخضوب

١٠ ـ وأعلم الناس بالعلياء مطلبة
من حنكته بها منه التجاريب

١١ ـ وان تكن جاهلا في نهج مطلبها
فذاك نهج بعبدالله ملحوب

١٢ ـ القائد الفيلق الشهباء يقدمها
منه طويل نجاد السيف يعسوب

١٣ ـ كتائب مثل موج اليم ذي لجج
تسري به ولخيل النصر تسريب

١٤ ـ ورب دهياء غشى الدهر غيهبها
به انجلت عن دياجيها الجلابيب

١٥ ـ مجد سما [للثرى]العيوق ممتطيا
فللمنى فيه تصعيد وتصويب

١٦ ـ فقل لمن بالعلى أمسى يطاوله
لا تستوي الاكم والشم الاخاشيب

١٧ ـ تلك العلى بسواه قلما اجتمعت
مراتب زانها جمع وترتيب

١٨ ـ وان تجد عجبا منه فلا عجب
وما بيدع من البحر الاعاجيب

١٩ ـ فليهنه من سماء المجد منزلة
لها على النسر تأبيد وتطنيب

٢٠ ـ من أصيد خفقت راياته وسمت
فاهتز منها الصياصي والاهاضيب

٢١ ـ فساق من ماردين الماردين وقد
ولى رجوما عليها ساقها الحوب

٢٢ ـ وحلها بعدما (عاد) الخلاف بها
واليوم يسرح فيها الشاء والذيب

(*) هو عبدالله بن شاوي الشاهري ، ابرز زعماء عشائر العبيد . تولى ادارة شؤون العشائر في العراق . قتله الوزير عمر باشا سنة ١١٨٣هـ خوفا من اتساع نفوذه . هكذا ورد تاريخ الوفاة في (العراق بين احتلالين) ٦/٤١ و (الاعلام) للزركلي ٤/٢٢٤ ، غير ان الشاعر ارخ وفاة المترجم له سنة ١١٨٨ في اخر بيت من القصيدة (٣٧) التي مطلعها :

لعمري خلت تلك الديار ولم تزل — مطالع سعد او مطارح جود

ولان هذا التاريخ ورد في قصيدة اخرى في رثاء السيد عبدالله الفخري فلا يعول عليه :

(أ) ماردين : قلعة مشهورة على قنة جبل الجزيرة مشرفة على دارا ، ونصيبين . كانت في العهد العثماني تابعة لديار بكر ، وتلحق في بعض الاحيان بولاية بغداد . ولم أجد ما يلقي الضوء على وقعة ماردين هذه في المصادر التي تحت متناول يدي .

(١) الهجائن : من الابل البيض الكرام . القب ، جمع الاقب : الضامر من الخيل . فرس سرحوب : طويلة ، توصف به الاناث ، جمعها سراحيب .

(٣) لا وجود لهذا البيت في خ/٧ .

(٤) بقائمه ، اي بقائم السيف .

(٦) الرماح اليعاسيب : الضامرة المثقفة .

(٩) في الاصول عدا خ/٧ (الاقدار) مكان (الاقران) .

(١١) النهج : الطريق . الملحوب : الواضح .

(١٢) الفيلق الشهباء : الكتيبة الشديدة ، وعبارة اساس البلاغة (رماهم بفيلق شهباء وهي الكتيبة المنكرة) . اليعسوب : الرئيس الكبير . في الاصول عدا خ/٧ (يعبوب) .

(١٣) التسريب : مرور الخيل سربا ، أي جماعة بعد جماعة .

(١٥) العيوق : نجم احمر مضيء في طرف المجرة الايمن . في خ/٧ (مجد مماكند العيوق) ، وفي باقي الاصول (مجد سما لثرى العيوق) ولعل ما اثبته هو الصواب .

(١٦) الاخاشيب : الجبال العظيمة، في خ/٧ (الشم الاحاسيب).

(١٧) في الاصول عدا خ/٧ (قط ما اجتمعت)

(١٩) النسر : كوكب ، وهما نسران : النسر الواقع ، والنسر الطائر . التأبيد : الدوام الى الابد . التطنيب : شد البيت بالاطناب . في الاصول عدا خ/٢ و خ/٤ و خ/٥ (تأييد وتطييب) .

(٢٠) الصياصي : الحصون . الاهاضيب ، جمع الهضبة : ما ارتفع من الارض .

(٢١) ماردين : مر ذكرها انفا في الفقرة (أ) . الماردون : العصاة المتمردون على الحكومة . الحوب (بالضم) : الهلاك .

(٢٢) حلها : نزل بها . (عاد) كذا ورد في الاصول ، والصواب (عاث) . وفي الاصول ايضا عدا خ/٦ (الشاة) مكان (الشاء) .

٢٣ — وطبق الغرب بعد الشرق نائله
وللسحائب تشريق وتغريب

٢٤ — فجرد القرم منه حد ذي شطب
ظام لفيض دم الاعداء شريب

٢٥ — والسعد مقترن والرفد مقترب
والجيش والعدل منصور ومنصوب

٢٦ — وكل قافية في المجد قد بهرت
له الموازين منها والتراكيب

٢٧ — مكارم نظمت في الشعر فابتهجت
تلك القواليب منه والاساليب

٢٨ — ولى الألى عقلوها في معاقلها
ضحى تظلهم الغيم الانابيب

٢٩ — فمن لقلبي بجمع الشمل شملهم
فيرتوي بزلال الماء ملهوب

٣٠ — وهل تبلغني عنهم مغلغلة
واطيب الريح ما يهدى به الطيب

٣١ — بمن وممن وفيمن بعدهم ولمن
نبت بأهل العلى المهرية النيب

٣٢ — ورب سيف برى أوداج صيقله
وحافر لقليب فيه مقلوب

٣٣ — فلا يهمك غيظ الحاسدين اذا
ما ابرموا أمرهم فالامر (ترتيب)

---

(٢٤) القرم : السيد ، والعظيم . الشطب ، جمع الشطبة : طريقة السيف في متنه .

(٢٦) القافية : القصيدة . في ط (شهرت) مكان (بهرت) .

(٢٧) القواليب ، جمع القالب : الشيء الذي يفرغ فيه الجواهر وغيرها ليكون مثالا لما يصاغ منها ، وفي اساس البلاغة (يتقلب في قواليب الانتساب ، ويخبط في اساليب الاكتساب . في ط ، و خ/١ و خ/٣ و خ/٤ و خ/٦ (اقاليب) مكان (قواليب) وفي خ/٧ (المثاليب) مكان (الاساليب).

(٢٨) الغيم (بالكسر) جمع الغيمان : العطشان . الانابيب : الرماح ، ويريد انها متعطشة للدماء . لا وجود لهذا البيت في خ/٤ .

(٣٠) المغلغلة : المطية ، والرسالة المحمولة من بلد الى بلد . في ط ، و خ/٣ (تبلغنني) مكان (تبلغني) ، وفيهما وفي خ/١ (واطيب الطيب) .

(٣١) نبت : بعدت . المهرية : الابل المنسوبة الى مهرة بن حيدان من عرب اليمن ، يقال انها تسبق الخيل . النيب : الابل المسنة .

(٣٢) الاوداج ، جمع الودج : عرق الاخدع الذي يقطعه الذابح فلا تبقى معه حياة . في ط ، و خ/٣ وخ/٤ و خ/٦ و خ/٧ (منه) مكان (فيه) .

(٣٣) (ترتيب) كذا ورد في الاصول ، ولعل الصواب (تتبيب) من التباب ، وهو النقص والخسران .

(٥) وله (١) في مدح احمد بيك (*)

١ — هل المجد الا مرهف الحد احدب
وأتلع موار العنان مكوكب

٢ — ومن يدعي العلياء فيما سواهما
تجبه العلى جدعا لانفك تكذب

٣ — وليس يسوس الملك الا سميدع
طويل الشوى شثن البراثن اغلب

٤ — ومن يعشق العلياء لم يمقت الردى
ومر الاسى في المالكية يعذب

٥ — ورب هوان يسهل الموت عنده
وينسيك صعب الموت ما هو اصعب

٦ — وفي كل شيء لو تقسمت آية
وأعجب ما في الدهر من ليس يعجب

٧ — ولم يرصفو العيش من فاته الصبا
فان القذى في آخر الكاس يرسب

٨ — وكم معرب اهواءه وهو معجم
وكم معجم خشناءه وهو معرب

٩ — ورب ثناء عند آخر سبة
وابعد من شانيك من هو اقرب

---

(١) هذه القصيدة غير موجودة في خ/٥ و خ/٦ ، ولا يوجد منها في ط سوى البيتين (١٢) و (١٣) ، ووردت في خ/١ و خ/٤ بغير عنوان وفي سائر الاصول انها في مدح احمد بيك .

(*) احتمل انه احمد بن الحاج سليمان الشاوي . ورد ذكره في دوحة الوزراء/١٨٥ بان الحكومة وجهت سنة ١٢٠١ هـ حملة الى جهة الخابور للاجهاز على الحاج سليمان الشاوي ، وعشائره المتجمعة هناك ، ، ولما علم الحاج سليمان بامرها وجه معظم قواته بقيادة ولده احمد فباغت الحملة بهجوم خاطف قرب الفلوجة ، وقتل منها عددا كبيرا ، منهم (الكوى سنجقلي بكر باشا) واسر قائدها (خالد اغا) ومتصرف كويسنجق (محمود باشا آل نمر باشا) وتشتت الباقون . وورد ذكره في تاريخ العراق بين احتلالين ١٥٥/٦ في حوادث سنة ١٢١٨ هـ : ان الوزير (علي باشا) غضب على محمد بيك وعبدالعزيز بيك ولدي عبدالله الشاوي فامر بخنقهما فخنقا ، وكان معهما احمد بيك بن الحاج سليمان فقيد وحبس (انتهى) ولم اقف على تاريخ وفاته .

(١) الاحدب : السيف . جواد أتلع : طويل العنق . موار : متحرك . مكوكب : فيه غرة وتحجيل .

(٣) السميدع : السيد الكريم الشجاع . الشوى : اليدان ، والرجلان . الشثن : الغليظ والخشن . البرائن ، جمع البرثن ، وهو من السباع بمنزلة الاصابع من الانسان .

(٦) تقسم فلان : فكر وروى بين امرين . في خ/٢ و خ/٧ (توسمت) وفي خ/٣ (قسمت) وفي خ/٤ (توسمنا) مكان (تقسمت) وما اثبته من خ/١ .

(٨) في الاصول عدا خ/٧ (اهواء) مكان (أهواءه) و (حسناه) مكان (خشناءه) .

١٠ ـ ولا يصطلي الهيجاء الا ابن امها
فما مربض الآساد للعين ملعب

١١ ـ وصمم اذا ما امكنتك مضارب
الارب خير كان بالشر يجلب

١٢ ـ ولاتحسمن حبل الوداد على النوى
فرب بعيد بالمودة يقرب

١٣ ـ ولازم ذوي الاحساب في كل حاجة
الا كل ما يبدو من الطيب طيب

١٤ ـ وماالفضل الا فضل أحمد عصره
وان رغمت آناف قوم وكذبوا

١٥ ـ وراعت فؤاد الدهر منه بأروع
تناشد غسان فتسمع تغلب

١٦ ـ حليم تجلي اوجه الغيب دونما
يراه وهل يبقى مع الشمس غيهب

١٧ ـ ويفخر بالطولى من الكوم عرعر
وانجبها لوعد في البدن انخب

١٨ ـ ويهتز للعرف اهتزازا كأنه
من البيض سيال الفرند مشطب

١٩ ـ فتى طبق الآفاق (فضلا) ونائلا
فاضحى على الحالين يرجى ويرهب

٢٠ ـ من القوم جلى فعلهم عن نجارهم
وفعل الفتى عن مضمر الاصل يعرب

٢١ ـ ومن عجب في الحال تجني رضاءه
ويوشك تجني السم ان بات يغضب

٢٢ ـ وخافقة الاعلام تلهب نارها
بدا كوكب منها اذا شال كوكب

٢٣ ـ رميت بصدر ابن الوجيه فؤادها
فآبت على اعقابها تتكبكب

٢٤ ـ وجئت بقود يلمع النصر فوقه
ومن خلفه غلب الرقاب تنقب

٢٥ ـ وكم غارة أردفتها اثر غارة
مواقف فيها رابط الجاش مرعب

٢٦ ـ اليك ابا الهيجا حثثت اياتقا
بذكرك تحدوها الحداة فتطرب

٢٧ ـ نجوز بها اجواز كل تنوفة
تظل بها الحرباء للشمس ترهب

٢٨ ـ وما برح الشوق الملح يزجها
الى ان (وبي) للمجد بيت مطنب

٢٩ ـ ونار قرى للافق تعلو كأنها
بشار من (الشوس العميصاء) تطلب

٣٠ ـ فثمت القيت العصا في فنائها
وهل بعد عذب الماء للهيم مطلب

٣١ ـ ورحت على رغم (ليوم) أجرها
مطرزة فوق السماكين تسحب

٣٢ ـ وغير عجيب ان بلغت بها السها
فبالقرب حكم الشيء للشيء ينسب

٣٣ ـ وبي [نقر] قد ادلجوها عشية
فاضحت ببحر الآل تطفو وترسب

٣٤ ـ اجل قوضت بالرغم مني قبابهم
فشرقت والاحداث (شيء تغرب)

٣٥ ـ تعلمت اسباب الرضا خوف سخطها
وعلمها حبي لها كيف تغضب

٣٦ ـ ارى القرب منها وهي تنآى بجانب
وما كنت لولا الحب تنآى واقرب

٣٧ ـ ويا عز قد عز التواصل بيننا
وطارت بذاك العيش عنقاء مغرب

٣٨ ـ واني على ما بي من العزم والنوى
(أغالب فيك الشوق والشوق أغلب)

---

(١٧) الكوم ، جمع الاكوم : البعير الضخم السنام . العرعر من الابل : السمين . انخب : اضعف .

(١٨) فرند السيف : جوهره . سيف مشطب : في متنه خطوط .

(١٩) (فضلا) كذا ورد في الاصول ، ولعل الصواب (فصلا) والاصوب (باسا) بدليل قوله (يرجى ويرهب) .

(٢١) في خ/٤ و خ/٧ (ومن شك) مكان (ويوشك) .

(٢٢) شال : ارتفع ، وغاب . في خ/٢ و خ/٤ و خ/٧ (اذا سار منها كوكب سال كوكب) .

(٢٣) تتكبكب : تتدهور ويتساقط بعضها على بعض .

(٢٤) القود : الخيل التي تقاد ، ولعله يريد الغنائم منها . غلب الرقاب : غلاظها . تنقب : تبحث عن مهرب لها . في خ/١ وخ/٢ (وجيبت بقود) وفي خ/٣ و خ/٤ (وجيت بقرد) وما أثبته عن خ/٧ .

(٢٨) (وبي) كذا ورد في الاصول ، ولعل الصواب (بدا) . المطنب : المشدود بالطنب وهو حبل طويل .

(٢٩) (الشوس العميصاء) كذا ورد في الاصول ، والصواب (الشعري الغميصاء) وهي كوكب معروف .

(٣٠) الهيم : العطاش . في خ/٧ (للبهم) مكان (للهيم) .

(٣١) (رغم ليوم) كذا ورد في الاصول ولعل الصواب (رغم اللئام) او (رغم الحسود) . السماكان : كوكبان .

(٣٢) السها : كوكب خفي من بنات نعش . في الاصول عدا خ/١ (فبالقرب حكم الشيء بالشيء يقرب) .

(٣٣) في خ/١ [وبي نظر قد أدلجوها] وفي سائر الاصول (وفي نفرات أدلجوها) ولعل الصواب ما اثبته .

(٣٤) كذا ورد عجز البيت في الاصول ولعل الصواب (فشرقت والاحداث شتى ـ وغربوا) .

(٣٧) عنقاء مغرب : طائر مجهول الجسم ، والعرب اذا اخبرت عن هلاك شيء قالت (حلقت به عنقاء مغرب) .

(٣٨) عجز هذا البيت مضمن من بيت المتنبي :
اغالب فيك الشوق والشوق اغلب
واعجب من ذا الهجر والوصل اعجب

٣٩ ـ فمن لي لو يجدي التمني بورة
فيأمن مرتاع ويرتاح متعب

٤٠ ـ سلام على تلك المغاني التي بها
نعمنا وحياها من المزن صيب

٤١ ـ اذ الكرخ داري والاحبة جيرتي
وقومي ترضى ان رضيت وتغضب

٤٢ ـ ليالي اعطتني مقاليدها المنى
وساقية الاقداح تملا واشرب

٤٣ ـ فلا تيأسن من نجدة بعد شدة
فلم تر ليلا ليس بالفجر يعقب

---

(٦) وقال مادحا ومؤرخا في كل شطر من القصيدة سنة ١١٨١هـ (١)

١ ـ قم للدنان فقدم بهجة الطرب
وشنف الكاس في مرعى من اللعب

٢ ـ لله لطف نديم بات ينعشني
بنهلة من لعاب الكاس والشنب

٣ ـ ايام مطربنا (كاس) وراحتنا
حان سلافته من جوهر الطرب

٤ ـ راح اذا المزج حياها بصوب ندى
رايت في بحرها فلكا من الحبب

٥ ـ كاس تطوف بها في كل آونة
بكر تروح آمالي من النصب

٦ ـ رود سلا اليوم عن اهوائها (جلدى)
في مدح بدر (حدى) من اشرف النسب

٧ ـ علي مجد تأمله تجد علما
لا زال يصقل خد العلم والحسب

٨ ـ ما لاح للدهر رأس من سياسته
الا وعاد جميع الناس كالذنب

٩ ـ جلت به حلية الايام عن ملك
زهت بورد نداه دوحة الادب

١٠ ـ قرم الاكارم فرد الدهر واحده
في مكرمات يديه منزل الارب

١١ ـ ندب تبسمت الدنيا لنايله
كالخصب لاح بوجه المربع الجدب

١٢ ـ ليث يسيل الردى من سيفه وله
كفا منيل لطبع الجود منجذب

١٣ ـ ما عيب بالبأس بدر من تكرمه
انى يعاب قوام البيض بالحدب

١٤ ـ اكرم به من سخي كله منح
لو حرم البر يوما عنه لم يتب

١٥ ـ من مخبر لليالي ان نائله
شبه اللجين بدا في وجهها الترب

١٦ ـ كم رد بالمجد عنا راحتي زمن
ان تدعه لسوى اللأواء لم تجب

١٧ ـ ودك طود خطوب لم تزل ابدا
حال الانام بها كالمنزل الخرب

١٨ ـ نمت باجلالها علياؤه فطوت
مفازة (بسوى) الاجلال لم تجب

١٩ ـ (له) عوايد من بر قد اندرجت
بطيها مكرمات العجم والعرب

---

(١) لم يرد في خ/أ و خ/٣ اسم الممدوح ، وفي ح/٢ و خ/٤ و خ/٥ و خ/٦ الممدوح : السيد علي نقيب الاشراف ، وفي ط ، خ/٧ ، الممدوح : السيد اسعد فخري زاده . والسيد علي النقيب هذا ممن درس هو وابن اخيه السيد عبدالرحمن النقيب علي السيد صبغة الله الحيدري المتوفى سنة ١١٩٠ هـ ، وهو غير السيد علي السيد سلمان النقيب المتوفى سنة ١١٩٨هـ ووالد السيد عبدالرحمن رئيس الوزراء في الحكومة العراقية المؤقتة المتوفى سنة ١٣٤٥هـ (عنوان المجد لابراهيم فصيح الحيدري /١٣٩ ـ مخطوط ـ ، والبغداديون لابراهيم الدروبي /١٠٥) .
اما السيد اسعد فخري زاده فقد تقدم التعريف به في مقدمة هوامش القصيدة الاولى . ولالتزام الشاعر بالتاريخ في كل شطر فقد جاءت القصيدة مفككة الاوصال سقيمة المعاني في معظم ابياتها .
ويلاحظ ان الشاعر اعتبر تاء التانيث نحو قائمة ، وشجرة (٤٠٠) ومعظم الشعراء يعتبرها (٥) .

(٣) (كاس) كذا ورد في الاصول ، وهو تصحيف مخل بالتاريخ والصواب (ساق) .

(٥) في ط ، وخ/١ و خ/٣ و خ/٦ (من التعب) مكان (من النصب) ولا يستقيم معه التاريخ .

(٦) (جلدي) و (حدى) هكذا ورد في الاصول ، والصواب الذي يستقيم به التاريخ والمعنى (خلدي) و (هدى) .

(٧) يوحي هذا البيت بان الممدوح السيد علي النقيب . انظر التعليق على البيت السادس والعشرين .

(٨) كذا ورد صدر البيت وفي تاريخه زيادة .

(٩) في تاريخ عجز البيت نقص .

(١٢) في الاصول عدا خ/١ و خ/٤ و خ/٥ (كف منيل لطبع الجود منحدب) وهو تصحيف .

(١٣) كذا ورد صدر البيت في الاصول وهو غير مستقيم من ناحيتي المعنى والتاريخ .

(١٤) في الاصول عدا خ/٤ و خ/٥ (منه) مكان (عنه) وهو تصحيف .

(١٨) في ط ، و خ/٦ و ح/٧ (نهت) وفي خ/١ (نبهت) مكان (نمت) . (بسوى) كذا ورد في الاصول وهو تصحيف مخل بالتاريخ ، صوابه (وسوى) . لم تجب ، من جابت البلاد : قطعتها .

(١٩) في الاصول (له) والصواب (لها) والضمير يعود الى علياته في البيت السابق ، وبذلك يستقيم التاريخ .

٢٠ ـ وكم تلا ملأ عنه كتاب نـدى
باتت فوائده من اعجب العجب

٢١ ـ (ولو) سحاب عطاياه للتي وكفت
دارت على دول الدنيا رحى القطب

٢٢ ـ لو رامت الشمس ادنى خصنه افلت
واصبحت اعين الحرباء في حرب

٢٣ ـ وان جنى من نداه الخلق كل منى
مازال بالسحب يستجني جنى العشب

٢٤ ـ لله قرم من (الانواء) منشؤه
والمجد ساق اليه انور الرتب

٢٥ ـ تهدي لنا كل مأمول سماحته
كأنها النخل اهدى يانع الرطب

٢٦ ـ لله اسعد موجود وافضله
سحت ثدي سماه اطيب الحلب

٢٧ ـ اشم لم تدرك الالباب سؤدده
هيهات يدرك وادي الشمس بالطلب

٢٨ ـ بل كيف يعصي العلى من بات يسعفه
جليل جد يذل النار للحطب

٢٩ ـ ندب محاسنه كالشمس طالعة
وهل بمطلع نور الشمس من ريب

٣٠ ـ وكم ثنى طبعه العلوي ركب منى
يجثو لنجم (معاليه) على الركب

٣١ ـ ما حل فيض أياديه على ملأ
الا وجاء بمرعى للندى خصب

٣٢ ـ خطيب بر عزيز الدهر واحده
يمسي لسان نداه مفصح الخطب

٣٣ ـ لو كان للشمس ما تولي اناملـه
لم يحتجب قط عين الشمس بالحجب

٣٤ ـ باد على المجد كم باحت سماحته
يسر جود (من) الإفكار محتجب

٣٥ ـ ساق مدار لاهل الدهر من يده
كأس من البأس أو كأس من الذهب

٣٦ ـ ان تحو همة كفيه عطا وسطا
فالماء مجتمع بالنار في السحب

٣٧ ـ الجود من كفه تهمي سحائبه
والموت من (كفها) يمسي على رعب

٣٨ ـ طاب الزمان بمسك البلد من أسد
لولا نسيم نداه العذب لم يطب

٣٩ ـ ومذ بدا في قباب المجد منه هدى
عادت بوادي السها ممدودة الطنب

٤٠ ـ وان (تقيس) بضوء الشمس جوهره
سعدا وكيف يقاس النجم بالترب

٤١ ـ قاس الورى بعطاياك الحيا خطأ
هيهات اين الحصى من لامع الشهب

٤٢ ـ ياواحدا كل عضو من عزائمه
ملك له دانت الدنيا بلا تعب

٤٣ ـ في قدس معناك أعلام مقدسة
شمس الكمال بها لم تنئ عن جنب

٤٤ ـ كأن علمك اذ يهدي جواهره
انامل السحب تجري بالحيا السرب!

٤٥ ـ لله حيك حي الفضل أجمعه
من شم عطر ندى واديه لم يشب

٤٦ ـ لما ادرت على الوفاد راح ندى
امسى فؤاد العلى في منتهى الطرب

٤٧ ـ يكفيك يافارس الدنيا بنان فتى
جياد جدواه فاتت سبق السحب

٤٨ ـ تالله ان بني اللأواء قد حييت
ببر ندب لروح العدم مستلب

---

(٢١) (ولو) كذا ورد في الاصول ، ولعل الصواب (وكم) . التاريخ غير مستقيم في الصدر والعجز .

(٢٢) في تاريخ صدر البيت زيادة كبيرة ، في ط ، و خ/٢ (لو رات) مكان (لو رامت) وليس بشيء .

(٢٣) في خ/٢ و خ/٦ (في السحب) . وفي ط (يستجنى اعين الشهب) . وفي خ/١ و خ/٢ (يستجنى حين الشعب) .

(٢٤) (من الانواء) كذا ورد في الاصول ، ولعل الصواب (من الانوار) . تاريخ صدر البيت غير مستقيم في كلا الحالتين .

(٢٦) في الاصول عدا خ/٧ (سمت) مكان (سحت) وهو تصحيف . يستشف من البيت ان الممدوح اسعد الفخري

(٣٠) في الاصول عدا ط ، و خ/٢ (يحبو) وفي خ/٧ (تحبى) مكان (يجثو) . في خ/٧ ايضا (النجوم) مكان (لنجم) . (معاليه) كذا ورد في الاصول ولا يستقيم معه التاريخ ، والصواب (معانيه) .

(٣٢) في الاصول عدا خ/٥وخ/٧ (خصيب بر) وهو تصحيف .

(٣٣) كذا ورد عجز البيت في الاصول ، وفي تاريخه زيادة .

(٣٤) تاريخ صدر البيت غير مستقيم . (من الافكار) كذا ورد في الاصول ، وهو تصحيف مخل بالتاريخ والمعنى ، والصواب (عن الافكار) .

(٣٧) لا وجود لهذا البيت في خ/٥ و خ/٦ و خ/٧ . في تاريخ صدر البيت نقص كبير بلغ (٤١٥) ولو وضعنا كلمة (سحابته) مكان (سحائبه) لانخفض النقص الى (١١) . (كفها) كذا ورد في الاصول وهو تصحيف مخل بالمعنى والتاريخ ، والصواب (وكفها) .

(٣٩) في الاصول باستثناء ط (حدى) او (جدا) مكان (هدى) وعلى اي حال فتاريخ صدر البيت غير مستقيم .

(٤٠) كذا ورد البيت في الاصول ، ومع وجود اللحن في (تقيس) فان في تاريخ صدر البيت زيادة كبيرة .

(٤١) اعتبر الشاعر عدد الالف المقصورة من كلمة الورى (١) ويعتبرها معظم الشعراء (١٠) كالياء .

(٤٢) تاريخ صدر البيت غير مستقيم .

(٤٥) في ط ، و خ/١ و خ/٢ (حيا الفضل) .

٤٩ ـ ان هم يحكي أجل المجد مفخره
فأين شكل الدجى من جوهر الشهب

٥٠ ـ حوى من المجد انمـاه وأفخـره
والتام بالباس منه كل منشـعب

٥١ ـ وافى بأوفى ثمار السعد سؤدده
يحكي مباسم تجنى من جنى الشنب

٥٢ ـ ليهن بـرد معـال قد تقمصه
تقمص النجم جلباب الدجى الشحب

٥٣ ـ افدي أبا البر مذ أبدى عجائبـه
كم شاهدوا من نداه كاشف الكرب

٥٤ ـ احسن بليث ردى مازال بحر جدى
لولاه وابل نوء الخير لم يصـب

٥٥ ـ (ملك) اليه جواد العلم مفتقر
والفقر بالفئـة الانجاب لم يعب

٥٦ ـ لله هم امرىء وافت صوارمـه
بجازر عنق الاوثـان والصـلب

٥٧ ـ امام فضل بدا للجود من يده
هادي البرايا الى الاسنى من الرتب

٥٨ ـ شهم لجود يـديه في خزاينـه
شعب من العدل امسى اي منشعب

٥٩ ـ محيي المكارم لولا وبل رافتـه
لم يبـق للمجد من اثر ولا سبب

٦٠ ـ دهر ابى العدو في اعدائه وسرت
جياد علياه سير العـدو لا الخبب

٦١ ـ اعدت [وجه] المنى واليسر في صعد
بسهم جود يرد البخل في صبب

٦٢ ـ صاحبت كل ندى لولا اصابتـه
بصـوبه حجر الايام لـم يذب

٦٣ ـ لولا جداك لاضحى الناس كلهم
شبيه قفر بلا مـاء ولا عشـب

---

(٥٠) في الاصول عدا خ/٤ و خ/٥ (فالتام) ولا يستقيم معه التاريخ .

(٥٢) تاريخ صدر البيت غير مستقيم . في ط (سجايا) مكان (نـداه) .

(٥٤) في ح/٧ (يجدى) وفي سائر الاصول عدا خ/٥ (يجري) مكان (بحر) .

(٥٥) (ملك) كذا ورد في الاصول ولا يستقيم معه تاريخ صدر البيت ، واخال الصواب (فلك) . تاريخ عجز البيت غير مستقيم ايضا .

(٥٦) هذا البيت ، والبيتان التاليان له غير موجودة في خ/٧ .

(٥٩) اعتبر الشاعر كلمة (محيي) بياء واحدة فتم له العدد المطلوب للتاريخ ، والصواب انها بياءين .

(٦٠) تاريخ صدر البيت غير مستقيم . في ط (وهز بالعدو) .

(٦١) في خ/٤ و خ/٥ (اعدت وحي المنى واليسر في صـعد) ، وفي سائر الاصول (اعدت حبي منارا ليس في صعد) ، وبما اثبته استقام التاريخ .

(٧) وقال يمدح سليمان بيك الشاوي (*)

١ ـ يابرق وجرة هـل فطنـت لما بي
فأتيت تخبرني عن الاحبـــاب

٢ ـ يابرق لولا المنجـدون عشـية
ما بل وكاف الدمـوع ثيـابي

٣ ـ ان الالى حجبتهم كـل النـوى
ضـربوا على اللـفتات كل حجاب

٤ ـ أي المعالم لم أسلها بعـدهم
وبأي واد [ما حبست] ركابي

٥ ـ وبحي رامة معرك نصرت بـه
عفر الكناس على اسود الغـاب

٦ ـ من آخذ بدم القتيـل اراقـه
في الترب بيض كواعب أتـراب

٧ ـ لا تطلبوا مني الهـدوء فانـه
سلب الهـدوء غـداة يوم ربـاب

٨ ـ وبمهجتي الغادون يـوم محجـر
والركب بـين تعـانق وعتـاب

٩ ـ حتى طويت بغيرهم عن ذكـرهم
كالقشر يطوى فيـه كل لبـاب

١٠ ـ ياللعجيبة كيف يخفر عندهـم
عهدي وهـم حي من الاعـراب

١١ ـ ساروا الفداة فساراثرهم الصبا
فالعيش مثل وساوس المرتـاب

١٢ ـ بابي الشباب بليت فيه بغـائب
قد ضمه سـفر بغير ايـاب

١٣ ـ وتولت البيض الحسان لشانها
يزهدن في صلتي وفي استصحابي

١٤ ـ أنكرن لون البازحـين رأينـه
في لمتـي وبكين فقـد غـراب

(*) مرت ترجمته في مقدمة هوامش القصيدة الثانية .

(١) وجرة : منزل بينه وبين البصرة اربعون ميلا ليس بينهما منزل ، فهو مربى للوحش .

(٤) في خ/٢ (ما سبحت) وفي سائر الاصول (ما سحبت) ولعل ما اثبته هو الصواب .

(٥) رامة : منزل في طريق البصرة الى مكة . العفر ، جمع الاعفر ، وهو من الظباء ما يعلو بياضه حمرة . الكناس : بيت الظبي .

(٦) الكواعب ، جمع الكاعب : الجارية الناهد . الاتراب ، جمع الترب (بالكسر) : من ولد معك ، واكثر مايستعمل في المؤنث ، يقال هذه ترب فلانة اذا كانت على سنها .

(٧) رباب : موضع عند بئر ميمون بمكة ، وجبل بين المدينة وفيد ، واسم امراة .

(٨) محجر (بكسر الجيم المشددة) : موضع في الحجاز ، واسم لعدة جبال في بلاد العرب .

(١٤) البازي : صقر لونه اشهب . اللمة : الشعر المجاوز شحمة الاذن ، وفي ذلك كناية عن تكاثر الشيب في لمته ،

١٥ ـ قل ياشباب متى تمن بأوبة
أم لا يحل عليك حال مـــآب

١٦ ـ كن يافؤاد كما عهـدتك آنفـــا
من ذا يلام على هوى وتصـــاب

١٧ ـ دم في ملازمـة الغـرام فانمـــا
سبب الدخول دوام قرع الباب

١٨ ـ أنسيت اياما خلـون كانهـــا
حور الجنـان تطـوف بالاكواب

١٩ ـ وبذي الثويـة نسمة نجديـــة
تهـدي من النشوات كل عجـاب

٢٠ ـ جاءت ممسكة كـأن ذيولهـــا
مغمـورة بلطائـم الاطـــراب

٢١ ـ جاءتك تحمل نشـر كل غديرة
سوداء تسـبح في غدير شباب

٢٢ ـ ومن البلية ان علقت بناعـــم
قيـد النواظـر شـعة الالبـاب

٢٣ ـ يا مسكري بشراب كأس لحاظه
ما خلت في الالحاظ كأس شـراب

٢٤ ـ هيهات ان يصحو فؤاد معربـد
ذهبت بـه عينـاك اي ذهـاب

٢٥ ـ عاهدتني واخـال عهدك صادقا
ما في خلال الروض لمـع سـراب

٢٦ ـ لم أنس ليلة حط عنـه لثامـه
كالصبح جرد عنه كـل نقـــاب

٢٧ ـ وسكرت من فيه بجـام احمـر
مرت الثنايا فيـه در رضـــاب

٢٨ ـ لـم يشجني الا نواه وانمـــا
فقد الاحبة فوق كـل مصـــاب

٢٩ ـ وارى الحياة لـذيذة لكنهــــا
ربمـا تمـل لفرقـة الاحبـــاب

٣٠ ـ ذهبوا بواعية القلوب كانمـا
طارت ركاب القـوم بالالبـــاب

٣١ ـ اشكو كما تشكوالكواكبمندجى
ليل اطال عذابهـــا وعـــذابي

٣٢ ـ دابي مسامرة النجـوم وانهـا
نعم المسامر لو وعت لخطابـــي

٣٣ ـ ياسعد ذرني من اعـادة ما خلا
وتناس ذكـر شـبيبة وتصـــاب

٣٤ ـ قم ننهب الساعات في طلب العلى
وتناس ذكر سوالف الاحقـــاب

٣٥ ـ ذرني وبادرة المسير فقد شـكا
طول الاقـامة في الجفـــير ذبابي

٣٦ ـ ذرني انل سبب السعود فانمـــا
دارت رحـى الاشيـاء بالاسباب

٣٧ ـ واكلف الوجنـاء زورة باسـل
خضل البنان مقـدس الاحساب

٣٨ ـ هذا سليمان الذي فتحت بـــه
زرق الاسنة مقفـل الابـــواب

٣٩ ـ يرد الوغى فترى الرجال هزيمة
والخيـل ناكصة على الاعقـــاب

٤٠ ـ مستودع في سـيفه ويراعـــه
تنميق كـل كتيبـة وكتـــاب

٤١ ـ ملئت كنانته سـهام عزائـــم
باتت تراش بحكمـة وصـــواب

٤٢ ـ فالعز منعقد بيمن يمينـــــه
كالكأس منتظـم (بكأس) حباب

كما كنى بالغراب من سواد لمته في عهد الشباب . في الاصول عدا خ/٥ و خ/٧ (النار) مكان (الباز) ،وفي ط (شبابي) مكان (غراب) .

(١٨) في الاصول عدا خ/٢ وخ/٧ (كانما) مكان (كانها) .

(١٩) الثوية : موضع بالكوفة ، وقيل قريب منها . في الاصول عدا خ/٧ (علوية) مكان (نجدية) ، النشوات ، جمع النشوة : اول السكر ، والرائحـــة . في ط ، و خ/١ وخ/٦ وخ/٧ (النشوان) مكان (النشوات) وهو تصحيف .

(٢٠) لطائم ، جمع لطيمة : الطيب ، ووعاء المسك . الاطراب (بصيغة الجمع) : نقاوة الرياحين .

(٢١) الغديرة : اللؤابة . الغدير : القطعة من الماء يغادرهـا السـيل .

(٢٢) قلب شعاع : تفرقت همه وآراؤه فلا تتجه لامر جزم . لا وجود لهذا البيت في خ/٧ .

(٢٤) في ط ، و خ/٢ وخ/٣ و خ/٦ (يمناك) مكان (عيناك) .

(٢٥) في ط (صافيا) مكان (صادقا) .

(٢٦) في الاصول باستثناء ط ، وخ/٢ (حط فضل لثامـه) و (مسح نقاب) .

(٢٧) الجام : اناء من فضة (عربي صحيح) . مرت الثنايا : درت . الدر : اللبن . الرضاب : الريق المرشوف . في خ/٧ (بدت) ، وفي سائر الاصول عدا خ/٤ و خ/٥ (مرط) مكان (مرت) .

(٢٩) ربما (المخففة) وربما (المشددة) بمعنى .

(٣٠) الواعية ، والوعى : الفهم والادراك . الالباب : القلوب.

(٣٥) الجفير : جعبة من جلد ، واراد غمد السيف . الذباب : طرف السيف ، واراد به السيف . في ط و خ/٢ و خ/٦ (باردة المسير) .

(٣٦) لا وجود لهذا البيت في خ/٧ .

(٣٧) الوجناء : الناقة الشديدة . الخضل:الندي الاحساب: المفاخر التي تصنعها بنفسك .

(٤١) الكنانة : جعبة تجعل فيها السهام . راش السهم : الزق عليه الريش .

(٤٢) (بكأس حباب) كذا ورد في الأصول ، ولعل الصـــواب (بسلك حباب) .

٤٣ ـ وتحن أعطـاف الزمان لحكمـه
كحنين هاجـرة لوصـل ربـاب

٤٤ ـ وترى وجوه الصيد نحو قبابـه
شعثا لطول ترشـف الاعتـاب

٤٥ ـ وكأنما رسـل المنـايا نبـلـه
تمضي فلم تقنع بغير جـواب

٤٦ ـ علم العلوم يكاد سر يراعـه
يستل تبرا من حقير تـراب

٤٧ ـ نشوان لم يعبث بكاس مدامـة
الا مدامـة حانـة الآداب

٤٨ ـ مغض على ضرب الطلى لكنـه
متململـل كتململـل الاواب

٤٩ ـ فلك يموج الدهر من حركاتـه
ما بين طعن [مارق] وضـراب

٥٠ ـ بطل يفض ختام كـل كريهـة
فيعود من دمهـا بغير خضـاب

٥١ ـ وترى صروف الدهر تصرف باسمه
كالجن تدحر بانقضاض شـهاب

٥٢ ـ وسمت له الايـام في جبهاتهـا
موشـية الاحسـاب والانسـاب

٥٣ ـ لم يبق فضل قـط الا نالـه
سبحان من يعطي بغير حسـاب

٥٤ ـ لم يتخذ الا الجياد سرادقـا
وكفى بتلك القب سجف قبـاب

٥٥ ـ أسد تملك وجه كـل جميلـة
اعيت مـذاهبها على الخطـاب

٥٦ ـ متلاطم العزمـات غير مدافـع
كاليـم ماج بزخرة وعبـاب

٥٧ ـ يلقى انابيب القنـا ليفيدهـا
من بعـد حدتهـا لديه (بناب)

٥٨ ـ فلك على الدنيا تدير يمينـه
فلكين من ذهب ومن اذهـاب

٥٩ ـ واتى الزمان حذار سيفك تائبا
مما جنته سـوالف الاحقـاب

---

(٤٣) الهاجرة : نصف النهار في القيظ . الرباب : السحاب الابيـض .

(٤٨) الطلى : الاعناق . الاواب : التائب . في خ/٧ (الواب) مكان (الاواب) .

(٤٩) في خ/٧ ; مازق) وفي سائر الاصول (مالق) والصواب ما أثبته ، يقال : مرق الرمح في الرمية ، اي نفذ فيها وخرج من الجانب الاخر فهو مارق .

(٥٢) في خ/٧ (في جلبابها) مكان (في جبهاتها) .

(٥٤) القب (بالضم) جمع الاقب ، وهو من الخيل الدقيق الخصر الضامر البطن .

(٥٧) (بناب) كذا ورد في الاصول ، ولا معنى لها ، والصواب (نوابي) اي كليلة .

(٨) وقال في مدحه ايضا (١)

١ ـ ان رمت توطئـة المرام الاصـعب
فاركب من الاقدام اخشن مركب

٢ ـ اربا بنفسك ان تذودك شـهوة
دون انتصابك فوق اشرف منصب

٣ ـ لا تكثرن من الشباب وذكـره
انت ابن يومك لا ابن ماضي الاحقب

٤ ـ وتلاف من قبل الفـوات فربمـا
أعياك غمز العود بعد تصـلب

٥ ـ مالي وللنفر (الطلاح) تنافروا
عنى كما نفر الغنى عن متـرب

٦ ـ لا تنكري حـالا تغـير منهـم
فالـكل تحت مكـوكب متقلـب

٧ ـ أيـروم غيرهـم بقلبـي مسـكنا
ياسرب ما هذا كناسك فاسـرب

٨ ـ كم من أخ لك غير أمـك أمـه
تنسيك سيرته اخـاء المنسـب

٩ ـ دارت بشملهم الليـالي دورهـا
فتنقبـوا كهلالهـا المتنقـب

١٠ ـ اقمرت ياليل الحجون بأوجـه
كانت اذا حجب الضحى لم تحجب

---

(١) هذه القصيدة موجودة في جميع الاصول التي اعتمدتها في التحقيق ، وانفردت خ/٧ بايراد قصيدة اخرى مؤلفة من (٣٤) بيتا مطلعها :

يا سلم لاسلمت سهامك من دمي
كفي سـلمت من العنـاد المعطب

وعند مطالعة ابياتها وجدت (٢٥) بيتا منها بضمنها المطلع منقولة من هذه القصيدة حرفيا او بتغيير طفيف ، ولان كلا القصيدتين في مدح الحاج سليمان الشاوي ، ولانهما على روي ووزن واحد اعتقدت جازما انهما قصيدة واحدة ، فعمدت الى ادخال الابيات التسعة الزائدة في مواقعها المناسبة من القصيدة ، فكان ترتيب ارقامها (٢١و٢٢و٩١ و٩٢و٩٥و٩٧و٩٨و١٠٧و١١٤) واهملت الابيات المكررة . غير اني (مراعاة لامانة النقل) سأثبت تلك القصيدة في الملحق الثاني للديوان ، كما وردت في خ/٧ مع زيادة في الايضـاح .

(٤) غمز العود : جسه ليختبر صلابته .

(٥) (الطلاح) : الذين جهدهم السير ، ولا معنى لها هنا ، ولعل الصواب (الصباح) . المترب : المسكين اللاصق بالارض من فقره .

(٦) في الاصول عدا خ/٧ (فالعل) مكان (فالكل) . المكوكب : الفلـك .

(٧) الكناس : بيت الظبي . اسرب : اذهب . في ط ، و خ/١ (ياسرب هذا من كناسك) وفي خ/٢ و خ/٦ (ياسرب هذا كناسك) .

(١٠) الحجون : جبل بمكة المكرمة .

١١ ـ لم أنس ظعنهم المجد كـأنه
يسعى به السلوان سعي القطرب

١٢ ـ قف ياجهام على ديارهم ونب
عن دمع صبهم بأوطف صـيب

١٣ ـ واحفظ مغيب القوم حفظ حضورهم
انعم بهم من حاضرين وغيب

١٤ ـ سحروا الشجي وهم رقاه فمن لنا
بالسحر يقرأ من عيون الربرب

١٥ ـ بعثوا الخيال نديـة نفحاتـه
كالريح لم تعثر بـدو مجـدب

١٦ ـ لم انس يوم خلت بها روادها
تجني اسارير السرور وتجتبي

١٧ ـ وادت بشاشته بنات همومها
فالتام شعب القوم بعد تشعب

١٨ ـ أيام زاد نتاجها عقم النـوى
ومن الغنيمة عقم من لم تنجب

١٩ ـ ان اخلقت دياجتي بسراهـم
فمن التثبت بعدهم لم اسلب

٢٠ ـ لم يسلني بعد الديار ولم [أصخ]
اذنا لهينمة الغراب الانعب

٢١ ـ يا ساقيي بم التعلل بعدهم
هل في الاناء بقيـة لم تشـرب

٢٢ ـ غادين لم يدعوا سهولة مغنم
بل اعقبوا نزوان يـوم اصعب

٢٣ ـ تلك الوجوه خلت بكل ملاحة
أعـزز بهاتيك الوجـوه واحبب

٢٤ ـ كانوا اذا الآفاق قطب نوؤها
نوءا يهلل وجـه كـل مقطـب

٢٥ ـ ياغلوة البين التي نزحت بهم
لو طاش سهمك لم يفتني ماربي

٢٦ ـ افكلما فطن الزمـان لجيـرة
طارت نعامتـه بذاك الموكـب

٢٧ ـ اهذيم لا تنكر بمثل شرابهم
طربي ومن يشرب يلذ ويطـرب

٢٨ ـ فاقدح لمحو الصحو اقداح الطلا
فالزند لولا قدحه لـم يثقـب

٢٩ ـ سفها لرايك أي (ترتيب) على
من كان بغيته الغلام الشيرب (كذا)

٣٠ ـ ممنوع اطراف المراشف عذبها
لولاه مضمضة اللها لـم تعـذب

٣١ ـ أتلومني والنفس مولعـة بـه
ابعد خطـاك بلومـه او قـرب

٣٢ ـ واسلك من الاشياء واضح سبلها
ودع الاخير الى الطريق المتعب

٣٣ ـ ايها فان لكل ضيق فرجـة
والغيث تلو البـارق المتلهـب

٣٤ ـ لـم يثنني لاح الـح بذكركـم
ومن الغباوة ان تميل الى الغبي

٣٥ ـ اقلقتم كبدى فسامرنى النوى
وصممت عن سمر النديم المطرب

٣٦ ـ من لم تؤدبـه خلائق طبعـه
الفيته بالسيف غير مـؤدب

٣٧ ـ ورايت الحى من لحاني صاحبي
يانفس آن أوان أن لا تصحبـي

٣٨ ـ وذري العتاب فما هنالك سامع
شرع عليك عتبت أم لم تعتبـي

---

(١١) القطرب : اللص ، والذئب الامعط ، ودويبة لا تستريح من الحركة .

(١٢) الجهام : السحاب لا ماء فيه . الاوطف : الدائم السح . في ط (وبن) مكان (ونب) .

(١٥) الدو : المفازة الواسعة .

(١٧) في ط ، و خ/٢ و خ/٥ و خ/٦ (واوت) مكان (وادت) . في الاصول عدا خ/٥ و خ/٦ و خ/٧ (صعب القوم) . فب تشعب : بعد تفرق .

(١٩) اخلقت : ابليت . الديباجة : الثوب ، ونضارة الوجه . في الاصل عدا خ/٥ وخ/٧ (سراهم) مكان (بسراهم) .

(٢٠) الهينمة : الصوت الخفي . في ط ، و خ/٦ (لم اصغ) وفي سائر الاصول (لم اعر) مكان (لم أصخ) في ط ، و خ/١ و خ/٣ و خ/٦ (الايضب) مكان (الانعب) .

(٢١) في الاصول عدا خ/٤ و خ/٥ (ياساقيين) .

(٢٢) النزوان (بالتحريك) : السورة والحدة .

(٢٣) خلت الوجوه بالملاحة : انفردت بها .

(٢٤) النوء : النجم الذي هو مظنة المطر عند العرب . انفردت خ/٧ بايراد هذا البيت .

(٢٥) الغلوة : مقدار رمية ، وفي اساس البلاغة (هو مني بغلوة سهم) .

(٢٦) النعامة : طائر معروف يضرب به المثل في الاجفال ، ويقال للرجل اذا فزع او ارتحل (طارت نعامته) .

(٢٧) هذيم : اسم شائع عند العرب ، استعاره الشاعر للنادل.

(٢٩) (ترتيب) كذا وردت الكلمة في الاصول ، والصواب (تثريب) . الشيرب : الكثير الشراب .

(٣٠) المضمضة : تحريك الماء وادارته في الفم . اللها ، جمع اللهاة : اللحمة المطبقة في اقصى سقف الفم . في خ/٢وخ/٥وخ/٧ (مضمضة الهوى) وسقطت كلمة (اللها) او (الهوى) من خ/١وخ/٣وخ/٦ .

(٣١) هذا البيت والذي بعده من الزيادة الوارد ذكرها في في الفقرة (أ) .

(٣٣) في ط ، وخ/١وخ/٢وخ/٧ (تلوى) مكان (تلو) .

(٣٤) في الاصول عدا خ/٥وخ/٧ (ان يميل) .

(٣٥) في خ/٢ (وسامرنى الولى) وفي خ/٤وخ/٧ (وسامرني الهوى) .

٣٩ ـ وبدا التساوي في المساوي للورى
شبه الاراقم ما خلت من معطب

٤٠ ـ مه ياخلي عن الشجي ولا تسل
عن موقع الاشياء غير مجرب

٤١ ـ ضاق الخناق بهم ولكن الهوى
يرضي المحب بمثل جحر الارنب

٤٢ ـ يالاحيي الم يقل لكما الهوى
ان اكتساب اللوم الام مكسب

٤٣ ـ هل فيكما ان تنشدا لي ساعة
عقلا اضلته عقائل تغلب

٤٤ ـ او تبردا لي مهجة حرانة
الهبتها بشموس آل مهلب

٤٥ ـ ياسلم ما سلمت سهامك من دمي
فالسهم ان يك ذا نفوذ ينشب

٤٦ ـ هذي (الديار) بمقلتيك مطاحة
ان رمت تخضيب البنان فخضبي

٤٧ ـ لا تحسبي ليلي وليلك واحدا
شتان بين منعم ومعذب

٤٨ ـ بات الكرى اهدى اليك من القطا
وظلت منه ولا كخابط غيهب

٤٩ ـ انسيت يوم شجتك وعوعة الوغى
فأجبت داعيها بقلب قلب

٥٠ ـ والسمر ترسب في الكبود كعوبها
والخيل تطفح في الغدير الاصهب

---

(٣٩) في الاصول عدا خ/٣وخ/٧ (وبد التساوي) وفي خ/٤ (الاراقص) وفي سائر الاصول باستثناء خ/٧ (الاراقط) مكان (الاراقم) .

(٤٢) اللاحي : اللائم . في الاصول عدا خ/٤وخ/٥وخ/٧ (يالاحيين) مكان (يالاحيي) .

(٤٣) العقائل ، جمع العقيلة : الكريمة المخدرة من النساء . تغلب : الحي المنسوب الى تغلب بن وائل

(٤٤) ال مهلب : نسبة الى ابيهم المهلب بن ابي صفرة الامير المشهور المتوفى سنة ٨٣هـ . في ط ، وخ/١وخ/٢ (أوبردوا) وفي سائر الاصول عدا خ/٥وخ/٧ (أوبردا) .

(٤٥) النفوذ ، من نفذ السهم في الرمية : خالط جوفها وخرج طرفه من الشق الاخر . نشب الشيء بالشيء : علق

(٤٦) (هذي الديار) كذا ورد في الاصول ، والصواب (هذي الدماء) .

(٤٨) خابط الغيهب : خابط الليل ، وهو الذي يسير فيه على غير هدى . في ط ، وخ/١وخ/٢وخ/٦ (الي) مكان (اليك) .

(٤٩) الوعوعة : الضجيج والجلبة ، في خ/٢وخ/٤وخ/٥وخ/٧ (وعوعة المدى) . القلب : البصير بتقليب الامور .

(٥٠) ترسب : تستقر . الاصهب الذي يخالط بياضه حمرة . في ط : (الغرير) مكان (الغدير) .

٥١ ـ والنفس مهما عوفيت من نكبة
نسيت مرارتها كأن لم تنكب

٥٢ ـ والدهر أتاه بكل عجيبة
من يعرف الايام لم يتعجب

٥٣ ـ لم يبق للاكياس (ضرس) في فم
الا واورده مرير المشرب

٥٤ ـ لا تعجبا لفساد كل صحيحة
فالناس في زمن كجلد الاجرب

٥٥ ـ ليس الهوى مني ولست من الهوى
لولا اعتراض السرب يوم محصب

٥٦ ـ هي لحظة بين الحدوج ادرتها
يانظرة كانت خلاف الاصوب

٥٧ ـ عثر الجواد وكان مأمون الخطى
ونبا الحسام وكان صلت المضرب

٥٨ ـ أزف الرحيل فهل صديق صادق
يلقى الخليل بخلة لم تكذب

٥٩ ـ والراقصات بذي الاراك كأنها
حبب المدام تراقصت في الاكوب

٦٠ ـ لاروعن الصحصحان بسلهب
في كل عضو منه همة سلهب

٦١ ـ اي المرام يفوتني وقعيدتي
ريح يقال لها بقية شزب

٦٢ ـ لا تحسبن الامر مزحة عابث
لاحت طلايعها فياخيل اركبي

٦٣ ـ ماضاقت الارض الوساع على امرىء
هيهات ما في فجها من مذهب

٦٤ ـ ما للمعالي حاجة في عاجز
يأبى المعرس في هجير السبسب

---

(٥١) في الاصول عدا خ/٤وخ/٥ (والشمس) مكان (والنفس) .

(٥٣) كذا ورد صدر البيت في الاصول ، ولعل الاصوب (لم يبق للاكياس ضرسا) والضمير يعود الى الدهر .

(٥٦) في خ/٥ (هي نظرة) وفي الاصول عدا خ/٧ (هي نظرة بين الحجون) والحجون : جبل في مكة المكرمة .

(٥٧) نبا الحسام عن الضريبة : كل وارتد عنها . الصلت : الصقيل الماضي . في خ/٥ (صلب المضرب) .

(٥٨) ازف الرحيل : دنا . الخلة (بالكسر) (الصداقة) و (بالفتح) : الخصلة .

(٥٩) الراقصات : الابل . ذو الاراك : يريد وادي الاراك قرب مكة المكرمة .

(٦٠) الصحصحان : الارض الجرداء المستوية . السلهب من الخيل : الطويل . في الاصول (ولاروعن) .

(٦٢) في ط ، وخ/٢ (حث) وفي خ/١ (حثة) مكان (مزحة) .

(٦٣) كذا ورد عجز البيت في الاصول ، ولعل الصواب (هيهات مالي فجها من مذهبي) .

(٦٤) في الاصول عدا خ/٧ (ماللليالي) مكان (ماللمعالي) . المعرس : المكان الذي يأوي اليه المسافرون اخر الليل للاستراحة ثم يرتحلون . السبسب : المفازة .

٦٥ ـ والحزم حيزوم الابي فخذ بـه
لا ترع شاءك في المكان المذئب

٦٦ ـ واحذر عداوات الرجال ودارها
ان لم تكن جدة لديك فرحب

٦٧ ـ وافطن لادوية الامور فانما
سم الافاعي غير سم العقرب

٦٨ ـ واذا تنكه من مكان ريحه
فتخط منه الى المكان الاطيب

٦٩ ـ نعم المعين على نيوب نوائب
بحديد ناب للشفار ومخلب

٧٠ ـ اني وان امسيت صفر انامل
فمعظم الافلاك غير مكوكب

٧١ ـ ياناق ان حمى سليمان الندى
مرعى الخصيب فيمميه لتخصبي

٧٢ ـ هذي منازله فراديس المنى
ومنابع الكرم التي لم تنضب

٧٣ ـ هبي له تصلي الى حرم الغنى
لابد من سبب لكل مسبب

٧٤ ـ اقليدس الحكماء الا انه
ترمى العدى منه بداء الثعلب

٧٥ ـ متسنم من كل مجد صهوة
ان تركب الشهب السواري يركب

٧٦ ـ طلعت بابهة العجائب شمسه
بالله ياشمس انظري وتعجبي

٧٧ ـ حلال عقد الدهر عاقد حطه
بالماضيين مثقف ومشطب

٧٨ ـ صرام ما وصل الملوك من العرى
وصال ما صرم الزمان المستبي

٧٩ ـ متلبب بالحزم مدرع به
هتاك سجف الدارع المتلبب

٨٠ ـ مختالة بدم الفوارس خيله
كالخود ترفل بالطراز المذهب

٨١ ـ ان المعالي في سواه معارة
فكأنهن خضاب فود الاشيب

٨٢ ـ وعلى الملوك له ديون جمة
بضمان معتدل الشطاط واحدب

٨٣ ـ لبس الخلاعة في الندى لايرعوي
لطنين واش او هرير مؤنب

٨٤ ـ يسخو بما لم يسخ ذو كرم به
ابدا ويعتذر اعتذار المذنب

٨٥ ـ واذا تمردت الفوارس راعها
بطروق اروع كانقضاض الكوكب

٨٦ ـ يفني الالوف بواحد متنمر
لم يخش بائقة ولم يتهيب

٨٧ ـ ذيال سابغة يجر ذيولها
بين الاشاوس كالمدل المعجب

٨٨ ـ بابي كسوب بالقنا لا ينثني
عن جيش ابرهة اذا لم يكسب

٨٩ ـ شرس المراس يقوم دون محله
كسرى مقام الخائف المتهيب

٩٠ ـ ملك ترعرع في المحامد ناشئا
وعلى رضاع العز والتقوى ربي

٩١ ـ ومهذب لا طعن فيه لطاعن
وكذاك فليك طبع كل مهذب

٩٢ ـ قاد المعالي آخذا بخطامها
أخذا يدين خشونة المستصعب

---

(٦٨) تنكه : تنفس ، ونكه الرجل : تغيرت نكهته من التخمة .

(٦٩) النيوب ، جمع ناب ، يقال : عضته انياب المصائب ونيوبها . في ط ، وخ/١ وخ/٣ (وثوب) مكان (نيوب) . ارى ان محل هذا البيت بعد البيت (٧٢) .

(٧٢) في ط ، وخ/١ (هذا) وفي خ/٣ (هذه) مكان (هذي) .

(٧٤) داء الثعلب : علة يتناثر منها الشعر ، والثعلب ايضا : طرف الرمح الداخل في جبة السنان .

(٧٦) الابهة : العظمة ، والبهجة . في الاصول عدا خ/٥ (بابهية العجائب) .

(٧٧) المثقف : المقوم ، ويريد به الرمح . المشطب : يريد به السيف الذي في متنه شطب اي طرائق . في ط ، وخ/١ وخ/٣ ألحق عجز هذا البيت بصدر البيت السابق واهمل باقي البيتين .

(٧٩) المتلبب : المتحزم بالسلاح . السجف : الستر .

(٨٠) الخود ، جمع الخود (بسكون الواو) : الشابة من النساء . ترفل : تخطر ، وتتبختر . الطراز : علم الثوب (فارسي معرب) .

(٨٢) معتدل الشطاط : الرمح ، والشطاط : الطول . اراد بالاحدب : السيف .

(٨٦) في الاصول عدا خ/٧ (يلقى) مكان (يفني) ولعل الاصوب (يلقى الالوف) . البائقة : الداهية ، والشر ، في ط ، وخ/١ وخ/٣ (باقية) مكان (بائقة) .

(٨٨) ابرهة : قائد حبشي اشتهر ذكره في التاريخ الاسلامي بحملته على مكة المكرمة عام ٥٧٠م وقد انتهت حملته بالفشل كما تشير الاية الكريمة (الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، ألم يجعل كيدهم في تضليل) .

(٨٩) الشرس المراس : الشديد المعاناة والمزاولة . كسرى : اسم يطلق على ملك الفرس .

(٩١) هذا البيت والذي بعده من الزيادة التي مر ذكرها انفا في الفقرة (أ) .

(٩٢) الخطام : كل ما يوضع في انف البعير ليقتاد به . يدين : يخضع ، ويذل (بضم أوله وكسر ثانيه) .

٩٣ ـ مه يامقل فقد ظفرت بواهب
من منفسات المال ما لم يوهب

٩٤ ـ وخذ الامان من الزمان بخادر
ذي مخلب في كل جلد منشب

٩٥ ـ متورك فوق الحوادث راكب
من مصعبات الدهر ما لم يركب

٩٦ ـ اخذ الرئاسة عن انابيب القنا
عما تدبره انامل قعضب

٩٧ ـ وقف على اقدامه ونواله
شكر الوشيج ومشكلات المارب

٩٨ ـ صفر من الشيم الدنايا مفعم
من كل صالحة وعز مؤشب

٩٩ ـ ثاني الاعنة من حوادث دهره
سيان ما صعبت وما لم تصعب

١٠٠ ـ قرم تفرست القروم برايه
كابن تورث ما تورث عن اب

١٠١ ـ والعز طورا بالحسام وتارة
بمهند من راي كل مهذب

١٠٢ ـ لا يمتطي الا العويص قيادها
ان الابية مركب الطبع الابي

١٠٣ ـ بابي الذي يلقى الكتائب باسما
والحرب تكشر عن نواجذ مغضب

١٠٤ ـ والخيل راقصة على نغم القنا
والبيض معجمة لصورة معرب

١٠٥ ـ وله على أهل البسيطة كلها
فضل النجوم على سواد الغيهب

١٠٦ ـ واذا نشرت ذؤابة من علمه
عطرت نواحي شرقها والمغرب

١٠٧ ـ فهو النهاية بالمعارف كلها
شرف به دون العوالم قد حبي

١٠٨ ـ امطوح الاراء بالحكم التي
كتبت على الالهام ما لم يكتب

١٠٩ ـ عجبا لخيلك كيف تحمل فارسا
قد زاحم الفلك المحيط بمنكب

١١٠ ـ كم صارم جردت منه صوارما
تفنى الشعوب بضربها المتشعب

١١١ ـ وكتيبة شهباء رعت بها العدى
كالصبح غار على الظلام باشهب

١١٢ ـ بأبيك كم تلهو سيوفك بالطلى
ملهى اصيبية بدارة ملهب

١١٣ ـ نهنه ظباك عن العدى (مترفعا)
فالرفق شنشنة السري المنجب

١١٤ ـ واذا الامور هفت وضل دليلها
كنت الهدوء لقلبها المتقلب

١١٥ ـ انت الغياث اذا النفوس تحشرجت
بمصعد من كربها ومصوب

١١٦ ـ ومتى تعذر لابن انثى مطلب
الفاك مغناطيس ذاك المطلب

١١٧ ـ ياسرحة المعروف ان قلائصي
هربت اليك من الزمان المجدب

١١٨ ـ حطت على رغم المحول رحالها
بأبل ناد للمكارم مخصب

---

(٩٣) في ط (براهب) مكان (بواهب) .

(٩٤) الخادر : الاسد المقيم في خدره . منشب : عالق .

(٩٥) تورك على الدابة : ثنى رجله ليستريح . هذا البيت من الزيادة التي تقدم ذكرها في الفقرة (أ) .

(٩٦) قعضب رجل كان يعمل اسنة الرماح ، وقعضب ايضا : الضخم الجريء الشديد .

(٩٧) الوشيج : الرماح . المارب : الحاجة . هذا البيت والذي بعده من الابيات التسعة التي مر ذكرها انفا في الفقرة (أ) .

(٩٨) المفعم : المملوء . المؤشب : الملتف .

(١٠٤) هذا البيت غير موجود في خ/٧ . اعجم الشيء : اخفاه وابهمه . اعربه : ابانه واوضحه .

(١٠٥) في الاصول عدا خ/٧ (وله على كل البسيطة كلها) . يريد بالبسيطة : ارض العراق .

(١٠٦) ذؤابة الشيء : اعلاه ، وفي أساس البلاغة (نار ساطعة اللوائب) . في الاصول عدا خ/٧ (نفحت) مكان (عطرت) .

(١٠٧) هذا البيت من الابيات التسعة التي تقدم ذكرها في الفقرة (أ) .

(١١١) أغار على القوم اغارة وغارة : دفع عليهم الخيل (لسان العرب) . ولعله يريد غار يغور بمعنى دخل ونزل .

(١١٢) اصيبية : تصغير صبية . الدارة : يريد الساحة المستديرة . الملهب : موضع ايقاد النار .

(١١٣) في الاصول عدا خ/٧ (الورى) مكان (العدى . (مترفعا) كذا ورد في الاصول ولعله تصحيف (مترفقا) . الشنشنة : العادة ، والطبيعة . في ط (البري) مكان (السري) .

(١١٤) هفت : تطايرت لخفتها وطاشت . هذا البيت من الابيات التسعة المذكورة انفا في الفقرة (أ) .

(١١٥) حشرج الصدر : غرغر عند الموت . في ط ، وخ/١وخ/٣ وخ/٦ (مصعب) مكان (مصوب) .

(١١٧) السرحة : الشجرة العظيمة . القلائص ، جمع القلوص: الشابة من اناث الابل ، والناقة الطويلة القوائم . في ط ، وخ/١ وخ/٣ وخ/٦ (المرهب) مكان (المجدب) .

(٩) وقال يمدحه ويهنيه بالعيد

١ ـ اسانح برق من روابـــي الربائب
بدالك وهنا أم مصابيح راهـــب

٢ ـ وما هـو الا السيف سل ذبابـــه
فعادت به الافاق حمر الذوائـب

٣ ـ تصدى لاجفان المحبين سحـــرة
فشمر عن زندين كاس وســـالب

٤ ـ عرضت له امتار ري جوانحـــي
واي سراب بل غلـة شـــارب

٥ ـ لعمر الهوى لو لم تجانب مودتي
عزيزة ذاك الحي ما ذل جـانبي

٦ ـ ولائمـة لـم تدر فيـم تقلبـي
واي نجيب تنتحيـــه نجـائبي

٧ ـ تقول انخهـا واسترح من ركوبها
فجز النواصي دون جز السباسب

٨ ـ هي النفس لا تحمل عليها فانهـا
ادق نحولا من خصور الكـواعب

٩ ـ ولست لايماض الاماني بشـائم
كما لمعت في الليل نار الحبـاحب

١٠ ـ وما المال الا قسمة لا تفوتهـــا
ولو انها نيطت بنـاب النـوائب

١١ ـ ولا تتقاذفك الامـاني فانهـــا
[مصاعب] لا تعطي العنان لراكب

١٢ ـ فقلت اقلي العتب يا ام مالـك
فليس المعنى للظي بصاحـــب

١٣ ـ ذريني اقدها تمضغ اللجم شزبا
محـدقة احداقهـــا للمـآرب

١٤ ـ الم تعلمي اني امرؤ غير صـــابر
لضيم ولا راض بادنى المراتـــب

١٥ ـ اكافح خيل الدهر لا متقهقـرا
لخطب ولا مستسلما لمحـــارب

١٦ ـ اعاف من الراحات للذة راحهـا
ورب مـــدام لا تلذ لشـــارب

١٧ ـ اذا قلدتني سيف حمير اينقـي
نحرت به سرح الامـاني الكواذب

١٨ ـ وسوف لعمري تعلمين بانـنـــي
خفضت من الايام اعلى المناصب

١٩ ـ فتى الخيل يقريها الملوك بصارم
به كتب التأييد محو الكتـــائب

٢٠ ـ قضى الله ان ياتي بكل عجيبـة
لما راق فيه من فرند العجائـــب

٢١ ـ متى امه العافون حطت رحالهم
بملتطم امواجـــه ذي غـــوارب

٢٢ ـ اذا اختلفت للماردين طـــوارق
رمى الله منه بالنجوم الثواقـب

٢٣ ـ مجربة في كـل حال فعالـــه
وما الناس الا تحت طي التجارب

٢٤ ـ ومن كان من عاداته بذل نفسه
لدى الروع لم يبخل ببذل الرغائب

٢٥ ـ فتى ترد الفتيان من فتكاتـه
ورود السواري من حياض المغارب

٢٦ ـ فتى تلقح الآمال باسم رجائـــه
لقاح بنات الاكم بابن السحائب

٢٧ ـ ابو الهندوانيات استاذها الذي
يعلمها كيف انفلال المواكـــب

٢٨ ـ اذا رنح العـود الملوك فانمــا
يرنح عطفيه (صرير) القواضـــب

---

(١) السانح : الذي ياتي من جانب اليمين ، ويقابله البارح. الربائب ، جمع رباب وهو السحاب ، ربامي مقيس على وزن (فعال) كشمال وشمائل . الوهن : نحو منتصف الليل .

(٤) امتار : اطلب . الغلة : شدة العطش .

(٦) في خ/٤ وخ/٥ (تقبلوا) مكان (تقلبي) . تنتحيه : تقصده .

(٧) الجز : القطع . النواصي ، جمع الناصية : الشعر في مقدم الراس . السباسب : المفازة .

(٩) الحباحب : ذباب يطير بالليل له شعاع في ذنبه كالسراج. في خ/٧ (الحبائب) .

(١١) المصاعب ، جمع المصعب : الفحل الذي لا يركب . في خ/٧ (صمائب) وفي سائر الاصول (مصائب) وهو تصحيف

(١٣) تمضغ اللجم : تلوكها . الشزب من الخيل : الضامرة .

(١٧) يريد بسيف حمير : ممدوحه وهو من عليا حمير . السرح: الابل السائمة ، اي الراعية . في الاصول عدا خ/٤ وخ/٥ وخ/٧ (نحرت بها) .

(١٨) في ط ، وخ/١ وخ/٢ وخ/٦ (المصائب) مكان (المناصب) .

(٢٠) راق : اعجب . الفرند : الوشي ، والجوهر .

(٢٢) في الاصول عدا خ/٤ وخ/٥ وخ/٧ (للمارقين) مكان (للماردين) .

(٢٥) لعله يريد بالسوارى (هنا) : السحب تاتي ليلا وبالمغارب ، جمع المغرب : الجهة التي تاتي منها السحب الممطرة ومع ذلك فالبيت مضطرب المعنى .

(٢٦) الاكم : الروابي ، ويريد ببنات الاكم : ما نبت عليها من اعشاب ، وبابن السحائب : المطر .

(٢٨) (صرير) كذا ورد في الاصول ، والصواب (صليل) القواضب .

٢٩ ـ من القوم لم تجمح عليهم رئاسة
أولئك أكفــاء لتلك المطــالب

٣٠ ـ اذا ازور بأس او تنمر حــادث
فانك رام كل جــزع بثاقــب

٣١ ـ تظن ملوك الارض انك كفؤهــا
ومن قال ان الشمس كفؤ الكواكب

٣٢ ـ قرعتهم حتى تركت سيوفهم
مضـاربها مفلولــة كالضـرائب

٣٣ ـ طلبت العلى حتى اطمانت نواشز
قضى في هواها طالب بعد طـالب

٣٤ ـ اذا العرب العرباء طالت مناسبا
فانك منها في صميم المناســب

٣٥ ـ لعمرك كم اوردتها سورة القنا
وللطعن كـاس لا تلذ لشــارب

٣٦ ـ فاطربها ذاك الــورود وما درت
أكانت وطيسا أم نــدي ملاعـب

٣٧ ـ لقد صلت في سعدالسعود بذابح
هو السيف لا ينفل في كف ضارب

٣٨ ـ اذا انجذبت شوقا الى قربك العلى
فانك مغناطيس طبـع المناقــب

٣٩ ـ وما طيبات الفضـل الا لاهلهـــا
وانت بحمد الله طيب الاطايــب

٤٠ ـ اذا نحن اوردنا حياضك عيسنا
فلابد ان يصدرن بجر الحقائــب

٤١ ـ أرى الدهر خفاق الجوانح كلما
اشرت بذي حدين ماضي المضارب

٤٢ ـ وكم حجب للملك اوسعت خرقها
بعين سـداد لم تكفكف بحاجـب

٤٣ ـ (حنانيك) بالعيد الذي انت عيده
ومورده الكـاس اللذيذ لشـارب

٤٤ ـ تحييه باليمن الذي يلد المنــى
ويقبـل بالاقبـال من كل جـانب

٤٥ ـ تناهت بك الدنيا سرورا فارخوا
حوى منك هذا العيد اسنى المطالب

١١٣،١٢١،١١٥،٧٠،٦،١١٠،٢٤
= ١١٨٩ هـ

---

(٢٩) في خ/١ ، وخ/٤ ، وخ/٥ ، وخ/٧ (لم تجمع) مكان (لم تجمح) مكان (لم تجمح) .

(٣٠) الجزع (بالكسر) : محلة القوم ، ومنعطف الوادي، والمكان المشرف من الارض ، و (بالفتح) : الخرز اليمـاني .

(٣٢) الضرائب ، جمع الضريبة : الرجل المضروب بالسيف ، وموضع الضربة من جسد المضروب .

(٣٣) النواشز ، جمع الناشز : المرتفع ، والمستعصية على زوجها . في خ/٧ (نوائز) وهو تصحيف .

(٣٧) سعد السعود ، وسعد الذابح : نجمان من منازل القمر ، استعار الاول لليمن والثاني للسيف . في خ/٧ (بدالج) مكان (بذابح) وهو تصحيف . في الاصول باستثناء ط ، وخ/٦ (في يد ضارب) .

(٣٨) لا وجود لهذا البيت في خ/٥ .

(٣٩) لا وجود لهذا البيت والذي بعده في خ/٧ .

(٤٠) البجر (بالضم) جمع البجراء : الممتلئــة . في خ/٥ (فلازود) وفي خ/٦ (فلادر) مكان (فلابد) .

(٤٣) (حنانيك) كذا ورد في الاصول ولا معنى لهذه الكلمة هنا ، ولعل الصواب (اهنيك) . هذا البيت وما بعده الى اخر القصيدة غير موجود في خ/٧ .

(٤٥) اوردت الاصول عدا خ/٧ البيت الاتي بعد هذا البيت مباشرة ، ولاعتقادي ان الناظم قد اسقطه وختم القصيدة بهذا البيت (بدليل احتوائه على التاريخ وتكرار القافية في البيتين) فقد رجحت نقله من المتن الى الهامش ، وهــو :

جزيت من العليـاء خيرا فانهـا
وعت بك من نـوار كل المطالب

---

(١٠) وقــال

١ ـ أبى الشعر الا ان يحل بساحتــي
فيأكل من زادي ويشرب من شربي

٢ ـ اذا انا لم اعبأ به عمر ساعــة
توهم هجراني فــلاذ الى جنبي

٣ ـ ولـكنني لمـا رأيـت مضاءه
مضاء العوالي والمهنــدة القضب

٤ ـ غزوت به بعض الاعادي فاصبحوا
من الطعن قتلى لا من الطعن والضرب

٥ ـ ومن عادة الايام اضمار حرهـا
كما سترت بالقشر جوهرة اللب

---

(٤) الطعن (الاول) : القدح والذم .

(٥) في خ/٤ (اخمال) وفي سائر الاصول عدا خ/٧ (اخماد) مكان (اضمار) .

---

(١١) وقال (أ)

١ ـ يا أبـا احمـد رويـدا رويـدا
انا في الشعر صاحب المعجـزات

(أ) لا وجود لهذه القطعة في خ/٧ .

(١) يا ابا احمد : احتمل انه يخاطب الحاج سليمان الشاوي.

٢ ـ ان شعر الألى غـريب المعـاني
رنـق غـير رائـق الكلمـات

٣ ـ لو يريد الانسان امثـال هـذا
لاتـى بالالـوف لا بالمئـات

٤ ـ فلهـذا صـددت عنـه صـدودا
وتعوضـت عنـه بالبينـات

٥ ـ كنقـاخ وطحلـب وجفـاخ
وسـنير وشـبرق وطخـات

٦ ـ لا ارى مركب الجمـوح صـوابا
ليس قـول الفـلاة [كالموماة]

---

(٢) في ط ، وخ/١ وخ/٢ (دون المئات) .

(٥) النقاخ : الماء البارد ، والعذب الصافي . الطحلب : خضرة تعلو الماء الراكد . الجفاخ : الافتخار والتكبر . السنير : السيء الخلق . الشبرق : نبات غض ، وقيل هو نبات كاظفار الهر فاذا كان رطبا فهو شبرق ، واذا يبس فهو الضريع . والشبرق ايضا : ولد الهرة . الطخات : الليالي المظلمة .

(٦) الموماة : المفازة الواسعة ، في خ/٤ (كالمومياة) وفي خ/٥ (كالموسا ة) وفي سائر الاصول (كالموسمات) والصواب ما اثبته .

---

(١٢) وقال في الغزل والحماسة

١ ـ طرقتك صاحبة المحيـا الابلـج
تختـال بـين تجعـد وتدعـج

٢ ـ لم أنـس اذ لعب الصبا بقوامهـا
لعب الصبي بمحجن من صولـج

٣ ـ فاتت تهـز معاطفا رجراجـة
كالقضب بين تكسـر وترجـرج

٤ ـ لم أنسها والخـال يلثم خدهـا
كالدر صافحـه صـفيح زبردج

٥ ـ لميـاء لولا قـدرة من قـادر
كانت من الإرحـام لـم تتبـرج

---

(١) التجعد : تجعد الشعر . التدعج ، من الدعجة : سواد العين مع سعتها .

(٢) المحجن : العصا المنعطفة الرأس كالصولجان . في الاصول عدا خ/٧ (لعب الهوى برشيقها) .

(٣) المعاطف : مواضع الانعطاف من جسم الانسان ، وهو من قولك : انعطف فلان في مشيه ، حرك رأسه وتهادى وتبختر . التكسر : التثني .

(٤) الصفيح : كالصحيفة : وجه كل شيء عريض . الزبردج : من الاحجار الكريمة ، معرب فارسيته (زبرجد) .

٦ ـ يا حادي اللـذات دونك فاحدها
بسياط صـوت للغنـاء مهزج

٧ ـ اجعل معاجك للحميـا لا الحمى
فمعـرج الاقـداح خـير معـرج

٨ ـ حسنت معاشرة الحسـان فانهـا
مفتـاح باب للهمـوم مفـرج

٩ ـ لله ايـام خلـون كانهـا
حبك النجوم منمنمات المنسج

١٠ ـ ايام سورنا الزمـان ولفنـا
مـا بـين خلخـال ارن ودملـج

١١ ـ ثلجت على رغم الشبيبة نارهـا
ومن انزوت عنه الشبيبة يثلـج

١٢ ـ لا ترج فائتة الصبا أن الصبا
وابيك يذهب مثل أمس ولا يجي

١٣ ـ اسفي لما حجب السرى من جوهر
اصداف لؤلئـه أكلة هـودج

١٤ ـ لهجوا بخوض دمي وبين جوانحي
قلب بغـير هواهـم لم يلهـج

١٥ ـ وسرى نسيمهم فقلت لصبوتي
يا نار مسـك نافـخ فتأججي

١٦ ـ بابي الاهلة في القباب كانمـا
سـمكوا لهـا فلكا من الفيروزج

١٧ ـ عرب تحملن الجمـال لصونـه
لاقدسـت حسـناء ذات تبـرج

١٨ ـ كذب الهوى من بات ينشد دمنة
ماذا الوقوف على يباب سجسـج

---

(٦) المهزج : المرنم في الاصول عدا خ/١ وخ/٤ وخ/٧ (ياحادي النشوان) .

(٧) في ط ، وخ/٣ وخ/٦ (للحمى) مكان (لا الحمى) .

(٩) الحبك : الطرائق . المنمنم : المزخرف والمزين . في الاصول عدا خ/٤ وخ/٧ (منهمات المنسج) .

(١٠) سوره : جعل له سورا ، والبسه سوارا ، الارن : ذو الصوت . الدملج : حلي يلبس في المعصم .

(١٣) في الاصول عدا خ/٤ (لؤلؤة) . الإكلة ، جمع الاكليل وهو كل ما احتف بالشيء من جوانبه .

(١٥) في خ/٤ وخ/٥ (نامخ) وفي سائر الاصول عدا خ/٧ (فافح) مكان (نافخ) .

(١٦) الفيروزج : حجر كريم (معرب بيروزة) . انفردت خ/١ وخ/٧ بايراد هذا البيت ، وكان ترتيبه في خ/٧ بعد البيت (١٣) وروايته مغايرة لما في خ/١ كالآتي :
لـم انسها بين القبـاب مصـونة
كالـدر في حـق من الفـيروزج

(١٧) لا وجود لهذا البيت في خ/١ وخ/٧ .

(١٨) الدمنة : آثار الدار . اليباب : الخراب . السجسج : الارض ليست بصلبة ولا سهلة . في ط (سباسب) وفي خ/٧ (مآب) مكان (يباب) . وفي خ/٧ ايضـا (دمة) مكان (دمنة) .

١٩ ـ هي شقة الوادي فما في جوها
نسم ولا في طيها من مدرج

٢٠ ـ ياصاحب الكوماء القحها السرى
بنوى سوى غلل الجوى لم تنتج

٢١ ـ هل للنواعج أوبة فتجد لي
ذكرى اغيلمة بدارة منعج

٢٢ ـ رحلوا فلي في كل واد صرعة
بسلاف ذكرهم الذي لم يمزج

٢٣ ـ واقول للارض التي ذكروا بها
هذا النسيم نسيمهم فتأرجي

٢٤ ـ اني لاذكركم فتعثر لوعتي
بالمقلة الحمراء والقلب الشجي

٢٥ ـ لا تحسبوا مقتي يزيفها النوى
كم خالص بين الرفاق وبهرج

٢٦ ـ ولقد سددت على سواكم مقلتي
فالنوم ليس له بها من منهج

٢٧ ـ فمتى يفيق من الهموم مدله
درج الزمان وامره لم يدرج

٢٨ ـ جمحت مذاكي الحادثات فهل ترى
من ملجم يوما لها او مسرج

٢٩ ـ ضاق الخناق وكل ضيق بعده
فرج واية كربة لم تفرج

٣٠ ـ ولقد جريت مع الهوى وجرى معي
خلين ما قلقا لبين مزعج

٣١ ـ ما عز بذل النفس دون لقائكم
والجود بذل حشاشة لازبرج

٣٢ ـ لله افلاك السرور قطعتها
في ليلة والصبح لم يتبلج

٣٣ ـ والشهب ترفع في السماء كانها
عانات عين في رياض بنفسج

٣٤ ـ واغن ينضح بالحميا خده
ويمج مسكا من خلال مفلج

٣٥ ـ بأبي الصبيح تقول لي وجناته
انعم صباحا بالغلام الابلج

٣٦ ـ ولرب منتقب يميط نقابه
عن ناعم بدم القلوب مضرج

٣٧ ـ لما اطل على حوانيت الطلا
شفت شفيف الجو عن متبلج

٣٨ ـ وترى الكؤوس على اختلاف صباغها
كالزهر بين مورس ومسبج

٣٩ ـ ويصبها ياقوتة بمفضض
كالدرة البيضاء لا بمزجج

٤٠ ـ حمراء تمشي في أكف سقاتها
مشي الكواكب في مجاري الابرج

٤١ ـ (ايهاً لعيشك) يانديم ادر لنا
صرف الحميا او بريقك فامزج

٤٢ ـ برزت اليك من الدنان مليكة
بسوى حصى الياقوت لم تتوج

٤٣ ـ جهمية الاخلاق لو زوجتها
غير ابن نوء السحب لم تتزوج

---

(١٩) الجو : ما بين السماء والارض . المدرج : المسلك .

(٢٠) الكوماء : الناقة الضخمة السنام . الغلل : شدة العطش . في خ/٧ (بنوى السرى غلل بدارة منعج) .

(٢١) النواعج : النساء ، والنياق البيض . اغيلمة ، تصغير اغلمة ، جمع غلام . منعج (كمجلس) : موضع . لا وجود لهذا البيت في خ/٧ .

(٢٥) المقة : المحبة . في خ/٧ (حبي) مكان (مقتي) . البهرج : الرديء .

(٢٦) في الاصول عدا خ/٧ (كالنوم) مكان (فالنوم) . وفي ط ، وخ/٣ وخ/٦ (ليس بها) .

(٢٧) درج : انطوى . في ط ، وخ/٧ (موله) وفي خ/٢ (متدله) مكان (مدله) .

(٣١) الزبرج : الذهب . في خ/١ (ولقد بذلت النفس دون لقائهم) .

(٣٣) العانات : القطعان . العين بقر الوحش . في الاصول عدا خ/٧ (في بياض) مكان (في رياض) .

(٣٥) في خ/٧ (بالصباح) مكان (بالغلام) .

(٣٦) في الاصول عدا خ/٤ وخ/٧ (من ناعم) .

(٣٨) مورس : اصفر . مسبج : اسود . في خ/٥ (مسلج) مكان (مسبج) .

(٣٩) يريد بالياقوتة : الخمرة بلون الياقوتة ، وبالمزجج : الاناء من الزجاج .

(٤١) (ايها) : بمعنى اكفف ، ولعل الاصل (ايه بعيشك) اي زدني بحق عيشك .

(٤٢) الدنان ، جمع الدن (بالفتح) : اناء كبير للخمر . يريد بحصى الياقوت : الحباب الذي يطفو على الشراب.

(٤٣) جهمية : نسبة الى الجهمة (بالفتح او الضم) : الغلظة والعبوس ، والجهمية : فرقة من الجبرية تنسب الى جهم بن صفوان المتوفى سنة ١٢٨هـ . النوء (جنا) : المطر .

٤٤ ــ وكأنها اذ يستدير حبابها
صفحات نهر بالرياض مدبج

٤٥ ــ قم هاتها من عصر عاد عصرها
لا خير في الثمرات ما لم تنضج

٤٦ ــ ولقد مننت بخلوة فجعلتها
كجمالك الفرد الذي لم يزوج

٤٧ ــ ماذا يضرك ان تمن باختها
ان الكريم لدى رجاء المرتجي

٤٨ ــ واذا سألتك أن تمن بقبلة
فامنن علي بها ولا تتبجج

٤٩ ــ صلني بواحدة وثن باختها
كرما لجوهرك الذي لم يزوج

٥٠ ــ لا در درك يامدام فانني
نشوان من قدح الغلام الادعج

٥١ ــ وطوارق ادلجتها لمجاشع
كانت كطارقة القضاء المدلج

٥٢ ــ لم انس صلصلة الحديد بمازق
زجل الرعود بخرقه لم يولج

٥٣ ــ ايام تعتصر الكماة [ظباتنا]
والخمر لولا العصر لم تستخرج

٥٤ ــ والشوس تزبدوالسيوفتزواخر
والخيل تسبح في القنا المتموج

٥٥ ــ وكأن طائرة النبال اذا هوت
قبسات ضوء الكوكب المتوهج

---

(٤٥) عاد : اسم رجل من قدماء العرب ، والى قومه ارسل الله نبيه هودا عليه السلام .

(٤٦) لم يزوج (بكسر الواو) : مفرد ليس له مثيل .

(٤٨) التبجج : من البجاجة : الرديه . لا وجود لهذا البيت في خ/٢ وخ/٤ وخ/٥ وخ/٧ .

(٤٩) لم يزوج (بفتح الواو) : يريد لا يقبل الانقسام كالجوهر الفرد . هذا البيت مشابه للبيت (٤٦) ولعل الشاعر كان قد اسقط احدهما ، وهو ايضا غير موجود في خ/٢وخ/٤ وخ/٥ وخ/٧ .

(٥١) الطوارق : جمع الطارقة : عشيرة الرجل . ادلجتها : سيرتها في الدلجة . مجاشع : بطن من تميم . الطارقة : الداهية . في ط ، وخ/٣ (المدعج) مكان (المدلج) .

(٥٢) صلصلة الحديد : صوته . المازق : المضيق ، وموضع الحرب . الخرق : الفرجة .

(٥٣) في خ/٧ (ظباءها)وفي سائر الاصول(ظباؤنا)والصواب ما اثبته .

٥٦ ــ دخلت على علم مداخل حربنا
لكنها جهلت سبيل المخرج

٥٧ ــ قرنت حماقتها بجراة أسدنا
والحمق من خلق البعير الاهوج

٥٨ ــ سلبتهم الخيلاء خيل اقبلت
تختال بالخلق البهي (الاسمج)

٥٩ ــ خيل اذا ذكر الوغى طربت لها
طرب السمند بكل ذات تأجج

٦٠ ــ وانا الذي يهوى القنا فتروقه
هبوات (ليل بالقناة) مرهج

٦١ ــ جربت ايامي فلم أر صاحبا
الا يراقب فرصة او يرتجي

٦٢ ــ والحر بالجلى يزيد تحنكا
لولا احتراق العود لم يتأرج

٦٣ ــ ولرب اعزل لو دعته يد الوغى
لاجاب عن شاكي السلاح مدجج

٦٤ ــ ولقد تركناها جمادا في الفلا
والروح في سر الدم المترجرج

٦٥ ــ ثم انثنينا رابحين تراثها
الا الجسوم لناعب أو أخرج

٦٦ ــ كم من يدي أسد أطار كليهما
ضرب وهام للملوك مدحرج

٦٧ ــ ركبوا الفرار فللقنا بظهورهم
وقع كصوت البارق المتأجج

٦٨ ــ فتقطعوا مثنى هناك وموحدا
كقطيع وحش في القفار مهيج

---

(٥٦) في الاصول عدا خ/٧ (دخلت على غرر) .

(٥٨) (الاسمج) كذا وردت الكلمة في الاصول ، ولا معنى لها هنا ، ولعل الصواب (السجسج) وهو المعتدل من كل شيء .

(٥٩) السمند : طائر قيل : انه يستلذ بالنار ولا يحترق بها . لا وجود لهذا البيت في ط ، وخ/٣وخ/٦ .

(٦٠) الهبوات ، جمع الهبوة : الغبرة . المرهج : المغبر . (ليل بالقناة) كذا ورد في الاصول ولعل الصواب (يوم بالقتال) .

(٦٤) لا وجود لهذا البيت والذي بعده في خ/٧ .

(٦٥) الناعب : الغراب . الاخرج : كل ذي لونين من بياض وسواد ، كالغراب الابقع .

(٦٧) في الاصول عدا خ/٧ (كسوط) مكان (كصوت) .

٦٩ ـ ولقد ابحناها الفرار تكرما
وابن الكرام يصون كل مبهرج

٧٠ ـ والجود تمقته مشائيم الورى
مقت الخنافس كل ذات تأرج

٧١ ـ بعدا لبارقة الشحيح فانها
رحم العقيمة ما لها من منتج

٧٢ ـ كم غاظنا ملك فعاد متوجا
بحدود ضرب لا ضروب تتوج

٧٣ ـ نسج الطعان لنا بتسدية القنا
مجدا على منواله لم ينسج

٧٤ ـ طعن يسل من الملوك حقوقنا
والخمر لولا العصر لم تستخرج

٧٥ ـ تهوى مواقفنا الوغى فنقودها
قب الاياطل من عقائل اعوج

٧٦ ـ لا نستحيل عن الاسنة والندى
كالنجم عن أفلاكه لم يخرج

٧٧ ـ أو ما ترى المعتاد عودي الشذا
لا يطمئن الى دخان العرفج

٧٨ ـ جئنا من الحدب الظهور بحجة
لم تبق وجها قط للمتحجج

٧٩ ـ رنت المطامع ان تروم لحاقنا
كم غاية لا يرتجيها المرتجي

٨٠ ـ نختال في الحرب العبوس كأننا
نختال في يوم القنيص المبهج

٨١ ـ واذا القساطل زاحمت لهواتنا
كانت لنا كون اللهى للمحوج

٨٢ ـ والارض ان طابت محارث تربها
نبتت بابهى ما يكون وابهج

٨٣ ـ والضيم يابانا ونابى وخزه
كيف المبيت على شياك العوسج

٨٤ ـ لا تحسبوا بالغي يصفو شربكم
فمتاع اهل الغي غير مروج

٨٥ ـ كذبت عيونكم المنى بمخائل
كالآل بين تدفق وتموج

٨٦ ـ نبهتم الاسياف بعد رقودها
فعل الملح بقرع باب مرتج

٨٧ ـ وحسبتم الهيجاء مزحة عابث
لكنما الهيجاء ذات توهج

٨٨ ـ غرتكم مدح الرعاع بهجرها
من كان ممدوح الرعاع فقد هجي

٨٩ ـ او ما درى من شام فقد شموسنا
ان فارق الكون الغزالة يثلج

٩٠ ـ سفها لرايكم الغوى اما درى
من قامر الحظ المؤيد يفلج

٩١ ـ أو لم تحدثكم مثقفة القنا
ان الاذلة بالاعزة تلتجي

---

(٦٩) المبهرج : الذي هدر دمه . في خ/٣ (مبرهج) .

(٧٠) في الاصول عدا خ/٤ وخ/٥ (والجور) مكان (والجود) . مشائيم ، جمع مشئوم ضد ميمون . في الاصول عدا خ/٥ وخ/٧ (مشائم) مكان (مشائيم) . وفي ط (للورى) وفي خ/٧ (الهوى) مكان (الورى) .

(٧٢) في خ/١ وخ/٢ (فراح متوجا) . وفي ط ، وخ/٣ وخ/٦ (مجد ويضرب لا ضروب تتوج) .

(٧٣) سقطت كلمة (لنا) من ط وخ/٣ . التسدية : مد سدى الثوب . المنوال : خشبة الحائك .

(٧٤) هذا البيت غير موجود في خ/٧ ، وقد كرر الشاعر فيه عجز البيت (٥٣) .

(٧٥) القب ، جمع الاقب : الضامر . الاياطل ، جمع الايطل : الخاصرة . اعوج : فرس اصيل لبني هلال تنسب اليه الاعوجيات . في ط ، و خ/٣ (الهوى) مكان (الوغى) .

(٧٦) لا نستحيل : لا نتحول .

(٧٧) عودي : نسبة الى العود وهو ضرب من الطيب يتبخر به. العرفج : شجر ينبت في السهل وقيل هو القتاد .

(٧٨) الحدب : السيوف . انفردت خ/١ بايراد هذا البيت والبيتين اللذين بعده .

(٨١) القساطل ، جمع القسطل : غبار الحرب . اللهوات ، جمع اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق في اقصى سقف الفم . اللهى : افضل العطايا واجزلها . لا وجود لهذا البيت في خ/٧ .

(٨٣) الشياك ، جمع شوك ، مقيس على وزن (فعال) كسوط وسياط . انفردت خ/١ بايراد هذا البيت .

(٨٤) لا وجود لهذا البيت في خ/٧ .

(٨٦) جاء في خ/١ البيت الاتي بعد هذا البيت ، ويظهر ان الشاعر قد اسقطه .

طرقتم للحرب بابا مرتجا
بئس الصنيع لطرق باب مرتج

(٨٧) في ط (احسبتم) . في خ/٧ (مسحت) مكان (مزحة) .

(٨٩) شام : خمن ، وقدر ، ونظر . الغزالة : الشمس .

(٩٠) قامره : راهنه . يفلج : يغلب . لا وجود لهذا البيت في خ/٧ .

٩٢ ـ لا تدعوا ما ندعيه وايقنوا
ان الصموت أحق بالمستبلج
٩٣ ـ نحن الألى لو لم تغث حركاتهم
سكنات عين الدهر لم تترجرج
٩٤ ـ أفصت سماؤهم الفتوق فما ترى
للطالبين عروجها من معرج
٩٥ ـ طاف الوفود بهم وزمزمت المنى
ولغير بيتهم الحجا لم يحجج
٩٦ ـ تهدي الرماح اليهم مما فرت
نفحات عنبر طيبها المتارج
٩٧ ـ تترادف الطعنات من (أسلافهم)
فيقوم مفردها مقام المزوج
٩٨ ـ توج وجودك بالمآثر والعلى
فالمرء بالاكليل غير متوج
٩٩ ـ واذا دعيت الى النهوض بحاجة
فاحجج لها عجلا ولا تتحجج
١٠٠ـ والنفس جوهرة الكمال اذا خلت
من غش طبع بالبطالة مدمج
١٠١ـ والعلم لج لا يصيب وفوده
ظمأ فبورك راي كل ملجج
١٠٢ـ كن كيف شئت مكوكبا او مركزا
ما الجوهر النوري كالثقل الدجي
١٠٣ـ لا تلزمني باختلال معاصري
فالورد ينبت في خلال العوسج

(١٣) وقال (١)

١ ـ هي حزوى ونشرها الفياح
كل قلب لذكرها يرتاح
٢ ـ مرضت سلوتي وصح غرامي
بلحاظ هي المراض الصحاح
٣ ـ ليت شعري وللهوى عطفات
هل يباح الدنو او لا يباح
٤ ـ عجبا كيف لا يباح دنوي
عند قوم وقتل مثلي مباح
٥ ـ كل سر لهم بقلبي مصون
غير ان الهوى لدي مباح
٦ ـ يانسيم الصبا بروضة (خد)
لك منها اذا اعتللت ارتياح
٧ ـ جز بحزوى فثم عالم لطف
من بقايا اجسامه الارواح
٨ ـ هجروا والهوى وصال وهجر
هكذا سنت الغرام الملاح
٩ ـ ايها الورق ليس وجدك وجدي
اين من ذي الصبابة المرتاح
١٠ ـ بت في الروض لا محاجر قرحى
من دموع ولا فؤاد متاح
١١ ـ لك دأب الغنا ولي النوح دأب
أين من نشوة الغناء النواح

---

(٩٢) يريد بالمستبلج : الذي يدعي البلج ، أي وضوح الحجة. في ط ، وخ/١ وخ/٣ (تدعوا لنا ما ندعيه) .
(٩٣) في الاصول عدا خ/٥ وخ/٦ (تغث) مكان (تغث) .
(٩٤) افصت (بالصاد المهملة) : سدت ، وازالت . في الاصول عدا خ/٤ وخ/٥ (اما ترى) .
(٩٧) (اسلافهم) كذا ورد في الاصول ، ولعل الصواب (اسلاتهم) جمع أسلة : نصل الرمح ، ومستدق الذراع .
(٩٩) احجج : اقصد ، واقدم ، في خ/٧ (فاسرع) مكان (فاحجج) . التحجج : تلفيق الحجج والاعذار .
(١٠٠) مدمج : ملفوف ، ومتداخل . لا وجود لهذا البيت في ط ، وخ/٣ وخ/٦ .
(١٠١) الملجج : راكب اللجج . في ط (العلم نور) . في الاصول عدا خ/٥ وخ/٧ (مبلج) مكان (ملجج) .
(١٠٢) المكوكب : الفلك . المركز : القطب . الجوهر : الشيء القائم بذاته ، يقابله العرض وهو ما عبر عنه بالثقل الدجي أي المظلم .

(أ) في ط (وقال يمدح سليمان بيك الشاوي) ، والقصيدة عارية من المديح . وفي خ/٧ (وله في الغزل) . ووردت في سائر الاصول غير معنونة .
(١) حزوى : موضع بنجد في ديار بني تميم .
(٤) في خ/٤ (عنه) وفي سائر الاصول عدا خ/١ (منه) مكان (عند) . لا وجود لهذا البيت في خ/٧ .
(٥) مباح : مذاع . انفردت ط ، وخ/١ وخ/٣ بايراد هذا البيت .
(٦) (خد) كذا ورد في الاصول ولعل الصواب (خاخ) وروضة خاخ بين مكة والمدينة وقد اكثرت الشعراء من ذكرها (معجم البلدان) .
(٧) في ط (اجسامها) مكان (اجسامه) .
(١٠) المتاح : الواقع في البلايا . في ط ، وخ/٣ وخ/٦ (من دموعي) ، وفي خ/٧ (مراح) مكان (متاح) .
(١١) الداب : العادة ، والشان . لا وجود لهذا البيت في ط . في خ/١ وخ/٢ وخ/٧ (نشاة) مكان (نشوة) .

١٢ - عرجي بالنقا على دار قـــوم
عندهم يحسد المساء الصباح
١٣ - وقفي منهم بـوادي ســلام
فيه تـأوي الارواح والاشـبـاح
١٤ - واذكريني بأفصح الذكـر في تلـ
ـك المغاني ان امكـن الافصـاح
١٥ - لا تنـوحي الا علـي لديهـــم
ما عـلى كـل من يمـوت ينـاح
١٦ - ووراء الكثيب (سـرحة) عـين
ما لهــا في سوى القلوب سـراح
١٧ - كل قـد للفتـك فيـه مجـال
تتلوى بـه القنــا والصـفـاح
١٨ - قذفتهـا النوى فغابت شموس
أوجــه العيش بعدهن قبـــاح
١٩ - ليت شعري مـا للفـراق وللاحـ
ـباب ان الفراق وجـه وقـــاح
٢٠ - وبذاك اللمــى احاديث ورد
شـرحها للمتيمـــين انشـــراح
٢١ - ان هدى (فرعه) أضل بفرع
أهو الليـل أم هـو الا صـبـاح
٢٢ - قمر ماس تحتـــه خيـــزران
كـــل روح اليهمـــا ترتـــاح
٢٣ - يا غزال الصـريم يهنيـك رقي
ولمثلي عــلى الاســود جمـاح
٢٤ - لا تلمني على اباحـة ســري
كل عشـــق لاهلـــه فضـــاح
٢٥ - ومن الظلم ان تـلام ببخـــل
انمــا البخـل في المـلاح سمـاح
٢٦ - غر لين القــوام منـك أناســا
ومن البـأس ان تلين الرمـــاح
٢٧ - ان لله اسهما في العيــون الـ
ـنجل لـم تندمل لهـن جـراح
٢٨ - يا ظما الوجد ما أرى لك ريــا
بعـــد ثغـر لماه للـــراح راح
٢٩ - ياحمام الاراك بلـغ ســلامي
اهل ودي فما عليـك جنـــاح
٣٠ - كيف لا تملك الجــآذر رقـي
وقضــاء الهـوى قضــاء متـاح
٣١ - قل لهم هل رأيتم الليـث ملقى
صافحته من اللحــاظ صفـــاح
٣٢ - تتعاطاه راحـة الوجـد حتـى
لا هدوء لـــه ولا مســـتراح
٣٣ - صـدني عنه من تمنطق بالاجـ
ـناد لكن لـه القلوب مـراح
٣٤ - بـين جنبيـــه للصبابــة واد
كـــل آن حمامـــه نـــواح
٣٥ - لاجواه يفنى ولا الصبر بـــاق
كيف يفنـى جـد ويبقى مـزاح
٣٦ - ان في القلب حاجة هي في الصد
ر غليـل وفي الضلوع جـراح
٣٧ - ما نعتني عنها رماح قـــدود
بعد ما صاحت الامان الرمـــاح

---

(١٢) في ط ، وخ/٣ (عرجي بي على) وفي خ/٢ (بالنوى) مكان (بالنقا) وفي خ/٧ (واد) وفي سائرالاصول عدا خ/١ (ناد) مكان (دار) .
(١٤) في ط ، وخ/٢ وخ/٣ وخ/٧ (فيأفصح) .
(١٦) السرحة : الشجرة ، والعرب تكنى عن المراة بالسرحة (اللســـان) ، ولعل الاصــوب (مسـرح عـين) العين (بالكسر) : بقر الوحش ، وجمعالعيناء : الواسعة العين في خ/٤ وخ/٥ (ان دون الكثيب) وفي خ/١ (مراح) مكان (سراح) .
(١٧) انفردت ط ، وخ/١ وخ/٣ بايراد هذا البيت .
(١٩) في ط (ان فارقوا وجوه وقاح) .
(٢٠) في الاصولعدا خ/٤ وخ/٧ (للمتيمين فيه انشراح) .
(٢١) (فرعه) كذا ورد في الاصول ، ولعل الصواب (فرقه) ، والفرق : الطريق في شعر الراس مابين الجبين الى الدائرة. الفرع : الشعر . في خ/١ (ان بدا فرعه اضاء بفرع) وفي الاصول عدا خ/٧ (ام هو المصباح) .
(٢٣) في ط ، وخ/٢ وخ/٣ (الرقيم) مكان (الصريم) .

(٢٦) لا وجود لهذا البيت في خ/٧
(٢٧) النجل ، جمع النجلاء : الواسعة . لا وجود لهذا البيت في خ/٧ .
(٢٨) في خ/٥ (ياشجي القلب) مكان (ياظما الوجد) . لا وجود لهذا البيت في خ/٤ .
(٣٢) تتعاطاه : تتناوله ، وتتنازعه . الراحة : الكف .
(٣٣) تمنطق بالاجناد : يريد احاط نفسه بحزام من الجند . لا وجود لهذا البيت في خ/٥ .
(٣٤) في الاصول عدا خ/٧ (كم بجنبيه) .
(٣٥) المزاح (بالضم) الاسم اما المزاح بالكسر فهو مصدر (مازحه) : داعبه . في الاصول عدا خ/١ وخ/٧ (يفنى جوى) .
(٣٦) انفردت ط ، وخ/١ وخ/٣ بايراد هذا البيتوالذيبعده.

٣٨ ـ هكذا الحب ذلـة والتيـاع
وكـذا الحسن غـرة ومـراح

٣٩ ـ جد مزح الهوى فاضنى وافنى
وكـذا اول الحـروب مـزاح

٤٠ ـ وتسلحت بالعـزاء فمـا اغـ
ـنى ولكن نعـم المعـين السـلاح

٤١ ـ اي عيش بغير قـربك يغنـي
ان فضـل الكؤوس لا شـك راح

٤٢ ـ ياشجاالقلب اين روض [المنى ام]
ايـن منـي نسـيمه الفيـاح

٤٣ ـ وعلى الابرقين معهد (صب)
ساكنوه لقتل عهـدي اباحـوا

٤٤ ـ عذبوا مهجتي باحيـاء وجـدي
ما عليهـم بقتـله لـو اراحـوا

٤٥ ـ ياليالي الوصال هـل من بلـوغ
فلقـد آن منـي الافتضـاح

٤٦ ـ اين منك الذي تمنطـق بالابـ
ـصار لـكن له القلـوب وشـاح

٤٧ ـ عللينـي بواضـح من لمـاه
كـان منـه لـك اللمـا الوضاح

(٣٨) الغرة : الغفلة . المزاح : الاشر والبطر . لا وجود لهذا البيت في خ/٥ وخ/٦ وخ/٧ .

(٣٩) لا وجود لهذا البيت في خ/٧ ، ولانه مماثل للبيت (٣٥) معنى وقافية ، احتمل ان الشاعر كان قد اسقط احدهما فاثبتهما النساخ معا .

(٤٠) العزاء : حسن الصبر . لا وجود لهذا البيت والذي بعده في خ/٧ .

(٤١) في ط (يهني) مكان (يغني) وفيها وفي خ/٥ (افضل) مكان (فضل) .

(٤٢) في الاصول (روض الثنايا) والتصويب من اعيان الشيعة ١٠٨/٤٣ . لا وجود لهذا البيت في خ/٥ وخ/٧ .

(٤٣) الابرقان : ماء لبني جعفر ، ومنزل في طرق البصرة الى مكة المكرمة . المعهد : المنزل . (صب) كذا ورد في الاصول وهو تصحيف والصواب (حب) اي محبوب . العهد : المودة ، والذمة ، والوفاء . هذا البيت والابيات الاربعة التي من بعده غير موجودة في خ/٢ وخ/٤ وخ/٥ وخ/٦ وخ/٧ .

(٤٦) تمنطق بالابصار : يريد ضربت عليه العيون نطاقا . الوشاح (بالضم ويكسر) : شبه قلادة ينسج من اديم عريض ، ويرصع بالجوهر ، تشده المراة بين عاتقها وكشحيها .

٤٨ ـ حبـذا ليلـة برامة صـفت
(ذهب) العيش لي بهـا الافراح

٤٩ ـ ليلة كـان لي بهـا الف صبح
يا ترى ما الذي اراد الصبـاح

٥٠ ـ نسفتها ايدي الحوادث نسـفا
مثلما تنسـف الرمـال الريـاح

٥١ ـ زار افق السـماء ريحان فجر
غـاب عن افقنـا بـه التفـاح

٥٢ ـ ياغليل الفؤاد صبرا جميـلا
ربمـا يعقب الفسـاد الصلاح

(٤٨) رامة : منزل لبني تميم في طريق البصرة الى مكة . (ذهب العيش) كذا ورد في الاصول ، واخال الصواب (ضرب العيش) اي حلاوة العيش ، والضرب : العسل . لا وجود لهذا البيت في خ/٧ .

(٥٠) هذا البيت غير موجود ايضا في خ/٧ .

(٥١) في الاصول عدا خ/١ وخ/٧ (بها) مكان (به) .

١٧

(١٤) وقال يمدح سليمان الشاوي (*)

١ ـ نسخ العهـود وعهـده لا ينسـخ
حدث حديث الحسن عنه ينسخ

٢ ـ يا للرجال لمـن اتاح يد النـوى
وسما كوسـم النار لا يتبوخ

٣ ـ قذفت اليه النظرة الاولى هوى
اين الرواسـخ منه بل هو ارسخ

٤ ـ كم بات بالعتبى يلطـخ ثوبـه
عتبـا ولا ذنـب بـه يتلطـخ

٥ ـ عف على العلات لم يعلـق بـه
ريب لاردية العفـاف يوسـخ

٦ ـ نفحات وجـرة هلممي لشجوننـا
غوثى اليك كانهـا تستصـرخ

(*) مرت ترجمته في مقدمة هوامش القصيدة الثانية .

(١) ينسخ (الاولى) من نسخ الشيء : ابطله ، وازاله . و (الثانية) : يكتب . في الاصول عدا خ/٤ وخ/٥ وخ/٧ (لم ينسخ) .

(٢) لا يتبوخ : لا يخمد ، لا ينطفىء . في الاصول عدا خ/٤ (وسما كرسم النار) .

(٦) وجرة : موضع في طريق البصرة الى مكة . هلممي

٧ ـ نتنت أفاويه الوداد بغيرهـــم
لكنهـا بعبيرهـم تتلخلـخ

٨ ـ غني بهم وتحدثي ان الهـوى
قطب بغير هواهـم لا يرسـخ

٩ ـ ياليت شعري من اباح لهم دمي
والى متى وانا البريء اوبـخ

١٠ ـ حاولت(من نحوي)ارتياد رياضكم
وهتفت بالنخوات منكم فانتخوا

١١ ـ وملكتم ملك الجمال فانصفوا
ان الكريـم بانفـه لا يشمخ

١٢ ـ ولسوف يدرك كل باغ بغيه
المرء ينسى والزمـان يـؤرخ

١٣ ـ ولنا على يبرين من شرقيـه
يوم كقادمـة الحمامـة افتخ

١٤ ـ يا منـزلا كـانت لنا في حانـه
اكواب عيش بالبطالة تنضخ

١٥ ـ لا تعتب الايام كيف تقلبـت
ماذا على الافلاك فيما ينسخ

١٦ ـ قالوا المدام فقلت حسبي ريقه
هي اخت ماء الخلد وهو لها اخ

١٧ ـ تلك العقـار صفت لنا فبخ بخ
لا عيش من دون العقار يبخبخ

١٨ ـ بحياة حبك سيدي لا تسقني
الا التي بلهيب خدك تطبـخ

١٩ ـ خطب الغرام بركبه حتى اذا
وجدوا مناخ الحسن عندك نوخوا

٢٠ ـ لا يطغينك ما يروق من الصبا
ان المشيب لكل رأس يشـدخ

لشجوننا : ادميها بهلمي ، في ط (هلممن لشجوننا) ، وفي خ/٧ (هل يلم بشجوننا) . غولى اليك : تتـاديك واغوثاه .

(٧) الافاويه : انواع الطيب ، الواحد (فوه) . لخلخه : طيبه باللخلخة ، وهي ضرب من الطيوب . في الاصول عدا خ/٥ (انادية) مكان (افاويه) .

(١٠) (من نحوي) كذا ورد في الاصول ، ولعل الصـواب (من وجدي) .

(١٣) يبرين : موضع بحذاء الاحساء . افتخ : لين .

٢١ ـ لي فيك برح جوى كان رسيسه
لم يكف عذالي عليك فوبخوا

٢٢ ـ كان الزمان وكانت الدار التي
كنـا لنسخـة انسـها نستنسخ

٢٣ ـ كنا وحاشية العناق تلفنـا
والهـم يسـفر والاماني نـوخ

٢٤ ـ والمرء كالعنقود يضحك ثغره
والعاصرات به تعج وتصرخ

٢٥ ـ عز المعين فلا معين كانما
بين الجميـل ورائديـه بـرزخ

٢٦ ـ كبا لوجه الدهر لولا واحـد
هو للجميـل بوجنتيـه مؤرخ

٢٧ ـ ولقد عفوت عن الزمـان لاجله
فليشكرن يـدا لـه لا تشـرخ

٢٨ ـ هـذا سليمان الـذي لمقامه
ريح الجبابرة الشداد تـروخ

٢٩ ـ اسد اذا انفسخت عزائم غيره
كانت عزائمـه التي لا تفسـخ

٣٠ ـ وتحـط آمال الرجـال بداره
فكأنهـا بـزل الجمـال تنوخ

٣١ ـ دار بمختلفـات انعـم ربها
يرقى اللديغ وينجد المستصرخ

٣٢ ـ لقحت به عقم الممالك وارعوى
بعد المشيب لها الشباب الاشرخ

---

(٢١) الرسيس : الشيء الثابت ، وابتداء الحمى ، وبخوا : لاموا ، وانبوا .

(٢٦) كبا : دعاء بان يكبه الله على وجهه . في خ/٧ (تبا لوجه الدهر) وفي ط ، وخ/٢ وخ/٣ (كتبا لوجه الدهر) ، و (هذا) مكان (هو) لم يرد هذا البيت في خ/١ .

(٢٧) لا تشرخ : ليس لها شرخ ، والشرخ : المثل .

(٢٨) تروخ : تكون رخاء (بالضم) وهي الريح اللينة التي لا تحرك ساكنا .

(٣١) رب الدار : صاحبها . في ط ، وخ/١ وخ/٣ (بمختلفات النعم ودبها) . لا وجود لهذا البيت في خ/٧ .

(٣٢) ارعوى : رجع . شباب اشرخ : في اوله ، وريعانه .

٣٣ ـ اعنى المشايخ من فلاسف دهره
سن له حـدث وراي اشـيخ

٣٤ ـ من كان في الرتب الشوامخ صاعدا
فمكانـه منهـا الاشـم الاشـمخ

٣٥ ـ لقد استخف الملك غير وقـاره
واخو الكمال بزقـه لا ينفـخ

٣٦ ـ لم يحكه والحرب تسجر بالقنا
الا السـمندل في السـعير يفرخ

٣٧ ـ بابي الذي نهضت به من حمير
فئـة لتاريـخ المكارم ارخـوا

٣٨ ـ يا باذخ الحسبين حسبك محتد
من دونه نسب السماك الابـذخ

٣٩ ـ جمجمت بالطائي في حلب الندى
ونسخت ابنية (التي) لا تنسـخ

٤٠ ـ وهززت (آجال) الخوارج هزه
كادت تـدك لهـا العقول الرسخ

٤١ ـ لم يقبلوا التوبيخ الا بالظبـى
ما للئـام سـوى الحسام موبخ

٤٢ ـ ان ضيعوا الحسنى فغير عجيبة
ربما اضـاع القطـر واد مسبخ

٤٣ ـ والقار قار لا يطيب نسيمـه
ولـو انـه بالمندلـي مضـمخ

٤٤ ـ قرعوا قواه بضعفهم وتوهمـوا
ان الحجارة بالزجاجة ترضـخ

٤٥ ـ صيرت هامهـم وكورا للقنـا
وكـذا الحمام لرهفاتـك افـرخ

٤٦ ـ واعدت هاتيك البقـاع كانهـا
جلباب وشي بالخلـوق ملطـخ

٤٧ ـ وانسلب سيفك بالعدو كـأنه
سـم بطابعـه الحجـارة تفشخ

٤٨ ـ ولقد جريت فكل شـبر اذرع
لك في العـلاء وكـل خطو فرسخ

٤٩ ـ خاطت من الذكر الجميل لك النهى
بردا كبرد الشمس لا يتوسـخ

٥٠ ـ حظ الملوك وراء حظـك جازر
فليستمدوا منك وليستصرخـوا

٥١ ـ ان آمنـوا وان لم يؤمنـوا
فبشكل باسك كل شكل يمسـخ

٥٢ ـ في كل زند غير زندك كبـوة
ولكل ذكـر غير ذكرك منسـخ

*

---

(٣٣) اعنى المشايخ : اخضعها لارادته وآرائه .

(٣٥) الزق : السقاء ، وقيل اسم عام للظرف . وزق الحداد : كيره .

(٣٦) السمندل ، وسماه الجوهري (السندل) بدون ميم ، وابن خلكان (السمند) بدون لام : طائر بالهند ، قيل انه يبيض ويفرخ في النار (حياة الحيوان للدميري ٢/٣٣).

(٣٧) لا وجود لهذا البيت في خ/١ .

(٣٨) المحتد : الاصل . السماك : كوكب نير ، وهما سماكان : الرامح والاعزل .

(٣٩) جمجم به : حبسه ، وكفه عن الذهاب . الطائي : حاتم ، الجواد المشهور . ابنية ، جمع بناء (التي) كذا ورد في الاصول ، ولعل الصواب (له) والضمير يعود للطائي . نسخ الشيء : ازاله وابطله . واقام شيئا اخر مقامه .

(٤٠) (آجال) كذا وردت الكلمة في الاصول ، وهي جمع (اجل) : وقت الموت ، وجمع (اجل) : القيطيع من بقر الوحش . واخالها مصحفة عن (آجام) وهي الحصون ، واحدها اجم .

---

(٤٣) المندلي : من اجود انواع العود الذي يتبخر به .

(٤٥) الحمام ، جمع الحمة (بالكسر) : المنية .

(٤٦) الجلباب : القميص ، وقيل هو ما تغطي المراة بـه ثيابها ، وفي الصحاح : الجلباب : الملحفة . في الاصول عدا خ/٧ (جلبات) وهو تصحيف . الخلوق : ضرب من الطيب اعظم اجزائه من الزعفران .

(٤٧) الطابع : كالطبيعة ، اي السجية ، وطابع السيف صانعه تفشخ : تضرب ، والعامة تقول : فشخ راسه : اذا جرحه ، ولا يقال الا في جرح الراس ، ولعل الاصـل : تفضخ ، او تشدخ .

(٥٠) جازر : راجع . استمد : طلب المدد .

(٥٢) الزند : العود الاعلى الذي يقتدح به النار . كبا الزند : لـم يور .

(١٥) وقال (١) مادحا القاضي امين (*)

١ ــ هو السعد لم يصلد لقادحه الزند
فمن لم يعنه الجَد لم يغنه الجِد

٢ ــ عن السعد حدثنا وكرر حديثه
ومهما ادعى شيئا فقل صدق السعد

٣ ــ وان ناب دهر فاقتحمها عضوضة
فليس لجاني الورد من شوكه بد

٤ ــ ساركبها اما لحتف معجل
واما لعز عيش صاحبه رغد

٥ ــ واترك اخلاط الاماني لاهلها
فان التمني جهد من لا له جهد

٦ ــ والطم وجه الصحصحان بحافر
يطير جذاذا تحته الحجر الصلد

٧ ــ اذا لم اشمر زند احوس باسل
فلا ضاجعتني البيض والسمر الملد

٨ ــ ذريني اقدها تمضغ اللجم شزبا
يغور بها غور وينجدها نجد

٩ ــ اذا لم أجردها ليوم كفاحها
فقل لي لماذا تربط الضمر الجرد

١٠ ــ ذريني اذق حر الزمان وبرده
فلا خير فيمن عاقه الحر والبرد

١١ ــ اذا المرء لم يترك قرارة داره
فما هو الا الميت غيبه اللحد

١٢ ــ ارى السيف لم يقطع وان كان ماضيا
اذا لم تفارقه الحمائل والغمد

١٣ ــ ولا السهم لولا راي راميه صائب
ولا السيف يفري الهام لكنه الزند

١٤ ــ ذريني اطرّق كل حي بصاحب
ابى الله الا ان يدوم له عهد

١٥ ــ من البيض لا في نصحه الغش كامن
ولا بين جنبيه على صاحب حقد

١٦ ــ ارى العقل لم يجمعه والمال جامع
وللضد طبع لا يلائمه الضد

١٧ ــ اذا لم تجد من صاحب ماهويته
وفوق الذي تهوى فقد كذب الود

١٨ ــ ومن يسا التجريب عن كل صاحب
يجبه جواب القبح عما هو الرد

١٩ ــ ذريني ادرك بالمتاعب راحتي
فلا نوم الا بعد ان يفرط السهد

٢٠ ــ وما انا الا من عرفن فعاله
سل القدحة الصماء عما حوى الزند

٢١ ــ وفي العقل رشد النفس لو تقتدي به
وما يفعل المولى اذا ابق العبد

---

(١) عدد ابيات هذه القصيدة في خ/٧ (٤٥) بيتا ، وفي سائر الاصول (٧٢) بيتا . اما الباقي من القصيدة بالنسبة لـ خ/٧ وهو (٢٧) بيتا فقد ورد ضمن قصيدة اخرى انفردت خ/٧ بايرادها ، سأثبتها بعد هذه مباشرة ، ومطلعها :

اذا الجد لم يسعدك لم ينفع الجد
هو السيف لا ما ارهفت حده الهند

وقد وضح لي انها في مدح حمد الحمود امير خزاعة . لذلك فقد عولت على خ/٧ في عدد ابيات هذه القصيدة ، واتبعت نسخ الديوان الاخرى في ترتيب تسلسل ابياتها لانه اكثر انسجاما .

(*) القاضي امين : كلما ورد اسم الممدوح في ط . واورد الشاعر اسمه في البيتين (٣٦) و (٤٤) ونعته بقاضي المسلمين (البيت/٣٥) ونص على كونه من آل بيت النبي (البيت/ ٣٨) . ولكني لم اتوصل الى معرفته . اما المخطوطات السبعة التي اعتمدتها في التحقيق فقد اغفلت اسم الممدوح .

(١) السعد : اليمن . صلد الزند : صوت ولم يور . الجد (بالفتح) : الحظ ، و (بالكسر) : الاجتهاد .

(٣) العضوضة : الداهية ، والحرب الشديدة .

(٦) الصحصحان : المستوي من الارض الجرداء . الجذاذ : القطع المكسرة . الصلد : الصلب الاملس .

(٧) الاحوس : الجريء الذي لا يهوله شيء . السمر الملد : الرماح الناعمة ، والمعتدلة القوام .

(٨) الشزب : الخيل الضامرة . الغور : ما انخفض من الارض ، وخلافه النجد .

(١٣) لا وجود لهذا البيت في خ/٢ . في خ/١ وخ/٥ (يبري) مكان (يفري) .

(١٤) اطرق كل حي : اجعله طريقا وممرا . يريد بالصاحب : سيفه .

(١٦) في ط ، وخ/١ وخ/٢ وخ/٣ (للمال) مكان (والمال) .

(١٩) في ط ، وخ/٣ (اترك) مكان (ادرك) .

(٢١) ابق العبد : هرب من سيده .

٢٢ ـ وهيهات ان الهو عن المجد بالهوى
وكيف بطين القار يستبدل النـد

٢٣ ـ تعد أميم وجه رشدي ضلالـة
لعل ضـلالي ياأميم هو الرشـد

٢٤ ـ امثلي من يخشى وان شب جمرها
وليس بضرار على الذهب الوقـد

٢٥ ـ الى المجد غيري كم تخلى سبيله
وكم عاطل يبكي على جيده العقد

٢٦ ـ ولو كان قرما من ينازع همتـي
لهونت ما القـى ولكنـه وغـد

٢٧ ـ يرى نفسه ليث العرين (لشدة)
نزا نزوانا بـين اثوابـه القـرد

٢٨ ـ اقول لدهري حين انكر جوهري
اعد نظرا فيه فقد فاتك النقـد

٢٩ ـ اتحسب أن السيف يخترم الطلى
جهلت وايـم الله لكنـه الزنـد

٣٠ ـ وليل كيوم الصب راقبت هوله
كأن به شهب الدجى حدق رمـد

٣١ ـ اساير فيه الغول شعثا عوابسا
كاني مليك بينها وهي الجنـد

٣٢ ـ توهمتها يا سعد تدرك بالـونى
اذا كان هذا راي سعد فلا سعد

٣٣ ـ وبين الردى والعيش والفهم والغنى
مناكرة والضد ينكـره الضـد

٣٤ ـ الشكو زمانا فيه للجـود باذل
ابى الله الا ان يدوم به (الوفد)

٣٥ ـ اذا جزرت مدا يد اليمن والمنى
فمن نوء قاضي المسلمين لهـا مد

٣٦ ـ امين كنوز الفضل عيبة سرهـا
هو العالم العلوي والجوهر الفرد

٣٧ ـ اذا لم يغث (غيث) العلوم بكشفه
فواحيرة المشتاق عاث بـه صـد

٣٨ ـ نزاريـة احسابـه مضريـة
يطرزها تـاج النبـوة والبـرد

٣٩ ـ ربيع من الآلاء يمطـره النهـى
فينبت في حافاتها الحمد والمجـد

٤٠ ـ فتى طبق الآفاق جـم علومـه
واوشك منها ذو الغواية ينقـد

٤١ ـ من القائدين الخيل خوصا الى الوغى
خماصا عليها الاسد أقواتها الاسد

٤٢ ـ ملوك المعالي والعـوالي كأنهـم
سهام الردى لا يسـطاع لهـا رد

٤٣ ـ أخذت بايدي العلم والحلم والحجا
وكانت عليها كل عادية تعـدو

٤٤ ـ اليك امين الله زمت ركابنـا
وحاديك من حسن الثناء بها يحدو

٤٥ ـ اثرها ولا تسأل عن الحال مفصحا
وما حالة الحلفاء جدَّ بها وقـد

---

(٢٤) ورد في ط ، وخ/٢ وخ/٧ البيت الاتي بعد هذا البيت مباشرة ، ولانه لا يختلف عن البيت (٢٥) معنى وقافيـة رجحت نقله من المتن الى الهامش على احتمال انه ممـا اسقطه الشاعر ، وهو :

يـرى نفسـه في همـة اسـدية
وكـم عنق عطلاء يشتاقها العقـد

(٢٥) في ط ، وخ/١ وخ/٢ وخ/٤ وخ/٦ (لو تجلى) وفي خ/٣ (لم تجلى) مكان (كم تخلى) وما اثبته عن خ/٥ وخ/٧ .

(٢٧) (لشدة) كذا ورد في الاصول ، ولعل الصواب (لشد ما) اي (لحقا) يقال : شد ما انك ذاهب ، أي حقا انك ذاهب . نزا نزوانا : وثب وثوبا .

(٢٨) في الاصول عدا خ/٥ (لدهر) مكان (لدهري) .

(٢٩) يخترم : يستأصل . الطلى : الاعناق . الزند : موصل طرف الذراع بالكف .

(٣٤) (الوفد) كذا ورد في الاصول ، ولعل الصواب (الرفد) وهو العون ، والعطاء .

(٣٦) في خ/٧ (العالم القدسي) . الجوهر الفرد : الجزء الذي لا يقبل الانقسام .

(٣٧) (غيث) كذا ورد في الاصول ولعل الصواب (غيب) . في ط ، وخ \ ١ ، و خ / ٣ (عاث به الضد) .

(٣٨) في الاصول باستثناء ط ، وخ/١ (يطرسها) مـكان (يطرزها) .

(٤٤) زمت الركاب : خطمت . في ط ، وخ/٣ وخ/٦ (به) مكان (بها) .

رحلة

المواطن العراقي « إلياس الموصلي »

أول سائح عربي يصل الأميركتين

اخراج

ابتهاج عمر طاهر الراضي

بينما كان زوجي الدكتور سامي سعيد الاحمد يحاضر في جامعة واشنطن بالولايات المتحدة في شباط ١٩٧٣ جلب الدكتور فرحات زيادة رئيس قسم الدراسات الشرقية بتلك الجامعة نظره ، الى حقيقة كون اول سائح وصل اميركا من الشرق (آسيا وافريقيا) هو عراقي من مدينة الموصل ، وان مذكراته عن تلك السفرة قد حققها الاب انطون رباط اليسوعي ونشرها في سلسلة مقالات بمجلة المشرق اللبنانية(١) . واهتم زوجي بالموضوع فترجم المقالات المذكورة الى اللغة الانكليزية . واسترعت ترجمته اهتمام صديقه الاستاذ المكسيكي الدكتور انطون لوبرا من قسم الدراسات الاسبانية والبرتغالية بجامعة كاليفورنيا ـ لوس انجيلوس الذي ينكب الان على مطابقة ما جاء برحلة السائح العراقي مع جغرافية واحوال المناطق التي زارها حاليا وما كتبه الرحالة الاسبان والبرتغال الاوائل عنها . وسوف تظهر الترجمة والدراسة في الولايات المتحدة قريبا . ولعت أنا بالموضوع أشد الولع فجمعت ما تمكنت من جمعه عن السائح وعائلته وحياته واسفاره وان لم يكن كثيرا . وفي هذه الدراسة سوف اقدم ماتيسر لي الحصول عليه من معلومات تتعلق به ، مع النص الكامل لهذه الرحلة الشاقة مثقلة بالشروح والتعليقات التي تركها المحقق الاب رباط .

فالسائح نفسه خوري انحدر من عائلة دينية فقد كان والده قسيسا . وهو الياس بن حنا ويسمي نفسه الموصلي الكلداني وينحدر من عائلة بيت عمودة ويظهر ان عائلته كانت تتنقل بين الموصل وحلب حيث كان يطيب له الاقامة في حلب كثيرا وله اقارب فيها واصدقاء ، ولم اتمكن من الحصول على اية معلومات اخرى عن افراد عائلته سوى ان له ابن اخ يدعى يونان يخبرنا هو عنه في رحلته انه قد اكمل في سنة ١٦٧٠ تحصيله الديني في روما وقفل راجعا الى حلب . ويظهر ان الياس تبوأ مركزا مرموقا في الكنيسة الكاثوليكية بدليل ما انعمت عليه من الالقاب الدينية الكثيرة أمثال روتونو تاريو رسولي Protonotarius Apostolius وحامل صليب مار بطرس Stauropborus d. Petri ثم كونت بالاتينو وكاهن كنيسة ملك اسبانيا . وعينته الكنيسة مشرفا على كنيسة بغداد الكاثوليكية .

ونعرف من كتابه هذا انه كان مؤمنا حريصا على اتباع تعاليم دينه ، وذا شخصية محبوبة قليل الخبرة والمعرفة باللغة العربية ضعيف الانشاء لذا جاء اسلوبه ركيكا حافلا بالكلمات الدارجة والاصطلاحات المتعارف عليها آنذاك في اللغتين التركية والفارسية . وقد جاء في كتابه عن سياحته الكثير من الاخطاء النحوية والتي يقول المحقق انه أصلح الفاحشة منها . ونرى تدينه وتقواه ينعكس في كتاباته فهو يفسر الكثير من الاحداث تفسيرا تافها يدل على مدى بساطته وسذاجة تفكيره .

---

(١) الاب انطون رباط اليسوعي ، رحلة اول سائح شرقي الى امركه ، المشرق ، المجلد الثامن (١٩٠٥) ص ٨٢١ ـ ص ٨٣٤ ، ٨٧٥ـ٨٨٦ ، ٩٣١ـ٩٤٢ ، ٩٧٤ـ٩٨٣ ، ١٠٢٢ـ١٠٣٣ ، ١٠٨٠ـ١٠٨٨ ، ١١١٨ـ١١٢٩ .

والمخطوطة الاصلية التي حققها الاب رباط بطول ٣١ سم وعرض ١٥ سم وبكل صفحة ٢١ سطرا وهي تقع في ٢٦٩ صفحة . ونحن سنكتفي بالمائة صفحة الاولى منها فقط والتي تتعلق بوصوله الى أوربا وسفرته الى الامريكتين (اميركا الجنوبية والوسطى والقسم الجنوبي من الولايات المتحدة) . اما الصفحات ١٠١ – ٢١٤ فيتحدث فيها المؤلف عن اكتشاف اميركا واخبار شعوبها وحكامها ثم العاديات والآثار والكنائس المسيحية فيها . والقسم الاخير من ص ٢١٤ – ص ٢٦٩ خصه المؤلف برحلة سعيد باشا سفير الدولة العثمانية الى فرنسا في سنة ١١٣٢هـ (١٧١٩) . علما بأن الكتابة ليست بخط المؤلف ولم يذكر ناسخها اسمه ولا تاريخ استنساخه لها من النص الاصلي للرحلة .

وبدأ الخوري الياس سفرته التي استغرقت خمس عشرة سنة في سنة ١٦٦٨ عندما غادر بغداد الى القدس للزيارة ومن ثم سافر الى حلب حيث بقي بها فترة من الزمن ثم غادرها الى الاسكندرونه التي ابحر منها الى البندقية وفرنسا واسبانيا والبرتغال وصقلية . وفي سفرته الثانية الى اسبانيا تمكن من الحصول على سماح خاص من الجهات العليا للسفر الى اميركا . ويظهر انه لم يكن ليسمح بدخول تلك المناطق(الاميركيتين) لاحد الا بإذن من ملك اسبانيا . وفي طريقه الى القارة الجديدة مر في جزر الخالدات (الكناري) ومنها سارت بهم السفن الى اميركا الجنوبية ، واستغرقت تلك الرحلة خمسة وخمسين يوما . وقد زار السائح العراقي في تلك القارة بعض أجزاء بناما وكولومبيا وبيرو وبوليفيه وشيلي . وبقي في بيرو مدة من الزمن أنهى خلالها كتابة القسم الاول من مذكراته عن سفرته ومشاهداته في اقاماته ، ثم خرج الى المكسيك (التي يسميها ينكي دنيا) مارا بالاجزاء الجنوبية من الولايات المتحدة الحالية . وترك المكسيك سنة ١٦٨٠ عائدا الى اسبانيا فروما حيث قابل فيها البابا اينوسنسيوس (انوسنت) الحادي عشر (١٦٧٦ – ١٦٨٩) الذي أكرم وفادته[٢] . ويظهر انه قد جمع أموالا طائلة خلال سفرته هذه وسنعرف من خلال تفاصيلها انه تمكن ان يخرج كتابا وينفق على طبعه من ماله الخاص وهذا ليس بالامر الهين آنذاك دون شك نظرا لكون الطباعة في مراحلها الاولى واخراج كتاب يحتاج الى مبالغ طائلة من المال . ولا نعرف السنة التي توفي بها الخوري الياس ولكن يبدو انه كان حيا سنة ١٦٩٢ وهي السنة التي طبع بها كتابه حيث لم نقرأ فيه كون المؤلف ميتا وان كان قد وقف على طبعه صديقه عبيدالله اندروس ابن مقدسي عبدالله الكلداني الموصلي الساكن في حلب[٣] ويظهر القسم الثالث من مخطوطته بانه بقي حيا الى ما بعد سنة ١٧١٩ بحيث كتب عن رحلة السفير العثماني الى فرنسا بتلك السنة ان لم يكن هذا القسم منسوبا الى الخوري الياس وهذا ما ارجحه انا على الاغلب وان لم يكن لدي دليل على ذلك[*] .

---

(٢) الاب انطون رباط اليسوعي ، رحلة اول سائح شرقي الى امركه ، المشرق ، مجلد ٨ (١٩٠٥) عدد ١٨ ص ٨٢١ – ص ٨٢٣ .

(٣) الاب انطون رباط اليسوعي ، اثر جديد لاول رحالة شرقي الى امركه ، المشرق ، مجلد ٩ العدد العاشر (١٩٠٦) ص ٤٧٠ – ص٤٧٤ . وذكر تفاصيل عن الكتاب الاستاذ شنورر Schnurrer في كتابه المكتبة العربية (بيبليوتيكا ارابيكا (Bibliotheca Arabica)) المطبوع في هالـه – بالمانيا سنة ١٨١١ .

(*) وهناك معلومات مستفيضة تناولت الياس الموصلي ورحلته ، يستطاع الوقوف عليها في الجزء الثاني من تاريخ الادب الجغرافي (الترجمة العربية) للمستشرق السوفيتي كراتشكوفسكي (المورد) .

ديباجة الكتاب

الحمد لله الذي خلق البرايا بحكمته . واخترع الموجودات بامره وكلمته . وصور الانسان على شبهه ومثاله وسلطه على سائر المخلوقات بفضله وانعامه . ونهاه عن ثمر لا ياكله لئلا يموت موتا . فهذا المخلوق الضعيف لما خالف امر خالقه واكل من المنهي عنه تجرد من النعمة التي كان متسربلا بها وصار مطرودا مع ذريته من فردوس عدن الى ارض الشقاء والحزن . الى ان تحنن عليه سبحانه وتعالى وشاء اعتاقه فارسل ابنه الحبيب الاقنوم الثاني وكلمته الازلية الى بتول عذراء طاهرة واشرف المخلوقات وحل في احشائها حلولا لا يدرك ولبس منها جسدا كاملا وصار انسانا ما خلا الخطيئة وتردد بين العالم وصنع الايات بشفاء المرضى وقيام الاموات ثم اختار له تلاميذ اناسا سذجا صيادين وشرع لهم نواميس وقوانين وامرهم ان يجولوا بكل العالم ويبشروا بكرازة الانجيل الطاهر قائلا لهم (متى ٢٨ : ١٩) : امضوا واكرزوا وعمدوا باسم الاب والابن والروح القدس فمن آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن . وقال لهم ايضا (متى ١٨ : ٥) : فمن قبلكم فقد قبلني . ووعدهم ايضا عند صعوده انه يرسل لهم الروح المعزي ليمنحهم نعمة وحكمة . فبعد صعوده وجلوسه عن يمين الاب ارسل لهم الروح البارقليط فحل عليهم كالسنة نار فصاروا يتكلمون بسائر اللغات المختلفة فانتشروا في سائر اقطار المسكونة جائلين مبشرين بالانجيل وكانت آياتهم شاهدة لاقوالهم فقوم منهم حصلت لهم بلاد الشرق والبعض ذهبوا الى الغرب والبعض الى القبلة والبعض الى الشمال فثبت بهم قول داود النبي القائل عنهم (مز ١٨ : ٥) : في كل الارض ظهرت بشاراتهم وسمعت اصواتهم في اقطار المسكونة كانوا عائزين متضائقين مطرودين محقورين لابسين جلود الحملان (عبرانيين ١١ : ٣٧) وكانت اشعة انوارهم تشرق وتنير تلك الاقاليم المظلمة حتى انهم بكرازتهم طهروا المسكونة من عبادة الاوثان وارجعوهم من الضلالة والطغيان واختاروا لهم تلاميذ واخلافا وخولوهم تلك المواهب وانعام الروح القدس لكي يتولوا من بعدهم الرئاسة والتدبير جيلا بعد جيل متداومين الى انقضاء العالمين .

فاما الكنيسة المقدسة عروس السيد المسيح التي جعل مار بطرس الصخرة راسها ومدبرها من بعد صعوده المجيد . ومن بعده للذين يخلفونه فلم تزل تمتد اطنابها وتتوسع اكنافها حتى انه لم يخل مكان واقليم من اربعة اطراف المسكونة الا وتجد فيه كرازة الانجيل وصحة الايمان المستقيم بين طوائف مختلفة ولغات متفرقة . واما اللعين الثلاب . عدو الخير والثواب . فلم يزل مجتهدا ومحترصا على ترعزع ضمائر المؤمنين حتى يطغيهم ويطرحهم من احضان الكنيسة امهم . فنصب لهم شباكه وفخاخه وزرع في قلوب البعض منهم زوان الحسد والكبرياء والعصيان . حتى ان بعض طوائف الناس انكروا الطاعة للكنيسة الرومانية ولرئيسها ومدبرها الذي هو الحبر الاعظم وراعي الرعاة العام . وجعلوا لهم رؤساء مختلفين مضادين بعضهم بعضا حتى انه تبارك وتعالى سلط عليهم اعداءهم فثبت قول السيد المسيح في انجيله المقدس على لسان مار لوقا البشير في الفصل الثاني والخمسين مخاطبا اليهود قائلا(١) : اذا رايتم ابراهيم واسحاق ويعقوب وكل الانبياء في ملكوت الله فها هوذا يكون الاولون آخرين والاخرون اولين . فلما تفرقت الطوائف المذكورة من احضان الكنيسة المقدسة شاء السيد المسيح ان يدخل عوضهم اناسا مختلفي الاجناس والطباع . غريبي الالسن واللغات قاطنين في البراري والجبال سالكين بعيشة وحشية لا فرق بينهم وبين البهايم معذبين ومنقادين بضلالة الشيطان فقوم منهم عبدوا الحجارة وطائفة عبدت الوحوش وآخرون عبدوا الاشجار وغيرهم كانوا يقدمون ذواتهم ذبيحة للشيطان اللعين وكانوا ساكنين في الاقليم الرابع الذي كان مخفيا عن الابصار ومستورا عن الافكار حتى ان القديس العظيم معلم الكنيسة المقدسة مار اغسطينوس كان يظن ان هذا الاقليم هو غير مسكون من البشريين . فسبيلنا أن نبرهن ونبين رجوع هذه الطوائف المذكورة الى الايمان الحقيقي واحتضانهم للكنيسة المقدسة حتى ان كثيرين منهم بعد دخولهم في الايمان بالمسيح حسبوا من جملة القديسين . واما هذا الاقليم الذي قصدنا التكلم عنه فهو ممتد الطول والعرض وهو أكبر من الثلاثة اقاليم الاخرى المعروفة باسيا وافريكا واوروبا طولا وعرضا وقد جعلوا له اسما جديدا وسموه ميريكا مسلوبا(٢) وسوف نتكلم عنه في مكانه ونحرر سبب كشفه وبيانه ونرقم كل شيء في حينه واوانه . ونستعين بالله على الزيادة والنقصان والسهو والنسيان لان ذلك يوجد في كل انسان والكمال لله دائما الى الابد .

١ — من بغداد الى البندقية :

فاقول انا الحقير في الكهنة اني في تاريخ سنة الف وستماية وثمانية وستين للسيد المسيح خرجت من مدينة بغداد قاصدا زيارة قبر السيح في رفقة الطوبجي باشي المسمى ميخائيل آغا(٣)

---

(١) متى ٨ : ١١ لا كما جاء خطأ . ولا عجب من تعيينه ٥٢ فصلا في انجيل القديس لوقا لان تقسيم الفصول كان يختلف مع البلدان والازمنة الى ان انتشر التقسيم الروماني المعروف .

(٢) بقوله ان « اسم امركه مسلوب » يريد ان الاقليم الرابع الذي وصفه كان حقه أن يسمى باسم مكتشفه كريستوف كولومبس . قال في الصفحة ١٠٢ من هذا الكتاب حيث يذكر تاريخ الاكتشاف : « وكان في رفقة المكتشفين رجل اسمه اميريكو من ايطالية من مدينة فلورنسة وكان نوتيا في المركب ذا تدبير وعلم وعقل . فشخص تلك الارض وهندوها على ورقة (خارطة) وعرضها على ملك اسبانية فحينئذ سميت تلك الارض ميريكا ... وبالحقيقة كان الواجب ان تدعى باسم كولون (كولومب) لانه كان المبتدىء والمجتهد في هذا الامر . لكن بعدما انتشر هذا التكني في أفواه الخلائق وشاع على مسامع الناس جميعا لم يكن ممكنا ان يتغير فبقيت تسمى ميريكا » .

(٣) هو مخائيل كوندوليو (Condoleo) طوبجي باشي او مدبر الطوبخانات الشاهانية في الشام وحلب وبغداد ...الخ . ولد في كريت وسكن دمشق الشام وكان يجول في البلدان بأمر الحكومة السنية ليتفقد أحوال الطوبخانات وقد ذكره مرارا المرسلون في رسائلهم لما كان عليه من الثبات في الدين الكاثوليكي والعيشة المسيحية وكان لهم اعظم نصير بالمساعدة المادية والادبية وكان كثير الثروة واسع الجاه متقد الغيرة . وقد ذكره بالثناء مرارا الاب يوحنا اميو Amieu رئيس الرسالة اليسوعية سنة ١٦٤٦ والمح الى اسفاره الى بغداد . وكان لمخائيل آغا أولاد وكل بهم الاب هيرونيموس كيرو (Queyrot) المرسل اليسوعي في دمشق ليتلقنوا منه التعليم المسيحي والعلوم الادبية ويدرسوا اللغة اليونانية ←

ثم اننا سرنا في درب القفر . ففي نصف الدرب خرج علينــــا لصوص مقدار مائة نفر وصار بيننا حرب فظفرنا بهم . وكان ذلك نهار عيد القيامة . ونحن كان عددنا اثني عشر نفســـا . لكن بقوة آلات الحرب من التفنك(٤) انتصرنا عليهم . ومن هناك اخذنا دربنا وسرنا الى مدينة الشام ومن الشام قصدت القدس الشريف وتشرفت بزيارة تلك الاماكن المقدسة .

ثم ذهبت الى مدينة حلب . وبعد أيام انحدرت الى ميناء البحر الذي يسمى اسكندرونة فمن هناك ركبت في مركب انكليزي وسرنا قاصدين بلاد اوروبة . فجزنا الى جزيرة قبرص وهنـــاك زرت قبر القديس عازار واخته مريم ومرتا(٥) ومن هذه الجزيرة رحلنا . وبعد ايام جزنا على جزنا على جزيرة قريطش التي تسمى كريد . ومن هناك وصلنا الى جزيرة زانطية وهي في حكم البنادقة مع جزيرتين اخريين قريبتين منها تسميان كورفو وســـافولونية وهما ايضا في حكم البندقية التي تسمي باللســــان التركي واناديك(٦) المعروفة في كل الدنيا ومن هناك سرنا .

وبعد ايام عبرنا الى ميناء البندقية المذكورة . وكانت عـدة الايام التي بقينا فيها على وجه البحر سبعين يوما من خروجنا من اسكندرونة الى أن دخلنا الى هذا الميناء(٧) ثم اخرجونـا من

التي كان يلقنها عندئذ الاب كيرو المذكور لتلامذته العديدين من الروم الملكيين .

(٤) التفنك كلمة تركية معناها قصبة ثم جرى اســـتعمالها باللغة التركية والعربية في حلب وما بين النهرين بمعنى البارودة أو البندقية وهذا المعنى دارج في البلاد الداخلية الى الان .

(٥) يعرف القراء ان مكان قبر مريم المجدلية ومرتا ولعـــازر من المشاكل التاريخية التي لا يزال المؤرخون يتباحثون في حله فالفرنساويون وسكان اقليم پروڤنســة خاصة يذهبون الى انهم عاشوا بعد قيامة المخلص وماتوا في ضـــواحي مرسيلية ودفنوا على قلة يحج اليها الزوار متبركين وهي قلة سنت بوم (Sainte-Beaume) اما ســـائر المؤرخين لاسيما المحدثين فانهم ينكرون حقيقة هذا الخبر ولا يسلمون بهذه الذخائر . ومن البراهين التي يشـــق بها الفرنسويون تقليد يعزونه الى رهبان جزيرة قبرص جاء فيه ان مسيحيي الشرق يعتقدون نقلا عن تقليد قديم ان لعازر ومرتا ومريم دفنوا في ضواحي مرسيلية وقـــد ذكر العلماء البولنديون في المجلد الخامس عشر بتاريـــخ ٢٢ تموز هذا الرأي استنادا الى رسالة بعث بها الاب يوسف بسون (Besson) اليسوعي بتاريخ ١٧ نيســان ١٦٦٠ الى الاب دي غوردان رئيس اليســـوعيين في اكس (Aix-en-Provence) لكننا نرى رحالتنا يذهب مذهبا آخر يتناقله اليوم اهل قبرص الروم وهم يكرمون قبـــر القديس العازر في كنيســـتهم الكبرى . والله اعــــلم بالصواب .

(٦) واناديك اسم البندقية أو ڤينيسية باللغة التركية .

(٧) كانت الـسفن في القرن السابع عشر تقطع رأسا المسافة بين اساكل سورية والبندقية بثلاثين يوما وقد كانوا يبلغونها بخمسة عشر أو عشرين يوما اذا ساعدتهم الريح لـــكن العواصف والحاجة الى الوقوف في موانيء جزائر البحر المتوسط كثيرا ما كانت تؤخر وصولهم الى شـــهرين أو اكثر .

المركب وجعلونا في بيت المطهر الذي يسمى نازاريت(٨) باللسان الطلياني فمكثنا هناك واحدا واربعين يوما كالرسوم . وهـــذا نازاريت هو خارج عن المدينة وذلك عادة في بلاد النصارى خوفا من الطاعون . ففي تمام الواحد والاربعين يوما اتى الحكيم بالذي لينظرنا هل بيننا احد مريض . فبعد ذلك اعطونا دستورا ان نخرج من نازاريت . فخرجنا ودخلنا الى البلدة المذكورة وبقيت هناك عشرين يوما متنزها وزرت كنائسهم والغنى الذي نظرتـه في كنيسة ما رمرقس الانجيلي(٩) هو شيء لا يوصف .

ثم من بعد تلك الايام توجهت الى مدينـة رومية العظمى وسكنتها ستة اشهر وزرت الاماكن المقدسة خصوصا كنيسة مـار بطرس الرسول الفريدة في المسكونة لحسنها . وبعد ذلك خرجت قاصدا بلاد فرنسة فمريت على أرض امير يسمى كران دوكـه توسكانا(١٠) وهو ويسكن بلد فلورنسة . وهذا الامير هو غني جدا ذو مال وخزائن ومن فلورنسة انحدرت الى ميناء البحر الى بلد تسمى ليغورنة من حكم هذا الامير المذكور . وبعد أيام قليـــلة سافرت الى بلد جينوا ميناء البحر وهي تحت حكم امير يحـكم على ذاته . وهذا البلد شريف بالعمارات غني بالاموال .

٢ ـ سياحته في فرنســـة :

ومن هناك ايضا سافرت في البحر فوصلت الى ميناء بـلد مرسيلية من حكم فرنسة ثم خرجنا الى الارض ومشـــينا الى مدينة اوينيون التي هي تحت حكم سيدنا البابا(١١) وهذه البلدة هي في فرنسة لكن ملوك فرنسة القدماء كانوا اهدوها مع بعـض قرى الى كنيسة مار بطرس . ومن هناك ركبنا في سفينة على النهر والخيل كانت تسحب السفينة ضد جريان الماء . فوصلنا الى بلد ليون وهذا البلد من اعظم بلاد فرنسة من بعد مدينـــة باريس بلد ملك فرنسة .

ثم اني اجتمعت هناك مع رجل قديس يسمى موســـــيو

---

(٨) نازاريت بالطلياني (Lazaretto) والفرنساوي (Lazaret) المكان الذي فيه يقضي القادمون من البلاد الموبؤة حجرهم الصحي مدة أربعين يوما والكلمة مشتقة من اسـم لعازر (Lazare) وبه سميت في الاجيال المتوسطة مأوي المصابين بالبرص فيكون معناها الاصلي مستشفى البرص (Léproserie) وكان هذا المستشفى خارج البندقية يدعى سانت ماري دي نزارت (Ste Marie de Nazareth) ولهذا سماه المؤلف نازاريت لا لازاريت .

(٩) هي الكنيسة الكاتدرائية الشهيرة في البندقية .

(١٠) وبالفرنسية (Le Grand Duc de Toscane) وكان اسمه اذ ذاك الدوك فردينان الثـــاني (١٦٢١ ـ ١٦٩٠) وكان لامراء توسكانا قناصل في حلب والاســـاكل في ذلك العهد .

(١١) مدينة اڤينيون وما حولها من القرى اشتراها البابـــا اكليمنضس السادس من حنـــة ملكة صقلية وكونتس پروڤنسة سنة ١٣٤٨ واقام فيه الاحبار الرومانيون من سنة ١٣٠٩ قبل مشتراها الى سنة ١٣٧٧ ولبثت بعـــد ذلك تحت حكم الاحبار الرومانيين يدبر شؤونها باسمهم نائب رسولي الى زمن الثورة الافرنسية فاغتصبهـــا الثائرون سنة ١٧٨٩ وتملكوا عليها .

بيكيت(١٢). فهذا الرجل الشريف كان سابقا قنصلا في حلب وبعد رجوعه من حلب ارتسم اسقفا على مدينة بغداد وكانت وفاته في العجم في بلد امادان(١٣) . وما لنا زمان لنتكلم عن فضائله وحسن سيرته . ثم بعد ايام خرجت من ليون وسرت الى مدينة باريس تخت ملك فرنسة فدخلتها ورحت زرت الملك المنصور لويس فاكرمني ثم انثني زرت اخاه امير اورليانوس (Duc d'Orléans) واهديته سيفا وقدمت له في الكنيسة التي في سرايته . فاكرمني زائد الاكرام . ثم رحت زرت اميرا يسمى سانتينيان (St Aignan) ودفعت له مكتوبا كان اعطاني اياه عمه البادري حنا الراهب الكبوجي(١٤) الصالح الذكر الذي كان رئيسا في حلب فعمل لي عزا واكراما جزيلا لاجل وصية عمه البادري المذكور .

ثم اني نزلت في المكان وبقيت انتزه في هذه البلدة العظيمة التي لا مثيل لها في كل الدنيا بحسنها وعدالة حكمها واستقامة شرعها وزيادة محبة اهاليها للغرباء . وقد نظرت امرا يستوجب الذكر والمدح لفعلهم هذه الخيرات والاحسان وذلك عدة نساء عددهن سبع عشرة امراة من الاشراف بعضهن عذارى وبعضهن ارامل . اما العذارى فقد ترهبن عن الدنيا وتركن كل نقدهن في الشركة المباركة وتسمى هذه الشركة باللسان الفرنساوي شاريته (charité) (١٥) اعني مجمع الخيرات . هذا قد اسسوه من القديم . وايضا الارامل قد تركن مقتناهن في هذه الشركة . وجميع هذه الاموال التي قد اوقفنها الى هذا المجمع هي مؤمنة عند اناس الربح(١٦) وفي كل سنة تربح مليونين اي عشرين كرة من المال . ثم تجتمع هؤلاء النساء المباركات في الجمعة مرة ويقسمن هذه الدراهم المذكورة على الفقراء والمحتاجين وعلى الكنائس والاديرة وايضا على المرضى والغرباء وعلى الذين يكرزون بايمان المسيح في بلاد الشرق . وايضا ينقدن لبعض بنات فقراء ويزوجنهن من هذه الصدقة . ونظرت اشياء كثيرة واجبة للمدح والوصف في هذه المدينة العظيمة .

ثم وفيما انا هناك والا اقبل قاصد من عند السلطان محمد خان الى الملك لويس وهذا القاصد يسمى باللسان التركي والفارسي ايلجي(١٧) فانا رحت زرت هذا الايلجي عدة مرار لاجل اللسان التركي ثم طلب مني ان ابقى في باريس ولا اروح فبقيت ثمانية اشهر .

٣ - اسبانية ايطالية :

ثم بعده خرجت من هناك قاصدا بلاد اسبانية فجزت على بلد عظيم يسمى اورليانوس (Orléans) ومن هناك رحت الى مدينة تسمى بونراس(١٨) ومن هناك الى مدينة بواتيه ومنها الى مدينة تسمى بورديوس (Bordeaux) التي هي على شاطىء نهر كبير . وقد قطع الملك لويس المذكور الجبال وخلط البحرين في بعضهما واصبحت المراكب تسير بسهولة في هذا النهر المذكور من بحر الاوقيانوس الى بحرين ارضيين(١٩) ومن هناك سافرت الى اسبانية وجزت على بلاد وقرى لا تحصى حتى بعد اثني عشر يوما انتهيت الى نهر وهذا النهر هو الحد بين حكم فرنسة واسبانية وهناك قلعة تسمى سان جوان دي لوا (St Jean de Luz) من حكم فرنسة .

ثم جزنا النهر ووصلنا الى قلعة من حكم اسبانية تسمى

---

(١٢) فرنسوا بيكه (François Picquet) ولد في ليون ١٢ نيسان ١٦٢٦ وجعل قنصلا لدولة فرنسة وهولندة في حلب سنة ١٦٥٢ حيث عاش عيشة تقوية مثال الفضيلة والغيرة وخدم الدين والدولة احسن خدمة واشتهر بمساعدته للكاثوليكيين نخص بالذكر ما صنعه لاقامة اندراوس بطريركا كاثوليكيا على السريان . وقد اجمع المرسلون والشعب على حبه واكرامه لما ازدان به من السجايا . وفي سنة ١٦٦٢ عاد الى بلاده فاقام فيها ثماني سنوات ثم سيم اسقفا على سزاربوليس Césarople ثم على بابل ونائبا رسوليا على العجم واختاره لويس الرابع عشر سفيرا له لدى جلالة شاه العجم فعاد الى سورية ومنها ذهب الى العجم حيث خدم الكنيسة والشرق المسيحي خدمة مشكورة . توفاه الله في مدينة همدان بايران في ٢٦ آب سنة ١٦٨٥ (اطلب حياته باللغة الافرنسية
Vie de Messire F. Picquet par Mgr. d'Antelmy évêque de Grasse) اطلب ايضا كتابنا الافرنسي المعنون (Documents inédits pour servir à l'Histoire du Christianisme en Orient, t.I. chez. A. Picard et fils à Paris, Luzac et Co à Londres et Harrassowitz à Leipzig).
صفحة ٩٦ و ١٠٣ و ١٠٤ .. الخ) .

(١٣) يريد همذان من مدن ايران .

(١٤) هو الاب يوحنا دي سنت اينيان (Jean-Baptiste de St Aignan) الكبوشي كان مرسلا خدم الكنيسة في رسالة حلب والموصل سنين طويلة وكتب رسائل لاتزال محفوظة في مكاتب باريس وقد استنسخنا بعضها . ومن معاصريه الكبوشيين الشيوين الاب سلفستروس دي سانت اينيان ونظنه اخاه وقد وجدنا توقيعهما مرارا في الرسائل المقدمة للكرسي الرسولي وللوزارة الافرنسية مع توقيع الاب نقولا بوارسون Poirresson رئيس اليسوعيين ومع رؤساء الكرمليين الاب يوحنا بطرس والاب يوسف ملاك .

(١٥) هي جمعية راهبات المحبة التي اسسها القديس منصور دي بول فانتشرت في انحاء المسكونة معطرة الغرب والشرق بعرف فضائلها وخدمتها للمساكين .

(١٦) يريد المصارف .

(١٧) هذا السفير العثماني هو سليمان آغا سفير السلطان الاعظم محمد الرابع وصل الى طولون في ٤ آب سنة ١٦٦٩ حاملا رسائل جلالة السلطان الاعظم الى الملك لويس الرابع عشر فسار في موكب عظيم الى باريس وقابل المسيو دي ليون وزير الملك ثم حظي بمقابلة الملك في حفلة عظيمة . وبقي في باريس . مدة كان فيها المسيو دارفيه (d'Arvieux) رفيقا له .

(١٨) لا نعرف مدينة اسمها بونراس بين بوردو وبواتيه ان لم يكن تصحيف تور (Tours) او امبواز (Amboise) او بلوا (Blois) فهذه المدن الثلاث على شاطىء نهر اللوار على طريق سائحنا من بوردو الى بواتيه .

(١٩) يشير الى الاشغال التي انجزت بأمر لويس الرابع عشر ليسهل على السفن العبور في نهر الجيروند (Gironde) وقد جمع بين ذراعي النهر المتدين حول الارض المسماة « ما بين البحرين (Entre-deux-mers) » .

فونته اربيا (Fuenterabia) وجانبها بلدة صغيرة تسمى ايرون (Irun) ومن هناك قصدت بلدة تسمى سان سبسطيان وهي ميناء في البحر الغربي ومن هناك سافرت في الارض الى مدريد تخت ملك اسبانية وعبرت على بلدة تسمى بوركوس (Burgos) ونظرت هناك ديرا لرهبان مار اوغسطينوس وكان في كنيستهم مذبح فيه صلبوت السيد المسيح الذي يسمى في اللسان السبنيولي كريستو ده بوركوس (Cristo de Burgos) (٢٠) ويظهر منه عجائب كثيرة وايضا نظرت هناك في دير الراهبات قبر ملك سيس الارمني(٢١) الذي كان يسمى اوانيسي تاكا (؟) وكتابة قبره باللسان الارمني . ثم من هناك سافرت وجزنا على مدن لا تحصى حتى اني وصلت الى مدريد تخت الملك ففي ذلك الحين كانت تحكم الملكة امراة الملك(٢٢) فيليبه الرابع لانه كان قد توفي الملك وخلف ابنا صغيرا يسمى كارلوا الثاني . ثم اني قدمت لها مكاتيب البابا اكلمندوس التاسع فامرت ان يعطوني الف غرش(٢٣) من حاكم سيسيليه والف غرش من حاكم نابولي ثم اني اخرجت من يدها امرا على تحصيل الدراهم .

فخرجت من مدريد قاصدا ارض ايطالية . فدخلت الى كورة اراكون (Aragon) ووصلت الى بلد تسمى سراكوزا (Saragosse) حيث يتوج ملوك اسبانية ... حينئذ نظرت هناك اخا الملك يسمى دون خوان ده اوستريا . وهو اخ طبيعي لهذا الملك لم زوته فاكرمني . ومن هناك سافرت قاصدا البحر . فوصلت الى مدينة تسمى برسلونا (Barcelone) وهي من كورة كاتالونية (Catalogne) وهي ميناء البحر الشرقي فسافرت منها في البحر مع جكتريات(٢٤) ملك اسبانية وبعد يومين عبرنا الى ميناء تسمى كاتاكيس (Cadaquès) حيث يخرج وبقينا هناك خمسة وعشرين يوما بسبب العواصف الكائنة في البحر في الكولفو ده ليون (Golfe du Lion) لان المجاز من هناك خطر عظيم .

ثم بعد زمان نهار الاحد قدسنا واقلعنا وفتحنا الشراع وسافرنا . فبعد يوم وليلة جزنا ميناء طولون من حكم فرنسة ومن هناك سافرت الى رومية فنظرت ابن اخي الشماس يونان(٢٥) قد ختم قراءته في المدرسة وهو قاصد ان يخرج من رومية ويرجع الى البلاد بعد ان جهزه المجمع المقدس من كتب واشياء اخر لازمة . ومن هناك وصلت الى نابولي وقدمت امر الملكة الى وزيرها الذي كان يحكم هناك الذي يقال له وي ارلي(٢٦) فقراه وجاوبني قائلا : اذهب الى سيسيلية وحصل الالف غرش فسافرت الى جزيرة سيسيلية ودخلت مدينة تسمى بالرمو (Palerme) حيث وزير الملكة الحاكم الذي يقال له ايضا وي الري . فعرضت عليه الامر ان يعطيني الالف غرش فوعدني انه يعطيني اياها . وبعد شهرين قال لي : لا اقدر اعطيك . ثم اني ارسلت من هناك الشماس يونان ابن اخي الى حلب . وانا لما نظرت ان ليس لي رجاء من هذا القاسي القلب ان يعطيني الالف غرش بعد تعب القلب الذي حصل لي في سفراتي رجعت الى نابولي لاحصل الالف غرش الاخرى من الوزير الاول مثل ما كان وعدني فهذا ايضا جاوبني قائلا ما اعطى حاكم سيسيلية الالف غرش ولا انا اعطي شيئا ولا عندي دراهم .

ثم اني رجعت مرة اخرى الى اسبانية خائب الرجاء حتى ارجع الامر الى الملكة فرجعت الى رومية ومنها الى ميناء ليفورنة وركبت في البحر ووصلت الى مدينة برسلونة المذكورة. ومنها جئت الى سراكوزا ورايت هناك اخا الملك المذكور فاخبرته بما جرى لي من الاتعاب والخسائر لاني صرفت اربعمائة غرش في الرواح والمجيء . فشق ذلك عليه وكان صحبتي واحد رومي من اولاد حلب يخدمني اسمه يوسف القتال . ثم اني رجعت الى مدريد وعرضت حالي على الملكة فصعب عليها ذلك بسبب عدم قبول امرها ثم بعد اني ارجعت لها امرها خرجت من مدريد قاصدا بلاد البرتقال . وفي ذلك الزمان كان ملكهم موجودا في جزيرة تسمى ايزلا ترسيرا (Isola Terceira) وذلك لعدم نسله بعد ان ثبتت معه امراته ثلاث سنين . واما هذه الشقية فكانت فرنساوية وزوجها الاول كان يسمى الملك دون الونصو (Alphonse VI) ولكن هذا زوجها الثاني فكان يسمى دون بيدوا فمع انه جلس في مكانه لكن لم يسموه ملكا لكن اميرا بسبب ان اخاه كان باقي في الحياة . وبعد ان تزوجها رزق بنتا . ثم اني ذهبت الى عند هذا الامير وتكلمت معه وبقيت في هذا البلد سبعة اشهر وزرت جميع كنائسها وديورتها واما سكان هذه البلدة فمنهم اناس اجواد كرماء وكاثوليكيو الايمان . وايضا يوجد هناك نصارى جدد وهم من ملة اليهود المتنصرين وهم معلومون عند الكل وما يتزوجوا من النصارى القدماء والبعض منهم بالحقيقة ناكرو دين المسيح . فلما يتحققون امرهم انهم كذلك يحكم عليهم ديوان الايمان بالحريق . واما هذه المدينة ليزبونا (Lisbonne) فهي ميناء البحر . ومنها تسافر المراكب الى هند الشرق الى بلاد كووا التي من حكم البرتكال .

٤ - اهبة السفر الى اميركا :

وبعد ان بقيت هناك سبعة اشهر رجعت الى بلد مدريد المذكورة وسكنت في دار امير يسمى الدوكه ده اوبرو . وصار لي من هذا الرجل ومن بقية الاصحاب اكرام زائد واحدى السيدات تسمى ميركزا ده لوزوبلس التي ربت الملك عملت لي اكراما عظيما وطلبت من الملك دستورا ان اقدس له فكان معي شماس رومي وكنت علمته يخدم قداسي . فدخلت كنيسة الملك وقدست امامه وامام والدته ثم بعد ذلك امرت الملكة مربية الملك ان تسالني اي شيء اطلب حتى تهبني . فاخذت منها مهلة ورحت شاورت بعض الاصحاب فاشاروا علي ان اطلب اجازة وامرا قاطعا حتى اتوجه الى بلاد هند الغرب(٢٧) فصعب

---

(٢٠) هو الصليب المنسوب الى القديس نيقوديموس ويكرم في اسبانية من عهد قديم .

(٢١) لا نعرف عن هذا الملك شيئا .

(٢٢) اي حنة النمساوية (Marie-Anne d'Autriche) امراة فيليبس الرابع المتوفى سنة ١٦٦٥ وكان لكارلوس الثاني ابنه اربع سنوات فقط فاقيمت امه على ادارة المملكة لكن جوان (Juan d'Autriche) اغتصبها الادارة مدة ولما مات عادت الملكة الى الحكم الى ان بلغ كارلوس اشده .

(٢٣) كان الغرش عندئذ يعادل الدينار ecu قيمة .

(٢٤) جكتريه أو بالحري جكدريه كلمة تركية معناها السفن .

(٢٥) لا نعرف شيئا عن هذا الشماس ونظنه درس في مدرسة البروباغندة (التبشير) .

(٢٦) وبالاسبانية (Vey El Rey) اي نائب الملك (Vice-Roi)

(٢٧) كانوا يسمون بلاد اميركة الهند الغربية ليفرقوها عن الهند الشرقية .

على هذا الامر لكن جعلت الحملة على الله واتكلت عليه وطلبت الامر . لانه لا يقدر غريب ان يجوز الى بلاد الهند ان لم يكن معه امر من الملك . وكان في ذلك الزمان النونسيو الذي هو رسول البابا في مدريد يسمى الكردينال ماريسكوتي . وهذا المبارك ساعدني بنصائح .

ثم اني اخرجت الامر من الملكة ففرح بعض الاصدقاء لهذه النعمة التي انعمت بها علي . فاما الامير الذي كنت نازلا عنده في الدار فجهزني بكل ما احتاجه في السفر واعطاني مكاتيب وصية الى بعض اصدقائه والامر الذي اخرجته من الملكة كان وصيتها علي الى الوزير والى المطارنة والاساقفة والحكام في كل بلاد الهند على مساعدتي . ثم اني تقويت بالرب واعتصمت باسم والدته مريم العذراء وخرجت من مدريد قاصدا مدينة قادس (Cadix) التي هي ميناء على البحر المحيط . فمن بعد سفر اثني عشر يوما في البر دخلت اليها فرايت مراكب الهند مهيئة ومستعدة للسفر . وفي هذه الاسكلة يقام ديوان مدبري المملكة فقدمت امر الملكة فسجلوه لي واعطوني امرا ثانيا بموجبه .

ولما كان اليوم الثاني عشر من شهر شباط سنة الف وستماية وخمس وسبعين من المسيح قدمت امري مع المكاتيب الى جنرال الغلايين(٢٨) دون نيكلاوس ده كوردووا . فحبني واستقبلني بكرامة عظيمة واعطاني كامره اي اوضة في مركبه فادخلت حوائجي في الاوضة وقفلت الباب . وهذا الغليون هو الرئيس على سائر الغلايين . وقد اخذت معي من قادس شماسا من طائفة الروم مولودا في اثينس لاني ما وجدت احدا من ملتي ومن اولاد بلادي . فصار عندي ندم عظيم بسبب اني كنت سرحت ابن اخي الشماس يونان الى بلاد الشرق . ولكن ما عادت الندامة تفيد فنصحني البعض من الاصحاب قائلين لي ان هذا الرومي عند وصولك الى بلاد الهند سوف يتمرد عليك ويخرج من عندك . فعند وصولي جرى لي كقولهم .

ثم اننا في ذلك اليوم المذكور قلعنا ونصبنا الاقلاع وسرحنا . وكان عدد الغلايين ستة عشر غليونا . فتودعوا من الاسكلة بضرب المدافع ودق الابواق ونصبوا الاعلام والرايات .

٥ ـ السفر الى امركة الجنوبية :

سافرنا وكان المسافرون قوم منهم في فرح واناس في حزن على فرقة اهاليهم . وهذه رفقة المراكب تسافر كل ثلاث سنين مرة واحدة الى بلاد الهند التي تسمى البيروه والتي تبعد الف وخمسمائة فرسخ داخل بلاد ينكي‌دنيا لكي يحضروا من هناك خزنة الملك . وايضا التجار يوسقون الغلايين من كل اجناس البضايع ويبيعونها في تلك البلاد ولا يدعون انسانا غريبا عن الجنس السبنيولي يرافقهم لا تاجرا ولا كاهنا ان لم يكن معه امر من الملك مثل ما ذكرنا سابقا . وهذه هي الى اليوم قوانين ونواميس موضوعة من ايام كارلس الخامس من ملوك اسبانية وبلاد المجر حيث على عهده فتحوا بلاد الهند . وهذه الغلايين تعود بالغنايم الفضة والذهب بقيمة عشرين او خمسة وعشرين مليونا وكل مليون قدره عشر كرات . وبعد خروجنا من قادس بثلاثة ايام حدث اضطراب عظيم في البحر ودام ذلك علينا ثلاث ساعات فكان برفقتنا رجل شريف يسمى دون نيكلاوس اتيفانته وكيل الملك فمن كثرة الخوف الذي دخل عليه مات في تلك الليلة . فربطوا برجليه جرار مملوءة ماء وحدفوه بالبحر لكي يغطس الى اسفل ولا يعوم على وجه الماء وتاكله الحيتان . فلما حدفوه ضربوا له ثلاثة مدافع وهذا المذكور كان ذاهبا مقدم ديوان كيتو (Quito) (٢٩) ومن بعد ثلاثة ايام اشرفنا على جزيرة اسمها كنارياس Canaries (٣٠) من حكم اسبانية ولازلنا مسافرين والارياح تلعب بنا ونحن في نصف الدرب فصادفنا مركبا انكليزيا موسوقا من العبيد السود عددهم سبعمائة نفس قد جاءوا بهم من بلاد برازيل (Brésil) من حكم البورتكال حتى يبيعوهم في بعض جزائر الهند .

٦ ـ الوصول الى امركة :

وفي اليوم الرابع(٣١) كشفنا على ارض من اراضي الهند ووصلنا الى مكان اي ناحية في البحر . فتامل النواخذة(٣٢) في الماء . فلما نظروا لونها متغيرا علموا انها ماء النهر وعرفوا في اي مكان وصلوا لانه ينحدر من تلك الارض نهر كبير واسع مقداره اربعين فرسخا ولانحداره وعزم قوته الشديدة يشق البحر ويجوز فيه نحو اربعين فرسخا . ثم الى هذا الحد تختلط ماءه في البحر ولا يوجد مثله نهر في الدنيا(٣٣) ثم من هناك كشفنا على ارض تسمى كراكس (Caracas) (٣٤) ومن هناك جزنا في جزيرة تسمى مركاريتا (Marguerite) (٣٥) من حكم اسبانية . وذكروا لنا عن الجزيرة انها من مدة عشرين سنة كان الغطاسون في هذا البحر قرب الجزيرة وكانوا يخرجون صدف اللؤلؤ البليغ في الكبر والشريف باللون . فذات يوم بينما كانوا يستخرجونه نذروا على انفسهم ان اول شيء يخرجونه في ذلك النهار من اللؤلؤ يدفعونه الى كنيسة العذراء فلما نظروا انهم اخرجوا لؤلؤاكبيرا غالي الثمن ندموا بذاتهم وقالوا ان غدا يكون على اسم العذراء وايضا غطسوا ثاني يوم واخرجوا اللؤلؤ فوجدوه احسن وابلغ من الاول . فطمعوا كذلك وقالوا نهار غد نفي نذرنا الى العذراء . ثم في اليوم الرابع انحدر الغطاسون كعادتهم ليخرجوا اللؤلؤ فما وجدوا شيئا ابدا والى يومنا هذا ما بقيوا يجدون لؤلؤا في ذلك البحر .

---

(٢٨) جمع غليون اي السفن (Galion)

(٢٩) عاصمة بلاد الاكوادور أو خط الاستواء .

(٣٠) هي الجزائر الخالدات غربي افريقية الشمالية قبال بلاد مراكش .

(٣١) اليوم الرابع بعد التقائهم بالمركب الانكليزي ولعله اليوم الرابع والاربعين بعد سفرهم من قادس .

(٣٢) نواخذة كلمة فارسية مفردها ناخذاة ومعناها ملاك السفينة أو رئيسها .

(٣٣) هو نهر الاورينوك (Orénoque) العظيم في شمالي امركة الجنوبية لكنه ليس بأعظم من نهر الامازون .

(٣٤) كاراكاس عاصمة بلاد فنيزويلا (Vénézuéla)

(٣٥) مرغريتا جزيرة صغيرة من جزائر الانتيل الصغيرة (Petites Antilles) تجاه كاراكاس وهي شهيرة بصيد اللؤلؤ ولما حل المكتشفون في ضواحيها في أواخر سنة ١٤٩٩ اشتروا من سكانها اللؤلؤ بالكيل مقايضين عليه بابر ودبابيس وقد سمي جوارها خليج اللؤلؤ (Las Perlas)

٧ ـ السير حذاء شطوط فنيزويلا :

فنرجع الى قولنا . فمن هناك سافرنا ووصلنا الى ميناء يسمى كومانا (Cumana) من حكم اسبانية . فمن هذا الميناء يقدرون ان يمشوا في البر الى كل بلاد البيروه . لكن المانع هو خوفهم من الجنود الجلالية(٣٦) ومن الجبال العالية والانهر والاحراش والوحوش الضارية فلاجل ذلك يسافرون في البحر . فرسينا في ذلك الميناء واكتفينا من الفواكه والهدايا التي اهداها لنا حاكم البلد . ومن بعد يومين سافرنا من تلك الاسكلة وجزنا على جزيرة تسمى كوراصسون (Curçao) وهي من حكم الاولنديفر (الهولنديين) ثم ان حاكم هذه الجزيرة ايضا ارسل لنا شختورا ملآن فواكه وبوزه لاجل الشروب وضرب لنا من القلعة سبعة مدافع ونحن ايضا ردينا عليهم السلام بسبعة مدافع . ومن هناك سرنا وجزنا على جزيرة تسمى ترتوكا (Tortuga) وهذه الجزيرة غير مسكونة لان فيها زلاحف كبيرة ازيد من ذراعين طولا وعرضا . والمراكب تروح وتصيد من هذه الزلاحف وتملحها لاجل زوادة(٣٧) . وفي هذه الجزيرة وجدنا مركبا صغيرا فرنساويا . وكان في ذلك الزمان حرب بين اسبانيا وفرنسة ونحن كنا سبعة عشر غليونا . ولما رأى الفرنساوية اننا احطنا بهم هربوا للبر في الجزيرة وتركوا المركب فارغا فاخذت مركبنا المركب فرأيناه موسوقا زلاحف مملحة . واما الناس الذين هربوا وخلوا المركب كان لهم مركب آخر في جانب آخر من الجزيرة نحو تسعة اميال فراحوا واجتمعوا بذلك المركب فمن بعد شهرين حصنوا لهم مركبا بعدة من الرجال والآلات الحربية لينتقموا من اعدائهم .

٨ ـ وصف قرطجنة :

ومن هناك سافرنا الى بلدة تسمى كرتاخينا (قرطجنة الجديدة Cartagène)(٣٨) وكان السفر الذي سافرناه سعيدا لاننا بخمسة وخمسين يوما دخلنا الى هذه الاسكلة حيث ترسي الغلايين . وكان وصولنا الى هذه البلدة يوم مبارك وهو يوم خميس الفصح المقدس . ثم خرجنا ثاني يوم للبر نهار جمعة الآلام واسترحنا من اتعابنا . وايضا تشرفنا بالرياحات المقامة يومئذ لآلام المسيح . وفي هذه البلدة قوم اكابر اغنياء جدا وديوان من ديوانات الملك وكنائس وقسوس وديورة رهبان وراهبات . وسكان هذه البلدة كاثوليكيون محبو الغرباء وهم اسبنيوليون حقيقيون وكان حاكم هذه البلدة رفيقنا في المراكب وقد عمل لي عزا عظيما واكراما جزيلا . فرسينا في هذه البلدة اربعين يوما حتى جاءت المكاتيب مع الاولاق(٣٨) من بلدة ليما التي هي تخت لوزير الملك وللتجار الاغنياء الذين من البيروه فخرجنا من هذه الاسكلة وسافرنا الى اسكلة تسمى بورتوبلو(٣٩) وفي هذه الاسكلة يصير البيع والشراء لما يرجع تجار البيروه من البحر القبلي . فبقينا نستناهم نحو شهرين حتى وصلوا الى عندنا واحضروا معهم من الفضة والذهب خمسة وعشرين كلا(٤٠) وصار البيع والشراء بين التجار والهنود وبين التجار السبنيولية اربعين يوما . ففي ذلك الحين جاء المركب الفرنساوي السابق ذكره وقنصر(٤١) . وفي ليلة من الليالي طف على الشختورات الاسبنيولية واخذ المال الذي كان فيها وكانت عدة المال مايتين الف غرش . فالصبح لما سمع اصحاب مراكب الحرب خرجوا وراءهم فما صادفوهم . فراحت على من راحت وراح الصيادون الفرنساوية المذكورون وهم يزمرون ويطبلون بالدفوف. ويوجد في هذه الاسكلة التي تسمى بورتوبلو شيء من جنس الدبابات اصغر من البرغوث ويسمى في اللسان الهندي بنكتوا . فهذه الدبيبة اذا تغافل منها الانسان تجوز في جسده ومن بعد اربعة او خمسة ايام تكبر وتصير قدر الحمصة فيلتزمون ان يكشفوا بصنعة ويخرجوها بابرة من غير ان يفقتوها ويحطونها على بصة نار فتطق مثل الفرقوعة . واذا ما اخرجوها بصنعة وفقتوها فتقع ميتة على لحم الانسان فيتورم ويفقع ويموت ذلك الانسان(٤٢) وايضا في ذلك البلد يحصل خفاش الليل كي يجي الى الانسان وهو نايم ويبدا يفصده ويمص دمه ويستفرغه وبجناحه يهوي على ذلك الانسان ليطيب له النوم . ولايزال يفصد ويتقيا الدم الى ان يفيق الانسان نصف غشيان من كثرة الدم الذي خرج منه(٤٣) . وقاسينا في تلك البلدة من الحر والمطر مدة اربعين يوم

---

(٣٦) الجلالية لعلها كلمة (Guérillas) ومعناها العصابات التي تقاتل قتالا غير قانوني .

(٣٧) سميت هكذا لوفرة الزلاحف التي كانت تغطي أرضها عندما بلغها المكتشفون سنة ١٥٠٣ .

(٣٨) قرطجنة بلدة عظيمة بسكانها وتجارتها لانها تعتبر مرفأ امركة الجنوبية اليها تأتي السفن التجارية ومنها تقلع محملة كنوزا وبضائع . وقد كانت عندئذ سوقا عاما للرق يأتي النخاسون بالعبيد المساكين من الكونغو والنوبان وغيرهما من بلاد افريقية فيبيعونهم بيع المواشي ولذلك سعى المرسلون ان يخففوا آلام العبيد ويفكوا قيودهم ما استطاعوا وينيروا عقولهم بنور الانجيل ليكون صليب المسيح عزاء لهم ورجاء في حالتهم التعيسة . وقد اشتهر بين ذوي الغيرة المسيحية على هؤلاء المنكودي الحظ القديس العظيم بطرس كلافر اليسوعي الذي قضى نحوا من نصف قرن بخدمة العبيد في قرطجنة لكان لهم ابا حنونا اكتسب منهم الى المسيح عددا لا يحصى وقد عمد بيده ثلاثمائة الف ونيف ومات سنة ١٦٥٤ .

(٣٨) اولاق كلمة تركية معناها السعاة .

(٣٩) بورتو بلو وقد كتبها سائحنا مرارا بورتو وبلو على اللفظ السبنيولي (Porto Belo) وتسمى ايضا (St. Philippe de Porto Belo) بلدة صغيرة على برزخ باناما بالقرب من نهر شاغر (Charge) وهناك ترعة باناما لتمر السفن من بحر الى بحر .

(٤٠) الك كناية عن عشرة ملايين .

(٤١) قنصر هي كلمة (ancrer) اي ارسى وردت في رسائل بعض معاصري السائح .

(٤٢) نظنه يريد الدبيبة المعروفة عند علماء الطبيعيات باسم (Sarcopsylla penetrans) فان وصفها عندهم يطابق ما جاء به الكاتب (اطلب Traité de Parasitologie du Dr. Moniez p 612) وقد وصف دون دولوا (Dom d'Ulloa) مرضا جلديا شبيها سماه الحية الصغيرة (Culebrilla) يصيب سكان باناما قال انه دملة تداوى بالشق باخراج الجلد البالي فتيلا يشابه الحية وزاد ان سكان قرطجنة وبورتو بلو يلهبون انه بالحقيقة حية او دبيبة صغيرة . وقد ثبت الان انه دبيبة تعرف باسم (Filaria Medinensis) (ibid. p 319)

(٤٣) هو وصف الخفاش المسمى Vampire

والتجار يبيعون بضائعهم . فلما لدخلوا خزينة الملك الى هـذه الاسكلة ارسلني الجنرال حتى اتفرج عليها فرايت شيئا لايحصى من الفضة والذهب .

٩ ـ السفر الى باناما :

ومن بعد ذلك قصدت ان اركب سفينة واتوجه الى بـلاد صانتافه(٤٤) التي يخرجون منها هناك حجارة الزمرد لان من بلد كرتاخينا (قرطجنة Cartagène) يسافرون في النهر وهـم صاعدون الى هذه الارض المذكورة معادن الزمرد فلكن جنـرال التلايين نصحني ومنعني عن ذلك قائلا ان في تلك الارض يوجد بعض حيات مسمومة تقتل الناس وايضا المسافة بعيدة فانا اشور عليك بالمحبة الالهية ان لا تروح وتضيع وتموت في تـلك البلاد . ثم اني طاوعت شوره وقصرت عن الرواح . ثم من بعد اربعين يوما طلعنا من بلد كرتاخينا وسافرنا صحبة التلايين . ومن بعد عشرين يوما وصلنا الى ميناء يسمى سان فيليبه ده بورتو بلو فلما وصلنا الى هناك ورسينا في هذا الميناء مستنظرين المراكب التي تجي من بلاد البيروه في البحر القبـلي الذي يسـمى مارسوريجوا الى اسكلة تسمى باناما وفيها حاكم رئيس عسـكر واسقف وديورة رهبان وراهبات . وهذه البلدة لطيفة جـدا . ومن هذه الاسكلة المذكورة الى اسكلة بورتو بلو ثمانية عشـر فرسخا في جبال وحرش مابين البحرين بحر القبله وبحر الشمال وهذه الارض دروبها صعبة نذكرها فيما بعد . فنزلوا خزينـة الملك محملة على بغال الى بورتو بلو وايضا احمال التجـار والمسافة دون ثلاثة ايام وياخذون الكروة ثلاثين غرشا على كل بغل ويصير موسم التجار اربعين يوما ويتسوقون البضايع التـي مع التلايين فخزنة الملك كان عددها خمسة وعشرين مليونا وكل مليون عشر كرات وكل كرة مية الف غرش . فاما هذه الخزنـة ما تجي كلها الى اسبانية بل يقسمونها علايف(٤٥) على اربـاب الوظايف والى الجنود الحارسين الجزائر والقلاع الكائنة في بلاد الهند المنسوبة الى بلاد البيروه . ومن هذه الخزينة يصرفـون ايضا على التلايين المنسوبة الى الملك وعلى جنودهم . وهـذا الميناء هو ارض حامية جدا وكثيرة الامراض . ففي تلك السـنة ما صار مرض عظيم . فلكن مات من الطرفين مقـدار الف نفس والباقي مرضوا وانا مرضت لكن الرب شفاني بواسطة ملكـة القديسين مريم العذراء ومار الياس الحي . ثم من بعد ذلك باع تجار اسبانية بضايعهم الى تجار البيروه وتسلموا الفضـة والذهب . فرجع تجار البيروه الى سبيلهم والتلايين اخـذوا الفضة والذهب وبعض من البضائع مثل صوف التفتيك يسموه بيكونيا(٤٦) وايضا كاكاو الذي يشبه القهوة بالرائحة والطعم لكن زايد الجسم(٤٧) فيخرجون من هذه الاسكلة راجعين الى كرتاخينا ومن كرتاخينا الى جزيرة لاوانا(٤٨) وهي جزيرة حصينة وفيها بعد نذكرها .

(٤٤) صانتافه Santa Fé de Bogota عاصمة بلاد غرناطة الجديدة وهي الان عاصمة كولمبية والنهر المذكور هو نهر (Magdalena)

(٤٥) علائف بمعنى رواتب واجور .

(٤٦) صوف التفتيك (بيكونيا) لعله يريد النبات المعـروف باسم بينيونيا أو بيكونيا وهو انواع ومنه نوع قطني .

(٤٧) سيأتي وصفه .

(٤٨) يريد مدينة لاهافانا(La Havana) عاصمة كوبا (Cuba)

١٠ ـ السفر الى باناما :

فاما انا الحقير قصدت مرافقة هؤلاء التجار للبـيروه . فاستكريت ثلاثة بغال بتسعين غرشا فاما الحاكم ما اراد يخليني ان اروح وحدي لسبب الجبال التي يوجد فيها نوع من الحشيش يشبه الخيزران الرفيع . فلما يمر عليه رجل ابيض عابر الطريق يرتفع من الارض مثل عود السهام ويدقر (يمس) الانسان . ولا يشفى المصاب بهذه الدقرة الى الموت لكنه لا يدقر الهنـود العبيد ولا يضرهم . فلما حكى لي الحاكم بهذا الشيء قلت له لا اصدق ان لم ار بعيني فقام ارسل معي خادمه وهو احمر حتى يريني ذلك الحشيش فلما وصلنا الى الموضع الذي يوجد فيه هذا الحشيش جاء الخادم الى جانب فرسي واختفى فما رايت هذا الحشيش وهو بعيد عشرة اذرع عن الدرب الا وارتفع وامتد ان يجي يلدغني . فخرج الاحمر صاح عليه دونك ياكلب فلمـا صاح عليه وقع على الارض وانا شاهدت ذلك بعيني(٤٩) . وايضا في هذا الجبل رايت اغصانا ساوية معدلة من غير ورق . وفي كل غصن ثلاثة جوزات مثل القطن . فاذا انفتح جانب الجوزة رايت داخلها حمامة بيضاء بجناحها ورجليها ومنقارها احمر وعيونها سود فهذه يسمونها زهرة الروح القدس وكثـير من حـكام السبنيولية ارادوا ان يحضروا منها ويزرعوها في اسبانية فما قدروا(٥٠) . فمن بعد خروجنا من بورتو بلو عبرنا في نهر صغير قليل الماء لكن محجر فمشينا فيه ثلاث ساعات(٥١) . ومن بعـد ذلك صعدنا الى راس جبل لنرقد تلك الليلة . وهذا المنـزل سمى بوركارفون . وثاني يوم سافرنا ورقدنا في منزل آخر يسمى جاكري . ومن ذلك المنزل دخلنا الى البلدة التي تسمى باناما الجديدة لان من سابق عام كان قد احترقت باناما القديمـة(٥٢) ولما وصلت الى البلد رايت كل البيوت معمرة من خشب . وثاني يوم نزلت عند اسقف هذه البلدة ورايته رجلا قديسا فصار لي معه صداقة عظيمة حتى تخاوينا مع بعضنا البعض فهو اعطاني خاتمه وانا ايضا اعطيته خاتمي . وهذا الاسـقف النبيل كان اسمه دون انطونيو ده ليون واعطاني عكازته الصغيرة التي كان يمسكها في يده . وبقيت في هذه البلدة مقدار شهر .

١١ ـ من باناما الى غوايا كيل في بلاد البيرو :

ثم ركبت في مركب وسافرنا في بحر القبله الذي يسـمى البحر الازرق قاصدين بلاد البيروه وكان قبال هذه الاسكلة باناما جزيرة صغيرة مسكونة تسمى تابوكا (Taboga) قريبة مـن الاسكلة المذكورة ثلاثة فراسخ ففي الحين صادفت برفقتنـا في المركب رجلا خيرا يدعى قبطان فرنسيسكو من بلد طروخيليو . فلما وصلنا الى هذه الجزيرة وكان دخل من الليل ساعتان قال

(٤٩) نستغرب هذا الوصف فقد طالعنا رحلات معاصريه ونقرنا في كتب العلم فلم نر الباتا لما ادعى صاحبنا انه رآه مرأى العين وقد يكون هناك خزعبلة أراد بها الحاكم أن يمنع سائحنا عن السفر اللهم ان لم نأول كلامه فنعزوه الى وصف الثمرة المعروفة باسم (Hura crepitans) التي اذا ما نضجت تفرقعت بدوي كدوي اطلاق بارودة .

(٥٠) لعلها الزهرة المسماة (Polygala) مع المبالغة في وصفها .

(٥١) هو نهر شافر (Chagre)

(٥٢) اغار القراصين الانكليز بقيادة زعيمهم مورغان (Morgan) سنة ١٦٧٠ على باناما فنهبوها واحرقوها فأعاد الاسبانيون اعمارها قبل وصول سائحنا بمدة قصيرة .

في القبطان بان نمضي ونرقد في البر لان حاكم الجزيرة هـــو صهري فطاوعته ونزلنا على كلك صغير حتى نطلع للبر وهـــذا الكلك هو خمسة خشبات فلما اقتربنا من المركب قاصدين الارض انقلب الكلك والوقت ليل وعتمة . فانا لما نظرت روحي في الماء فخبطت وتعلقت بالكلك بتلك العكازة التي كان اعطاني اياهـا الاسقف . وهكذا اعاننا الرب ووالدته مريم العذراء حتى اننا خرجنا ثلاثة انفار الى الارض بغير ضرر البتة وسكنا هنا ثلاثة ايام الى ان حمل مركبنا ماء للشرب ثم بعد الايام المذكـــورة سافرنا في البحر والارض كانت قريبة من شمالنا . وايضا يوجد في هذا البحر في دربنا مكان يسمى كوركونـــا (Gorgone) يعني دوار البحر فاذا وقع مركب هناك يبقى خروجه امر عسـير الى وقت ما تأتيه ريح عاصفة تخرجه من هناك والا يهلك اناسه من الجوع . وهذا البحر السفر فيه مخاطرة بسبب شـــدة امواجه يسمى البحر العجاج المتلاطم بالامواج لان العابر فيـه مفقود والخارج منه مولود فلولا عناية الله الذي عاننا حتى اننا خلصنا من شر امواجه فبقينا على وجه الماء مقدار شهر الى ان سهل لنا الباري عز وجل اسمه فوصلنا الى مينا يسـمى سانتا ايلينا (Hélène) يعني قديسة هيلانة . ثم رسينا هناك وكان في رفقتي ثلاثة رجال كرماء رايحين ليحكموا كل واحـد في منصبه . فبعد ان حصلنا في الارض وبقينا خمسة ايام من خوف من شر البحر قصدنا ان نمشي في البر ولو صار لنا تعب عظيم لبعد الدرب .

حينئذ اخبروني في هذا الميناء عن رجل من الهنود عمـره مائة وخمسون سنة فقصدت ان اروح ازوره فنظرته صحيـح الجسم عتيق الايام . فابتدى يحكي لنا عن الايام السالفة وذكر لنا قائلا ان بالقرب من هذا الميناء بفرسخ واحد يوجد مغـارة كبيرة وهناك مدفونون اناس من الجبابرة وايضا اخبرني بـان والده كان حكى له ان لما وصلت مراكب السبنيولية الى تـلك البلاد واكتسبوها كان الهنود يظنون ان المراكب هي حيتان البحر وقلاع المراكب كانوا يظنونها جناح الحيتان لان الى ذلك الحين ما كانوا راوا مركبا . ولما كانوا ينظرون الى الخيل وراكبيهـا كانوا يظنون ان الفرس وراكبها شقفة واحدة . ثم اني لما سمعت عن الذي جرى في تلك البلاد وعن الجبابرة المدفونين هناك صار لي رغبة ان انظر ذلك عيانا فاخذت معي رفقاء من الهنود التي عشر نفرا مستعدين بالسلاح ورحنا قاصدين تلك المغارة لننظر الذي سمعناه . فعند وصولنا اليها اشعلنا الشمع الذي كان معنا لخوفنا ان نضيع داخل المغارة فصرنا والشمع بيدنا وفي كل عشر خطوات اوقفنا رجلا في يده الضوء حتى لا نضيع درب الباب . وانا تقدمتهم وسيفي مسلول في يدي . ثم اني وصلت حيث موضوعة العظام فنظرتها ثخينة واما الجماجم فهي كبيرة جدا فقمت قلعت من احدى الجماجم سنا اي ضرسا كان هذا قد كبره حتى انه كان يزن مائة مثقال لثقله . وايضا تاملت في عظم الساق وقست احدها فكان طوله خمسة اشبار . ففي بعـض البلاد عمل احد المصورين قياسا وتخمينا لهذا الجسم فوجـد ارتفاعه خمسة وعشرين شبرا . ثم خرجنا من المغارة متعجبين جدا مما نظرنا وانا اخذت معي الضرس المذكور(٥٢) .

١٢ـ وصف التمساح المعروف باسم قيمان (Caiman)

ومن هناك توجهنا الى الميناء واستكرينا خيلا وخرجنا مع الهند قاصدين كورة واياكيل (Guayaquil) وهي ايضـا ميناء البحر الازرق وهي درب اربعة ايام . والدرب حـرش واشجار وبعض انهر صغار ويوجد فيها حيوان كمثل التنـين يسمى قيمان كالتمساح وفمه واسع وطويل مقدار خمسة اشبار وطول جسده خمسة اذرع . هذا اذا صادف انسانا يبتلعه في الحياة ولكن الانسان الميت لا ياكله فيخرج من الماء ويطوف قرب النهر فاذا وجد انسانا ام حيوانا بالحياة يبتلعه ويركض على يديه ورجليه كمثل يدي السباع . فاذا جاء فرس ام ثور يشرب ماء من النهر فيطف عليه ويسحبه من مناخيره ويوديه فيجتمع عليه البعض من هؤلاء الحيوانات ويقطعوه وياكلوه . فاذا اراد الكلاب ان يشربوا ماء ينبحون اولا على حفة النهر فيسمع هـذا الحيوان صوتهم فيخرج ليبتلعهم . فعند ذلك يرجع الكـلاب هاربين وراكضين الى مكان آخر ليشربوا الماء لعلمهم ان القيمان هو في المكان الذي نبحوا . هكذا يتحايل الكلاب على القيمـان . واما الحيلة التي يصطاد بها الهنود هذا الحيوان فالاولى هي انهم ياخذون عودا قدره نصف ذراع وراسا العود منحوتـان نحتا رفيعا ويربطون في نصف العود حبلا متينا . وهذا العـود يشوونه ويصقلونه مثل السيف حتى يبقى صلبا مثل الفولاذ ثم يروح احد الهنود ويجلس كامنا على جانب النهر فلما يخرج هذا الحيوان وينظر الهندي فيقصد ابتلاعه ويفتح فـاه ليبتلعه حينئذ يدفع الهندي ذلك العود المنحوت في فم الحيوان وهو ماسكه بيده فلما يقصد ان يطبق فاه ينغرس في فمه من الطرفين وكلما يعض عليه ينغرس في لحمه ثم يسحبونه بعزم شديد الـى الارض ويجاهدون ان يقلبوه على ظهره ليمنعوه عن المشي حينئذ يقطعونه شقفا . واما الحيلة الثانية التي يصطادونه بها فهي ان احد الهنود ينزل في النهر وفي يده حبل ويغطس تحت المـاء ويصل الى هذا القيمان وهو طايف على وجه الماء ويرمي خربوته (كبة) الحبل على نصف ظهره وهو تحت بطنه يحكمك لـه وهو لاط الى بينما يرتبط في بطنه بالحبل من نصفه ثم الهندي يسبح هاربا منه لان هذا الحيوان لا يقدر ان يفترس شيئا تحت الماء لكن خارج الماء فاذا خرج الهندي من النهر حينئذ يجتمع الرجال ويسحبون هذا الحيوان المربوط الى خارج الماء ويقتلونه وانا نظرت بعيني لما اصطادوا اثنين منهم بسبب ان واحدا من الحيوانات كان قد ابتلع صبيا من رفاقنا ونحن راكبون في الكلك. وهذا الصبي كان خادم خوري هذه الكورة . فصعب على الخوري وامر ان يجتمع الهنود لصيد هذا الحيوان فاصطادوا اثنين منها فشقوا بطونها فوجدوا شقف جسد الصبي المذكور فاخرجوهـا واخذها الخوري فدفنها . وهؤلاء الحيوانات كثيرة العدد وفي بعض الاوقات يخرجون من النهر ويضجعون بجانبه على الارض وفمهم مفتوح الى الهواء فياتي عصفور صغير ويدخل في فمـه ويبدأ ينقر من وسخ اسنانه فيشبع العصفور ويرجع طايـرا والحيوان يطيب له بتنظيف اسنانه .

١٣ـ من غوايا كيل الى كيتو :

ثم وصلنا بعد اربعة ايام الى بلدة غواياكيـــل المذكورة .

---

(٥٢) ذكر مرارا السائحون في بيرو عظام الجبابرة القدم . قال كوربال من معاصري رحالتنا في سفرته الى ضـــواحي غواياكيل : « وقد ذكر لنا الهنود ان قوما من الجبابرة كانوا يسكنون ارضهم فنزل شاب من السماء واباده‍ـم بالنار وقد لجأ بعضهم الى المغاور والكهوف فماتوا فيها حريقا » وذكر غيره انه قاس سنا فكان عرضها ثلاث اصابع وطولها اربع اصابع . وهذا يثبت كلام سائحنا . لكنهـا عظام بعض الحيوانات القديمة لا عظام بشرية .

وهذه البلدة مسكونة من الهنود والاسبنيول وصار لنا من اناس هذه البلد اكرام زايد ولاسيما من رهبان مار عبدالاحد . وبعد ان مكثنا هناك عشرة ايام خرجنا قاصدين قرية تسمى بابـا (Baba) مسكونة من الهنود والسبنيولية وهي ارض سخنة ويوجد هناك بساتين فيها جنس اشجار كاشجار التوت تحمل ثمرة تسمى كاكاو (Cacao) يعملون منهـا الچيكولاتـا (Chocolat) وهذا الثمر تراه مثل البطيخ متعلقا وملتصقـا على جسم الشجرة . فلما يبلغ ويصفر ياخذونه ويقطعونه ففي داخله يخرج الثمر وهو حبوب اخشن من الفستق ثم ييبسـونه حتى ينشف وبعد ذلك يقلونه فتراه كالقهوة في اللون والطعمة والريحة لكن كثير الدهن ومن دسامته يصير مثل العجين ويضيفون اليه من السكر على قدر الحاجة وكذلك ايضا من القرفـة والعنبرخام ويجلبونه عجينا ويجعلونه اقراصا وينشفونه بالفيء. ومن هذه الاقراص يغلون الچيكولاتا ويشربونها مثل القهـوة . وهذا الثمر هو سالك عند الكل في جميع بلاد النصارى ياتون به من هناك ويبيعونه .

ثم خرجنا من هذه القرية قاصدين بلدة تسمى كيتو فمرنا وجزنا على قرية اخرى تسمى بوليكاس دي سان انطوان فيوجد بهذا الدرب جنس قصب ارتفاعه اربعون ذراعا وثخن القصبة اغلظ من مطواية نول الحايك ومن عقدة الى عقدة ذراع . فهـذا القصب يجعلونه صواري أعني غطاء لسقف البيوت والبعض منه ممتليء ماء ابيض وحلو وانا شربت منه . ثم اني امرت المكاري ان يقطع منهم ست عقد تكون مملوءة ويحملها على بغـل(٥٤) . وايضا يوجد في هذا الدرب اجناس وحوش كمثل السـعدان والميمون الوان واشكال . وايضا من قسم الطيور يوجد الفره التي تتكلم وطير اخر يسمى باكامايا وهو بقدر ديك كبير . لكن ريشه ملون شيء عجيب . ثم جزنا على قرية تسمى كوتليو . ومن بعد اربعة فراسخ عدينا على قرية تسمى انبات وايضـا يوجد في هذا الدرب جبال محاطة بالثلج . ومن رأس احد هذه الجبال يخرج نار بولكان(٥٥) (بركان) . ففي احد السنين خرج من هذا الجبل نار كثيرة كرعد عظيم وصار دخان زايد ورمـاد حتى غطى الجو وما بقي تبان السماء ولا الشمس مقدار ساعتين ومن بعد ذلك انحصر هذا الغيم وحرق كل شـيء وجـد من الحشائش على وجه الارض وعكر الانهر ومن هذا الشيء صار طاعون في جميع جنس الحيوان لعدم قوتهم ثم . اننا وصلنـا الى قرية تسمى نشبيت ومنها رحنا الى قرية اخرى تسمـى لاتاكونكا La Tacunga وفيها دير راهبـات من طائفـة الكرملتانيين قد بناه رجل صالح وهو اسقف بلد كيتو . وصرف على عمارته واقامته مايتين وخمسة وعشرين الف قرش . وهـذا الاسقف يسمى دون الونصو بينيامونته نيسكره . وبهذه القرية جاء الى ملاقاتي اربعة رهبان من رهبنة مار عبدالاحد ارسـلهم رئيسهم فاخذوني الى بلد كيتو (Quito) وانزلوني في ديرهم لان رئيسهم كان سمع ان معي امر تثبيت هـذا الرئيـس من جنرالهم الذي في رومية .

١٤- كيتو وضواحيها :

ثم اني استقريت في دير رهبان مار عبدالاحد مقدار ساعتين فسمع حاكم هذا البلد من قدومي ونزولي في الدير فغطى سرايته

(٥٤) ذكر دولوا (d'Ulloa) هذا القصب في سفره من غواياكيل الى كيتو ووصفه موافق لما قال الكاتب .

(٥٥) هي جبال (Catoqaxi) و (Cargairaso) وفيها فم بركانية .

وجاء سريعا زارني وهو مغتاظ وعاتبني على ذلك . فقلت له : « تعلم ياحبيبي ان الرهبان خرجوا لالاقاتي قناقين(٥٦) واتوا بي الى ديرهم . قل للرئيس وخذني الى سـرايتك » . فما رضي الرئيس ان اطلع من الدير لكن تشارطوا مع بعضهم وفرضـوا ان اكون طول النهار مع الحاكم واتغدى معه وفي الليل مع الرئيس وارقد في قلايتي انا وخادمي . لان هذا الحاكم المبارك كان رفيقا معي من اسبانية وجئنا جملة في مركب واحد وكلما كانوا يضيفوني في المركب من الطعام المفتخر كنت اوجبه وصرنا اصحابا بالصدق وهذه البلدة حيث يسكن الاسقف هي غنية بالاموال ومزخرفة بالكنائس والديورة . والاسقف المذكور كان غنيا جدا لـكن عديم الكرم بخيلا في العطاء . واما الماء الذي يشربونه في هـذه البلدة فهو عاطل . فتجد اكثر الناس يصير لهم مثل غدة كبيرة نازلة تحت حلوقهم . ويسكن في هذه البلدة هنود وايضا سبنيول فبقيت فيها شهرين . واما ذلك الضرس المذكور الذي كنـت اخرجته من عظام الجبابرة الذين بمغارة ساتنا ايلينا فكان لرجل من اصحابي بنت في دير الراهبات فجاء تدخل علي حتى يريـه لبنته . فانا طاوعته كصاحب وسلمته الضرس فلما رأته الراهبات فمن يد واحدة الى يد اخرى ضيعوه (اخفوه) وما عدت وجدته ورمى اسقف البلد حرما حتى يظهروه فما صار ذلك ممكنا . وكانت في هذا الدير راهبة في مرض نزيف الدم ثماني سـنين . فلما اضافني الاسقف عنده طلب مني ما هي منفعة الماء الـذي يخرج من ذلك القصب المذكور اعلاه فقلت له : انا قرات في بعض الكتب وفهمت ان ماء القصب نافع للذين بهم نزيف الـدم . فطلب مني ان اهدي هذه الراهبة من ماء القصب فاعديتهـا وشربت منه سبعة ايام فبرئت من علتها . وايضا رايتهم يصنعون في هذا البلد جوخا مثل جوخ اللوندرا(٥٧) (لندن) . وايضـا حكوا لنا عن جبل عندهم ان منه خرجت من مدة سنين نار كمثل الرعد واصعدت هذه النار بعزم قوتها حجارة محرقة وحذفتهـا بعيدا عن الجبل مقدار اربعين فرسخا(٥٨) .

وذكروا لنا ايضا ان من سنين بينما كان احد الهنود يفلح الارض وجد ايقونة مريم العذراء مطمورة في الارض وهي عجيبـة جدا في الرؤيا . فاخذها الى بيته واخفاها في صندوق له . فلما جاء ثاني يوم الى الحقل ليفلح وجدها في الحقل فاعادها ثاني مرة الى بيته . فثالث يوم جاء ايضا ليفلح فوجدها هناك . ففعل كذلك عدة مرار وما امكنه ان يضبطها في بيته . ثم انه اعلم بذلك اسقف البلد فخرج حينئذ الاسقف واستقبلها باكرام واخذهـا بزياح الى مكان قريب من البلد وبنى لها كنيسة شريفة واسكنها هناك . وتسمى كنيسة مريم العذراء جكيكواه على اسـم تلك الضيعة ويقصدونها من كل النواحي للزيارة . ولما يحدث في هذه البلدة طاعون ياخذون هذه الصورة ويخرجون بالزياح الى بلد

(٥٦) قناق (قونق) كلمة تركية معناها نزل السفر أو المرحلة بعد قطع السفر .

(٥٧) هو الجوخ العادي المصنوع أولا في لندن ثم في جنـوبي فرنسة وقد اشتهرت في القرن السابع عشر والثامن عشر معامل اللنغدوق (Languedoc) في فرنسة التي كانت توفد الى الموانيء الشرقية في كل سنة نحوا من خمسة عشر الف قطعة أو ثوبا لمن القطعة أو الثوب مايتا فرنك. اطلب Histoire du Commerce Français dans le Levant au XVII Siècle par Paul Masson

(٥٨) هو جبل بيشنشا pichincha وقد انفجر انفجـارا مهولا سنة ١٦٦٠ فاحرق كل الضواحي .

كيتو فتبقى عندهم تسعة ايام بكل اكرام ووقار وبواسطة هذه الشفعية ينقطع الطاعون عن البلد . ثم يرجعونها ايضا بزياح الى كنيستها في الضيعة المذكورة .

وايضا ذكروا لنا ان خارجا عن هذه البلدة درب اربعة وعشرين فرسخا نهر يخرج من تلك الجبال . وعندما يزيد يرمي على الارض من قلب الجبل رملا مخلوطا بذهب . فهناك اناس يعرفون الزمن الذي ينقص فيه النهر فيذهبون ويغربلون النهر ويغربلون النهر ويعزلونه من الذهب فانا نويت ان ابصره بعيني. فاشار علي اناس ان لا اروح لان السلوك في هذا الدرب صعب جدا لاجل ذلك قصرت المسير اليه لكني اشتريت من ذلك الذهب في بلد كيتو .

ثم اني بعدما بقيت في هذه البلدة شهرين خرجت قاصدا قرية تسمى اوطاوالو وفوق هذه القرية خيط يسمى في حكم الافلاك باللسان الفرنجي لينيا (Linea) (٥٩)وتجد سكان هذه القرية عديمي اللون مورمي البطون وذكروا ان في بعض الايام تسقط من الجو طيور ميتة . وهناك ما يوجد فيه غير ظل الاشجار والشمس دائمة لا تغيب . وايضا ذكروا لنا ان خارج هذه البلدة كيتو بمقدار خمسة وعشرين فرسخا يوجد هنود من الكفرة وهناك يروح قسوس يكرزون بايمان المسيح فاحضروا معهم من تلك الاراضي زهر اشجار القرفة . ولكن مايوجد اناس يفهمون تربية هذا الدارصين واصلاحه مثل الدارصين الذي يجيء من عند الشرق لانه حاد يحرق والهنود لا يريدون أن يكتشف عليه السبنيول حتى لا ياخذوا بلادهم . وايضا ذكروا لنا انه يوجد هناك جوز الطيب والهنود يجمعونه وهو اخضر مثل الزيتون الكبير ويرسلونه الى كراكس (Caracas) وهناك يبيعونه للانكليز والاولنديز ولا للسبنيولية . وايضا في تلك الكورة دائما صواعق وامطار شديدة .

١٥ــ من كيتو الى كوانكا ــ وصف عيد الثور :

ومن هناك رجعت الى بلد كيتو ومنها خرجت قاصدا القرية لاتاكونكا (La Ta cunga) ومن هناك الى قرية انبات (Hambato) التي تبعد عشرة فراسخ من كيتو . ومنها الى بلد تسمى ريوبانبا (Riobamba) وهذه بلدة جميلة العمائر ولطيفة الكنائس واناسها اغنياء واشراف فنزلت في دير مار عبدالاحد وقبلوني بفرح عظيم مع زائد الاكرام . وقعدت هناك . وعوائد قداس هذه الرهبنة تشاكل لبعض عوائد قداسنا فلهذا السبب انشرح خاطرهم عند استماع قداسي(٦٠) وانا بعد ذلك بقيت هناك ثمانية أيام . ثم خرجت قاصدا بلدة تسمى كونكا (Cuenca) فبعد سبعة ايام وصلنا اليها وكان دربنا جبالا وثلوجا وتسمى هذه الجبال بارامو (Paramo) لشدة البرد الذي هناك . ففي هذا الدرب يوجد نهر منحدر من الجبال التي يسكنها الهنود الكفرة فذكروا لنا ان من مدة سنين كان اولئك الهنود قد عملوا لهم خمسة سنابك صغار وركبوا فيها وانحدروا الى ان وصلوا الى الدرب الذي يمر به التجار السبنيولية فبينما كانوا ذات يوم مجتازين من هناك ومحملين ثقلا من البضائع خرج عليهم الهنود المذكورون فترك اناس القفل احمالهم وانهزموا لخوفهم من القتل . ثم ان الهنود فتحوا الاحمال واخذوا من البضائع الذي اختاروا وتركوا لهم عوضها اقراصا من ذهب . فاتى اهل القفل واخذوا ذلك الذهب عوض متاعهم .

واما انا فبعد وصولي الى هذا البلد كونكا المذكورة صار مزاجي ضعيفا وبقيت مطروحا في الفراش عشرة ايام معالجا من الاطباء . لكن شافية المرضى مريم العذراء اعطتني العافية . وحاكم تلك البلدة كان صاحبي لانه كان رفيقنا في المركب لما سافرنا من اسبانية فاراد أن يعمل لي فرجة لاجل انشراحي وهذا المفترج يسمونه في بلاد اسبانية عيد الثور ويلعبون على هذا النوع : اولا يحوطون ساحة برفوف وخشب ثم يضعون خوانات شيئا فوق شيء يعني كمثل الدرج ويجتمع الناس ويجلسون فوق هذه الخوانات ويستكرون كل واحد منهم لاجل الفرجة . وبعد ذلك ياتون الى تلك الساحة بثور من الثيران البرية الوحشية ويكون ذلك الثور مسجونا . فعندما يفلتونه على غفلة في تلك الساحة المحاطة بالناس يجري الثور جازعا وما ينظر له دربا ينفذ منه . فبعد ذلك يدخل اليه خيال وفي يده رمح ويتلاعب مع الثور والثور يهجم عليه فيهرب منه وبعد ذلك يقتل الثور . والثور ايضا بعض احيان يقتل الفرس وفارسها بقوة قرونه ، وهذا العيد والمفترج في كل ملك اسبانية اعتادوا ان يصنعوه في موسمه كل عام .

١٦ــ معادن الذهب :

ومن بعد ذلك خرجت من هناك قاصدا قرية تسمى خاوخا(٦١) فسرنا في صعوبة الامطار ليلا مع نهار مقدار ثلاثة ايام ودخلنا الى خاوخا وبقيت هناك يوما وليلة من شدة البرد وكثرة الامطار وثاني يوم خرجت منها قاصدا الجبال التي هي معدن الذهب الى قرية تسمى صارونا (Zaruma) فصرنا في درب عسر المجاز بين الجبال مقدار ثلاثة ايام . ووصلت الى تلكالقرية المذكورة وهي على راس جبل وحولها المعادن الذهبية . فنظرت جميع تلك الصنائع التي بها يستخرج الذهب من الحجارة . اولا يطلعون الحجارة من المعدن ويسحقونها بطاحون الماء وحينئذ يغسلون ذلك التراب المسحوق ويقطعون منه الذهب بتصويله في الماء . ثم يذوبونه ويسكبونه اقراصا . وانا اشتريت من ذلك الذهب اربع مئة مثقال لان ما كان زمان شغل كل الطواحين . وبعد عشرة ايام اردت ارجع الى دربي لكن خوري تلك الضيعة قال لي ان يوجد درب اخر وهو احسن من دربك لكنه درب قفر خال من الناس والقرى فتحتاج ان تاخذ معك زوادة كفاية خمسة ايام . فوقفت لشوره وطعت لقوله وحملت معي ما احتاج من الزوادة واخذت معي رفيقين اعني مكاريين الواحد منهما هندي والآخر مستيسو يعني ممزوج امه هندية وابوه اسبنيولي .

١٧ــ اسفار واخطار :

ثم سرنا في درب عاطل بين الجبال يوما وليلة . فاراد الشيطان ان يطغي ذلك المكاري المستيسو لانه كان قد نوى قتلي لكنالله تعالى كشف نيته على يد خادمي فاخذت منه السلاح وبقيت متحذرا على روحي الى وقت ما وصلنا الى ثلاث قرى مقتربة لبعضها الواحدة تسمى باسيليكا والثانية جونجوناماه

---

(٥٩) معنى لينيا الخط يريد به خط الاستواء .

(٦٠) لرهبان مار عبدالاحد (الدومنيكان) بعض طقوس قديمة في ليتورجية القداس خاصة بهم تقترب من عوائد الشرقيين وهي لاتزال مرعية عندهم الى ايامنا .

(٦١) هكذا في الاصل واسم هذه المدينة في الخرائط لوخا (Loja)

والثالثة واكالتها فلما نظرني سكان هذه القرى الذين هم هنود تحيروا مني قائلين : كيف دخلت في هذه الدروب العسرة اما انك نبي او قديس . وقسوسهم ايضا هنود مثلهم لكن هنود تلك البلاد ليس لهم ذقون بل بعض شعرات ثابتة في حنكهم . ولاجل اني كنت رجلا كامل اللحية فكانوا يتعجبون مني قائلين انني ذو شجاعة شديدة بحيث جزت تلك البلاد .

ثم ثاني يوم خرجنا من هناك مسافرين وقاصدين قرية تسمى طابيه (Amotapé) فبينما ذاك ليلة وانا نائم تحت الخيمة عمل رفيقاي الاثنان المذكوران ما بينهما شورا وتدبيرا على قتلي وانا كان معي صبي صغير من اولاد الهنود وكان يعرف اللسان السبنيولي وهذا الصبي قام في الليل والا سمع كيف انهما تشاورا على قتلي . فاسرع الصبي مرتعشا الي وفيقني واعلمني بهذا الامر لكن بتوفيق الله تعالى انفرد تلك الليلة بغل من البغال وظل هاربا بين الجبال . فاخذ رفيقي المستيسو المذكور يركض خلفه طول الليل ورجع به عند طلوع الشمس . فذلك الوقت اخذت منهما اسلحتهما لان ما كان معي سلاح ومن خوفي من مكرهما اخذت السيف بيدي وناديت المستيسو وقلت له : ابرك(٦٢) على ركبتيك واصدقني كيف طفاك الشيطان على هذا الفكر اعترف امامي بالصحيح . فاقر معترفا وطالبا مني ان اغفر له واسامحه . ثم بعد خمسة ايام وصلنا الى تلك القرية المذكورة . فمن قبل دخولنا الى القرية بين الاشجار هرب هذان الخائنان من خوفهما وتركا بغالهما فجاء خوري الضيعة واقتبلني باكرام . ثم اني حكيت له عن الاحوال التي عرضت فقال لي : الله نجاك من شرهم لان اخي هكذا قتلوه في هذا الدرب . وهذه القرية يجري بجانبها نهر يسمى نهر كولان (Fleuve Colan) وفيه سمك زائد وهو كنهر الدجلة . فذاك اليوم جزت هذا النهر ووصلت الى بلد يسمى كولان (Ville de Colan) كله هنود . ثم نزلت في بيت الخوري وكانت ليلة عيد مار يعقوب اخي الرب . فعزمني الخوري ان اقدس ثاني يوم وكل النذر الذي يقدم للخوري يكون لي انا . فقدست ثاني يوم وحضر جميع الهنود قداسي وكان عددهم اربعة آلاف نفر . وبعد خلوص القداس جلست على كرسي وعملت بركة اعني خبزا مباركا . فبقي الناس يجيئون يبوسون يدي وياخذون البركة ويرمون النذر في الصينية . فبعد خلوص ذلك نظرت اجتمع من النذر مقدار مائتين وخمسين غرشا .

١٨ــ مغارة الذهب في بيوره (Piura)

فبعد يومين كتبت الى حاكم بلد بيوره ان يرسل لي تختروان الذي يسمى بلسان السبنيولي ليتيرا(٦٣) لان هذا الحاكم كان مرافقنا من اسبانية مع عياله . ففي حال وصول مكتوبي اليه ارسل لي التختروان . لان في تلك الارض يصير تعب عظيم للذين يروحون راكبين الخيل بسبب الحر والرمل . فجزنا الى ميناء على ساحل النهر يسمى بايتا (Payta) وهي بعيدة من كولان فرسخين ومنها سافرنا بالليل الى بلدة تسمى بيوره درب اربعة عشر فرسخا . فنزلت في دار الحاكم واقتبلني بزائد الاكرام . وهذه البلدة ساكنوها اسبانيولية مع هنود اغنياء وبها كنائس مزخرفة ومحتشمة .

وذكروا لنا ان من مدة خمس عشرة سنة كان رجل من اشراف الهنود يسمى كاسيكي وكان غنيا وما له سوى بنت واحدة . فيوما من الايام سافر ابوها الى غير بلد . فالبنت المذكورة نظرت رجلا لابسا ثيابا حقيرة فقالت له : ما بالك لابسا هذه الثياب الدنية . فاجابها قائلا : لشدة فقري وعازتي . فاجابته قائلة : ان كنت تكتم السر فانا اعطيك من الخيرات حتى ارضيك واغنيك . فقال لها : نعم هكذا يكون . فوعدته هذه البنت ان لما يحين الليل يجيء ينتظرها في المكان الفلاني فتاخذه الى مغارة ابيها التي هي خارج البلد ثم انها اخذت ذلك الرجل بعد ان ربطت عينيه وقادته الى المغارة المذكورة كضرير . فلما وصلا الى المغارة حملته من اقراص الذهب على قدر ما يقدر حمله ورجعت الى قرب البلد وفكت الرباط عن عينيه واطلقته بسبيله . فلما جاء ابوها من سفره قصد ذات يوم المسير الى المغارة ونظر في باب المغارة اصل دوسة مداس فعلم ان ذلك الكشف صار من بنته فسقاها سما وماتت وهو ايضا مات على غفلة والى اليوم يستقرون المغارة وما قدروا ان يلاقوها .

١٩ــ من بايتا الى طروخيليو :

وبعد ان مكثت هناك عشرة ايام خرجت قاصدا قرية تسمى ليليوا فسرنا في درب مقفر عديم الماء وكله رمل مثل ارض مصر وكل اهل هذه القرية هنود لكن قسيسهم فقط اسبنيولي فالبعض منهم نصارى حقيقيون والبقية نصارى من خوفهم . وثاني يوم خرجت قاصدا بلدة للهنود تسمى لمبايك(Lombayeque) وهذه البلدة كبيرة يسكنها هنود اغنياء وبعض من السبنيولية . فعزمني وكيل الاسقف الذي هناك الى داره وطلب مني ان اقدس يوم الاحد واكرز على الهنود باللسان السبنيولي . فقدست نهار الاحد وكرزت عليهم وكان في الكنيسة خمسة وثلاثون قسيسا ومقدار ثلاثة آلاف نفس من العوام فصار لهم انشراح عظيم من تلك الكرزة وكانوا يتعجبون مني بسبب الذقن وتغيير الثياب وكانوا كلهم يكرموني ويتباركون مني لاني وهبت لهم مسابح وصلبانا من القدس . ثم بعد خمسة ايام خرجت من هناك قاصدا بلدة تسمى سانيا (Sagna) وهذه بلدة كبيرة يسكنها هنود واسبنيولي . وفي جانب هذه البلدة يسلك نهر كبير وكنت اسافر في الليل لشدة الحر وانا راكب في ليتيرا اعني تختروانا.

فذات ليلة تغافل المكاري ونعس فضل البغال عن الدرب ودخلت في الحرش بين الاشجار وهذا الحرش داخله عظيم لا له اول ولا آخر . فلما فقت على ذلك امرت خدامي ان ننزل هناك لئلا نتيه ازيد عن الدرب ونهلك مثلما جرى لاخرين . فلما صار الصبح قلت للمكاري الهندي ان يعمل نارا كثيرة ودخانا عظيما . فاما رفقاتنا فكانوا سبقوني الى المنزل . فلما نظروا اننا تعوقنا علموا اننا تهنا عن الدرب فارسلوا اناسا ليفتشوا علينا . فانا قلت للمكاري ان يصعد الى راس شجرة عالية وينشر علما ابيض يعني بيرقا فثاني يوم قريب نصف النهار وصل الينا اولئك المفتشون فراونا هناك على نيشان ذلك البيرق واغتاظوا على المكاري كيف انه حاد عن الدرب . واكثر اشجار ذلك الحرش من اشجار القطن ما لهم اصحاب وهو خشن جدا قدر الرمان وحبه قوي صغير لكن شعرة هذا القطن طويلة كالصوف وكل من يريد من الهنود يروح ياخذ قطنا على قدر حاجته . وينسجون منه ميازر للنساء وغيرها من الحوائج اللازمة فوصلنا بعد يومين الى البلد المذكور الذي يسكنه اسبنيول وهنود وحاكمهم يسمى جنرال . فبقيت هناك اربعة ايام بعز واكرام من الجنرال ومن وكيل الاسقف . ثم خرجت من هناك

---

(٦٢) اي اجلس وهي كلمة حلبية .

(٦٣) Litera وبالفرنسوية Litière وتختروان كلمة فارسية مركبة من لفظتين معناها سرير السفر .

قاصدا بلدا يسمى طروخيليو (Trujillo) فسرنا درب عشرة ايام وهو درب عسر قليل المنازل وعديم المعاش وكنت قد اخذت معي ما اعتاز اليه من قسم الاكل والشرب وكان لي حصان وبغلة بدك(٦٤) لما يكون الوقت بروده كنت اركب عليهـا واذا وغلت وتعبت من الركب كنت ادخل الى التختروان . فجزت الى هذه البلدة المذكورة وهي كبيرة يسكنها اسقف وكان حينئذ الاسقف قد توفي وبقي الكرسي خاليا . وفي هذه البلدة رهبـان من رهبنة مار فرنسيس ورهبنة مار اينياسيوس اليسوعية وايضا قسوس وخوارنة جميعهم مقدار الفي كاهن . فعزمني رهبان مار فرنسيس ان اقدس عندهم وكان نهار عيد مـار فرنسيس الذي دائما يحكم في تشرين الاول . فرحت قدسـت هناك فكانت الكنيسة ملآنة من الناس فانشرحوا كثيرا من قداسي لان كان معي آلة القداس والبدلة التي كان انعم علي بها سيدنا البابا . وكان نيشانه وختمه مرسوما عليها . وكان الناس يأتون ويتباركون منها .

٢٠ـ سفر الى ليما :

فمن بعد ان بقيت في هذه البلدة عشرة ايام رجعت قاصدا بلد خامار (Cajamarca) التي هي في راس جبل وكان يسكنها ملك الهنود الذي كان يسمى اينكارسوف . وسنتكلم عن خبـر هذا الملك العظيم . فبقيت هناك ثلاثة ايام واروني كل ما صار على هذا الملك وكيف قتله الاسبنيولية . واليوم الرابع خرجت من هذا البلد قاصدا بلدة ليما (Lima) حيث يسـكن وزير الملك الذي يحكم على تلك البلاد فنزلت من الجبل قاصدا البلدة المذكورة ومن بعد اربعة ايام وصلنا الى نهر يسمى سانتا (Santa) . فهذا النهر زائد الماء وما له مجاز فيجوزونه بشدة وخوف . لان الهنود اخترعوا شيئا للمجاز يسمى بالصا (Balsa) يعني كلكا فيجمعون قرعات يابسـات ويربطونهـا ببعضها مثل كلك ثم يجعلون عليها خشبا وفوق الخشب حشيشا مثل عروق الشجر ويحملون الاحمال عليها ويفوتون الناس من جانب الى جانب . والدواب تقطعه سباحة بالماء . فجزنا هـذا النهر بخشوع وطلبات الى الله ووالدته مريم العذراء ومن هناك بقينا مسافرين وجزنا على اراضي قصب السكر وعلى المعامل التي فيها يشتغلون الجوخ . وكان في رفقتي رجلان فقيران كل واحد ناقصة له يـد . فالاول كان جنديا وانقطعت يده بالحرب مع الهنود والاخر كان لدغته حية في يده فقطعوها له .

٢١ـ الاقامة في ليما :

فمن بعد ثمانية ايام وصلنا الى مدينـة ليما (Lima) المذكورة ونزلت في بيت الانكيجيدور (Inquisidor) اعني رئيس ديوان الايمان لانه كان صاحبي من اسبانية . وكنت دينته الف واربعماية غرش في مدينة بورتوبيلو فاعطاني فائدة عن كل مايـة غرش اربعين غرشا مثل ما يسلك بين التجار في تلك البـلاد . ثم بعد ان ارتحت من تعب الدرب رحت قابلت الوزير وقدمت له امر الملك ومكاتيب الوصية التي احضرتها معي من اسـبانية. وهذا الوزير كان رجلا مباركا اسمه دون بلفسار ديلاكوكونده ده كستيليارو مركيز ده ماراكون من اكابر اسبانية . فقبلني بفرح عظيم ووعدني انه يساعدني في جميع الذي اعتازه . ثم اني دخلت زرت امراته فاقبلتني ايضا بالاكرام . وهذا الوزير المبـارك كان قد تزوج منذ اربع عشرة سنة وما رزق ولدا وسناتي بعـد هذا بحكايته . ثم اني رجعت فزرت كبير الكهنة الذي يسـمى ارشيدياقون مع جملة ارفاقه الكهنة لما كانوا مجتمعين في الكنيسة للصلاة . واما مطران هذه البلدة فكان قد توفي وبقي الكرسـي خاليا من مطران . ولهذه المطرنة مدخول في كل سنة خمسـين الف غرش وتحت يده مائة وعشرون خوريا وكانوا منتظريـن المطران الجديد الذي كان آتيا من اسبانية . وبعد ان بقيت في هذه البلدة عشرين يوما وقعت مريضا في الفراش بمرض شـديد وكان حكماء الوزير يعالجوني . فشفاني الرب من مرضي بعـد عشرين يوما بشفاعة ام الرحمة مريم العذراء . فقمت ورحـت عند الوزير وتلاقيت معه ثاني مرة فقبلني بفرح وعز واكرام . ولما كنت مريضا كان يرسل عندي خزنداره يزورني مع احمـال من الحلاويات المفتخرة وكان يسأل عن حالي كل يوم مرتين . وفي ذلك الحين جاء رجل من اصحاب المعادن وقال للوزير انه يقـدر يستخرج الفضة من الحجر من غير ان يضيف اليها زيبقا . فلما امتحنوا صنعته وجدوها اختراعا كاذبا . وانا كنت حاضـرا ونظرت ذلك عيانا .

وقبل ان تملك السبنيولية هذه البلاد ما كان احد يعرف الاله الحقيقي وكان البعض يعبدون الاصنام والبعض كانـوا يعبدون الشمس والقمر والنجوم وما كان لهم احرف ولا كانوا يعرفون القراءة والكتابة . لكن لما يريدون ان يقدموا عرض حال الى ملكهم كانوا يصورون تصاوير في منديل على حسب شكاوتهم. وكان في زمان فتح هذه البلاد ملكان اخوان الواحد يسـمى دواواليا والاخر يسمى وسكارانيكا . وكان بينهما الحرب وكانت آلة سلاحهم وعدتهم القوس والسهام ورماح ومقاليع لحـذف الحجارة . الحجارة . وما كان لهم مواشي اعني مثل افراس وبغال وحمير ولا ثيران ولا بقر ولا غنم ولا دجاج سوى جنس حيـوان شبه الجمل بقدر الحمار وحدبته في في صدره يحملون عليـه وياكلون لحمه لكنه ما يسافر بعيدا . وكل يوم قناقه اربعـة فراسخ لا غير فلما يتعب ينام ويزبد ويتفل على اصحابه . وهؤلاء الهنود لما كان يموت احد منهم كانوا يصنعون له قبرا عاليا عـلو ذراعين وطول ثلاثة اذرع وكانوا يضعون في قبره آلة صنعته مع شربة من خمر الذرة .

٢٢ـ وصف ليما :

وفي هذه البلدة يصير زلازل كثيرة وشديدة . ثم ان الوزيـر وعدني ان يقف بخدمتي طول ما انا بالهند . وكتب الى جمـلة البلاد والقرى التي تحت حكمه يوصيهم علي بالاكرام . وفي ليما عدة ديورة وكنائس اولها الكنيسة الكبيرة التي هي كرسي المطران وغير كنائس للقسوس واربعة ديورة لرهبان مار فرنسيس وثلاثة ديورة لرهبان مار اغستينوس وثلاثة ديورة لليسوعية وثلاثـة ديورة لرهبان المرسي (Merci) واربعة ديورة للراهبات وفي كل دير يسكن الف راهبة(٦٥) . وايضا اربعة ديورة لراهبـات الفقراء مثل ايتام واوامل ومنقطعين وديران باسم مار يوحنـا لمداواة المرضى اي الغرباء والفقراء واسبيتال يعني مارسـتانا كبيرا على اسم الملك لان الملك يصرف عليه ويسمى مار اندراوس وكانوا يعزموني لاقدس في الكنايس والديورة ويكرموني غايـة الاكرام وبقيت في هذه البلدة مقدار سنة في بيت رئيس ديـوان الايمان المذكور اعلاه يسمى دون خوان بالبستا ديلاكاتترا يعني

(٦٤) بدك كلمة تركية براد بها دابة ثانية يستعملها الخيال عند الحاجة (احتياط) .

(٦٥) مبالغة او خطأ من الناقل .

يوحنا المعمدان من بلد كانترا . وهذا المبارك كان رجلا كاهنا وما اراد ان اصرف شيئا على المأكول والمشروب . وهذه البلدة غالية المعاش بهذا المقدار حتى ان الدجاجة تساوي غرشا ونصف غرش . وبعد اني تعافيت من مرضي زارني جميع رفقة الكهنة الذي يسمى كبيلدو (Cabildo) (٦٦) يعني ديوان الكنيسة من حيث اخذوني في الرفقة الى الكنيسة بالزياح وعند دخولنا للكنيسة حيث يمكث المطران والخوارنة اجلسوني جانب كرسي الارشيدياقون الذي بجانب كرسي المطران اكراما لي . ثم طلبوا مني ان اقدس فارسلت واحضرت من الدار آلة القداس فقدست لهم قداسا باللسان الكلداني يعني السرياني الشرقي فصار عندهم انشراح زايد لاستماع قداسي . فثاني يوم صنعوا ديوانا بآباتهم (مع بعضهم) وارسلوا الي الف غرش وكذلك ايضا في باقي الكنائس والديورة من الرهبان والراهبات كانوا يرسلون الي شيئا كثيرا وانا كان لي عجلة يعني عرباني(٦٧) باربعة بغال مع عبد اسود خادمها .

٢٣- السفر الى خوان كاباليكا (Guancavalica)

ومن بعد السنة طلبت اجازة من الوزير لاروح الى جبال الفضة والذهب فاطاعني الوزير واصغى لطلبتي وكتب لي مكاتيب الى جميع حكام البلاد وابرشية القرى الذين تحت حكمه وصية علي بان يعزوني ويكرموني وارسل رفيقا رجلا من جنوده لكي يسبقني في الدرب ويهيىء لي ما احتاج من المأكول والمشروب والمنزل في بيت حاكم القرية . فخرجنا من ليما وهذا الرجل برفقتي قاصدين بلدة تسمى خوان كاباليكا Guancavalica. ثم سرنا يومين بدرب سهل وصعدنا في اليوم الثالث الى جبل الثلج ولا زالت الارياح والبرد شديدا . فابتدات تتغير امزجتنا وثقيانا من سبب اننا خرجنا من ارض شديدة السخونة وجزنا عاجلا الى ارض باردة . ثم بعدما صعدنا الى اعلى الجبل سرنا من مكان يسمى بوناده برياكاكا يعني زمهرير السكر (؟) ومن هناك سافرنا فرسخين فتلاقيت مع رئيس رهبان مار فرنسيس الذي يقال له بروبنسيال (Provincial) فسالني عن الدرب فحكيت له ما جرى علينا من تغير المزاج فعند ذلك افترق منا ورحل من درب آخر . ووصلنا في ذلك النهار الى نهر يسمى نهر بوني وعليه جسر ممتد من جانب الى جانب منسوج من حبال القنب ومربوط بالاشجار فعبرنا عليه بصعوبة واخذوا الخيل الى درب آخر مجرودات وادخلوها النهر . ومن بعد عشرة ايام وصلنا الى البلدة المذكورة خوان كاباليكا وهي بلدة صغيرة فنزلت في دير اليسوعية . وفي هذه البلدة تختلف الارياح ثلاثة مرات في النهار ووقت العصر دائما تمطر . وهي ارض قليلة العافية لاختلاف الاهوية ولسبب الجبل الذي فيه معدن حجر الزيبق لانه مسلط على البلد .

٢٤- معادن الزئبق :

ثم اني رحت لانظر المعدن مع حاكم البلد فرايت هذا المعدن وعظمته ونظرت ايضا ان الفعلة يقطعون الحجارة ويخرجونها من تحت الارض الى فوقها . ثم اروني كيف يخرجون الزيبق فادخلوني الى بيت جعلوا ارضه ابخاشا (ثقوبا) ملصوقة

(٦٦) وبالافرنسية (Chapitre) أي الفرع .

(٦٧) اي مركبة .

بعضها موضوعا في كل منها برنج(٦٨) والبرانج مصفوفة ومنصوبة صفوفا صفوفا ولها فم واحد منصوب الى فوق والفم الاسفل مسدود وغير مفتوح كمثل اجران . فيضعون حجارة الزيبق بصنعة مصطفة فوق البرانج كمثل عمل الفاخوري في افران الخشف (الخزف) وكذلك ايضا يضعون الحجارة على البرانج. وهذا البيت له سقف مغطى لكن قوي عالي وفيه ابخاش لاجل منفذ الدخان . ثم يضعون الحطب فوق تلك الحجارة ويضرمون به النار فيشعل وتسخن الحجارة سخونة قوية ويجري منها الزيبق هاربا ومنحدرا داخل تلك البرانج . فعند ذلك يفهم معلمو الزيبق فيهدئون النار ويخلونه يوما وليلة حتى يبرد وبعده يرفعون الحجارة والرماد ويكبونه (يقلبونه) خارجا ويطالعون الزيبق من تلك البرانج . وهناك وكيل من جانب الملك بضبطه للملك . وهو يوفي لاصحاب المعدن اثنين وخمسين غرشا حق كل قنطار وقنطار هذه البلاد هو ستة امنان خندكاري(٦٩) ويبيع وكيل الملك القنطار بتسعين غرشا لاصحاب معادن الفضة لاجل استخراج الفضة من الحجارة وسوف نتكلم عن ذلك ايضا . ثم اني قدست هناك على هيكل لهم في وسط المعدن وباركت عليهم وعلى معادنهم(٧٠) وقدم لي اصحاب المعادن بشكاس(٧١) مقدار خمسين قنطار من الزيبق وقالوا لي اصبر الى شهر بينما يخرجون الزيبق من الحجارة ويعطوني المبلغ المذكور . فمن سبب الاهوية المختلفة خفت فتركت هناك وكيلا ليستلم منهم الزيبق وقتما يستخرجونه لكن عليه يسق(٧٢) من الملك ان لا احد من اصحاب المعادن يقدر يبيع زيبقا ولا احد يقدر يشتريه . وان تجاوز احد هذا الشرط ينهبوا ماله ويحل عليه القتل .

٢٥- مياه محجرة - وصف الصنّبُر :

وفي هذه البلدة يوجد جنس ماء لونه اسمر يجعلونه في وسط صناديق ويبقى ثمانية ايام في الهواء فيجمد حينئذ ويصير حجرا يعمرون به البيوت وانا نظرت ذلك عيانا . واذا وضعوا في وسط هذا الماء خشبة وبقيت اربعين يوما فيخرجونها من الماء نصفها حجر صوان والذي يبقى فوق الماء من الخشبة يبقى على حاله خشبة وانا اهداني احد رهبان اليسوعية صليبا من هذا الجنس(٧٣) .

(٦٨) البرنج كلمة فارسية معناها النحاس ونظنها بمعنى الخابية والبرنية .

(٦٩) الخندكار لفظة مماتة بالفارسية معناها السلطان .

(٧٠) قرانا في كتب الاب فوليه (Feuillée) المرسل الفرنسي في البيرو من معاصري صاحب الرحلة وصفا مسهبا لهذه المناجم قال : ان مناجم الزيبق الشهير في كل امركة الجنوبية محفورة في جبل واسع بالقرب من غوانكافاليكا (Guancavalica) وهي ممتدة تحت الجبل حفر فيه منازل ودروب ومعبد . والمناجم مضاءة بعدد لا يحصى من الشموع . ثم وصف استخراج المعدن وصفا لا يكاد يفترق عما جاء في متن رحلتنا سوى انه قال ان سعر القنطار ثمانين غرشا .

(٧١) بشكاس لعلها باش كاس ويظهر من القرينة ان معناها الهدية أو البخشيش .

(٧٢) يسق كلمة تركية معناها مانع أو محظور .

(٧٣) ذكر الاب فوليه المذكور هذه المياه المحجرة قال : ان ماء هذا النبع غاية من السخونة حال خروجه ويتحجر سريعا اذا ما سال في الحقول . ومن حجاره بنى البناؤون

وبعد عشرة أيام خرجت من هذه البلد وصحبتي أربعة عشر رجلا خرجوا يودعوني الى خارج البلد ثم افترقوا مني ورجعوا . وانا اخذت دربي قاصدا بلدة تسمى اكوامانكا (Guamanca) وفي هذا الدرب يوجد اشجار مختلفة الاجناس واكثرها اشجار يسمونها توكال أوراقها سماك كفين وما لها اغصان لكن الاوراق مشوكة وفي طرف الورقة تصير الثمرة ويسمى في لسان الهنود تونس وهذا الثمر كقدر بيض الدجاج لكن اصلب وداخله حاو كطعم التوت وهو مسهل ومبرد فمن خارج الثمرة يصير شوك ناعم فيلتزم الانسان ان لا يمسكها بيده الا بعد ان ينظفها من الشوك وهذا ممتلىء منه البرد والجبال في ذلك الاقليم(٧٤) .

٢٦- الوصول الى اكوامانكا :

ثم بعد أربعة أيام وصلنا الى البلدة المذكورة ونزلنا في دير اليسوعية لان رئيسهم كان رجلا صالحا وكان قد ارسل لهم مكاتيب يوصيهم على ان ينزلوني عندهم . وفي هذه البلدة كان اسقف غني جدا لانه كان أولا رئيسا لديوان الايمان ويسمى الاسقف دون كريستوفلو دي كستيلو . وبعد ان استقريت في الدير تلك الليلة جاءني في الغد قسيسان من جانب الاسقف يهنئاني بوصولي . فثاني يوم باكرا رحت أنا زرته فقام هو أيضا بنفسه والتقاني وسالني عن حالي وعزمني الى داره حتى اتغدى ذلك اليوم معه فطاوعته وتغديت معه . ومن بعد المأكول انعم عليه بجنزير ذهب يسوي مايتي قرش . فلما سمع اكابر البلد بالاكرام الذي عمله لي هذا الاسقف المبارك جاءوا جميعهم زاروني . ومن بعد اربعة أيام خرجت مع راهبين يسوعيين ورحت زرتهم واوفيتهم زيارتهم كعادة تلك البلاد . ثم الاسقف أرسل لي رفقة ليدلوني على بيوت الذين جاءوا زاروني لان اليسوعية كانوا قد كتبوا أسماء الذين زاروني واحدا واحدا . وفي هذه البلدة كنائس وديورة غنية جدا . فمن بعد ما زرتهم وارتحت ثمانية أيام رسم هذا الاسقف ان يعملوا كوميدية يعني تقليد القديس رجل الله الروماني الذي يسمى باللسان الفرنجي سان اليلسيوا (Alexius) وفي العربي مار ريشا . وهذه الكوميدية هي تشخيص ما عمل هذا القديس وكيف اعطى خاتمه لعروسته وشق الحيط وطلع راح يسوح في الدنيا(٧٥) . فحضرنا هذا التقليد وانشرح خاطرنا وكان اناس هذه البلدة يكرموني للغاية بسبب ان الوزير كان قوي صاحبي وبقيت في هذه البلدة عشرين يوما في غاية ما يكون من الانشراح .

٢٧- السفر الى كوسكو :

ثم خرجت من هناك قاصدا بلد كوسكو (Cusco) وخرج حاكم البلد ورئيس اليسوعية مع رفقائه وغير اصحاب ليودعوني فسافرنا نصف فرسخ ثم تودعنا وافترقنا فهم رجعوا الى البلد وانا ظليت (ظللت) مسافرا . ومن بعد يومين وصلنا الى نهر يسمى بوريما (Apurimac) وكان على هذا النهر جسر ممتد منسوج من عروق الاشجار والاغصان عرضه ذراع اقل أم أزيد وطوله عشرين ذراعا . فجزناه بصناعة عظيمة مع خوف شديد لان الاحمال يحضرونها عن الابغال ويدخلها الهنود على ظهرهم الى جانب الآخر واحدا بعد واحد . واما البغال فيزلطونها من جلالاتها ويجيزونها الجسر فاذا سقطت رجل البغل بين الخشب الممتد على ذلك الجسر حينئذ يخلون رؤوس الخشب فيسقط البغل من ذلك العلو الى وسط الماء ويسبح ويفوت الى الجانب الاخر . فبهذا التعب العظيم جزنا بسبب ان الجسر يتجوجع وينهز كالمهد لما يدوس الانسان عليه فلما حصلنا في ذلك الجانب شكرنا الباري تعالى على خلاصنا . فاما الهنود بسبب انهم يعرفون السباحة فاذا سقط احدهم في الماء يخرج سالما . ومن هناك سرنا في الدرب فوجدنا اجناسا من الحيوانات منها خيل وافراس وحشية وبقر ايل وبغال وحمير وغير اجناس اخر وهي تعيش في تلك الجبال المقفرة وما لها اصحاب . وجنس حيوان آخر يسمى بيكونيا وهو كصورة الغزال لكن بلا قرون . فهذا الحيوان قوي أنيس لما ينظر انسانا أو دوابا مجتازين ينحدر من الجبل ليتفرج عليهم . وعددها كثير . وانا كان عندي كلاب للصيد وبندقية فقتلت بعضا من هذه الحيوانات ولحمها لا ياكله غير الهنود وصوفها ناعم كالحرير يصنعون منه البرانيط اي الشبقات وهو شبه التفتيك(٧٦) لكن لونه عسلي كلون الغزال(٧٧) وفي بطن هذا الحيوان يوجد حجر البازهر بين كليتيه . فيخرجونه ويبيعونه بثمن غال لانه نافع للسموم(٧٨) .

٢٨- السفر الى ابانكاى (Abancay)

وبعد ثلاثة أيام دخلنا الى مزرعة قصب السكر وتسمى الارض شبنكاي . وهذه الارض هي لليسوعية ويخرجون منها

المنازل جاعلين المياه في قوالب مخصوصة حسب رغبتهم وحاجة العمارة ولا يتعب الحفارون ونقاشو التماثيل اذا أرادوا نقش تمثال فاذا ما اتموا القالب وسكبوا فيه الماء جاء التمثال حجرا بديعا ينحتونه قليلا زيادة في لمعانه .

(٧٤) هو وصف شجرة الصبير المعروفة .

(٧٥) أخبار مار ريشا المشهورة .

(٧٦) الشبقة هي البرنيطة ولعلها تعريب (chapeau) اما التفتيك فهو نوع من الصوف الناعم .

(٧٧) قد جاء وصف هذا الحيوان المسمى (la Visuna) أو (le Guanaco) في كثير من الاسفار الامركية وكانوا يستخدمونه لنقل المعادن في الطرق التي يتعذر على الدواب سلوكها .

(٧٨) البازهر أو البازهر كلمة فارسية معناها الترياق (من پاو - نظف . وزهر - سم) وقد اشتهر هذا الدواء بين أطباء العرب وامتدت شهرته مع اسمه الى المغرب فيقال (Bezuar) باللغة البرتغالية او (Bezoard) بالافرنسية . قال التيفاشي : هذا الحجر بأيدي الناس صنفان احدهما حيواني والآخر معدني ومعدنه بين جزيرة ابن عمر والموصل وهو هناك كثير ويوجد منه حجارة كبار وهو حجر رخو أبيض الحكاكة . وأما الحيواني فهو المقصود بالكلام في هذا الحجر والباب هو حجر خفيف هش أصفر منقط نقطا خفيفة وهو ذو طبقات بعضها على بعض وينحل سريعا اذا حك ومحكه الى البياض وأعظم ما يوجد منه من مثقال الى ثلثة مثاقيل يؤتى به من بلاد فارس من تخوم الصين والحيوان الذي يوجد فيه البازهر هو الايل الذي يكون بتلك البلاد واسمه عجمي اصله في لغة الفرس باكزهر أي منظف السم من الجسد وخواصه النفع من ذوات بأجمعها وهو يخرج السم بالعرق ويخلص من الموت .. الخ . وقد اعتبر في القرون الماضية كأعظم الادوية وذلك خرافة لم يثبتها العلم .

كل سنة ثلاثين الف خنداكاري من السكر . والفلاحين الذين يفلحون كلهم عبيد سود ويشتغلون في عمل السكر .

ومنها سرنا الى البلدة المذكورة بعد ثلاثة ايام فوصلنا اليها . وهذه البلدة كان يسكنها ملك الهنود المسمى وازاواليا اتيكا اخو الملك واسارينكا المذكور فلما وصلنا قريبا من البلد وسمع الرهبان اليسوعية خرجوا امامي واخلوني الى ديرهم بالترحيب . وهذا الدير كان قديما قصر الملك المذكور ووسع هذا الدير مع بستانه قدر نصف بلد . ودير الراهبات ايضا هو داخل القصر . ووجدنا هناك من الحجارة المنحوتة من الهنود القدماء بغير آلة الحجارين الحديدية . وهي مشغولة بغاية الرستاق(٧٩) .

وسكان هذه البلدة يومئذ اربعة آلاف بيت سبنيوليين وثلاثة آلاف بيت هنود ولهم أسقف رجل صالح مع بقية طوائف رهبان ومدارس لاجل أولاد السبنيولية ومدرسة اخرى بناها اليسوعية لاجل أولاد الهنود . ومن قبل ان اجوز في هذه البلد بمقدار ميل كان خرج لاستقبالي قسيسان من طرف الاسقف وحاكم البلد مع اليسوعية المذكورين واخلوني الى البلد بمقدار ميل والاسقف كان قاصدا اني انزل في داره لكن اليسوعية ما تركوني بل انزلوني عندهم . وقصد حاكم البلد ان ينزلني في داره لكني ابيت من الاسقف ومن الحاكم الذي كان صاحبي وجئنا من اسبانيا رفقة . وهذا الحاكم لما وصلنا الى ليما تجوز (تزوج) من بنت أعطته نقدا مائة وخمسين الف غرش كعادة بلاد النصارى ان البنت تعطي نقدا للرجل حسب حالها والاشراف كشرفهم . وفي اليوم الثاني جاء اسقف البلد زارني وجاء ايضا باقي الاشراف ورؤساء الديورة . ومن بعد اربعة ايام خرجت انا والتان من الرهبان اليسوعية في عرباني(٨٠) واوفيت زيارتهم .

٢٩- وصف اباتكاي :

ثم طلبوا مني أن اقدس في الكنيسة الكبيرة في حضرة الاسقف والقسوس والاعيان وباقي العوام فقدست لهم قداس باللسان السرياني الشرقي . وايضا اهل الديورة والكنائس بقوا يجيئون ياخلوني حتى اقدس عندهم وكان عندي شماسان يخدمان قداسي وكنت عندهم بعز وكرامة وكانوا يهدوني هدايا من ديورة الراهبات ومن غير اماكن وارسل لي ديوان القسوس الذي للكنيسة الكبيرة هدية لائقة وارسل لي ايضا اسقف البلد هدية بذلك المقدار وكان بعض اصحاب اعطاني عرباني لاخرج الى خارج البلد واتفرج على عمائر الهنود القدماء . فمن جملة ما نظرت قبور الهنود الذين في زمان كفرهم كانوا يدفنون ميتهم على وجه الارض ويعمرون فوقه قبرا مرتفعا جدا بعلو ذراعين وعرضه ذراع ونصف وطوله ثلاثة اذرع وهذه القبور منفردة عن بعضها كل واحد على جانب .

وفي تلك الايام صار زلزلة عظيمة خارج البلد على نحو فرسخين وكان هناك جبل منصوب على نهر جار فسقط الجبل من تلك الزلزلة في وسط النهر وسد جريان الماء فطاف ماء النهر على الارض واهلك مزارع ثلاث قرى وفي سقطة الجبل في ذلك الحين وتلك الساعة صارت أيضا زلزلة في بلدة ليما وخرج الناس من البلدة لخوفهم لانه سقطت منازل كثيرة مع بعضها كنائس .

وفي ذلك الحين جرى امر من ملك اسبانية في عزل الوزير صاحبي المذكور وانا بقيت خمسة اشهر في هذه البلد الكوسكو المذكورة وكان ذلك بسبب عرض الشتاء وزادت الانهر العديمة المجاز .

٣٠- هنود بوقرتنبو (Paucartambo)

ثم بعد هذا الزمان المذكور خرجت من تلك البلدة متوجها الى بلدة تسمى بوقرتنبو وبعد سفر ستة أيام وصلنا اليها وفي الستة الايام المذكورة كنت انام كل ليلة في ضيعة وعند دخولي الى هذه البلدة خرج بعض اناس مع رهبان مار عبدالاحد وحاكم البلد لملاقاتي . فاخلوني الى داخل البلد بالترحيب فنزلت في بيت الحاكم لانه كان خادم الوزير صاحبي . وهذه البلدة هي ستر يعني حدا ما بين الهنود الكفرة والسبنيولية والهنود ياخلون الرجال والنساء والاطفال الى ارضهم ويستعبدونهم ولما يكون عندهم عيد أم عزيمة يذبحون واحدا من السبنيولية ويشوونه وياكلونه . وعند هؤلاء الهنود يوجد جنس حشيش اذا علكوه يسكرهم ويعطيهم شجاعة وقوة كشراب الخمر يسمى ذلك الحشيش كوكا (Coca) (٨١) . وما يوجد عندهم لا قمح ولا شعير سوى درد مصر (الذرة)(٨٢) ويجعلون من هذه الدرد بوزه ويشربونها فتسكرهم كالعرق . وهؤلاء الهنود كثيرو العد شديدو القوة وما يقدر السبنيولية ان يقاوموهم لانهم ساكنون في جبال شامخة وعليهم أمير مدبر وهو الذي يحكم عليهم .

٣١- معادن اللفضة :

ثم بعد ثلاثة ايام خرجت من هذه البلدة متوجها الى معدن الفضة المسمى قندونوما (Condonoma) وبعد يومين وصلنا اليه . فمن زيادة البرد وشدة الزمهرير ما قدرت امكث هناك غير ثلاثة ايام وبعد ذلك رحت الى معدن آخر يسمى قليوما وهو درب يوم عند جانب قرية صغيرة يخرجون هناك الفضة . وفيها تفرجنا على اخراج الفضة وكيف يطحنون الحجارة مثل التراب ويجعلونها في الماء كالطين وبعد ذلك يمزجون فيه الزيبق وطول النهار يحركونه مقدار عشرة أيام أو اثني عشر يوما والزيبق يجمع الفضة ويلتصق بها . ومن بعد الايام المذكورة يغسلونه في حوض مجلد بجلود البقر والماء ياخذ التراب ويوديه . والفضة ترسخ (ترسب) الى أسفل . هذه الصنعة تفرجت عليها عيانا

ومن هناك خرجت الى قرية تسمى لانبا (Lampa) وبعد يومين وصلت اليها ونظرت هناك الهنود يعمرون كنيسة جديدة وقسيسهم اسبنيولي له عندهم مقدار ثلاثين سنة . وهذا القسيس غني جدا فخرج (صرف) على عمارة تلك الكنيسة

---

(٧٩) الرستاق أو الرزداق السطر من النخل والصف من الناس معرب راست التي معناها الخط القويم بالفارسية وتأتي في اللغة العامية بمعنى ترتيب ونظام .

(٨٠) أو عربة كلمة فارسية بمعنى مركبة .

(٨١) الكوكا حشيشة لها خاصة معروفة لتقوية أعضال الجسم وقد اشتهر الان استعمالها في العقاقير . قال أحد الرحلة المعاصرين لكاتبنا : ان الوطني في ضواحي كوسكو يمتنع عن الطعام ولا يمتنع عن مضغ حشيشة الكوكا فانه يجد فيها طعاما وشرابا ودواء .

(٨٢) درر ولعلها ذرة مصر اسم للذرة على لسان العوام حتى في ايامنا ولعل ذلك لاشتهار الذرة المصرية .

مايتي الف غرش . ومكثت تلك الليلة هناك وثاني يوم رحت الى معدن آخر يسمى بونو .

٣٢ــ مقتل احد المتمولين ظلما :

وصاحب المعدن بونو رجل غني اسمه دون خوسيف سلسيدو يعني يوسف من مدينة سيويليا وكان يعطي عشور الفضة الى الملك مليونين وسبعماية ألف غرش وذكروا لنا ان هذا الرجل كان يخرج من هذا المعدن كل يوم ستة آلاف غرش . فحسده بعض اعدائه وأقاموا عليه بهتانا وشهدوا زورا قائلين ان هذا قد اتفق مع اناس بيض ويريد يصير حاكما في هذه البلدة فكتبوا الى الوزير عن ذلك . فقام الوزير وجاء اليه الى جبل يسمى معادن بونا حيث كان سكن هذا الرجل المذكور ومسكه واخذه معه الى بلد ليما وشنق من اصحاب هذا الرجل بعض اناس وضبط اموالهم كما ضبط هذا المعدن للملك وضبط ايضا المعدن للملك وضبط ايضا الحجارة التي كانوا طالعوها من المعدن ليخرجوا فضتها وكان وزنها عشرة آلاف قنطار . وحبسه الوزير في السجن والزموا عليه القتل فطلب من الوزير قائلا : اعرضوا امري الى اسبانية للملك فان امر بقتلي فاقتلوني وان امر باعتاقي فاعتقوني وانا في جميع ما قريت فيه وها انا في حبسكم مضبوط . فلم يسمع الوزير والديوان لاقواله بل سجلوا عليه القتل من طمعهم وكنت الصيع والبلاد من الفقراء والرهبان والراهبات والايتام والارامل يستغيثون لله لاجل خلاصه لانه كان في كل عام يفرق من الحسنة ثمانين الف غرش وامر الوزير القاسي القلب بخنقه نصف الليل وبعد قتله ارسلوا معلمين ليلوبوا تلك الحجارة ويطالعوا منها الفضة فلما القوها في النار ظهرت اشارة الله وتحولت تلك الفضة الى رماد وصار ذلك عظيما للناظرين والسامعين . واما المعدن الذي كان يخرج منه حجارة الفضة فطاف بالماء وغرق وعدموه . وصارت هذه اعجوبة ثانية . واما الوزير الذي قتله ظلما فبعد خمسة عشر يوما بينما هو داخل الى مخدعه تراءى له ذلك المقتول ظلما كأنه واقف على الباب فلما نظره اعتراه الخوف والرجفة ودخل مرتعدا من ذلك المنظر فسالته امرأته السبب فحكى لها ما نظر ثم وقع في الفراش مريضا وبعد ستة ايام مات وصارت هذه ايضا اعجوبة ثالثة امام الحاضرين والسامعين . والقاضي الذي سجل قتله انشلت بعد ايام قليلة يداه ورجلاه . وهذه صارت عجيبة رابعة . لان هذا الرجل المقتول كان ذا خيرات وانعام مثلما سبقنا في القول وخيراته لا توصف وكان ابا للايتام والارامل وشفوقا على الفقراء والمساكين ومفتقدا الديورة بكل الصدقات والنذورة وكان ينقذ البنات الفقيرات ويزوجهن ولم يزل طول عمره في عمل الخيرات حتى انه في جمعة الآلام ارسل مع اخيه الى بلد الكوسكو سبعين الف غرش ليقسمها على الكنائس والفقراء .

ولما كان هذا الرجل في الحياة قبلما يقتل بمدة قليلة اقبل رجل فقير ذو عيال كان قد رافقه في المركب لما جاء من اسبانية فعرفه عن اقنومه وعرض عليه حال فقره وكثرة عياله . فلما علم ان هذا كان رفيقه تحنن عليه وزعق (دعا) وكيل ماله واعطاه مفاتيح الخزنة وقال له : خذ هذا الفقير الى الخزنة واتركه ياخذ قدر ما يريد من بارات الفضة فلما حصل ذلك المسكين في الخزنة اخذ اثني عشر بارة(٨٣) وكل بارة تسوى الف والاثمانية غرش واخرجها خارج المخزن وراح يستكثر بخير ذلك الغني فسال الغني وكيل ماله قائلا : كم بارة فضة اخذ هذا الفقير . فقال له : اثنتي عشرة . فرجع وقال للفقير : يامسكين لماذا لم تأخذ ازيد من هذا العدد . ثم انه استكثر بخيره وانصرف . وله على هذا المثال عمل خيرات زائدة الوصف . وكان له اخ مختف فلما جاء وزير آخر ليحكم في ذلك البلد عرض على الملك امر الرجل المقتول ظلما . فصعب ذلك على الملك والديوان لانه كان له نجم سعيد ينفع الفقراء والمساكين وخزينة الملك . فخرج امر من الملك بالانعام على اخيه المختفي وان يعطيه الوزير خمسين الف غرش من خزينة الملك وامره ان يرجع يفتح معدن اخيه .

فاما انا ما لحقت ذلك المقتول في ايام حياته لكن تصاحبت مع اخيه الذي يسمى دون كسپار دوسلسيدو . وهذا كان يجاهد مع مائة نفر ليفرغوا الماء من المعدن . وقال لي ذات يوم : يا صاحب لماذا تروح الى اسبانية بالعجل اصبر هذه السنة حتى ننظف المعدن واجهزك من الفضة بالذي يقسم الله . لكن انا ما قدرت بسبب الوزير صاحبي المعزول الذي كان راجعا الى اسبانية وهذا صار السبب المانع .

٣٣ــ سبك الفضة :

اما نحن فبعد ان خرجنا من هذا المعدن قصدنا بلدة تسمى جكويت (Chuchuito) وكان الحاكم هناك ابن اخي كاتب الملك وكان رافقنا من اسبانية وهو يسمى دون اندريس ده برناجيا من بلاد بسكايا . ومن بعد اربعة ايام وصلنا الى البلدة وفيها للملك بيت لسبك الفضة ومعلمون ووكلاء من جانبه لجمع الفضة التي تخرج من المعادن المحيطة بهذه البلدة فهم يأتون بالفضة ويذيبونها ويسكبونها ويعملونها بارات ويدمغونها بختم الملك . وان حمل احد حمل فضة رملية ما دخلت الى بيت السبك تضبط وتودع في بيت الملك .

٣٤ــ سكان البلاد الاقدمون :

ومن جانب هذه البلدة يوجد بحيرة استدارتها ستون فرسخا(٨٤) وذكروا لنا ان الهنود القوا في هذه البحيرة جنزيرا من الذهب كان يخص الملك انيكا المذكور لما قتله السبنيولية وذلك الجنزير كان يحمله اربعة آلاف رجل . وعندما كان يعمل الملك لعبا كانوا يمدون هذا الجنزير على الارض فيحيط بالبلد فكان يدخل الاكابر ويلعبون ومن يقع منهم على الجنزير او خارجا عنه كانوا يضحكون عليه . والآن لا يعلم السبنيولية في اي جانب من البحيرة القوه .

ولم يكن لهؤلاء الهنود في ذلك الزمان دنانير لكن كانوا يتعاملون ويبدلون شيئا بشيء . وكان في هذه البحيرة جزيرة كبرها فرسخان يسكنها هنود كفرة يعبدون جبلا منصوبا امامهم يسمى الجبل الاحمر وما كان يقدر احد يجوز اليهم لان عندهم آلة الحرب كرماح وسهام ومقاليع . وكانوا يخرجون الى البر السالك ويأسرون السبنيولية ويأخذون البغال الذكورة ليذبحوها ويأكلوها . فامر هذا الوزير المذكور صاحبي أن يجتمع حكام القرى اللذين في تلك النواحي . فاجتمعوا مقدار اربعة آلاف نفس وعملوا اربعين كلكا وجعلوا فيهم أكياسا مملوءة ترابا وايضا بعض افراس ثم اخذوا في أيديهم الاسلحة وجازوا في البحيرة

(٨٣) بارة كلمة فارسية بمعنى القطع ثم جاءت بمعنى الهدية لعله أراد البدرة من المال .

(٨٤) تسمى هذه البحيرة تيتيكاكا (Titicaca)

على الكلك فلما اقتربوا من الارض وقف هنود الجزيرة مقابلهم للحرب وكانوا يرشقونهم بالسهام والجنود السبنيولية يضربونهم بالرصاص والقوا اكياس التراب على ساحل الجزيرة لتقدر الخيل تخرج الى البر لان هناك وحلا شديدا . فلما وصلوا الى الارض ركبوا خيلهم وركب ايضا الفرسان واجتمعوا على الهنود وكسروهم وقتلوا منهم كثيرا واستاسروا الباقي وعددهم ثلاثمائة هندي غير النساء والاطفال وقد مات في الحرب منهم ستمائة نفس . ثم اخرجوهم من تلك الجزيرة واتوا بهم الى بلد الكوسكو فطلب الوزير من اسقف البلد ان يلقنوا هؤلاء الهنود ويعلموهم قواعد ايمان المسيح ويعمدوهم ويقسموهم على البلاد . اما انا فبقيت في هذا البلد ثمانية ايام .

٣٥ـ اطلاق سبيل بعض المسجونين ـ معدن مرمر :

ثم خرجت قاصدا قرية تبعد يومين تسمى كوماتا فيها دير لرهبان مار اغسطينوس وفيه ايقونة سيدتنا مريم العذراء تسمى كوباكاوانا تعمل معجزات عظيمة ياتون اليها من كل جانب ليزوروها . فرحت تباركت من تلك الملكة الجليلة وزرتها . ومن هناك خرجت قاصدا قرية تسمى بارنيكيلاوكان فتبعني اربعة لصوص ليسرقوا خيلي وبغالي فاعمت هذه العذراء بصائرهم فما قدرهم الله على قصدهم . وكان حاكم تلك القرية صديقي اسمه دون ايليا باسمي فخرج لاستقبالي مع بعض قسوس وعوام وادخلوني الى بيته . فتاني يوم جاء قسيس الهنود عندي وحكي لي قائلا : ان في حبس هذا الحاكم سبعة رجال هنود محبوسين على شيء قليل . فقمت نزلت الى الحبس وفي يدي ورقة كتبت عليها اساميهم وناديت الحباس ان يفتح الباب ففتحه وناديتهم واحدا واحدا الى خارج الحبس واعتقتهم . وفيما بعد سمع الحاكم بما صار فقال لي : يكون فدى راسك وشرفتنا بقدومك .

وقرب هذه القرية بنصف فرسخ جبل عال به معدن حجر مرمر كالبلور فقصد هذا الحاكم ان يعمل من هذا المرمر عمارة حمام كمثل قبة صغيرة مركبة من هذه الحجارة يجعلونها في صناديق ويرسلونها الى ملك اسبانية لكنه توفي قبل ما يكمل عمله .

٣٦ـ المال المجموع ظلما :

وبعد ثمانية ايام خرجت من هذه البلدة المذكورة قاصدا بلدا يسمى سيكاسيك (Sicasica) وفي ذلك الصقع كان يحكم احد غلمان الوزير صاحبي وكنت دينته الفي غرش في بلد ليما . فخرج لاستقبالي وكان في جانب الدرب بحيرة قدرها نصف فرسخ وبقينا نتصيد منها بعض اجناس الطيور الى بعد العصر . ثم اننا دخلنا الى البلدة المذكورة بغاية الاكرام ونزلنا في دار الحاكم وجاء جميع الكهنة والعوام لزيارتي . وسكان هذه البلدة هنود واسبنيولية . وذكروا لنا عن قسيس كان في تلك البلدة وكان قد مات منذ اربع سنين . فهذا القسيس كان خوريا متفردا في معبد تلك البلدة مدة اثنتين وعشرين سنة وكان قد جمع له اموالا كثيرة من الظلم . فقبل مماته اعترف الى الكاهن وعمل وصيته قائلا انه طمر تحت فرشته خابيتين مملوءتين الواحدة فضة والاخرى ذهبا . وايضا عمل وصيته على يد القاضي ان هذا المال يكون ميراثا لاخيه واخته . وانا كنت اعرف اخاه وهو قسيس يسمى دون خوزيف يعني يوسف واخته تسمى دونيا اينيس . فبعد ان مات اخرجوه من البيت وسكروا الباب وختموه . فبعدما دفنوه الى اصحاب الشرع والحكام ليخرجوا المال المذكور . فلما حفروا المكان وجدوا الخابيتين مملوءتين دما لا يوجد فيهما ولا دينار واحد . فكل الذين كانوا حاضرين تعجبوا من هذه العجيبة لان عدالة الله ظهرت هكذا في المال المجموع ظلما . فلما علم بذلك مطران البلد ارسل يوصيهم ان يستروا ويخفوا هذا المثل الردي . لكن صار له اهتمام عظيم عند الناس .

٣٧ـ السفر الى اورورو وبوتوسي :

وانا بعد ثمانية ايام خرجت متوجها الى بلدة تسمى اورورو (Oruro) وسافرنا في طريق عسر بتعب زائد . ومن بعد خمسة ايام وصلنا الى البلد وخرج لاستقبالنا الرهبان اليسوعية وانزلونا عندهم . كان حاكم البلد يسمى دون الونصو ديل كورال وهو رجل خسيس ما كان ياكل الا كروش البقر . وخارجا عن هذه البلاد ثلاثة فراسخ يوجد معدن فضة غني جدا لان هذه الفضة يستخرجونها من غير زيبق وذلك هو ضد القانون في جميع المعادن ولا يوجد اصلح من هذه الفضة . ثم اني رحت الى المعدن المذكور واشتريت من الفضة الرملية مقدار خمسمائة غرش . وبعد ثمانية ايام سافرت قاصدا بلد بوتوسي (Potosi) وبتنا اول مرحلة في قرية هنود وكان عندي امر ان يعطوني بغالا من قرية الى قرية وكنت اغرم الكروة مثلما يغرم الملك فناديت شيخ الهنود ان يحضر لي دواب وناولته الكراء بشرط ان يحضر لي الدواب بعد نصف الليل بساعة وحان الوقت واشرق الصبح وطلع النهار وما احضر الدواب لنرحل . فارسلت افتش عليه فاتوني به سكران فكنت اكلمه باللسان السبنيولي وهو يجاوبني باللسان الهندي . فامرت ان يشدوه بعمود البيت ويجلدوه . فمن اول ضربة السياط طلب ان يتركوه وتكلم بالسبنيولي قائلا : ان الدواب مربوطة عنده في الدار . فسالته لماذا ما تكلم في السبنيولي الى وقت ملاقاة السياط . فقال لي : نحن معشر الهنود لا نطاوع السبنيولية ان لم يضربونا .

ثم رحت من هناك ووصلت الى مكان يخرج منه ماء سخن ورائحة ماء الكبريت وياتي بعض المرضى من اماكن مختلفة ليغتسلوا فيه . وبعد اغتسالهم يشفون من دائهم . واسم هذا المكان طارابايا . ومن بعد ستة ايام وصلنا الى بلدة برتوسي المذكورة فجاء الحاكم خارجا عن البلد نحو ميل مع عشرة رجال من جماعته واستقبلني بغاية الاكرام . وهذا الحاكم هو من اقرباء امراة الوزير اوصاه بي في مكاتيبه . فنزلت في دير اليسوعية وجاء بعض اناس زاروني وانا ايضا رحت زرتهم .

٣٨ـ زيارة السكتخانة ومعدن الفضة :

ثم في ذات يوم رحت الى البيت الذي يضربون فيه سكة الدنانير من غروش وانصاف وارباع . وفي هذا البيت السكتخانة اربعون عبدا يشتغلون واثنا عشر رجلا اسبنيوليا فراينا الغروش مكومة مثل التل في جانب والانصاف في جانب وانصاف الارباع في جانب مكومة على الارض ويدوسونها بارجلهم مثل ما يدوسون التراب الذي لا قيمة له .

وعن جانب هذه البلدة يوجد جبل المعدن وهذا الجبل معروف في كل الدنيا لزيادة غناه لان قد اخرجوا منه اموالا لا يحصى عددها منذ مائة واربعين عاما من اربعة اطرافه وقد

احاطوه وحفروه وانحدروا الى اسفله ليخرجوا الفضة وقد جعلوا لهذا الجبل عواميد من خشب سندا من كل جانب لئلا يسقط الجبل لانه من خارج يبان صحيحا لكنه فارغ من داخل . ويشتغل في باطنه في قطع الحجارة مقدار سبعمائة هندي لاناس اشتروا لهم حصة من الملك لان لكل معدنجي بعض هنود معينين ليشتغلوا في معدنه وفي امر الملك مرسوم ان يعطوا من كل قرى الهنود رجالا لقطع المعادن والقانون هو من كل خمسة رجال يطلع واحد للشغل المذكور واذا لم يرض حكام القرى ارسالهم فالوزير يجرمهم ويعزلهم . ولما يجيء هؤلاء الهنود الى بلد بوتوسي يقسمهم الحاكم على المعادن .

٣٩ـ وصف استخراج الفضة :

وفي هذه البلدة سبعة وثلاثون طاحونا يطحنون فيها حجارة الفضة ليلا ونهارا ما عدا ايام الاحاد والاعياد وبعدما يطحنون الحجارة ناعما ياخذون ذلك التراب المطحون مقدار خمسين قنطارا ويجعلونه كومة ثم يجبلونه بالماء مثل ما ذكرنا سابقا ويضيفون اليه الزيبق قدر الحاجة ثم يجبلونه ويحركونه بالمجارف عدة مرات وان طلب زيبقا ازيد فيطعمونه حتى يكمل . فان كانت طبيعته باردة فيخلطون فيه نحاسا حتى يسخن وان كانت طبيعته سخنة فيضيفون اليه الرصاص حتى يبرد . والواسطة التي بها يفرقون هل هو سخن أم بارد هو انهم ياخذون منه في شقف فخار ويغسلونه بالماء حتى يروح الطين فتبقى الفضة والزيبق فيلمسه (يدلكه) باصبعه على شقف الفخار المذكور فاذا تفرفط (تفرط) فهو سخن واذا انطلس (لصق) فهو بارد واذا كان مطبوخا ومعتدلا كاملا فيجيء ممتدا على الفخار ومبرقا . ثم يجعلونه في حوض ماء والماء جار عليه يحركونه بالماء بصنعة . فالفضة مع الزيبق يرسخان الى اسفل والتراب ياخذه الماء الى خارج . فلما يكملون غسل تلك الجبلة كلها يسدون ويقطعون الماء الفائض عليه وينظفون الحوض من الماء ويستخرجون تلك الفضة والزيبق الراكنين جميعا ثم يجعلونه في اكياس من جنفاص يعلقونها وتحت هذه الاكياس صناديق مجلدة من جلود البقر فيهرب الزيبق من الاكياس ويقع في تلك الصناديق الجلدة وتبقى الفضة خالصة فقط في الاكياس مثل قوالب رؤوس السكر . وجميع هذه البضايع اللازمة لعمل استخراج الفضة تدور دواليبها بالماء مثل الطواحين وغيرها .

وانا كان لي رجل صديق صاحب معدن فحكى لي عن والده قائلا انه كان لوالده معدن في هذا الجبل لكن كان قليل الفضة فامر الفعلة الهنود ان يردموه ويسدوه بتلك الحجارة التي اخرجوها منه . ففعلوا كما امرهم وسدوه وبداوا يشتغلون في غير جانب . فمن بعد سبع وثلاثين سنة راح صاحبي هذا المذكور وفتح ذلك المعدن فوجد تلك الحجارة التي كانت غير نافعة قد تحولت وتبدلت في تلك الايام واستوت كالثمرة فاخرجوها واخذوا فضتها فاعطت كل واحد ثلاثين لان اقليم هذا الجبل الفضة مسلط عليه نجم يسمى عطارد وهذا النجم يطبخ الفضة(٨٥) .

ورايت في هذه البلدة اربعة رجال اغنياء جدا هؤلاء هم الذين يشغلون السكتخانه لقطع الدنانير وكل جمعة يشغل احدهم الكرخانة ويقطع في الجمعة مائتي الف غرش وازيد لانهم يشترون الفضة من اصحاب المعادن ويقطعونها غروشا وهم يشترون الفضة الوزنة التي هي ماية مثقال باثني عشر غرشا ونصف فلما يسكونها تصير ستة عشر غرشا ويعطون كل سنة من هذه المعادن عشورا للملك مليونين ونصف . وخارج هذه البلدة بحيرة ماء ذكروا ان في بعض السنين طافت على البلدة وهدمت بيوتا كثيرة لكن الناس سلموا . وانا بقيت في هذه البلدة خمسة واربعين يوما .

(٨٥) هذا من الخرافات القديمة .

٤٠ـ السفر الى جوكيساكا (Chuquisaca)

وخرجت من هناك متوجها الى بلدة تسمى جوكز . وفي اللسان الهندي تسمى جوكيساكا(٨٦) . فاول يوم وصلنا الى مكان فيه حمامات ماء سخن خلقة يخرج من الارض يسميه السبنيولية لوس بانيوس كالينتوس (los Bagnos Calientes) فبت هناك تلك الليلة . وثاني يوم وصلت الى البلدة المذكورة فخرج اليسوعية خارج البلد لاستقبالي واخذوني الى ديرهم . وفي هذه البلدة يوجد ديوان الملك ومدبر البلاد . لكنهم تحت يد وزير ليما . وفيها مطران له معبور في كل سنة ماية وعشرين الف غرش وهذا كان سابقا اسقفا على بلدة اكوماناكا المذكورة وكان قد اهدانا هدية في اسقفيته وبعد ذلك انعم الملك عليه واعطاه هذه المطرانية . فثاني يوم رحت قابلته فاكرمني اكراما زايدا . واما رئيس ديوان البلد فهو رجل كاهن وكان صاحبي فاكرمني ايضا بواسطة الوزير صاحبي لانه كان صديقه وكان يسمى دون برتلماوس ده بلويدا . فارسل من قبله رجلا ليزورني . وجاء ايضا من جانب المطران قسيسان زاراني وبعد ثمانية ايام طلع برفقتي راهبان من دير اليسوعية فزرت الذين زاروني من القسوس والرهبان والعوام .

وبعد اثني عشر يوما طلب مني المطران ان اقدس في الكنيسة الكبيرة يوم عيد الرسل وكان عندي آلة القداس يعني البدلة وغير اشياء كان انعم علي بها البابا اكليمنضوس التاسع ومن بعد ذلك عزمني رئيس ديوان الملك لاقدس في كنيسة الديوان التي هي في سرايته واهداني هدية أزيد من هدية المطران . ومن بعد ذلك كان رؤساء الديورة يدعوني ان اقدس في كنائسهم وفي ديورة الراهبات . وكان لي هناك رجل صديق من اهل الديوان يسمى دون خوان كونصالس وهذا رافقني من اسبانية . ففي ذلك الوقت جاء أمر من الملك الى هذا الرجل المبارك ان يروح الى ليما وياخذ محاسبة من الوزير المعزول الذي هو صاحبي .

وكان لاحد الرهبان اليسوعية اخت مريضة فطلب مني ان اروح أزورها وان كنت اعلم بشيء من احوال الطب فاحكمها . فرحت زرتها وعالجتها ببعض أجزاء مناسبة لعلتها وسقيتها درهما من رماد العقاريق(٨٧) فبقدرة الله تعالى تعافت . وكانت ايضا راهبة اخرى في الدير مريضة فارسل الي المطران دستورا حتى أعبر اعالجها لان بغير اجازة لا يقدر ان ان يجتاز باب الدير فدخلت الدير وعالجت الراهبة فبحكمة الله وعنايته طابت وتعافت . فصار قوشة (حركة) عظيمة في البلد . وكانوا يريدون ان اسكن عندهم في البلد فارادوا أن يعطوني علوفة خمسمائة غرش في السنة فقلت لهم ليس هذا ممكنا .

(٨٦) وتسمى الان لاباز (La Paz)

(٨٧) العقاريق جمع عقروق لفظة سريانية معناها الضفادع .

٤١ـ وصف توكومان Tucuman وبونس ايرس Buenos Aires

وكان في الدير راهب يسوعي وكيل متصرف على بلاد تسمى توكمان(٨٨) ولهم هناك ديورة . واسقف تلك البلد كان صاحبي ورفيقي من اسبانية فطلب مني الراهب ان اروح الى تلك البلاد وهي بعيدة خمسمائة فرسخ عن بلد جوكز . ويروح في هذا الدرب كلكات البر وينصبون لهم اقلاع فالريح يوديهم . ووعدني ان طاوعته ورحت معه وجبرت في خاطره يعطيني الف بغل . لان المواشي في تلك البلاد شيء كثير وعديمة القيمة في الجبال وهي وحشية . لكن امتنعت عن الرواح معه بسبب طول المسافة . وايضا في تلك الجبال يوجد هنود كفرة ولخوفي منهم قصرت عن الرواح . وهذا الاقليم واسع جدا . وهو اكبر من الثلاثة الاقاليم الاخر غني بمعادن الفضة والذهب والجواهر . لكن سكانه قليلون وفيه ناحية تسمى سانتافه (Santa Fe) ومن هناك يخرج الزمرد . وهذه الاسقفية لها ارض خمسمائة فرسخ . وعن جانب هذه البلدة يوجد كورة وهي اسكلة بوناس ايرس (Buenos Aires) وهذه البلدة هي على البحر المحيط قريبة من بلاد البرازيل التي من حكم البورتكيز . وفي هذه البلدة بوناس ايرس المذكورة يزرعون حشيشا يسمى ايربا ديال بايل كواي وجميع المتولدين في تلك البلاد يشربون من ذلك الحشيش المذكور مغليا مع سكر بماء سخن . فاذا شرب الانسان منهم فنجانا واحدا ينفعه واذا اراد ان يتقيا يشرب منه اكثر فيدلق جميع ماعنده من العفونات . وهذا سالك بين جميع الناس في تلك البلاد كمثل القهوة في بلادنا .

ومن يمين هذه البلدة جوكز المذكورة يوجد بلد يسمى ميسكي (Misque) ويسكنها هنود مع اسبنيول وفيها حاكم واسقف . ومنها ينحدرون سائرين في البحر مقدار خمسماية فرسخ ثم يصلون الى ارض تسمى جبله وجلويه وولدبويه . وفي هذه البلدة جبلة اسقف وديوان الملك وحاكم يسمى جنرال وهم دائما في حرب مع الهنود والكفرة لان هؤلاء الهنود من قبل ماكانوا يعلمون احوال الحرب لكن بعدما تعاشروا مع السبنيولية تعلموا مثلهم . وما كان لهم اولا خيل ولا كانوا يعرفون ركوبها . فالان صاروا يركبون الخيل برماح شبه العرب ويتحاربون مع السبنيولية دائما واذا مسكوا احدا منهم يشوونه وياكلون لحمه واما الراس فيطلعون جمجمته ويعملونها طاسة ويشربون بها نبيذا من نبيذ بلادهم وهؤلاء عصاة وشديدون وقساة القلب وهم مضادون السبنيول وصية من آبائهم واجدادهم الا البعض منهم كانوا هربوا من هذه البلاد من زمان الفتوح لما قتل ملوكهم وسكنوا في جبال عالية وعاصية .

فمن بعد خمسة واربعين يوما خرجت من هذه البلدة صحبة القاضي دون خوان المرقوم ليروح ياخذ المحاسبة من الوزير صاحبي المعزول من ليما ثم رجعت الى بوتوسي المذكورة . ولما كنت في بلد جوكز كان عندي صورة راس ووجه المسيح كنت قد جبتها (احضرتها) معي من رومية فاهديتها الى راهب يسوعي . فلما وصلت الى بلد بوتوسي وفتحت الصندوق وجدتها عندي في الصندوق فبقيت متحيرا مع خدامي ورفقائي من هذه العجيبة فلما سمع رئيس دير رهبان المرسه التي تاويلها رهبنة مريم الموهبة طلب مني هذه الصورة فاهديته اياها على ظني انها ترجع ثاني مرة فما رجعت .

(٨٨) يريد مقاطعة توكومان وبونس ايرس التي كانت تدعى رسالة البارغواي الشهيرة في تاريخ العالم الجديد .

٤٢ـ الوزير المعزول :

فالان نرجع نتكلم عن الوزير الذي في ليما صاحبي الذي عزلوه بغير ذنب وجاء امر من الملك الى المطران الذي في ليما ليحكم مكانه الى ان يجيء حاكم ام وزير آخر . وهذا الوزير المعزول كان سعى في هذا المطران حتى عمله مطران ليما . ولما انعزل صار المطران عدوا له كبيرا . واما سبب عزل الوزير فهو ان تجار الهند كانوا كتبوا ضده الى الملك والى اخي الملك دون خوان اوستريا افتراء بغير حق .

فبعد وصول المعارض من الهند الى اسبانية حصلت في يد اخي الملك الذي كان عدوا كبيرا للوزير بسبب ان اخا الوزير كان من طرف الملكة فارسل عزله . وانا خرجت من بوتوسي صحبة ذلك الرجل الذي راح ليطلب المحاسبة من الوزير فوصلنا الى بلدة تسمى اوكيبا قريبة من البحر الازرق . وقبل دخولنا بليلة في نصف الليل تاهت البغال فنمنا تلك الليلة في شدة عظيمة لان كان معي حمل فضة رملية فشكرنا الله عند الصباح وجدناها لان في تلك الارض ما يوجد حراميه . وثاني يوم دخلنا الى البلدة المذكورة . فتلاقيت مع الاسقف المذكور الذي كان في باناما وانا حامل عكازته وخلصتني من الغريق في تابوكا . فترحب بي واستقبلني كاخ له بعز واكرام فهناك حكوا لي عن هندي له معدن قوي غني وما اكتشف عليه السبنيولية فكان يروح هو وابنه الى المعدن سرا في الليل ويقطعان حجارة الفضة وياتيان بها الى داره ويصفيانها بالنار فلما حكوا لي انه اعطى حسنة قداس اربعين الف غرش ارسلت وراءه ودعوته عندي وقلت له : اخبرني لاجل اي سبب لم تكشف هذا المعدن للملك حتى ينعم عليك وعلى اولاد اولادك من فرايض ومراتب الحكم في هذه البلدة . فاجابني قائلا : رايت هنودا اقدم مني كشفوا حالهم للسبنيولية وماتوا اخيرا تحت العذابات . هو هو السبب فانا صدقت كلامه من جهة الظلم الذي نظرتهم يعملونه على الهنود . ومكثنا في تلك البلدة عشرة ايام الى وقت ما حصل لنا مركب .

ثم سافرنا في البحر ثمانية ايام حتى انتهينا الى ميناء ليما التي تسمى الكليا El-Calláo وهي تبعد عن البلد فرسخين . والفضة الرملية التي كانت معي لو تكون بيد غيري لكانوا اخذوها للملك لكن ما ارادوا ان يفتحوا احمالي . ثم دخلنا الى بلد ليما في عربانة صاحبي رئيس ديوان الايمان . وهذا رفيقي نزل في مكان آخر . واما المطران الموكل على الحكم صادد هذا القاضي الذي جاء ياخذ المحاسبة وحبسه في داره قائلا : اولا تنفي الوزير الى مكان بعيد مقدار مايتين فرسخ وبعد ذلك تسمع الشكاوات ودعاوى الناس فاحضروا الوزير وعرضوا عليه امر النفي فطاع لان قوانين اسبانية لما يعزل حاكم ينفونه الى فرسخين لكن هذا الوزير عدوه دون خوان مثلما ذكرنا سابقا فامر بنفيه الى مايتين فرسخ . فطاع امر الملك وخرج متوجها الى مكان النفي المرسوم الذي يسمى بايتا وهي ارض حامية يحضرون اليها ماء الشرب من بعد فرسخين وبقيت امراته وخدامها خارج ليما فرسخين بسبب انهم كانوا قليلي العافية وانا طالعت في رفقة الوزير مع بعض اصحاب لنودعه الى ميناء الكليا . وهذا الرجل كانت امانته زائدة في العلماء فقال : ولو سقوني السم ما يضرني بقوة الاله ووالدته القديسة الطاهرة مريم . فخرج مركبه مسافرا ونحن رجعنا الى البلد .

فدخلت عند مطران البلد وتكلمت معه وقلت له : كيف يحل من الله ان تنفي هذا المسكين الى ذلك المكان البعيد وهو

رجل ضعيف لان الحكماء قالوا ان الذي يروح الى تلك البلاد السخنة يموت . فالسيد المسيح امرنا في افعال الرحمة اننا نفتقد المرضى ونزورهم ولا نطردهم وننفيهم الى مكان بعيد حيث خطر الموت . فاجابني قايلا : انا مغتاظ على امراته لانها شتمتني لاجل ذلك اردت انتقم منها في نفي زوجها الى ذلك المكان . وكان الوزير لما ودعته امرني ان ادير بالي على بيته وعلى امراته لخوفه من الاعداء ان يسقوها سما وانا بقيت سنة وشهرين مهتما بعائلته .

فارسل المطران الى القاضي ان لا يحاسب الرجل الى وقت ما يعطيه دستورا . فبقي في هذا الحال مقدار سبعة اشهر متعطلا . فمن بعد ذلك اعطاه دستورا وجعل الموعد ثلاثة اشهر . ففي جمعة الالام عجل القاضي في انهاء هذه الدعوى وسجل الدفاتر وختمها وارسل لصق في حيطان الازقة اوراقا بان الوزير المعزول تقرر ان ليس عليه ذنب ولا الباث بعلة من العلل بل خالص من جميع المصاريف والزلل . فلما سمع المطران حزن وخزق ثيابه من اله . حينئذ رجع الوزير من النفي الى بلدة ليما . فخرج لملاقاته من البلدة جميع الاعيان والاشراف ورافقوه الى القرية حيث كانت امراته وصار فرح عظيم عند الاعيان وعند الهنود لسبب رجوعه سالما . ومنحه الله بعد رجوعه ولدا ذكرا سماه فردينندو ديلا كويا كونده كستيليا ومركيز دي ماراكون .

٤٣ـ صداقة السائح للمظلوم :

ولما كان الوزير منفيا ارسل المطران استدعاني وقال لي : لاي سبب انت مرتبط وملتصق بهذا الرجل ؟ تعال الي واتركه وانا اسكنك عندي واساعدك في جميع مصالحك بكل ما تحتاج . فقلت له : كيف يمكن ان اترك صديقي القديم واعدم صحبته لاسيما مثل هذا الرجل الصالح وبالاكثر الان بسبب انه معزول والله اوصانا باعانة الضعفاء واقامة الساقطين لان الانسان الذي يكون ولد حلال ويعرف اصله وشرف جنسه لا يترك صديقه الاول عند عزلته بل يساعده ويسليه في كربه وضيقته . وانا واقف ايضا في خدمتك ومحبتك ومثل ما انا صديقه انا ايضا صديقك . فقال لي : اصنع ما تريد . فبعد مدة شهرين ارسل المطران يدعوني فعندما دخلت البلد رحت عند صاحبي رئيس ديوان الايمان وحكيت له فقال لي : اذهب اليه وكلمه بكل ما في خاطرك . فرحت اليه وتكلمت معه فقال لي : لاي سبب ما تروح الى بلادك فقلت له : انا اريد الرواح الى بلادي لا مانع يقدر يمنعني والان ما لي نية ان اسافر من ههنا . فقال لي : ان امرك والرخصة الممنوحة لك لاربع سنين وها هي قد كملت . فقلت له : نعم هكذا هو لكن انا ما اريد اسافر وافترق عن الوزير وانت اصنع ما تشا وتريد . فقال لي : لاي سبب تحب هذا الرجل وتحامي له وانا ما تحبني مثله . فقلت له : نعم ان في بلادنا وعوائدنا يحامون عن الانسان الواقع ويساعدونه وتكمل وصايا الله الذي اوصانا قائلا حب قريبك كنفسك . فانا احب الوزير واحبك واحب قريبي . ثم قام من كرسيه وجاء احتضنني قائلا : الله يبارك عليك لانك ابن ناس اشراف ودمك واعمالك تشهد عليك . فرجعت عند صاحبي رئيس ديوان الايمان وحكيت له ما جرى ففرح وفرحت ايضا امراة الوزير وقالت : الله تعالى يرحم والديك الذين خلفوك ويزيد اصلك .

٤٤ـ عودة الرحالة من البيروه الى باناما :

ثم اني في تلك الايام انسحبت الى قرية خارجا عن البلد بنصف فرسخ تسمى مادلينا لانه كان هناك بيت جميل وبستان لصاحبي رئيس ديوان الايمان فسكنت هناك خمسة اشهر وانا مستنظر مراكب اسبانية . وكنت ايضا في ذلك الزمان اكتب تواريخ سفري . فلما وصلت المراكب جاء معهم وزير جديد . وصار لي في هذه البلاد ست سنوات لسبب صاحبي الوزير المعزول لانه كان وعدني انه يقضي لي اشغالي عندما يرجع الحكم الى يده . فلما نظرت ان وزيرا جديدا قدم قطعت املي . فلما وصلت مراكب اسبانية الى بورتو بلو ورست هناك امر مطران ليما الذي كان يومئذ متوليا وحاكما على تلك بلاد البيروه ان يحمل تجار ليما الخزنة على المراكب التي تخص الملك وينحدروا الى بورتو بلو ويحضروا الموسم لان قوانين تلك البلاد ان لما تصل الغلايين من اسبانية الى بورتو بلو وتنحدر المراكب الى باناما فينقلون الفضة من باناما الى بورتو بلو على مقدار الف بغل ولا يزالون ينقلونها مدة شهر . والبعد هو ثمانية عشر فرسخا . وفي نصف الدرب يوجد نهر صغير (Chagre) يقطعونه بشختورات يسمونها كاتوس (Chatas) موسوقة الى بورتو بلو ويصير الموسم حينئذ مدة اربعين يوما لا غير وينهون في هذا الزمان كل البيع والشراء .

فلنرجع الى قولنا . فخرجت مع الوزير المعزول وخرج كل الاشراف والاعيان ليودعوه وكان معنا تجار ذاهبين الى الموسم وصار ذلك اليوم عظيما بضرب المدافع والحراقات وذلك يوم الاحد في واحد وعشرين من شهر ايلول سنة ١٦٨١ فخرجنا من هذا الميناء المسمى الكلياو (El Callao) قاصدين ميناء باناما ومن الكلياو وصلنا في خمسة ايام الى ميناء يسمى بابتاف (Amotape) واشترينا كل ما نحتاج اليه من الزوادة فهناك الدجاجة تسوى غرشا ونصف والغنمة تسوى خمسة غروش . ثم بعد يومين سافرنا فوصلنا بعد ثلاثة ايام الى مكان في البحر يسمى الورتوخاده (Amortajada) يعني المحنط لسبب ان هناك البحر قليل العمق وينحدر الماء ويسوق المراكب على انحراف . لكن الرب نجانا بواسطة والدته الشفيعة مريم العذراء لان صار علينا ضباب وهمدت الريح وكانت امواج البحر التي تسمى كورنته (Corriente) ترجعنا وتدفعنا للارض حتى تاملنا ونظرنا اننا صرنا قريبين للكهف(٨٩) . فطار عقلنا ولمنا عموما انتصبنا للصلاة والكاهن يبارك ويحل لاننا اشرفنا على الموت ونحن نتضرع بتخشع لله ولوالدته مريم العذراء . فبعد ان اكملنا الصلاة هبت ريح من قلب الجبل مثل منفاخ ودفعت مركبنا الى البحر فتخلصنا من ذلك الشر والخطر العظيم . والمراكب اللاحقة ورائنا من بعد لان الهواء كان هامدا والبحر جامدا لما راونا قادمين اليهم بالهواء تعجبوا جدا . ورافقتنا هذه الريح الى عصر اليوم الثاني فدخلنا الى ميناء يسمى سانتا الينا يعني قديسة هيلانة (S. Helena) حيث مكثنا احد عشر يوما ننتظر المركب القادم من بلد غواياكيل . وهذا المركب المدعو مركب الذهب كان محملا اثني عشر مليونا من فلما وصل الينا الجنرال امرنا بالخروج من هذه الاسكلة فخرجنا قاصدين باناما فدخلنا اليها بالخير والسلامة بعد خروجنا من ليما باثنين واربعين يوما وهنا وجدنا مركبين فيهما جنود اسبنيولية جاءوا من بنكي دنيا ليفتشوا على قرصان البحر

(٨٩) نظنه اراد معنى الصخر لان كلمة الكهف وردت على لسان البغداديين بهذا المعنى نقلا عن السرياني والمعنى العربي معروف وهو المغارة او البيت المنقور في الجبل .

يعني اللصوص الجلليه(٩٠) الذين في البحر القبلي . فاشار علي صاحبي الوزير المعزول ان اذهب الى ينكي دنيا لانه استحى مني بسبب انه ما قدر يعمل معي شيئا من الذي وعدني به واستعد ان يجهزني بكل ما احتاج ويعطيني مكاتيب توصية الى وزير ينكي دنيا الذي كان من اقاربه

نبتدي بعون الله تعالى وحسن توفيقه العظيم ونؤرخ اخبار

سفرتي الى بلاد ينكي دنيا(٩١) .

٤٥ـ السفر من باناما . جزيرة سليمان :

ففي شهر كانون الاول من شهور سنة ١٦٨١ مسيحية دخلنا في المركب الكبير الذي يسمى قبطانا وسافرنا ثلاثة فراسخ فوصلنا الى جزيرة تسمى تابوكا (Taboga) سابقة الذكر وهناك مكثنا ثلاثة ايام وملانا ماء وتسوقنا خضرا وفواكه وغيرها من المبردات . ثم سافرنا قاصدين ميناء يسمى رياليخو (Realejo) فمن بعد خمسة ايام جزنا على جزيرة تسمى مونطوزا (Montuosa) وهي غير مسكونة وهناك سكنت علينا الريح وبقينا اثني عشر يوما لا يتحرك المركب . وكان ايضا بجانبنا جزيرة اخرى تسمى ايسلاده لوس لدرونس (Isla de los Ladrones) اعني جزيرة اللصوص فذكروا لنا ان مركبا سافر في هذا البحر الى ينكي دنيا فاصابته ريح مخالفة ورمته في جزيرة الرمل ثم سكنت الريح بعد يومين فجعل البحرية يعمرون بعض اشياء في مطبخ المركب كانت انهدمت من كثرة الرياح التي صادفتهم في البحر فطلعوا الى الجزيرة واحضروا منها رملا ليملاوا الحوض الذي يطبخون عليه ثم سافروا من تلك الجزيرة . وثاني يوم طبخ لهم الطباخ مثل العادة فاراد أن يحركش النار فراى الرمل كالحجر فقلعه فاذا هو قرص ذهب فلما علموا ارادوا الرجوع الى الجزيرة فما استطاعوا لانهم لم يكونوا اكدوها ولا وزنوا قيراطات الشمس . وهذه الجزيرة كانت تسمى في كتب القدماء ايسلاده سلامون (Isla de Salomon) يعني جزيرة سليمان ويقولون بان سليمان لما عمر البيت كان يحضر الذهب من هذه الجزيرة . والان السبنيولية ما لهم نشاط واتفاق وحرارة طبيعية حتى يفتشوا على هذه الجزيرة(٩٢) وبعد الزمان المذكور سهلت لنا الريح السفر فسافرنا وبعد ثلاثة ايام وصلنا الى ميناء يسمى كولفو دولسه (Golfo dulce) يعني الخليج الحلو لان هناك يجري نهر ماء حلو ويختلط في البحر فرسينا هناك وخرج البحرية ليملا الماء وانا خرجت معهم الى الارض لشدة الحر وابتدات اغتسل في مياه النهر الباردة ليتطرى جسدي . وهذا النهر عمقه ذراع فقط ورايت رمله مخلوطا بالذهب فاريته رئيس الركب الذي كان مولودا في تلك البلاد فقال لي : لا تعجب من ذلك لان في كل هذه الاراضي وهذه الانهر يوجد الذهب . لكن السبنيولية لا يتجراون على المجيء لاستخراجه لسبب الهنود الكفرة الساكنين في رؤوس الجبال لان في ذلك الصقع يوجد هنود بغير عدد . وفيما نحن راسون حدث علينا اضطراب عظيم في البحر ومن شدة الاضطراب انقطع حبل المرساة مرتين .

وبعد ان بقينا هناك ثلاثة ايام اقلعنا وسافرنا فوصلنا في ستة ايام الى ميناء اسمه كلديره (La Caldera) اي ميناء التنجره (الطاجن) فرسينا هناك . فقلت لعسكر المركب ان يحوشوا لي من البحر صدفا فاتوا بتسع صدفات ففتحتها واحدة واحدة لناكل ما فيها ففتحت واحدة ورايت داخلها حبة لولو قدر الحمصة . فقلت للجنرال : ايش هذه النذالة كيف يكون في هذا البحر لؤلؤ وما تستخرجونه . فقال لي : هذا ايضا لخوفنا من الهنود الكفرة . وبقينا في الميناء يوما وكانت الريح ضعيفة والسماء تمطر مطرا سخنا . وبعد خمسة ايام انتهينا قرب جبل يسمى باباكايو (Papagio) ولما وصلنا هاجت علينا ريح شديدة وانكسر صاري الركب ثلاث شقف فبقينا من القاطعين الرجاء وايسنا من الخلاص لاجل الاضطراب الذي في البحر وهبطت قلوبنا من الخوف لكن بقدرة الباري تعالى هديء البحر وهمدت الريح .

٤٦ـ بلاد نيكاراغا :

وبعد ستة ايام وصلنا الى ميناء رياليخو (Realejo ,Rialexo) ونزلنا الى الارض فبقينا هناك يوما وليلة فكتب الجنرال الى اسقف مدينة ليون (Leon) التي تبعد من هذا الميناء نحو تسعة فراسخ واعلمه بقدومي فلما سمع فرح فرحا عظيما لانه لما كنت في باريس كان تصاحب معي وكان له دعوى مع الرهبان في باريس وهو ايضا كان راهبا من طائفة المرسه (Merci) فحين كسب الدعوى وجاء الى مدريد انعم عليه ملك اسبانية بهذه الاسقفية . وثاني يوم خرجت قاصدا مدينة ليون ولما اقتربت رايت الاسقف جاء لاستقبالي خارج البلد مقدار فرسخين فتلاقينا مع بعضنا ثم اخذني الى بيته وبقيت عنده ثمانية ايام . وهناك صادفت رجلا صاحبي كنت نظرته وتعارفت معه في ليما . فهذا الرجل المبارك اهداني بغلة جيدة والاسقف ايضا اهداني بغلة اكراما .

ومن بعد الثمانية الايام خرجنا من هناك الى ضيعة بعيدة فرسخين تسمى سلواجه ثم رحلنا منها فوصلنا الى ضيعة اخرى تسمى باللسان السبنيولي نوسترا سنيورا ديل ويخو (Nostra Senora del Vejo) يعني ضيعة ستنا العذراء للشيخ . فهذه العذراء لها معجزات كثيرة لاسيما مع المسافرين في البحر ولما كنا في لجاج البحر وانكسر صاري مركبنا كما ذكرنا سابقا كنت نذرت على روحي اني اذا وصلت الى كنيستها اقدس لها تسعة ايام فبقيت في هذه الضيعة تسعة عشر يوما ووفيت نذري(٩٣) وايضا كنت انتظر سنبكا الذي يسمى كاتوه

---

(٩٠) اي العصابات .

(٩١) يريد بلاد المكسيك اي العالم الجديد .

(٩٢) وجدنا في تاريخ الاسفار نص هذا الخبر كما ذكره رحالتنا لكن كثيرين من الكتبة ينفون صدقه سيما بعدما سعت اسبانية سنين طويلة في تحقيقه ولم تبلغ المرام . فقد سافر الفارو دو مندوزا سنة ١٥٩٥ وبمعيته اسطول عديد فطاف كل الجزائر المجاورة فلم يجد ضالته . وبعد هذا التاريخ بثلاثين سنة سعى انطوان دي مدينة وغيره من البحارة من البارة في البحث المدقق فذهبت مساعيهم ادراج الرياح . على ان تسمية هذه الجزائر باسم سليمان وانه استجلب منها الذهب اختلاق لم يبن على اساس .

(٩٣) ذكر المؤرخون هذا المعبد ووصفوا المعبد ووصفوا المعجزات التي تجريها فيه العذراء المجيدة وقد سميت سيدة ويجو او الشيخ لسبب جبل النار القريب منها والمسمى (Volcan Vejo)

وبالفرنساوي (Canot) لنجوز هناك في مضيق (Canon) البحر وهو نحو اربعة وثلاثين فرسخا . وكان الاسقف اوصاني ان لا اعبر في هذا المضيق لانه مخطر جدا وفيه تغرق سفن كثيرة . لكني اتكلت على معونة مريم العذراء وكنت ادعوها بنت بلادي وركبت في السنبك .

٤٧ـ بلاد سان سلفادور ـ وصف نبات النيل :

ففي عشرين ساعة جزنا ذلك المضيق ووصلنا الى الجانب الاخر ونزلت في قرية تسمى امابلا (Amapala) وهي اربعة بيوت للهنود . فلاقيت هناك اسبنيوليا آتيا من ينكي دنيا وذاهبا للبيرو . فحكى لي انه باع فرسه لرجل هندي مع سرجها ولجامها بقرشين ونصف لانه كان يريد ان يجوز مضيق البحر ولهذا باع فرسه بهذا الثمن . ومن هناك رحنا وسرنا ثمانية أيام اربعين فرسخا فوصلنا الى قرية هنود تسمى اموشابو . ومن هناك رحلنا وسرنا ثمانية فراسخ فوصلنا الى قرية تسمى صان ميكابيل (S. Miguel) ومنها سرنا ثمانية فراسخ الى قرية تسمى زرواكين . ومنها سرنا ستة فراسخ فوصلنا الى قرية تسمى استيبيك (Istepec) ومنها سرنا سبعة فراسخ فوصلنا الى قرية تسمى كوكينبيت . ومنها رحلنا الى قرية صان مرتين (S. Martin) ثمانية فراسخ . ومن هناك الى صان سلوادور (S. Salvador) وفي هذه التخوم يزرعون النيل. وهذا النيل يشبه النفله اي الفصه التي يطعمونها للخيل وكل واحد منهم له مزرعة فيزرعون النيل مثل القمح وبعض السنين يعلو طول قامة انسان فيرخص في ينكي دنيا وبعدما يكمل زمان حصاده يحصدون ذلك الحشيش ويرمونه في حوض عظيم فيحمى وياكل بعضه البعض وفي ذلك الحوض دواليب ليخبطوا الماء ثم يفرغونه في حوض آخر ومن بعد ثلاثة ايام يزبد فياخذون في اياديهم تلك الزبدة مثل الطابات وينشرونها في الشمس فهذا الذي يسمونه في بلادنا نيل قروتي والاسفل يعملونه نيل التختة.

٤٨ـ بلاد غواتيمالا :

ومن هناك رحنا الى قرية تسمى خالايا وهو خمسة فراسخ . ومن هناك الى قرية تسمى اوبيكو سبعة فراسخ . ومن هناك الى قرية تكيسا ستة فراسخ وهذه القرية يسكنها مولاتوس (Mulatos) يعني المولودين من اب ابيض وام سودا وهؤلاء هم سمر لا بيض ولا عبيد . ومن هناك الى قرية اسكلاوس عشرة فراسخ . ومن هناك الى قرية بيتابا اثني عشر فرسخا . ومن هناك الى قرية سنتياكو (Santiago) يعني مار يعقوب ستة فراسخ . ومن هناك جزنا الى بلد واتيمالا (Guatemala) ونزلت في دير مار عبدالاحد فقبلوني بفرح عظيم . وفي هذه البلدة ديوان الملك الذي يسمى في السبنيولي اودنسيا (Audiencia) برأسه واحد يسمى برزيدنته (Presidente) اي رئيس الديوان . وايضا في هذه البلدة اسقف غني جدا اسمه دون خوان اوتيكا فرحت زرته وجاء هو ايضا زارني يوم الاحد الثاني من صوم الكبير فدخلت قدست في الكنيسة من غير دستور الاسقف بحضرة اب اعترافه فراح حكى له عن حلة القداس وعن بدلة البابا ففرح فرحا عظيما وامر اثنين من خوارنة تلك الكنيسة ان يقفا في خدمة قداسي عندما اقدس . وبقيت في هذه البلدة اربعة وثلاثين يوما معززا ومكرما من الجميع وقدست في جملة الكنائس وفي ديورة الرهبان وبالحق انهم كانوا يقدمون لي هدايا لائقة . وكان أيام الصوم الكبير سنة ١٦٨٢ مسيحية .

ثم بعد تلك الايام خرجت من هذه البلدة ورافقني اثنان من جواويش الديوان واربعة من الخوارنة من جانب الاسقف الى خارج البلدة بميل فتودعت منهم وتودعوا مني ورجعوا الى المدينة وانا سرت مسافرا ثلاثة فراسخ فوصلت الى قرية تسمى شتماليتا بجاكو . ومنها الى قرية تسمى باصون ستة فراسخ . ومن هناك الى قرية باسيما طولوز سبعة فراسخ . ومن هناك الى صان انطون جيشتبك (St. Antoine de Suchitepec) اثني عشر فرسخا . وهذه القصبة كان لها حاكم من مدينة سيوبليا فاشتكى عليه الهنود الى ديوان واتيمالا حتى يعزلوه فقمت انا توسطت له وكتبت الى رئيس الديوان الذي كان يسمى دون خوان ميكابيل ده اهورتو . وهذا الرجل قوي مسيحي ومحب للكهنة ولما كنت اروح أزوره كان يبرك على ركبتيه ويبوس يدي . وفي هذه القصبة المذكورة يصير الكاكاو الذي يصفونه جيكولاته واشجاره كثيرة العدد وهي في يد الهنود وهم اغنياء جدا وقد جعلوا اربعة آلاف غرش رهنا حتى اذا تخاصموا مع الحاكم او مع خوري القرية يصرفون من فائدة هذه الدراهم على القضاة والكتبة . ورحت من هذه القرية الى قرية تابو وهي على خمسة فراسخ . ومن هناك الى قرية صانتا ماريا ده بيلين ستة فراسخ . ومنها الى قرية صان كريستوفل ثلاثة فراسخ . ثم الى صان فرنسيسكو الالطو ستة فراسخ . ثم الى قرية خولانيلس ستة فراسخ . ثم الى رانجو قرية صان رايمون خمسة فراسخ . ثم الى اكواكتينا انكو فرسخان . ثم الى قرية بيانطو فرسخان . ثم الى قرية كوكومادانس عشرة فراسخ . ثم الى قرية صان مرتين ثلاثة فراسخ ثم الى قرية بيقيطان فرسخان . ثم الى قرية صان انطون برسكين خمسة فراسخ . ثم الى قرية وسيتمنام . ثم الى قرية اسكيتناتكو (Isquintenango) سبعة فراسخ . ثم الى قرية سوسويتانكو سبعة فراسخ . ثم الى قرية بينولا ثلاثة فراسخ . ثم الى قرية توبيسيا (Teopisca) خمسة فراسخ . ثم الى بيكانا قرية سيوداد ريال (Ciudad Real) ستة فراسخ . ثم الى بيلاكانا فرسخان . ثم الى قرية استابا ستة فراسخ . ثم الى خيابا خمسة فراسخ ثم الى بلد جيابا (Chiapa) السبنيول فرسخان .

٤٩ـ بلاد شيابا (Chiapa) ـ رسول السلام :

فدخلت الى هذه البلدة ونزلت في بيت الحاكم وفي هذه البلدة اسقف يسمى دون الونصو براوو كان متخاصما مع بروبنسيال (Provincial) اعني رئيس رهبان مار عبدالاحد . وكان الاسقف المذكور قد حرم حاكم البلد . فلما نظرت هذا الحرم والبغضة التي بينهم تالمت كثيرا فتكلمت مع الاسقف ومع البروبنسيال واجتهدت على عمل الصلح بينهما . ثم بعد يومين كان نهار عيد مولد العذراء وكان الجسد المقدس مصمودا على المذبح الطاهر والاسقف كان يقدس . فبعد ان خلص من قداسه قمت انا من الكرسي واخذت معي البروبنسيال وحاكم البلد وقدمتهما امام الاسقف وبركت على ركبتي وقلت له : قال السيد المسيح سلامي اتركه لكم وامرنا بالصلح والسلام وها هوذا السيد المسيح حاضر وناظر من على هذا المذبح المقدس فيجب علينا ان نترك جميع الافكار الخبيثة والحقد ونبدلها بالمحبة والوداعة كقول المخلص : باركوا ولا تلعنوا . فقام الاسقف رفع يده وبارك عليهما وهو يضحك قائلا : تبارك

اسم الرب هاءننا خوري جاء من بلد بغداد ليصلحنا . حينئذ حل حاكم البلد من الحرم ورحنا الى دار الاسقف معزومين الى الغداء فبعدما خلصنا من الغداء قام الاسقف من كرسيه ووضع على رقبتي جنزيرا من ذهب يساوي مايتي غرش والحاكم المذكور اهداني بغلة جيدة وايضا البروبنسيال اهداني هدية وما كانوا يتركوني ولا دقيقة فكان القسوس والرهبان يسالوني عن بلادنا التي يسمونها الدنيا العتيقة . وبعد ان بقيت هناك ستة عشر يوما سافرت قاصدا قرية تسمى توستا وهي على فرسخين ومنها الى قرية اكوسوكاونا اربعة فراسخ . ثم الى قرية بيانتيبك اربعة فراسخ . ومن هذه القرية يفرق الحكم لانها الحد بين حكم وزير ميخيكو (Mexixo او Mejico) اي ينكي دنيا وبين حكم واتيمالا (Guatemala) لان حكم واتيمالا قائم وحده .

٥٠- الذهاب الى مكسيكو (Mexico) أو (Mejico) - وصف القرمز :

ثم سافرنا الى قرية ساتاليتيبك التي تبعد ستة فراسخ ثم الى قرية استيبك تسعة فراسخ ومنها الى قرية اقانيتبك ثم الى بلد خلاپا وفي هذا البلد كان حاكم يسمى دون خوان بيتيا وهذا كان عمه كاتب ديوان الهند وكان قوي صاحبي . ولما سمع بقدومي خرج فرسخين خارج البلد لالاقاتي واستقبلني بعز واكرام وانزلني في داره وبالقرب من هذه البلدة جبل فيه جلالية يشلحون بعض الاوقات وينهبون عابري الطريق فارسل معي الحاكم اثنين من الجنود ليخفراني في معبر ذلك الجبل . فعبرناه بمعونة الله بغير ضرر ووصلنا الى قرية تسمى تكيسيا على اربعة فراسخ ومن هناك الى قرية صان خوان ديلاكوصتا اثني عشر فرسخا ثم الى قرية ينخابا خمسة فراسخ ثم الى قرية سان ميكاييل عشرة فراسخ ثم الى قرية سان لوكس ثلاثة فراسخ ثم الى بلد واخاكا (Guaxaca) ستة فراسخ وفي هذا البلد كان رجل وجيه من اسبانية له اخ في ليما يخدم عند الوزير صاحبي المعزول . فهذا كان اعطاني مكتوبا الى اخيه الذي في واخاكا . فلما قربت من هذه البلدة ارسلت له المكتوب فقام هذا الشريف وطلع خارج البلد فاستقبلني بفرح وادخلني الى البلد وانزلني في بيت كان هياه لي . وكان اسقف هذه البلدة قد توفي وبقي كرسي الاسقفية فارغا وكان هناك ورديان (Gardien) اعني رئيس كهنة . فهذا المبارك لما كان آتيا من الهند الى اسبانية وقع اسيرا في الجزائر فسهل له الله فاعتق وصار رئيسا على قسوس هذه البلدة وكانت لي معه صحبة واكرمني غاية الاكرام وكان اسمه دون ديونسيو . واما هذه البلدة فهي غنية بالعمائر والكنائس لاسيما دير مار عبدالاحد وباقي ديورة الرهبان ومارستانات المرضى والكنيسة الكبيرة فاخرة للغاية وغير كنائس اخرى وانا كان معي خرجية مقدار ثمانمائة غرش فاودعتها عند صاحبي المذكور المسمى دون فرنسيسكو ده كاسترو حتى يتسوق لي بها قرمزا لان في هذه البلدة ونواحيها يطلع القرمز يلصق في بعض اشجار ذات ورق سميك مثلما ذكرنا سابقا فيلتصق مثل الدود في الورق ويصير مثل حب الجدري ثم في حين بلوغه يستخرجونه ويضعونه في فرن حام فييبس وينطفيء . وبعد ذلك ييبسونه .

ومن بعد خمسة عشر يوما خرجت من هذا البلد قاصدا ميخيكو (Mexico) المذكورة حيث يجلس وزير الملك فبعد اربعة فراسخ وصلنا الى ضيعة تسمى ابيتا ومن ابيتا الى ططلو ستة فراسخ . ومنها الى اوانيتبك خمسة فراسخ ثم الى قرية صان انطوان فرسخان ثم قرية كوس خمسة فراسخ . ثم الى سان سابصطيان خمسة فراسخ . ثم الى قرية تيواكان اربعة فراسخ ثم الى ضيعة اناخوتيبيك خمسة فراسخ . ثم الى قرية تيباكا سبعة فراسخ ثم الى مدينة بوبولا ده لوس انخلوس يعني مدينة شعب الملائكة (La Puebla de los Angeles) ستة فراسخ فجزت الى هذه البلدة ونزلت عند رجل من اصحابي . وهي بلدة كبيرة مفرحة بالقصور وبالعمائر وغنية بالكنائس مثل الكنيسة الكبيرة التي هي غنية جدا بالعمارة والفضة والذهب والذخائر المقدسة ويسكن الان في هذا البلد اسقف يسمى دون عمانوييل ده سانتا كروس وهو رجل عالم وخائف الله وله معيود في كل سنة ثمانون الف غرش . وايضا في هذا البلد ديورة من جميع طوائف الرهبان .

٥١- وصف مكسيكو :

ثم بعد يومين خرجت متوجها الى بلد ميخيكو التي هي بعيدة من هذه البلدة نحو اربعة وعشرين فرسخا فوصلت اليها ودخلت الى المدينة ونزلت عند احد اصحابي كان معي مكتوب له من بلد واتيمالا فقبلني بالعز والاكرام . فمن بعد يوم وقعت مريضا وبقيت عشرة ايام في الفراش . واما وزير هذه البلدة فكنت احضرت له مكتوبا من قريبه الوزير صاحبي الذي كان في البيرو . فبقي يرسل الي حكماءه ليشرفوا علي . وبعد عشرة ايام تعافيت بعناية الله وقمت زرت الوزير وزرت امرأته فاستقبلاني بمحبة ووجه بشوش وعرض علي الوزير أن اسكن عنده في السرايا فاستكثرت بخيره وشكرت فضله على ذلك وما اردت أنزل عنده بل استكريت لي بيتا بثلاثمائة وستين غرشا في السنة واشتريت لي عربانه وبغال بستمائة وخمسين غرشا ثم ابتديت اروح ازور الاشراف فزرت أولا مطران البلد ثم زرت باقي الاعيان فالمطران اعطاني دستورا ان اقدس اينما اشتهى خاطري وفي كل ليلة وقت المغرب كنت اروح اقش (اتحدث) عند الوزير مقدار ساعتين وارجع الى بيتي . واما هذا المكان فهو ارض واطية وفي جانب هذه البلدة بحيرة ماء نابعة من الارض . وفي بعض السنين امطرت مطرا زائدا فغرقت البلدة وكثير من البيوت امتلات ماء وسقطت وهذه الارض ما لها اساس ثابت . وايش نتكلم عن الكنائس التي في هذه البلدة وعن شرف وحسن بنائها وزيادة غناها وهو شيء لا يوصف . لان في هذه البلدة ثلاثة ديورة لرهبان مار فرنسيس وديرين لرهبان مار عبدالاحد وديرين لرهبان اليسوعية وثلاثة ديورة لرهبان مار اغسطينوس وديرين لرهبان الرسي ومارستانات لمداواة المرضى وسبعة عشر ديرا للراهبات وديرا للرهبان الكرملتانين . والكنيسة الكبيرة وغير كنائس اخر عديدة .

٥٢- كنيسة العذراء العجائبية :

وخارج البلد بنصف فرسخ يوجد كنيسة على اسم مريم العذراء تسمى وادالوبي (Guadeloupe) وذكروا لنا انه بعد دخول السبنيولية الى هذه البلاد بايام قليلة بينما كان احد الهنود المسمى خوان ديكو داثرا خارج البلد اذ ظهرت له امراة جليلة بهية في غاية الجمال وقالت له اذهب الى مطران البلد وقل له ان يبني لي بيتا في هذا المكان . فارتعد الهندي المذكور من ضياء نور وجهها وراح عاجلا مثل مارسمت تلك الست وقال للمطران كل ما امرت به . فلما تامل المطران في هذا الهندي وفي حالته الزرية وثيابه الحقيرة امر بطرده فرجع هذا المسكين خائبا ومطرودا الى المكان الذي تكلمت معه تلك السيدة الجليلة . فظهرت له مرة ثانية . في المكان المذكور وقالت له

كقولها الاول ان يرجع الى المطران ويقول له كما امرته فاطاع . وراح ثانية عند المطران وعرض عليه كل ما امرته تلك الست فاحتقره ايضا المطران وامر بتهجيجه وطرده فرجع محزونا ومطرودا الى ذلك المكان . فظهرت له الست ثالث مرة وقالت له : لماذا لم تعمل الذي امرتك به . فاجابها قائلا : ياستي قد فعلت مرسومك ورحت مرتين عند المطران وعرضت عليه كل ما امرتني لكن هججني وما صدقني . فقالت له : امض اليه ثالث مرة وقل له كل ما امرتك ودونك هذا الورد خذه معك الى المطران ليصدق قولك . ثم ناولته الورد وكان غير اوانه . فاخذ ذلك الهندي الورد وجعله في الرداء الذي كان ملتحفا به وقصد بيت المطران فلما نظره الخدام وعرفوه هججوه وطردوه. فقال لهم : لاجل الله اتركوني اتكلم مع المطران لان عندي هدية من عند الست الاسبنيولية اهديها له . فاعلموا المطران بذلك فامر بدخوله فلما وقف بين يديه قال له : ياسيدي الست ارسلتني اليك ثلاث مرات وتقول لك ان تبني لها بيتا في المكان الفلاني وها قد ارسلت لك هذا الورد حتى تصدق قولي وتتيقن انها هي ارسلتني اليك . فلما رمى الهندي الورد من ردائه ونظر المطران لهذا العجب لانه ما كان زمان الورد وزاد عجبه اذ نظر صورة مريم العذراء قد ارتسمت في رداء الهندي وكان ذلك الرداء من شال سميك . حينئذ جثا المطران على ركبتيه امام هذا الهندي وطلب منه الغفران وعاجلا تخاطفوا ذلك الورد من ذلك الهندي بحيث ارتسمت صورة العذراء في ردائه ثم شلحه المطران الرداء المذكور بزياح ودق النواقيس ووضعه في المذبح الكبير بفرح وعيد عظيم وخرجوا الى المكان المذكور وامر المطران بعمارة الكنيسة في المكان الذي ظهرت فيه للهندي المذكور وسماها كنيسة مريم العذراء ده وادالوبي . والهندي خوان ديكو المذكور كمل حياته في خدمة العذراء في تلك الكنيسة وتنيح مثل الطوباويين . وهذه الكنيسة خارج عن البلد ميخيكو بنصف فرسخ كما ذكرنا وهي غنية جدا بالفضة والذهب والبدلات المثمنة حتى ان درج المذبح الكبير وهو تسع درجات صنعوه من فضة والعواميد التي على المذبح ايضا من فضة فمن حد هذه الكنيسة الى داخل هذه البلدة قد عمروا مثل الجسر بعلو ذراعين من سبب ان تلك الارض في ايام الصيف لما تمطر تصير كلها بحيرة فما يمشون الا على ذلك الرصيف لان في ذلك البلد يبدأ المطر من اول شهر ايار الى اخر شهر ايلول بخلاف عوائد وطقس بلادنا .

٥٣ـ هجوم الهراطقة على أسكلة ويراكروس :

وانا فبقيت مرتاحا في هذه البلدة نحو ستة اشهر حتى وصل مركب من اسبانية واحضر جملة مكاتيب من التجار الى شركائهم وفي هذا المركب جاء رجل محتال وجعل نفسه انه قادم من طرف الملك ليفتش على المذنبين وياخذ محاسبة من خزندارية الملك فهذا الشقي رمى خوفا في قلوب كثيرين من المذنبين . اما الوزير فانه لما سمع كتب الى حاكم الاسكلة ان ينظر في الاوامر التي معه فما اراد ان يظهر اوامره فعلم الوزير انه كاذب محتال فارسل خلفه جنودا ليحرشوه فوجدوه وامر الوزير بحبسه . وبتلك الايام جاء بعض مراكب قرصان الى مينا ويراكروس (Vera Cruz) وكانوا كلهم هراطقة مجتمعين من كل اجناس الطوائف فوصلوا في الليل وخرجوا للبر بعيدا عن الميناء بفرسخ ودخلوا البلد مثل اللصوص لان ليس للاسكلة سور وعبروا الى بيت حاكم البلد وحبسوه . وبعد ذلك دخلوا واخرجوا الناس رجالا ونساء وحبسوهم في الكنيسة الكبيرة وسكروا عليهم واقاموا حراسا على الابواب وابتداوا ينهبون ويسلبون الديورة والكنائس والبيوت مقدار ثلاثة ايام . ثم اخرجوا الناس من الكنيسة وحملوهم مال النهيبة وساقوهم الى حيث كانت المراكب راسية بعيدا نحو نصف فرسخ وحملوا المال وجميع الرجال والعبيد في هذه المركب واخلوهم الى جزيرة قريبة من ذلك الميناء نحو فرسخ وانزلوهم هناك وقالوا لهم اما ان تعتقوا ارواحكم او نقتلكم جميعا . وقطعوا عليهم مائة وخمسين الف غرش فارسل هؤلاء المساكين من جانبهم الى مدينة البويلا المذكورة (Puebla) ليحضروا عتاقهم . فمن بعد عشرة ايام قدموا لهم المائة والخمسين الف غرش فاعتقوا الناس السبنيولية واخذوا العبيد السود وجميع المال الذي نهبوه من هذه البلدة مقدار ثمانية مليونات وكان عدد هؤلاء القرصان الجلالية ستمائة نفر والسبنيولية مع عبيدهم كانوا ازيد من اربعة الاف نفر . وكان الرئيس على القرصان رجل هرطوقي له رفيق وشريك اسبنيولي يسمى نسيليو فتخاصما على قسمة المال ما بين الاثنين فقتل نسيليو الرئيس الهرطوقي وانتصب عوضه رئيسا على القرصان . وانا كان لي في هذه البلدة حمل قرمز اشتريته من واخاكا بالف غرش فنهبوه من جملة الاموال . وبينما هؤلاء القرصان في تلك الجزيرة اتت المراكب من اسبانية وفي دخولها الى الميناء ارسل الوزير فاعلم الجنيرال حقيقة الحال ليحارب قبل دخوله الميناء اولئك القرصان ويحرقهم . فنصب الجنيرال بيرقا ليجمع عنده رؤساء كل المراكب ويعملوا ديوانا ويعطوا خطوط ايديهم حتى لا يكون الجنيرال مذنبا وحده لان مراكبه كانت موسوقة بضائع فخاف ان يغرق له مركب او يحترق في المحاربة . فلما ابتعد من الميناء واجتمعوا وعملوا ديوانهم نظر اليهم نسيليو فنصب قلاعه وسافر وهو يضحك على المراكب السبنيولية وخرج امامهم من غير خوف بعدما اخذ معه ازيد من الفي اسير مع عبيد سود ومنهم حمر وكان ذلك في تاريخ سنة ١٦٨٣ مسيحية .

٥٤ـ من المكسيك الى بغداد عن طريق الصين :

فمن قبل هذا التاريخ بمقدار مائة سنة على زمان فيليبه الرابع ملك اسبانية سافرت مراكب من ينكي دنيا الى نواحي الصين فراوا جزيرة واكتسبوها وجعلوا اسمها فيليبيناس (Philippines) على اسم الملك المذكور وسكن هناك اسبنيولية وراحت في غير سنين الى هذه الجزيرة مراكب مع عدة قسوس ورهبان وتلمذوا اناسها وردوهم من الوثنية الى ايمان المسيح(٩٤) .

ومن هذه الجزيرة يجي في كل سنة مركب الى ينكي دنيا ملآن من بضائع بلاد الصين فيصل من هذه الجزيرة الى ينكي دنيا بثمانية اشهر لكنه في العودة يرجع بثلاثة اشهر(٩٥) وايضا كل

(٩٤) لم يصب مؤرختنا المرمى في تعيينه لزمن اكتشاف هذه الجزائر فان مكتشفها هو رويس لوبس دي فيلالوبس سافر سنة ١٥٤٢ من المكسيك وبلغ هذه الجزائر بعد شهرين ولم يتملك عليها الاسبانيول الا في سنة ١٥٦٠ـ ١٥٧٠ وقد عرفت مذ ذاك باسم فيليب الثاني ملك اسبانية .

(٩٥) لما توطدت سلطة اسبانية على بلاد الهند الغربي (البيروه والمكسيك) والشرقي (الهند وجزائر الفيلبين .. الخ) أراد التجار في كل من مدن مانيلا (Manille) وليما (Lima) ان يربطوا الهندين معا بطريق البحر

سنة يروح الى تلك الجزيرة مركب من بلد سورط(٩٦) الى تجار ارمن يسمون جلفاليه(٩٧) ساكنين في هذه الجزيرة ـ وهـم الثلث ـ يأخذون مال هذا المركب ويعينونه للسبنيولية لوعدة سنة . ففي كمال السنة يجي مركب من سورط فياخذون من السبنيولية دراهم العام الاول ويعطونهم أيضا لمثل هـذه الوعدة الرزق الجديد . ولا يعطى دستور لغير طوائف فلا يجي مركب الى هذه الجزيرة سوى المركب الذي للجلفالية فقط .

وكان لي نية ان اسافر مع المركب الى تلك الجزيرة ومن هناك اركب في مركب هؤلاء الجلفالية الى سورط ومن سورط الى بلادي(٩٨) لكن ضعفني عارض مع الرجل الذي كان ذاهبا ليحكم في تلك الجزيرة(٩٩) فطلب مني ان ادينه عشـرة الاف غرش فشاورت الوزير فقال لي : دير بالك لانه مديون وعليه مائتان الف غرش دينا . فامتنعت عن الرواح وقصدت ان ارجع الى بلاد اسبانية .

تسهيلا للمواصلات التجارية وتقريبا للمسافات الشاسعة . فنجح سعيهم وجعلت المراكب تسير بين العالمين حاملة من امركة الى الصين والهند الشرقي ما امتازت به من المحصولات والفضة والذهب نقـودا وسبائك فتعود محملة بضائع الصين من مصافات وحرائر واقمشة وابازير وتوابل وعطريات وقد اشتهرت الجوارب الحريرية التي كانوا يأتون منها كل سنة بخمسين الف زوج . اما مدة السفر فكانت تختلف مع الطريق فيقلع المركب من ميناء الكالاو (Callao) في اواسط آذار متتبعا الارياح الموسمية المسماة (Alizés) التي تهب من الشرق للغرب فيبلغ مانيلا في اقل من شهرين لكن العودة صعبة كانت تستغرق من عشرة أشهر الى اثني عشر شهرا فأرشدهم أحد الاباء اليسوعيين الى الانتفاع من الارياح المضادة فجعلوا يخرجون في تموز من مانيلا فيسيرون نحو الشمال الى ان يلتقوا بالارياح الغربية التي تهب في تلك الاصقاع فتدفعهم الى شطوط كاليفورنية والمكسيك بين شهر كانون اول كانون الثاني فيحطون في ميناء اكابولكو (Acapulco) في المكسيك .

(٩٦) نظنه يريد مدينة (Surate) في شمالي مقاطعة بمباي في خليج كامباي الذي دعاه ابن بطوطة كنبايت وقد وصف مدينة بهذا الاسم وذكر سعة تجارتها . اما سورط أو سورات فهي مدينة حديثة لم يكد يأتي ذكرها في كتب العرب لان اشتهارها لم يسبق أوائل القرن السابع عشر حيث أصبحت ملتقى لتجارة المغول والفرس فأقامت فيها الشركات الانكليزية والافرنسية والهولندية فروعا مهمة وكان فيها رسالات دينية لليسوعيين وغيرهم .

(٩٧) ربما يريد النسبة الى جلفا (Julfa) وهو حي او محلة في جوار اصفهان بناه شاه عباس في أوائل القرن السابع عشر واجلى اليها سكان مدينة جلفا القديمة وسماها باسمها جلفا وما لبثت ان أصبحت مدينة مهمة امتدت الكثلكة بين سكانها الارمن الكثيرين وتعددت الرسالات للرهبان اللاتين .

(٩٨) كانت المواصلات التجارية بين سورات وبغداد من طريق ايران متتابعة كما جاء مرارا في الرسائل والرحلات المطبوعة والغير مطبوعة المحفوظة عندنا وبما ان رحالتنا عاد الى بلاده من طريق الفيلبين والهند والعجم لكانت سفرته غريبة لم يسبقه أحد اليها .

(٩٩) الفيلبين جزائر لا جزيرة واحدة .

٥٥ـ أخبار الصين والفيلبين :

وذكروا لنا ان من مدة خمسين سنة لما كان بعض الكاروزين يذهبون من هذه الجزيرة الى بلاد الصين الجواني ليتلمذوا اناسها ويرجعوهم من الوثنية الى ايمان المسيح فالشيطان عدو الخير والاحسان القى في قلب ملك الصين ان يقتل جميع الرهبان الذين يكرزون هناك فقتلهم وامر بتحضير مراكب وعساكر ليسافر الى جزيرة فيليبناس (Philippines) فلما نظر سكان الجزيرة هذا العسكر العظيم القاصد محاربتهم اعتراهم الخوف لكونهم قليلين وغير مستعدين فمالهم حيلة ولا ملجأ غير الدخول الى الكنيسة فعبروا للكنيسة وابتدأوا في التضرع والصلاة وحملوا الجسد القدس وخرجوا بالزياح والصلاة الى محاربة الاعداء فبقوة الله وعنايته التي لا تتخلى عن القاصدين اليه باماتة هاج البحر على تلك المراكب وشتت شملها وحطمها وابادها ومن جميع ذلك الجيش العظيم ما خلص سوى ثلاثة عشر مركبا . فلما سمع ملك الصين بهذا الضرر العظيم الذي اصابه حزن حزنا عظيما ومن حزنه هلك عاجلا واوصى ابنه الكبير المتولي الحكم بعده ان يهيء عسكر آخر بمراكب حصينة ويقصد محاربة تلك الجزيرة . فلما اهتم ابنه المذكور وجمع العساكر وجهز المراكب عرض لهم مثلما عرض للاولين وبادوا اجمعين وعرض لهذا الملك ايضا ما عرض لوالده ومات فقعان لحزنه . فخلفه اخوه الصغير ولما جلس في الحكم نوى ان يهيء عساكر ومراكب فاشارت عليه والدته ان لا يضاد تلك الجزيرة لئلا يجري له ما جرى لابيه واخيه بل الافضل ان يصالحهم ويصاحبهم ويتركهم يدخلون البلاد ويكرزون ولا يعارضهم بوجه من الوجوه . والآن في كل ثلاث سنين يجيء رهبان من اسبانية ويعبرون للصين ويكرزون ويتلمذون بغير مانع . وانا كان لي صديق كان قبطان في تلك الجزيرة مقدار سبع عشرة سنة فلما جاء الى ميخيكو استضاف عندي وحكي لي جميع هذه الامور والعاجز التي صارت في فيليبناس . وهذا الرجل صادق بقوله وايضا شهادة الرهبان اليسوعية وغيرهم من الرهبان الذين ثبتوا تثبيتا صادقا واضحا تلك المصيبة(١٠٠) .

٥٦ـ جزائر ماريان :

ومن مدة خمسين سنة اكتشف ايضا السبنيولية (الاسبان) على جزيرة قريبة من فيليبناس وفتحوها وكان سكانها هنود عابدي الاصنام فلما ملكوها نصروا وعمدوا اهاليها وسموها على اسم الملكة امراة الملك فيليبه الرابع (Philippe IV) وام هذا الملك كارلوس الثاني وكان اسمها الملكة ماريانا ده اووستريا (Marie An-ne d'Au-striche) التي هي اخت الامبارادور ليوبولد فجعلوا اسم تلك الجزيرة ايـزلا ده مارياناس (Mariannes) ولما كنت انا الحقير في ميخيكو جاء مركب من فيليبناس وجاء معه راهبان من رهبان مار عبدالاحد ومعهما عرض حالات الى سيدنا البابا . وهؤلاء الرهبان جاءوا معي الى اسبانية في مركب واحد حينئذ أروني العرض حالات حتى أعينهم واساعدهم عند سيدنا البابا على المصيبة التي قد صنعها قضاة فيليبناس مع مطران هذه البلدة وهي ان المطران المذكور تخاصم من الرهبان اليسوعية وطلب منهم العشور فما اطاعوه ولا ارادوا يؤدوا له ذلك(١٠١) فبسبب هذا احشوا عليه (قام) قضاة البلد

---

(١٠٠) لا ندري كيف لخص مؤلفنا هذه الاخبار ونظنه خلط بين اخبار الاضطهادات التي حدثت في اليابان والصين والتونكان .

(١٠١) يجهل الرحالة ان اليسوعيين وكثيرا غيرهم من الرهبان ←

فارسلوا تحت الليل مسكوه وحطوه في المركب ونفوه الى مكان بعيد ثلاثين فرسخا . وهذا المطران كان راهبا من رهبان مار عبد الاحد ومات ذلك المطران في النفي كمثل مار يوحنا فم الذهب . فلما وصل هذان الراهبان الى رومية وعرضوا تلك العرض حالات المشتملة على هذه القضية الى سيدنا البابا وسمع البابا تلك القباحة الردية ارسل يعاتب ملك اسبانية على هذا الفعل الذي صنعه القضاة في ذلك المطران . فلما علم الملك والديوان هذا الامر ارسل الى فيليبناس وعزل اولئك القضاة من وظائفهم ونفاهم وماتوا منفيين تحت الحرم .

٥٧- الرجوع الى أوروبة :

فنتكلم الان عن رجوعنا . ولما ارادت المراكب ترجع الى اسبانية فانحدرت من بلد ميخيكو (Mejico) الى اسكلة ويراكروس (Vera Cruz) وهي ثمانين فرسخ . فتكلمت مع جنيرال المراكب ان اخلني الى اسبانية فطلب مني كروه الف غرش مع الاكل والشرب لان قوانين هذه المراكب انهم يكسرون الاوضة ذراعين وعرضها ذراع وثلث وعلوها ذراع ونصف . فلما رايته طلب الف غرش صعب علي لكن غصبا عني رضيت . فمن بعد ثمانية ايام اجتمع رؤساء المراكب وعملوا ديوانا ومشورة ان كانوا يقدرون ان يخرجوا من الهند وياتوا الى سبانية في هذه الاشهر ورموا القرعة لانهم لا يقدرون ان يسافروا الا بعد ثلاثة اشهر فجهزوا مركبا صغيرا مع مكاتيب واخبار تلك البلاد وارسلوه قبلهم سبيقا الى اسبانية فلما نظرت ذلك حرت في امري بسبب ان تلك الاسكلة حارة وماءها عاطل وهواها اتعس . حينئذ استهميت وركبت في ذلك المركب الصغير الذي ارسلوه الى اسبانية قاصدا السفر معه الى جزيرة تسمى لاوانا (La Havana) (هافانا) لانها اسكلة الى غلايين البيروه والى مراكب ينكي‌دنيا التي يقال لها الفلوت(flotte) فحصل صديق لي في اسكلة ويراكروس واشار علي ان اشتري حملين بصل يابس وصندوقين تفاح لاجل ارمغانات(١٠٢) فاشتريت وعملت بشوره وسافرنا مع قدرة الله وبعد عشرين يوما وصلنا الى هذه الجزيرة المذكورة لاوانا ونحن فرحون مسرورون وحاكم هذه الجزيرة كان اخا الجنيرال الذي اوصلني للبيروه فقدمت له البصل والتفاح ارمغان فتعجب وقال : كيف علمت اننا نعتاز البصل والتفاح في هذه الجزيرة . فانهم اذا زرعوا البصل عندهم في الجزيرة يطلع مثل الناب الفار واذا تركوه حتى يكبر يتغ وييبس . فبقيت في هذه الجزيرة اربعة اشهر ونصف حتى جاءت المراكب من ينكي دنيا وهذه الجزيرة هواها مليح وماؤها طيب وناسها محبون فلما اردت اخرج من هذه الجزيرة حتى اتوجه الى اسبانية جاءني بشاكيش(١٠٣) عوض البصل والتفاح تسعة صناديق سكر مع مرطبانات(١٠٤) المربى واذا كنت استكريت في المركب الذي كان جاء من كراكس (Caracas) بثلاثمائة وخمسين غرشا وسافرنا . فبمعونة الله وصلنا الى جزيرة القاع (Lucayes) فقام علينا اضطراب في البحر من عظم زيادة الريح ودام احد عشر يوما وتشتت المراكب على وجه البحر ونحن بقينا في بكاء وعويل مع صلوات وزياحات في المراكب ونذورة الى الكنائس والقديسين ومن بعد الاحد عشر يوما المذكورة سهل الله وهمد عجاج البحر واجتمعت مراكبنا التي كانت مشتتة لان في الليل يشعلون الفنارات حتى لا يتيهوا ويضيعوا بعضهم عن بعض وايضا حتى لا يقربوا كثيرا الى بعضهم لئلا يخبط مركب في مركب وينكسروا . حينئذ جاءتنا ريح مناسبة فرجعنا الى دربنا متوجهين الى كادس
فمن بعد اثني عشر يوما كشفنا على الارض من فجر النهار وكانت الريح مساعدة جدا حتى في نصف النهار .

٥٨- من اسبانية الى روسية :

دخلنا بالسلامة الى ميناء كادس وكانت مراكب الحرب التي لملك فرنسة راسية خارج الاسكلة وايضا مراكب الحرب التي لملك اسبانية راسية قبالهم . فلما دخلنا بين هذه المراكب سلمنا عليهم بضرب المدافع فردت مراكب فرنسة واسبانية علينا السلام وبقي ضرب المدافع من الجانبين وصار الدخان عليهم مثل الضباب فدخلنا الميناء ورسينا فثاني يوم اتانا اصحاب من البلد في سنابك طالعونا الى البر فاخرجت صناديقي بامر رئيس الديوان الذي يسمى برسيدنته من غير ان يفتحوها ويفتشوها كالعادة . فمن بعد عشرة ايام رحت الى بلد سيويلية (Séville) اشبيلية لاخلص الفي غرش من قبطان مركب كان تدينها مني ليشتري عدة مركبه . فلما وصل الى كادس يسقوا على المركب واخذوه لان كان عليه دين لكنيسة سيويلية ثلاثين الف غرش فرحت انا ادعيت فحكم البرسيدنته بالحق وقال : قبل كل شيء يستوفي هذين الالفين غرش لانه لولا هذا المبلغ ما جاءكم المركب . فاعطوني اياها ورحت الى كادس واستكريت مع مركب هولانديزي حتى اتوجه الى رومية وكان معي خادمان من اولاد الارمن وكنت احضرت معي من الهند اربع درات وهي الطيور التي تسمى في لسان الفرنجي باباكاي (ببغاء) (Perroquet) يتكلمون مثل الانسان وجبت ايضا قنديل فضة يساوي الف واربعمائة وخمسين غرشا وصنعته غريبة فقدمته الى سيدنا البابا والى كنيسة المجمع فلما رآه الكردينالية فرحوا فرحا عظيما بلطافة صياغته . وفي ذلك الحين انعم علي سيدنا البابا اينوسنسيوس الحادي عشر صاحب الذكر الصالح بوظائف لم اكن لائقا لها . والحمد لله الى الابد آمين .

معفون من اداء العشور لرؤساء الابرشيات على اننا قلبنا كتب التاريخ فلم نجد ما ينطبق على قول صاحب الرحلة ولربما خلط بين حادثين جرى الاول بين اليسوعيين في المكسيك وبين يوحنا بالافوكس مطران بوبلا ده لوس انجلوس وذلك قبل رحالتنا باربعين سنة فطلب العشور من اليسوعيين فلم يرضوا وحكم لهم الكرسي الرسولي . اما بالافوكس فابتعد عن مدينته وزعم ان ذلك باغراء المرسلين . واخبار هذا الامر طويلة (اطلب تاريخ الرهبانية اليسوعية للمسيو كريتينو جولي المجلد ٤ الصفحة ٦٨ .. الخ) والثاني ارنان غريرو مطران مانيلا في الفيلبين من معاصري صاحب المقالة وقد ذكر في تاريخه انه دعا كهنة مانيلا الى اجتماع فاعتذر اليسوعيون فغضب المطران ولكنه لم تطل مدة غضبه فقبل عذرهم واعلن اسفه لما حدث وعاد الى ما كان عليه من مصادقتهم (اطلب Historia delle Philipine p. 220 وكريتينو جولي المجلد ٥ الصفحة ٢٢ .. الخ) .

(١٠٢) ارمغانات اي هدايا وهي كلمة فارسية الاصل جرى استعمالها في حلب وما بين النهرين .

(١٠٣) بشاكيش جمع باشكيش او باشكاش ذكرها المؤلف غير مرة في مقالته واراد بها البخشيش . وبخشيش كلمة فارسية من فعل بخشيون بمعنى اعطى وغفر .

(١٠٤) مرطبان كلمة فارسية يراد بها الاناء الذي تحفظ فيه الحلاويات والعقاقير وغيرها .

ملاح الألواح
في شرح
مراح الارواح

تأليف
العلامة بدرالدين محمود بن أحمد العيني
المتوفى سنة ٨٥٥هـ

حققه وعلق عليه
عبدالستار جواد

القسم الاول

تقديم

بدرالدين العيني(١)
٧٦٢هـ ــ ٨٥٥هـ

هو بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن احمد بن حسين بن يوسف بن محمود قاضي القضاة الحلبي الاصل ، ولد بعين تاب سنة ٧٦٢هـ ونشا بها وكان ابوه قاضيها . قرا مراح الارواح في التصريف على الشمس محمد الراعي ابن الزاهد والشافية وشرح الشمسية ورمز الكنوز للامدي ، ثم قرا المفصل في النحو والتوضيح على العلامة جبريل بن صالح البغدادي تلميذ التفتازاني ، والمصباح في النحو على الشيخ خيرالدين القصير وتفقه بابيه وكان مولد والده سنة ٧٢٥هـ بحلب ووفاته سنة ٧٨٤هـ . وكان بدرالدين مشاركا في الفنون لا يمل من المطالعة والكتابة ، كتب بخطه وصنف الكثير وكتابته حسنة ظريفة مع السرعة وكان عارفا بالعربية والتصريف حافظا للغة كثير الاستعمال لحوشيها .

قال عنه السخاوي : « حدث وافتى ودرس مع لطف العشرة والتواضع واخذ الفضلاء عنه من كل مذهب وقد قرات عليه الاربعين التي انتقاها شيخي من صحيح مسلم ، وقرض لي بعض تصانيفي ، ومن تصانيفه ملاح الالواح وقال انه أول تصانيفه وله من العمر تسع عشرة سنة » . فقد ولي العيني نظر الحسبة بالقاهرة سنة ٨٠١هـ ثم نظر الاحباس ثم قضاء الحنفية ودرس الحديث بالمدرسة المؤيدية وتقدم عند الملك برسباي فاختص به وارتفع شانه بحيث كان يقرا له التاريخ الذي جمعه بالعربية ويفسره له بالتركية لتقدمه باللغتين .

ولم يزل العلامة العيني ملازما للجمع والتصنيف حتى مات ليلة الثلاثاء رابع ذي الحجة سنة ٨٥٥هـ ودفن من الغد بمدرسته التي أنشاها وهي المدرسة البدرية بناها بمقابلة داره في حارة كتامة بالقرب من الجامع الازهر .

ويروى انه كانت بين العيني وشيخ الاسلام ابن حجر منافسة واتفق أن مالت مئذنة المدرسة المؤيدية التي كانت على البرج الشمالي لباب زويلة وكان العيني شيخ الحديث فيها فقال ابن حجر :

لجامع مولانا المؤيد رونق
منارته بالحسن تزهو وبالزين
تقول وقد مالت عليهم تمهلوا
فليس على حسني اضر من العين (ى)

فرد بدر الدين عليه بقوله :

منارة كعروس الحسن اذ جليت
وهدمها بقضاء الله والقدر
قالوا : اصيبت بعين قلت : ذا غلط
ما أوجب الهدم الا خسة الحجر (ى)

وكان الناظر على عمارتها من قبل بهاء الدين البرجي وقد عرض به تقي الدين بن حجة الحموي بقوله :

على البرج من بابي زويلة انشئت
منارة بيت الله للعمل المنجي
فاخنى بها البرج اللعين اما لها
الا صرحوا بالقوم باللعن للبرج (ى)

(١) التبر المسبوك في ذيل السلوك للسخاوي ٣٧٥ وبغية الوعاة للسيوطي ٣٨٦ وحسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة جـ ١ ص ٢٧٠ والفوائد البهية ٨٦ وتاريخ أبي اياس ٢ ــ ٣٣ وروضات الجنات ٤ ــ ٢١٥ ومفتاح السعادة ٢٢٥ .

مؤلفاتــه :

١ ـ شرح الهداية (فقه حنفي) اتمه سنة ٨٥٠هـ ومنه نسخة بدار الكتب المصرية ، وقد سماه صاحب كشف الظنون « النهاية » ونقل عنه بروكلمان جـ ٢ صحيفة ٥٣ .

٢ ـ رمز الحقائق في شرح كنز الدقائق ، طبع في بولاق سنة ١٢٨٥هـ في جزءين وطبع في مصر سنة ١٢٩٩هـ .

٣ ـ عمدة القاري في صحيح البخاري . طبع في الاستانة سنة ١٣٠٨هـ .

٤ ـ فرائد القلائد في مختصر شرح الشواهد [الشواهد الصغرى] طبع في مصر سنة ١٢٩٧هـ .

٥ ـ المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الالفية [الشواهد الكبرى] . طبع على هامش خزانة الادب ولب لباب لسان العرب لعبدالقادر البغدادي في مصر سنة ١٢٩٩هـ .

٦ ـ عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان . منه بعض اجزاء مخطوطة في دار الكتب المصرية ، ومنه نسخة في ٢٤ جزءا في مكتبة بايزيد بالقسطنطينية ومنه نبذة طبعت ضمن تواريخ الحروب الصليبية .

٧ ـ سيرة الملك المؤيد . منظومة . وقد جرد منها ابن حجر الابيات الركيكة والتي بلا وزن فبلغت نحو اربعمائة بيت في كتاب سماه : « قذى العين من نظم غراب البين » .

٨ ـ شرح معاني الآثار .

٩ ـ شرح الكنز .

١٠ـ شرح المجمع .

١١ـ شرح عروض الساري .

١٢ـ طبقات الحنفية .

١٣ـ طبقات الشعراء .

١٤ـ مختصر تاريخ ابن عساكر .

١٥ـ شرح درر البحار .

١٦ـ تاريخ البدر في اوصاف اهل العصر .

١٧ـ ملاح الالواح في شرح مراح الارواح وقد ذكره السخاوي في ذيل السلوك صحيفة ٣٧٨ وقال ان العيني الفه وهو ابن تسع عشر سنة ، وهو كتابنا هذا الذي نقدمه .

ملاح الالواح :

لعل هذا الكتاب من احسن الكتب التي الفت في الصرف فقد جمع فيه المؤلف قوانين هذا الفن باسلوب لطيف وجمع للفوائد والفرائد من نحو وصرف .

وكتابنا هذا شرح للمختصر المشهور « مراح الارواح » الذي الفه احمد بن علي بن مسعود احد علماء القرن الثامن او التاسع للهجرة وقد ذكر السيوطي في بغية الوعاة صحيفة ١٥١ انه مصنف المراح لكنه لم يقف على ترجمته . وفي دار الكتب المصرية نسخة خطية من « مراح الارواح » كتبت سنة ٨٤٠هـ .

وقد شرح « المراح » عدة علماء عدا العيني اشهرهم علاء الدين ابن الاسود سماه : المفراح في شرح مراح الارواح ومنه نسخة جميلة في مكتبة المتحف العراقي . وشرحه ايضا احمد ديكقوز وقد طبع شرحه مرارا وهناك ايضا في مكتبة المتحف شرح جيد للمراح لمؤلف مجهول .

اما ملاح الالواح فهو افضل هذه الشروح واوسعها .

نسخة الشرح الوحيدة :

النسخة التي بين يدي من « ملاح الالواح » نسخة فريدة في عالم المخطوطات ولم اوفق في العثور على نسخة اخرى من هذا الشرح في جميع فهارس المخطوطات والمصورات ، وهذا مما يجعل مهمة المحقق غاية في الصعوبة اذا كان هناك تصحيف أو تحريف في النسخ ، وهو ما موجود فعلا في هذه النسخة ويظهر مقدار ذلك بالنظر الى الحواشي التي كتبتها عليه .

عدد اوراق هذه المخطوطة ١١٨ ورقة كتب في كل صفحة ٢١ سطرا وحجمها ٢١×١٥ س . كتبت بخط جيد وعلى ورق ابيض سنة ١٠٩٢هـ ، ويقول ناسخها : « وكان الفراغ من كتابة هذا الكتاب في ليلة الاحد من شهر صفر المبارك من شهور سنة اثنتين وتسعين والف على يد اضعف العباد ، الى رحمة ربه الغني الجواد الفقير الشيخ محمد الحموي الامام في الطليليات ضاعف الله له الحسنات وعفا عن السيئات وغفر له وللمسلمين امين يا رب العالمين » . وقد كتب على الصفحة الاولى من هذه النسخة « كتاب شرح المراح في التصريف » للشيخ الامام العيني رحمه الله تعالى رحمة واسعة ونفعنا به آمين . وربما كانت الصفحات من ١١ الى ١٨ كتبت بخط رجل آخر غير الحموي .

ويذكر العيني في نهاية الكتاب بانه فرغ من تسويده وتنميقه في العشر الاول من شهر ربيع الاخر من شهور سنة ٧٨٢هـ وهو ابن احدى وعشرين سنة .

وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف (ا) وربما ذكرت كلمة « الاصل » اشارة اليها .

وقد اعتمدت في تحقيق متن الكتاب وهو « مراح الارواح » لاحمد بن علي بن مسعود على النسخ التالية :

١ ـ نسخة رمزت لها بالحرف (م) وهي موجودة في مكتبة المتحف العراقي تحت رقم ٢٢٢٢ وعدد اوراقها ١٢١ ورقة من الحجم المتوسط ، كتبت سنة ١٠٩٦هـ وهي متن لشرح علاءالدين ابن الاسود المسمى « المفراح في شرح مراح الارواح » .

٢ ـ نسخة رمزت لها بالحرف (ق) موجودة في مكتبة الاوقاف تحت عنوان : مجموع صرف ، ورقم ١٢٣٤ وحجمها ٢٢×١٦ س كتبت بخط جميل وورق مذهب دون ذكر لتاريخ نسخها ومعها في هذا المجموع متن العزي والمقصود والامثلة .

٣ ـ نسخة رمزت لها بالحرف (حـ) وهي مجموعة الصرف التي طبعت في اسطنبول سنة ١٢٧٦هـ وفيها شافية ابن الحاجب ومراح الارواح وتصريف العزي والمقصود والبناء والامثلة .

التحقيـق :

لما كانت هذه النسخة من شرح العيني وحيدة فقد اعتمدت في ضبط نصوصها على امهات كتب الصرف والنحو كشرح الشافية للرضي وشرح التصريف الزنجاني للتفتازاني وشرح ابن يعيش على مفصل الزمخشري والمنصف في شرح تصريف المازني لابن جني وعلى كتاب سيبويه وغيرها من المصادر ذكرت اهمها في نهاية الكتاب .

وقد كتبت عليه تعليقات تعزز الشرح بالشواهد وتضم اليه لطيف الفوائد واصلحت تحريفات الناسخ مشيرا الى ذلك في الحاشية . وقد عملت له فهرسا للالفاظ اللغوية والصرفية اضافة الى الفهارس المعهودة تسهيلا للراغب والله ولي التوفيق .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة المؤلف :

الحمد لله على توالي نعمه ، وترادف عفوه وكرمه والصلاة على نبيه الكريم ، محمد الجسيم الحظ في النعيم ، وعلى آله واصحابـه الكرام ، مظهري الدين ومؤيدي الاسلام ، ما فاح مسك واورق عود ، وما لمع برق على الخدود ، والرضوان على علماء الدين ، ما قرىء المثاني والتين(١) .

اما بعد : فأن العبد الفقير الى رحمة ربـه الغني ، محمود بن احمد العيني يقول : لما رايت كتاب المراح الذي صنفه الشيخ الامام العـالم الفاضل احمد بن علي بن مسعود نور الله مضجعهم وجعل الجنة مثواهم ، كتاباً مشتملاً على قواعـد خبيئة من قواعد التصريف وأبحاث كثيرة ، وفوائد لطيفة ، وانه عار عن الشرح وهو محتـاج اليــه فاستخرت الله تعالى وانشأت له شرحا لطيفـا يذلل الصعاب ، ويكشف عن مخدراته النقـاب ، مع قصوري في هذا الفن من ثلاث جهات ، الاولى : قصور العلم والمادة ، والثانية : عدم الاهليـة في هذه الصناعة ، والثالثة : كلال الذهـن وقـلة الفطانة . فهذا هو الذي يظهر عذري ويبسـط اعتذاري ، ولكنه يسـر لي في اتمامه ، ووفق في اختامه(٢) ، انه ميسـر قدير وموفـق جديـر . فسميته بكتاب : (ملاح الالواح في شـرح مراح الارواح)(٣) واستعيذه من حقد الحقود ، وطعن الطعان وحسد الحسود ، وارجو ان يجعل سعيي مشكورا وذنبي مغفورا ونصيبي مبرورا ، انه غفـار للذنوب وستار للعيوب .

قوله : « قال المفتقر الى الله الودود » .

اقول : اعلم ان المفتقر اسم فاعل من افتقر يفتقر اي احتاج ، وهو صفة موصوفهـا محـذوف تقديره : العبد المفتقر . الالف واللام فيه بمعنى الذي لان الالف واللام في اسم الفـاعل واسـم المفعول(٤) تكون بمعنى الذي تقديره : الذي افتقر فلذلك قدر الموصوف وهو من الموصولات الاسمية فلابد له من صلة وعائد ، وموصول حرفي(٥) عند المازني ومن وافقـه ، وحرف تعـريف عنـد ابي الحسن(٦) فان قيل : ما الصلة في ذلك ، قيل له : الصلة في ذلك اسم الفاعل لان صلة الالف واللام التي بمعنى الذي ، لا تكون الا اسم فاعل أو اسـم مفعول مثال ذلك في التنزيل : الزانيــة والزاني والسارق والسارقة . اي : التي زنت والذي زنى والذي سرق والتي سرقت . فان قيل : فلم قلتم أن لابد له من صلة ، قيل له : لان الموصولات لاتفهم معنايها بانفسها ، الا ترى انك اذا قلت الذي مثلا من غير صلة لم يفهم المعنى بنفسـه الا بعد ان تضم اليه شيئا من الجمل أو الظروف . فان قيل : فلم قلتم ان لابد من الانضمام الى الجمل أو الظروف ؟ قيل له : لان الموصولات مبهمـات والمقصـود من الصلة التبيين والتوضيح كالصفة ، وهو بالجملة اكثر من المفرد لانه لا يعرف ولا يوضح مثل الجمل ، وأما الظروف فكذلك في معنى الجملة مثل : الذي في الدار زيد ، تقديره : الذي استقر فكان مقدرا بالجملة لا بالمفرد فان قيل فلم قلتم ان لابد له من عائد قيل له : لان الجملة مستقلة بنفسها مستغنية عن غيرها فلابد من رابطة لتربطها بما قبلها ، وتلك هي الضمير اللهم الا ان يكون الموصول حرفيا مثل أن المصدرية الناصبة للافعال وان الثقيلة الناصبة للاسماء ، لان الصلة تجري مجرى الصفة والحرف لا يوصف وانما يوصف الاسم فاذن لا يحتاج الى ضمير يعود اليه لانه « لا يعود(٧) » الا الى شيء يصح الاخبار عنه ، والحرف لا يصح الاخبار عنه فلا يعود اليه الضمير .

---

(١) قال في مختار الصحاح : « المثاني من القرآن : ما كان اقل من المئين وتسمى فاتحة الكتاب مثاني لانها تثنى في كل ركعة ، ويسمى جميع القرآن مثاني ايضا لاقتران آية الرحمة بآية العذاب » .

(٢) كذا في الاصل ولعله أراد « اختتامه » بتـادبن وهو من اختتم الشيء اذا بلغ خاتمته ، ويحتمل انه اراد ختامـه باختلاس الالف .

(٣) لا تخفى المجانسة بين « مراح » و « ملاح » وهو ما يسمى بالجناس اللاحق .

(٤) سكت عن الصفة المشبهة لان ال الداخلة عليها نحـو : الحسن ــ حرف تعريف ، ولابن هشام الانصاري رحمـه الله كلام طريف فيها . ومعلوم ان ابن مالك هو الذي قال بالصفة المشبهة .

(٥) رد كثير من النحاة على المازني ومن وافقه بانهـا لا تؤول بالمصدر ، وان الضمير يعود عليها كقولك « قد افـلح المتقي ربه » والضمير لا يعود الا على الاسماء . وقد رد المازني بأن الضمير يعود على موصـوف محذوف ، وهـو كلام لا ضرورة توجبه .

(٦) قال الصبان : « ولو كانت كذلك لمنعت من اعمال اسمي الفاعل والمفعول بمعنى الاستقبال او الحال ، لابعادهـا لهما عن شبه الفعل كالتصغير ، وبدخولها على الجملة . وحجة ابي الحسن الاخفش ان العامل يتخطاها نحـو : جاء الضارب كما يتخطاها مع الجامد نحو : جاء الرجل . ولا موضع لال فيما ذكرنا من أمثلة ولو كانت اسـمـا لكان موضع . وكان العلامة ابن يعيش يقول بحرفيتها .

(٧) زيادة يقتضيها السياق .

(فوائد) من خصائص الموصولات عدم جواز تقديم الصلة على الموصول لانها كالجزء المتأخر عنه اعني العجز ، والجزء المتأخر لا يتقدم على الكل ولا بعضها ايضا لانه اذا لم يجز تقديم الصلة عليه فكذلك لا يجوز تقديم بعضها عليه لان جزء الكلمة لا يتقدم على الكلمة . ومنها عدم جواز الفصل بين الصلة والموصول بالاجنبي لانها كالكلمة الواحدة . ومنها عدم اعمال الصلة فيه ، وذلك لانهما كالشيء الواحد فلو جوز اعمالها فيه يلزم تقديمها عليه لان رتبة العامل قبل رتبة المعمول ، فيلزم أن تكون الصلة قبل الموصول وذلك محال . ومنها(٨) عدم اعمالها في شيء قبله لانها انما تعمل فيما قبله(٩) لو جاز تقديمها عليه فلما لم يجز لم تعمل . ومنها جواز حذف العائد اذا كان مفعولا كقوله عز وعلا (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر)(١٠) كحصول العلم بدونه مع كونه فضلة . فان قيل لم اختار المصنف لفظ الافتقار قيل له ، تأسيا وتبركا بقوله تعالى (والله الغني وانتم الفقراء)(١١) التوصيف بالفقراء اعم واشمل من غيره نحو المحتاج والضعيف والمسكين فان قيل ينبغي أن يقول : الى الله الغني للمناسبة ، قيل له : أجل لكنه انما أتى به ليوافق الودود بالمسعود لاقامة السجع فان قيل لم اختار لفظة الله(١٢) ، قيل له لانه اسم الذات وهو مستجمع لجميع الصفات وانه اشهر اسماء الرب واعلاها محلا في الذكر والدعاء ولذلك جعل أمام سائر الاسماء وخصت به كلمة الاخلاص ووقعت به الشهادة فصار شعار الايمان وهو اسم ممنوع لم يسم به احد وقد قبض الله عنه الالسن فلم يدع به شيء سواه وقد كاد يتعاطاه المشركون اسما لبعض أصنامهم التي كانوا يعبدونها فصرفه الله الى اللات صيانة لحق هذا الاسم وذبا عنه .

وسائر الاسماء الربانية تحمل عليه ولا يحمل هو عليها ، ولا يوصف هو بها دون عكسه فيقال : الله غفور رحيم كريم ولا يقال : الغفور الله فعلم انه اسم ذات الذات للمعبود بالحق ، ليس بالحق وليس بصفة فان قيل : هل هو مشتق او اسم موضوع قيل له : اختلف العلماء فيه فروي عن الخليل بن احمد روايتان ، احداهما : انه اسم علم ليس بمشتق وهو قول الزجاج ومحمد بن الحسن والشافعي رحمهم الله . وهذه هي الاصح، ولا يجوز حذف الالف واللام منه كما يجوز من الرحمن الرحيم . والثانية وهي رواية سيبويه : انه اسم مشتق من اله يأله بفتح العين فيهما الاهة ومعناه : عبَدَ يَعْبُدُ عبادة ، ومنه قراءة ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (ويذرك والهتك)(١٣)بالكسر ، قال اى عبادتك والاله على وزن فِعال بمعنى مفعول لانه مالوه اي معبود فيسمى الاها كما يسمى الرجل اماما اذا أم الناس فأتموا به وكما يسمى الثوب رداء ولحافا اذا ارتدي به والتحف به ثم لما كان اسما لعظيم ليس كمثله شيء ارادوا تفخيمه بالتعريف الذي هو الالفواللام لانهم افردوه لهذا الاسم دون غيره فقالوا الاله واستثقلوا الهمزة في كلمة يكثر استعمالها فيها وفي وسط الكلام ضغطة شديدة فحذفوها ثم ادغموا اللام في اللام فصار الاسم كما نزل به القرآن . وقال بعضهم أصله من اله يأله بكسر العين في الماضي ، وفتحها في الغابر الها بفتح الفاء والعين اي سكن يسكن سكنا . انما سمى الله الها لسكون الخلق اليه في كل حوائجهم ، وقال بعضهم من تأله يتاله تالها اي تضرع يتضرع تضرعاً ، وانما سمي الله الها لتضرع الخلق اليه . وقال بعضهم من لاه يلوه اي : احتجب ، انما سمي الله إلها لانه احتجب عن ادراك الابصار والافكار لقوله تعالى (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار)(١٤) وقال الشاعر :

لاه ربي عن الخلائق طرا
خالق الخلق لا يرى ويرانا(١٥)

ولهذا قيل الاوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذلك كثر الضلال وفشا الطغيان وقلّ النظر الصحيح . ومعاني جميع الاقوال التي سبق ذكرها موجودة في ذات الله تعالى ، فانه تعالى معبود في جميع عوالم الملك والملكوت والجبروت وسكون جميع الخلائق اليه وكل الخلائق يولهون(١٦) اليه في حوائجهم ويتضرعون اليه عند شدائدهم ويضرعون اليه في

(٨) في الاصل بعد قبله « ان » وهي زائدة وقد اسقطتها .
(٩) ا : فلم « وهو تحريف من الناسخ » .
(١٠) الآية ٢٦ من سورة الرعد .
(١١) الآية ٣٨ من سورة محمد .
(١٢) هو اسم مرتجل للعلمية غير مشتق وهو مذهب سيبويه وعليه صاحب القاموس وقد اختلف فيه العلماء على اكثر من ثلاثين قولا ذكرها شراح البسملة .

(١٣) الآية ١٢٧ من سورة الاعراف .
(١٤) الآية ١٠٣ من سورة الانعام .
(١٥) قال ابن يعيش : وزن لاهٍ : فَعَلٌ واشتقاقه من لاهَ يليهُ اذا تستر كانه سبحانه يسمى بذلك لاستتاره واحتجابه من ادراك الابصار والف لاهٍ منقلبة عن ياء يدل على ذلك قولهم . « لَهيَ ابوكَ » .
(١٦) حكاه على الاصل وهو الِه وبابه طَرِبَ ومعناه فزع اليه.

كل ما يصيبهم من المصائب كما يوله كل طفل الى امه عند وجود هذه الاشياء . الودود : على وزن فعول وهو اسم ماخوذ من الود فيه وجهان ، احدهما أن يكون فعولا في محل مفعول كما رجل هيوب بمعنى مهيب وفرس ركوب بمعنى مركوب ، فالله سبحانه وتعالى مودود في قلوب أوليائه لما يعرفون من احسانه اليهم وكثرة عوائده عندهم . الوجه الثاني : ان يكون الودود بمعنى الواد اي انه يود عباده الصالحين بمعنى ان يرضى عنهم بقبول اعمالهم وقد يكون معناه ان يودهم الى خلقه كقوله عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا)(١٧) .

قوله : ((**احمد بن علي بن مسعود**)) اقول :

احمد : مرفوع بأنه عطف بيان من قوله المفتقر وهو اسم غير صفة توضح ، ابن : مرفوع بانه وقع صفة . علي : مجرور باضافة ابن اليه ، والابن الثاني ايضا مجرور لكونه صفة لعلي ، والمضاف : كل اسم اضيف الى اسم آخر فان الاول يجر الثاني ويسمى الاول مضافا والثاني مضاف اليه . والاضافة على ضربين : معنوية ، اي مفيدة في المضاف تعريفا وتخصيصا، ولفظية، وهي اضافةاسم الفاعل الى مفعوله والصفة المشبهة الى فاعلها نحو : الضارب زيد وحسن الوجه . والاولى تجيء على ثلاثة اقسام ، بمعنى اللام وبمعنى من ، وبمعنى في . قال المالكي رحمه الله : وما قالوا ان الاضافة بمعنى في قليل – غير حسن فيه تسامح لانها ثابتة في الكلام الفصيح بالنقل الصحيح كقوله عز وعلا : ((وهو الد الخصام))(١٨) وقوله : ((للذين يولون من نسائهم تربص اربعة اشهر))(١٩) وقوله : ((يا صاحبي السجن))(٢٠) وقوله : ((بل مكر الليل والنهار))(٢١) وكقوله عليه السلام : ((فلا يجدون احدا اعلم من عالم المدينة)) وقول العرب : شهيد الدار ، وقتيل كربلاء . فان قيل : ما الفرق بين الاضافة بمعنى اللام وبمعنى من ؟ قيل له : ان المضاف في الاضافة التي بمعنى من يكون من جنس المضاف اليه كقولك : ((خاتم فضة)) لان الخاتم مصنوع من الفضة ، وكقولك : ((ثوب خز)) لان الثوب من جنس الخز ، ولا كذلك في الاضافة بمعنى اللام ، او ان الاضافة التي بمعنى اللام لا يصح فيها ان تنصب الثاني على التمييز فلا يصح ان يقال : ((هذا غلام زيدا)) والتي بمعنى من يصح فيها ذلك ، فتقول : ((هذا ثوب خزا)) على التمييز لانه تمييز عن سائر الاجناس ، او ان الاضافة التي بمعنى من يجوز فيها ان يوصف فيها المضاف بالمضاف اليه عند الفك ، كقولك : خاتم فضة ، على الوصفية ، ولا كذلك في التي بمعنى اللام . فان قيل : ماوجه الانحصار في ذلك الى ثلاثة اقسام ؟ قيل له : ان المضاف لا يخلو اما ان يكون من جنس المضاف اليه ، او لم يكن ، أو كان المضاف اليه طرف المضاف فالاول بمعنى : من ، والثاني بمعنى : اللام ، والثالث بمعنى : في .

قوله : ((**غفر الله له ولوالديه ، واحسن اليهما واليه**)) اقول :

غفر : فعل ماضي ، الله : فاعله . هذه جملة لا محل لها من الاعراب لانها جملة واقعة موقع الدعاء ، اخبار بمعنى الانشاء ، تقديره : اللهم اغفر له . والجمل انواع ، منها ما لا يكون لها موضع من الاعراب كالجملة المفسرة والمعترضة ، والجملة الدعائية ، والصلة المبدوءة . ومنها ما لا يكون لها موضع (من)(٢٢) الاعراب كالجملة الوصفية والحالية والخبرية والجزائية والمضاف اليها .

ولوالديه : معطوف على له ، واحسن : عطف على غفر . العطف : تابع مقصود بالنسبة مع متبوعة ووجب أن يكون المعطوف في حكم المعطوف عليه ، في كل ما جاز وامتنع ، وليس المعطوف في حكم المعطوف عليه في جميع الاشياء وإلا لم يجز ان يقال : يازيد والحارث ((ورب شاة وسخلتها)) ويعطف الماضي على الماضي والمضارع ولا يعكس الامر الا لنكتة . فان قيل : ما قلتم في قوله تعالى ((ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله)) (٢٣) قيل تقديره : وصدوا ، والمضارع ينقلب الى الماضي كما بالعكس ، فان قيل : لم قدم نفسه بالغفران ، واخر في الاحسان ، قيل له : اتباعا لخليل الرحمن، حيث قال في القرآن ((رب اغفر لي ولوالدي))(٢٤) حيث قدم نفسه في الغفران . أو لانه انما قدم نفسه في الدعاء ليكون مستجاب الدعوة ، وأما انه اخر نفسه في الاحسان ، فللادب . فان قيل : كيف جاز لابراهيم عليه السلام ان يستغفر لابويه وكانا كافرين ؟ قيل له : وما كان استغفار ابراهيم

---

(١٧) الآية ٩٦ من سورة مريم .

(١٨) الآية ٢٠٤ من سورة البقرة .

(١٩) الآية ٢٢٦ من سورة البقرة .

(٢٠) الآية ٤١ من سورة يوسف .

(٢١) الآية ٣٣ من سورة سبأ .

(٢٢) زيادة يقتضيها السياق .

(٢٣) الآية ٢٥ من سورة الحج .

(٢٤) الآية ٢٨ من سورة نوح .

لأبيه الا عن وعدة وعدها اياه ، وقيل أراد بوالديه آدم وحوى صلوات الله عليهم اجمعين .

قوله : « اعلم ان الصرف(٢٥) ام العلوم والنحو ابوها » اقول :

اعلم ان العلوم الادبية منحصرة في اثنى عشر قسما وهي مذكورة في المطولات ومن جملتها علم (الصرف)(٢٦) وهو : يعرف به أحوال ابنية الكلم التي ليست باعراب . ثم اعلم بأن لكل علم سواء كان من العلوم العقلية او من غيرها ، أجزاء ثلاثة — وهي : الموضوع والمبادىء والمسائل ، هذا على رأي البعض(٢٧) ، فموضوع كل علم ، ما يبحث فيه عن اغراضه الذاتية ، ومبادئه : هي ما تتوقف عليه مسائل كحدود الموضوعات ، وحدود اجزائها وحدود اغراضها . والمسائل : هي التصديقات التي يبرهن عليها في العلم اذا كانت كسبية ، فتقول : موضوع التصريف اما بنفس ابنية الكلم وهو الاصح ، أو احوالها كما يشعر به كلام الشيخ ابن الحاجب في تعريفه للتصريف(٢٨) . اما على الوجه الاول فالاعراض الذاتية له ، هي كون البناء ماضيا ومضارعا وامرا واسم فاعل واسم مفعول والصفة المشبهة الى آخر ما ذكره الشيخ ابن الحاجب .

واما على الوجه الثاني : فالاعراض الذاتية له هي عوارض تلك الاحوال لكونها ثلاثية ورباعية ومجردة ومزيدة وصحيحة ومعتلة الى غير ذلك .

واما مبادئه : فكحد نفس بناء الكلمة ، وحد عوارضه كحد الماضي والمضارع والامر واسم الفاعل الى غير ذلك من تصريفات أحوال ابنية الكلم .

واما مسائلة : فكالحكم على بناء الكلمة بانه قد يكون ثلاثيا وقد يكون رباعيا وقد يكون مجردا وقد يكون مزيدا فيه وقد يكون صحيحا وقد يكون معتلا وقد يكون مضاعفا وقد يكون مهموزا الى غير ذلك من الاحوال التي يحكم بها في علم التصريف على ابنية الكلم أو على نوع ابنية الكلم ، او على اعراضها او عليها جميعا ، فقد تحقق من هذا التحرير تعريف كل من الموضوعات والمبادىء والمسائل . ثم التصريف مشتمل على العلل الاربع.

الفاعلية وهي الشخص المستنبط له من لغة العرب بسبب الاستقرار والمفنن له والمدون اياه بواسطة قوة العاقلة ، والغائية : وهي ما لأجل الشيء وهي ههنا الاطلاع على الاحوال الجزئية لابنية الكلم في المواد الجزئية والاحتراز عن الخطأ في اللفظ فيما يرجع الى بنائه . والمادية : وهي اجزاؤه الثلاثة التي ذكرنا في المبادىء والمسائل والموضوع . والصورية : وهي الهيئة الطارئة على تلك الاجزاء الثلاثة والصورة الوجدانية العارضة لها عند التدوين والجمع . ثم اعلم ان قراءة اللغة والتصريف والنحو لازمة ، وكذلك تقديم مقدمة منها على سائر العلوم لان لكل علم رتبة ، ورعاية كل شيء في مرتبته لازمة ، ورتبة اللغة والتصريف تقديمها على النحو ورتبة النحو تقديمه على الفقه والحديث والتفسير وغيرها . لانها آلات ووسائل خصوصا علم النحو ، لان معرفة كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم — الدالين على ذاته وصفاته كلها محتاجة الى النحو . والتفاسير مجموعة بالروايات عن سيبويه والاخفش والفراء والكسائي وغيرهم من البصريين والكوفيين وكذا افتقار الفقه اليه بيّنٌ لا يدفع وظاهر لا يقنع ، لان معظم ابوابه يبحث عن الاستثناء بانه نحو ، وعن التعريفين — تعريف الجنس وتعريف العهد — فانه نحو ، وعن الحروف كالواو والفاء وثم وغير ذلك ، وعن الفرق بين « أن » و « ان » و « اذا » و « متى » و « كلما » وما ضاهاها فان ذلك كله نحو . وجاء في الخبر عن النبي — صلى الله عليه وسلم — انه قال : « رحم الله امرأ أصلح لسانه » وقال : « اعربوا في الكلام لتعربوا في القرآن فان الله يحب ان تعرب آياته » ، وقال عمر رضي الله عنه : تعلموا العربية فانها تزيد في العقل والمروءة . وقال حماد بن سلمة رضي الله عنه : من طلب الحديث ولم يتعلم النحو ، فهو مثل الحمار تتعلق عليه المخلاة وليس فيها علف . والجمال يحصل به فان العباس رضي الله عنه قال : « فيم الجمال يارسول الله ؟ فقال عليه السلام : في اللسان يا عمي » . جئنا الى حل الالفاظ — فقوله : اعلم — امرٌ من علِمَ يَعْلَم وفيه ضمير مستتر فاعل له ، وهو من افعال القلوب يستدعي المفعولين الممتنع الاقتصار على أحدهما . وأن : حرف من الحروف(٢٩) المشبهة بالفعل وهي ستة(٣٠) : ان

---

(٢٥) أ — التصريف .

(٢٦) الزيادة من ب .

(٢٧) لعله يريد الشريف الجرجاني صاحب التعريفات وهذا كلامه بعينه . تعريفات ص (٢١٢) .

(٢٨) تعريف ابن الحاجب للصرف هو : « علم باصول تعرف بها أحوال ابنية الكلم التي ليست باعراب » .

(٢٩) أ : حروف .

(٣٠) وقيل ثمانية بزيادة عسى ، ولا التبرئة ، وكان سيبويه يعدها خمسة لان المفتوحة فرع المكسورة على رأيه .

وان ولكن وليت ولعل وكأن ، وهي من دواخل المبتدأ والخبر أن ههنا مع اسمها خبرها ساد مسد المفعولين لاعلم . فان قيل بانها من افعال القلوب ؟ قيل له : لانها للشك أو اليقين ، فكلاهما من خصائص القلوب فان قيل : فلم قلتم انها مشبهات بالفعل ؟ قيل له لانها اشبهت الفعل من حيث ملازمتها للاسماء وكون أواخرها مبنية على الفتح كالافعال الماضية ، ولانها على ثلاثة احرف فصاعدا كالفعل ، فلما اشبهت الفعل من هذه الوجوه اجريت مجراه في ان جعل لها مرفوع ومنصوب . فان قيل : قال أعلم ولم يقل افهم أوغير ذلك ؟ قيل له : لان لفظة اعلم كلمة بينة(٣١) تستعمل في أوائل الكتب ليتبينه القارىء فيالابحاث الآتية . ثم التصريف في اللغة عبارة عن التغيير ومنه تصريف الرياح وهو تحويلها من حال الى حال جنوبا او شمالا وصبا ودبورا ، وفي الاصطلاح التعريف : تحويل الاصل الواحد اسما الى التوحيد اي حال كونه اسما الى التوحيد والتثنية والجمع ونحو ذلك مصدرا الى الفاظ مختلفة كالماضي والمضارع والامر والنهي والنفي والجحد واسمي الفاعل والمفعول . وقيل : التصريف عبارة عن القواعد الموصلة الى أحوال الابنية غير النحوية ، كما انك اذا علمت ان الحرفين المتجانسين متى اجتمعا ، فهو من صور الادغام اما وجوبا كمد او جوازا كلم(٣٢) تمد واما امتناعا كيمدون ، وكذلك اذا علمت ان الحروف الجازمة اذا دخلت في الكلمة لابد ان تسقط اما حركة ، أو ما يقوم مقامها وغير ذلك من الامثال . فان قيل لم اختار التصريف على الصرف ؟ قيل له : لان علم التصريف علم شريف وفيه تصرفات كثيرة وذكره بلفظ فيه مبالغة او لانه اتبع قوله تعالى وهو افصح الكلام وابلغه(٣٣) « وتصريف الرياح »(٣٤) فان قيل : فقد جاء لفظ الصرف ايضا في قوله تعالى : « ولقد صرفنا في هذا القرآن »(٣٥) فمن اين الترجيح قيل له : الجواب ما ذكر والترجيح بالمبالغة وهي وجود الفائدة الزائدة فان قيل : ما اللغة ؟ قيل له : اللغة ما يعبر كل قوم عن اغراضهم ، وقيل اللغة : ما يفهم عن طريق وضع العرب . والاصطلاح عبارة عن الفاظ مخصوصة بطائفة من طوائف أهل العلم مثل : الرفع والنصب والجر لاهل النحو ، والتركيب والترتيب والتمثيل لاهل التصريف وغير ذلك .

الاصطلاح : مواصفات في العلوم يستدل بها علماؤها على مقاصدهم ، فان قيل : ما المراد من الام ؟ المراد من الام هو الاصل كما في قوله تعالى « أم الكتاب »(٣٦) اي أصل الكتاب . فان قيل : لم سمي علم التصريف ام العلوم وعلم النحو ابوها ؟ قيل له : كما ان الام تتولد منها(٣٧) الاولاد فكذلك التصريف تتولد منه الالفاظ ، وكما ان الاب سبب لاصلاح الفراش فكذلك النحو سبب لاصلاح اللفظ وكما ان الاب يمنع أولاده من الوقوع في الفساد ، فكذلك النحو يمنع المتكلم من الوقوع في الفساد اعني : الخطأ في الاعراب . فان قيل لم قدم التصريف على النحو ؟ قيل له : لان الكتاب في التصريف ، أو لان في التصريف بنية الكلمة وبالنحو حالها ، وبنية الكلمة بمنزلة الذات ، وحالها بمنزلة الصفة ومعرفة الذات مقدمة على معرفة الصفات . والنحو في اللغة عبارة عن القصد يقال : نحوته اي قصدته ، والنحو : الطريق ويقال : نحو ذلك ، اي مثل ذلك ، وفي الاصطلاح : النحو علم مستنبط بمقاييس كلام العرب مختص بآخر الكلمة يعرف به(٣٨) صحة تاليف كلامهم وفساده .

قوله : **« ويقوى في الدرايات داروها ، ويطغى في الروايات عاروها » .**

اقول : اي يعتقد في الادراكات عالموها ، ويضل في المنقولات جاهلوها ، ومحل الهاء في داروها وعاروها الجر بانها وقعت مضافا اليها ، يدل عليها سقوط النون من دارون وعارون ، اصلهما داريون وعاريون كرامون أصله : راميون استثقلت الضمة على الياء فنقلت الى الراء بعد سلب حركتها ثم حذفت الياء لاجتماع الساكنين وهما الياء وواو الضمير ، وكذلك اعلال رامون فصرن على زنة « فاعون » والضمير فيهما عائد الى التعريف ، وانما انثه باعتبار الام لانه قال : ان التصريف أم العلوم أو باعتبار القواعد .

قوله : **« فجمعت فيه كتابا موسوما(٣٩) بمراح الارواح ، وهو للصبي جناح النجاح ، وراح**

(٣١) أ : بينة بتقديم النون على الياء وهو تحريف .

(٣٢) أ : لكم وهو تحريف .

(٣٣) أ : وابلغ .

(٣٤) الآية ١٩ من سورة الفرقان .

(٣٥) الآية ٤١ من سورة الاسراء .

(٣٦) الآية ٧ من سورة آل عمران ، وكذلك وردت في الآية ٣٩ من سورة الرعد والآية ٤ من سورة الزخرف .

(٣٧) أ : منه .

(٣٨) أ : بها .

(٣٩) ق : مرسوما بالراء المهملة .

وحراح(٤٠) وفي معدته (٤١) راح مثل تفاح او راح » .

اقول : اي اذا تمهد هذا ، فجمعت فيه : اي في التصريف الفاء : للسببية . موسوما ، اي مسمى ، نصبه على الوصفية . الكتاب مصدر لكن المراد منه المكتوب ، كما ان المراد من الحساب المحسوب . الجار والمجرور في بمراح الارواح تتعلق بموسوما . المراح : يجوز أن يكون مصدرا ميميا من راح يروح ، كمقال من قال يقول ، وان يكون اسم موضح . وبكسر الميم النشاط لكن الميم اصلية ويكون من مرح يمرح اذا فرح ونشط، كما في التنزيل « ولا تمشي في الارض مرحا »(٤٢) الارواح : جمع روح ، والرُوح والرَوح ــ بضم الراء وفتحها ــ والراحة : كلها من الاستراحة . ويقال : يوم رَوْح اي طيب . قال الله تعالى « فرَوح وريحان »(٤٣) اي رحمة طيبة . النجاح: هو الفوز والنجاة ، وهو مبتدأ وجناح النجاح خبره ، والمراد في الصبي : المبتدىء لان الصبيان غالبا يقرؤون مثل هذا المختصر ، والصبي ــ على زنة « فعيل » من صبا يصبو اذا مال فلذلك يسمى الصبي صبيا لانه يميل الى كل شيء ، من لعب الى لعب ، وقيل لانه يميل الى جهل . وقوله : وراح : اي طريق رحراح اي واسع والراح والرحرحان بمعنى واحد وهو الطريق الواسع . ويقال : عيش رحراح اي واسع طيب والراح : تجيء جمع راحة وهي الكف . وقوله : وفي معدته حين راح : اي(٤٤) حين بات والضمير في معدته عائد الى الصبي . والراح : الخمر واساميها كثيرة(٤٥) منها : الراح والقرقف والشمول والقهوة والخندريس وبنت كرم والسلاف والعذراء والمدام . وانما شبه التعريف بالتفاح الراح لان التفاح له منافع كثيرة واغلب ما يكون من الاشربة من مائه لقوة منفعته ، ولكثرة فائدته ولشدة صفائه حتى قيل : عجبت لمن راح وفي معدته تفاح أو راح ، والمشابهة هي الاشتراك بين الشيئين في وصف ظاهر . والتشبيه على اربعة اقسام : تشبيه المحسوس بالمحسوس نحو « خد زيد كالورد » وتشبيه المعقول بالمعقول نحو « العلم كالحياة » وتشبيه المعقول بالمحسوس نحو « التصريف في الكلام كالتفاح في المعدة » و « النحو في الكلام كالملح في الطعام » وتشبيه المحسوس بالمعقول نحو « العطر كخلق الكريم » .

قوله : « **وبالله اعتصم مما(٤٦) يصم واستعين وهو نعم المولى ونعم النصير »(٤٧) .**

اقول : الجار والمجرور متعلقة باعتصم وتأخير الفعل يدل على الاختصاص ، وذلك لان الاختصاص انما يحصل بتقديم الاسم وتأخير الفعل كما في قوله تعالى « اياك نعبد واياك نستعين »(٤٨) فان قيل : فلم قدم الفعل على الاسم في قوله تعالى « اقرأ باسم ربك »(٤٩) قيل له : انما قدم الفعل على الاسم هناك لان تقديم الفعل فيه أهم لانها اول سورة نزلت في القرآن وكان الامر بالقراءة اهم لان المقصود ، هو القراءة لتبليغ الرسالة واظهار المعجزة . والعصمة : هي الوثقة ــ يقال : مال معصوم : اي موثوق ومحفوظ . والاعتصام مأمور به في قوله تعالى « واعتصموا »(٥٠) ومن اعتصم بالله فقد هدى لقوله تعالى « ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم »(٥١) والوصم : هو العيب ، اي وبالله اعتصم من كل ما يصم اي يعيب ــ اصله « يوصم » حذفت الواو لوقوعها بين الياء والكسرة ، كما في يعد . واستعين : اي اطلب العون من الله ، والسين للسؤال . او استعين على عبادتك او على ما خلقتنا له من عبادتك ، او على محاربة الشيطان الذي يمنعنا عن عبادتك ، او استعين في امورنا بما يصلحنا في ديننا ودنيانا وهو نعم المولى ونعم النصير . واعلم : ان ــ نِعمَ ــ من افعال المدح كما أن بئس ــ من افعال الذم ، وهما فعلا ماض عند البصريين(٥٢) والكسائي ، وعند

(٤٠) ق : وحيراح بالتصغير .

(٤١) ق : معيدته بالتصغير .

(٤٢) الآية ٣٧ سورة الاسراء .

(٤٣) الآية ٨٩ سورة الواقعة .

(٤٤) أ : الى .

(٤٥) ذكر الشيخ شمس الدين النواجي المتوفى سنة ٨٥٩هـ في « حلبة الكميت » اكثر من مئة وثلاثين اسما لها .

(٤٦) ق : عما .

(٤٧) ق ، م : المعين .

(٤٨) الآية ٥ سورة الفاتحة .

(٤٩) الآية ١ سورة العلق .

(٥٠) الآية ١٠٣ سورة آل عمران .

(٥١) الآية ١٠١ سورة آل عمران .

(٥٢) استدلوا على فعليتهما بدليل اتصال تاء التأنيث الساكنة بهما كقوله ــ ص ــ من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ، ومن اغتسل فالغسل افضل ، واستدل الكوفيون على اسميتهما بدخول حرف الجر كقول بعض العرب وقد بشر ببنت « والله ما هي بنعم الولد نصرها بكاء وبرها سرقة » وقول احدهم وقد سار الى محبوبته على حمار بطيء « نعم السير على بئس العير » ورد الجمهور على

الفراء هما اسمان بدليل قول العرب : « يا نعم المولى » و « يا نعم النصير » وان لم يكن اسما لما دخل عليه حرف النداء وحجتهم على فعليتها جواز دخول تاء التانيث الساكنة عليهما نحو « نعمت » و « بئست » والجواب عن قوله ان المنادي ها هنا محذوف تقديره : يا الله نعم المولى ويا الله نعم النصير . فان قيل : لم خص الماضي للمدح والذم ؟ قيل له : لان المضارع يشترك فيه الحال والاستقبال وهو على شرف الزوال والانتقال فلا يصلح أن (يكون)(٥٣) للدلالة على الثبوت والاستقرار لان المراد فيهما (الثبوت)(٥٣) والاستقرار . واما الماضي فهو ماض ابدا ، فهو بمعنى الاستقرار(٥٤) اصلح وبمعنى الدلالة على الثبوت ادل . ومن حكمهما ان لابد لهما من اسم مرفوع وهو فاعلهما ، ومن اسم آخر . وهو المخصوص بالمدح أو الذم ، فالفاعل اذا كان مظهرا وجب أن يكون اسما معرفا باللام(٥٥) او مضافا الى ما فيه لام الجنس نحو « نعم الصاحب » أو « نعم صاحب القوم زيد » واذا كان مضمرا يميز بنكرة منصوبة نحو قوله تعالى « فنعما هي »(٥٦) نعم فيه : مسند الى الفاعل المضمر ويميز ما وهي نكرة لا موصولة ولا موصوفة ، والتقدير : فنعم شيئا هي ، وقد يجمع بين الفاعل الظاهر وبين المميز تاكيدا فيقال : « نعم الرجل رجلا زيد »(٥٧).

قوله : **« اعلم اسعدك الله(٥٨) ان الصراف(٥٩) يحتاج في(٦٠) معرفة الاوزان الى سبعة ابواب : الصحيح والمضاعف والمهموز والمثال والاجوف والناقص واللفيف »** .

اقول : اسعد : فعل ماضي ، وكانه خطاب للقارىء ، مفعول . والله : فاعل له ، ولا محل لها من الاعراب لما مربيانه ، فان قيل ان الصراف يحتاج الى التصريف ولا يحتاج الى معرفة الاوزان(٦١) ـ قيل باعتبار ما يؤول اليه كما في قوله تعالى « اني اراني اعصر خمرا »(٦٢) ونظم الكلام يقتضي أن يقال عنبا لكن ذكره باعتبار ما يؤول اليه وهذا طريق من المجاز .

الاوزان : جمع وزن والوزن والزنة ما يوزن به الكلام ، فان قيل ما وجه الانحصار الى سبعة ؟ قيل له : الكلمة لا تخلو اما ان تكون فيها حرف علة او همزة أو تضعيف أو لا ، فان لم يكن فهي الصحيح ، فان كان فلا يخلو اما ان يكون همزة او تضعيفا او حرف علة . فان كان همزة أو تضعيفا فهي المهموز والمضاعف وان كان حرف علة فلا يخلو اما ان تكون واحدة او اكثر فان كانت واحدة فلا يخلو اما ان تكون في الاول أو في الوسط أو في في الاخير فان كان في الاول فهو « المثال » وان كان في الوسط فهو « الاجوف » وان كان في الاخير فهو « الناقص » . وان كان اكثر فهو « اللفيف » . واللفيف ايضا قسمان : لفيف مفروق ولفيف مقرون ، لانه اذا افترقا فهو المفروق واذا اقترنا فهو المقرون .

قوله : **« واشتقاق(٦٣) تسعة اشياء من كل مصدر وهي : الماضي والمستقبل والامر والنهي واسما(٦٤) الفاعل والمفعول والمكان والزمان والآلة(٦٥) وكسرته(٦٦) على سبعة ابواب »** .

اقول : هذا عطف على قوله سبعة ابواب ، اي الصراف يحتاج ايضا الى معرفة اشتقاق تسعة اشياء وهي : الماضي والمضارع والامر والنهي واسم الفاعل واسم المفعول واسم الزمان والمكان واسم الآلة . فان قيل ما وجه الانحصار ؟ قيل له المشتق لا يخلو اما ان يكون فعلا أو اسما ، فان كان فعلا فلا يخلو اما ان يكون اخباريا أو انشائيا ، فان كان

هذا القول بان الاصل في ذلك « ماهي بولد مقول فيه نعم الولد » فحذف الموصوف وصفته واقيم معمول الصفة مقامها . وراجع الانصاف في مسائل الخلاف لابي الانباري فقد بسط القول فيها .

(٥٣) زيادة يقتضيها السياق .

(٥٤) أ : الاستمرار ، تحريف .

(٥٥) أ : بلام .

(٥٦) الاية ٢٧١ من سورة البقرة .

(٥٧) اجاز المبرد وابن السراج والفارسي وابن مالك الجمع بين التمييز والفاعل الظاهر للتوكيد كقول الشاعر :

نعم الفتاة فتاة هند لو بذلت
رد التحية نطقا او بايماء

ومنع ذلك سيبويه والسيرافي وحجتهما ان التمييز لرفع الابهام ، ولا ابهام مع ظهور الفاعل ، وقول الاخطل :

والتغلبيون بئس الفحل فحلهم
فحلا وامهم زلاء منطيق

وقيل « فحلا » حال مؤكدة .

(٥٨) م : اسعدك الله تعالى في الدارين .

(٥٩) أ : الصرف .

(٦٠) أ : الى .

(٦١) أ : ان الصراف يحتاج والصراف لا يحتاج الى معرفة الاوزان ، ولعل الصواب ما اثبت .

(٦٢) الاية ٣٦ من سورة يوسف .

(٦٣) ق بعده : في .

(٦٤) ق ، م : اسم .

(٦٥) ق : وللآله . تحريف .

(٦٦) ق ، م : فكسرته .

اخباريا فلا يخلو اما ان تتعاقب في اوله احدى الزوائد الاربع(٦٧) أولا فان لم تتعاقب فهو الماضي ، وان تعاقبت(٦٨) فهو المضارع . وان كان انشائيا فلا يخلو اما ان يدل على طلب الفعل او على طلب ترك الفعل ـ فالاول هو الامر والثاني هو النهي . وان كان اسما فلا يخلو اما ان يكون مشتقا من فعل لمن قام به ، بمعنى الحدوث ، أو يكون مشتقا من فعل لمن وقع عليه ، أو يكون دالا على ما يعالج به الفاعل المفعول ، لوصول الاثر اليه ، او يكون دالا على ما وقع الفعل فيه ، فالاول هو اسم الفاعل والثاني هو اسم المفعول ، والثالث هو اسم الآلة والرابع هو اسماء الزمان والمكان . فان قيل أين النفي والجحد مع انهما من المشتقات ؟ قيل له : ان النفي يشبه النهي بصورته والجحد يشبهه بمعناه ، فحينئذ لا يفتقر الى ذكرهـا ، وقوله : وكسرته اي جمعته وطويته وجعلته مشتملا على سبعة ابواب ، وهو مستعار من كسر الطائر جناحيه اذا ضمهما اليه وانقض للوقوع .

الباب الاول

ـ في الصحيح ـ

قوله : « الصحيح هو الذي ليس في مقابلة الفاء والعين واللام حرف علة وتضعيف(٦٩) وهمزة نحو : ضرب »(٧٠) .

اقول : هذا شروع في المقصود ، والباب : هو النوع ـ قال عليه السلام : « من فتح بابا من العلم » اي نوعا . الباب : رفع بانه مبتدأ والجار والمجرور في(٧١) (محل الرفع خبره ، والجملة لا محل لها من الاعراب لكونها ابتدائيـة ، والالف واللام في ـ باب ـ للعهد وليس للجنس لانه لا يراد به معنى لفظ الباب ، ولا للاستغراق لانه لم يرد كل ماصدق عليه الباب من افراده ، والاول صفة للباب . ومثل بضرب لامرين : احدهما انها من ذوات الثلاثة واقل ما يكون الفعل عليه ثلاثة حروف ، والقليل أصل والكثير فرع عليه ولذا ابتدأ بالاصل .

والثاني انه ليس في مقابلة الفاء والعين واللام من « ضرب » حرف علة .

واعلم ان الكلمة اذا اريد وزنها تقابل اصولها بالفاء والعين واللام ، مع اعطاء التحرك والسكون الاصليين ، فيقال في وزن ضرب فعـل ويقـال في وزن فلس « فعل » بسكون العين ، وفي وزن باع من الاجوف ومد من المضاعف « فعل » بفتح العين فيهما لان اصلهما قبل القلب والادغام بيع ومدد بفتح العين فيهما . وكذلك يقال في وزن هاب من الاجوف ومل من المضاعف « فعل » بكسر العين ، لان الاصل هيب وملل بكسر العين . فان بقي من اصول الكلمة شيء زدت لاما ثانية فتقول في وزن عبقر من الرباعي « فعلل » وتزيد لاما اخرى في الخماسي فتقول في وزن حجمرش « فعللل » بلامات ثلاث . هذا مذهب البصريين وهو الصحيح ، أما الكوفيون فقد قالوا ان مازاد على الثلاثة زائد) ويعبر عن الزائد بلفظه ، أي بلفظ ذلك الزائد الا المبدل من تاء(٧٢) الافتعال في نحو ضرب وطرد وصلح اذا نقلتهما(٧٣) الى باب الافتعال قلبت تاء الافتعال فيهما طاء فتعين فيهما تاء(٧٤) الافتعال الذي هو مبدل منه لا بالطاء الذي هو البدل ، فيقال(٧٥) اضطرب واطرد واصطلح على وزن « افتعل » لمجيء افتعل وعدم « افطل »(٧٦) ، ولان افتعل اخف من افطعل فالمصير الى ما هو اخف أولى ، الا المكرر للالحاق أو التكرير فانك تعبر عن الحرف المكرر بما تعبر عن الحرف الاصلي لا بلفظ ذلك المكرر فتقول : جلبب على وزن « فعلل » لا على وزن « فعلب » واحمر على وزن افعل « لا على وزن » افعلر « وعلم على وزن فعل » لا على وزن « فعلل » وذلك لكون الحرف الملحق جاريا مجرى الصحيح فيعبر عنه(٧٧) بما يعبر عن الحرف الاصلي ، واعلم ان ما لا يقابل بمثله على قسمين : احدهما المبدل من تاء(٧٨) الافتعال ، فانه يقابل بتاء الافتعال على ما سبق

---

(٦٧) هي الحروف الداخلة على المضارع ويجمعها قولهم « نأيت » .

(٦٨) في الاصل : تعاقب .

(٦٩) ق : والتضعيف .

(٧٠) هذا عند الصرفيين ، اما عند النحاة فهو اسم لم يكن في آخره حرف علة .

(٧١) سقط بعد حرف الجر من اصل المخطوط مقدار ورقة ورغم البحث الطويل لم اوفق في العثور عليها والنسخة التي عندي نسخة يتيمة ، على ان الكلام الساقط لم يؤثر في الشرح لانه معقود لكيفية الوزن وقد اتممت مانقص وحصرت كلامي بين المعقوفتين والله اعلم .

(٧٢) أ : باء .

(٧٣) نقلهما في أ .

(٧٤) أ : بتاء .

(٧٥) أ : فلا يقال فهو تحريف .

(٧٦) اجاز العلامة الرضي ذلك .

(٧٧) أ : عنها .

(٧٨) أ : ياء بالموحدة التحتانية .

والثاني ــ المكرر سواء كان للالحاق(٧٩) كجلبب وقردد(٨٠) أو غير الالحاق كعلم وسواء كان من حروف « هويت السمان » ، أي التي لا تكون الزيادة لغير الالحاق والتكرير الامنها نحو حلتيت(٨١) وسحنون(٨٢) وعثنون(٨٣) أو من غيرها كما سبق في جلبب وقردد فان الاوزان كلها بما يقابل مقدمها كان التكرار يقتضي الحكم على المكرر بزنة ما قبله ان لم يمنع مانع ، ومن ثم كان حلتيت(٨٤) « فعليلا » لا فعليتا ، وسحنون وعثنون « فعلول » لافعلون ، لمجيء الفعلول ولعدم الفعلون . وأما عفريت(٨٥) وكبريت فنادران ، وسحنون وان صح فتح السين ففعلون كحمدون(٨٦) لافعلول وصعفوق(٨٧) وخرنوب ضعيفان وسمنان(٨٨) فعلان لا فعلال وخزعال(٨٩) نادر وبطنان « فعلان » لافعلال ، وقرطاس ضعيف والقياس كسر القاف مع انه نقيض ظهر ان بضم الظاء .

والحلتيت ما سقط من الاشجار وسحنون ــ ضما وفتحا ــ رجل ، وعثنون : راس الحية ، وصعفوق : اسم رجل ، وسمنان : اسم موضع ، وخزعال : ناقة ، وبطنان اسم لباطن الراس وظهران اسم لظاهره .

قوله : « **وأختص الفاء والعين واللام للوزن حتى يكون فيه من حروف الشفة والوسط والحلق(٩٠) شيء** » .

اقول : هذه اشارة الى علة اختصاص كلمة « فعل » للوزن وذلك انما اختص للزنة لانه لايوجد فيه من حروف الشفة والحلق لان الفاء من الشفة ، والعين من الحلق ، واللام من الوسط ومخارج الحروف لا تنفك عن هذه الثلاثة لما يجيء بيانه ان شاء الله تعالى . فان قيل : لم لا يوضع غير هذا مثل علم وصنع والمقصود يحصل منهما ايضا ؟ قيل له : أجل لكن « فعل » اعم الافعال معنى لانه يصح استعماله في معنى كل فعل ، سواء كان ذلك الفعل علاجيا او غير علاجي ، تقول : فعل الضرب والشتم وفعل النصر فلذلك استعمل في مكان الاداء والاعطاء في قوله تعالى « والذين هم للزكوة فاعلون »(٩١) أي مؤدون ، فكان اعم الافعال معنى .

قوله : « **فقولنا(٩٢) الضرب مصدر تتولد منه الاشياء التسعة وهو اصل في الاشتقاق عندالبصريين لان مفهومه واحد ومفهوم الفعل متعدد لدلالته(٩٣) على الحديث والزمان ، والواحد قبل المتعدد ، واذا كان اصلا للافعال(٩٤) يكون اصلا لمتعلقاتها او لانه اسم والاسم مستغن عن الفعل (في الافادة)(٩٥) وايضا يقال له مصدر لان هذه الاشياء تصدر عنه** » .

اقول : هذا شروع في بيان الاختلاف الواقع بين النحاة في المصدر من حيث الاصالة والفرعية وانما قدمه بالذكر ، لان سائر الاحكام في التصاريف تنشعب منه ، وتتولد عنه . كما قال : الضرب مصدر تتولد منه الاشياء التسعة وهي الماضي والمضارع والامر والنهي واسم الفاعل واسم المفعول اسم الزمان والمكان والآلة . وقوله « وهو أصل » اي المصدر اصل في الاشتقاق يحترز به عن العمل لان الفعل اصل ما يبنى عليه غيره والفرع يبنى على غيره . وقوله « لان مفهومه واحد » اشارة الى دلائل البصريين في اصالة المصدر وذلك انهم استدلوا عليها بثلاثة دلائل . الاول : ان مفهوم المصدر واحد

---

(٧٩) أ : الالتحاق .
(٨٠) قردد : اسم جبلل .
(٨١) أ : جلتت ، فهو تحريف وحلتيت هو صمغ الانجدان ، وقيل نبات ينبت بين بست وبلاد العيقان . راجع اللسان .
(٨٢) أ : سمون ، وسحنون أول المطر والربيع ، ذكر ذلك الشيخ خالد الازهري والجاربردي ولا توجد في القاموس . وشرحه للزبيدي .
(٨٣) قال في القاموس « العثنون اللحية » ، أو ما فضل منها بعد العارضين او ما نبت على الذقن ، وشعيرات طوال تحت حنك البعير ، ومن المطر والريح اولهما » .
(٨٤) أ : حلثيت بالثاء المثلثة الفوقانية .
(٨٥) العفريت النافذ في الامر المبالغ فيه مع دهاء .
(٨٦) بعده في أ : كحمد وهو زيادة من الناسخ .
(٨٧) قال الازهري : كل ماجاء على فُعلول فهو مضموم الاول مثل زنبور وبهلول وعمروس وما اشبه ذلك الا حرفا جاء نادرا وهو بنوصعفوق لخول باليمامة ، وزاد بعضهم صعقول لضرب من الكماة وقيل غير معروف ، وبعكوكة الوادي لجانبه ، والاخيرة ذكرها السيرافي بالضم .
(٨٨) سمنان اسم موضع من ارض نجد قال الحماسي زياد بن منقذ والمرار والحكم اخواه : نحو الاميلح من سمنان مبتكرا بفتية فيهم المرار والحكم . والاميلح ماء لبني وبيعة .
(٨٩) قيل هو ظلع يصيب الناقة .

(٩٠) ق : واطلق ــ وهو تحريف .
(٩١) الآية ٤ من سورة المؤمنون .
(٩٢) أ : قلنا .
(٩٣) أ : لدلالة .
(٩٤) ق : في الافعال .
(٩٥) الزيادة من ب وهي ساقطة في ق .

لانه لايدل الا على حدث فقط ومفهوم الفعل متعدد لدلالته على الحدث والزمان وما دل على المعنى الواحد أصل بالنسبة الى ما دل على المعنيين . وقوله « واذا كان أصلا للافعال » اذا كان المصدر اصلا للافعال مثل الماضي والمضارع والامر ، يكون اصلا كذلك لمتعلقاتها وهي : اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وافعل التفضيل واسم الزمان والمكان والآلة . والثاني : ان المصدر اسم والاسم مستغن عن الفعل اي من الافادة لان الفعل يحتاج لى الاسم ، وجعل المحتاج اليه اصلا اولى من جعل المحتاج . والثالث : انما يقال له مصدر لان هذه الاشياء تصدر عنه ، اي الاشياء التسعة المذكورة فاذا كان كذلك يكون المصدر عنه اولى بالاصالة من المصدر ، لانا وجدنا مصادر لا فعل لها لا لفظا ولا تقديرا وذلك نحو : ويح وويل وويب ، فلو كان الفعل اصلا لكانت هذه المصادر فروعا لا اصولا لها وذلك محال(٩٦) .

قوله : « **والاشتقاق(٩٧) ان تجد بين اللفظين تناسبا في اللفظ والمعنى** » .

اقول : ان من جملة الالفاظ المصطلحة ، الاشتقاق فلابد من ذكره وانما ذكره متخللا بين كلام البصريين وبين كلام الكوفيين ، لان أصل الخلاف والمنازعة تنشأ من الاشتقاق كما قال وهو اصل في الاشتقاق . ثم ان الاشتقاق في اللغة عبارة عن النزع ، وفي الاصطلاح عبارة عن وجود التناسب بين الكلمتين في اللفظ والمعنى ، ووجود المناسبة بين الكلمتين كونهما مشتركين في الدلالة على المعنى ، وبه احترز عن الالفاظ المشاركة في اللفظ دون المعنى ، كذهب الذي يقابل الفضة وذهب الذي هو فعل ماضي من الذهاب ، فلا يقال ان احدهما مشتق من الاخر لعدم اشتراكهما في الدلالة على المعنى الاصلي . وللاشتقاق اربعة شرائط :

الاول : هو ان يكون بينهما تناسب معنوي وهو عبارة عن ان يكون ما في المشتق منه من المعنى ، يكون في المشتق من دون العكس ، فان معنى الضرب موجود في الضارب وهو نفس الفعل ، وليس معنى الضارب موجودا فيه .

والثاني : ان يكون بينهما تناسب تركيبي ، معناه ان كل ما هو من الحروف في المشتق منه ، ينبغي أن يكون موجودا في المشتق دون العكس كالضرب والضارب فان الضرب « فعل » والضارب « فاعل » فلا يقال : الذئب مشتق من سرحان وان وجد بينهما تناسب معنوي ومغايرة الصيغة لعدم الزيادة والتناسب التركيبي . ولا يكون ذهب مشتق من ذهب وان وجد بينهما تركيبي لعدم الشرائط الثلاثة : وهي تناسب المعنى ومغايرة الصيغة ، وكون المشتق زائدا بشيء على المشتق منه. ولا يكون ضرب الامير الذي هو مستعار عن الضرب مشتقا من الضرب الذي هو مصدر وان وجد تناسب المعنى وتناسب التركيب لعدم زيادة المشتق بشيء على الاصل ومغايرة الصيغة . ولا يكون شاهد مشتق من شهيد وان وجد تغاير الصيغة لعدم الشرائط الباقية(٩٨) ان قلنا : الشهيد بمعنى المقتول ، والا ففيه تناسب المعنى لانه يكون كلاهما من الشهادة ، فعلى هذا عدم الشرطان ، احدهما مغايرة الصيغة والاخر كون المشتق زائدا على المشتق منه .

قوله : « **وهو ثلاثة انواع : صغير — وهو ان يكون بينهما تناسب في الحروف والترتيب نحو ضرب من الضرب ، وكبير : وهو ان يكون بينهما تناسب في اللفظ(٩٩) دون الترتيب نحو : جبذ من الجذب . واكبر : وهو ان يكون بينهما تناسب في المخرج نحو : نعق(١٠٠) من النهق ، المراد من الاشتقاق المذكور (ههنا)(١٠١) اشتقاق صغير(١٠٢)** » .

اقول : اي الاشتقاق على ثلاثة انواع : صغير — وهو ان يكون بينهما ، اي بين المشتق والمشتق منه تناسب في الحروف والترتيب نحو ضرب من الضرب . فان قيل لم سمي مثل هذا الاشتقاق صغيرا ؟ قيل له : لانه اقرب الى الفهم من غيره ، لان البعد بين المشتق والمشتق (منه)(١٠٣) صغير اي قليل . وانما قدمه بالذكر على اخويه لكثرة الاستعمال فيه ، لان الاشتقاق المعهود بين التعريفين هو الصغير كما قال والمراد من الاشتقاق المذكور ،

(٩٦) راجع الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لابن الانباري كمال الدين ابي البركات فقد بسط القول في هذه المسألة .
(٩٧) ق : بدون الواو .

(٩٨) مكررة في الاصل .
(٩٩) ا : الحروف .
(١٠٠) ق : نفق بالفاء .
(١٠١) زيادة من المطبوعة .
(١٠٢) م : الاشتقاق الصغير .
(١٠٣) زيادة يقتضيها البيان .

اشتقاق صغير وقوله « وكبير » اي الثاني منهمـــا اشتقاق كبير : وهو ان يكون بين المشتق والمشـتق منه تناسب في اللفظ دون الترتيب نحو : جبـذ من الجذب ، ومعنى كل واحد منهما من جذبت الشيء لان جبذ مقلوب جذب كما ان فسر مقلوب سفر فان قيل : لم سمي هذا كبيرا ؟ قيل له لان المشـتق والمشتق منه ، كبير بالنسبة الى الصغير ولان معرفته تحصل بفكر اكثر من فكر معرفة الصغير ، وانمـــا قدمه على الاكبر لانه وان كان اقل وقوعا بالنسـبة الى الصغير ، لكنه اكثر وقوعا بالنسبة الى الاكبر .

وقوله « واكبر » اي ـ القسم الثالث منهـا اكبر : وهو ان يكون بين المشتق والمشتق منـه تناسب في المخرج فقط ، نحو : نعق من النهـق ، لمناسبة بينهما في حرف الحلق وقلب الهاء عينـا . النهق : صوت الحمار وقد نهق ينهق نهاقـــا . والنعق : صوت الراعي ـ من نعق غنمه نعقا ونعاقا اذا زجرها وصاح بها ، والناعقان : الكوكبان . فان قيل : لم سمي هذا اكبر ؟ قيل له لان اشـتقاقه يحصل بالعسر وبفكر اكبر منهما ، ولان البعـد بين المشتق والمشتق منه اكبر . فان قيل : ما الفرق بين الاشتقاق والعدل مع أن كل واحد منهما خرج من صيغة الى صيغة ؟ قيل له : العدل ـ شـرط الاتحاد بين المعدول والمعدول عنه ـ ولا ذاك شـرط الاشتقاق .

والاشتقاق(١٠٤) اما أن يكون مطردا كاسـم الفاعل والمفعول وافعل التفضيل والصفة المشبهة ، فان كلا منهما كلما وجد ، وجد الاشتقاق بينه وبين اصله . واما ان لا يكون مطردا ، كالقارورة والدبران ـ وهما مشتقان من حيث اللغة من القرار والدبور ، وبحسب الاستعمال اختصت القارورة باسم الآلــة المخصوصة ، والدبران بالكوكب المخصوص .

قوله : « قال الكوفيون : ينبغي ان يكون الفعل اصلا لان اعلاله مدار لا علال المصدر وجـودا ، او عدما . اما وجودا ففي يعد عدة وقام قياما ، وامـا عدما ففي يوجل وجلا وقاوم قواما ، ومداريته تدل على اصالته(١٠٥) وايضا يؤكد الفعل به نحو : ضربت ضربا(١٠٦) وهو بمنزلة ضربت ضربت . والمؤكـد اصل دون المؤكد يقال له مصدر لكونه مصـدرا عن الفعل كما قالوا مشرب عذب ، ومركب فاره(١٠٧) اي مشروب ومركوب(١٠٨) » .

اقول : لما فرغ من كلام البصريين ، شـرع في كلام الكوفيين ولما زعم البصريون اصالة المصـدر واستدلوا عليها بثلاث وجوه ، فكذلك زعم الكوفيون اصالة الفعل واستدلوا عليها بثلاثة وجوه . الاول : ان اعلال الفعل مدار لاعلال المصدر ، من حيـث الوجود ومن حيث العدم . اما من حيث الوجود ففي يعد عدة وقام قياما ـ اذ اصل يعد يوعد حذفـت الواو لوقوعها بين الياء والكسرة ـ وكذلك اصل عدة وعدة فحذفت الواو منها اتباعا له . واصل قيـام قوم ، قلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح ماقبلها . وكذلك اصل قيام ـ قـوام ـ فقلبت الواو يــاء لتحركها وانكسار ما قبلها اتباعا له . وأما من حيث العدم ففي : يوجل وجلا وقاوم قواما فلم يحذف الواو من يوجل لعدم العلة المقتضية وهي وقـوع الواو بين الياء والكسرة ، فكذلك لم تحذف مـن وجل ، ولم تقلب الواو الفا في قاوم بسكون ما قبل الواو ، فكذلك لم تقلب في قوام اتباعا له . وهـذه المدارية والتبعية تدل على اصالة الفعل ، لان المصدر اتبع الفعل في الاعلال وعدمه ، فصار تابعا له ، وصار الفعل متبوعا ، والمتبوع اصل بالنسبة الى التابع . الثاني : ان الفعل يؤكد بالمصدر نحو : ضربت ضربا وهو بمنزلة ضربت فيكون الفعل عاملا في المصـدر ، ولاشك ان رتبة العامل قبل رتبة المعمول ، والفعل هو المؤكد والمصدر هو المؤكد والمؤكد بفتح الكاف اصل بالنسبة الى المؤكد بكسر الكاف . الثالث : انه يقال له مصدر لكونه مصدورا عن الفعل ، لانـه « مفعل » لكنه على معنى المفعول كما قالوا : مشرب عذب ومركب فاره اي مشـروب ومركوب(١٠٩) ، يعني يذكر المفعل ويراد به المفعول ، واذا كان المصدر مصدورا عن الفعل ، كان فرعا بالنسبة الى المصدور عنه وهو الفعل .

قوله : « قلنا في جوابهم : اعـلال المصـدر للمشاكلة لا للمدارية كحـذف الواو في « تعـد » والهمزة في «يكرم» والمؤكدية لاتدل على الاصالة(١١٠) في الاشتقاق « بل في الاعراب »(١١١) كما في جاءني

---

(١٠٤) هذه العبارة الى آخرها مسوقة في الاصل وكانها من كلام المصنف والصحيح انها من كلام الشارح .

(١٠٥) م : اصالة .

(١٠٦) ضربا ساقطة من م .

(١٠٧) ق : فاهرة . تحريف .

(١٠٨) في الاصل مركوب ومشروب والسـياق يقتضي العكس وتصويبه من ق ، م .

(١٠٩) في ا : تقديمه على مشروب .

(١١٠) ق : اصالة .

(١١١) زيادة من ق .

زيد زيد . وقولهم مشرب عذب ومركب فاره : من باب جرى النهر وسال الميزاب » .

اقول : هذه اشارة الى جواب عن كلام الكوفيين نصرة لمذهب البصريين ، وذلك بثلاثة اجوبة . الجواب الاول : ان اعلال المصدر للمشاكلة، يعني للموافقة بان يطرد الباب لا للمدارية ، يعني لا لعلة الاصالة ، كحذف الواو في « يعد » والهمزة في « يكرم » مع عدم العلة المقتضية للحذف فيهما . لكنهما حذفتا اطرادا للباب وحفظا للقاعدة عن الاختلاف . الجواب الثاني : ان المؤكدية لا تدل على الاصالة في الاشتقاق ، بل تدل في الاعراب كما في « جاءني زيد زيد » وكلامنا في الاشتقاق لا في الاعراب .

الجواب الثالث : ان قولهم « مشرب عذب » « ومركب فاره » من باب جرى النهر وسال الميزاب(١١٢) يعني من باب المجاز العقلي وهو ذكر المحل والارادة هي الحال ، لان النهر لا يجرى والميزاب لايسيل ، ولكن ماؤهما ـ يجري ويسيل ـ فاذن لا يكون هذا حجة لان الاصول لا تثبت بالمحتملات .

قوله : « **ومصدر الثلاثي كثير وعند سيبويه يرتقي الى اثنين وثلاثين نحو : قتل وفسق وشغل ورحمة ونشدة وكدرة ودعوى وذكرى وبشرى وليان وحرمان وغفران ونزوان(١١٣) وطلب وخنق وصغر وهدى وغلبة وسرقة وذهاب وصراف وسؤال وزهادة ودراية ودخول وقبول ووجيف وصهوبة ومدخل ومرجع ومسعاة ومحمدة** » .

اقول : هذا شروع في بيان تعداد المصادر ، ومصادر الثلاثي كثيرة ولكن ذكر سيبويه انها ترتقي الى اثنين وثلاثين بناء نحو « قتل » من قتل يقتل و « فسق » من فسق يفسق(١١٤) و « شغل » من شغل يشغل و « رحمة » من رحم يرحم و « نشدة » من نشدت الضالة انشدها و « كدرة » من كدر الماء يكدر ، و « دعوى » من دعا يدعو في المال وفي النسب يقال : دعى دعوة بكسر الدال . وفي الضيافة ونحوها دعى دعوة ـ بضم الدال ، و « ذكرى » من ذكر يذكر ، و « بشرى » من بشرت الرجل ابشرة ـ بالضم ـ و « ليان »(١١٥) من لوى يلوى ، أصله ـ لويان ـ اجتمعت الواو والياء(١١٦) و « حرمان » من حرمه اذا منعه ، و « غفران من غفر يغفر » ، و « نزوان » من نزى الفحل ينزو ، و « طلب » من طلب يطلب و « خنق » من خنق يخنق و « صغر » من صغر الرجل يصغر ، و « هدى » من هداه يهديه ، و « غلبة » من غلب يغلب ، و « سرقة » من سرق يسرق ، و « ذهاب » من ذهب يذهب و « صراف » من صرفت الكلبة تصرف ـ اذا اشتهت الفحل ، و « سؤال » من سأل يسأل ، و « زهادة » من زهد يزهد ، و « دراية » من درى يدري و « دخول » من دخل يدخل و « قبول » من قبل يقبل ، و « وجيف » من وجف البعير يجف ، والوجيف ضرب من سير الابل ، و « صهوبة » من صهب الشعر اذا احمر حمرة صافية ، و « مدخل » من دخل يدخل ، و « مرجع »(١١٧) من رجع يرجع، و « مسعاة » من سعى يسعى ، و « محمدة »(١١٨) من حمد يحمد . وقد زاد عليه الشيخ ابن الحاجب « بغاية » و « كراهية » من بغى الشيء اذا طلبه ومن كره يكره كراهة وكراهية .

ويجيء المصدر في الصنائع على « فعالة » نحو : كتب كتابة ، وفي الاضطراب على « فعلان » نحو : خفق خفقانا ، ومن الاصوات على « فعال » نحو : صراخ وبكاء عند الخليل قياسا على الصراخ ، وبالقصر عند غيره قياسا على الحزن لانه بمعناه .

قوله : « **ويجيء على وزن اسمي(١١٩) الفاعل والمفعول ، نحو : قمت قائما ، ونحو قوله تعالى**

---

(١١٢) في ا ـ الواو والتصويب من ب (الهامش) وقال في القاموس « وَزَبَ الماء يَزِبُ وَزْبا سال ومنه المِيزاب ، وهو فارسي ومعناه بُل الماء فعربوه بالهمزة ولهذا جمعوه مآزيب ، والوزاب ككتان اللص الحاذق ، وأوْزَبَ في الارض ذهب فيها .

(١١٣) ا : او نزوان .

(١١٤) وفيه لغة اخرى من باب جلس .

(١١٥) قال ذو الرمة :

تطيلين لياني وانت مليئة
واحسن ياذات الوشاح التقاضيا

والاصل « لويان » اجتمعت الواو مع الياء وسبق احدهما بالسكون ثم ادغمت الياء في الياء ، وروى عن ابي زيد ليان بالكسر .

(١١٦) نقلبت الواو ياء وادغمت في اختها . حه

(١١٧) بكسر الجيم من المصادر الشاذة لان فعل يفعل يكون مصدره الفتح ومنه قوله تعالى « الى ربكم مرجعكم » .

(١١٨) ذكره الزمخشري رحمه الله بكسر الميم الثانية وقيل فتحها لغة ايضا .

(١١٩) حـ ، ق : اسم .

« بأيكم المفتون »(١٢٠) ويجيء للمبالغة نحو : التهذار(١٢١) والتلعاب والحثيثى والدليلى »(١٢٢) .

اقول : يجيء على زنة اسم الفاعل نحو : قمت قائما اي قياما ، كما ان اسم الفاعل يجيء على زنة المصدر نحو قولك : رجل عدل اي عادل ، ويجيء على اسم المفعول ايضا نحو قوله تعالى « بأيكم المفتون » اي الفتنة ان قلنا ان الباء ليست بزائدة ، وليس منه ان قلنا انها زائدة ، وكذلك المعقول فانه مصدر بمعنى العقل ، قال سيبويه(١٢٣) : انه صفة معناه عقل له شيء اي حبس ، كالمحلوف فانه مصدر حلف يحلف حلفا ومحلوفا . وكذلك المعسور والميسور بمعنى العسر واليسر . قال سيبويه : هما صفتان معناهما دعه الى زمان ياسر فيه والى زمان يعسر فيه ، لانه يمنع مجيء المصدر عنده على زنة « مفعول » وكذلك المرفوع والموضوع بمعنى الرفع والوضع ، وقال سيبويه : هما صفتان يعني : هذا مرفوعي وموضوعي — هذا اما ارفعه واما اضعه .

« ويجيء للمبالغة » اي يجيء المصدر للمبالغة نحو التهذار(١٢٤) للهذر وهو كثرة الكلام ، والتلعاب للعب والترداد للرد والتكرار للكر ، والتصفاق للصفق ، والتقتال للقتل والتجوال للجولان وهو قياس مطرد ، والفراء وغيره من الكوفيين يجعلون — التفعال — بمنزلة « التفعيل » والف التكرار بمنزلة ياء — التكرير وكذلك الدليلى والحثيثى والرميا لتكثير الفعل الثلاثي والمبالغة ، والدليلي كثرة العلم بالدلالة والرسوخ منها ، واذا كان بين القوم حث كثير يقال : الحثيثي واذا كان الترامي كثيرا يقال : الرميا .

المصدر يجيء ايضا على زنة « فاعلة » كالعافية نحو : عافاه الله عافية كالعافية نحو : عقب فلان مكان ابيه عاقبة وكالباقية لقوله تعالى « فهل ترى لهم من باقية »(١٢٥) اي بقاء وكالكاذبة لقوله تعالى : « ليس لوقعتها كاذبة »(١٢٦) اي كذب .

قوله : **« ومصدر غير الثلاثي يجيء على سنن واحد الا في كلم(١٢٧) كلاما وفي قاتل قتالا وقيتالا وفي تحمل تحمالا وفي زلزل زلزالا » .**

اقول : مصدر غير الثلاثي لا يختلف ، بل يجيء على وتيرة واحدة ، سواء كان رباعيا مجردا أو مزيدا او ثلاثيا مزيدا فيه ، فمصدر افعل على افعال نحو : اخرج على اخراج ومصدر فعل — على تفعيل نحو : كرم على تكريم وسلم على تسليم ومصدر فعلل على فعللة نحو : دحرج على دحرجة وزلزل على زلزلة ومصدر تفعّل على تفعُّل نحو : تقبّل على تقبُّل الا ان في كلّم يجيء كلاما ، وفي كذب كذابا ، قال الله تعالى : « وكذبوا بآياتنا كذابا »(١٢٨) . وفي قاتل قتالا وقيتالا في لغة أهل اليمن ، وفي تحمل تحمالا وفي زلزل زلزالا ، قال الله تعالى : « اذا زلزلت الارض زلزالها »(١٢٩) وتجيء ايضا من — فعل — على مفعل نحو قوله تعالى « ومزقناهم كل ممزق »(١٣٠) بمعنى تمزيق وعلى « فعال » نحو . سلام وسراح وبلاغ قال الله تعالى : « وسرحوهن سراحا جميلا »(١٣١) ، « وما على الرسول الا البلاغ المبين »(١٣٢) . وتجيء ايضا من — تفعل — على « تفعال » نحو : تملق تملاقا ، قال الشاعر :

ثلاثة احباب فحب علاقة
وحب تملاق وحب هو القتل(١٣٣)

ومعنى البيت : الاحباب للانسان ثلاثة انواع ، حب يظهره الرجل وهو موجود فيه ، وحب يظهره ولا حقيقة له ، وحب هو قتل الاعادي . ثلاثة احباب : رفع بالابتداء وخبره محذوف تقديره

---

(١٢٠) بعد قائما . ساقط من م . الآية ٦ سورة القلم .
(١٢١) التهدار بالدال المهملة ، و ق . التهزاب .
(١٢٢) قال الرضي « اما الفيعلي فليس قياسا ، فالحثيثي والرميا والحجيزي مبالغة التحاث والترامي والتحاجز ، اي لا يكون من واحد ، وقد يجيء منه ما يكون مبالغة المصدر الثلاثي كالدليلي والنميمي والهجيري والخليفي ، اي مبالغ كثرة الدلالة والنميمة والهجر اي الهذر والخلافة واجاز بعظهم المد في جميع ذلك والاولى المنع وقد حكى الكسائي خصيصا بالمد وانكره الفراء . الشافية ج جـ — ١ ص ١٦٨ .
(١٢٣) جـ ٢ ص ٢٥٠ .
(١٢٤) في شرح المفصل لابن يعيش جـ ٦ ص ٥٦ : يقال الشراب يهدر هدرا وتهدارا اذا غلى فالتهدار « بالدال المهملة » « الهدر الكثير » وقد ساق بقية المصادر التي ذكرها الشارح .
(١٢٥) الآية ٨ سورة الحاقة .
(١٢٦) الآية ٢ سورة الواقعة .
(١٢٧) في ق ، م : بعده يجيء كلاما .
(١٢٨) الآية ٢٨ سورة النبأ .
(١٢٩) الآية ١ من سورة الزلزلة .
(١٣٠) الآية ١٩ من سورة سبأ .
(١٣١) الآية ٤٩ من سورة الاحزاب .
(١٣٢) الآية ٥٤ من سورة النور كذلك الآية ١٨ من سورة العنكبوت .
(١٣٣) لم ينسب احد هذا الشاهد الى قائل معين وقال ابن يعيش جـ ٦ ص ٤٨ : انشده ثعلب في اماليه عن الاعرابي ، والشاهد فيه قول « تملاق » جاء به على تملّق مطاوع ملّق ، ويروى فحب علاقة بالتنوين وغير تنوين » ا هـ .

فيما بينهم ثلاثة احباب ـ ، فحب رفع بأنه خبر المبتدأ محذوف تقديره ـ حب علاقة كذا خبر المبتدأ المحذوف تقديره ـ وحب هو علاقة ـ والجملة صفة للنكرة وهكذا تقدير الباقية .

قوله : « **الافعال التي تشتق من المصدر : هي خمسة وثلاثون بابا ، ستة منها للثلاثي (المجرد)(١٣٤) نحو : ضرب يضرب ، وقتل يقتل ، وعلم يعلم ، وفتح يفتح ، وكرم يكرم وحسب يحسب** » .

أقول : لما فرغ عن بيان المصادر ، شرع في بيان الافعال المشتقة من المصدر ، والافعال التي تشتق من المصدر خمسة وثلاثون بابا ، ستة منها للثلاثي المجرد نحو : ضرب يضرب ـ بفتح العين في الماضي وكسرها في الغابر ـ ، وقتل يقتل ـ بفتح العين في الماضي وضمها في الغابر ، وعلم يعلم ـ بكسر العين في الماضي وفتحها في الغابر ـ ، وفتح يفتح ، بالفتح فيهما ؛ وكرم يكرم ـ بالضم فيهما ، وحسب يحسب بالكسر فيهما ـ فان قيل ما وجه الانحصار على ستة أبواب ؟ قيل له لان الفاء لها اربعة أحوال : الفتح والضم والكسر والسكون ، ولا يمكن ان يكون ساكنا لامتناع الابتداء بالساكن ، ولا يكون مضموما ولا مكسورا للاشتغال ، فبقيت لها حالة واحدة وهي الفتح .

والعين لها اربعة أحوال أيضا ، وقد سقط منها السكون ، لانه اذا اتصل بالفعل ضمير المتكلم والمخاطب أو جمع المؤنث ، وجب سكون اللام لشدة اتصال الفاعل به ، وليدل على ان الفاعل كالجزء من الكلمة ، فان سكن العين التقى ساكنان على غير حده . فان قيل : هل لا يجوز أن يحذف احدهما ؟ قيل له : لا يجوز ان يحذف احدهما لانه لو حذف احدهما لم يدل شيء على حذفه فبقيت لها ثلاثة احوال .

واللام ايضا لها اربعة أحوال ، وقد سقط منها الضم والكسر للاشتغال لما فيه من الكلفة بخلاف الفتحة لانها أخف الحركات ، والطباع تميل اليها ، وقد سقط منها السكون ايضا لان الماضي مبني وبناؤه على الفتح لانه أخ السكون ، لان الفتحة جزء الالف ، ولما كانت للفاء حالة واحدة وللام(١٣٥) حالة واحدة فصار اثنين وللعين ثلاثة احوال فاضرب الاثنين في الثلاثة فصار الاثنين في الثلاثة فصارت ستة وهي الامثلة المذكورة في المتن .

(١٣٤) زيادة من جـ .
(١٣٥) أ : واللام . تحريف .

قوله : « **وتسمى(١٣٦) الثلاثة الاول : دعائم الابواب لاختلاف حركاتهن في الماضي والمستقبل وكثرتهن ، وفتح يفتح لا يدخل في الدعائم ، لانعدام(١٣٧) اختلاف الحركات ، ولانعدام(١٣٨) مجيئه بغير حرف الحلق** » .

اقول : الثلاثة الاولى هي : ضرب يضرب ، وقتل يقتل ، وعلم يعلم وانما سميت هذه الامثلة الثلاثة دعائم الابواب ، لاختلاف حركاتهن في الماضي والمستقبل ، والاختلاف يدل على القوة ، والقوة تدل على الاصالة .

وقوله « وكثرتهن » أي وكثرة استعمالهن . الدعائم : جمع دعامة وهي عمود البيت ، وقيل دعامة الشيء أصله ، واما فتح يفتح لا يدخل في دعائم الابواب لانعدام اختلاف الحركات ، لانها في الماضي والمستقبل تجيء على سنن واحدة ولانعدام مجيئه بغير حرف الحلق ، لان فعل يفعل بالفتح فيهما ـ لا يجيء الا شرط ان يكون فيه حرفا من حروف الحلق .

قوله : « **واما ركن يركن وأبى يأبى فمن(١٣٨) اللغات المتداخلة واما بقى يبقى وفنى يفنى وقلي يقلى ، فلغات طيىء قد فروا من(١٣٩) الكسرة (الى الفتحة)(١٤٠) وكرم يكرم لا يدخل في الدعائم لانه لا يجيء الا عن الطبائع والنعوت ، وكذلك(١٤١) حسب يحسب لا يدخل في الدعائم لقلته(١٤٢)** » .

اقول : هذا جواب عن سؤال مقدر تقديره ـ إنكم قلتم ان فعل يفعل بالفتح فيهما لا يجيء الا بحرف الحلق وقد جاء بغير حرف الحلق مثل : ركن يركن وابى يأبى ، فالجواب عنه بقوله : فمن اللغات المتداخلة . بيانه ان ركن يركن ـ بفتح العين في الماضي وضمها في الغابر ـ مثل نصر ينصر وركن يركن ـ بكسر العين في الماضي وفتحها في الغابر مثل علم يعلم ، فأخذ الماضي من اللغة الاولى ، والمضارع من اللغة الثانية وابى يأبى وقيل انه شاذ لا يعتد به . وقوله « واما بقى يبقى وفنى يفنى وقلى يقلى » فكذلك عن

(١٣٦) أ : وسمي والتصويب من ق .
(١٣٧) أ : وانعدام ، وفي م ، ق : لعدم .
(١٣٨) ق : فهي من .
(١٣٩) أ ، ق : عن .
(١٤٠) زيادة من جـ .
(١٤١) ساقطة من ق ، م .
(١٤٢) ق : تعلمه ، وفي حـ : لقلة استعماله .

سؤال مقدر تقديره : فعل يفعل ـ بالفتح فيهما ـ لا يجيء الا بحرف الحلق ـ وقد جاء مثل بقى يبقى الى آخره ، فأجاب عنه بأنها لغات طيء قد فروا من الكسرة ، اي من كسرة العين طلبا للتخفيف لان الفتحة مع الالف اخف من الكسرة أي من كسرة العين طلبا للتخفيف لان الفتحة مع الالف أخف من الكسرة مع الياء وكذلك طيء تقول في دعي دعا وفي بني بنا ومنه قول شاعرهم على لغتهم .

نستوقد النبل بالحضيض
ونصطاد نفوساً بُنت على الكرم(١٤٣)

النبل هو السهم والحضيض : اسم موضع ، وقال بعضهم ان قلّى يقلّى لغة في قلِي يقلَى ـ بكسر العين في الماضي وفتحها في الغابر ـ فان صح هذا كان قلّى يقلّى بالفتح فيهما أيضا من اللغة المتداخلة. وقوله « كرُم يكرُم لا يدخل في الدعائم » اي في دعائم الابواب ، لانه لا يجيء الا من الطبائع والنعوت، فكان غير قوي لتقيد مجيئه بالطبع والنعت ـ فكانت القوة علة للدخول في الدعائم ، وعدمها علة لعدم الدخول ، وقد علم بذلك أن كل فعل جاء من الطبائع والنعوت والصفات لا يدخل في الدعائم ، وحسِب يحسب ايضا لا يدخل في دعائم الابواب لقلته وشذوذه ، والقلة لا توصف بالقوة حتى لاتدخل في الدعائم .

قوله : **« وقد جاء فعُل يفعَل على لغة من قال كُدْت تكادُ وهي شاذة كفضُل يفضَل ودمت تدُوم »** .

اقول : قد جاء فعُل يفعَل ـ بضم العين في الماضي وفتحها في الغابر ـ على لغة من قال : كدت تكاد ـ بضم الكاف ـ لكنها شاذة كفضل يفضل ودمت تدوم ومت تموت في معتل العين ، فحاصل الكلام ان فعل بضم العين ، مستقبله يجيء على يفعل بالضم قياسا لا يختلف نحو : كرم يكرم ، وشرق يشرق الا انهم قالوا قد جاء فيه فعل يفعل ـ بالضم في الماضي والفتح في الغابر ـ نحو فضل يفضل في الصحيح ودمت تدوم ومت تموت(١٤٤) في الاجوف على لغة من كسر الدال والميم ، لكن كلها شاذة ، وحكي دمت تدام على حد : خفت تخاف ، ونمت تنام واذا كان كذلك فيمكن ان يحمل هذا على التداخل كأخواته ، واصل دمت ـ دومت ـ نقلت حركة الواو الى الدال بعد سلب حركتها فالتقى ساكنا فحذفت الواو ، فقررت الكسرة على الدال فصار دمت تدام ، اصله ـ تدوم ـ فقلبت الواو الى الدال ثم قلبت الواو الفا لتحركها في الاصل وانفتاح ما قبلها ، فصار تدام ، واما فضل يفضل فمن تداخل اللغتين عند البعض لان العرب تقول فضل يفضل بفتح العين في الماضي وضمها في الغابر ـ وفضل يفضل ـ بكسر العين في الماضي وفتحها في الغابر ـ ومثل ذلك نعم ينعم ، فان سئل عن الشاذ والقليل والنادر والضعيف والكثير والغالب ، اجيب بأن الشاذ : ما يكون وجوده كثيرا ولكن يكون على خلاف القياس ، والقليل ما ينحصر وجوده على القياس على وجه القلة ، والنادر ما قل وجوده وان لم يكن بخلاف القياس ، ولا فرق بين القليل والنادر في الحقيقة ، والضعف هو الذي لم يصل حكمه الى الثبوت(١٤٥) والكثير ما شاع وجوده ، والغالب كون الشيء على تلك الصفة والحالة .

قوله : **« واثنا(١٤٦) عشر لمتشعبة الثلاثي نحو : اكرم وقطع وقاتل وتفضل وتضارب وانصرف واحتقر واستخرج واخشوشن اجلوذ واحمار واحمر(١٤٧) اصلهما : احمارر واحمرر ـ فادغما للجنسية ويدل عليه ارعوى وهو لفيف(١٤٨) من باب افعل ولا يدغم لعدم الجنسية »**

اقول : لما فرغ عن بيان الثلاثي ، شرع في بيان منشعبة الثلاثي ، وذلك اثنا عشر بابا من خمسة وثلاثين . والمنشعبة : اسم فاعل من انشعب ينشعب ، والانشعاب في اللغة ـ عبارة عن خروج الغصن من الشجرة ، وفي الاصطلاح هو الابنية المتفرعة على أصل اما بالحاق حرف ، او بتكرير الكلمة ، فالاول نحو : اكرم ، الالف فيه زائدة ، والثاني نحو : قطع التضعيف فيه زائد والمكرر هو الحرف الثاني عند البعض ، وعند الخليل الاول ، وعند سيبويه يجوز الامران . وجه قول البعض ان الآخر محكوم عليه بالاحكام ، فالاولى ان يكون هو ووجه قول الخليل ان الزائد بالاول اولى لان الثاني مقصود للتضعيف ، فلما تعارض الدليلان ، توقف

---

(١٤٣) هو من المنسرح : وقائله وجل من بني القين بن جسر ، والحضيض قرار الجبل او اسفله ، اراد انهم يرمون السهام بشدة فتخرج النار لصلابة سواعدهم واراد بقوله « نفوسا بنت على الكرم » السادة الرؤساء .

(١٤٤) أ : تموة بالتاء القصيرة .

(١٤٥) أ : الثبوة .

(١٤٦) في ق ، أ : اثنى .

(١٤٧) م : احمر واحمار .

(١٤٨) ق : اللفيف .

سيبويه فما حكم برجحان احدهما على الآخر ، والضابط في ذلك : أن الامثال الزائدة على ثلاثة احرف اصول ، على ثلاثة اقسام : الاول : يزاد فيه حرف واحد ، والثاني ما يزاد فيه حرفان ، والثالث ما يزاد فيه ثلاثة أحرف . اما الذي يزاد فيه حرف واحد ، فثلاثة ابواب ، الاول : ــ أفعل نحو اكرم الهمزة فيه ازئدة ، فهذا البناء للتعدية غالبا ، وكسرت الالف في مصدره فرقا بينه وبين الجمع كالادبار والادبار ولم يكعس الامر ، لان الجمع اثقل من المفرد فالخفة أولى به . والثاني : ــ نحو قطع التضعيف فيه زائد . والثالث : ــ فاعل ــ نحو قاتل الالف فيه زائدة ، وهذا البناء(١٤٩) للمشاركة بين الاثنين ــ يفعل كل واحد منهما ما يفعل الاخر ، الا ما شذ نحو : « قاتلهم الله » و « عافاك الله » . واما الذي يزاد فيه حرفان ، فخمسة ابواب : الاول ــ تفعل ــ نحو : تفضل . التاء والتشديد فيه زائدتان ــ واصله التكليف في تحصيل المطلوب شيئا بعد شيء نحو : تعلم وتجرع . والثاني : ــ تفاعل ــ نحو تضارب التاء والالف فيه زائدتان ، واصله أن يكون بين اثنين فصاعدا نحو تخاصم زيد وعمرو وتصالح القوم والثالث ــ انفعل ــ نحو : انصرف ــ الالف والنون فيه زائدتان ــ واصله ان يكون مطاوعا لفعل نحو : قطعته فانقطع والرابع : افتعل ــ نحو : احتقر الالف والتاء فيه زائدتان والخامس ــ افعل نحو : احمر ــ الالف واحدى الرائين زائدتان . وهذه تختص بما فيه الالوان والعيوب نحو : اصفر واعور . واما الذي يزاد فيه ثلاثة احرف ، فاربعة ابواب :

الاول : استفعل نحو : استخرج ــ الالف والسين والتاء فيه زوائد ، واصله ان يكون لطلب الفعل نحو : استغفر الله اي اساله المغفرة .

والثاني : افعوعل نحو : اخشوشن ، الالف والواو واحدى الشينين فيه زوائد ، وهذا الباب يفيد المبالغة ، فاذا قلت اخشوشن واعشوشب كان ابلغ من قولك : خشن وعشب من إخشوشنت الارض واعشوشبت اي : صارت ذات خشن وعشب .

والثالث : افعول نحو : اجلوذ ، واخروط من جلد : اذا اسرع ــ الالف والواو والتشديد فيه زوائد . فهذه أيضا للمبالغة .

والرابع : افعال نحو : احمار اي صار ذا حمرة الالفان والتشديد فيه زوائد ، فهذا البناء للالوان والعيوب ، وهذا ابلغ من افعل في المعنى واصل احمر واحمار ــ احمرر ، واحمارر ادغمت الراء في الراء للجنسية . وقوله « ويدل عليه ارعوى » اي يدل على ترك ادغام ارعوى لعدم الجنسية ، على ان ادغام احمار واحمر للجنسية وعلى ان اصلهما احمارر(١٥٠) واحمرر ، فادغمت الراء في الراء لوجود علة الادغام وهي اجتماع الحرفين المتماثلين . واما ارعوى اصله ــ ارعوو ــ من الرعو وهو الرجوع يقال : فلان رعا عن فعله القبيح اذا رجع منه رجوعا حسنا ، واصله رعو ، كغزو قلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ، فصار ــ رعا ــ كغزا ، ثم نقل الى باب « افعل » فصار ارعوو فاجتمع فيه شرط الاعلال وشرط الادغام ، ولكن الاعلال مقدم على الادغام لان سبب الاعلال موجب لسبب الادغام ، لكن المراد من الادغام الخفة والخفة في الاعلال أكثر من الخفة في الادغام ، فاذا كان كذلك قلبت الواو الثانية الفا لتحركها وانفتاح ماقبلها فصار ارعوى وبعد قلب الواو الثانية الفا لا تدغم ايضا لعدم الجنسية .

قوله : « **وواحدة(١٥١) للرباعي نحو دحرج وثلاثة لمنشعبة الرباعي نحو : تدحرج واحرنجم واقشعر ، وستة للحق دحرج نحو : شملل وحوقل وبيطر وجهور وقلنس وقلسى(١٥٢) وخمسة للحق تدحرج نحو : تجلبب وتجورب وتشيطن وترهوك وتمسكن ، واثنان للحق احرنجم نحو إقعنسس واسلنقى ، ومصداق الالحاق(١٥٣) اتحاد المصدرين** » .

اقول : باب واحدة للرباعي المجرد نحو : دحرج ، ولم يتصرفوا فيه كما تصرفوا في الثلاثي المجرد من فتح عينه وكسرها وضمها لثقل الرباعي ، وانما جوزوا استعمال الفتحات الثلاث فيه لخفتها ، وانما سكنوا الثلاثي طلبا للخفة لانه ليس في كلامهم اربع حركات متواليات في كلمة واحدة ، لما فيه من الاستثقال وانما كان الثاني اولى بالسكون لانه تعذر تسكين الاول لامتناع الابتداء بالساكن وكذا الرابع لوجوب بناء الماضي على الفتح . فلم يتصل به ضمير مرفوع بارز متحرك ، وكذا الثالث لانه يلزم التقاء الساكنين على غير حده لانه قد يسكن الرابع وذلك اذا اتصل به ضمير مرفوع بارز متحرك . والرباعي

(١٤٩) ا : النبا .

(١٥٠) ا : احمار براء واحدة .

(١٥١) ق ، م ، ح : وواحد .

(١٥٢) م : قلنس .

(١٥٣) م : الحاق .

المجرد قد يكون متعديا نحو : دحرجت الحجر ، وقد يكون غير متعد نحو : دربج الرجل اذا طأطأ رأسه وبسط ظهره. وقوله «ثلاثة لمنشعبة الرباعي» اي(١٥٤) ثلاثة ابواب لمنشعبة الرباعي أحدها : «تفعلل» نحو : تدحرج(١٥٥) التاء فيه زائدة ، والثاني : « إفعنلل » نحو : احرنجم ـ الالف والنون فيه زائدتان ـ يقال حرجمت الابل فاحرنجمت اذا اجتمعت وتردد بعضها الى بعض . والثالث : « افعلل » نحو : اقشعر ، أصله قشعر ـ الالف والتضعيف فيها زائدتان والاقشعرار : الارتعاد والارتعاش . وهذه الابنية الثلاثة لازمة بالاستقراء ، وانما لم يضعف الرباعي المزيد فيه أكثر من ثلاثة ، طلبا للتخفيف وروما للسهولة . وقوله « وستة الملحق دحرج » اي ستة ابواب الملحق دحرج ، والالحاق : جعل مثال على مثال ازيد منه ليعامل معاملته اي ليوازن موازنته ، ثم الالحاق على ضربين: ملحق موازن وملحق غير موازن ، وعلى كلاالتقديرين اما ملحق بالرباعي المجرد او بالرباعي المزيد فيه ، وجملته خمسة وعشرون بناء . ستة منها الملحق بالرباعي المجرد نحو شملل من شمل اذا اسرع ، وحوقل من حقل اذا ضعف ، وبيطر من بطر اي عمل البيطرة ، والبطر : هو الشق ومنه البيطار ، وجهور : من جهر ، وقلنس من قلس اذا لبس القلنسوة ، وقلسى كذلك من قلس زيدت فيه الياء لالحاق الرباعي فصار قلسى كدحرج ثم قلبت الياء الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها . قلسى : وزنه ـ فعلل ـ(١٥٦) لا فعلى فافهم . وخمسة منها الملحق بمزيد الرباعي نحو : تجلبب اذ لبس الجلباب وتجورب اذا لبس الجورب ، وتشيطن اذا فعل فعلا مكروها وترهوك اذا تبختر ، وتمسكن اذا اظهر الذلة والحاجة .

واثنان الملحق باحرنجم نحو اقعنسس من القعس وهو خروج الصدر ودخول الظهر ضد الاحدب ـ اسلنقى من سلق اي وقع على القفا . واثنان منها الملحق بمزيد الرباعي عدهما ابن الحاجب وهما : تفاعل وتكلم وعشرة منها غير ملحقة نحو : اخرج وجرب وقاتل وانطلق واقتدر واستخرج واشهاب واشهب اذا ارتفع على رجليه ، واغدودن يقال اغدودن ـ الشعر اذا طال واسترخى ، واعلوط من اعلوط البعير اذا تعلق بعنقه وعلاه ، وقيل اعلوط البعير اذا ركبه(١٥٧) عريانا . واعلم ان شملل وما بعده موازن لتدحرج وملحق به ، وان اقعنسس واسقلنى موازنان لاحرنجم وملحقات به ، وان اخرج وجرب وقاتل موازنة لدحرج غير ملحقة به وان استخرج موازن لاحرنجم غير ملحق به ، وقوله « ومصداق الالحاق اتحاد المصدرين » اي : حقيقة الالحاق في اتحاد المصدرين ، ومصداق الشيء ، ما يدل على صدق ذلك الشيء ، فلذلك حكموا بان شملل ملحق بدحرج دون أخرج ، لان شرط الالحاق توافق المصدرين . وقالوا : شملل شمللة كما قالوا دحرج دحرجة ولم يجيء مصدر أخرج على ذلك فان قيل : فقد قالوا : اخرج اخراجا كما قالوا دحرج دحراجا ، قيل له : الاعتبار انما هو بالفعللة لاطرادها وعمومها في جميع صور ـ فعلل ـ واما الفعلال ، فلا اعتداد به وانما هو دخيل فيه غير مطرد ومجيئه في بعض الصور فانهم لم يقولوا قحطابا وعربادا بل قحطبة وعربدة ، يقال : قحطبة اي صرعة ، ورجل معربد اي يؤذي نديمه في سكره .

فصل : في الماضي

قوله : « **وهو يجيء على اربعة عشر وجها نحو : ضرب الى ... ضربنا « وانما(١٥٨) » بني الماضي لفوات(١٥٩) موجب الاعراب ، وعلى الحركة المشابهة بالاسم في وقوعه صفة للنكرة نحو : مررت برجل ضرب وضارب ، وعلى الفتح(١٦٠) لانه(١٦١) اخ السكون لان الفتح جزء الالف** » .

اقول : لما فرغ عن بيان ابواب الافعال والملحقات وغيرها ، شرع في بيان ابنية كل واحد منها . ثم الفصل مصدر لكنه جعل ههنا بمعنى اسم الفاعل ، اعني الفاصل والفارق ، يقال فصلت بين الشيئين اذا فرقت بينهما ، وفي الاصطلاح الفصل :

(١٥٤) أ : مكررة .
(١٥٥) من ملحقات بدحرج : فعال نحو برال الديك اذ نفش برائله وهو ما استدار حول عنقه من الريش ، وتفعل نحو : دنقع الرجل اي افتقر ، وفعلن نحو : فرصن أي قطع ، ونفعل نحو جلمط الرجل اي حلق شعره ، وفعلم نحو : فرصم الشيء اذا قطعه وهفعل نحو : هلقم الشيء اذا ابتلعه ، نحو اهرنمع الرجل اذا اسرع في مشيته ، وهذه من النوادر .
(١٥٦) والحقوا بفعلل « شريف » اي قطع شرياف الزرع وهو ورقه اذا طال .

(١٥٧) أ : ركبها .
(١٥٨) الواو زيادة من جـ .
(١٥٩) ق : لفوات بالموحدة التحتانية وهو تحريف .
(١٦٠) م ، ق : الفتحة .
(١٦١) أ : لان .

هو الحاجز بين الحكمين . الفصل ، مهما فصل لا ينون ، ومهما وصل ينون لان الاعراب انما يكون بعد العقد والتركيب ، وانما قدم فصل الماضي على غيره، لانه خال عن الزيادة ، والمضارع والامر لا يخلوان عن الزيادة ، وقد علم ان المنجرد مقدم على المتلبس . والماضي : ما دل على معنى وجد في الزمان الماضي ، كذلك : كتبت هذا الكتاب ، فان زمان الكتابة مقدم على زمانك الماضي ، لا جميع زمانك . وقال بعضهم : الماضي : هو الدال على اقتران حدث بزمان قبل زمانك ، ولكن قيل في هذه العبارة تساهل ، لان زمانك مبهم ، لانه يتناول جميع حياتك ، بل العبارة المنقحة ان يقال : هو الدال على اقتران حدث بزمان قبل زمان تلفظك بالفعل ، كما تقول : قام يدل على حدوث القيام من زيد في زمان قبل الزمان الذي قلت فيه : قام زيد . ثم الماضي على نوعين : مبني للفاعل ، ومبني للمفعول . والمبني للفاعل : ما كان له فاعل سواء كان ظاهرا أو مضمرا ، وعلامته ان يكون أوله مفتوحا ، او اول متحرك منه مفتوحا ، والمبني للمفعول : ما كان له مفعول يقوم مقام الفاعل، وعلامته أن يكون اوله مضموما أو اول متحرك منه مضموما ، وهو في الفاعل والمفعول يجيء على اربعة عشر وجها نحو : « ضرب(١٦٢) ، ضربا ، ضربوا ضربت ضربتا ضربن ضربت ضربتما ضربتم ، ضربت ضربتما ضربتن ضربت ضربنا وكذلك المجهول نحو : ضرب ضربنا ضربوا . . الى آخره ستة منها للغائب وستة للمخاطب واثنان للمتكلم . واحدا أو مشاركا وقوله « انما بني الماضي » اشارة الى بيان علة بناء الماضي ، وذلك لفوات موجب الاعراب بكسر الجيم — وهو الفاعلية والمفعولية والاضافة ، وذلك ان الاصل في الافعال ، البناء ، لانه مستغن عن الاعراب ، لان لكل واحد من معاني الافعال، صيغة بازائه ولايعرض له معنى(١٦٣) يوجب تغيير لفظه اظهارا لذلك المعنى كما يعرض للاسم معنى يقتضي تغيير آخره ، وهو الفاعلية والمفعولية والاضافة ، ولا صيغة للاسم بأزاء تلك المعنى ، فاختص الاعراب بالاسم ، والبناء بالفعل والحرف . واصل الاعراب بالحركات لانها بعض حروف المد واللين وكل موضع يحصل للمطلوب بالبعض ، فاستعمال الكل لذلك المطلوب فيه خارج عن الحكمة ، فوجب ان يكون أصل البناء السكون لانه ضد الحركة ، كما ان الاعراب ضد البناء ، فأعطى الضد الضد ، فثبت ان أصل الفعل ان يبنى على السكون ، كما ان الامر كذلك الا ان

(١٦٢) الزيادة من ب .

(١٦٣) ا : مغني بالغين المعجمة وهو تحريف .

الفعل الماضي شابه الاسم مشابهة ما . وهي وقوعه موقع الاسم في قولك : زيد قائم ، وزيد قام ، فقام وقع موقع قائم ، فلاجل هذا خرج الماضي عن أصل البناء وهو السكون ، فلم يصل الى الاعراب لعدم المشابهة التامة ، فبني على الحركة كذلك المعنى ، وهذا معنى قوله « وعلى الحركة » أي بني على الحركة المشابهة بالاسم ، أي باسم الفاعل في وقوعه صفة للنكرة نحو : مررت برجل ضرب وضارب . وحاصل الكلام : ان المضارع لما شابه الاسم مشابهة تامة من كل وجه ، أعرب ، والماضي لما كانت مشابهته من وجه دون وجه ، لم يعرب ، ولكن عدل عن أصل البناء الذي هو السكون الى الحركة .

والامر لما لم يشابه الاسم بوجه ما ، ترك على الاصل ، وهو البناء(١٦٤) على السكون . وقوله « وعلى الفتح » اشارة الى علة بناء الماضي على الفتح دون الضم والكسر ، وذلك لان الفتحة أخ السكون ، لان الفتحة جزء الالف ، لانها بالاتباع تصير الفا ، والالف ساكن دائما أو لان الفعل ثقيل ، فاختيرت الفتحة من بين الحركات لخفتها ، فهو مفتوح ابدا ، الا ان يعرض ما يوجب سكونه أو ضمه . اما السكون فعند الاعلال نحو : دعى ورمى اصلهما دعو ورمى ، قلبت الواو والياء الفا لتحركها وانفتاح ما قبلهما ، وكذا عند لحوق بعض الضمائر ، نحو : ضربن وضربت — الى آخره .

وانما سكن عند لحوق هذه الضمائر ، فرارا عن توالي الحركات فيما هو كالكلمة الواحدة اعني الفعل وفاعله إذ الفاعل كالجزء من الفعل ، واما الضم في نحو : ضربوا فلان الواو اذا كانت مدة ، فما قبلها مضموم أبدا .

قوله : « **ولم يعرب لان اسم الفاعل ، لم يؤخذ منه العمل بخلاف المستقبل ، لان اسم الفاعل اخذ منه العمل فاعطي الاعراب له عوضا(١٦٥) أو لكثرة (١٦٦) مشابهته له ، يعني(١٦٧) يعرب**

(١٦٤) ذهب الكوفيون والاخفش من البصريين الى ان الامر معرب مجزوم بلام الامر المحذوفة حذفا مستمرا في نحو : قم ، عد واصله عندهم لتقم ولتعد ، وحذف اللام للتخفيف ، ورد قولهم بأن البناء بالحذف غير معهود عند العرب ، واحتجوا بأن العرب قد نطقوا بالاصل كقول الشاعر :

لتقم انت يا ابن خير قريش
كي لتقضي حوائج المسلمينا

(١٦٥) في ق بعده : منه وهي ساقطة من م .

(١٦٦) ق : كسرة .

(١٦٧) م : مشابهة له ، والجار والمجرور ساقطة من ا و م .

المضارع لكثرة مشابهته « لاسم الفاعل »(١٦٨) وبني الماضي على الحركة ، لقلة مشابهته « له » وبني الامر على السكون ، لعدم مشابهته « له » .

أقول : انما لم يعرب الماضي لان اسم الفاعل اخذ منه العمل ، فأعطي الاعراب للمستقبل عرضا عن ذلك ، والدليل على ذلك ثلاثة وجوه ، الوجه الاول : ان المستقبل يقع موقع الاسم ، نحو : زيد قائم ، وزيد يقوم . والوجه الثاني : أن لام الابتداء ، تدخل على كل واحد منهما نحو : ان زيدا لقائم ، وان زيدا ليقوم . والوجه الثالث : ان المستقبل يشابه الاسم من جهة اللفظ لموازنته(١٦٩) اسم الفاعل في الحركات والسكنات نحو : ضارب ويضرب ، ومدحرج ويدحرج ، واما المعنى ، فمن اربعة أوجه : الاول - ان المضارع مشترك بين الحال والاستقبال فصار شائعا ، ثم يختص لاحدهما بدخول اللام والسين أو سوف كما ان (اسم)(١٧٠) الجنس شائع في أمته ، ثم يختص بواحد بعينه بدخول لام العهد ، والثاني : انه يكون شائعا ، قد شابه الاسم في كونه صالحا للفاعلية والمفعولية والاضافة واختصاصه بواحد منها عند دخول احد العوامل ، والضابط فيه ، ان الاسم له صلاحية الفاعلية والمفعولية والاضافة ، فاذا دخل عليه العامل المقتضي للفاعل - يكون فاعلا مثل : « جاء زيد » ، واذا دخل عليه العامل المقتضي للمفعول ، يصير مفعولا مثل : ضربت زيدا ، واذا دخل عليه العامل المقتضي للاضافة ، يكون مضافا اليه ، مثل : غلام زيد ، وكذلك الفعل المضارع ، له صلاحية للحالية والاستقبالية ، فاذا دخل عليه مخصص الحال - كاللام - يكون للحال ، واذا دخل عليه مخصص الاستقبال وهو السين او سوف ، يكون للاستقبال .

والثالث : ان المضارع بالشيوع قد اشبه الاسماء المشتركة كالعين ونحوه .

والرابع : ان الفهم يبادر في كل واحد منهما ؛ اعني في اسم الفاعل والفعل المضارع ، الى الحال عند الاطلاق ، نحو : زيد مصلي ، وزيد يصلي ؛ وهذه كلها معنى قوله « او لكثرة مشابهته » اي يعرب المستقبل لكثرة مشابهته باسم الفاعل ، وبني الماضي على الحركة ، لقلة مشابهته ، وبني الامر على السكون لعدم المشابهة بينه وبين الاسم ، على ما سبقت الاشارة اليها .

(١٦٨) ما بين القوسين ساقط من ق ، ا .

(١٦٩) ا : فلو ازنته وهو تحريف والصواب ما انبته .

(١٧٠) الزيادة من ب .

قوله : « **زيدت الالف والواو والنون ، في آخره ، حتى يدللن على هما وهموا وهن ، وضم الحرف الطرفي(١٧١) في ضربوا لاجل الواو بخلاف(١٧٢) رموا لان الميم ليست بما قبلها وضم في رضوا وان لم يكن الضاد ما قبلها(١٧٣) حتى لا يلزم الخروج من الكسرة الى الضمة** » .

اقول : هذا شروع في بيان علة زيادة الالف والواو والنون في آخر الماضي ، وذلك انما(١٧٤) زيدت الالف في التثنية نحو : ضربا حتى تدل على هما ، وزيدت الواو في الجمع ، نحو : ضربوا حتى تدل على هموا ، وزيدت النون في الجمع المؤنث نحو: ضربن ، حتى تدل على هن لان هن(١٧٥) مستكنة تحتهن . وقيل انما زيدت النون في ضربن ، للفرق بينه وبين الجمع المذكر ولم يعكس الامر لان النون من المخرج الثاني ، والمؤنث ايضا ثان في التخليق ، وزيدت الالف في التثنية ، للفرق بينها وبين المفرد ولم يعكس الامر لان الالف اخف ، والتثنية كثيرة الاستعمال . وانما اختص الجمع بالواو لان الالف اسبق على الواو ، والتثنية اسبق على الجمع ، فاعطى الاسبق الاسبق ، فاختصت بالالف كما ان الجمع اختص بالواو ، وانما لم يعكس الامر لان الجمع ، أعني جمع المذكر ، اشرف الجموع والواو ايضا اشرف الحروف ، فاعطى الاشرف الاشرف .

وقوله « **وضم الباء الطرفي في ضربوا** » كأنه جواب على سؤال مقدر ، تقديره : لم ضم الباء الطرفي في ضربوا لان الماضي مبني على الفتح ؟ فقال . وضم الباء لاجل الواو ، لان الواو اذا كانت مدة ، يقتضي ان يكون ماقبلها ضمة بخلاف « رموا » لان الميم ليست ما قبلها في الاصل ؛ اذ أصله « رميوا » فقلبت الياء الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ، فالتقى ساكنان ، فحذفت الالف فصار « رموا » على زنة - فعوا ، فان قيل لم لا تتحرك الواو في ضربوا ؟ قيل له . لئلا يلزم توالي الحركات فيما يشبه الكلمة الواحدة . وقوله « **وضم في رضوا** » كذلك جواب عن سؤال مقدر تقديره : ان يقال : لم ضم الحرف الطرفي في رضوا مع ان الضاد ليست بما قبل الواو في الاصل ؟ فأجاب عنه بقوله ، وضم في رضوا واذ

(١٧١) ق : الباء .

(١٧٢) ق : وبخلاف .

(١٧٣) ق : بما .

(١٧٤) ا : اذ ما .

(١٧٥) في ا : لانهن .

لم تكن الضاد بما قبلها في الاصل ، حتى لا يلـــزم الخروج من الكسرة الى الضمة ، لما فيه من الثقـل العظيم . واصله رضوا فقلبت حركة اليـــاء الى الضاد ، بعد سلب حركتها ، فالتقى ساكنان(١٧٦) ، فحذفت الياء ، فصار رضوا على زنة « فعوا » .

قوله : « **كتب الالف في ضربوا للفرق(١٧٧) بين واو الجمع وواو العطف في مثل : حضر وتكلم زيد ، وقيل للفرق بين واو الجمع وواو الواحد في مثل : لم يدعو(١٧٨) ولم يدعوا** » .

اقول : لما التبس الواوان في العطف والجمع ، كتبت الالف للفرق بينهما في مثل : حضر وتـكلم زيد ، لانه اذا لم يكتب الالف ، لم يعلم ان المراد منه، ان القوم حضروا تكلم زيد ، بأن يكون فاعل تـكلم زيدا ، وفاعل حضروا ، القوم ، أو زيد حضر وتكلم بان يكون الفاعل فيهما زيدا . وقيل : انما كتبت للفرق بين واو الجمع وواو الواحد في مثل : لـم يدعوا ، لم يدعو(١٧٩) ، لانه اذا لم يكتب ، لم يعلم ان الفاعل فيه مفرد او جمع ، وفي كلامه نظر ، لان الفرق بين هذه الصورة واضح ، لان الواو التــي في ضربوا ، متصلة بما قبلها ، والواو التي للعطـف منفصلة ، ولو قال : كتبت الالف في مثـل : زادوا وساروا وقعدوا للفرق ، وحمل ضربوا وقتـلوا وغيرهما عليه ، لكان اجيد واصوب ، فان قيل : قول القائل الثاني مرفوع ، لان الواو في المفرد نحو : لم يدع سقط بالجازم ، فمن أين الالتباس حتى تكتب الالف للفرق ؟ قيل له : سـقوط الواو من المفـرد بالجازم ليس على الاطلاق ، بل قد جاء ثبوتـه في بعض الصور عند بعض اهل اللغة ، وعليه قـــول الشاعر :

هجوت زبـــان ثـم جئت معتـــذرا
من هجو زبان لم تهجو(١٨٠) ولم تدع(١٨١)

حيث اثبتت الواو في قوله لم تهجو ، والقياس حذف الواو لدخول الجازم وهذا السؤال والجواب، على ان تكون كلمة لم ، في قوله « لم يدعو » ، لـم الجازمة ، واما اذا كانت كلمة الاستفهام بكسر اللام وفتح الميم ــ فحينئذ لا سؤال ، فلا جواب ــ على أن الصواب هذا وبيانه على هذا ان الالف ، اذا لم تكسر في لم يدعوا ــ الذي هو الجمع المذكور المجزوم بلم ــ التبس بالمفرد الذي دخل عليه الاستفهام .

فائدة : كتبت الالف في مائة فرقا بينها بين منـــه فافهـــم .

قوله : « **جعلت التاء علامة للمؤنث في ضربت لان التاء من المخرج الثاني (١٨٢) ، والمؤنث ايضـا ثان (١٨٣) في التخليق ، وهذه التاء ليست بضمير لما (١٨٤) سيجيء (١٨٥) (بعد) (١٨٦) واسكنت الباء في مثل ضربن وضربت ، حتى لا يجتمع اربع حركات (متواليات) (١٨٧) فيما (هو)(١٨٨) كالكلمة الواحدة، ومن ثم لا يجوز العطف على الضمير (١٨٩) (المرفوع**

---

(١٧٦) هما الياء والواو .

(١٧٧) في ق : المفروق بين وواود . وهي مضطربة هناك .

(١٧٨) ق : يدعوا والالف زائدة لان الفعل مفرد .

(١٧٩) أ : يدعو بزيادة الالف .

(١٨٠) أ : تهجو بزيادة الالف ليس بشيء .

(١٨١) لم أقف على نسبة هذا البيت لقائل معين ، وقيل هو لابي عمرو بن العلاء واسمه زبان ، ومنهم من يرويه لشاعر كان يهاجي أبا عمرو بن العلاء . والافعال كلها بصيغة الخطاب والشاهد في قوله « لم اهجو » باثبات الـــواو الساكنة مع الجازم وذلك شاذ . وزبان بالزاي المعجمة الموحدة مأخوذ من الزبب وهو طول الشعر وكثرته وقد علمت ان الواو والياء والالف اللائي يقعن في آخر المضارع يحذفن عند الجزم نحو لم يخش ولم يرم ، والباثهن شاذ الا في الضرورة . وعليه أيضا قول قيس بن زهير العبسي :

ألم يأتيـك والانبـــاء تنمي
بما لاقت لبون بني زيـــاد

(١٨٢) ق : التاء .

(١٨٣) أ : ياتي .

(١٨٤) ق : كما .

(١٨٥) أ : يجيء .

(١٨٦) زيادة من جـ وفي ق : من بعد .

فائـدة : قال العلامة سعدالدين التفتازاني في شـرح التصريف الزنجاني . « وزادوا تـاء في نصرت للدلالة على التأنيث كما في الاســم ناصرة ، واختصوا المتحركة بالاسم والساكنة بالفعـل تعادلا بينهما اذ الفعل اثقل ، وحركوهــا في التثنية لالتقاء الساكنين ، وزادوا الفا وواوا علامة للفاعل في الاثنين والجماعة ، وقد يحذف الواو في الندرة كقوله :

فلو أن الاطبـــا كان حولي
وكان مـع الاطبـاء الشـفاء »

وزادوا تاء للمخاطب وتاء للمخاطبة وتاء للمتكلم وحركوها في الجمع خوفا للبس بتاء التأنيث ، وضموها للمتكلم لان الضم أقوى والمتكلم مقدم في الرتبة ، وفتحوها للمخاطب لـعدم اللبس بالمتكلم ولخفة الفتحة ، فبقيت الكسـرة للمخاطبة . ا هـ بتصرف قليل .

(١٨٧) من حـ . وهي ساقطة من ق .

(١٨٨) زيادة من جـ .

(١٨٩) ق ، م : ضميره .

المتصل » (١٩٠) لغير (١٩١) التأكيد . لا يقال : ضربت وزيد بل يقال : ضربت انا (١٩٢) وزيد بخلاف ضربتا. لان التاء فيه في حكم السكون ، ومن ثم تسقط الالف في رمتا (لكون الحركة فيه) (١٩٣) عارضية الا في لغة رديئة يقول اهلها رماتا (١٩٤) وبخلاف (١٩٥) ضربك، لانه ليس كالكلمة الواحدة ، لانه ضمير منصوب(١٩٦)، وبخلاف هدبد (وعلبط)(١٩٧) لان اصلهما هدابد (وعلابط) ثم قصر كما في مخيط اصله مخياط » .

اقول : لما التبس الاخبار في حق المخبر اليه بأن المخبر به ، هل هو مذكر أم مؤنث ؟ جعلت التاء علامة للمؤنث ليندفع الالتباس ، وانما خصت التاء للعلامة ، لانها من المخرج الثاني ، والمؤنث أيضا ثان في التخليق ، لان الله ــ تبارك وتعالى ــ خلق آدم أولا ثم خلق منه حواء ، صلوات الله وسلامه عليهما .

وهذه التاء ، ليست بضمير لما سنقف عليه ان شاء الله تعالى ــ وقوله : واسكنت الياء في ضربن اي : لما اتصلت نون الجماعة وتاء المخاطب بضرب ، اسكنت الياء ، لئلا يلزم اربع حركات متواليات فيما هو كالكلمة الواحدة ، وذلك يؤدي الى الثقل العظيم . وقوله « ومن ثم لا يجوز » اي ومن أجل أن الضمير كحرف من حروف الكلمة ، لا يجوز العطف على ضميرها الا بالتأكيد ، كما لايجوز العطف على حرف من حروفها(١٩٨) ، لانه يلزم منه عطف الاسم على الفعل ، وذلك غير حسن فلا يقال : ضربت وزيد ، بل يؤكد ويقال : ضربت أنت وزيد ، وقمت أنا وزيد ، ولو قلت : قمت وزيد من غير توكيد لم يجز عند البصريين . وقال الكوفيين يجوز من غير توكيد ، واحتجوا بقوله تعالى (ما أشركنا ولا آباؤنا)(١٩٩) فنا : ضمير متصل بالفعل ، ويقول الشاعر :

قلت اذ اقبلت وزهر تهادى
كنعاج الملا تعسفن رملا(٢٠٠)

وحجتهم انه اذا عطف من غير توكيد ، يلزم فيه عطف الاسم على الفعل وذلك غير جائز ، فاذا اكد بضمير منفصل ، قوي ذلك الضمير ثم عطف عليه فيكون كانه عطف الاسم ، لانه صار كالمظهر لقوته بالتأكيد فيؤكد اما بمنفصل كما ذكرنا ، او ما يسد مسده . والجواب عن الآية ، أن لا يسد مسد التوكيد لطول الكلام ، فكلما طال الكلام وكثرت(٢٠١) حروفه ، كان أحسن . واما الشعر فقيل فيه : ان الواو للحال ، وليست بعاطفة ، وزهر : مبتدأ لا معطوف ، وقيل هو شاذ ، اضطر الشاعر الى اسقاط المؤكد لوزن الشعر ، فلا يقاس عليه غيره ، بيان زهر : جمع زهراء . تهادى(٢٠٢) اي تتبختر ، أصله تتهادى ، فحذفت احدى التاءين(٢٠٣) كما في قوله تعالى : « نارا تلظى(٢٠٤) » أصله : تتلظى . الملا ، الصحراء ، النعاج : جمع نعجة ، تعسفن : اي ملن عن الطريق . معناه : قلت اذ أقبلت الحبيبة مع نسوة يتبخترن كنعاج الصحراء حين ملن عن الطريق في الرمل . قلت . جملة فعلية ، اذ ظرف ، واقبلت: فعل فاعله مستتر يعود الى الحبيبة ، وزهر : اما مبتدأ او عطف على الاختلاف . وتهادى : فاعله مستتر ، والجملة رفع لكونها صفة لقوله « زهر » على تقدير أن يكون وزهر عطفا على الضمير الذي في

(١٩٠) زيادة من جـ .
(١٩١) حـ ، ق : بغير .
(١٩٢) م ، أنت وفي هامشها انا .
(١٩٣) فيه : ساقطة من ق ، م .
(١٩٤) مابين القوسين ساقط من أ .
(١٩٥) في ق ، م بعده : مثل .
(١٩٦) ق ، جـ لان ضميره ضمير منصوب .
(١٩٧) ساقطة من ق ، أ وفي م ، بالغين المعجمة ، واعلم أن الهدبد من الالفاظ التي استعملت اسما وصفة لا فعل له، وذهب الجوهري الى تفسيره بالعمش نقلا عن بعض ائمة اللغة ، وقيل هو العشاء والخفش ، وكان عرب الجاهلية اذا اصاب أحدهم العشا وهو ضعف البصر ، عمد الى سنام فقطع منه قطعة ومن الكبد قطعة وقلاهما وقال عند كل لقمة بعد أن يمسح جفنه الاعلى بسبابتيه :

فيا سناما وكبد ... الا اذهبا بالهدبد
ليس شفاء الهدبد ... الا السنام والكبد

وهم يزعمون انه يذهب العشا بذلك .
(١٩٨) أ . حروف .
(١٩٩) الآية ١٤٨ من سورة الانعام .
(٢٠٠) هو لعمر بن أبي ربيعة من كلمة يقولها في حميدة جارية ابن ماجه مطلعها .

حمل القلب من حميدة ثقلا ... ان في ذاك للفؤاد لشغلا

والشاهد في البيت : عطف زهر على الضمير المستتر في « اقبلت » من غير ان يفصل بينهما بالضمير البارز وهو من ضرورات الشعر عند البصريين وجوزه الكوفيون . والملا موضع يقول فيه ذو الرمة :

الا حبذا اهل الملا غير انه ... اذا ذكرت مي فلا حبذا هيا

وقد رواه الشارح « الفلا » وهو بمعناه .
ومثل هذا البيت قول جرير :

ورجا الاخيطل من سفاهة رأيه ... مالم يكن واب له لينالا

(٢٠١) أ : كثر .
(٢٠٢) أ : تهادى .
(٢٠٣) أ : التاس .
(٢٠٤) الآية ١٤ من سورة الليل .

قوله « اذ اقبلت » . واذا كان الواو في زهر للحال ، يكون زهر ، مبتدأ والجملة . أعني قوله تهادى ، خبره ، والجملة محلها النصب على الحال . قوله : تعسفن : فعل فاعله النون والجملة حال عن النعاج، والعامل فيها تهادى . رملا : نصب على الظرف . وقوله « بخلاف ضربتا » جواب على سؤال مقدر تقديره : أن يقال : أسكنت الباء في مثل ضربن وضربت (للعلة)(٢٠٥) الموجبة فلم لا تسكن في ضربتا مع أنه يلزم منها أربع حركات متواليات فيما هو كالكلمة الواحدة ؟ فأجاب عنه بقوله بخلاف ضربتا ، لان التاء فيه في حكم السكون لان حركتها عارضية لانها حركت لاجل الالف ، والعارض كالمعدوم وقوله « ومن ثم تسقط الالف في رمتا » اي ومن أجل ذلك ان الالف في رمتا سقطت ، لان أصله « رميتا » على زنة ــ فعلتا ــ فقلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ، فصار « رماتا » ثم حذفت الالف المنقلبة عن الياء لامرين : أحدهما : ان حركة التاء في رماتا عارضية بسبب الالف ، فحذفت لئلا يلزم التقاء الساكنين ، والحركة العارضية غير معتد بها .

والثاني : ان رمتا تثنية وهو فرع لرمت ، وقد حذفت الالف في رمت الذي هو الاصل ، ولو لم يحذف من الفرع ، يلزم المخالفة بين الاصل والفرع ، فحذفت من التثنية الحاقا للفرع بالاصل .

ومن العرب من يقول : رماتا وغزاتا على أصلهما ، نظرا الى اللفظ وقوله « بخلاف ضربك » عطف على قوله « بخلاف ضربتا » اي لم تسكن الباء في ضربك لانها(٢٠٦) ليست كالكلمة الواحدة ، لان ضرب كلمة برأسها ، والكاف ضمير منصوب ، فاذن لا يلزم اربع حركات متواليات ، فيما هو كالكلمة الواحدة ، بخلاف « هدبد » ايضا لان هدبد أصله هدابد(٢٠٧) فلا يلزم اربع حركات متواليات ، لكنه قصر طلبا للتخفيف ، كما حذفت الالف عن مخيط ، اصله مخياط ، روما للخفة ، وهدبد : هو اللبن الخاثر .

---

(٢٠٥) الزيادة من الهامش .

(٢٠٦) لانه .

(٢٠٧) ومثله : علبط وعكمس وخزخز وذلذل وزلزل وعرتن واصلها : علابط وعكامس وخزاخز وذلاذل وزلازل . فهذه كلها محذوفات الالف ، وقد نطقوا بها تامة كقول الراجز :

اعددت للورد اذا الورد خفر
غربا جرورا وجلالا خزخز

وكقوله :

ما راعني الا جناح هابطا ... على البيوت قوطه العلابطا

وقال سيبويه « انك لا تجد فعللا الا ويروى فيه فعالل » . أ هـ .

قوله : ((**وحذفت التاء في(٢٠٨) ضربن حتى لا يجتمع علامتا تأنيث(٢٠٩) ، كما في مسلمات ، وان لم يكونا من جنس واحد لثقل الفصل بخلاف حبليات(٢١٠)وسوي بين تثنيتي المخاطب والمخاطبة وبين الاخبارات لقلة الاستعمال في التثنية ، ووضع الضمائر للايجاز ، وعدم الالتباس(٢١١) في الاخبارات**)) .

اقول : لما جمع ضربت على ضربن ، حذفت الياء منه لئلا يجتمع علامتا تأنيث احدهما : التاء ، والاخرى : النون وذلك يؤدي الى الثقل العظيم ، كما حذفت في « مسلمات » اذا أصلها : مسلمتات . بخلاف « حبليات » لانها جمع حبلى ، فقد جمعوا فيها بين علامتي التأنيث ، وهما الالف والتاء لان الالف في حبلى للتأنيث ، فلما جمعوها ، قلبوا الالف ياء ولم يحذفوها لان الالف تنزل منزلة حرف من نفس الكلمة لانها صيغت عليها في أول وضعها بخلاف التاء ، فانها ما صيغت عليها الكلمة في أول حالها ، بل اتت للفرق بين المذكر والمؤنث ، فهي غير لازمة للكلمة في جميع احوالها بل تفارقها بخلاف الالف ، فانها لازمة لانها تأنيث لازم ، والتاء بمنزلة ضم اسم الى اسم كحضرموت وبعلبك فلاجل هذا لم يحذفوها للزوم الكلمة ، وانما قلبت ياء(٢١٢) ، لانها اجتمعت مع الالف التي قبل تاء الجمع ، وهي ساكنة والف حبلى ايضا ساكنة ، فاجتمع ساكنان ، فلو لم تقلب لادى الى حذفها . فان قيل : لم قلبت ياء دون الواو ؟ قيل له : لان الياء علامة التأنيث في بعض المواضع في مثل : انت تقومين وتقعدين . أو لان الياء اشبه بالالف من الواو ، ولقربها من الالف في خفتها وخفائها ، أما الواو فثقيلة لا تشبه الالف ، فقلبها الى الاخف أولى من قلبها الى الاثقل . وكذلك الكلام في ــ سُعديات ــ وحباريات ــ جمع سُعدى ــ وحبارى ، وقوله « وسوى بين(٢١٣) تثنيتي المخاطب والمخاطبة » اي سوى بين التثنيتين في الماضي ، تثنية المخاطب وتثنية المخاطبة ، لقلة الاستعمال في التثنية .

وقوله « وبين الاخبارات » اي سوى المذكر والمؤنث والجمع في الاخبارات لعدم الالتباس فيها ،

---

(٢٠٨) بعده في م : مثل .

(٢٠٩) م ، ق : التأنيث .

(٢١٠) بعده في م : لعدم الجنسية .

(٢١١) أ : الالباس .

(٢١٢) أ : باء بالموحدة .

(٢١٣) زيادة يقتضيها السياق .

لان المتكلم يرى في اكثر الاحوال فيعلم بالصوت والنطق ، فالحاصل في ذلك . ان المذكر والمؤنت اشتركا في التكلم والخطاب ، ولم يشتركا في الجمع، لان التثنية لما كانت موضوعة لمعنى واحد ، وهو الدلالة على الاثنين ، صلحت لها ، والجمع لما لم يكن كذلك فلم تتحد الصيغة ، فانه يختلف بالكثرة ، فان نصرتا لا اختلاف فيه ، ونصرتم ونصرتن فيه اختلاف فان الضمائر بالحقيقة ليست من الجمع . لعدم صدق حد الجمع عليها ، لكن هي علامة الجمع فيصبح أن يكون المفهوم من احدهما اكثر او اقل او مساويا من الاخر في الاعداد ، اذ اللفظ لا يدل على الاتحاد كالتثنية .

وقوله « ووضع الضمائر للايجاز » اي : وضع الضمائر في التثنية للاختصار واذا كان كذلك ، فلا ينبغي أن يوضع ضميران لتثنية المخاطب والمخاطبة مع قلة استعمالهما ، وقلة استعمالهما تجعلهما بمنزلة لفظ واحد للمعنيين .

قوله : « (و) زيدت(٢١٤) الميم في ضربتما حتى لا يلتبس بالف(٢١٥) الاشباع في مثل قول الشاعر :

اخوك اخو مكاشرة وضحك

وحياك الاله فكيف(٢١٦) انتا(٢١٧)

خصت الميم (في ضربتما)(٢١٨) لان تحته انتما مضمر وادخلت(٢١٩) في انتما لقرب الميم(٢٢٠) من التاء في المخرج (الشفوي)(٢٢١) وقيل(٢٢٢) اتباعا لهما لما(٢٢٣) يجيء ، وضمت التاء لانها ضمير الفاعل ، وفتحت(٢٢٤) في الواحد خوفا من الالتباس(٢٢٥) ، ولا التباس في التثنية ، وقيل اتباعا للميم لان الميم شفوية فجعلوا حركة التاء من جنسها وهو الضم الشفوي » .

---

(٢١٤) ق : فزيدت .
(٢١٥) ق : الالف .
(٢١٦) ق : وكيف .
(٢١٧) هكذا بدون تعليق !! (المورد) .
(٢١٨) زيادة من ب .
(٢١٩) م ، ق : بعدها الميم .
(٢٢٠) ق : لقرب الميم من ضربتما الى التاء في المخرج ، وقيل تبعا لهما كما يجيء .
(٢٢١) زيادة من : م ، حـ .
(٢٢٢) بعده في ا : تبعا .
(٢٢٣) م : كما .
(٢٢٤) بعده في ق : التاء .
(٢٢٥) بعده في م . بالمتكلم .

أقول : لما قصدوا التثنية زادوا في آخر المفرد ميما ، حتى لا يلتبس بالف الاشباع في مثل قول الشاعر :

اخوك اخو مكاشرة وضحك

وحياك الاله فكيف انتا

اقول : لانه لو لم تزد الميم فلا يحصل الفرق ، ولا يعلم بانه مفرد مشبع بالالف ، او تثنية ؟ والالف في قول الشاعر : الف الاشباع لا الف التثنية ؛ الكشر والضحك بمعنى واحد ، وقيل ، الكشر انما يستعمل في ضحك مع فرح وبشاشة . اخوك مرفوع بالابتداء ، واخو مكاشرة مضاف ومضاف اليه خبر عنه ، وضحك : عطف ، وحياك الاله جملة من الفعل والفاعل والمفعول لا محل لها من الاعراب ، لانها جملة دعائية في موقع المدح . وكيف سؤال على الحال ، مبني لتضمنه همزة الاستفهام وهو من ظروف الزمان لانه سؤال عن الحال ، اي حال المسؤول عنه في الحال ، وهو يقتضي صدر الكلام ، لانه مغير .

وقوله خصت الميم ، كانه جواب عن سؤال مقدر ، تقديره أن يقال : لم خصت الميم بالزيادة ؟ فأجاب عنه بقوله : خصت الميم لان تحته انتما مضمر ، وادخلت الميم في انتما لقرب الميم من التاء في المخرج ، ولان الميم تدل على المجاورة ، وكانك جاوزت عن المفرد الى التثنية عند قصدك اليهما وانما ضمت هذه التاء لانها ضمير الفاعل ، والضمير اذا كان الفاعل ، يكون مضموما ، كضربت ، ولا يرد عليه ضربت ، لان كسرته للفرق بين المذكر والمؤنث ، ولا ضربت بالفتح في الواحد المخاطب ــ لان المتكلم مضموم التاء ، ولا التباس في التثنية .

قوله « وقيل اتباعا لهما » اي لضمير التثنية الذي في ضربا ، فان هما مستتر فيه ، فلما كان ضمير التثنية هناك بالميم ، فكذلك زيدت في نحو : ضربتما ــ لهما ــ ، وهو بكسر اللام ، لانها حرف جر دخلت على هما الذي هو اسم ضمير التثنية فافهم .

وقيل : انما ضمت التاء ، اتباعا للميم ، لان الميم شفوية ، فجعلوا حركة التاء من جنسها ، وهو الضم الشفوي ، لان الجنسية مطلوبة عندهم . واتباعا : منصوب بانه مفعول له .

قوله : « (و) زيدت الميم في ضربتم حتى تطرد لتثنيته(٢٢٦) ، وضمير الجمع فيه محذوف وهو

---

(٢٢٦) م ، حـ ، بتثنيته .

الواو ، واصله(٢٢٧) ـ ضربتموا ـ فحذفت الواو لان الميم بمنزلة الاسم ، ولا يوجد في آخر الاسم واو ما قبلها ضمة(٢٢٨) الا هو ومن ثم(٢٢٩) يقال في جمع دلو : ادل ـ (اصله ادلو)(٢٣٠) ـ بخلاف ضربوا ، لان باءه(٢٣١) ليست(٢٣٢) بمنزلة الاسم ، وبخلاف ضربتموه لان الواو خرج من الطرف بسبب الضمير كما في العظاية » .

اقول : لما قصدوا صيغة الجمع في الماضي ، زادوا الميم في آخره ، حتى تطرد تثنيته اي حتى يصير جاريا على طريق التثنية ، ولايختلف البناء ، والاطراد مطلوب عندهم ، وأما ضمير الجمع فيه ، فمحذوف الواو لان الميم بمنزلة الاسم في آخره ، ولا يوجد في آخر الاسم واو ما قبلها مضموم ، الا هو ، الذي هو ضمير الواحد المذكر .

وقوله : « ومن ثم يقال في جمع دلو ، ادل » اي ومن اجل ان الواو لا يوجد في آخر الاسم مضموما ما قبلها . قيل في جمع دلو ـ ادل ، والقياس ادلو ، لانه جمع قلة ، والقياس في جمع القلة ـ افعل ـ الا انهم ابدلوا ضمة اللام كسرة ، ثم قلبوا الواو ياء لتطرفها وانكسار ما قبلها ، فصار ادلي ، فاستثقلت الضمة على الياء ، فحذفت ، فالتقى ساكنان ، فحذفت الياء فصار ادل على زنة ـ افع .

وجمع القلة(٢٣٣) : افعل وافعال وافعلة وفعلة والصحيح وما عدا ذلك فجموع كثرة ، وقوله « بخلاف ضربوا » لان باءه ليست بمنزلة الاسم ، لانه جزء الكلمة ، وكذلك ضربتموه ، لان الواو خرج من الطرفية بسبب الضمير ، وهو الهاء . وقوله « كما في العظاية » اي : كما أن الياء في العظاية ، خرجت من الطرفية بسبب الهاء ، لان القاعدة هي : ان تقلب(٢٣٤) الياء المتطرفة الواقعة بعد الف ساكنة ، همزة ـ كرداء ، وكذلك الواو ككساء ، لكنه لم تقلب هنا لخروج الياء عن الطرفية ، بسبب الهاء ، وكذلك الشقاوة لم تقلب واوها همزة ، لخروجها عن الطرفية بسبب الهاء . والعظاية(٢٣٥) : دويبة اكبر من الوزغة ـ دويبة أصغر من السأم الابرص وراسها مدورة ، وجثتها عريضة وذنبها مثل ذنب الفارة .

قوله : « **وشدد نون(٢٣٦) ضربتن دون ضربن ، لان اصله ضربتمن ، فادغم(٢٣٧) الميم في النون ، لقرب الميم من النون ، ومن ثم تبدل الميم من النون في (مثل) عمبر(٢٣٨) ، وقيل اصله ضربتن(٢٣٩) ، فاريد ان يكون ما قبل النون ساكنا(٢٤٠) ، ليطرد بجميع نونات النساء(٢٤١) ، ولا يمكن اسكان تاء الخطاب(٢٤٢) لاجتماع الساكنين ولا يمكن حذفها لانها علامة ، والعلامة لا تحذف ، فادخل النون لقرب النون من النون ثم ادغم »** .

اقول : انما شدد نون ضربتن دون ضربن لان اصل ضربتن : ضربتمن ، فادغم الميم في النون ، لقرب الميم من النون في المخرج ، ومن ثم تبدل الميم من النون ، اي ومن أجل أن النون والميم متقاربان في المخرج ، ابدل الميم من النون في « عمبر » أصله ـ عنبر ـ وكذلك « شماء » اصله ـ شنماء ـ ، وقيل انما ابدل النون ميما في نحو : عمبر ، لانه لو ترك نونا والحرف الذي بعده من الحروف الشفوية ، فان اظهر استقبح ، وان خفى استثقل ؛ وان ادغم ذهب مافي النون من الغنة ، فوجه قلبه ميما ليوافق الميم من النون في الغنة . وقيل : اصله : ضربتن(٢٤٣) ـ بتخفيف النون ـ فاريد ان يكون ما قبل النون ساكنا ليطرد بجميع نونات النساء ، أي ليكون جاريا مجرى جميع نونات النساء ، لأن ما قبل جميع نونات النساء ساكن ، كقولك : ضربن يضربن اضربن ، ولا يمكن اسكان تاء الخطاب ، لانه على تقدير السكون ، يلزم التقاء الساكنين على غير حده ولا يمكن حذفها أيضا لانها علامة ، والعلامة لا تحذف ، لانها جيئت

(٢٢٧) م : لان اصله .
(٢٢٨) م ، حـ : مضموم .
(٢٢٩) م ، شاذ .
(٢٣٠) زيادة من جـ ، م ، ق .
(٢٣١) أ : بابه وفي أ : الياء .
(٢٣٢) أ : ليس .
(٢٣٣) جمعها بعضهم في قوله :
بافعل وبافعال وافعله وفعلة يعرف الادني من العدد
(٢٣٤) أ : تقلت وهو تحريف ،

(٢٣٥) أ : القطاية بالقاف المثناة الفوقانية .
(٢٣٦) أ ، حـ : النون في .
(٢٣٧) م فابدلت الميم من النون .
(٢٣٨) بعده في ق : لان .
(٢٣٩) أ : ضرمتن ، ق : ضربتم .
(٢٤٠) أ : ساكنة .
(٢٤١) ق : التاء .
(٢٤٢) ق : المخاطبة .
(٢٤٣) مكرر في الاصل .

لمعنى ، وما جيئت لا تحذف ، فادخل النون لقرب النون من النون ، ثم ادغم النون في النون .

وقد اعترض بعضهم على المصنف في قوله « لقرب النون من النون » وذلك انما يقال : هذا الحرف قريب من هذا الحرف ، اذا كان بينهما مغايرة في الذات ولكن يكون احدهما قريبا من الاخر ، اذا كان بينهما قرب في المخرج ، وههنا ليس كذلك ، لان النونين هي نون واحدة ، فيصير معنى قوله « لقرب النون من النون » لقرب الشيء من نفسه ، وهذا كما ترى لا يجوز ، والجواب على ذلك : ان معنا ههنا نونين ، احدهما النون الذي هو علامة جمع المؤنث ، والنون الاخر هو الذي اتي به من خارج ، وهو النون المطلق والاول هو النون المقيد ، فلما كانا متغايرين بحسب الصيغة ، جعلا كانهما متغايرين بحسب الذات ، لكن بينهما قرب وهو كونهما من واو واحد ، فصح قوله « لقرب النون من النون » اي لقرب النون المطلق الذي زيد في « ضربتن » من خارج ، من النون الذي هو كجزء الكلمة في ضربتن الدال على جماعة الاناث ، فلما اجتمعت نونان احدهما علامة والاخرى زائدة ، ادغمت احداهما في الاخرى ، فافهم .

قوله : **« زيدت التاء(٢٤٤) في ضربت لان تحته « انا » مضمر ولا يمكن الزيادة من حروفه للالتباس » فاختير التاء لوجوده(٢٤٥) في اخواته (و)(٢٤٦) زيدت النون في ضربنا لان تحته « نحن » مضمر ، ثم زيدت الالف حتى لا يلتبس وقيل لان تحته « انا مضمر » .**

اقول : لما ارادوا الاخبار عن النفس ، زادوا في آخر الماضي تاء ، نحو : ضربت لان تحته « انا » مضمر ، ولكن لا يمكن الزيادة في حروف انا للالتباس ، لانه اذا زيد الالف يلتبس بالتثنية ، واذا زيد النون ، يلتبس بالجمع ، نحو : ضربن ، فاختير التاء لوجوده في اخواته ، اي في المخاطب والمخاطبة والغائبة . وزيدت النون في ـ ضربنا ـ لان تحته « نحن » مضمر ، فاخذ النون من نحن ، فزيد في آخر الماضي للاخبار عن الانفس المشاركة في الفعل ، او عن النفس الواحد العظيم ، ثم زيدت الالف حتى لا يلتبس بضربن فصار ضربنا ، وقيل : تحته انا مضمر ، فاخذ النون والالف من انا وزيدتا في آخره .

فائدة : انا موضوع للكناية عن الواحد ، ونحن جمعه من غير لفظه ، كنساء جمع مراة .

قوله : **« وتدخل المضمرات في الماضي واخواته ، وهي ترتقي الى ستين نوعا ، لانها في الاصل(٢٤٧) ثلاثة : مرفوع ومنصوب ومجرور ، ثم يصير كل واحد منها الى اثنين ، نظرا الى اتصاله وانفصاله ، فاضرب الاثنين في الثلاثة ، حتى يصير(٢٤٨) ستة ، ثم اخرج المجرور والمنفصل حتى لا يلزم تقديم المجرور على الجار ، فيبقى لك خمسة(٢٤٩) : مرفوع متصل ومنفصل ، ومنصوب متصل ومنفصل ، ومجرور متصل ، ثم انظر الى المرفوع المتصل ، وهو يحتمل ثمانية عشر نوعا في العقل ، ستة(٢٥٠) في الغيبة(٢٥١) وستة في المخاطبة ، وستة في الحكاية(٢٥٢) . واكتفي بخمسة في الغيبة باشتراك التثنية لقلة استعمالها ، وكذلك في المخاطبة(٢٥٣) ، وفي المتكلم(٢٥٤) ، بلفظين ، لان المتكلم يرى في اكثر الاحوال ، ويعلم بالصوت انه مذكر او مؤنث ، فيبقى لك اثنا(٢٥٥) عشر نوعا . واذا صار قسم واحد من(٢٥٦) تلك القسمة اثنى عشر(٢٥٧) فيصير كل واحد منها(٢٥٨) مثل ذلك ، فيحصل(٢٥٩) لك بضرب الخمسة في اثني عشر(٢٦٠) ستون نوعا ، اثنا(٢٦١) عشر للمرفوع المتصل نحو : ضرب ... الى ضربنا .**

---

(٢٤٤) ا : الفا .
(٢٤٥) ق : وجودها .
(٢٤٦) الواو ساقطة من ا ، ق .

(٢٤٧) في الاصل : ساقطة من م .
(٢٤٨) بعده في ق : لك .
(٢٤٩) ق : خمسة انواع .
(٢٥٠) ا : ست وكذلك في البواقي .
(٢٥١) ق : وردت في ق هكذا ـ « ستا في المخاطب مع المخاطبة ، وستا في الحكاية وستا للغائب مع الغائبة » .
(٢٥٢) الحكاية اراد بها انا او نحن .
(٢٥٣) ا : في المخاطب والمخاطبة .
(٢٥٤) م ، ق : الحكاية .
(٢٥٥) ا ، م : اثنى والتصويب من ق .
(٢٥٦) م : بياض .
(٢٥٧) بعده في م ، ق : نوعا .
(٢٥٨) م : ساقطة .
(٢٥٩) ق : فحصل .
(٢٦٠) ا : اثنا وهو خطأ ، وفي ق : بالثني .
(٢٦١) ا : اثني .

اقول : لما فرغ عن بيان الماضي باقسامه واحكامه واحواله ، شرع في بيان المضمرات التي تضمر في الماضي وغيره .

المضمرات : جمع مضمر ، الضمير(٢٦٢) في اللغة عبارة عن الستر ، وفي الاصطلاح الضمير : هو الاسم الذي يعود الى ظاهر قبله لفظا او تقديرا فان قيل : ما المقصود من المضمرات ؟ قيل له : المقصود من ذلك هو الاختصار ، وازالة الالتباس ، وذلك انك لو اعدت لفظ الظاهر ، لم يعلم ان الثاني هو الاول ، او لا ؟ مثاله : قولك ـ جاءني زيد فقلت له ـ ولو قلت جاءني زيد وقلت لزيد ، لم يعلم ان « زيد » الثاني هو الاول ، ثم المضمرات ترتقي اي تصعد الى ستين نوعا ، لانها في الاصل اي لان المضمرات في أصل الوضع ثلاثة ، مرفوع ومنصوب ومجرور . ثم اضرب الاثنين في الثلاثة ، حتى يصير ستة ، ثم اخرج المجرور المنفصل حتى لا يلزم تقديم المجرور على الجار ، لان تقديم المجرور على (الجار)(٢٦٣) ، فصل والفصل بين الجار والمجرور غير جائز ، لايقال : ما مررت بالا زيد وزيد ، فحينئذ يبقى لك خمسة ، مرفوع متصل ومرفوع منفصل ، ومنصوب متصل ومنصوب منفصل ، ومجرور منفصل .

ثم انظر الى المرفوع المتصل ، وهو يحتمل ثمانية عشر نوعا في القسمة العقلية ، ستا في الغيبة، وستا في المخاطبة ، وستا في الحكاية ، لان الخطاب والغيبة والحكاية ، ثلاثة ، وكل واحد من هذه الثلاثة ، اما ان يكون مفردا أو مثنى او مجموعا ، فصارت تسعة . ثم كل واحد من التسعة اما ان يكون مذكرا أو مؤنثا ، فاضرب الاثنين في التسعة ، فصارت ثمانية عشر قسما . ولكن اكتفى بخمسة في الغيبة ، لاشتراك التثنية في ضمير الغائب والغائبة لقلة استعمالها ، فيبقى لك سبعة عشر قسما . ثم كذلك اكتفى بخمسة في الغيبة ، لاشتراك التثنية في ضمير الغائب والغائبة لقلة استعمالها ، فيبقى لك سبعة عشر قسما . ثم كذلك اكتفى في المخاطبة بخمسة ، لاشتراك ضمير المخاطب والمخاطبة ، فيبقى لك ستة عشر قسما ، ثم كذلك اكتفى في الحكاية بلفظين ، لان المتكلم يرى في اكثر الاحوال ، ويعلم بالصوت انه مذكر او مؤنث ، مفردا او تثنية ، فسقط عنها اربعة فيبقى لك اثنا(٢٦٤) عشر قسما وهي : هو هما هم هي هن انتَ انتما انتم انتِ انتن انا نحن .

واذا صار قسم من تلك القسمة اثنى عشر ، فكذلك يصير كل واحد منها مثل ذلك ، اي من المنصوب المتصل والمنفصل ، والمرفوع والمجرور المتصل فيحصل لك بضرب الخمسة في اثنى عشر ستون نوعا ، اثنى عشر(٢٦٥) منها للضمير المرفوع المتصل نحو : ضرب . ـ الى ضربنا ، لما مر تعديده » .

قوله : **« واثنى عشر (للمرفوع)(٢٦٦) المنفصل ، نحو : هو ضرب الى نحن ضربنا ، والاصل(٢٦٧) هو ان يقال : هو ، هوا ، هووا(٢٦٨) ولكن(٢٦٩) جعل الواو ميما في الجمع لاتحاد مخرجهما ، واجتماع الواوين فصار هموا(٢٧٠) ، ثم ، حذفت الواو لما(٢٧١) مر في ضربتموا ، وحملت(٢٧٢) التثنية عليه وقيل(٢٧٣) حتى تقع الفتحة على الميم القوي ، وادخل الميم في انتما كما في ضربتما وحمل الجمع عليه ، ولا تحذف واوهو لقلة حروفه من القدر(٢٧٤) الصالح ، وتحذف(٢٧٥) اذا تعانق بشيء آخر لحصول كثرة الحروف بالمعانقة ووقوع(٢٧٦) الواو على الطرف ، ويبقى الواو مضموما على حاله ، نحو له ، وتكسر(٢٧٧) اذا كان ما قبله(٢٧٨) مكسورا او ياء ساكنة حتى لا يلزم**

---

(٢٦٢) الضمير : اسم مفعول من اضمرته اي سترته واطلاقه على البارز توسع او حقيقة عرفية ، وهو بمعنى المضمر كقولك عقدت العسل فهو عقيد أي معقود ، والضمير من اصطلاحات البصريين ، والكوفيون يسمونه كناية أو مكنيا لانه ليس باسم صريح ، وقال البصريون كل مضمر مكني وليس كل مكني مضمرا ، فالكناية اقامة اسم مقام اسم تورية وايجازا .

(٢٦٣) زيادة يقتضيها السياق .

(٢٦٤) أ : اثنى .

(٢٦٥) يعني تكون اثنى عشر منها ... الخ ولذا نصب .

(٢٦٦) زيادة من م ، حـ .

(٢٦٧) الاصل باختلاس الواو .

(٢٦٨) ق : هوا .

(٢٦٩) ق : ولك .

(٢٧٠) ق : همو .

(٢٧١) م ، ق : كما .

(٢٧٢) أ ، م : حمل .

(٢٧٣) بعده في م : قلبوا .

(٢٧٤) ق : قدر .

(٢٧٥) بعده في م ، ق : واوهوا .

(٢٧٦) في ق : مع وقوع .

(٢٧٧) في م ، حـ : وتكسر الهاء .

(٢٧٨) ق : اذا كانت ما قبلها .

الخروج من الكسرة الى الضمة في نحو : غلامه وفيه وتجعل ياء ـ هي ـ الفا(٢٧٩) ، كما تجعل في ـ ياغلامي يا (غلاما)(٢٨٠) وفي بادية باداة(٢٨١) وتجعل(٢٨٢) ميما في التثنية حتى لا تقع الفتحة على الضعيف مع ضعفها ، وشدد نون « هن » كما(٢٨٣) مر في ضربتن » .

اقول : اثنا(٢٨٤) عشر من المضمرات للمرفوع المنفصل نحو : هو ضرب ، هما ضربا ، هم ضربوا ، هي ضربت ، هن ضربن ، أنت ضربت ، انتما ضربتما ، انتم ضربتم ، انتِ ضربت ، انتن ضربتن انا ضربت ، نحن ضربنا .

الاصل في « هو » ان يقال : هوَ هوُا هوُوا ، لكن جعلت الواو ميما في الجمع ، لاتحاد مخرج الواو والميم أو لاجتماع الواوين ، ثم صار هموا ثم حذفت الواو لما مر من انه لا يوجد في آخر الاسم واو قبلها مضموم ، ثم حذفت في ضربتموا فصار ـ هم ـ وضربتم ، وحمل التثنية عليه للاطراد لئلا يختلف البناء وقيل حتى تقع الفتحة على الميم القوى ، لان الميم قوى بالنسبة الى الواو ، لان الواو من حروف العلة ، وهي ضعيفة بالنسبة الى الحروف الصحيحة ، فلو حملت عليها الفتحة لازدادت ضعفا على ضعف ، بخلاف الميم فانها من الحروف الصحيحة ، فلا تضعف عن تحمل الحركات .

قوله « (وادخل)(٢٨٥) الميم (في)(٢٨٥) انتما كما ادخل في ضربتما » لان المتكلم لما قصد أن يخاطب إثنين ، جاء بالميم لان الميم يدل على المجاوزة ، فكأنه جاوز عن الواحد الى الاثنين ، وكانت الميم أولى بالزيادة تشبيها بالواو التي هي حرف مد ، وحمل الجمع عليه ، فان قيل : ما الفائدة في اعادة هذا البحث هنا ؟ قيل له : انما اعاد هنا لجواب سؤال مقدر تقديره : السؤال ان يقال : انكم حملتم التثنية في هما على جمعه ، ولم تحملوا التثنية في انتما على الجمع ، فكأنه أجاب وقال : انما حملنا التثنية في هما على جمعه ، لان علة قلب الواو ميما هنا موجودة في الجمع ، وهي اجتماع الواوين ، وهناك علة القلب موجودة في التثنية ، وهي الالتباس بالف الاشباع ، فلذلك حملنا التثنية في ـ هما ـ على الجمع ، والجمع في انتما على التثنية .

وقوله « ولا يحذف واو هو من غير ان يتعانق بشيء » أي من غير أن يتصل بشيء لانه اذا حذف بغير الاعتناق بقي أقل من القدر الصالح ، ولكن انما يجوز حذفها ، اذا تعانق بشيء لحصول كثرة الحروف حينئذ بالمعانقة ، ووقوعها على الطرف ، ولكن يبقى الهاء مضموما على حاله نحو : له ، وعليه ـ على قراءة البعض(٢٨٦) ـ وقد جاء في الشعر حذف الواو من غير أن يتعانق بشيء كقوله :

فبيناه يشرى رحله قال قائل
لمن جمل رخو الملاط نجيب(٢٨٧)

اصله : فبينا هو ، الملاط : الجنب ،

---

(٢٧٩) ق : بعده كما في ياء هي .

(٢٨٠) م : ياغلاماً والزيادة من جـ ، م .

(٢٨١) في ا : بادات ، وفي ق : ياباديه ياباداة .

(٢٨٢) بعده في ق : ياء هي .

(٢٨٣) ق ، م : لما .

(٢٨٤) م : اثنى .

(٢٨٥) زيادة يقتضيها السياق .

(٢٨٦) قال العلامة ابو البقاء العكبرى في املاء ما من به الرحمن حـ ١ ص ٦ في فصل عقده لهاء الضمير . « الاصل في هذه الهاء الضم لانهاتضم بعد الفتحة والضمة والسكون نحو : انه وله وغلامه وبسممه وفيه ، وانما يجوز كسرها بعد الياء نحو : عليهم وايديهم ، وبعد الكسر نحو : به وبداره وضمها في الموضعين جائز لانه الاصل ، وانما كسرت لتجانس ما قبلها من الياء والكسرة وبكل قد قرىء .

(٢٨٧) البيت للمخلب ـ بضم الميم وفتح الخاء ولام مشددة ـ الهلالي ، وقيل هو للعجير شاعر من شعراء الدولة الاموية وسبب هذا الخلط ما ذكره ابن الاعرابي من ان للمخلب قصيدة ليس في الارض بدوي الا وهو يحفظها ومنها هذا البيت ثم قال : وقد سلك العجير السلولي طريقة المخلب الهلالي وادرج معاني قطعته في شعره ، والقصيدتان لاميتان وروى سيبويه : لمن جمل رخو الملاط نجيب ، فتبعه النحاة وانما هو : لمن جمل رخو الملاط ذلول . قوله ـ يشرى ـ اراد يبيع فهو من الاضداد ، والرحل : ما اعد للرحيل ، والملاط : الجنب أو جانبا السنام ، ويقال للهلال : ابن ملاط ، ورخو الملاط : سهله وأملسه وفي قصيدة العجير ، وسل الملاط طويل .

الشاهد : ان واو هو قد يحذف ، وهو دليل الكوفيين بأن الواو زائدة وان الضمير هو الهاء فقط . وقال البصريون ان ذلك ضرورة . وقال الأعلم : اراد الشاعر : بينا هو فسكن الواو ضرورة ثم حذفها ضرورة على ضرورة تشبيها للواو الاصلية بواو الصلة في نحو : منه وعنه ومثله قول الشاعر :

بيناه في دار صدق قد أقام بها
حينا يعللنا وما نعلله

والملاطان : الجنبان ، النجيب من الرجال : هـو الكريم .

وقوله « ويكسر » اي : يكسر هاء هو اذا كان ما قبلها مكسورا ، أو ياء ساكنة بعد المعانقة بشيء، حتى لايلزم الخروج من الكسرة الى الضمة نحو : بغلامه وفيه وعليه ، كما في الخروج من الكسرة الى الضمة من الثقل العظيم . ويجوز في ـ هو ـ تشديد الواو كما جاء في قوله :

وأن لساني شـهدة يشـتفى بهـا
وهو على من صبـه الله علقم(٢٨٨)

والشهدة : العسل المشمع . والعـلقم : الحنظل ، ويقال لـكل مُر : علقـم وقوله(٢٨٩) « ويجعل ياء هي الفا » اي : تقلب ياء هي الفا كما تقلب في ياغلامي وهو ياغلاما ، وفي باديـة يقال : باداة(٢٩٠) وقد تحذف ياء هي(٢٩١) كقوله :

(هل تعرف الـدار على تبـراكا
دار لسُـعدى اذه من هواكا(٢٩٢)

(٢٨٨) لم اقف على نسبة هذا البيت الى قائل معين . الشهدة بالضم العسل . والعلقم الحنظل، وهو نبات مر والمراد هنا شديد أو صعب ليتسنى تعلق الجار والمجرور بـه . وقيل هذه لغة همدان من قبائل اليمن وهم يشـددون الواو والياء في هو وهي وعليه قول الشاعر :
والنفس ما امرت بالعنف آبيـة
وهي ان امرت باللطف تأتمـر

(٢٨٩) في : أ مكررة .

(٢٩٠) بعده في أ : في بادة .

(٢٩١) أ : هي في كقوله ، وحرف الجر مقحم .

(٢٩٢) لم اقف على نسبة هذا البيت ، وتبراك . بكسر التاء وسكون الياء : ماء لبني العنبر وقيل : احدى بـلاد بني عمير قال الشاعر :
اذا جلست نساء بني عمير على تبراك أخبثن الترابا
وسُعدى : اسم امرأة .
الشاهد في قوله « اذه » اراد اذ هي فحذف اليـاء ضرورة . ومثله قول الشاعر :
اذاهُ سيمُ الخسف آلى بقسمْ
بالله لا يأخذُ الا ما احتـكمْ
وقد بسط ابو البركات ابن الانباري في هذه المسـألة قوله في « الانصاف في مسائل الخلاف » بما لا مزيـد عليه .
وقال ابن يعيش حـ ٣ ص ٩٧ : وفيها ثلاث لغات : هي ـ بتخفيف الياء ، وفتحها لما اردناه من ارادة تقويـة الاسم ، وهيْ ـ بتشديد الياء ـ مبالغة في التقويـة

أصله : اذ هي . وقوله « وتجعل ميمـا في التثنية » اي تجعل ياء هي ميما في حالة التثنيـة ، حتى لا تقع الفتحة على الياء الضعيفة مع ضعف الفتحة ، وشـدد نون ـ هُنَّ ـ كما تشـدد النون(٢٩٣) في ضربتن(٢٩٤) واصله همن ، فابدل الميم نونا ، وادغمت النون .

قوله : « واثنا(٢٩٥) عشر للمنصوب المتصل نحو ضربه ... الى ضربنا ، ولا يجوز فيه اجتماع ضميري(٢٩٦) الفاعل والمفعول في مثل : ضربتـك وضربتني حتى لا يصير الشخص الواحد فاعـلا ومفعولا في حالة واحدة الا في افعـال القـلوب نحو(٢٩٧) علمتك فاضلا وعلمتني (فاضلا)(٢٩٨) ، لان المفعول الاول ليس بمفعول على الحقيقة ، ولهذا قيل في تقديره : علمت فضلي(٢٩٩) واثنا عشـر للمنصوب المنفصل نحو : اياه ضرب .. الى ايانا ضرب(٣٠٠) » .

اقول : اثنا عشر من المضمرات للمفعول(٣٠١)، نحو : ضربه ، ضربهما ضربهم ، ضربهـا ضربهـن ضربك ضربكما ضربكم ، ضربكِ ضربـكن ضربنـي ضربنا . ولا يجوز في الضمير المنصوب المتصـل اجتماع ضمير الفاعل وضمير المفعول ، لانه يلزم منه أن يصير الشخص الواحد فاعلا ومفعولا في حالـة واحدة ، وهو ممتنع الا في افعال القلوب ، نحـو علمتك فاضلا ، وعلمتني فاضلا ، لان المفعول الاول في افعال القلوب ، ليس بمفعول في الحقيقة ، ولهذا قيل في تقديره : علمت فضلك ، وعلمت فضلي .

ولتصير على أبنية الظاهر ، وهيْ بالاسكان تخفيفـا وهي اضعف لغاتها « آه »ورواية ابن يعيش « ديـارُ سُعدى » .

(٢٩٣) أ : نون .

(٢٩٤) أ : ضربن .

(٢٩٥) اثنى .

(٢٩٦) ق : ضمير .

(٢٩٧) ق ، م : في .

(٢٩٨) زيادة من ق ، حـ .

(٢٩٩) م : علمتُ فضلك وعلمتُ فضلي وفي ق : علمتُ فضلي وعلمتُ فضلك .

(٣٠٠) م ، ق : ضربنا .

(٣٠١) أ : المفعول بحذف الجار .

وافعال القلوب سبعة : حسبت ، وخلت ، وظننت ، وعلمت ، ورايت ، ووجدت ، وزعمت . وهذه الافعال تسمى افعال القلوب ، لان الثلاثة الاولى للشك ، وهو من خصائص القلوب ، وزعمت مرة للشك ومرة لليقين ، فهو كذلك ايضا . ومن خصائصها انها تستدعي المفعولين ، اذا كانت بمعنى معرفة الشيء على صفة كقولك : علمت اخاك كريما ، ورايته جوادا ، ووجدت زيدا ذا الحفاظ ، واذا كانت ظننت بمعنى اتهمت ، وعلمت بمعنى عرفت ، ورايت بمعنى ابصرت ، تكتفي بمفعول واحد ، وفيه بحث طويل . الدليل يعرف في كتب النحو .

وقوله « واثنى عشر للمنصوب المفصل » اي : اثنا عشر من المضمرات للمنصوب المنفصل نحو اياه ضرب ، اياهما ضرب ، اياهم ضرب ، اياها ضرب . اياهن ضرب ، اياك ضرب ، اياكم ضرب ، اياك ضرب ، اياكن ضرب ، اياي ضرب ، ايانا ضرب .

قوله : « واثنا عشر للمجرور المتصل نحو : ضاربه ... الى ضاربنا(٣٠٢) وفي مثل ضاربون(٣٠٣) جعل الواو ياء ثم ادغم كما في مهدي(٣٠٤) » .

اقول : اثنا عشر(٣٠٥) من المضمرات للمجرور المتصل نحو ضاربه ، ضاربهما ضاربهم ، ضاربها ، ضاربهن ، ضاربك ، ضاربكم ، ضاربك ، ضاربكن ، ضاربي ، ضاربنا .

وقوله « وفي مثل ضاربوى ـ اصله : ضاربون فلما اضيف الى الضمير المجرور ، سقط منه النون ، فصار ضاربوى فاجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون على الاخرى ، فقلبت الواو ياء ، وادغمت الياء في الياء ، كما ادغم في مهدي ، اصله : مهدوى ، فاجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت في الياء فصار مهدى ، ثم ابدلت ضمة الدال كسرة لاقتضاء ما قبل الياء مكسوراً فصار مهدى .

قوله : « والمرفوع المتصل يستتر في خمسة مواضع : في الغائب نحو : ضرب ويضرب(٣٠٦) ، وليضرب ولا يضرب ، وفي الغائبة نحو : ضربت ونضرب ولتضرب ولا تضرب ، وفي المخاطب الذي في غير الماضي نحو : تضرب واضرب ولا تضرب » .

اقول : لما فرغ عن بيان تعداد المضمرات. شرع في بيان استتارها ، في اي موضع تستتر ، واي ضمير يستتر . واعلم ان الضمير المرفوع المتصل يستتر في خمسة مواضع : الاول : يستتر في الغائب نحو : ضرب ويضرب وليضرب ولا يضرب ، فان « هو » مستكن فيها . والثاني : يستتر في الغائبة نحو : ضربت وتضرب ولتضرب ولا تضرب ، فان هي ـ مستكن فيها . والثالث في المخاطب الذي في غير الماضي نحو : تضرب واضرب ، فان ـ انت ـ مستكن فيها . والرابع والخامس يأتيان في موضعهما ان شاء الله وفيه بحث : وهو ان الضمير المرفوع المتصل على ضربين : مستكن اي مستتر ، وبارز اي ظاهر والمستكن ايضا على ضربين : لازم الاستكنان ، وغير لازم .

فاللازم اربعة افعال : افعل ، وتفعل ، وأفعَل ونفعل ، لانها لا تستند الى الظاهر ولا الى المضمر البارز لاستغنائها(٣٠٧) عنهما وبقيت مستكنة وايضا اول هذه الافعال ، تدل على الفاعل فلا تحتاج الى ابرازه . وغير اللازم على ضربين : افعال واسماء ، فالافعال اربعة ايضا : فعل ويفعل وفعلت وتفعل . فاسنادها على اربعة اقسام ، احدها : ان تستند الى المظهر ، كقولك : ضرب زيد ، وضربت هند : والثاني : ان يسند الى الضمير البارز ، كقولك : ما ضرب الا هو ، وما ضربت الا هي . والثالث : ان يسند الى المتصل كقولك ، ضرب وضربت . والرابع : ان يسند الى المستكن كقولك ، زيد ضرب ، وهند ضربت ، وفي هذين الفعلين ضمير مستتر عائد الى الاسم الاول ، والدليل عليه قولك : الزيدان ضربا والهندان(٣٠٨) ضربتا ، ولو لم يكن فيهما ضمير لم يكن ابرازهما .

والاسماء على ثلاثة اقسام : اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة(٣٠٩) ، فاسناد هذه الاسماء ، كاسناد الافعال ، تسند الى الظاهر كقولك

---

(٣٠٢) أ : ضاربة .
(٣٠٣) أ : في كما .
(٣٠٤) في ق ، م ، ح زيادة بعده هي : « اصله مهدى » .
(٣٠٥) : : اثنى .
(٣٠٦) ساقطة من ق .

(٣٠٧) أ : لاستغنائه بها .
(٣٠٨) أ : هند .
(٣٠٩) أ : والمشبهة .

(زيد ضارب غلامه) والى المضمر المستكن كقولك : زيد ضارب ، والى البارز كقولك : زيد عمرو ضاربه هو ، وضاربه مسند الى الضمير المنفصل ، ليدل على ان الفعل لزيد جرى على عمرو .

قوله : (وياء ـ تضربين(٣١٠) ـ علامة الخطاب وفاعله مستتر عند الاخفش ، وعند العامة هي(٣١١) ضمير بارز للفاعل ، كواو يضربون ، وعين(٣١٢) الياء في تضربين للتانيث(٣١٣) لمجيئه في « هذي امة(٣١٤) الله » للتانيث ، ولم يزد في تضربين من حروف « انيت » للالتباس بالتثنية في زيادة(٣١٥) الالف واجتماع النون(٣١٦) في النون ، وتكرار التاء(٣١٧) . في زيادة التاء وابرز(٣١٨) للفرق بينه وبين جمعه ، ولم يفرق بحركة ما قبل النون حتى لا يلتبس بالنون(٣١٩) الثقيلة في الصورة(٣٢٠) ، ولا تحذف النون حتى لا يلتبس بالمذكر) .

أقول : يا تضربين علامة للخطاب للمؤنث عند الاخفش والمازني ، وهي حرف يدل على(٣٢١) تانيث الفاعل ، والفاعل مستكن كاستكنانه في زيد فعل وهند فعلت وكذلك الواو والالف والياء ، حروف تدل على أحوال الفاعل عند المازني ، والفاعل مستكن ، وعند الجمهور ـ ان الياء ضمير بارز للفاعل كواو يضربون ، وهي اسم أسند الفعل اليها ودلت على مسماها ، كدلالة النون والالف من ـ فعلنا ـ والتاء من ـ فعلتُ وفعلتَ وفعلتِ ـ لانه اذا كان الياء علامة الخطاب ، يلزم منه اجتماع العلامتين ، وهما ، الياء والتاء وهو ممتنع .

وقوله « عين الياء لمجيئه » كانه جواب عن سؤال مقدر ، تقديره أن يقال ـ لم عين الياء بالزيادة للفاعل ؟ فأجاب عنه بقوله ـ وعين الياء لمجيئه في « هذي » للتانيث ، لان هذه للتانيث في الاشارة ولم يزد من حروف ـ انيت ـ للالتباس ، لانه لا يخلو اما ان يزاد الالف أ والنون أو التاء ، فلم تكن زيادة الالف لان في زيادتها يحصل الالتباس بالتثنية ، ولا زيادة النون أيضا ، لانه يلزم منه اجتماع النونين في زيادة النون ، وهو ممتنع ، ولا زيادة التاء أيضا لانه اذا زيدت لزم تكرار التاءين ، فحينئذ تتوجه زيادة الياء لمجيئه في هذه للتانيث .

وقوله ـ « وابرز » اي اظهر الياء في الصورة للفرق بينه وبين جمعه ، لانه اذا لم يبرز ، لم يعلم انه مخاطبة واحدة أم مخاطبة جمع . وقوله « ولم يفرق بحركة ما قبل النون » كانه جواب عن سؤال مقدر تقديره ان يقال ـ لم(٣٢٢) لا يحصل الفرق بحركة ما قبله وهي كسرة الياء في الواحدة وضمتها في الجمع ؟ ! فأجاب عنه بقوله)(٣٢٣) لانه يلتبس بهذا التقدير بالنون الثقيلة في الصورة ؟ يعني يلتبس ـ بضربتن ـ على تقدير الاكتفاء بحركة ما قبل الياء ، بالواحد المخاطب الذي لحقته نون التأكيد وقوله « ولا تحذف النون » اي ـ ولا يفرق ايضا بحذف النون لانه على هذا التقدير ، يعني ـ على تقدير حذف النون ، يلتبس بالمذكر يعني بالمفرد المذكر فافهم .

(وفي المتكلم المضارع نحو : أضرب ونضرب ، وفي الصفة نحو : ضارب وضاربان وضاربون الى آخره(٣٢٤) .

القسم الرابع في المضارع ، نحو ـ اضرب ونضرب فان تحتهما ضمير مرفوع متصل وهو انا ونحن . فان قيل ـ لم وضع انا للمتكلم ؟ قيل له ـ المتكلم له مبدأ الكلام ، والهمزة لها مبدأ المخارج لانها من اقصى الحلق ، فخصت به لهذه المناسبة وزيدت معها نون لانها ناسبت حروف المد واللين ، من حيث أنها متولدة منها ويمكن زيادتها ههنا لانها تحتمل الحركة ، ثم زيدت معها الف لبيان الفتحة ، فان قيل ـ كيف الاصل في « نحن » ؟ قيل له ، أصله ـ أنا ـ زيدت النون في أوله ليكون مختصا بالجمع فصار ـ نأن ـ ثم سكنت الهمزة لئلا يجتمع ثلاث حركات متواليات فصار = نأن ـ فاستقبحوا صوت الهمزة الساكنة لانه يشبه صوت القائي ،

---

(٣١٠) أ : تضربن .
(٣١١) ق : هو .
(٣١٢) ق : وعينت .
(٣١٣) ق : للفاعل .
(٣١٤) ق : امت .
(٣١٥) ساقطة من م .
(٣١٦) م ، ق ـ النونين .
(٣١٧) ق : التاءين .
(٣١٨) ق : وابرا .
(٣١٩) نون التوكيد .
(٣٢٠) ساقطة من م .
(٣٢١) زيادة يقتضيها السياق .
(٣٢٢) أ : اما ، تحريف .
(٣٢٣) زيادة يقتضيها السياق .
(٣٢٤) واو العطف ساقطة من م ، ق .

فابدلت حاء ليزول هذا ، وهو ايضا من حروف الحلق . فان قيل ـ لم حرك والاصل في البناء السكون ؟ وعلى الضم ، والاصل في الساكن اذا حرك ان يحرك بالكسرة ؟ قيل له ـ حرك لالتقاء(٣٢٥) الساكنين ، وعلى الضم لانه يدل على المعنيين التثنية والجمع ، والضمة بعض الواو ، والواو يدل على الجمع ، فيبنى(٣٢٦) على الضمة ليدل عليه . والقسم الخامس من الاستتار ـ في الصفة نحو : ضارب اي : هو وضاربان ، اي هما ، وضاربون اي هم ، وكذلك اسم المفعول نحو ، زيد مضروب اي هو ، ففي مضروب ضمير متصل مرفوع الموضع . لانه في تقدير يضرب ، لان اسم المفعول يعمل على مالم يسم فاعله ، وكذلك الصفة المشبهة نحو : مررت برجل حسن . اي هو ، ومررت بامراة كريمة اي ـ هي ، وكذلك أفعل التفضيل نحو قولك : زيد أكرم منك ، اي هو وكذا باقي الامثلة .

فائدة : اعلم ان الضمير في اسم الفاعل والمفعول ليس كالضمير في الافعال ، لان الفعل يصلح صلة للموصول بضميره ، لان الفعل مع ضميره جملة ؛ واسم الفاعل مع ضميره ليس بجملة ، فلا يصلح ان يكون جملة ، وليس لهذا الضمير صيغة يدل عليها كالياء والالف والواو في الافعال .

قوله : **« واستتر (في)(٣٢٧) المرفوع دون المنصوب والمجرور لانه بمنزلة جزء الفعل(٣٢٨) واستتر في الغائب والغائبة(٣٢٩) دون التثنية والجمع ، لان الاستتار خفيف(٣٣٠) واعطاء(٣٣١) الخفيف للمفرد السابق(٣٣٢) اولى ، ودون(٣٣٣) المتكلم والمخاطب اللذين في الماضي لان الاستتار قرينة ضعيفة والابراز قرينة قوية ، فاعطاء الابراز القوى للمتكلم(٣٣٤) القوي والمخاطب القوى اولى ، واستتر في مخاطب(٣٣٥) المستقبل ومتكلمه(٣٣٦) للفرق ، وقيل يستتر في هذه المواضع دون غيرها لوجود الدليل فيها(٣٣٧) وهو عدم الابراز في مثل ضرب والتاء في مثل ضربت والياء في مثل يضرب والتاء في مثل تضرب والهمزة في مثل اضرب والنون في مثل نضرب(٣٣٨) والصفة في مثل : ضارب وضاربان وضاربون »(٣٣٩) .**

اقول : هذا شروع في بيان علة الاستتار في المرفوع دون المنصوب والمجرور ؛ وذلك انما استتر في المرفوع لانه اي : لان الضمير المرفوع بمنزلة جزء الفعل لان علة الاستتار ، دلالة الفعل على ما هو كجزئه ، وهذا لا يتحقق الا في الضمير المرفوع المتصل وأما بيان وجه استتار الضمير المرفوع في الغائب والغائبة ، فهو ان الاستتار خفيف والغائب او الغائبة ضعيف ، فالخفة الحاصلة بالاستتار مناسبة له ، والغائب مفرد والمفرد سابق ؛ واعطاء الخفيف للمفرد السابق أولى .

وقوله : « ودون المتكلم والمخاطب اللذين في الماضي لان الاستتار قرينة ـ اي علامة ـ ضعيفة والابراز علامة قوية ، واعطاء الابراز القوي للمتكلم والمخاطب القويان أولى ، وانما قيد بقوله « اللذين في الماضي » لانه احترز عن اللذين في المضارع ، لان الضمير يستتر في متكلم المضارع ومخاطبه . وقوله « واستتر في مخاطب المستقبل » اي : استتر الضمير المتصل في مخاطب المستقبل ومتكلمه للفرق ، اي : للفرق بين المخاطب والمخاطبة لو قيل فيهما تقوم مثلا ، وفي المتكلم في المستقبل للفرق بين المتكلم اذا قيل اضرب ، بين المفرد المذكر الذي في الماضي ، الذي ادخل فيه همزة الاستفهام وقيل ضرب . وما بعده غني عن الشرح لوضوحه .

وقوله : **« ولا يجوز أن يكون تاء ضربت ضميرا كتاب ضربت ، لوجود عدم حذفها بالفاعل الظاهر(٣٤٠) نحو : ضربت هند ، ولا يجوز أن يكون الف**

---

(٣٢٥) أ : للالتقاء .
(٣٢٦) أ : مبني .
(٣٢٧) زيادة من ق ، حـ .
(٣٢٨) ق : قبلة ، الكلمة .
(٣٢٩) ساقطة من ق .
(٣٣٠) بعده في ق : والفرد سابق .
(٣٣١) أ : فاعطاء .
(٣٣٢) أ : السائر ، وهو تحريف .
(٣٣٣) الواو ساقطة من ق .
(٣٣٤) ق : المتكلم .
(٣٣٥) ق : المخاطب .
(٣٣٦) ق : والمتكلم بينهما .
(٣٣٧) الجار والمجرور ؛ ساقط من ق .
(٣٣٨) بعده في ق ، وهي حروف ليست بأسماء ، وفي النسخة المطبوعة (وهذه الحروف ليست بأسماء) وهي ساقطة في م .
(٣٣٩) ساقط من : م ، ق .
(٣٤٠) م : الفاعل ، بحذف الياء ، وفي المطبوعة ـ الفاعلة الظاهرة .

ـ ضاربان ـ ضميرا لانه يتغير في حال النصب والجر[٢٤١] ، والضمير لا يتغير كالف يضربان ، والاستتار واجب في مثل : ـ افعل ، وتفعل وافعل ونفعل ، لدلالة الصيغة عليه وعدم الاستعمال ، وقبح[٢٤٢] افعل زيد وتفعل زيد وافعل زيد ونفعل زيدون » .

اقول : لا يجوز أن يكون تاء ضربت ضميرا لتاء ضربت ، لوجود عدم حذف التاء بالفاعلة الظاهرة نحو : ضربت هند ولو كانت هذه التاء ضميرا لوجب حذفها بالفاعلة الظاهرة ، لكنها للتأنيث ، وكذلك لا يجوز أن يكون الف ـ ضاربان ـ ضميراً ولا واو ـ ضربوا ـ لانهما يدلان على ضمير مستثنى مستتر وضمير جمع مستتر ، والذي يدل على انهما ليسا ضميرين . انهما ينقلبان عن الياء في النصب والجر ، اذا قلت رايت ضاربين ومررت بضاربين ـ بفتح الباء في التثنية وكسرها في الجمع ـ ولو كانا ضميرين لم يتغيرا ، لان الضمير لا يجوز أن تتغير صورته كالف يضربان وواو يضربون . ثم استتار الضمير المرفوع واجب في الافعال الاربعة . أمر المخاطب والمفرد المخاطب والمتكلم وحده ومع الغير لان الصيغ تدل عليها ، فلما كان كذلك ، قبح[٣٤٣] افعل زيد ونفعل زيدون وقد مر تحقيقه .

---

(٢٤١) ساقطة من م .

(٢٤٢) ق : فيفتح ، تحريف .

(٣٤٣) ا : فتح .

فهارس المخطوطات والببليوغرافيات

ـ ضاربان ـ ضميرا لانه يتغير في حال النصب والجر[٣٤١] ، والضمير لا يتغير كالف يضربان ، والاستتار واجب في مثل : ـ افعل ، وتفعل وافعل ونفعل ، لدلالة الصيغة عليه وعدم الاستعمال ، وقبح[٣٤٢] افعل زيد وتفعل زيد وأفعل زيد ونفعل زيدون » .

اقول : لا يجوز أن يكون تاء ضربت ضميرا لتاء ضربت ، لوجود عدم حذف التاء بالفاعلة الظاهرة نحو : ضربت هند ولو كانت هذه التاء ضميرا لوجب حذفها بالفاعلة الظاهرة ، لكنها للتانيث ، وكذلك لا يجوز أن يكون الف ـضاربان ـ ضميرا ولا واو ـ ضربوا ـ لانهما يدلان على ضمير مثنى مستتر وضمير جمع مستتر ، والذي يدل على انهما ليسا ضميرين . انهما ينقلبان عن الياء في النصب والجر ، اذا قلت رايت ضاربين ومررت بضاربين ـ بفتح الباء في التثنية وكسرها في الجمع ـ ولو كانا ضميرين لم يتغيرا ، لان الضمير لا يجوز ان تتغير صورته كالف يضربان وواو يضربون . ثم استتار الضمير المرفوع واجب في الافعال الاربعة . امر المخاطب والمفرد المخاطب والمتكلم وحده ومع الغير لان الصيغ تدل عليها ، فلما كان كذلك ، قبح[٣٤٣] افعل زيد ونفعل زيدون وقد مر تحقيقه .

---

(٣٤١) ساقطة من م .

(٣٤٢) ق : فيفتح ، تحريف .

(٣٤٣) ا : فتح .

المخطوطات العربيـــــة

في مكتبة طوب قاپي سرايى باستانبول

ترجمة واعداد

فاضل مهدي بيات

ـ القسم الاول ـ

تزخر مدينة استانبول بامهات المخطوطات المكتوبة باللغات الشرقية ، ولا غرو في هذا ، اذا علمنا ان العثمانيين حكمـــوا الشرق بما فيه الدول العربية قرونا عديدة ، كان لهم النصيب الوافر في الحصول على هذه المخطوطات ، وبثمن زهيد ، والتي توزعت اليوم في كبريات المكتبات التي يؤمها الباحثون والعلماء من كافة ارجاء المعمورة . وقد اتبع في حفظ المخطوطات ، كافة الاساليب الحديثة لكي لا تعرف الكوارث والآفات طريقا اليها . والجدير بالذكر ان سلاطين وامراء آل عثمان وولاتهم ، كانـوا يسعون ، ما في وسعهم ، الى جمع كمية هائلة من المخطوطات وايداعها في مكتباتهم الخاصة ، لم يدخلها في ايامهم غير القلائل من الذين لهم شأن يذكر في هـذه القصــور . وبلغ من حب السلاطين الى جمع المخطوطات انهم كانوا يكتبون الى ولاتهـم وقادتهم المتواجدين في البلدان العربية ان يرسلوا اليهم ما في بلدانهم من المخطوطات دون التمييز في لغتها .

واليوم ، وبعد الغاء الخلافة العثمانية وتاسيس الجمهورية التركية نقلت اكثر هذه المخطوطات الى مكتبات عامة او بقيت في اماكنها بعد ان حولوا ابنيتها الى مكتبات عامة ثم الحقت بها المخطوطات المتواجدة في الجوامع والتكايا المنتشـرة في تركيا . وبالرغم من ان مدينة استانبول تاتي على رأس المدن التي تمتلك المخطوطات العربية ، فان هذه المخطوطات لم تحـظ بأهميـــة الباحثين العرب فلم يكلفوا انفسهم دراستها او صنع فهارس لها .. واعتقد انني لا ابوح سرا اذا قلت ان هناك مكتبات في تركيــا لم يؤمها اي عربي ولم يوضع لمحتوياتها اي فهرس . وحينمـا كنت في تركيا ، يوم كنت ادرس فيها واتردد الى مكتباتهـــا ، وددت لو القيت عصاي في قاعة احدى المكتبات لادون ما اشاهده .. غير ان الحظ لم يحالفني ، اذ ان دراستي العليا لم تهيء لي اية فرصة ...

أما مكتبة (طوب قاپي سرايى) ، التي سنكرس هذا المقال لمحتوياتها من المخطوطات العربية ، فانها قد أصدرت في السنوات الاخيرة فهرسا حافلا بمخطوطاتها العربية في ثلاثة مجلدات ضخمة تحت اسم :

Topkapi Sarayi muzesi Kutuphanesi, Arapca yazmalar katalogu

اعداد : Fehmi Edhem Karatay
Istanbul, 1966.

(من منشورات متحف طوب قاپي سرايى)

وكان علي ، وانا اعول عليه في كتابة هذا الفهرست ، ان ابدا من المجلد الاول واترجمه لقارىء المورد الغراء ، غير ان حبي العميق للتاريخ جعلني الزم المجلد الثالث ، واعدا القارىء باني لن احول دون معرفته بما يضم المجلدان الباقيان . وتسهيلا للعمل اتبعت الرموز التالية :

ت = توفي ، المتوفى .

سم = سانتيمتر .

هـ = هجري .

م = ميلادي .

ع س = عدد السطور في كل صفحة .

ط س = طول السطر .

ن ق س = نفس القياس السابق .

ن ع س ط = نفس عدد السطور وطولها .

اما الرقم المتبع في ترقيم المخطوطات فان الرقم الاول هو تسلسل المخطوطة في المجلدات الثلاثة . أما الرقم الثـاني فانـه رقم المخطوطة في المكتبة المذكورة .

وصف مجمل

لمكتبة طوب قابي سرايي ومخطوطاتها[1] :

طوب قابي سرايي ، أي قصر باب الطوب ، هو القصر الذي بناه السلطان العثماني محمد الفاتح ، فاتح القسطنطينية في استانبول في منطقة (سراي بورنو) في القرن الخامس عشر للميلاد . ولم تحافظ بناية القصر على شكلها ، بل اجريت فيها اصلاحات واضافات متعددة عبر العصور ، من قبل سلاطين وامراء آل عثمان .

اما المكتبة فقد بنيت خلال المرحلة الاولى للبناء في القرن الخامس عشر . وقد اسس محمد الفاتح أول مكتبة في القصر في قاعات مدرسة اندرون . ومكتبة طوب قابي سرايي تقع في القسم الثالث من القصر أي في القسم المسمى بميدان اندرون . وقد بنيت المكتبة على شكل يضمن بقاء الكتب التي تضمها ، بعيدة عن الكوارث التي تلحق بها كالرطوبة والحرائق والزلازل . وفي منتصف قاعتها كتابة باللغة العربية تبين تاريخ انشائها .

تتكون مكتبة طوب قابي سرايي من تسع مكتبات صغيرة وهي :

١ ـ مجموعة كتب روان كوشكو [الكوشك بمعنى الفيللا وقد سماه الامير شكيب ارسلان بـ المغنى] : وروان كوشكو بناه السلطان مراد الرابع ويسمى بـ صوفائي همايون وزين من الخارج بالخزف التركي . اما الكتب الموجودة في هذا القسم فقد أودعها السلطان محمد الثاني . ثم اضيفت اليه كتب اخرى من قبل السلطانين عثمان الثالث ومصطفى الثالث . وكافة الكتب المودعة في هذا القسم ختمت باختام هؤلاء السلاطين الثلاثة . وتضم هذه المجموعة ٢.٨٣ أثرا قيما .

٢ ـ كتب الخزينة :

جمعت كتب هذه المجموعة من اماكن متعددة وتضم اكثر من ٢٩٩٩ كتابا ، اكثرها كتب تاريخية وادبية . وضمن هذه الكتب ، ١٤٠ كتابا يضم روائع المنمنمات والمرقعات. وعدد هذه المنمنمات ٧٢٢٣ منها ٢٨٨٢ منمنمه تركيه ، ٣٢١ منمنمه هندية ومغولية وعربية . اما الالبوم الذي يضم مجموعة صور السلطان محمد الفاتح فانه يعتبر رائعة من روائع الفن الانساني .

٣ ـ مجموعة كتب احمد الثالث او مجموعة كتب اندرون : تضم ٤٩٦٨ أثرا . من بينها ٤٤٩٢ كتابا مخطوطا اما الـ ١٤٦ الباقية فمطبوعة . واقدم هذه الكتب يعود الى القرن الحادي عشر . واكثرها باللغة العربية اذ يبلغ مجموعها ٤٣٢٩ كتابا . اما البقية الباقية منها فـ : ٢١٨ كتابا بالتركية ، و ٩٨ كتابا بالفارسية و ٨٨ كتابا باللغات الغربية .

٤ ـ مكتبة بغداد كوشكو (مكتبة مغنى بغداد) : ومغنى بغداد انشاه السلطان عبدالحميد الاول واكمله السلطان سليم الثالث . وتحمل كافة الكتب الموجودة فيه ختمي هذين السلطانين .

٥ ـ مكتبة المدينة :

جمعت فيها كتب السلطان عبدالحميد الاول والسلطان محمد الثاني وامير دار السعادة حاجي بشير آغا وشيخ الاسلام عارف حكمت . والكتب التي تضمها هذه المكتبة جلبت من المدينة المنورة من قبل الجنرال فخرالدين تركان خلال الحرب العالمية الاولى . وجميعها كتب عربية وعددها ٥٦٦ كتابا ، اكثرها كتب دينية .

٦ ـ مكتبة خزينة الامانة (امانت خزينه‌سى) : انشاها السلطان محمود الاول . وروعي في حفظ كتبها الدقة والعنايةوهي غير مختومة . وفيها ٢١١٩ كتابا بالتركية والعربية والفارسية . وفيها نسخ كثيرة من القرآن واجازات الكتاتيب .

٧ ـ مكتبة قوغوشلار (قوغوشلار = ردهات) : فيها ١٢٣٥ كتابا اكثرها نسخ كاملة من القرآن الكريم واجزاء متفرقة منه بالاضافة الى كتب دينية اخرى ككتب الحديث والتفسير والفقه .

٨ ـ مكتبة محمد رشاد وتريال خانم : وتضم الكتب الشخصية العائدة الى السلطان محمد رشاد (محمد الخامس) وكتب تريال خانم من جواري السلطان محمود الثاني . فيها ٣١٣٠ كتابا منها ٢٣٠ كتابا مطبوعا .

٩ ـ قسم الكتب الحديثة : ويضم الكتب التي جمعت بعد اعلان الجمهورية في تركيا . وفيه ٢٨١٤ كتابا .

---

(١) اعتمدت في كتابة هذا الوصف المجمل على كتاب :
istanbul ve Ankara kutuphaneleri
لمؤلفه : Neriman Malkoc, Ozturkmen
Ankara, 1957.

المخطوطات التاريخية

١ـ التواريخ الاسلامية العامة

غاية الوسائل الى معرفة الاوائل

لاسماعيل هبةالله بن ابي الرضا الموصلي (كان في خدمة الاتابك طغرل سنة ٦٣١هـ ١٢٣٣م)

يبحث عن أوائل الاشياء ومن وجدها واستخدمها لاول مرة .

اوله : الحمد لله أولا واخيرا والصلاة على على محمد المبعوث الى كافة الناس بشيرا ونذيرا ..

تاريخها : ٨٨٥هـ ١٤٨٠م .

٢٧×١٨ سم ، ٢٦٤ ورقة . ع س ٢٣ ، ط س ٥ر١١ سم .

رقمها : 5725 A.2957

راجع : بروكلمان ، الذيل ، ١:٥٩٨ .

كتاب الوسائل الى معرفة الاوائل :

وهو مختصر كتاب الاوائل لابي الهلال الحسن ابن عبدالله بن سهله العسكري (ت ٣٩٥هـ ١٠٠٥م) ، اختصره جلال‌الدين السيوطي .

اوله : الحمد لله الاول فليس له آخر واشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له ... وبعد فهذا كتاب لطيف جامع الاوائل لخصت فيه كتاب الاوائل للعسكري ... وسميته الوسائل الى معرفة الاوائل ...

٢٧×٥ر١٧ سم ، ٣١ ورقه . ع س ٣٣ ، ط س ١٢ سم .

رقمها : 5726 A.2343

راجع : بروكلمان ، الذيل ، ١:١٩٤ ، ٢:١٩٧ (٣٠٣) .

ومنه نسخة اخرى من المرجح انها نسخت في القرن ١١هـ ١٧م .

٥ر٢١×٥ر١٥ سم ، ٤١ ورقه ، ع س ٢٥ ، ط س ٥ر١٠ سم .

رقمها : 5727 A.3054

واخرى نسخت لطومباي .

٥ر٣١×٥ر٢١ سم ، ١٦٠ ورقه . ع س ٩ ، ط س ٢ر١٤ سم .

رقمها : 5728 A.2437

نديم الكرام ونسيم الغرام

لمحمد بن [أبي] فضائل بن عبد الساتر .

يتناول تاريخ الخلفاء الراشدين والامويين والعباسيين .

أوله : الحمد لله الذي لا راد لما اراده ولا صاد عما سبقت به منه ارادة ... نسخة فريدة ، يرجح انها نسخت في القرن ٩هـ ١٤م .

٢٧×١٩ سم ، ١٢٩ ورقه . ع س ٢١ ، ط س ٥ر١٤ سم .

رقمها : 5729 A.2973

تاريخ الطبري

لابي جعفر محمد بن جريرالطبري (ت.٣١٠هـ ٩٢٢م) . وهو تاريخه المسمى تاريخ الامم والملوك أو اخبار الرسل والملوك .

المجلد الاول : يتناول الحوادث من بدء الخليقة حتى زمن افراسياب وكيكاوس بين ايران وطوران .

اوله : الحمد لله الاول قبل كل أول والآخر بعد كل آخر والدائم بلا زوال والقائم على كل شيء.

نهايتها ناقصة . يرجح انها نسخت في القرن ٨هـ ١٤م .

٢٥×٥ر١٦ سم ، ٢٣٨ ورقة . ع س ١٧ ، ط س ١١ سم .

رقمها : 5730 A.2929/1

راجع بروكلمان ، الذيل ، ١:٢١٧ ، كشف الظنون : ٢٩٧ .

المجلد التاسع : يتناول حوادث ٦٥ـ٨٠هـ .

اوله : ثم دخلت سنة خمس وستين ...

ن ق س ، ٢٢١ ورقة . ع س ١٩ ، ط س ١٢ سم .

رقمها : 5731 A.2929/9

المجلد (١١) : يتناول حوادث ١١٨ـ١٣٢هـ.

اوله : ثم دخلت سنة ثماني عشرة ومائة ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث ...

ن ق س ، ٢٣٨ ورقة ، ن ع س ط .

رقمها : 5732 A.2929/11

المجلد (١٢) : يتناول حوادث ٢٠٤ـ٢٥١هـ .

اوله : ثم دخلت سنة اربع ومائتين ذكر الخبر

عما كان فيها من الاحداث فمما كان فيها من ذلك قدوم المامون العراق ...

٢٥ر٥×١٧ سم ، ٢٥٦ ورقة . ع س ١٩ ، ط س ١١ سم .

رقمها : 5733 A.2929/12

المجلد (١٣) : يتناول احداث ١٦٢–١٩٨هـ .

اوله : ثم دخلت سنة اثنتين وستين ومائة ذكر الاحداث الجليلة التي كانت فيها ...

ن ق س ، ٢١١ ورقة . ن ع س ط .

رقمها : 5734 A.2929/13

مجلد آخر من التاريخ يتناول حوادث ٢٥٥–٢٩٨هـ .

اوله : ثم ركب ابن طاهر فيما قبل لاربع عشرة نقيب من ذى الحجة من هذه السنة ...

تاريخها : ٦٥٠هـ ١٢٥٢م .

٢٥ر٥×١٧ سم ، ٢٨٦ ورقة . ع س ١٩ ، ط س ١١ سم .

رقمها : 5734 A.2929/13

كتاب الفتوح

لابي محمد احمد بن اعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ ٩٢٦م) . يتناول تاريخ الفتوحات الاسلامية من عصر الخلفاء الراشدين حتى عهد يزيد . كتب براي شيعي على شكل قصة .

المجلد الاول : اوله : قال ابو محمد احمد بن الكوفي حدثني ابو الحسين علي بن محمد القرشي ..

تاريخها : ٨٧٣هـ ١٤٦٨م .

٢٦ر٥×١٨ر٥ سم ، ٢٩٧ ورقة . ع س ٢٥، ط س ١٢ سم .

رقمها : 5736 A.2956/1

المجلد الثاني : اوله : ذكر وقعة خروج المختار قال وخرج ابراهيم بن الاشتر تلك الليلة ...

نسخ من قبل نفس الناسخ وفي نفس التاريخ.

ن ق س ، ٢٧٨ ورقة . ن ع س ط .

رقمها : 5737 A.2956/2

مروج الذهب ومعادن الجوهر

لابي الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٥هـ ٩٥٦م) . يتناول تاريخ الاسلام من البداية حتى زمانه .

المجلد الاول : اوله : الحمد لله اهل الحمد ومستوجب الثناء والمجد ... اما بعد فانا صنفنا كتابنا في اخبار الزمان فقدمنا القول فيه في هيئة الارض ...

بخط : عبدالعزيز بن يوسف المنهاجي سنة ٨٢٦هـ ١٤٢٣م .

٢٧×١٨سم ، ٢٤٤ ورقة . ع س ٢١ ، ط س ١٢ سم .

رقمها : 5738 A.2950/1

راجع بروكلمان ، الذيل ١ : ٢٢٠ (٣) .

المجلد الثاني : اوله : ذكر جامع التاريخ من بداء العالم الى مولد النبي واتصل بهذا المعنى قد ذكرنا فيما سلف كتبنا ...

نفس الناسخ . سنة ٨٢٦هـ ١٤٢٣م .

ن ق س ، ٢٣٠ ورقة . ن ع س ط .

رقمها : 5739 A.2950/2

المجلد الثالث : اوله : ذكر خلافة هارون الرشيد وبويع هارون ابن المهدي يوم الجمعة ...

نفس الناسخ . سنة ٨٢٧هـ ١٤٢٤م .

ن ق س ، ٢٠٩ ورقة . ن ع س ط .

رقمها : 5740 A.2950/3

وللمجلد الاول نسخة اخرى :

٣١×٢١ سم ، ٢١٠ ورقة . ع س ٣١ ، ط س ١٣ر٣ سم .

رقمها : 5741 M.528

واخرى للمجلد الثاني تاريخها ١١٣٣هـ ١٧٢٠م .

٣١×٢١ سم ، ٢٢٥ ورقة . ع س ٣١ ، ط س ١٣ر٣ سم .

رقمها : 5742 M.529

المختار من رسائل (مكاتيب) ابي اسحق الصابي

وهو مختارات من رسائل ابي اسحق ابراهيم ابن هلال بن ابراهيم الحراني الصابي (ت ٣٨٤هـ ٩٩٤م) . الرسالة الاولى تتعلق باسترداد بغداد سنة ٣٦٤هـ ٨٧٤م من الاتراك .

اوله : نسخة كتاب انشاه ابو اسحق بن هلال الصابي عند فتح بغداد وانهزام الاتراك ...

٢١×١٤ سم ، ٢٣٦ ورقة . ع س ٢١ ، ط س ٧ر٥ سم .

رقمها : 5743 R.1599

راجع : بروكلمان ، الذيل ، ١ : ١٥٣–١٥٤ .

عيون المعارف وفنون اخبار الخلائف

لابي عبدالله محمد بن سلامة بن جعفر بن احمد بن حكمون القضاعي (ت ٤٥٤هـ ١٠٦٢م) يتناول تاريخ الانبياء والخلفاء .

اوله : الحمد لله المبدي كل شيء الوارث المعيد كل حي ...

بخط : محمد بن محمد بن حسن القمي القرشي في سنة ٧٤٨هـ ١٣٧٤م .

٢٥×١٧ سم ، ١٢٠ ورقة . ع س ١٥ ، ط س ١٢ سم .

رقمها : 5744 A.2898

راجع بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٥٩٤ (١) .

ذيل تجارب الامم وعواقب الهمم

لمحمد بن الحسين بن عبدالله بن ابراهيم بن ظاهرالدين ابي شجاع الردراواري (ت ٤٨٨هـ ١٠٩٥م) . ذيله كتاب تجارب الامم لابي علي احمد ابن محمد بن يعقوب بن مسكوية (ت ٤٢١هـ ١٠٣٠م) .

يتناول حوادث ٤٦٩-٤٨٩هـ .

اوله : اما بعد حمدا لله سبحانه والثناء عليه اهل الحمد والثناء ...

يرجح انها نسخت في حوالي سنة ٧٥٠هـ .

٥ر٢٤×١٧ سم ، ٢٣٥ ورقة . ع س ١٥ ، ط س ١٢ سم .

رقمها : 5745 A.2899

راجع : بروكلمان ، الذيل ، ١ : ٥٣٨ (آ) .

حوادث السنين

لمؤلف مجهول . يتناول تاريخ الاسلام من مولد النبي (ص) حتى سنة ٥٢٦هـ ١١٣٢م على ترتيب السنين .

اوله : الحمد لله رب العالمين ... اما بعد فهذه نبذة من التاريخ لخصتها وجمعتها على سنين الهجرة النبوية واولها مولد رسول الله ...

الورقة الاولى كتبت فيما بعد .

٢٥×١٧ سم ، ١٦٩ ورقة . ع س ١٧ ، ط س ١١ سم .

رقمها : 5746 A.2981

لباب الانساب

لعزالدين بن الاثير (ت ٦٣٠هـ ١٢٥٢م) . وهو مختصر كتاب الانساب لابي سعد عبدالكريم ابن محمد بن منصور السمعاني (ت ٥٦٢هـ ١١٦٧م) .

اوله : الحمد لله الذي احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ...

يرجح انها نسخت في بداية القرن ٩هـ ١٤م .

٣ر٢٥×١٧ سم ، ٢٢٨ ورقة ، ع س ٢١ ، ط س ١٢ سم .

رقمها : 5747 A.2980

راجع : بروكلمان ، الذيل ، ١ : ٥٦٥ (٢أ) .

البستان الجامع لجميع تواريخ الزمان

لمحمد بن محمد بن حامد بن عبدالله بن علي ابن محمود الكاتب الاصفهاني (ت ٥٩٧هـ ١٢٠١م) وهو تاريخ اسلامي عام مختصر .. يتناول الحوادث حتى سنة ٦٣٦هـ رغم ان المؤلف قد توفى سنة ٥٩٧هـ ، والراجح انه قد ذيل من قبل شخص آخر .

اوله : الحمد لله خالق الامم وباري النسم ومعلم الانسان مالم يعلم ...

بخط : علي بن ابي القاسم بن خليل سنة ٧٤٤هـ ١٣٤٣م .

٥ر٢٥×٥ر١٧سم ، ٢١٤ ورقة . ع س ١٥ ، ط س ١٢ سم .

رقمها : 5748 A.2959

راجع عن المؤلف : بروكلمان ، الذيل ، ١ : ٥٤٨ .

المنتظم في تواريخ الملوك والامم

لجمال‌الدين ابي الفرج عبدالرحمن بن ابي الحسن علي بن محمد بن عمر ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ ١٢٠٠م) . وقد ورد في بروكلمان بشكل « المنتظم في ملتقط الملتزم » .

المجلد الثاني : اوله : فصل ولما مات الاسكندر عرض ملكه على ابنه ...

يرجح انها نسخت في القرن ٩هـ ١٥م .

٥ر٢٥×٥ر١٦ سم ، ١٤٩ ورقة ، ع س ٢١ ، ط س ٥ر١٣ سم .

رقمها : 5749 A.2908/2

راجع بروكلمان ، الذيل ، ١ : ٩١٥ ، كشف الظنون : ١٨٥٠ .

المجلد الثالث : أوله : فصل واختلف العلماء في سبب نقض الصحيفة على قولين ...

بخط علي بن ابراهيم بن الياس الواسطي

٢٥ر٥×١٧ سم ، ١٥٣ ورقة . ع س ٢١ ، ط س ١٣ سم .

رقمها 5750 A.2908/3

المجلد الرابع : أوله : وفي سنة عشر من الهجرة ايضا ...

٢٥×١٦ر٥ سم ، ١٤٩ ورقة ع س ٢١ ط س ١١ر٥ سم .

رقمها 5751 A.2908/4

المجلد الخامس : أوله : وفي هذه السنة فتحت ارمينية على يدي حبيب ابن مسلمه الفهري في قول الواقدي ...

٢٥ر٥×١٧ سم ، ١٤٤ ورقة . ع س ٢٢ ، ط س ١٣ر٥ سم .

رقمها 5752 A.2908/5

المجلد السادس : أوله : شبيبه ابن عثمان ابن ابي طلحه اخبرنا ابو بكر بن ابي طاهر ...

١٤ر٥×١٦ر٥ سم ، ١٤٥ ورقة . ع س ٢٢ ، ط س ١٣ سم .

رقمها 5753 A.2908/6

المجلد السابع : أوله : ذكر وفاة الحجاج ...

٢٦×١٧ سم ، ١٥٥ ورقة . ع س ٢١ ط س ١٢ر٥ سم .

رقمها 5754 A.2908/7

المجلد الثامن : أوله : ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائة فمن الحوادث فيها ...

٢٦×١٧ر٥ سم ، ١٥٨ ورقة . ع س ٢١ ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5755 A.2908/8

المجلد التاسع : أوله : ثم دخلت سنة اربع وسبعين ومائة فمن الحوادث فيها ان الرشيد ولى اسحق بن سليمان الهاشمي ...

٢٥×١٧ سم ، ١٢٨ ورقة . ع س ٢٠ ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5756 A.2908/9

المجلد العاشر : أوله : ثم دخلت سنة أربع وتسعين ومائة ومن الحوادث فيها مخالفة اهل حمص عاملهم اسحق بن سليمان ...

٢٥ر٥×١٧ سم ، ١٣٥ ورقة . ع س ٢٢ ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5757 A.2908/10

المجلد (١١) أوله : ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائتين فمن الحوادث فيها ورد المأمون الى مصر ..

٢٥ر٣×١٦ر٥ سم ، ١٥٢ ورقة . ع س . مختلف ، ط س ١١ر٥ سم .

رقمها 5758 A.2908/11

المجلد (١٢) : أوله : ثم دخلت سنة ثمان واربعين ومائتين فمن الحوادث فيها ان المنتصر اغزا وصيفا التركي الصايفه أرض الروم ...

٢٥×١٦ر٥ سم ، ١٥٥ ورقة ، ع س مختلف ط س ١١ر٥ سم .

رقمها : 5759 A.2908/12

المجلد (١٣) : يتناول حوادث ٢٤٨ ـ ٣٢٩هـ

أوله : باب ذكر خلافة المكتفي بالله واسمه علي بن المعتضد ...

٢٥ر٨×١٧ سم ، ١٥١ ورقة . ع س مختلف ط س ١٢ سم .

رقمها 5760 A.2908/13

المجلد (١٤) : يتناول حوادث ٣٢٩ ـ ٣٨٧هـ

أوله : باب خلافة المقتفي لله واسمه ابراهيم ابن المقتدر ...

تاريخها : ٨٠٥هـ ١٤٠٢م .

٢٥ر٥×١٦ر٥ سم ، ١٥٤ ورقة . ع س مختلف ط س ١٢ سم .

رقمها : 5761 A.2908/14

المجلد (١٥) : يتناول حوادث ٣٨٧ـ٤٤٧هـ .

أوله : احمد بن اسمعيل بن عنبس بن اسمعيل ابن الحسين المعروف بابن شمعون ...

تاريخها : ٨٠٥هـ ١٤٠٢م .

٢٥×١٦ر٥ سم ، ١٦٠ ورقة . ع س مختلف ط س ١٢ سم .

رقمها 5762 A.3742

المجلد (١٦) : يتناول حوادث ٤٤٨–٤٨٥هـ .

اوله : ثم دخلت سنة ثمان واربعين واربعمائة فمن الحوادث فيها انه في مستهل المحرم عقد عميد الملك الكندري وزير طغرل بك ...

تاريخها : ٨٠٦هـ ١٤٠٣م .

٢٦×١٧ سم ، ١٥١ ورقة . ع س مختلف ، ط س ١٢ سم .

رقمها : 5763 A.2908/16

المجلد (١٧) : يتناول حوادث ٤٨٦–٥٣٣هـ .

اوله : ثم دخلت سنة ستة وثمانين واربعمائة فمن الحوادث فيها انه كان قد قدم الى بغداد في شوال سنة خمس وثمانين رجل من اهل مرو ...

تاريخها : ٨٠٦هـ ١٤٠٣م .

٢٥ر٥×١٦ر٥ سم ، ١٥١ ورقة . ع س مختلف ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5764 A.2908/17

المجلد (١٨) : يتناول حوادث ٥٣٤–٥٧٤هـ .

اوله : ثم دخلت سنة اربع وثلثين وخمس مائة فمن الحوادث فيها انه بدا بهم بهروز ...

تاريخها : ٨٠٦هـ ١٤٠٣م .

٢٥×١٧ سم ، ١٢٢ ورقة . ع س مختلف ط س ١٢ سم .

رقمها : 5765 A.2908/18

وهناك نسخ اخرى لمجلدات الكتاب :

المجلد الاول : يتناول الاحداث من خلق آدم حتى شعيب (ع) .

اوله : الحمد لله الذي كشف عن قلوب أوليائه حجاب الغفلة وانهج لهم الى محبته واكتساب علومه ... اما بعد فهذا مجموع يحتوي على شيء من مبدأ الخلق ومنتهاه ثم شيء منى (من) قصص الانبياء ...

يرجح انها نسخت في القرن ٩هـ ١٤م .

٢٧×١٨ سم ، ٢٣٥ ورقة . ع س ١٥ ، ط س ١٣ سم .

رقمها : 5766 A.2909/1

المجلد الثاني : اوله : قصة موسى وخضر عليهما السلام ...

تاريخها ٨١٥هـ ١٤١٢م .

٢٧×١٨ سم ، ٢٣٥ ورقة . ع س ١٥ ، ط س ١٣ سم .

رقمها : 5767 A.2909/2

المجلد الثالث : اوله : ازواج النبي صلعم اختلفوا [في] عددهن فاكثر ما قالوا سبع عشرة امراة مهره سوا السراري ...

٢٦ر٥×١٧ر٥ سم ، ٢٥٩ ورقة . ع س ١٥ ، ط س ١٣ سم .

رقمها 5768 A.2909/3

تحفة الظرفاء في أخبار الانبياء والخلفاء .

لابي الحسن علي بن ابي السرور بن عبدالله الروحي .

وهو مختصر تاريخ الاسلام يتناول الوقائع من البداية حتى سنة ٥٦٧هـ .

أوله : الحمد لله رب العالمين ... أما بعد فاني ذاكر في كتاب [ي] هذا نسب رسول الله ..

يرجح انها نسخت في القرن ٩هـ ١٥م .

٢٥ر٥×١٨ر٥ ، ١٦٨ ورقة . ع س ١١ ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5769 A.3047

راجع : بروكلمان ، الذيل ، ١ : ٥٦٨ .

الكامل في التاريخ

لابي الحسن علي بن ابي الكرم اثيرالدين محمد ابن عبدالكريم عزالدين ابن الاثير (٦٣٠هـ ١٢٣٣م) .

هذا المجلد يتناول الاحداث من البداية حتى سنة ٦٢٣هـ .

اوله : الحمد لله القديم فلا أول لوجوده الدائم الكريم ...

بخط ابي حامد محمد بن علي سنة ٧٠٥هـ ١٣٠٥م .

٢٩×١٩ سم ، ٨٤١ ورقة . ع س ٣٣ ، ط س ١٤ر٥ سم .

رقمها 5770 A.2971

راجع : بروكلمان ، الذيل ، ١ : ٥٨٨ .

ومنه اجزاء متفرقة .

مجلد يتناول حوادث ٤١–٢٠٠هـ .

بخط علي بن حمزة بن الحسن عماد الشيرازي سنة ٧١٠هـ ١٣١٠م .

٣٧×٥ر٢٥ ، ٢٦٦ ورقة ، ع س ٣١ ، ط س ٥ر١٧ سم .

رقمها 5771 A.2934

المجلد الثامن : يتناول حوادث ٢٩٥ ــ ٣٦٩هـ

تاريخها ٧٦٤هـ ١٣٦٣م .

٥ر٢٥×١٧ سم ، ٢٤٣ ورقة ، ع س ٢١ ط س ٥ر١٢ سم .

رقمها 5772 R.1563

مرآت (كذا) الزمان في تاريخ الاعيان

لشمس الدين ابي المظفر يوسف بن قزاوغلو بن عبدالله سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ ١٢٥٧م) .

المجلد الاول : اوله : الحمد لله الواحد القديم المنان الماجد العظيم المنان ...

يرجح انها نسخت في القرن ٩هـ ١٤م .

٢٧×٥ر١٧ ، ٣٥٥ ورقة ، ع س ١٣ ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5773 A.2907/1

راجع : بروكلمان ، الذيل ، ١ : ٥٨٩ .

المجلد الثاني : اوله : ثم ان شعيبا اقام في اهل الايكة يدعوهم الى الله ...

ن ق س ، ٢٥٠ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5774 A.2907/2

المجلد الثالث : اوله : ومنها يوم مبايض كان الفرسان اذا كانت ايام عكاظ في الشهر الحرام ...

ن ق س ، ٢٤٣ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5775 A.2907/3

المجلد الرابع : اوله : عبيد الله بن قيس بن الربيع بن قيس بن عامر الخزرجي من الطبقة الاولى ...

ن ق س ، ٣٠٨ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5776 A.2907/4

المجلد الخامس : اوله : السنة الرابعة عشر فيها كانت وقعة القادسية ...

تاريخها ٨٦٩هـ ١٤٦٥م .

ن ق س ، ٣٣٦ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5777 A.2907/5

المجلد السادس : اوله : السنة التاسعة والستون فيها شرع عبدالملك بن مروان ...

ن ق س ، ٢٧٩ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5778 A.2907/6

المجلد السابع : اوله : ذكر وفاة عمر بن عبد العزيز ... قال ابو سليم الهذلي خطب عمر بن عبد العزيز فقال اما بعد ...

ن ق س ، ٢٩٠ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5779 A.2907/7

المجلد الثامن : اوله : عبدالله بن عبدالرحمن ابن عتبه ويعرف بابن حجدم الفهري ...

ن ق س ، ٣٣٨ ورقة . ن ع س ط .

رقمها : 5780 A.2907/8

المجلد التاسع : اوله : السنة المائتان فيها في اول يوم من المحرم لما انصرف الحاج من مكة ...

ن ق س ، ٢٩٤ ورقة ، ن ع س ط .

رقمها 5781 A.2907/9

المجلد العاشر : اوله : السنة السادسة والخمسون بعد المائتين فيها قدم موسى بن بغا سامرا ...

ن ق س ، ٢٧٠ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5782 A.2907/10

المجلد (١١) : اوله : السنة الثلاثون وثلثمائة في يوم الاحد لثمان خلون من المحرم وجد كورتكين الديلمي في درب سليمان ...

ن ق س ، ٢٨٣ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5783 A.2907/11

المجلد (١٢) : اوله : السنة الخامسة والاربعمائة في خامس المحرم ورد كتاب من مكة مع بدويين ...

ن ق س ، ٢٦٢ ورقة . ع س ٢٣ ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5784 A.2907/12

المجلد (١٣) : اوله : السنة الرابعة والستون والاربعمائة فيها استولى الناوكيه الذين هربوا من الب ارسلان على الشام ...

ن ق س ، ٢٩٤ ورقة . ع س ٢٣ ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5785 A.2907/13

المجلد (١٤) : اوله : السنة السابعة والاربعون وخمسمائة قال ابو العباس الواسطي في تاسع المحرم ...

ن ق س ، ٢٨١ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5786 A.2907/14

وهناك نسخ اخرى متفرقة لمرآة الزمان :

المجلد الثامن : اوله : السنة السابعة والاربعون بعد المائة فيها خلع ابو جعفر ابن اخيه ..

٢٧٫٥×١٨٫٥ سم ، ٢٧٠ ورقة . ع س ٢٣ ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5787 A.2907/b.8

المجلد الاول : اوله : الحمد لله الواحد القديم المنان ...

٢٧٫٥×١٨ سم ، ١٩٥ ورقة . ع س ٢٣ ، ط س ١٢٫٥ سم .

رقمها 5788 A.2907/c.1

المجلد الثالث : اوله : ذكر من استشهد يوم بدر من المسلمين . عاقل بن الكبير ...

تاريخها ٨٧٤هـ ١٤٦٩م .

٢٧×١٨ سم ، ٢٣٥ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١٢٫٥ سم .

رقمها 5798 A.2907/c.3

المجلد الرابع : اوله : السنة الثانية والعشرون وفيها كتبه عمر رضوان الله عليه الى معاوية بن ابي سفيان ...

تاريخها ٨٧٩هـ ١٤٦٤م .

٢٧×١٨ سم ، ٢٥٣ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١٢٫٥ سم .

رقمها 5790 A.2907/c.4

المجلد السادس : اوله : السنة الثانية والسبعين فيها كمل بناء قبة الصخرة ...

بخط ابي الخير محمد بن احمد بن محمد العجمي سنة ٨٧٩هـ ١٤٧٤م .

٢٧×١٨ سم ، ٢٨١ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١٢٫٥ سم .

رقمها 5791/2907/c.6

المجلد السابع : اوله : السنة الخامسة بعد المائة فيها قطع مسلم بن سعيد والي خراسان ...

بخط ابي الحسن علي بن حسن سنة ٨٧٩هـ ١٤٧٩م .

ن ق س ، ٢٦٣ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5792/2907/c.7

المجلد الثامن : اوله : السنة الستون بعد المائة فيها خلع المهدي عيسى بن موسى قد ذكرنا امتناعه فبعث اليه قائدا من قواده ...

ن ق س ، ٢٩٦ ورقة . ع س ٢٥ . ط س ١٢٫٥ سم .

رقمها 5793 A.2907/c.8

المجلد (١٣) : اوله : السنة الحادية والعشرون وخمسمائة في المحرم جاء عسكر السلطان محمود الى باب النوبي ...

٢٧٫٥×١٨٫٥ سم ، ٣٩٥ ورقة . ع س ٢٥ ط س ١٢٫٥ سم .

رقمها 5794 A.2907/c.13

مختصر مرآة الزمان

لموسى بن محمد بن احمد اليونيني البعلبكي (ت ٧٢٦هـ ١٣٢٦م) .

المجلد الثاني : اوله : ياقوم ان شعيبا مرسل فدعوا عنكم سميرا وعمران بن شداد ...

٢٥٫٥×١٨ سم ، ٢٤٦ ورقة . ع س ٢١ ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5795 A.2907/d.2

راجع بروكلمان ، الذيل ، ١ : ٥٨٩ .

المجلد الخامس : اوله : السنة الثالثة عشر فيها كانت وقعة القادسية ..

الاوراق الاخيرة من هذا المجلد وضعت في نهاية المجلد الثالث من كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب ، المرقم A.5925

٢٥٫٥×١٨ سم ، ٢٢٨ ورقة . ع س ٢١ ، ط س ١٢٫٥ سم .

رقمها 5796 A.2907/d.5

المجلد الثامن : اوله : عبدالله بن عبدالرحمن ابن عتبة ويعرف بن [بابن] حجدم الفهري ...

بخط احمد بن العليم الحكيمي سنة ٧١٨هـ ١٣١٨م .

٢٥٫٥×١٨ سم ، ٢٤٤ ورقة . ع س ٢١ ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5797 A.2907/d.8

المجلد العاشر : اوله : السنة الخامسة عشر بعد المائة فيها وقع بخراسان قحط شديد ومجاعة ...

نفس الناسخ سنة ٧١٨هـ ١٣١٨م .

ن ق س ، ٢٤٨ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5798 A.2907/d.10

المجلد (١٢) : اوله : ذكر اقوال الناس في البرامكة ومراثيهم ...

نفس الناسخ سنة ٧١٩هـ ١٣١٩م .

ن ق س ، ٢٤٩ ورقة . ع س ٢١ ، ط س ١٢٫٥ سم .

رقمها 5799 A.2907/d.12

المجلد (١٧) : اوله : السنة الحادية والاربعمائة فيها خطب ابو المنيع قرواش بن المقلد معتمد الدولة ...

بخط : احمد بن العليم سنة ٧٢٣هـ ١٣٢٣م

٢٦×١٨٫٥ سم ، ٢٥٠ ورقة . ع س ٢١ ، ط س ١٣ سم .

رقمها 5800 A.2907/d.17

المجلد (١٩) : اوله : ذكر وفاة عبدالله بن ابراهيم بن عبدالله ابو حكيم ...

٢٥٫٥×١٨٫٥ سم ، ٢٤٧ ورقة ، ع س ٢١ ، ط س ١٣٫٥ سم .

رقمها 5801 A.2907/d.19

ذيل على مرآة الزمان :

لمؤلف مجهول .

المجلد الثاني : اوله : وفيها توفي علي بن عمر ابن بنا ...

تاريخها : سنة ٩٨٨هـ ١٥٨٠م .

٢٧٫٥×١٨ سم ، ٢٩٢ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١٢ سم .

رقمها : 5808 A.2907/I.2

المجلد الثالث : اوله : السنة التسعون وستمائة استهلت هذه السنة والخليفة الامام الحاكم بامر الله ابو العباس احمد العباس وسلطان الديار المصرية ...

٢٧٫٥×١٨سم ، ٢٤٠ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١٢٫٥ سم .

رقمها : 5803 A.2907/I.2

المجلد الرابع : اوله : السنة الثانية والسبع مائة دخلت هذه السنة وخليفة المسلمين يومئذ الامام المستكفي بالله ...

٢٧×١٨ سم ، ٢٣٤ ورقة . ع س ٢٥ ط س ١٢ سم .

رقمها 5804 A.2907/I.4

ذيل على مرآت (كذا) الزمان

لموسى بن محمد بن احمد اليونيني البعلبكي (ت ٧٢٦هـ ١٣٢٦م) .

المجلد الثاني : اوله : فبقى متوليا الخطابة والامامة بجامع دمشق ...

بخط خالد بن يوسف بن نوح سنة ٧٢٢هـ ١٣٢٢م .

٢٦×١٨ سم ، ١٩٨ ورقة ع س ٢٠ ، ط س ١٣ سم .

رقمها : 5805 A.2907/F.2

راجع بروكلمان ، الذيل ، ١ : ٥٨٩ .

المجلد الثالث : اوله : السنة الرابعة والستون والستمائة من حوادثها وتوجه الملك الظاهر محفر خليج الاسكندرية ...

٢٦×١٨ سم ، ١٩٦ ورقة . ع س ١٧ ط س ١٣٫٥ سم .

رقمها . 5806 A.2907/F.3

المجلد الرابع : اوله : الاتابك ختن البر واناه هل كانوا موافقين ...

تاريخها ٧٢٢هـ ١٣٢٢م .

٢٦×١٨ سم ، ١٩١ ورقة . ع س ١٧ ، ط س ١٣ سم .

رقمها 5807 A.2907/F.4

المجلد الخامس : اوله : السنة الثمانون والستمائة ...

ن ق س ، ٢٢٩ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5808 A.2907/F.5

المجلد الاول :

بخط علي بن عيسى .

٢٧×١٨٫٥ سم ، ٢٤٦ ورقة . ع س ٢٧ ، ط س ١٢٫٥ سم .

رقمها 5809 A.2907/g.1

المجلد (١٣) : أوله : السنة الحادية والستون وخمسمائة ...
تاريخها : ٨٨٨هـ ١٤٨٣م .
ن ق س ، ٢٣٣ ورقة . ن ع س ط .
رقمها : 5810 A2907/g.13

المجلد (١١) : يتناول حوادث ٢٦١ ــ ٣٢٦هـ
أوله : السنة الحادية والستون بعد المائتين..
٥ر٢٧×٥ر١٩ سم ، ١٩٧ ورقة . ع سم ٢١ ط س ٥ر١٤ سم .
رقمها 5811 A.2907/h.11

المجلد الثالث : أوله : وفيها في يوم الاثنين سبع وعشرين شهر رجب توفى الامير جمال الدين ابو الحسن علي بن درباش بن يوسف ...
٢٦×١٩ سم ، ٢٨٧ ورقة . ع س ١٩ ، ط س ٥ر١٢ سم .
رقمها 5812 A.2907/L3

المجلدات (١ــ٤) اولها : الحمد لله الواحد القديم المنان ...
٣٦×٥ر٢٢ سم ، ٤١٥ ورقة . ع س ٢١ ، ط س ١٣ سم .
رقمها 5813 A.2931/1-4

المجلدات (٥ــ٨) اولها : السنة الرابعة من الهجرة فيها كانت سرية ...
ن ق س ، ٣٩٥ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5814 A.2931/5-8

المجلدات (١٣ــ١٦) : أولها : السنة الثانية والثلثون بعد المائة وفيها هلك قحطبة بن شبيب بن خالد بن معدان ...
ن ق س ، ٣٧٩ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5815 A.2931/13-16

المجلد (١٨) : أوله : السنة الخامسة والثلثون وثمانمائة وفيها توفى الحسن بن حمويه بن الحسين ...
ن ق س ، ١٥٥ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5816 A.2931/18

مختصر تاريخ البشر

لابي الفداء اسماعيل بن على بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن ايوب الايوبي (ت ٧٣٢هـ ١٣٣١م) .

يتناول الأحداث من البداية حتى ٧١٠هـ .
أوله : الحمد لله الذي حكم على الاعمار بالاجال ...
يرجح انها نسخت في القرن ٨هـ ١٤م .
٣٦×٢٥سم ، ٣١٨ ورقة . ع س ٢٣ ، ط س ٥ر١٩ سم .
رقمها 5817 A.2933
راجع بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٤٤ ، كشف الظنون ، ١٦٢٩ .

المجلد الاول : يتناول الحوادث من البداية حتى ٤٤١هـ .
أوله : الحمد لله الذي حكم على الاعمار بالاجال ...
٥ر٣٥×٥ر٢٥ سم ، ١٨٥ ورقة . ع س ٢٥، ط س ٥ر١٩ سم .
رقمها 5818 A.2936/1

المجلد الثاني : يتناول حوادث ٤٤٢ ــ ٧٠٩م.
أوله : معه ذكر وفاة مودود في هذه السنة من رجب ...
ن ق س ، ١٨٣ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5819 A.2936/2
ومنه نسخة اخرى :
٥ر٢٤×١٧ سم ، ٢٧٢ ورقة . ع س ٢٣ ، ط س ٥ر١١ سم .
رقمها 5820 R.1067

كنز الدرر وجامع الغرر :

لابي بكر بن عبدالله بن آيبك الدواداري (ت ٧٣٢هـ ١٣٣١م) .
وهو خلاصة لكتاب المؤلف الموسوم « درر التيجان وغرر تواريخ الزمان » .
راجع بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٤٤ .

المجلد الثالث : أوله : الحمد لله الذي لا تراه العيون بمشاهدة العيان ...
تاريخها ٧٣٣هـ ١٣٣٣م .
٥ر٣٤×٢٥ سم ، ١٦٦ ورقة . ع س ٢١ ، ط س ١٧ سم .
رقمها 5821 A.2932/3

المجلد السادس : يتناول تاريخ الدولة الفاطمية من حسن بن علي حتى سنة ٥٥٤هـ .

اوله : الحمد لله الذي خصنا بالاسلام وشرفنا اذ جعلنا من انه محمد البدر التمام ...

تاريخها ٧٣٤هـ ١٣٣٤م .

ن ق س ، ١٦٥ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5822 A.2932/6

المجلد السابع : يتناول تاريخ الدولة الايوبية من ٥٥٥ - ٦٤٨هـ .

اوله : الحمد لله انشاء الجنين في الاحشاء ..

تاريخها ٧٣٤هـ ١٣٣٤م .

ن ق س ، ١٦٧ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5823 A.2932/7

المجلد الثامن : يتناول تاريخ الدول التركية من ٦٤٧ - ٦٩٦هـ .

اوله : الحمد لله الذي اطفى فاخمد جمرة الاشراك ...

تاريخها ٧٣٤هـ ١٣٣٤م .

ن ق س ، ١٧٧ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5824 A.2942/8

المجلد التاسع : يتناول ترجمة الملك الناصر من ٦٩٩ - ٧٣٥هـ .

اوله : الحمد لله الملك الناصر لمولانا السلطان الملك الناصر ...

تاريخها ٧٣٦هـ ١٣٣٥م .

ن ق س ، ١٧١ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5825 A.2932/9

العبر في اخبار البشر [ممن عبر]

للذهبي (ت ٧٤٨هـ ١٣٤٨م) . وهو مختصر تاريخه الاسلامي ، هذا المجلد يتناول حوادث ١-٢٤٠هـ .

اوله : الحمد لله مميت الاحياء ومحيي الاموات ومبدى الاشيا ومبيد البريات ...

٢٧٫٥×١٨ سم ، ٢٦٩ ورقة . ع س ٢٧ ، ط س ١٣ سم .

رقمها 5826 A.3030

راجع بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٤٦ .

تاريخ [دولة] الاسلام

لمحمد بن احمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ ١٣٤٨م) .

المجلد الاول : اوله : الحمد لله الباقي بعد فناء خلقه الكافي من توكل عليه ...

يرجح انها نسخت في النصف الاول من القرن ٨هـ ١٤م .

٢٤×١٦ سم ، ٢٨٠ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١١ سم .

رقمها 5827 A.2917/1

راجع بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٤٥ .

المجلد الثاني : يتناول شمائل النبي وحوادث سنة ٦٧هـ .

اوله : باب آخر سورة نزلت ...

ن ق س ، ٢٤٧ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5828 A.2917/2

المجلد الثالث : يتناول حوادث ٦٨-١٢٠هـ

اوله : ذكر وقعة الخازر ...

ن ق س ، ٢٨٢ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5829 A.2917/3

المجلد الرابع : يتناول حوادث ١٢٤ - ١٥٠هـ

اوله : ذكر رجال هذه الطبقة على الحروف ..

ن ق س ، ٢٥١ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5830 A.2917/4

المجلد الخامس : يتناول حوادث ١٥٠-٢٠٠هـ

اوله : بقية الطبقة ...

ن ق س ، ٣٠٧ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5831 A.2917/5

المجلد السادس : اوله : اسمعيل بن ابراهيم .. الاسدي ...

ن ق س ، ٢٨٥ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5832 A.2917/6

المجلد السابع : يتناول وفيات سنة ٢٣٢هـ .

ن ق س ، ٢٩٤ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5833 A.2917/7

المجلد الثامن : يتناول وفيات سنة ٢٦٢هـ .

اوله : الطبقة السابعة والعشرون .

ن ق س ، ٣١٦ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5834 A.2917/8

المجلد التاسع : يتناول وفيات سنوات ٣٠٠ - ٥٠٠هـ .

أوله : الطبقة الحادية والثلثون المتوفون سنة احدى وثلثمائة ...

ن ق س ، ٢٥٧ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5835 A.2917/9

المجلد العاشر : من ٣٣١ – ٤١٦هـ .

أوله : الطبقة السادسة والثلاثـون احـدى وخمسين وثلاثمائة ...

٢٥×٥ر١٦ سم ، ٣١٨ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5836 A.2917/10

المجلد (١١) : يتناول سنوات ٤١٦ – ٤٧٨هـ

أوله : علي بن عبدالله ابو القاسم ...

٢٥×١٦سم ، ٣٠٠ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١١ سم .

رقمها 5837 A.2917/11

المجلد (١٢) : يتناول ٤٧٨ – ٥٢٤هـ .

أوله : علي بن محمد ابو الحسن الغزنوي...

٢ر٢٥×١٦ سم ، ٢٨٦ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١١ سم .

رقمها 5838 A.2917/12

المجلد (١٣) : يتناول ٥٢٥ – ٥٦٤هـ .

أوله : محمد بن عبدالله بن تومرت بن عبدالله.

٥ر٢٤×٤ر١٦ سم ، ٢٩٨ ورقة . ع س ٢٧، ط س ١٢ سم .

رقمها 5839 A.2917/13

المجلد (١٤) : يتناول ٥٦٥–٦٠٠هـ .

أوله : احمد بن صالح بن سام بن طاهر ابو الفضل ...

٢٥×١٦ سم ، ٢٨٢ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5840 A.2917/14

المجلد (١٥) : يتناول ٦٠١ – ٦٧٠هـ .

أوله : القرن الرابع وما جرى فيـه مـن الحوادث الكبار من كلام ابن الجوزي وغيره الطبقة الحادية والثلاثون سنة احدى وثلثمائة ...

٢٥×١٧ سم ، ٣٤٩ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5841 A.2917/15

المجلد (١٦) : أوله : الطبقة الحادى (كذا) والستون سنة احدى وستمائة احمد بن سالم بن أبي عبدالله ابو العباس المقدسي ...

٢٥×٣ر١٦ سم ، ٢٧٥ ورقة . ع س ٢٤ ، ط س ٥ر١١ سم .

رقمها 5842 A.2917/16

المجلد (١٧) : أوله : احمد بن ابي الفتح احمد بن موسى الشريف ابو العباس الجعفري البغدادي.

٣ر٢٥×٥ر١٦ ، ٢٩٤ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١٣ سم .

رقمها 5843 A.2917/17

المجلد (١٨) : أوله : سنة ثمان واربعـين وستمائة ... احمد بن محمد بن عبدالعزيز بـن الحسين بن عبدالله ...

٢٥×٥ر١٦سم ، ٢٧٥ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ٥ر١٢ سم .

رقمها 5844 A.2917/18

النسخ الاخرى من الكتاب :

المجلد الاول : أوله : قال الشيخ ... شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان الذهبي الحمد لله الباقي بعد فناء خلقه الكافي ...

بخط : محمد بن هبة الله بن عبدالرحمن في دمشق سنة ٧٣٧هـ ١٣٣٦م .

٢٦×٥ر١٨ سم ، ٢٩٧ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١٢ سم .

رقمها : 5845 A.2917/b.1

المجلد الثاني : أوله : خلافة الصديق رضي الله عنه ... قال هشام بن عـروة عن أبيـه عن عايشه ..

بخط نفس الناسخ في دمشق سنة ٧٣٧هـ ١٣٣٦م .

٢٦×١٨ سم ، ٣١٢ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ٥ر١٢ سم .

رقمها 5846 A.2917/b.2

المجلد الثالث : أوله : الطبقة الثانية عشر ذكر سنة احدى عشرة ومائة ...

٢٦×٥ر١٨ سم ، ٣٠٢ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ٥ر١٢ سم .

رقمها 5847 A2917/b.3

المجلد الرابع : أوله : الطبقـة الحاديـة والعشرون سنة احدى ومائتين ...

٢٦×٥ر١٨ سم ، ٣٢٧ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١٤ سم .

رقمها 5848 A.2917/b.4

المجلد الخامس : اوله : سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة ...

٢٦ر٥×١٨ر٥ سم ، ٢٩٧ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١٤ سم .

رقمها 5849 A.2917/b.5

مختصر تاريخ الاسلام

لمحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ ١٣٤٨م) . وهو مختصر كتابه الكبير تاريخ الاسلام من صنع المؤلف نفسه . يتناول الاحداث من البداية حتى ٨١٦هـ .

أوله : الحمد لله العلي الكبير على الحمد له فانه نعم المولى ونعم النصير ...

٢٧ر٣×١٨ سم ، ٣٧٣ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١٣ سم .

رقمها 5850 A.2918

راجع بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٤٥ .

تتمة المختصر في اخبار البشر

لابي حفص بن المظفر بن عمر القرشي البكري المعري زين‌الدين ابن الوردي (ت ٧٤٩هـ ١٣٤٩م) . وهو تتمة كتاب ابي الفداء الآنف الذكر .

أوله : الحمد لله المنفرد بالبقاء والقدم المنزه عن الفناء والعدم ... بخط ابي بكر بن احمد سنة ٨٦٩هـ ١٣٤٨م .

٢٧ر٥×١٧ر٥ سم ، ٢٧٩ ورقة . ع س ٢٥ .

رقمها : 5851 A.2961

راجع : بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ١٧٥ .

الجزء الثاني من كتاب المعرفة والتاريخ

لابي يوسف يعقوب بن سفيان الفسوى (ت حوالي سنة ٧٥٠هـ ١٣٥٠م) . كتبه بالاسناد الى رواية أبي محمد عبدالله بن جعفر بن درستويه (ت ٣٤٦هـ ٩٥٦م) .

أوله : أخبرنا ابو الحسين محمد بن الحسين ابن الفضل القطان ببغداد ...

راجع عن التراجم : بروكلمان ، الذيل ، ١ : ١٧٤ ، الجزء الثالث من هذا الكتاب ضمن مجموعة أسعد افندي رقمه (٢٣٩١) .

يرجح انها نسخت في القرن ٨هـ ١٤م .

٢٧ر٥×١٨ر٥ سم ، ٢٤٤ ورقه . ع س ٢١ ، ط س ١١ر٥ سم .

رقمها 5852 R.1554

عيون التواريخ

لمحمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ ١٣٣٦م) .

المجلد الاول : من بداية الاسلام حتى وفاة النبي .

أوله : الحمد لله الذي منحنا مزيد الاحسان وخصص بالنطق والهداية نوع الانسان ... بخط المؤلف .

٢١ر٥×١٥ر٥ سم ، ١٧٧ ورقه . ع س ١٩ ، ط س ١١ سم .

رقمها 5853 A.2922/1

المجلد الثاني : من خلافة ابي بكر حتى سنة ٥٣هـ .

اوله : قال سيف‌الدين بن عمر عن سهل بن يوسف عن عمرو بن يحيى ...

ن ق س ، ١٧١ ورقه . ن ع س ط .

رقمها 5854 A.2922/2

المجلد الثالث : يتناول حوادث ٥٤ــ٩٥ هـ .

اوله : السنة الرابعة والخمسون فيها عزل معاويه سعيد بن العاص عن المدينة ...

ن ق س ، ١٧٤ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5855 A.2922/3

المجلد الرابع : يتناول حوادث ٩٦ــ١٢٠هـ .

اوله : السنة السادسة والتسعون فيها تكامل بناء جامع الاموي بدمشق ...

ن ق س ، ١٦٨ ورقه . ن ع س ط .

رقمها 5856 A.2922/4

المجلد السادس : يتناول حوادث ١٤٤ ــ ١٨٥ هـ .

اوله : ثم دخلت سنة اربع واربعين ومائة فيها قدم محمد المهدي على أبيه ...

ن ق س ، ١٧٦ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5857 A.2922/6

المجلد السابع : يتناول حوادث ١٨٦ــ٢١٧هـ

اوله : ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائة فيها خرج علي عيسى بن ماهان في مرو ...

ن ق س ، ١٧٥ ورقه . ن ع س ط .

رقمها 5858 A.2922/7

المجلد العاشر : يتناول حوادث ٢٩٧ــ٣٣٧هـ

اوله : السنة السابعة والتسعون بعد المائتين فيها غزا القاسم بن ...

ن ق س ، ١٧١ ورقه . ن ع س ط .

رقمها 5859 A.2922/10

المجلد (١١) : يتناول ٣٣٨-٣٧٢هـ .

اوله : السنة الثامنة والثلثون والثلثمائة في ربيع الاول فيها وقعت فتنة بين الشيعة واهل السنة ...

ن ق س ، ١٧٤ ورقه . ن ع س ط .

رقمها 5860 A.2922/11

المجلد (١٢) : يتناول حوادث ٥٠٥-٥٤٠هـ .

اوله : السنة الخامسة والخمسمائة فيها بعث السلطان غياث الدين محمد جيشا كثيفا ...

ن ق س ، ١٧٩ ورقه . ن ع س ط .

رقمها : 5861 A.2922/12

المجلد (١٧) : يتناول حوادث ٥٤١-٥٦٩هـ.

اوله : ذكر من توفي في هذه السنة [من] الاعيان وهي السنة الحاديةوالاربعون والخمسمائه.

ن ق س ، ١٦٧ ورقه . ن ع س ط .

رقمها 5862 A.2922/17

المجلد (٢١) : يتناول حوادث ٦٧١-٦٨٧هـ .

اوله : السنة الحادية والسبعين والستمائة استهلت هذه السنة والخليفة والملوك على القاعدة المستقرة ...

ن ق س ، ١٦٥ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5863 A.2934

المجلد (٢٢) : يتناول حوادث ٦٨٨-٧٣٠هـ .

أوله : السنة الثامنة والثمانون والستمائة استهلت هذه السنة وخليفة المسلمين الحاكم بأمر الله ...

ن ق س ، ١٧٣ ورقه . ن ع س ط .

رقمها 5864 A.2922/22

المجلد (٢٤) : يتناول حوادث ٧٣١-٧٥٩هـ.

ن ق س ، ١٥٠ ورقه . ن ع س ط .

رقمها 5865 A.2922/24

المجلد الثاني من تاريخ اليافعي المسمى بمرآت الجنان

لعفيف الدين عبدالله بن اسعد بن علي بن سليمان اليافعي (ت ٧٦٨هـ ١٣٦٧م) . يتناول الحوادث حتى سنة ٤٠١هـ .

أوله : سنة احدى واربع مائة فيها اقام صاحب الموصل الدعوة ببلده للحاكم احد خلفاء الباطنية ...

بخط : محمد بن سالم بن صلاح سنة ٨٧٤هـ ١٤٦٩ .

٢٧،٥ x ١٨،٥ سم ، ٣٢٤ ورقة . ع س ٢٧ ، ط س ١٣ سم .

رقمها 5866 A.2970

راجع : بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٢٢٨ (١٣) ، كشف الظنون ١٦٤٧ .

البداية والنهاية :

لابي الفدا اسماعيل بن عمر بن كثير عمادالدين ابن الخطيب القرشي (ت ٧٧٤هـ ١٣٧٣م) .

المجلد الاول : من بدء الخليفة حتى قصص بني اسرائيل .

اوله : الحمد لله الاول الاخر الباطن الظاهر .

تاريخها ٨٤٠هـ ١٤٣٧م .

١٨،٥ x ١٣،٥ سم ، ٢٥٢ ورقه . ع س ١٧، ط س ٩ .

رقمها : 5867 A.2923

راجع : بروكلمان ، الذيل ٢ : ٤٨ (١) .

المجلد الثاني : اوله : كتاب اخبار العرب قيل ان جميع العرب المنتسبون الى اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام ...

يرجح انها نسخت في القرن ٩هـ ١٥م .

٢٧ x ١٩ سم ، ٢٩٢ ورقة . ع س ٢٣ ، ط س ١٣ سم .

رقمها 5868 K.884

المجلد الثامن : يتناول حوادث ١٦-٤٠هـ .

اوله : ذكر فتح المداين التي هي مستقر مملكة الاكاسرة ...

تاريخها ٨٤٠هـ ١٤٣٧م .

١٨ x ١٣،٥سم ، ٢٤٩ ورقة . ع س ١٧ ، ط س ١٣ سم .

رقمها 5869 A.2923/a.8

المجلد العاشر : يتناول حوادث ٦٣-٩٤هـ .

أوله : وممن توفى فيها عبدالمطلب بن ربيعة ابن الحارث .

تاريخها : ٨٤٢هـ ١٤٣٨م .

١٨ × ٥ر١٣ سم ، ٢٤٥ ورقه . ع س ١٧ .

رقمها 5870 A.2923/a.10

المجلد الرابع : اوله : فصل في اسلام عمر ابن العاص وخالد بن الوليد ...

بخط : يوسف بن حسن بدرالدين عبدالهادي سنة ٨٦٨هـ ١٤٦٤م . رديئة الكتابة .

٥ر٢٧ × ٥ر١٨ سم ، ٢٢٩ ورقـــه . ع س مختلف ، ط س ١٧ سم .

رقمها 5871 A.2923/b.4

المجلد الخامس : اوله : فصل ومما يتعـــلق بالآيات السماوية في باب دلائل النبوة ...

بخط نفس الناسخ .

رديئة الكتابة .

٥ر٢٧ × ٥ر١٨ سم ، ٢١٨ ورقـــه . ع س مختلف . ط س ١٧ سم .

رقمها 5872/2923/b.5

المجلد السادس : يتناول حوادث ٣٥ـ٥٠هـ .

اوله : خلافة امير المؤمنين علي بن ابي طالب .

يرجح انها نسخت في القرن ٩هـ ١٥م .

٥ر٢٧ × ١٨٥ سم ، ١٩١ ورقة . ع س ٢٧ ، ط س ٥ر١٣ سم .

رقمها 5873 A.2923/b.6

المجلد السابع : يتناول حوادث ٣٤ـ٦٣م .

اوله : ثم دخلت سنة اربع وثلاثين ... قال ابو معشر فيها كانت غزوة الصواري ...

نقلت عن النسخة الاصلية ســـنة ٨٧١هـ ١٤٦٦م .

٣ر٢٧ × ١٨ سم ، ٣٠٠ ورقة . ع س ٢١ ، ط س ٥ر١٣ سم .

رقمها 5874 A.2923/c.7

المجلد الثامن : يتناول حوادث ٦٤ـ١٠١هـ .

اوله : امارة عبدالله بن زبير وعند ابن حزم وطائفة انه امير المؤمنين في هذا الحين ...

بخط يوسف بن ابراهيم سنة ٨٧٠هـ ١٤٦٥م

٢٧ × ١٨ سم ، ٢٥٤ ورقة . ع س ٢٣ ، ١٣سم .

رقمها 5875 A.2923/c.8

المجلد الرابع : يتناول تاريخ الانبياء

أوله : كتاب جامع الاخبار (كذا) الإن...اء المتقدمين ...

بخط احمد بن علوي بن حمزة .

٥ر٢١ × ٥ر١٥ سم ، ٢٤٠ ورقة . ع س ١٧ ، ط س ١١ سم .

رقمها 5876 A.2923/d.4

المجلد الخامس : يتناول قســما من تاريـخ السيرة النبوية .

اوله : وقد قال الإمام احمد ...

٥ر١٧ × ٥ر٢٦ سم ، ٢٧٤ ورقة . ع س ٢٣، ط س ١٣ سم .

رقمها 5877 A.2923/I.5

المجلد السادس : يتناول السيرة النبوية .

اوله : سنة احدى عشر من الهجرة ...

٢٦ × ٥ر١٧ سم ، ٢٣٠ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١٣ سم .

رقمها 5878 A.2923/f.6

المجلد الاول : من بدء الخليقة حتى النبي يحيى

اوله : الحمد لله الاول والآخر .

٣ر٢٧ × ١٨سم ، ٢٤١ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١٤ سم .

رقمها 5879 A.2923/g.1

المجلد الاول : من البداية حتى نهاية تاريخ الانبياء .

بخط محمد بن ابراهيم بن محمد الدمشقي سنة ٧٧٢هـ ١٣٧٠م .

٥ر٢٥ × ١٨ سم ، ٣٠٧ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١٢ سم .

رقمها : 5880 A.2923/hl

المجلدان الاول والثاني :

٥ر٢٥ × ٥ر١٧ سم ، ٢٦٧ ورقة . ع س ٣٥، ط س ٥ر١٥ سم .

رقمها : 5881 A.2923/I1-2

مجلد آخر يحوي اجزاء مختلفة من تاريـخ ابن كثير .

٥ر٢٧ × ١٨ سم ، ٣١٤ ورقة . ع س ٢٣ ، ط س ٥ر١٣ سم .

رقمها 5882 A.2923/J.1

مقدمة تاريخ ابن خلدون ــ العبر وديوان المبتدا والخبر

لعبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون الاشبيلي (ت ٨٠٨هـ ١٤٠٥م) .

المجلد الاول : أوله : يقول العبد الفقير عبد الرحمن بن محمد بن خلدون .. الحمد الذي (كذا) له العزة والجبروت ...

٢٦ر٥×١٨ر٥ سم ، ٢٩٧ ورقة . ع س ٢٥، ط س ١٤ سم .

رقمها 5883 A.3042

مجلد من تاريخ ابن خلدون يتناول تاريخ الامويين والخلفاء المنسوبين في مصر بعد انقراض الخلافة في بغداد .

٣١ر٥×٢٢ سم ، ٢٣١ ورقة . ع س ٣٥ ، ط س ١٥ر٥ سم .

رقمها 5884 A.3042/b.1

مجلد آخر منه يتناول حكام افريقيا والاناضول (بلاد الروم) .

ن ق س ، ١٩٧ ورقه . ن ع س ط .

رقمها 5885 A.3042/b.1a

(الظاهري) في العبر والعجم والبربر

لابي زيد عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون الاشبيلي (ت ٨٠٨هـ ١٤٠٥م) وهو تاريخه الموسوم بالعبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر واسم الكتاب محرف واضيف اليه اسم الظاهري .

المجلد الثالث : أوله : الكتاب الثاني في أخبار العرب وأجيالهم ودولهم منذ مبدأ الخليفة الى هذه العهد ...

يرجح انها نسخت في القرن ١٠هـ ١٦م .

٢٧×١٨ر٥ سم ، ٤٣٥ ورقة . ع س ٢١ ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5886 A.2924/3-4

راجع بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٣٤٣ .

ومنه مجلد يضم الجزئين الثالث والرابع يبحث عن الطبقة الرابعة من العرب المسماة بالعرب المستعجمة ودخول بني هلال الى المغرب الاقصى واحوال البربر ورؤساء بني ثابت في طرابلس .

الجزء الثالث منه يتناول تاريخ العرب والبابليين والنبطيين والسريان والقبط وبني اسرائيل والفرس وملوك الطوائف واليونان والروم.

والجزء الرابع منه يتناول الطبقة الرابعة من العرب وانسابهم من ظهور الاسلام حتى شهادة علي.

ن ق س ، ١٩٩ ورقة . ن ع س ط .

رقمها : 5887 A.3042/3

ومجلد آخر يضم الجزئين الخامس والسادس

الجزء الخامس : يتناول حوادث ٤١ (٦٦١)ــ ٢٤٧هـ (٨٦١م) .

أوله : الخبر عن الدولة الاسلامية ...

الجزء السادس : يتناول حوادث ٢٤٧ (٨٦١) ــ ٦٥٩هـ (١٢٦١م) .

٢٧×١٨ر٥سم ، ٤٢٦ ورقة . ع س ٢١ ، ط ١٢ سم .

رقمها 5888 A.2924/5-6

ومجلد آخر يضم الجزئين السابع والثامن :

الجزء السابع : أوله : اخبار الدولة العلوية المزاحمة لدولة بني العباس ...

الجزء الثامن : أوله : الخبر عن ملوك العجم القائمين بالدعوة العباسية في ممالك الاسلام المستبدين على الخلفاء ...

ن ق س ، ٥٠٥ ورقة . ع س ٢١ ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5889 A.2924/7-8

ومجلد آخر يضم الجزئين التاسع والعاشر

الجزء التاسع : أوله : الخبر عن دولة السلجوقية من الترك المستولين على ممالك الاسلام ...

الجزء العاشر : أوله : الخبر عن دولة بني ايوب القائمين بالدعوة العباسية وما كان لهم من الملك بمصر والشام واليمن والمغرب ...

ن ق س ، ٤٥١ ورقة . ن ع س ط .

رقمها : 5890 A.2924/9-10

ومجلد آخر يضم الجزئين (١١ ــ ١٢) :

الجزء (١١) : أوله : الطبقة الرابعة من العرب وهم العرب المستعجمة ...

الجزء (١٢) : أوله : الخبر على أهل جبال درن بالمغرب الاقصى ...

ن ق س ، ٣٧٢ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5891 A.2924/11-12

ومجلد آخر يضم الجزئين (١٣ ـ ١٤) :

الجزء (١٣) : اوله : الخبر عن زناته من قبائل البربر ...

الجزء ١٤) : اوله : الخبر عن بني مدين وانسابهم وشعوبهم ...

ن ق س ، ٣٨١ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5892 A.2924/13-14

الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين

لابراهيم بن محمد بن دقماق صارم الدين المصري (ت ٨٠٩هـ ١٤٠٧م) .

اوله : السنة الاولى من الهجرة ... قدم صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين من شهر ربيع الاول ...

تاريخها : ٨٧٣هـ ١٤٦٨م .

٣ر٢٧×١٨ سم ، ١٣٠ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١١ سم .

رقمها 5893 A.2903

راجع : بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٥٠ (٢) .

روضة المناظر في اخبار الاوائل والاواخر

لابي الوليد محمد بن كمال الدين محمد بن محمود بن شحنه الحلبي (ت ٨١٥هـ ١٤١٢م) يتناول التاريخ العام من آدم حتى سنة ٨٠٦هـ .

اوله : لله الذي احسن كل شيء خلقه وبدا خلق ...

بخط محمد بن عبدالرحمن بن حبيب سنة ٩٨٦هـ ١٥٧٨م .

٥ر١٦×٥ر١٠ سم ، ٢١٦ ورقة . ع س ١٧ ، ط س ٥ر٥ سم .

رقمها 5894 H.1602

راجع : بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ١٧٧ (١٢) .

تاريخ الشهابي والقمر المنير :

لابي القاسم شهاب الدين احمد بن احمد بن موسى العينتابي . ويبدو ان المؤلف هو شقيق العينتابي العيني صاحب كتاب عقد الجمان [الجمان] . ولم يصلنا من تاريخ الشهابي غير الاجزاء ، (٢ ، ٣ ، ٦) . وهي نسخ فريدة .

المجلد الثاني : يتناول حتى فتح الشام .

اوله : فصل في قصة هجرة من هاجر من اصحاب رسول الله ...

بخط المؤلف سنة ٨٣٤هـ ١٤٣١م .

٢٨×٥ر١٨سم ، ١٨٦ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١٤ سم .

رقمها 5895 A.2952/2

المجلد الثالث : اوله : ذكر فتح دمشق اعلم انا نذكر أولا ما ذكره الواقدي ...

آخره : عدم الكعبة وبنائها شرفها الله تعالى في ايام ابن الزبير ...

بخط المؤلف سنة ٨٣٣هـ ١٤٣٠م .

ن ق س ، ١٨٨ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5896 A.2952/3

المجلد السادس : يتناول الحوادث حتى سنة ٥٧٠هـ ونهايته ناقصة .

اوله : فصل فيما وقع من الحوادث في السنة السابعة والعشرين بعد الاربعمائة ... نفس تاريخ النسخ .

ن ق س ، ١٤٠ ورقة ، ن ع س ط .

رقمها 5897 A.2925/6

مختصر اسلام تاريخي (مختصر تاريخ الاسلام)

لمؤلف مجهول وقد سقط عنوانه ، يتناول وباختصار التاريخ الاسلامي مبتدئا بمولد النبي والخلفاء الراشدين والامويين والعباسيين ثم المماليك في مصر حتى الملك الظاهر سيف الدين جقماق الى سنة ٨٤٢هـ ١٤٣٨م .

اوله : ذكر مولد النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل الاختصار ...

نسخ لسيفي خاير (من امراء مصر) سنة ٩١١هـ ١٥٠٥م .

٥ر٢٧×٥ر١٨ سم ، ١٢٤ ورقة . ع س ١٥ ، ط س ١٣ سم .

رقمها 5898 A.2970

كتاب الخبر عن البشر :

لابي عباس احمد بن علي بن عبدالقادر تقي الدين المقريزي (ت ٨٤٥هـ ١٤٤٢م) المجلد الاول :
اوله : الحمد لله الذي احسن كل شيء خلقه وبداء خلق الانسان من طين ...

يرجح انها نسخت في القرن ٩هـ ١٥م .
٢٧،٥×١٨،٥ سم ، ٢٠٣ ورقة . ع س ٢٧ ، ط س ١٣ سم .
رقمها 5899 A.2926/1
راجع : بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٣٧ (١٠) .
المجلد الثاني : اوله : فصل في ذكر التبابعة ملوك يمن ...
تاريخها : ٨٩٢هـ ١٤٣٧م
ن ق س ، ١٩٨ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5900 A.2926/2
المجلد الثالث : اوله : ذكر بني عدنان وانسابهم وتوابعهم وما كان لهم من الدولة والملك ..
ن ق س ، ٢٢٠ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5901 A.2926/3
المجلد الرابع : اوله : ذكر ايام الفجار الفجار بكسر الفا بمعنى المفاخرة كالقتال ...
بخط عمر بن عبدالله بن محمد المنظوري
ن ق س ، ١٦٨ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5902 A.2926/4
المجلد الخامس : اوله : ذكر مقتل زهير بن جذيمة وخالد بن جعفر بن كلاب والحرث بن ظالم المرى ...
ن ق س ، ١٨٣ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5903 A.2926/5
المجلد السادس : اوله : قال في صحاح الجوهري والنبأ الخبر تقول نبأ ونبأ وانبأ أي اخبر ...
ن ق س ، ٢٤٢ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5904 A.2926/6
وهناك مجلد آخر يكدن الجزء الثالث من هذا التاريخ .
بخط عمر بن عبدالله بن محمدالمنظراوي سنة ٨٩٤هـ ١٤٨٩م .
٢٦،٥×١٨ سم ، ٢١٩ ورقة . ع س ٢٧ ، ط س ١٢،٥ سم .
رقمها 5905 R.1561

السلوك لمعرفة دول الملوك :

تقي الدين احمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥هـ ١٤٤١م) . يتناول الحوادث الواقعة بين سنتي ٥٧٧–٨٤٤هـ .
المجلد الاول : يتناول حوادث ٥٧٧ – ٧١٠هـ .
أوله : قل اللهم مالك الملك يؤتي الملك من يشاء ...
تاريخها ٨٨٣هـ ١٤٧٨م .
٢٧،٥×١٨ سم ، ٢٩٨ ورقة . ع س ٢٧ ، ط س ١٣ سم .
رقمها 5906 A.2928/1
راجع : بروكلمان ، الذيل ٢ : ٣٦ ، كشف الظنون ، ١٠٠٠ .
المجلد الثاني : يتناول وقائع ٧١١ – ٧٦١هـ .
أوله : سنة احدى عشرة وسبعمائة مستهل المحرم وصل الامير ارغون الدوادار الى دمشق ...
تاريخها ٨٨٨هـ ١٤٨٣م .
ن ق س ، ٢٦٧ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5907 A.2928/2
المجلد الثالث : يتناول احداث ٧٦٢ – ٨١٠هـ
أوله : سنة اثنتين وستين وسبع مائة اهلت والامراض بالبارده فاشية في الناس .
ن ق س ، ٢٩١ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5908 A.2928/3
المجلد الرابع : يتناول حوادث ٨١١ – ٨٤٤هـ
أوله : سنة احدى عشرة وثماني مائة أهلت والامير نوروز مستولى على البلاد الشامية ..
ن ق س ، ٢٥٠ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5909 A.2928/4
وهناك مجلد آخر من الكتاب يتناول حوادث ٧٤٠ – ٧٨٣هـ .
بخط عبدالقادر بن حسن بن زين‌الدين سنة ٩٥٠هـ ١٥٤٣م .
٢٧×١٨سم ، ٣٥٧ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١٢ سم .
رقمها 5910 H. 1431
ومنه نسخ اخرى :
المجلد الاول : بخط ابي الفضل الاعرج سنة ٨٧٩هـ ١٤٧٤م .

٣١×٢١ سم ، ٣٩٧ ورقة . ع س ١٣ ، ط س ١٣ سم
رقمها 5911 K.905

المجلد العاشر : تاريخ نسخه ٨٣٩هـ ١٤٣٥م ٣١×٢١سم ، ٣٦٢ ورقة . ع س ١٣ ، ط س-سم
رقمها 5912 K.90

التبر المسبوك في ذيل السلوك

لمحمد شمس الدين بن عبدالرحمن السنحاوي (ت ٩٠٢هـ ١٤٩٦م) ذيله على كتاب السلوك .

المجلد الثاني : يتناول وقائع ٨٥١ – ٨٥٧هـ .

اوله : سنة احدى وخمسين وثماني مائة استهلت واكثر من سبق على حاله الا الشافعي ...

بخط ابي الفضل الاعرج السنباطي ٨٨٠هـ ١٤٧٥م .

٣٠٫٥×٢١سم ، ٢٨٨ ورقة . ع س ١٣ ، ط س ١٣٫٥ سم .
رقمها 5913 K.1008

انباء الغمر بابناء العمر

لشهاب الدين بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ ١٤٤٩) وهو تاريخه الذي يتناول حوادث ٧٧٣ – ٨٤٩م .

المجلد الاول : الحمد لله الباقي وكل مخلوق يفنى الواقي ولو اعرض عبده لما استغنى ...

تاريخها ٨٨٠هـ ١٤٧٥م .

٢٦٫٥×١٨٫٥ ، ١٨٧ ورقة . ع س ٢٩ ، ط س ١٣ سم .
رقمها 5914 A.2941/1
راجع بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٧٤ (٤١) .

المجلد الثاني : اوله : سنة اثنتى عشرة وثماني مائة ...

نفس تاريخ النسخ .

ن ق س ، ١٩٨ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5915/A.2941/2

ومنه نسخ اخرى :

المجلد الاول : ٢٧٫٥×١٨٫٥ سم ، ٢٧٧ ورقة ع س ٣١ ، ط س ١٢ سم
رقمها 5916 A.2942/1

المجلد الثاني : ن ق س ، ٢٧٥ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5917 A.2942/2

المجلد الاول : بخط عمر بن عبدالله المنظراوي سنة ٨٦٨هـ ١٤٦٤م .

٢٦٫٥×١٧٫٥ سم ، ٢٣٩ ورقة . ع س ٢٧ ، ط س ١٢٫٥ سم .
رقمها 5918 M.522

المجلد الثاني : ٢٦٫٥×١٧٫٥ سم ، ٢٣٦ ورقة ن ع س ط .
رقمها 5919 M.523

عقد الجمان في تاريخ الزمان :

لابي محمد ابي الثناء محمود بن احمد بن موسى بن احمد بن حسين بن يوسف بدر الدين العيني العينتابي (ت ٨٥٥هـ ١٤٥١م) .

المجلد الاول : يتناول الحوادث من الخليقة حتى قصة أصحاب الرس .

اوله : الحمد لله الذي دلت على الوهيته الكائنات وعلا وحدانيته اختلاف الليل والنهار ...

بخط المؤلف سنة ٨٢٥هـ ١٤٢٢م .

٢٧٫٥×١٨ سم ، ٢٣١ ورقة . ع س ٣١ ، ط س ١٢٫٥ سم .
رقمها 5920 A.2911/a.1
راجع بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٥١ .

المجلد الثاني : من قصة ابراهيم حتى قريش

اوله : فصل في قصة ابراهيم الخليل ...

بخط المؤلف سنة ٨٢٥هـ ١٤٥٣م .

ن ق س ، ٢٣٨ ورقة . ع س ٣١ ، ط س ١٢٫٥ سم .
رقمها 5921 A.2911/a.2

المجلد الثالث : من ايام الفترة الى الباب الرابع .

اوله : فصل فيمن كان في ايام الفترة وقبل البعثة واوائلها ...

بخط المؤلف سنة ٨٢٥هـ ١٤٢٣م .

ن ق س ، ٢٩٧ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5922 A.2911/a.3

المجلد السادس : يتناول وقائع ٦١ ـ ٩٥هـ .
أوله : فصل فيما وقع من الحوادث في السنة الحادية والستين ...
بخط المؤلف سنة ٨٢٨هـ ١٤٢٥م .
ن ق س ، ٢٢٩ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5923 A.2911/b.6

المجلد السابع : يتناول وقائع ٩٦ ـ ١٥٠هـ .
أوله : فصل فيما وقع من الحوادث في السنة السادسة والتسعين ...
ن ق س ، ٢٢٩ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5924 A.2911/b.7

المجلد الثامن : يتناول حوادث ١٥١ ـ ٢٥٥هـ
اوله : فصل فيما وقع من الحوادث في السنة الحادية والخمسين بعد المائة ...
بخط المؤلف سنة ٨٣هـ ١٤٢٧م .
ن ق س ، ٢١٨ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5925 A.2911/a.8

المجلد التاسع : يتناول احداث ٢٢٦ ـ ٣٣٠هـ
اوله : فصل فيما وقع من الحوادث في السنة السادسة والعشرين بعد المائتين ...
بخط المؤلف في نفس السنة السابقة .
ن ق س ، ٢٣٣ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5926 A.2911/a.11

المجلد العاشر : يتناول حوادث ٣٣١ ـ ٤٣٠هـ
اوله : فصل فيما وقع من الحوادث في السنة الحادية والثلاثين بعد الثلثمائة ...
بخط المؤلف سنة ٨٣١هـ ١٤٢٨م .
ن ق س ، ٢٢٨ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5927 A.2911/a.10

المجلد (١٢) : يتناول حوادث ٥٢١ـ٥٧٨هـ .
اوله : فصل فيما وقع من الحوادث في السنة الحادية والعشرين بعد الخمسمائة ...
بخط المؤلف سنة ٨٣١هـ ١٤٢٨م .
ن ق س ، ٢٢٧ ورقة . ن ع س ط .
رقمها . 5928 A.2911/a.12

المجلد (١٧) : يتناول وقائع ٧٢٥ـ٧٤٥هـ .
أوله : فصل فيما وقع من الحوادث في السنة الخامسة والعشرين بعد السبعمائة ...
ن ق س ، ١٨٧ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5929 A.2911/a.17

المجلد (١٨) : يتناول حوادث ٧٢٧ـ٨٣٥هـ .
أوله : وفي السنة السابعة والعشرين بعد السبعمائة ...
ن ق س ، ٢١٧ ورقة . ع س ٣١ ، ط س ١٢ سم .
رقمها 5930 A.2911/a.18

المجلد (١٩) : يتناول وقائع ٧٩٩ـ٨٤٩هـ .
اوله : فصل فيما وقع من الحوادث في السنة التاسعة والتسعين بعد السبعمائة ...
ن ق س ، ٢٤٩ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5931 A.2911/a.19

النسخ الاخرى من عقد الجمان :

المجلد الثاني : يتناول حوادث ٩٥ـ٥٢٠هـ .
اوله : وفي السنة الخامسة والتسعين ...
٢٧٫٥×١٨ سم ، ٢٣٣ ورقة . ع س ٣١ ، ط س ١٢٫٥ سم .
رقمها 5932 A.2911/b.2

المجلد الاول : من الخليقة حتى الفصل التاسع والعشرين من بحث السودان ...
اوله : الحمد لله الذي دلت على الوهيتـه الكائنات ...
٢٧×١٨٫٥ سم ، ٢٥١ ورقة . ع س ١٩ ، ط س ١١ سم .
رقمها 5933 A.2911/c.1

المجلد الثاني : يتناول الوقائع من قصة ابراهيم حتى نهاية مبحث الانساب الشريفة للنبي .
اوله : فصل في قصة ابراهيم الخليل ع.س .
تاريخها ٨٩٦هـ ١٤٩٠م .
ن ق س ، ٢٧٤ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5934 A.2911/c.2

المجلد الثالث : من زمن الفترة حتى نهاية السنة الرابعة للهجرة .
أوله : فصل فيمن كان في ايام الفترة وقبل البعثة ...
ن ق س ، ٣٠٩ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5935 A.2911/c.3

المجلد الرابع : من خلافة أبي بكر الصديق حتى سنة ٢٣هـ .

أوله : ذكر خلافة أبي بكر الصديق ...

بخط محمد بن احمد بن احمد بن محمد الانصاري سنة ٨٩٣هـ ١٤٨٧م .

ن ق س ، ٣٠٩ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5936 A.2911/c.4

المجلد (١٣) : يتناول حوادث ٩٦ ـ ١٢٦هـ .

أوله : فصل فيما وقع من الحوادث في السنة السادسة والتسعين ...

ن ق س ، ٢٦٤ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5937 A.2911/c.13

المجلد (١٦) : يتناول حوادث ١٩٣ـ٢٢٦هـ .

أوله : فصل فيما وقع من الحوادث في السنة الثالثة والتسعين بعد المائة ...

ن ق س ، ٢٤٥ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5938 A.2911/c.16

المجلد (٢١) : يتناول حوادث ٤٣١ـ٤٨١هـ .

أوله : فصل فيما وقع من الحوادث في السنة الحادية والثلاثين بعد الاربع مائة ...

ن ق س ، ٢٤٥ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5939 A.2911/c.21

المجلد (٣٤) : يتناول وقائع ٧٣٦ـ٧٤٦هـ .

أوله : فصل فيما وقع من الحوادث في السنة السادسة والثلاثين بعد السبعمائة ...

ن ق س ، ٢٧٣ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5940 A.2911/c.34

المجلد الاول : يتناول الحوادث من الخليقة حتى سنة ١١ هـ . أول هذه النسخة لا يتفق مع أول النسخ الاخرى .

أوله : الحمد لله الذي انشأ جميع الموجودات من العدم ...

بخط المؤلف سنة ٧٩٩هـ ١٣٩٦م .

٢٧×١٨ سم ، ٢٨٢ ورقة . ع س ٣٠ ، ط س ١٣٫٥ سم .

رقمها 5941 A2911/d.1

المجلد الثاني : يتناول حوادث ١١ـ٦٦هـ .

أوله : فصل فيما وقع من الحوادث في السنة الحادية عشر من الهجرة ...

ن ق س ، ٢٩٩ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5942 A.2911/d.2

المجلد الثاني : بخط مصطفى بن محمد بن زكريا بن حسن العطار سنة ١١٤٣هـ ١٧٢٢م .

٢٢×١٦٫٥ سم ، ٣٠٧ ورقة . ع س ٣١ ، ط س ١٠ سم .

رقمها 5943 B.273

ونسخة اخرى من نفس المجلد بخط علي بن ابراهيم بن محمد سنة ١١٢٧هـ ١٧١٥م

٢٧٫٥×١٩٫٥ سم ، ٢٠٠ ورقة . ع س ٣١ ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5944 R.1557

المجلد الاول : يتناول ا لحوادث من للخليقة حتى ١٢هـ .

يرجح انها نسخت في القرن العاشر (١٦م) .

٣٢×٢١٫٥ سم ، ٥٦٤ ورقة . ع س ٣٥ ، ط س ١٣ سم .

رقمها 5945 A.2912/1

المجلد الثاني : يتناول حوادث ٢٢ ـ ٣٣٢هـ .

نسخت في نفس القرن .

ن ق س ، ٦٠٨ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5945 A.2912/2

المجلد الثالث : يتناول حوادث ٣٣٢ـ٦٢٣هـ .

نسخت في نفس القرن .

ن ق س ، ٥٣٠ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5947 A.2912/3

المجلد الرابع : يتناول حوادث ٦٢٤ ـ ٨٥٠هـ

نسخت في نفس القرن .

ن ق س ، ٥٨١ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5948 A.2912/4

المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي :

لابن تغرى بردى (ت ٨٧٤هـ ١٤٦٩م) الفه بعد الاستفادة من كتاب الوافي للصفدي . يتناول فيها تاريخ السلاطين والامراء .

وهذه النسخة كاملة ، تضم اجزاء الكتاب السبعة .

أوله : الحمد لله مدبر الدهور ومدور الاعمار والشهور .

يرجح انها نسخت في القرن التاسع للهجرة (١٥م) .

٣٠×١٧،٥ سم ، ٨٩٤ ورقة . ع س ٣١ ، ط س ١٠،٥ سم .

رقمها 5949 A.3018

راجع بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٤٠ (آ) .

مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة

لجمال‌الدين يوسف بن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ ١٤٦٩م) . وهو مختصر لتاريخ الاسلام .

اوله : الحمد لله الذي جعل الدول مؤيدة بالخلفاء الراشدين وجعل مددهم شاملا باقامة الملوك والسلاطين ...

يرجح انها نسخت في القرن التاسع للهجرة (١٥م) .

١٨،٣×١٣ سم ، ٢٤٣ ورقة . ع س ١٥ ، ط س ٩ سم .

رقمها 5950 A.3035

راجع بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٣٩ (٢) .

ومنه نسخة اخرى ، نسخت في القرن التاسع للهجرة (١٥م) .

٢٧×١٨،٥ سم ، ٨٤ ورقة . ع س ٢٩ ، ط س ١٢،٥ سم .

رقمها 5951 A.3036

واخرى ، يرجح انها نسخت في القرن ٩هـ ١٥م .

٢٧،٥×١٨ سم ، ١٥٠ ورقة . ع س ١٩ ، ط س ١٢،٣ سم .

رقمها : 5952 A.3038

تاريخ الخلفاء

لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ ١٥١٥م) .

اوله : اما بعد حمدا لله الذي وعد فوفى واوعد فنفى ...

نسخت في القرن ١١هـ ١٧م .

١٨×١٣ سم ، ١٨٤ ورقة . ع س ٢٣ ، ط س ٧،٥ سم .

رقمها 5953 H.1559

راجع : بروكلمان ، الذيل ٢ : ١٩٦ (٢٧٨) ، كشف الظنون ، ٢٣٩ .

ومنه نسخة اخرى نسخت في نفس القرن .

٢٠،٥×١١،٥ سم ، ٢٢١ ورقة . ع س ١٩ ، ط س ٦،٥ سم .

رقمها 5954 M.516

ونسخة اخرى ، تاريخها ٩٥٢هـ (١٥٤٥م) قوبلت على غيرها من النسخ سنة ٩٥٣هـ .

٢١×١٥،٥سم ، ١٣٦ ورقة . ع س ٢٧ ، ط س ١١،٥ سم .

رقمها 5955 R.1572

مجموع يضم :

١ ــ كتاب انساب العرب من آدم الى النبي ، المنسوب الى عبدالرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ ١٥٠٥م) .

اوله : اما بعد حمدا لله على تواتر نعمائه ...

٢ ــ تاريخ الخلفاء للسيوطي .

اوله : اما بعد حمدا لله الذي وعد فوفى واوعد فعفا ...

نسخ القسم الاولى منه في سنة ١٠٠٢هـ ١٥٩٣م .

٣٠×٢١سم ، ٢٣٤ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١٢،٥ سم .

رقمها 5956 R.1552

راجع : بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ١٩٦ (الوسط) .

تاريخ الخميس في احوال انفس النفيس :

لحسين بن محمد بن الحسن الديار بكري (ت ٩٩٠هـ ١٥٨٢م) . وهو تاريخ اسلامي يتناول الحوادث من البداية حتى سنة ٨٥٩هـ .

اوله : الحمد لله الذي خلق نور نبيه قبل كل اوائل ...

نسخت في القرن ١٠هـ ١٦م .

٢٩×١٥،٥ سم ، ٣٩٨ ورقة . ع س ٣٣ ، ط س ١٠،٥ سم .

رقمها 5957 A.3044

راجع : بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٥١٤ (١) .

ومنه نسخة اخرى ، تاريخها ١٠٠٨هـ ١٦٠٠م .

٣٢×٢١ سم ، ٣٩٨ ورقة . ع س ٣٩ ، ط س ١٢،٥ سم .

رقمها 5958 A.3045

ونسخة اخرى ، بخط فخرالدين بن يحيى سنة ١١٢٦هـ ١٧١٤م .

٣١×٥ر٢٠ سم ، ٣٦٣ ورقة . ع س ٣٣ ، ط س ٥ر١١ سم .

رقمها 5959 R.1652

تاريخ جنابي ـ العيلم الزاخر في احوال الاوائل والاواخر

لابي محمد مصطفى بن حسن بن سنان بن احمد الحسيني الهاشمي الجنابي الاماسي (ت ٩٩٩هـ ١٥٩٠م) . وهو تاريخ اسلامي عام ، كرست فصوله الاخيرة للسلاجقة والعثمانيين وملوك الطوائف . ويتناول الحوادث من البداية حتى ٩٨٦هـ .

اوله : اشرف كلام يتضوع نشره ورياه واحسن مقال يتفوح طيبه وشداه ...

تاريخها ١٠٠٨هـ ١٥٩٩م .

٥ر٣٠×١٨ سم ، ٧٠٩ ورقة . ع س ٣١ ، ط س ٧ر١٠ سم .

رقمها 5960 A.2958

راجع : بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٤١١ .

ومنه نسخة اخرى ، يرجح انها نسخت في القرن ١٠هـ ١٦م .

٢٥×١٨ سم ، ٣٠٦ ورقة . ع س ١٩ ، ط س ٥ر١١ سم .

رقمها 5961 A.2966

ونسخة اخرى ، تاريخها ٩٩٦هـ ١٥٨٨م .

٥ر٢٦×١٥ سم ، ٥١٩ ورقة ، ع س ٢٥ ، ط س ٢ر٨ سم .

رقمها 5962 R.1568

اخبار الدول وآثار الأول

لابي العباس احمد بن يوسف سنان بن احمد الدمشقي القرماني (ت ١٠١٩هـ ١٦١١م) . اختصر فيه تاريخ الجنابي وذيل عليه وقدم له وقد قسمه الى ٥٥ بابا .

اوله : الحمد لله عند تصاريف العبر وعند استماع التواريخ والسير ...

تاريخها ١١٢١هـ ١٧٠٩م .

٢٢×١٥ سم ، ٣٤٤ ورقة . ع س ٢٣ ، ط س ٥ر١١ سم .

رقمها 5963 K.886

راجع : بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٤١٢ ، كشف الظنون : ٢٦ .

ومنه نسخة اخرى بخط حميدي سنة ١٠٢٧هـ ١٦١٨م .

٥ر٢٩×٥ر٢٠ سم ، ١٨٩ ورقة . ع س ٣٣، ط س ١٣ سم .

رقمها 5964 R.1553

كشف الغمم عن اخبار الامم

لمحمد بن ابراهيم بن محمد بن ظاهر الحنفي يتناول التاريخ الاسلامي العام .

المجلد الاول : اوله : الحمد لله الواحد العادل في افعاله المنعم على خلقه ...

نسخة فريدة . لم يصادف للمؤلف في اي مكان .

٥ر٢٠×٥ر١٧ سم ، ٢٨٠ ورقة . ع س ٢٧ ، ط س ١٣ سم .

رقمها 5965 R.1559

جامع الدول ـ صحائف الاخبار في وقائع الاعصار

لرئيس المنجمين احمد بن لطف الله المولوي (ت ١١١٣هـ ١٧٠١م) .

يتناول في قسمه الاخير تاريخ العثمانيين حتى محمد الرابع (١٠٨٣هـ ١٦٧٢م) وقد ترجم هذا الكتاب الى التركية من قبل الشاعر احمد نديم تحت اسم صحائف الاخبار وطبع في استانبول .

المجلد الاول : اوله : احمد لله حمد متفكر في مخلوقاته معتبر بشواهد مصنوعاته منزه لذاته وصفاته عن الكيفية ...

تاريخها ١١١٦هـ ١٧٠٤م .

رقمها 5966 A.2954/1

راجع : كشف الظنون ، ١ : ٦٤ ، عثمانلي مؤلفلري ٣ : ١٤٢ .

المجلد الثاني : اوله : الكلمة الرابعة من الفقرة الثانية في ذكر الموالي ...

بخط محمد بن احمد معزالدين زاده سنة ١١١٧هـ ١٧٠٥م .

ن ق س ، ٦٤٧ ورقة . ن ع س ط .

رقمها : 5967 A.2954/2

مكتبة كوبنهاكن الملكيـــة

ومخطوطاتها العربيـــة

اعـــداد

الدكتور رزوق فرج رزوق

لا يعرف الا القليل عن مكتبات الملوك الدانمركيين قبــل عهد الملك كرستيان الثالث (١٣٤٥-١٣٥٩م) فقد كان هــذا الملك معروفا بحبه للكتب ، وما من شك في ان معظم الكتب التي اهداها حفيده كرستيان الخامس سنة ١٦٠٥ الى مكتبة جامعة كوبنهاكن (اسست سنة ١٤٧٩) والتي نيفت على الفي مجلد كان قد جمعها كرستيان الثالث . وكان الموضوع الرئيس الذي دارت حوله هذه الكتب اللاهوت ، وتلاه الادب الثاني .

وازدهرت المكتبة ايما ازدهار في عهــد فردريك الثـــالث (١٦٤٨ - ١٦٧٠) الذي كان عالما كلفا بالعلم والادب . ويمكن ان يعد بحق مؤسس المكتبة الملكية الحاضرة .

وحين عاد الرحالة الدانمركي المعروف كارستن نيبور من رحلته الشرقية التي استمرت من سنة ١٧٦١ الى سنة ١٧٦٧ اضيف ما جلبه من مخطوطات شرقية الىمجموعات المكتبة الخطية فباتت ذات حجم ملحوظ . وفي الحقب التالية تسلمت المكتبة اعدادا من المخطوطات كان يمتلكها كراتزنشتاين ، واوتو ثوت ، وزوهم ، ومولدنهاور وسواهم . ومثلما كانت الحال مع معظــم مجاميع المخطوطات الشرقية في المكتبات الاوربية الكبيرة كــانت المخطوطات العربية والفارسية والعبرانية ابرز المجموعات في المكتبة .

ولكن الوضع تغير كثيرا بعد ما عاد اللغوي الدانمركــي راسميس راسك من رحلة شرقية طويلة جالبا معه مجموعة كبيرة من المخطوطات المتنوعة اللغات ولا سيما ما كان منها بلغة بالي وباللغة السنغالية .

وخلال القرن الحالي استمرت المجموعات الشرقية في النمو واضيف اليها عدد كبير من المخطوطات الفارسية والعربية .

وتتألف المكتبة اليوم من الاقسام الآتية :

القسم الدانمركي . القسم الاجنبي . قسم الخرائط . قسم الموسيقى . قسم المخطوطات ـ وهو يضم المخطوطاتالمختلفة ما عدا الشرقية ويبلغ عددها قرابة اربعين الف مجلد . القسم الشرقي ـ وهو يحتوي على كتب مطبوعة ومخطوطات شرقيـــة يبلغ مجموعها الكلي حوالي ثلاثين الف ، اما عدد المخطوطات فزهاء اربعة آلاف ، واكثر من نصفها باللغات السنسكريتيــة والعربية والمغولية والتبتية والبالية ، وفيها ما هو من نوادر المخطوطات ونفائسها (١) .

فهرس المخطوطات الشرقية في مكتبة كوبنهاكن الملكية :

طبع هذا الفهرس باجزائه الثلاثة في كوبنهــاكن ســنة ١٨٤٦-١٨٥٧ ، باللغة اللاتينية :

CODICES ORIENTALES BIBLIOTHECEA REGIAE HAFNIENSIS, HAFNIAE, 1846—1857.

وقد اعد هذا هذا الفهرس ثلاثة من المستشرقين هــم : وستركارد واولزهاوزن ومهرن . وتم طبع الجزء الثاني سنة١٨٥١ وصدر في ١٨٨ صفحة كبيرة . وفي معظم هذا الجزء وصف لما في المكتبة من مخطوطات عربية في موضوعات شتى ، وعددها ٣٠٩ (ص٣٥-١٨٨) . وقد اعد هذا الجزء مهرن .

وفيما يأتي بيان لتقسيم المخطوطات وفقا لموضوعاتهـــا وتسلسلها ، وعدد مخطوطات كل موضـوع :

الديانات ١-٨٠ (٨٠ مخطوطا)

الرياضيات والفلك والهندسة ٨١-٩١ (١١مخطوطا)

الجغرافية والتاريخ الطبيعي ٩٢-١٠٤ (١٣ مخطوطا)

تاريخ الحيوان ١٠٥-١٠٧ (٣ مخطوطات)

الطب ١٠٨-١١٥ (٨ مخطوطات)

التاريخ ١١٦-١٦٤ (٤٩ مخطوطا)

الانساب ١٦٥-١٦٧ (٣ مخطوطات)

تاريخ الادب والسير ١٦٨-١٧٢ (٥ مخطوطات)

السياسة ١٧٣ (مخطوط واحد)

النحو ١٧٥-١٩٥ (٢١ مخطوطا)

المعجمات ١٩٦-١٩٩ (٤ مخطوطات)

---

(1) The Royal Library — Copenhagen — A Brief Inroduction, PP. 5, 23, 27.

البلاغة ٢٠٠-٢٠٩ (١٠ مخطوطات)

المجاميع ٢١٠-٢٢٣ (١٤ مخطوطا)

القصص والمقامات والرسائل ٢٢٤-٢٣٦ (١٣ مخطوطا)

الشعر ٢٣٧-٢٨٦ (٥٠ مخطوطا)

الحب ٢٨٧-٢٩٢ (٦ مخطوطات)

موضوعات اخرى ٢٩٣-٣٠٩ (١٧ مخطوطا)

ومن ميزات هذا الفهرس انه وصفي يتضمن بيانات وافية عن كل مخطوط ، فهو يذكر عدد الاوراق ونوع الخط واسم المؤلف واول المخطوط وآخره واسم الناسخ وتاريخ النسخ (ان وجدا) وقد يضيف ، في وصف طائفة من المخطوطات ، بيانات ومعلومات غير ما تقدم ذكره .

اما معد هذا الفهرس ، اوكست فرديناند مهرن (او ميرن) فمستشرق دانمركي ولد سنة ١٨٢٢ وتوفي سنة ١٨٩٨ . اخذ العربية عن المستشرق الالماني فلايشر (١٨٠١-١٨٨٨) وعلم اللغات الشرقية في كوبنهاكن نحو خمسين سنة . له : المنقولات من تلخيص المفتاح وشرحه المختصر تليها منقولات من عقود الجمان - في علم البلاغة . جمعه والحق به ذيلا ادبيا تاريخيا بالالمانية عن بلاغة العرب . وعني بنشر كتب ، منها : رسالة حي بن يقظان ورسالة القدر لابن سينا . نخبة الدهر في عجائب البر والبحر لشمس الدين الدمشقي . وتبيين كذب المفتري لابن عساكر (انظر الاعلام للزركلي ١ : ١٩ ومعجم المطبوعات العربية والمعربة لسركيس ص ١٨١٣) .

وقد شعر القيمون على امر المكتبة ، في السنوات الاخيرة ، بالحاجة الى فهارس جديدة لمخطوطات مكتبتهم الشرقية بعد ان قدم العهد بالفهارس السابقة ونيف عمر بعضها على قرن كامل ، فعهدوا بمهمات اعداد الفهارس الجديدة الى اساتذة من اهل العلم والاختصاص ، وفقا لخطة عمل وضعتها لجنة خاصة برئاسة المرحوم البروفسور كار كرونبيتش Karre Gronbech .

وقد صدر بعض هذه الفهارس . وما تزال طائفة منها قيد الاعداد او الطبع ، ومنها فهرس للمخطوطات العربية وثان للمخطوطات الفارسية وثالث للمخطوطات الهندية .

ولقد نظرت في فهرس مهرن الوصفي ، اللاتيني ، القديم ، فاقتبست منه فهرسا عربيا ، موجزا ضمنته عناوين طائفة كبيرة مما جاء فيه من الكتب والرسائل والمجاميع الخطية - مرتبة على حروف الهجاء ، وذكرت اسماء المؤلفين ، وعدد اوراق كل مخطوط (عدا مخطوطات قليلة) - رامزا بالحرف ق لكلمة ورقة ، وارقام المخطوطات في الفهرس اللاتيني ، واستعنت بكشف الظنون لحاجي خليفة ، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف اليان سركيس ، والاعلام للزركلي للتعليق على طائفة من عناوين المخطوطات واسماء المؤلفين .

وها هو ذا الفهرس المقتبس اورده للمعنيين بالتراث العربي ، ولا سيما اهل الوراقة والبحث والتحقيق املا ان يجدوا فيه ما ينفعهم .

*

الابل - للاصمعي

٤ ق . في مجموع خطي رقمه ١٠٧

اتحاف الاخصا بفضائل المسجد الاقصى - جاء في اول المخطوط انه « من تاليفات الامام السيوطي الشافعي » ونسبه حاجي خليفة الى كمال الدين محمد بن محمد ابي شريف الشافعي المصري (كشف الظنون ١ : ٥-٦). والراجح انه لسيوطي اخر غير جلال الدين السيوطي المعني بما جاء في اول المخطوط ، هو محمد بن احمد المنهاجي السيوطي . انظر معجم المطبوعات العربية والمعربة ١٠٨٦ والاعلام ٦ : ٢٣٢ .

اخبار الدول وآثار الاول - لابي العباس احمد بن يوسف الدمشقي

٣٠٠ ق . رقمه ١٢٨

اخبار مجنون ليلى واشعاره

٤٨ ق . رقمه ٢٣٥

ازهار الروضتين في اخبار الدولتين - لابي شامة

٢١٨+٢٧٣+١٨٧ق . جزءان وذيل ارقامها ١٥٤-١٥٦

الاشتقاق (الجزء الاول) - لابن دريد

٥١٣ ق . رقمه ١٦٥

الاشربة - لابن قتيبة

٥٢ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٩٨

الاعجاز والايجاز - لابي منصور الثعالبي

٣٧ ق . رقمه ٢٠٧

« اغاثة العارفين وغاية منى الواصلين للغوث الاعظم سيدنا عبدالقادر الجيلاني قدس سره »

٦ ق . رقمه ٥٢

الاغاني - لابي الفرج الاصفهاني

٢٤٠ ق . رقمه ١٦٩

الافتتاح في شرح المصباح - لحسن باشا بن علاء الدين الاسود

٨٥ ق . في مجموع خطي رقمه ١٧٧

انواع جنسي التعاليم الرياضية - لمؤلف مجهول

١٢٨ ق . رقمه ٨٢

بحث المطالب وحث الطالب - لجبرائيل بن فرحات الماروني

١٥٦ ق . رقمه ١٩٤

بدائع البدائه ـ لابن ظافر الازدي
٢٣١ ق . رقمه ١٦٩

برء الساعة ـ لابي بكر الرازي
١٣ ق . رقمه ١٠٨

البرق اليماني والفتح العثماني ـ لقطب الدين محمد بن احمد المكي
٢٢٦ ق . رقمه ١٤٠

بغية المستفيد في اخبار مدينة زبيد ـ لوجيه الدين عبدالرحمن بن علي بن عباس المعروف بابن الديبع اليمني
٨٩ ق . رقمه ١٤١

بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس ـ لاحمد بن يحيى الضبي
رقمه ١٦٣

تاريخ الاسلام ـ لشمس الدين الذهبي
٦٦٢ ق . رقمه ١١٣

تاريخ الامم ـ لحمزة بن الحسن الاصفهاني
رقمه ١١٩

تاريخ الخلفاء ـ لجلال الدين السيوطي
٣٢٣ ق . رقمه ١٣٦

تاريخ الخميسي ـ لحسين بن احمد الديار بكري
٣٧٣ ق . رقمه ١٣٢

تاريخ مختصر الدول ـ لابي الفرج بن العبري
١٦٩ ق . رقمه ١٢١

تاريخ مصر (من سنة ١١٠٠ هـ الى سنة ١١٥٢ هـ) ـ للحاج مصطفى بن ابراهيم
٢١٦ ق . رقمه ١٥٩

تحفة الالباب ونخبة الاعجاب ـ لابي عبدالله محمد بن عبدالرحيم الاندلسي الغرناطي
٣٠ ق . رقمه ٩٢

التحفة البهية في تملك بني عثمان الديار المصرية ـ لمحمد بن محمد ابي السرور البكري الصديقي
١٠١ ق . رقمه ٩٢

تحفة الظرفاء في تواريخ الملوك والخلفاء ـ (ارجوزة تاريخية) ـ لمحمد بن احمد بن ناصر الباعوني
١٩ ق . في مجموع خطي رقمه ٢١٦

تحفة العروس ونزهة النفوس ـ لابي عبدالله محمد بن احمد البجاني
١٧٦ ق . رقمه ٢٨٨

تحفة الكرام باخبار البلد الحرام ـ لتقي الدين محمد بن احمد الحسني الفاسي
١٧٢ ق . رقمه ١٣٩

ترغيب اهل الاسلام في سكنى الشام ـ لعزالدين عبدالعزيز بن عبدالسلام الشافعي
٦ ق . رقمه ٢٩٦

نسخة ثانية في مجموع خطي
رقمه ٧٤

تزيين الاسواق بترتيب احوال العشاق ـ لداود بن عمر الانطاكي
٣٠٤ ق . رقمه ٢٨٨

تشنيف السمع في وصف الدمع ـ لصلاح الدين الصفدي . وقد طبع بعنوان : تشنيف السمع بانسكاب الدمع (انظر معجم المطبوعات ص ١٢١٢)
٨٨ ق . رقمه ٢٩٧

تصوير صور الكواكب ـ لعبدالرحمن بن عمر الصوفي . وقد طبع بعنوان : الكواكب الثابتة (او) صور الكواكب
(انظر معجم المطبوعات ص ١٢٨٠)
١٢٦ ق . رقمه ٨٣

تلطيف المزاج من شعر ابن الحجاج ـ اختيار ابن نباتة
١٢٢ ق . رقمه ٢٦٠

التنوير في اسقاط التدبير ـ لابي العباس احمد بن عطا الله الاسكندري
٢٧ ق . رقمه ٨٣

نسخة ثانية في مجموع خطي
رقمه ٧٢

توضيح لطيف على الرسالة الموضوعة في العمل بالربع المجيّب ـ لبدر الدين المارديني
١٩ ق . في مجموع خطي رقمه ٨٦

ثمرات الاوراق ـ لابن حجة الحموي
١٩١ ق . رقمه ٢١٥

الجبال والامكنة والمياه ـ لجار الله الزمخشري
في مجموع خطي رقمه ١٢٠

الجمان في مختصر اخبار الزمان ـ لشهاب الدين المقري الفاسي
١٣٢ ق . رقمه ١٢٦

جواهر البحور ووقائع الامور وعجائب الدهور في

اخبار الديار المصرية ـ لابراهيم بن وصيف شـــاه
٦٥ ق . رقمه ١٤٩

الجوهر النقي في الرد على البيهقي ـ لعلاء الدين ابي الحسن علي بن فخر الدين عثمان المارديني
١٩٥ ق . رقمه ٥٤

الجوهرة اللامعة والنتيجة الجامعة ـ لرضوان افندي الفلـكي المصري
٩٤ ق . رقمه ٨٨

حاشية مولانا عصام الدين علي تفسـير القاضـي البيضاوي
٤٢٠ ق . رقمه ٤٥

حاوي المختصرات في العمل بربع المقنطرات ـ لبدر الدين محمد بن محمد المارديني
٤٤ ق . في مجموع خطي رقمه ٨٦

الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة ـ لجلال الدين السيوطي
١٠ ق . في مجموع خطي رقمه ١٣١

حديث ابليس مع نـــوح
٢ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٣٤

حديث ارم ذات العمـــاد
٤ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٣٤

حديث الفتى الجني مع المراة الساحرة
٣ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٣٤

حديث الورد في الاكمام
١٣ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٣٤

حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة ـ لجلال الدين السيوطي
٣٧٠ ق . رقمه ١٤٨

حكاية وضاح اليماني مع خـير القصور ابنـة الملك مكايد الدهور واسمه زهر الرياض
٤ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٣٤

حلبة الكميت ـ لشمس الدين النواجي
٢٩٠ ق . رقمه ٢٩٩

الحماسة ـ لابي تمـام
٢٠٩ ق . رقمه ٢٣٧
نسخة ثانية رقمها ٢٣٨

الحماسة ـ للبحتري
رقمـه ٢٣٩

حياة الحيوان الكبرى (جزءان) ـ للدميري
٤٠٢+٥٨٨ ق . رقما هما ١٠٥-١٠٦

خريدة العجائب وفريدة الغرائب ـ لابن الوردي
٢١٣ ق . رقمه ٩٣

الخطب ـ لابن نباتة
٢٥ ق . في مجموع خطي رقمه ٧١

خطبة المتزوجين ـ لبعض الظرفاء
٤ ق . في مجموع خطي رقمه ٢١٦

الدر المنتخب في تاريخ مدينة حلب ـ لعلي بن محمد الجبريني
١٧٨ ق . رقمـه ١٤٢

الدر المنتقى ـ لعبدالقادر بن ابي بكر بن خضـــر الدماصي
٧٨ ق . رقمه ٢٧٨

الدر المنضود في عجائب الوجود ـ لمؤلف مجهول
١٢٥ ق . رقمه ٩٧

الدر النفيس والخل الانيس ـ لشهاب الدين الخفاجي
١٠ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٢٠

الدرة المنتخبة في الادوية المجربة ـ لابي بكر الفارسي كما جاء في المخطوط ، ولنصر بن نصر كما جاء في كشف الظنون ص ٧٤٤ .
٤٦ ق . في مجموع خطي رقمه ١١٥

الدرة المنيرة في مناظرة الجسر والجزيرة ـ لابي الفتح محمد الازهري
١٨ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٣١

الدرر الفاخرات في العمل بربع المقنطرات في جميع الاقطار والجهات ـ لاحمـــد بن محمـــد بن عبدالسلام الشرقي
٢٧ ق . في مجموع خطي رقمه ٨٦

دلائل الخيرات ـ لابي عبدالله محمد بن عبدالرحمن الجزولي
٥٧ ق . في مجموع خطي رقمه ٤٩

ديوان احمد بن ابي القاسم الخلوف الاندلسي
٧٤ ق . رقمه ٢٨٤

ديوان ابن الخياط (في هامشه نصيحة الملـــوك للغـــزالي)
١٣٧ ق . رقمه ٢٦٤

ديوان ابن الفارض
٩٤ ق . رقمه ٢٦٨
نسخة ثانية ـ ١٢٤ ق . رقمها ٢٦٩

ديوان ابن المعتز (جزءان)
٢٤٥ ق . رقما هما ٢٥١–٢٥٢

ديوان منجك باشا
٣٩ ق . رقمه ٢٨٥

ديوان ابن النبيه
٤٧ ق . رقمه ٢٦٧

ديوان ابي بكر الارجاني
٢٩٧ ق . رقمه ٢٦٥

ديوان ابي الحسن عمارة بن ابي الحسن اليمني
٢١٥ ق . رقمه ٢٦٦

ديوان جرير (الجزء الاول)
في مجموع خطي رقمه ٢٥٠.

ديوان شهاب الدين احمد العليف المدني الشهير بشاعر البطحاء
١٤٣ ق . رقمه ٢٤٤

ديوان شهاب الدين الخفاجي
٢٣٥ ق . رقمه ٢٨٣

ديوان الصبابة – لابن ابي حجلة
١١٠ ق . رقمه ٢١٤

ديوان صفي الدين الحلي
٢٦٣ ق . رقمه ٢٧٥

ديوان طهمان بن عمرو الكلابي
في مجموع خطي رقمه ٢٥٠.

ديوان ماماي الرومي
٤٠٣ ق . رقمه ٢٨١

ديوان محمد وفا الشاذلي
٨٨ ق . رقمه ٢٧٧

الديوان النبوي – لشمس الدين محمد الصالحي الدمشقي
٧٤ ق . رقمه ٢٨٢

ديوان نزهة النفوس ومضحك العبوس – لابن سودون اليشبغاوي
وقد طبع بعنوان : نزهة النفوس ومضحك العبوس . طبع حجر ، بمصر سنة ١٢٨٠هـ
١١٥ ق . رقمه ٢٢٣

ديوان هذيل – شرح ابي سعيد السكري
رقمه ٢٤٠.

ذيل على خريدة القصر وجريدة العصر
٨٩ ق . رقمه ١٦٩

ذيل لب اللباب – لاحمد بن احمد العجمي
٦٠ ق . في مجموع خطي رقمه ١٦٧

ذيل نفحة الريحانة لمحمد بن محمود السؤالاتي الحنفي العثماني
١٥٤ ق . رقمه ١٧٠

رسالة السكين – لابن حجة الحموي
١ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٣١

الرسالة القلمية – لجلال الدين محمد بن أسعد الدواني
٢ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٣١

الرسالة القلمية – لعلي چلبي افندي الشهير بقناني قاضي العسكر المنصور
٣ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٣١

روضة المناظر في علم الاوائل والاواخر – لابن الشحنة
١٥٤ ق . رقمه ١٢٤
نسخة ثانية – ٣٤٤ ق . رقمها ١٢٥

ريحان الالباب وريعان الشباب في مراتب الاداب – لابي القاسم محمد بن ابراهيم المواعيني
٢٦٨ ق . رقمه ٢١١

زاد المسافر في علاج الادواء التي تعرض في الجسد – لابي جعفر احمد بن ابراهيم الجزار
٣٦٨ ق . رقمه ١٠٩

سراج الملوك والخلفاء ومنهاج الولاة والامراء – لابي بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي
١٨٣ ق . رقمه ١٧٣

سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون – لابن نباتة
١٧٤ ق . رقمه ٢٢٩

سكردان مولانا السلطان – لابن ابي حجلة
١٧٧ ق . رقمه ١٤٤

الشـاء – للاصمعي
٣ ق . في مجموع خطي رقمه ١٠٧

شرح القاضي ابي يحيى زكريا الانصاري على متن ايساغوجي في المنطق
١٦ ق . رقمه ١٧٤

شرح ديوان المتنبي – للواحدي
٤٣٧ ق . رقمه ٢٥٥
نسخة ثانية – ٢١٥ ق . رقمها ٢٥٦

شرح مقصورة حازم بن محمد القرطاجني – لابي عبدالله محمد بن احمد الشريف الغرناطي
٣٧٦ ق . رقمه ٢٨٦

الصحاح ـ للجوهري
٢٩٩ ق . رقمه ١٩٦
نسخة ثانية تتضمن باب الراء رقمها ١٩٧

الطب ـ لابن البيطار
١٦ ق . رقمه ١١٤

طبقات الشافعية ـ للسبكي
في مجموع خطي رقمه ١١٨

العرر والغرر في علم الاخلاق (جزءان) ـ لمحمد بن ابراهيم الكتبي
٣٠١ ق . في مجموع خطي . رقماها ٦٨ـ٦٩

عماد البلاغة (مختصر المضاف والمنسوب للثعالبي) ـ لعبدالرؤوف المناوي
٨٢ ق . رقمه ٢٠٦

عيون الانباء في طبقات الاطباء ـ لابن ابي اصيبعة
رقمه ١٧١

غيث الادب الذي انسجم في شرح لامية العجم ـ لصلاح الدين الصفدي
٣٠٣ ق . رقمه ٢٦٣

فتوح العراق ـ للواقدي
١٤٥ ق . رقمه ١٣٧

فتوح بهنسا وما وقع للصحابة مع البطلوس ـ لابي عبدالله محمد المقري
١١٨ ق . رقمه ١٣٨

فرائد القلائد في مختصر شرح الشواهد ـ لبدرالدين محمود بن احمد العيني
١١٦ ق . رقمه ١٨٧

فصول التماثيل في تباشير السرور ـ لابن المعتز
٧١ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٩٨

فضائل مصر ـ لعمر بن محمد بن يوسف الكندي
٢٥ ق . في مجموع خطي رقمه ١٤٧

الفوائد العلية في تاييد الفوائد الضيائية ـ لمحمد بن محرم التكوني
٤٠ ق . في مجموع خطي رقمه ١٨٣

فوائد في معرفة العمل بنصف دائرة المعدل ـ لمؤلف مجهول
٦ ق . في مجموع خطي رقمه ٨٦

القصائد الوتريات ـ لمحمد بن ابي بكر بن رشيد الواعظ البغدادي
٦٧ ق . رقمه ٢٧١

قصائد ، هي :

١ ـ القصيدة الطنطرانية ـ لمعين الدين ابي نصر احمد بن عبدالرزاق الطنطراني
٢ ـ قصيدة البردة ـ للبوصيري
٣ ـ قصيدة بائية ـ لتاج الدين السبكي
٤ ـ قصيدة بانت سعاد ـ لكعب بن زهير
٥ ـ القصيدة المنفرجة ـ لابن النحوي
٦ ـ قصيدة نونية ـ لابي الفتح البستي
٧ ـ قصيدة يقول العبد ـ لسراج الدين بن علي بن عثمان الاوشي في مجموع خطي رقمه ٢٤١

قصة ليلى العامرية مع عشيقها قيس بن الملوح
٤ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٨٨

الكافية ـ لابن الحاجب
١٢٠ ق رقمه ١٧٩

نسخة ثانية تتضمن قسما مشروحا من الكافية
٣٧ ق . رقمها ١٨٠

نسخة ثالثة تتضمن قسما مشروحا ايضا
١٢١ ق . رقمها ١٨١

كشف الحال في وصف الخال ـ لصلاح الدين الصفدي
٤٨ ق . رقمه ٢٩٣
نسخة ثانية ٥٨ ق رقمها ٢٩٤

كفاية القنوع في العمل بالربع المقطوع ـ لبدرالدين محمد بن محمد المارديني
١٠ ق . في مجموع خطي رقمه ٨٦

الكلم النوابغ ـ لجار الله الزمخشري . ويعرف ايضا بنوابغ الكلم ، وقد طبع بهذا العنوان .
٦ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٣١

« كناش فيه بعض الوثائق ـ الفاظ ما يكتب في الرسوم وهم (كذا) العقود »
١٧ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٠٨

« كناش مجتمع على عجائب وغرائب » ـ مجموعة شعرية لم يذكر اسم جامعها
١١٤ ق . رقمه ٢٤٧

« كناش مجموع فيه بعض مطالع اول الفاظ الرسائل للملوك واولادهم والعلماء والفقهاء والصالحين»
١٥ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٠٨

« كناش محتو على مقطعات اشعار وقصائد للمتنبي ابي الطيب ولغيره وبعض صنيعات وتوشيحات

واعروبي وموال وغير ذلك مما لم يذكر والسلام » لم يذكر اسم جامعه .
٨٥ ق . رقمه ٢٤٣

لب اللباب في تحرير الانساب ـ لجلال الدين السيوطي
١٧٨ ق . في مجموع خطي رقمه ١٦٧

لوعة الشاكي ودمعة الباكي ـ لصلاح الدين الصفدي
٥٠ ق . رقمه ٢٩٠
نسخة ثانية ـ ٦٦ق . رقمها ٢٩١

مبارق الازهار في شرح مشارق الانوار في صحاح الاخبار ـ لعبداللطيف عبدالعزيز المعروف بابن ملك
٣١١ ق . رقمه ٥١

مختصر تاريخ الخلفاء ـ لابي محمد اسماعيل بن علي الخطبي
٥٨ ق . رقمه ١٣٥

المختصر في احوال البشر ـ لابي الفداء
١٠٢٩ ق . رقمه ١٢٢

المدهش في المحاضرات والمواعظ ـ لابن الجوزي
١٧٨ ق . في مجموع خطي رقمه ٧٠

مراح الارواح ـ لاحمد بن علي بن مسعود
٤٧ ق . في مجموع خطي رقمه ١٩١

المرتجل ـ لابن الجوزي
٤٢ ق . في مجموع خطي رقمه ٧٠

المرقص والمطرب ـ لنورالدين علي بن موسى بن محمد للاندلسي
٣٣ ق . في مجموع خطي رقمه ٢١٣

المسائل الشهابية في الصناعة الطبية ـ لشهاب الدين احمد بن عيسى الحلبي
٧٨ ق . رقمه ١١١

مصابيح السنة ـ للبغوي
٣٨٢ ق . رقمه ٥٥

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ـ للفيومي
٤٩٠ ق . رقمه ١٩٩

المعارف في اخبار العرب وانسابهم ـ لابن قتيبة
٤١٩ ق . رقمه ١١٦

معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ـ لعبدالرحيم العباسي
٢٢٨ ق . رقمه ٢٠٢

معجم البلدان ـ لياقوت الحموي
٣٧٨ ق . رقمه ١٠٠

معدن العلوم ومرسل الهموم ـ كتاب ديني لمؤلف مجهول
٣٠ ق . رقمه ٦٠

المعلقات السبع ـ شرح ابي يحيى التبريزي
رقمه ٢٤١

مفاخرة السيف والقلم ـ لابن الوردي
٣ ق . في مجموع خطي رقمه ٢١٧

المفاخرة بين السيف والقلم ـ لابن نباتة
٩ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٣١

المفصل ـ لجار الله الزمخشري
٢٠٦ ق . رقمه ١٧٦

مقالات من كتاب اقليدس في الاصول
٢١٤ ق . رقمه ٨١

مقامات الحريري
٣٤٠ ق . رقمه ٢٢٥
نسخة ثانية . رقمها ٢٢٦
نسخة ثالثة . رقمها ٢٢٧
نسخة رابعة . رقمها ٢٢٨

مقامات الهمذاني
٨١ ق . رقمه ٢٢٤

المقامة الروضية
٦ ق . في مجموع خطي رقمه ٢١٩

المقدمة ـ لابن خلدون
٣٣ ق (غير تام) . رقمه ١٢٣

مقصورة ابن دريد
١٣ ق . في مجموع خطي رقمه ٢١٧

ملخص تضمين الملحة
٦ ق . في مجموع خطي رقمه ٢١٧

منظومة النسفي في الخلاف
١٤٢ ق . رقمه ٦٧

منهاج البيان ـ ليحيى بن جزلة
٣٤٠ ق . رقمه ١١٣

المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ـ للمقريزي
٢٣ ق (غير تام) . رقمه ١٤٦

مئة كلمة من كلام اميرالمؤمنين علي بن ابيطالب (رض)
٧ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٠٧

نتيجة الافكار في اعمال الليل والنهار ـ لمحمد بن محمد اللاذقي
٢٦ ق . رقمه ٨٩

نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ـ لشمس الدين محمد بن ابي عبدالله محمد بن ابي طالب الانصاري الدمشقي شيخ الربوة
١٥٨ ق . رقمه ٩٦

نزهة الالباب فيما لا يوجد في كتاب ـ لاحمد التيفاشي المغربي المالكي .
وذكر حاجي خليفة كتاب « نزهة الالباب فيما لا يوجد في الكتاب » لعزالدين بن بدرالدين المعروف بابن جماعة (كشف الظنون ص ١٩٤٠) والراجح انهما كتابان مختلفان .
١٤٢ ق . رقمه ٢٩٢

نزهة الناظرين في تاريخ من ولي مصر من الخلفاء والسلاطين ـ لمرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي .
وسماه حاجي خليفة : نزهة الناظرين في تاريخ من تولى مصر بعد فتح الصحابة من الامراء والسلاطين الى آل عثمان ـ مختصر . (كشف الظنون ص ١٩٤٨) . وذكره الزركلي وقال انه ما يزال خطيا .
٦٦ ق . رقمه ١٥١

نسب عدنان وقحطان ـ للمبرد
٦ ق . في مجموع خطي رقمه ١٦٦

النصيحة الرضية الى الطريقة المحمدية وهي شرح تائية الشيخ محمد العلمي .
٥٢ ق . في مجموع خطي رقمه ٧٢

نصيحة الملوك ـ للغزالي
في هامش المخطوط : ديوان ابن الخياط ، وقد سبق ذكره في حرف الدال .

نهاية الارب في فنون الادب
نسختان غير تامتين رقماهما ١٢٩ ، ٢١٣

« هدية العبد القادر الى الملك الناصر ـ كتاب فيه ترتيب مصالح المملكة المصرية فيما تعتمده الملوك في مصالح المسلمين على التمام والكمال» ـ لعبدالصمد بن يحيى بن احمد بن يحيى الشافعي
١١ ق . مجموع خطي رقمه ١٤٧

« ورد حضرة سلطان المشائخ السيد يحيى الشرواني قدس الله تعالى سره »
١٦ ق . رقمه ٥١

« وصية الامام الاعظم المجتهد ابي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي لابي يوسف رضي الله عنهما »
٤ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٣١

وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ـ لابن خلكان
٤٤٢ ق . رقمه ١٣٤

المصادر والمراجع

حاجي خليفة ، مصطفى بن عبدالله
كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، استانبول، ١٩٤١-١٩٤٣ .

الزركلي ، خير الدين بن محمود
الاعلام ـ قاموس تراجم ، الطبعة الثالثة بالاوفست ، بيروت ، ١٩٦٦ .

سركيس ، يوسف اليان
معجم المطبوعات العربية والمعربة ، القاهرة، ١٩٢٨ .

مهرن ، ا . ف . Mehren, A.F.
Codices Orientales Bibliothecea Regiae Hafniensis, Hafniae, 1851.

The Royal Library — Copenhagen — A Brief Introduction, Copenhagen, 1951.

مخطوطة أخرى في الموصل

لرسالة الحنين الى الاوطان

بقلـــم

غربي الحاج احمد

١ ـ في كتاب (تاريخ الادب العربي) لمؤلفه الاستاذ كارل بروكلمان (ج٣) ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار (ص ١١٦) اشارة الى ان من كتب الجاحظ (الحنين الى الاوطان) والى انه مخطوط مجموعة داماد ابراهيم ٩٤٩ : ١٧ ومخطوطة الموصل ١٣٦ ، ٦/٢٣٣ و ٢٦٥ : ١٥ وانه قد نشر بالقاهرة سنة ١٣٣٣هـ وفي كتاب رشر ٨٨؛ وذكر السندوبي في الرسائل ١٥٣ انه منحول وذكر بروكلمان (ص ١٢٨) اما اتهام السندوبي في الرسائل ١٥٣ لكتاب الحنين الى الاوطان بانه منحول للجاحظ فهو امر يعسر القطع به .

٢ ـ قال الاستاذ عبدالسلام هارون في كتابه (رسائل الجاحظ) (ج٢ ص٣٨٠) : رسالة الحنين الى الاوطان ذكرها بروكلمان مخطوطة داماد ابراهيم ونسخة الموصل التي اشرنا اليهـــا .

وقال : لم تبق من مخطوطات هذا الكتاب الا مخطوطة داماد ابراهيم واما نسخة الموصل وهي التي كانت محفوظة في مكتبة امين الجليلي فقد فقدت لم يعرف مصيرها كما ذكر الدكتور داود الجلبي في كتابه مخطوطات الموصل (١)

ويقول الاستاذ هارون (ص ٣٨١) واما بعد فان لهـــذا الكتاب اصلين هما :

١ ـ الاصل الاول نسخة داماد وهي المعبر عنها بالاصل

٢ ـ الاصل الثاني النسخة التيمورية الملحقة بدار الكتب برقم (٣٥١ ادب المجاميع) وهي مجموعة تشتمل على كتـــاب المبهج للثعالبي والمتشابه للثعالبي ، رسالة الحنين الى الاوطان، والوشي المرقوم في حل المنظوم لابي الاثير والطرائف واللطـــائف للثعالبي ، وضم اليه المقدسي كتاب اليواقيت ومرآة المروءات للثعـــالبي .

والمجموعة بخط امين العمري سنة ١١٧١هـ وفيهـــا نصوص من المقابلة على الاصول التي نقل عنها .

٣ ـ وقد عثرت في مكتبة الاوقاف العامة بالموصل عـــلى مخطوطة اخرى لرسالة الحنين الى الاوطان ، هي غير المخطوطة التي اشار اليها المرحوم داود الجلبي وهي رسالة وردت في مجموعة سميت (من المدح والذم والاضداد) من وقف مدرســة الحسنية ١٢٣٢هـ مختومة بختم (حسن باشا الجليلي) وقـــد جاء في مقدمتها :

رسالة الحنين الى الاوطان تاليف ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمة الله عليه ثم بسم الله الرحمن الرحيم وبـــه نستعين (٢) .

وجـاء في خاتمتها : الرسالة من كلام ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ بعون الله تعالى ومنه ولطف الله الموفق للصواب واليه المرجع والمئاب وصلى الله على سيدنا محمد وآلـــه وصحبه اجمعين .

وقع الفراغ من تنميقه في نصف شهر جمادي الاخر من سنة ثلاثة وثمانين ومائة والف على يد اضعف العباد قاسم بن مـراد راوية بمدرسة البكتاشية بالموصل المحمية .

والمخطوطة تقع في ١٧ صفحة في كل صفحة ١٩ سطرا خطها رديء والتصحيف والتحريف فيها كثير يكاد يطمس معالم الرسالة ويفقدها معانيها ، مما يدل على ان ناقلها (اضعف العباد قاسم بن مراد) لا يفهم من الادب واللغة شيئا ، وانه قد كلف بنقلها عن مخطوطة اخرى دون ان تراجع على الاصل او تفهم فهمـا سـليما .

ومن مقارنتها بالرسالة التي نشرها الاستاذ هارون نستطيع ان نذكر ان هذه المخطوطة منقولة من المخطوطة التيمورية وذلك للاسباب :

اولا ـ ان المخطوطة التيمورية مكتوبة بتـــاريخ ١١٧١هـ وبخط امين العمري ، والكاتب امين العمري موصـــلي اذن فالمخطوطة التيمورية مخطوطة موصلية انتقلت شانها شان كثير من مخطوطات الموصل الى مكتبات كثيرة وبعيدة ، والمخطوطـــة الموجودة الان في الموصل قد كتبت بتاريخ ١١٨٣ اي بعد المخطوطة التيمورية باثنتيعشرة سنة .

ثانيا ـ ان المخطوطة التيمورية ـ كما اشار الاستاذ هارون ـ تحتوي على رسائل عدة للثعالبي ومخطوطتنا هي الاخـــرى تحتوي على مجموعة من هذه الرسائل وهي : ـ

١ ـ رسالة في مدح الشيء وذمه من جمع الشيخ المقدسي لرسالة الطرائف واللطائف ورسالة اليواقيت في بعض المواقيت .
٢ ـ الفرائد والقـــلائد
٣ ـ في المتشـــابه
٤ ـ مرآة المروءات
٥ ـ المبــهج
٦ ـ الكلم الافلاطونية
٧ ـ سحر البلاغة وكلها للثعالبي

(١) كتاب مخطوطات الموصل ص ٢٦٤

(٢) لاحظ صورة الصفحتين الاولى والاخيرة من المخطوطة .

فليس من الصدف ان تكون رسالة الحنين الى الاوطان ضمن مجموعة للثعالبي في المخطوطة التيمورية وتكون ضمن مجموعة الثعالبي في مخطوطة الموصل .

ثالثا ـ ومما يقطع الشك باليقين ان الخلافات بين مخطوطة الداماد ابراهيم وبين المخطوطة التيمورية التي اشار اليهما الاستاذ المحقق هارون في هوامشه هي الخلافات نفسها مع مخطوطة الموصل .

ونستطيع ان نذكر ان هذه المخطوطة الموجودة في مكتبة الاوقاف العامة بالموصل هي غير المخطوطة التي اشار اليهما المرحوم داود الجلبي ، فقد ذكرنا اوصاف المخطوطة الموجودة في حين ان اوصاف المخطوطة المفقودة كما ينقلها الاستاذ هارون تختلف من حيث التاريخ اذ انها منقولة عن مخطوطة الداماد ابراهم او ان الاخيرة منقولة عنها ، فهي مكتوبة في حدود القرن السادس الهجري ، بينما المخطوطة الموجودة كتبتسنة١١٨٣هـ، وتختلف من حيث المضمون اذ ان المفقودة تضم رسائل عديدة (١٨ رسالة) من رسائل الجاحظ بينما الموجودة تضم رسالة الحنين الى الاوطان من رسائل الجاحظ الى مجموعة كتب للثعالبي .

٤ ـ وقد قيل في رسالة الحنين الى الاوطان بمخطوطاتها جميعا انها لابي حيانالتوحيدي او انها للجاحظ او انها منحولة له فاي الاقوال يمكن ترجيحه والاطمئنان اليه ؟ :

أ ـ يقول ياقوت الحموي في معجم الادباء (ج١٥ ص٨) في ترجمة التوحيدي : ولابي حيان تصانيف كثيرة منها كتاب الرسالة في الحنين الى الاوطان .

وقد ذكر كتب الجاحظ (ج١٦ ص١٠٦) ولم يذكر هذه الرسالة من ضمنها .

ب ـ يقول الدكتور احمد محمد الحوفي في كتابه (ابو حيان التوحيدي) (ص١٠ ج٢) : اما كتب التوحيدي التي يغلب على الظن انها مفقودة فهي الرسالة في الحنين الى الاوطان .

جـ ـ يقولالاستاذعبدالرزاقمحيالدين في كتابه (ابو حيان التوحيدي) (ص ٢٥٦) والحنين الى الاوطان ذكره ياقوت في معجمه لم اعرف له نسخة ولا مأثورا في نقل ولعله الفه ايام اغترابه بشيراز .

د ـ يقول الدكتور زكريا ابراهيم في كتابه (ابو حيان التوحيدي) (ص ١٠١) الرسالة في الحنين الى الاوطان من انتاج التوحيدي ومن الكتب التي ذكرها الحموي في معجمه .

هـ ـ يقول الاستاذ حسن السندوبي في كتاب (المقابسات) (ص١٨) ان رسالة الحنين الى الاوطان هي من مؤلفات التوحيدي ولم يذكر السندوبي هذا الكتاب من ضمن كتب الجاحظ في مقدمة (البيان والتبين) الطبعة الاولى سنة ١٩٢٦ ويقول مرة ثالثة في الرسائل (ص ١٥٢) انه منحول للجاحظ .

و ـ يؤكد الاستاذان بروكلمان وعبدالسلام محمد هارون ان رسالة الحنين الى الاوطان من مؤلفات الجاحظ .

٥ ـ ان ابا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٥٠ـ٢٥٥هـ) من ادباء القرن الثالث الهجري ، وان ابا حيان التوحيدي : علي بن محمد بن العباس (٣١٠ـ٤٠٠هـ) من ادباء القرن الرابع الهجري في حين ان اول من اشار الى كتابه الحنين الى الاوطان هو ياقوت الحموي (٥٧٤ـ٦٢٦هـ) من ادباء القرن السادس الهجري وقد نسب الكتاب الى التوحيدي وعنه نقل الادباء والمفكرون ذلك .

وان مخطوطة الداماد ابراهيم هي اول من اشارت الى ان هذا الكتاب من تاليف الجاحظ ، وعن هذه المخطوطة يقول الاستاذ هارون (ص٥ ج١) من كتاب (رسائل الجاحظ) : وليس لهذه النسخة تاريخ وان كان المرجح ان خطها من خطوط القرن السادس ، فهي بشكل غير مؤكد معاصرة لمعجم الادباء ، او قبله او بعده بقليل . وسواء صحت رواية (الحموي) او رواية (مخطوطة الداماد) فان الروايتين متأخرتان بقرنين عن عصر التوحيدي وبثلاثة قرون عن عصر الجاحظ ، وهي فترة زمنية طويلة توحي بعدم الاطمئنان الى الاقوال المسموعة وتفتح ابواب الشكوك على مصاريعها وقبول القول بالانتحال والتصنيع في عهود لم تكن منزهة عن التصنيع والانتحال فقد ذكر عن الجاحظ (انه في اول عهده بالتصنيف كان يطلب رواجا لكتبه فينسبها الى بعض العلماء المشهورين على ما حكاه ايضا في بعض رسائله) (٣) ويعترف الجاحظ نفسه بذلك فيقول : (ربما الفت الكتاب الذي هو دونه في معانيه والفاظه ، فاترجمه باسم غيري واحيله على من تقدمني عصره مثل ابن المقفع والخليل وسلم صاحب بيت الحكمة ويحيى بن خالد والعتابي ومن اشبهه هؤلاء من مؤلفي الكتب) (٤) .

الا ان ما ورد من اشارات في كتاب (الحنين الى الاوطان) توحي بانه من مصنفات الجاحظ وتدفع عنه شبهة الانتحال . وان الاسباب التي ذكرها الاستاذ هارون ترجع نسبته الى الجاحظ :

١ ـ لان الكتاب جار على طريقته في التاليف ونهجه ، وهو اختيارات مختلفة تتعلق بموضوع الحنين الى الاوطان يربط بينها الجاحظ بذلك التبويب السلاج .

٢ ـ ليس في نصوص الكتاب ولا في رجاله ولا في حوادثه ما يجاوز زمنه زمان الجاحظ .

٣ ـ في الكتاب نصوص مشتركة بينه وبين سائر كتبه الاخرى ، وتلك سمة نعرفها من سمات الجاحظ في تاليفه .

٤ ـ ذكر اقوال الفرس وكلام الحكماء والفلاسفة ونوادر الاعراب واهل البادية فيما يعني من مناسبة نمط جاحظي معروف .

اما ما قد يقال بان رسالة الحنين قد تكون لابي حيان التوحيدي لتشابه اسلوبه باسلوب الجاحظ فالرد عليه : ان الميزة البارزة بين اسلوبي الجاحظ والتوحيدي هي ان الاول يكثر من الاستشهاد بالاشعار في حين ان الثاني قليل الاستشهاد بها ، يضاف الى ذلك ان ما ورد في الرسالة من حوادث ورجال لا يتجاوز زمنها زمان الجاحظ ولو كانت للتوحيدي لاضاف اليها حوادث ورجالا قد تجاوزوا هذا الزمان والفارق الزمني بين الرجلين قرابة القرن وهو عهد حافل بالادباء والشعراء .

لذلك كله فنحن مع الاستاذ عبدالسلام هارون في قوله بان رسالة الحنين الى الاوطان هي من مصنفات الجاحظ ، وليست للتوحيدي .

---

(٣) تاريخ الادبالعربيلبروكلمان (ج٣ ص١٠٧) ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار دار المعارف بمصر ١٩٦٩ .

(٤) رسالة فصل ما بين العداوة والحسد ـ كراوس والحاجري مجموعة رسائل الجاحظ (ص١٠٩) القاهرة سنة ١٩٤٣ .

رسالة في الحنين الى الاوطان

تاليف ابي عثمان عمرو

بن بحر الجاحظ رحمة الله

عليه

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

ان لكل شيء من العلم ونوع من الحكمة وصنف من الادب سببا
يدعو الى تاليف ما كان فيه مشتتا ومعنى ما كان متفرقا ومتى
اغفل حملة الادب واهل المعرفة تمييز الاخبار واستنباط
الاثار وضم كل جوهر نفيس الى شكله وتاليف كل نادر من
الحكمة الى مثله بطلت الحكمة وضاع العلم واميت الادب ودرس
مستور كل نادر ولولا تقييد العلماء خواطرهم على الدهر ونقرهم
اثار الاوائل في الصخر لبطل اول العلم وضاع آخره ولذلك
قيل لا يزال الناس بخير ما بقي الاول يتعلم منه الاخر وان السبب
على جمع نتف من اخبار العرب في حنينها الى اوطانها وشوقها
الى تربها وبلدانها ووصفها في اشعارها توقد النار في اكبادها
اني فاوضت بعض من انتقل من الملوك ذكر الديار والنزاع الى
الاوطان فسمعته يذكر انه اغترب من بلده الى آخر امهد من

الصفحة الاولى من المخطوطة

فقد ازرى بمنازل الاحباب. وقال آخر في حب الوطن: سقى الله
ارض العاشقين بغيثه ورد الى الاوطان كل غريب واعطى
ذوي الهيات فوق مناهم ومتع محبوبا بقرب حبيب تمت هذه
الرسالة من كلام ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
بعون الله تعالى ومنه ولطفه والله
الموفق للصواب واليه المرجع
والمآب وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وصحبه اجمعين
وقع الفراغ من تنميقه في نصف شهر جمادى الآخرة من سنة ثلاث وثمانين وثمانماية
[illegible] على يد اضعف العباد قاسم بن مراد [illegible]
بمدرسة [illegible] بالموصل

الصفحة الاخيرة من المخطوطة

العَرضُ والنّقدُ والتّعريفُ

ترجمة مصادر « الجاحظ »

بقلم الدكتور

علي جواد الطاهر

للمستشرق الفرنسي شارل پلا عناية خاصة بالجاحظ ، وقد الف كتابا قيما بعنوان « الوسط البصري وتكوين الجاحظ »

LE MILIEU BAŞRIEN ET LA FORMATION DE GAHIZ

اصدره بباريس سنة ١٩٣٥ وهو مدرس بمدرسة اللغات الشرقية .

وقد اعجب الدكتور ابراهيم الكيلاني (مدير وزارة الثقافة والارشاد القومي ــ الاقليم الشمالي) بهذه الدراسة فنقلها الى العربية بعد ان زاد عليها بحثا آخر للمستشرق نفسه عن الجاحظ في سامراء، وصدرت الترجمة عن دار اليقظة بدمشق سنة ١٩٦١ .

واول ما نلاحظ على شكل هذه الترجمة ان المترجم غير عنوان الكتاب فجعله « الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء » . وقال عن المؤلف انه « الدكتور شارل بلات استاذ في جامعة الصوربون » وهذا غير دقيق لان الفرنسيين الحاصلين على الدكتوراه لا يكتبون قبل اسمهم : « الدكتور » ، وان صحيح بلات : پلا Pellat اي ان التاء لا تلفظ وهذا يقتضي اهمالها في الكتابة العربية حذرا من ان يلفظها القارىء العربي ــ وهذا الذي وقع ، وقال المترجم : جامعة الصوربون ، والصوربون (او السوربون) ليس الجامعة ، و انما الجامعة جامعة باريس ، والصوربون قسم منها ، واذا اراد الفرنسيون ان يستعملوا كلمة (الصوربون) قالوا : استاذ في الصوربون .

قدم المؤلف لكتابه ب Avertissement سماها المترجم « تمهيدا » واعقب المؤلف مقدمته بحديث موجز عن (المصادر) رتبها زمنيا مع تعليق يهم دارس الجاحظ بوجه خاص ، وقد نقل المترجم هذه المصادر الى العربية ولكنه لم يلتزم في ترجمة التعليقات . ومن ذلك :

١ ــ ان المسيو پلا يقول عن المسعودي ... (اساسي) ، ولكن الدكتور الكيلاني لم ينقل ذلك .

٢ ــ وقال المسيو پلا : ابن الجوزي ... ينظر سبط ، ولكن الدكتور الكيلاني لم يترجم ذلك .

٣ ــ وقال المؤلف Farmer ب F فقال المترجم فارمر كان الاسم مبدوء ب V .

٤ ــ قال المؤلف : « علي بن قاسم (الخوافي Al-Huwāfī) . (وفي الاصل نجد ال H تحتها سبعة صغيرة ، وهي في مصطلح المستشرقين الخاء العربية) الاديب : شاعر ، ينظر السمعاني ، الانساب ٢١٠ ، السيوطي ، البغية ٣٦٤ » . وقال المترجم : علي بن القاسم الحوفي ...

٥ ــ عقب المؤلف على قائمة المصادر بقوله :

La richesse apparante de cette liste ne doit pas faire illusion.

وترجمة ذلك: يجب الا يخدعنا الغنى الظاهري لهذه القائمة . ولكن الدكتور الكيلاني اهمل ترجمة « الظاهري » على ما لها من دلالة ..

وقدم المؤلف للفصل الاول من كتابه : « البصرة في القرنين الاول والثاني » بدراسة مصادر الفصل واثنى على كتابين من آثار المستشرق كايتاني : الاول Annali وهو نافع حتى عام ٤٠ ، والثاني Chronographia وهو نافع حتى سقوط الدولة الاموية سنة ١٣٢ .

ولكن المترجم تحدث عن كايتاني وكان له كتابا واحدا فظهر الاضطراب على عباراته اذ قال : « ان حوليات المشرق كايتاني Annali de Caetani حتى سنة ٤٠ هـ اداة ثمينة للعمل تعطينا مجموعة من المعلومات المفيدة جدا حتى سقوط الامويين سنة ١٣٢هـ »

وعمل المؤلف قائمة بالمصادر والمراجع التي استعان بها على دراسته مرتبا اياها على حروف الهجاء (الفرنسية) للمؤلفين ، واثبتها قبل الفصل الاول .

نقل المترجم هذه القائمة الى اواخر الكتاب وقسمها الى قسمين ، المصادر العربية ، المصادر الاجنبية ، ثم :

١ ـ انه لم يرتب المصادر على حروف الهجاء العربية وانما ابقاها على تسلسلها بالحرف الفرنسي ، فضاعت بذلك الفائدة العلمية المتوخاة من الترتيب الهجائي ، وهكذا راينا التسلسل الهجائي العربي يبدأ بالعين : عبدالرحيم،عبدالرزاق يليها الالف : الابشيهي ... ثم تعود العين : العسقلاني . وزاد القائمة اضطرابا تصرف المترجم بالاسماء ، ننظر في تسلسل المؤلفين فنرى هجاء ليس بالهجاء :

عبدالرحيم ، عبدالرزاق ، الابشيهي ، ابو حيان التوحيدي ، العجاج ، علي بن سليمان ... الجاحظ ، الغمراوي ، لطفي جمعة ، الغزولي ، الخفاجي ، حاجي خليفة ، الخطيب البغدادي ، طه حسين ، الحصري ، ابن ابي داود ، الاصطخري ، الكندي ، كراوس ، محمد كرد علي ، ... قدامة ، الربيع ... الثعالبي ، الزركلي ...

اجل صار اليعقوبي قبل ياقوت ، وهذان قبل الزبيدي والزركلي ، اما ان الـ Y قبل الـ Z في الفرنسية فمعروف ، ولكن كيف تكون الياء قبل الزاي في العربية ؟

٢ ـ تصرف المترجم في اسم العلم في وضعه الفرنسي فزاده نبوا في تسلسله فاذا جاء في التسلسل الفرنسي Abou Nuwās ثم Abou Rida جعله المترجم في التسلسل العربي : ابو نواس ثم عبدالهادي أبو ريدة ، واذا جاء بالفرنسية شيخو (ل.) حوله المترجم الى لويس شيخو ، واذا جاء كرد علي بين كافين بالفرنسية جعله المترجم محمد كرد علي بين كراوس والكتبي ..

٣ ـ يذكر المؤلف الفرنسي معلومات عن المصدر منها تاريخ وفاة المؤلف وتاريخا الطبع الهجري والميلادي ... ولكن المترجم العربي لم يعر هذه الناحية ما تستحق فكان يحذف تواريخ الوفيات ويكتفي من التاريخين بواحد .

٤ ـ ويذكر المؤلف الفرنسي فوائد ذات دلالة على اهمية المصدر في البحث ، ولكن المترجم العربي يحذف الكثير منها ، من ذلك ان المؤلف كتب الى جوار عبدالرزاق : مختصر كتاب الفرق بين الفرق (.. مختصر البغدادي) ولم يحتفظ المترجم بما بين القوسين .

ثم ان المؤلف ، عندما ذكر البغدادي وذكر كتابه الفرق بين الفرق ، قال ما معناه : طبعة رديئة لنص مهم ، وبانتظار ان يطبع طبعة جديدة يمكن الاستعانة بالمختصر وقد حذف المترجم ما قاله المؤلف .

وعندما ذكر المؤلف ابن الجوزي قال (خبر يرد لدى سبط ابن الجوزي) .

وعندما ذكر المازني ـ بشار ، يقصد كتاب المازني عن بشار بن برد قال : (لم نستطع رؤية هذا الكتاب) ، وعندما ذكر عمر بن شبه وكتابه اخبار البصرة قال : (بوسلطة الطبري) اي انه لم يقع على كتاب عمر بن شبه وانما وقع على خبر ـ او اخبار ـ منه اوردها الطبري ... ولكن المترجم العربي حذف الاقواس وما بينها كان لم تكن ذات اهمية .

٥ ـ نقل المترجم عددا من اعلام المؤلفين محرفة فقال في عبدالرحيم الطهطاوي : الطحطاوي (ص ٣٦٩) ، وفي الدمناتي Dimnati الدمنتي (ص ٣٧) ، وفي اعشى همدان : اعشى حمدان (ص ٣٧٠) ، وفي ابن خرداذبه : ابن خردادبة ، وفي ابن عنبة : ابن عنابه ، وفي مبارك (ز) : المبارك (زكى) ، وفي عمر بن شبه : عمرو بن شبة (ص ٣٧٨) .

٦ ـ تحرف لدى النقل الى العربية عدد من اسماء المصادر ، من ذلك اللآلي في شرح امالي القالي، صارت : اللآلىء (بالهمزة) ، ومروج الذهب للمسعودي ، صارت : المروج الذهبية ، ورفع الاصر (بالصاد) عن قضاة مصر ، صارت : رفع الاثر (بالهمزة) ، ونزهة الالباء في طبقات الادباء ، صارت: في طبقات الاطباء ، والطبقات الكبرى تسعة مجلدات، صارت : اربعة مجلدات .

٧ ـ اهملت الترجمة العربية عددا من المصادر والمراجع التي ذكرها المؤلف الفرنسي ، من ذلك :

عبدالحميد الكاتب (رسالة الى الكتاب ، رسالة في نصح ولي العهد) ، ابو الفدا ، اخبار ابي

نواس ، الدينوري (الاخبار الطوال) ، حمــزه الاصفهاني ، لغة العرب ، نزهة الادباء وسلوة الغرباء، الرافعي (تحت راية القرآن) ، الواقدي .

٨ ـ مراجع الفها عرب بالفرنسية ذكرهــا المؤلف ولم يذكرها المترجم :

Salama (I) و Talas (As'ad)

والمقصود بهما : ابراهيم سلامة ، واسعد طلس .

ومؤلف هندي Hamidultah اي حميد الله .

٩ ـ قال المؤلف Abū Haffan

ابو هفان بفتح الهاء وقال المترجم : ابو هفان من دون ضبط او تعليق للضبط بكسر الهاء .

١٠ ـ هناك سهو وقع في الاصل الفرنسـي وتكرر في الترجمة العربية ، فقد جاء في الكتــابين محمد شكري (الالوسي) ، معالم القربى ، سبط ابن الجوزي : كتاب الاذكياء ، مناقب بغـداد ، تلبيس ابليس ، ياقوت : ارشاد الاريب .. لندن ..

وتصحيح ذلك : محمود ، معالم القربة ، ابن الجوزي ، القاهرة .

وبعـــــد

فأن المؤلف ذكر في مقدمته مايدل على ان كتابه رسالة علمية قدمها لنيل الدكتوراه ، ولكن المترجم اهمل نقل ذلك الى القارىء العربي .

* * *

تعقيبـــات

الدكتور نوري حمودي القيسي

١ـ حول اشعار صاحب الزنج

في العدد الثالث من المجلد الثالث من مجلة المـــورد ١٣٩٤ـ١٩٧٤ نشر السيد احمد جاسم النجدي اشعار صاحب الزنج . وقد قدم لهذه الاشعار بمقدمة قصيرة لم يكشف لنـا فيها عن القيمة الشعرية لهذا الشاعر او القيمة الفنية لشعره ، ولكنه اقتصر على عبارات اطلقها على صاحب الزنج حيث بدا مقالته بقوله : عرف علي بن محمد الورزنيني ثائرا وقـائدا « لثورة الزنج » ثم عاد بعد ثلاثة اسطر فقال « وكتب الدارسون المحدثون عنها وعن قائدها كثيرا من الدراسات والمقالات جعلت من صاحب الزنج ـ ثائرا ـ شخصية معروفة لدى الكثيرين ..

اقول لقد ذكر السيد احمد جاسم النجدي هذه العبارات في صدر مقدمته وقد انتفع كما اشار من نشرة الدكتورعبدالجبار ناجي لمخطوطة الوافي بالوفيات للصفدي حيث نشر القسم المتعلق بترجمة صاحب الزنج واخبار ثورته ... وكنت امـل ان يقف السيد المحقق عند ما كتبته عن المقال في العدد الاول من المجلد الثاني ١٣٩٣ ـ ١٩٧٣ حيث انتهيت الى افتقـاد الجانب الانساني عند هذا الرجل لان النص الذي نشـــره الدكتور عبدالجبار ناجي يبطل كل الحجج التي تجعل منـه رجلا انسانيا ... فهو يحرق نصف الدنيا ويخرب البصـرة وينهب البحرين وياخذ اموالها ويستولي على غلمان الناس ، ينهب ويقتل ويعبث ويفسد ويفتك بالخلق الكثير ويستبيح المدن ليومين متتالين .. هذا بعض ما قام به هذا الرجل فهل يجوز ان نظل سائرين في حلقة الانسانية البائسة التي اصبح بطلها صاحب الزنج دون سند علمي ...

اما الجانب الاقتصادي فيحدثنا النص الذي اعتمد عليه محقق شعره بانه استاثر بالمال والجواهر واستحوذ عليهـــا ووزعها على نسائه (وهم كثر) واولاده وعندمـا انكر عليـــه جماعته قال : نسائي ليس كنسائكم .. وهذا يعني انه اباح لنفسه ما حرمه على الاخرين .. وعندما كثرت حاشيته كف ايدي الزنج عن النخل والزارع وجبي الخراج منهم والصدقة وصرفه الى اصحابه فتغلغلت قلوب الزنج فساءت احوالهـــم وهموا بالوثوب عليه ...

هذا ما حدثنا به النص ، وهذا ما حدثتنا به الكتب .. فاي ثائر بعد كل هذا ...؟واي قائد بعد كل هذا الاستحواذ ... هو صاحب الزنج .

ان صفحات التاريخ ستبقى تحدثنا بهذه الاخبار،وسيبقى قسم من الباحثين غارقين في اوهام ثورة صاحب الزنج وغارقين في اساطير صاحب الزنج .. تمر عليهم النصوص فيطبقـــون اجفانهم حرصا على الثائر المزعوم ، ويشيحون بوجوههم عـن كل القصص والالام التي خلقها هذا البطل ، ويطمســـون كـل السطور الدامية التي كتبها هـذا (الثائر) ويقفون معجبين امام السنة النار التي حرقت الشيوخ والاطفال والمدن والقرى وتلك لهم روافد الدم والعبرات وهي تروي الارض العربيـــة اعجابا بهذا الثائر البطل ..

ان صاحب الزنج سيظل بطلا وقائدا وثائرا في عرف بعض الدارسين ، ولكن كيف تكون البطولة ، وكيف تكون القيادة ، وكيف تكون الثورة .. هذه الاسئلة ستبقى اجوبتها محصورة في اذهان هؤلاء الدارسين الذين لم يجدوا لها من الاســانيد مـا يؤكدها .. ان الاساليب الانشائية التي غلبت على هذا النفر لا يمكن ان تشكل بعدا في عصر الحقائق العلمية .. فـاذا كان صاحب الزنج قائدا فكيف يكون ...؟ واذا كان صاحب الزنج ثائرا فما هو بُعد الثورة التي نادى بها ... ؟

ان استباحة الدماء العربية فوق ثرى الارض العربيـة لا يشكل ثورة تستحق مثل هذا التبجيل ، وان انفلات المرتزقة الحاقدين على اصالة هذه الامة لا تستاهل هذا التقدير .. فاذا قدر لكل الغارقين في حقدهم ان يوضعوا في مثل هــذه المواضع فتلك اكذوبة كبرى من اكاذيب التاريخ . وقد آن لاجيال الامة الصابرة ، ولحملة تراثها الخير ان يبصروا الناس بامثال هذه الحقائق ليكونوا على معرفة بها ...

قد تكون هذه المقدمة لها صلة ولو من بعيد بما كتبه السيد احمد النجدي عن اشعار صاحب الزنج ، فالدافع الحقيقي الذي دفعني هو هذا الخلط الذي وقفت عليه في هذه الاشـــعار .. وساكتفي بالاشارة الى خطأ النسبة وبيان المواضع التي وردت فيها الابيات منسوبة لغير صاحب الزنج ..

١ ـ القطعة الثانية الصفحة /١٦٨ بيت واحد وضـع في اشعار صاحب الزنج نقلا عن المختار من شعر بشار /٨٠ ، وعند مراجعتي لكتاب المختار وجدت البيت منسوبا للعلوي البصري . والمعروف ان اشعار صاحب الزنج تميز عن غيرهـا في النسبة فيقال لعلي بن محمد صاحب الزنج ... وقد وجدت البيت المنسوب لصاحب الزنج من قصيدة ثبتها السيد محمد حسين الاعرجي ناشر ديوان علي بن محمد الحماني (المورد ـ العدد الثاني ـ المجلد الثالث / ١٣٩٤ـ١٩٧٤) ضمن قصيدة ثابتة النسبة للحماني وقد خرجها المحقق بمـا يثبت صحـة نسبتها للحماني وليست لصاحب الزنج .

٢ ـ القطعة الرابعة ، خمسة ابيات ، اشار المحقق الى نقلها عن الوافي الذي نشر في مجلة المورد .. ومن الغريب ان تترك الابيات على هيئتها ويسلم المحقق بنسبتها دون الرجوع

الى المصادر القديمة .. والابيات من قطعة مشهورة لسعد بن ناشب المازني فهي من تسعة ابيات في حماسة أبي تمام (المرزوقي) ٦٧/١ وعيون الاخبار ١٨٧/١ ومن سبعة أبيات في الشعر والشعراء/٥٨٥ والقسم المخطوط من كتاب الزهرة الورقة/١٨٢ ومن خمسة أبيات في أمالي القالي ١٧٥/٢ ومجموعة المعاني/٢٣ ومن بيتين في بهجة المجالس ٤٥٧/١ ونسبت في كل المصادر الى سعد بن ناشب المازني الا في عيون الاخبار حيث جاءت بلا عزو ونسبها المحقق في الهامش الى سعد بن ناشب .. ومن الغريب ان يغفل المحقق هذه القصيدة وهي على شهرتها فينسبها الى صاحب الزنج مكتفيا باشارة واحدة ظفر بها في الدراسة التي قدمها الدكتور عبدالجبار ناجي في مقدمة نص الصفدي الذي تحدث فيه عن ثورة الزنج .. واذا رغب في زيادة تخريج البيت الرابع فعليه بقواعد الشعر /٤٩ علما بان البيتين الرابع والخامس وبيتا اخر اوردهما صاحب جمع الجواهر منسوبين الى سعد بن ناشب .

٣ ـ القطعة الثامنة ثلاثة ابيات نسبها المحقق الى صاحب الزنج ومصدره الوحيد فيها ديوان المعاني ١٠٨/١ـ١٠٩ وعند الرجوع الى ديوان المعاني وجدت الابيات منسوبة الى علي بن محمد البصري وهو غير صاحب الزنج ومما يؤكد نسبتها الى علي ابن محمد العلوي وجودها في النصف الثاني من الزهرة الورقة/ ٥٤ منسوبة اليه وفي رواية بعض أبياتها اختلاف .

٤ ـ القطعة (١٧) سبعة ابيات اشار المحقق الى المراجع التي نسبتها الى صاحب الزنج وهذه المصادر هي الامالي ٤٣/١، عمدة الطالب/٢٨٦ مجموعة المعاني/٣٨ ، صبح الاعشى ٢٠٥/١٣ والمفروض ان هذه المراجع تنسب القطعة الى صاحب الزنج ، لان المحقق لم يشر في تخريجه الى اية ملاحظة تتعلق باختلاف رواية او اختلاف نسبة او زيادة ابيات ، والمفروض ايضا ان هذه الابيات السبعة مذكورة في هذه المصادر دون زيادة او نقصان .. الا ان الحقيقة تخالف ما ذهبت اليه من مراجع المحقق للاسباب الآتية :

أ ـ الابيات التي ذكرها كتاب الامالي ٤٣/١ هي الرابع والخامس والسادس والسابع وهذا يعني ان اربعة ابيات فقط من القطعة مذكورة في المصدر .

ب ـ في الابيات الاربعة المذكورة في امالي القالي اختلافات لم يتعرض لها المحقق ..

جـ ـ الابيات الاربعة المذكورة في الامالي لم تنسب وانما قدم لها بقوله : ومما اخترته ودفعته الى ابي بكر فقراه علي :

د ـ المعروف ان كثيرا من الابيات التي يذكرها القالي يعرض لها البكري في السمط ليشرح ما اغفله القالي ، ويبين من معاني منظومها ومنثورها ما اشكل ، ويوصل من شواهدها وسائر ابياتها ما قطع ، وينسب من ذلك الى قائله ما اهمل .. وهذا يعني ان البكري سيعرض لهذه الابيات الغفل ، وعند مراجعتي لكتاب السمط وجدت الرابع وبيتا اخر جديدا لم يذكر في ابيات المحقق /١٨٢ وقال البكري بعد ان ذكر البيت الرابع : وهذا الشعر نسب الى ابن المولى محمد بن عبدالله ابن مسلم مولى بني عمرو بن عوف من شعراء الدولتين ويوصل به بيت خامس وهو :

واذا الفوارس عددت ابطالها
عدوه في ابطالهم بالخنصر

هـ ـ وعند مراجعة ديوان الحماني المنشور في مجلة المورد العدد الثاني ـ المجلد الثاني /٢١٨ وجدت الابيات في اشعاره وتخريجها في عمدة الطالب /٢٨٦ عدا الخامس (وهذا لم يرد في شعر صاحب الزنج) والبيتان « ٤ ، ٥ » في مجموعة المعاني : ٣٨ (وهذا لم يرد في شعر صاحب الزنج) ونسبا لصاحب الزنج ، والابيات ٤ ، ٥ ، ٢ ، ٣ في اعيان الشيعة ٤٢/ : ٥٢ منسوبة للحماني ..

٥ ـ القطعة (٢٥) بيت واحد اشار المحقق الى نسبته لصاحب الزنج نقلا عن بهجة المجالس/٢٩٦ .. فاذا كان المحقق قد انتفع من مجموعة المعاني في تخريج القطعة السابقة فلِمَ لم ينتفع من مجموعة المعاني في هذا البيت وهو مذكور مع بيت اخر في الكتاب /٩٠ وقد نسبا لعلي بن محمد العلوي .. وهما من الابيات التي رجع نسبتهما الى الحماني محقق ديوانه والبيتان مع اختلاف في الرواية في النصف الثاني من الزهرة الورقة /١٦ وفي نسمة السحر ١٥٥/٢ـ١٥٦ ويضاف اليهما تخريجهما في ديوان الحماني .. وهذا يعني ان البيت لعلي بن محمد الكوفي وليس لصاحب الزنج .. علما بان المحقق قد ترك البيت دون ان يشير الى تدافع النسبة حوله .

٦ ـ القطعة (٢٨) ثلاثة ابيات اشار المحقق الى ان تخريجها في جمع الجواهر/١٩٢ وشرح نهج البلاغة ١٥/٣ـ١٦ والمعروف ان البيتين الاول والثاني لعلي بن محمد العلوي كما نسبهما صاحب الزهرة الورقة /٥٢ وكذلك نسبهما العسكري في ديوان المعاني ٥٠/٢ للحماني وكذلك هو في نسمة السحر ١٥٦/٢ .

ورجح نسبتهما للحماني محقق شعره بعد أن اورد قائمة بمواضع التخريج التي تنسبهما له . ولعل صاحب مجموعة المعاني الوحيد الذي رجح نسبةالابيات لصاحب الزنج الىجانب صاحب جمع الجواهر .. وكان الاولى في مثل هذه الاحوال ان يشار الى اختلاف الروايات في النسبة وترجيح النسبة الصحيحة من خلال الاستبطان الداخلي للنص ودراسة النفس الشعري ..

٧ ـ القطعة (٣٧) وهي ستة اشطار من الرجز نسبها السيد المحقق الى صاحب الزنج نقلا عن ديوان المعاني ١٢٠/١ ومجموعة المعاني /٤٧ ، وعند الرجوع الى ديوان المعاني وجدت الاشطار منسوبة لعلي بن محمد وهذا لا يعني انها لصاحب الزنج وانما هي لعلي بن محمد الحماني والذي يؤكد صحة هذه النسبة ورود الاشطار منسوبة الى علي بن محمد العلوي في النصف الثاني من الزهرة الورقة /٥٤ وفي رواية بعض الالفاظ اختلاف ..

انني لم احاول ان اقف مع المحقق لمناقشة المنهج الذي سلكه لانني لم اجد السيد المحقق قد اتبع حتى ابسط المسائل البديهية المعروفة في عملية التحقيق وساكتفي بالاشارة الى هذه البديهيات التي لم يلتزم بها وهي :

١ ـ ان التحقيق خال من الدراسة التي يجب ان يقدم بها لكل شاعر ، حتى يكون القارىء على علم بحياة الشاعر وخصائص شعره واهم الجوانب الشعرية التي عالجها ، وابرز المسائل الادبية التي وقف عندها . وتقويم الظاهرة الشعرية التي استطاع ان يبرزها من خلال وضعه الشعري ومظاهر اخرى قد يقف عندها الباحث .

٢ ـ اغفال الظاهرة المتميزة التي برزت بروزا واضحا في شعر هذا الشاعر ، وهي اختلاط شعره ودراسة اسباب هذه الظاهرة والعوامل التي ادت اليها ، ومحاولة الوقوف عند الاشعار التي يمكن ان تكون له ، او لغيره . وهي ظاهرة يستطيع المحقق اعطاء الحكم الصحيح فيها لانه اقدر من غيره على تمييزها .

٣ ـ تثبيت الاختلاف الذي لم يلتفت اليه المحقق واكتفى بايراد المصادر مجردة ، وهذا يعني ان الابيات وردت في كل هذه المصادر متشابهة في الوقت الذي كانت فيه الابيات مختلفة في رواية بعض الفاظها ، وتثبيت الاختلاف اصبح من اصول التحقيق العلمي ، والعمل الذي لا يلتزم به يفقد اهميته العلمية ويخرج عن الاطار التراثي الذي يسعى الى تقديمه المحقق .

٤ ـ تثبيت عدد الابيات في المصادر التي تحتويها .. ان اي بديهية من هذه البديهيات تعد اساسا من اسس التحقيق فكيف يمكننا ان نمر على قصيدة عدد ابياتها تسعة مثلا ، ونكتفي بايراد المصادر التي وردت القصيدة فيها او وردت بعض ابياتها فيها ، دون الاشارة الى عدد الابيات التي وردت في كل مصدر . فربما يكون المصدر قد ذكر تسعة ابيات ومصدر اخر ذكر ستة ابيات وثالث روى اربعة ورابع ذكر خمسة باختلاف وهكذا ... فمن اين يستطيع الباحث او القارىء ادراك هذه الحقيقة اذا كان المحقق قد اجمل المصادر التي اتت على ذكر القصيدة دون ايضاح بعدد الابيات التي احتجنها كل مصدر ... ان العمل العلمي يحتاج الى الدقة والضبط .

٥ ـ تمييز الابيات المنسوبة والابيات غير المنسوبة ، او ايضاح النسبة كما ورد في المصادر وهذه قضية اخرى اغفلها المحقق واكتفى بايراد المصادر ، علما بان بعض الابيات كانت تنسب الى علي بن محمد ، او علي بن محمد العلوي ، او علي ابن محمد البصري أو الحماني ، ولكن السيد المحقق لم يشر الى هذه النسبة بعد ان جعلها واحدة ومتساوية في النسبة ، وهي قضية خطيرة في عالم التحقيق لانها تدخل في باب (تحوير النص) ونسبته الى غير صاحبه . وامانة التحقيق الاولى هي اخراج النص كما اراد له المؤلف أن يكون . فكيف بنا ونحن نغفل الاسماء الحقيقية التي صنعت النص ؟ اظن الاخ النجدي يوافقني في ذلك .

٦ ـ الانتفاع من المصادر .. لقد وقفت وانا اتابع بعض القطع عند نص اورده صاحب مجموعة المعاني ولكن الاخ المحقق لم يقف عليه ، في الوقت الذي وجدته ينتفع من الكتاب في موضع اخر ، وهذه آفة اخرى من آفات المحققين .. فالذي نعلمه ان مراجعة المصادر تكون دقيقة ، والوقوف عندها يكون مضبوطا فاذا كانت الطريقة التي سلكها الاخ المحقق بهذه الشاكلة فانها تمثل ظاهرة اخرى من افلات كثير من النصوص التي يمكن الاستفادة منها على الرغم من توفرها في المصدر الذي ظفر به المحقق . ولعل المثال الاخر الذي يؤكد هذه الظاهرة هو ورود البيتين الرابع والخامس من القطعة الرابعة التي نسبها لصاحب الزنج قد وردا في جمع الجواهر /٧٩ ولم يشر اليهما المحقق مع اعتماده المصدر في اكثر من قطعة .

٧ ـ من القريب ان يكون المحقق جريئا الى الحد الذي يجعله يقدم على اخراج النص وهو لم يستكمل حتى بعض المصادر القريبة .. او بيت في نسبة ابيات دون الرجوع الى بعض المصادر الواقعة في متناول اليد وقد وقع المحقق في كثير من هذا كما ذكرت في عرض للديوان .. وهي جراة ومغامرة في ميدان يحتاج الى كثير من الصبر والجلد والمثابرة .. وهي صفة لو لازمت الفرد لحكم على كثير من اعماله بعدها عن الاطار العلمي .

٨ ـ ترتيب المصادر ترتيبا زمنيا .. ولعل هذه الظاهرة هي جانب اخر ابتعد عنه المحقق في كثير من اعماله كما وقع في هامش القطعة (١٧) والهامش (٣٧) .

انني كما قلت لا اريد ان اقف طويلا عند منهج الاستاذ المحقق لان العملية تحتاج الى دراسة مفصلة ولكنني آثرت ان اضع خطوطا عامة لمنهج التحقيق لتكون نموذجا لمن يريد ان يسلك هذا المسلك حتى تكتمل له اداة العمل وتتوفر له وسيلة التحقيق والسلام .

ملاحظة مهمة ...

لقد نشر الاستاذ مزهر السوداني شعر علي بن محمد الحماني الى جانب نشرة الاستاذ محمد حسين الاعرجي لهذا الديوان ، وكانت اشاراتي في التعقيب مقتصرة على نشرة الاعرجي لانها نشرت في المورد وهذا يسهل تداولها في الايدي ، ومع هذا فساحاول الاشارة الى الابيات المختلطة التي اوردها محقق اشعار الزنج مقابلة مع نشرة الاستاذ مزهر السوداني لينتفع بها من وقعت في يده هذه النسخة كذلك ..

١ ـ البيت في الديوان /٢٩٥ من قصيدة في المحاسن والمساوىء /١٠٣ والمحاسن والاضداد /١٠٤ .

٢ ـ الابيات الثلاثة من القطعة الثامنة ذكرت في الديوان /٢٩٩ نقلا عن الزهرة المخطوط .

٣ ـ القطعة (١٧) الابيات الاربعة الاخيرة منها ذكرت في الديوان /٣١٥ نقلا عن اعيان الشيعة ٥٢/٤٢ ، وعمدة الطالب /٢٣٢ (٢ ـ ٤) منسوبة لصاحب الزنج علي بن محمد .

٤ ـ القطعة (٢٥) البيت واخر ذكرها في الديوان /٣٢٢ وذكرت مراجعة وقد انفرد صاحب بهجة المجالس بنسبة البيت الى صاحب الزنج .

٥ ـ القطعة (٢٨) ورد البيتان الاول والثاني في الديوان /٣٢٢ وفي جميع مراجع التخريج لم يشر الى نسبتها الى صاحب الزنج .

٦ ـ القطعة (٣٧) ذكرت في الديوان /٣٣٣ نقلا عن الزهرة المخطوط ومجموعة المعاني /٤٧ ولم يشر الى نسبتها الى صاحب الزنج .

٢ـ تعقيب حول كتابين تراثيين ... (١)

من المبهج ان يتابع المهتمون بشؤون التراث ما ينشر من نصوص وما يجمع من دواوين (١) ومن المبهج حقا ان تكون (بعض جوانب) هذه المتابعة متسمة بالدقة والاهتمام والاستقصاء الذي لا يأتي الا نتيجة جهد متواصل ، وانصراف كلي ، واقتدار متمكن . وهاتان الظاهرتان تكفلان للاعمال الادبية النمو ، وتمنحانها الحياة ، وتضفيان عليها رداء القدرة على تقديم كل عطاء وايضاح كل جانب تاهت في طوايا الزمن ابعاده ..

كنت احس هذا الاحساس وانا اقرأ تعقيب الاخ محمد جبار المعيبد وهو يكتب عن صنعتي لشعر المرار بن الفقعسي في العدد الثاني (المجلد الثالث) من مجلة المورد ، وهو تعقيب شعرت بما بذله الاستاذ المعيبد ـ وهو يشير في ملاحظاته القيمة ـ من عناء كبير ، ومراجعة طويلة ، وكان يودي ان يقع هذا الجهد في الموقع الذي اراده له الاستاذ المعيبد ، ليعطي الفائدة الكاملة ، ولكنه كما يبدو اخفق في جانب كبير مما اراد. وفي هذه الاشارات التي وقفت عندها ايضاح لهذا الاخفاق ، وتبيان لما لم يُفلح تحقيقه ..

١ ـ في الملاحظة الرابعة قال الاستاذ المعقب . قال : والبيتان (٤ـ٥) في الحماسة البصرية ٣٦٢/٢ . والصواب : الابيات ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ...

اقول : البيت السادس الذي اشار اليه الاستاذ المعيبد لم يكن له وجود في الحماسة ، وانما المذكور العاشر.اما الثالث الذي اشار اليه فرواية الحماسة رواية مغايرة له .

٢ ـ في الملاحظة السابعة قال الاستاذ المعقب : ورواية البيت في المصدر الوحيد الذي خرج فيه ام لعينيك .. »

اقول : ورواية البيت بالشكل الذي اختاره محقق حماسة ابن الشجري بعيد عن المعنى ، ولو كلف الاخ المعقب نفسه ونظر الى هامش الحماسة البصرية لوجد فيه رواية اخرى مطابقة لروايتي التي رجحتها ، وهي رواية ثانية لنسخة اخرى من المخطوطة ، فمحقق الحماسة اختار (لعينيك) واخترت (بعينيك) وهي اقرب واوفق . وهذا يعني ان رواية البيت لم تكن في المصدر الوحيد وانما في مصدرين اخذ باحدهما صاحب الحماسة البصرية واخلت بالثاني

٣ ـ في الملاحظة التاسعة قال المعقب : ابياتها الثلاثة تنسب للمتوكل الليثي .... وهي بشعر المتوكل الليثي اشبه..

اقول ... ان مصادر التخريج التي ثبتها وهي « بهجة المجالس وحماسة ابن الشجري والصناعتين وصبح الاعشى تجمع على نسبتها الى المرار » وربما اختلف في نسبتها فنسبت الى المتوكل الليثي . او وجدت ضمن قصيدة للمتوكل الليثي ، اما ما ذهب اليه الاستاذ المعقب من انها بشعر المتوكل الليثي اقرب فهو مخالف لاصول البحث التي اجمعت على نسبتها للمرار الفقعسي .

٤ ـ في الملاحظة الحادية عشرة قال المعقب : ارقام صفحات كتاب الحيوان ... ليست ارقام الطبعة التي اعتمدها (طبعة هارون ـ انظر المصادر) وانما هي ارقام (طبعة الساسي المغربي) التي اعتمدها اليمني في السمط في تخريجة ابيات المرار نقلها عنه المحقق دون مراجعة الحيوان .. ولو رجع الى طبعةهارون ٤٦٥/٤ لوجد البيتين (٣ـ٤) منسوبين للمرار بن منقذ ..

اقول : من الغريب ان يقع الاخ المعيبد في موقع لا ارتضيه له وهو يعقب مثل هذا التعقيب لان الاولى ان يتأكد مما كتبت ولا يطلق الكلام بهذا الشكل . فالبيتان وردا في موضعين من الحيوان ، الاول في ١٢١/٣ ونسب البيتان الى الاسدي وهو المرار الفقعسي لا العدوي كما وهم الاخ المعقب .. والثاني في ٤٦٥/٤ واشار محقق الحيوان الى نسبتهما للاسدي في الهامش فهل يعني بعد هذا ان البيتين للعدوي ، وهل يعني اني نقلت الهامش دون المراجعة و ...

٥ ـ في الملاحظة الثانية عشرة قال المعقب : لا معنى لعجز البيت اذا قرا ..

تزيد لعيني الشخوص السواجع . وصوابه كما في معاني الاشنانداني

ترود لعيني الشخوص الشوافع .. ثم شرح المعنى

ومن الغريب ان يتنكر الاخ المعقب رواية ثعلب التي ثبتها ويرتضي رواية الاشنانداني الذي ثبتها .. والمعنى الاول موافق تمام الموافقة لما يريده الشاعر لما كان يشعر به من هواجس واصبحت هذه النفس تزيد لعينه الشخوص وهو معنى طرقه الشعراء كثيرا ...

اما اشارة الاستاذ المعقب « لا معنى لعجز البيت .. » فليه خروج عن الطريقة العلمية في المناقشة .. لان هذا يعني ان لا معنى برواية ثعلب وهو اعلم بالروايات المختلفة لكثير من الابيات ، ولكن من الصعب البت في هذا الجزم الذي يوقع صاحبه بالوهم .

٦ ـ في الملاحظة الثالثة عشرة قال الاستاذ المعقب :

آ ـ نسب البيت في المعاني للمرار الفقعسي بهذا الشكل (... وكقول المرار « بن سعيد الفقعسي ») فزاد محقق المعاني (ابن سعيد الفقعسي) بين عضادتين ، دون ان يدل على سبب لهذه الزيادة ثم ذكر في هامشه : (نسبه الزمخشري الى المرار بن منقذ سهوا) .

ب ـ نسب البيت في اللسان / تشع للمرار مطلقا ، فاذا صحت نسبة البيت للفقعسي نقول (وهم الزمخشري) ولا نقول (سها) فكيف والبيت لم تصح نسبته ..

اقول : ان الاستاذ المعقب وقع في اكثر من وهم في هاتين الفقرتين وسأوضح الحقيقة في ذلك ..

١ ـ لو تفضل الاخ المعيبد بقراءة الهامش المثبت تحت القطعة رقم (٦٢) لوجده ينص على ان هذه الابيات وما يليها من ابيات تشكل قصيدة واحدة ـ اجمع الرواة على نسبتها للمرار الفقعسي ـ ولكنني لم اهتد الى مصدر يجمعها او يجمع بعضها ، ولهذا ارتأيت ان تكتب على هذه الهيئة ولعل مصدراً من المصادر يعثر عليه فيهدينا الى ترتيبها بالشكل الذي نظمت عليه ... وهي اشارة صريحة الى ان هذه الابيات والبيت الذي اشار اليه المعقب يقع ضمن هذا الاطار .

---

(١) نشر الاستاذ محمد جبار المعيبد تعقيبا في العدد الماضي من مجلة المورد حول المرار بن سعيد الفقعسي بتحقيقي .

٢ ـ لو تفضل الاستاذ المعيد بقراءة مقدمة الديوان (المورد /١٥٨) لوجد نصا يعالج نسبة مثل هذه الابيات وهو « ان ظاهرة اقتصار كثير من كتب الادب عند استشهادها لبعض الابيات على ذكر المرار دون ان تحدد اي المرارين هذا .. تشكل ضياعا لشعر هؤلاء الشعراء واختلاطا في نماذجهم الشعرية ، وفقدانا للخصائص التي يتميز بها كل واحد منهم ، وقداستطعت ان اتلافى هذا الخلط ، واستخلص ـ الى جانب شعره المنسوب صراحة ـ تلك المقطعات التي كانت تكتفي بذكر المرار وأحدد نسبتها الى المرار الفقعسي الاسدي ، مستعينا بالدليل الذي يثبت صحتها كان تكون من ابيات نسبت صراحة اليه ، او تكملة لابيات اجمع رواتها على نسبتها اليه ، او تكملة لابيات اجمع رواتها على نسبتها اليه ... انتهى النص المثبت في مقدمة الديوان . فماذا يريد الاستاذ المعقب ان اقول .. وما هو عمل المحقق في مثل هذه الاحوال اذا .

٣ ـ القطع (٦١-٧٣) هي قطعة واحدة وقد ثبت هذا الرأي في المقدمة والهامش المذكور تحت القطعة ، على الرغم من فصلي بينها وقد اجمع القدامى على نسبتها الى المرار الاسدي .

٤ ـ لم نجد للمرار العدوي قصيدة بهذا الروي حتى نشك في صحة النسبة او نتردد .

٥ ـ اتفاقها في الغرض والمعنى والنفس والصياغة مع ابيات القطعة التي نسبت ابياتها صراحة اليه ..

٦ ـ ان الاستاذ المستشرق سالم الكرنكوي محقق المعاني الكبير الذي وضع (بن سعيد الفقعسي) لم يكن من الجهل بحيث يلحق هذه النسبة دون ان يجد ما يعينه عليها . ولعل احد المخطوطات او المصادر او نسخة من نسخ المعاني الكبير التي كان يستعين بها هي التي صححت هذه النسبة والا فما الداعي لاضافة ابن سعيد الفقعسي .

٧ ـ اما محاسبتي على استخدام (سها) ولم استخدم (وهم) فلا اعلق عليه باكثر من قول الشاعر :

والناس فيما يعشقون مذاهب ..

٧ ـ في الملاحظة الرابعة عشرة قال الاستاذ المعيد : ذكر البكري في السمط /٧٨٨ البيت الثالث وقال (وهذا البيت ينسب لجرير ..) وقد تجاوزه المحقق مع انه رجع الى الصفحة المذكورة ..

اقول : يبدو ان الاخ المعيد كان لا يقرأ الا الاصول ، ويتجاوز الهوامش مع انه رجع الى الاصول المذكورة في الصفحة نفسها ، ولو دقق النظر واخفض طرفه الى الاسفل قليلا لوجد ما كان يبحث عنه ولكفى نفسه جهد المشقة ، وبذل المتاعب فقد كتبت القطعة (٩١) ما يلي : قال صاحب السمط وهذا البيت ينسب الى جرير ، والصحيح انه للمرار الاسدي ، ولم اجده في ديوان جرير (صادر) . (هذا قولي) .. المورد/١٧٤ .

فهل اكون حقا قد تجاوزت ملاحظة صاحب السمط يا اخي الكريم ...

٨ ـ في الملاحظة الخامسة عشرة قال الاستاذ المعقب .. « البيت الاول منها نسبه البكري في السمط /٣٠٤ للهذلي ، وقد تجاوز المحقق ايضا مع انه رجع الى الصفحة المذكورة » .

اقول : البيت في السمط لم يكن للهذلي كما قال الاخ المعيد وان الذي اشار اليه هو ما يلي : نسب يعقوب (ابن السكيت) هذا البيت الى الهذلي ، ولا اعلمه في اشعار هذيل ، وقد جمعت منها كل رواية الا ان يكون في شعر ابي خراش الذي اوله ...

وقال الاصمعي . بل قالها خراش قال وهي في رواية بعضهم سبعة ابيات وبعضهم يجعلها في قصيدتين ، فلعل هذا البيت الشاهد في القصيدة الساقطة وهذه القصيدة التي ذكرت اولها ليست فيما رواه ابو علي هي في رواية السكري . وقد روى ابو علي لابي خراش قصيدة اخرى على هذا الروي والعروض ..

انتهى قول البكري .. « الذي في الاصلاح ٢٠٦/١ انه للاسدي وهو المرار الفقعسي كما في اللسان (غفر) عن ابن بري .. وهو الذي ثبته في تخريج القطعة . و

فالبيت اذا عند البكري لم يكن منسوبا للهذلي مطلقا لانه نفى الرواية في قوله : ولا اعلمه في اشعار هذيل .. والبيت لم يكن منسوبا الى الهذلي حتى عند ابن السكيت كما ثبته الميمني وكما هو مذكور في الاصلاح وهذا ما جعلني اتجاوز النسبة الى الهذلي لعدم اثباتها فماذا يقول الاخ المعقب بعد كل هذا هل ان صاحب السمط نسبه الى الهذلي ؟ .. وهل ان البيت للهذلي ، واي الهذليين هذا الذي يعنيه الاخ المعيد ؟ انني لم اتجاوز رواية السمط وانما احلت اليه في التخريج كما مثبت (المورد/١٨٣) نظرا لهذا الخلط والوهم العجيب والنفي القاطع في اخراجه عن دائرة شعر الهذليين . ولكن الاخ المعيد التبس عليه الامر فتصور التجاوز واقعا .

في الملاحظة العشرين قال الاستاذ المعقب .. « عثرت على ابيات اربت على الخمسين بيتا لم ترد في ما جمعه الدكتور القيسي » .

اقول .. من الغريب ان يفتتح الاخ المعيد هذه الملاحظة ـ وهو في صدد الحديث عن الابيات الجديدة التي لم ترد في جمعي .. بهذه العبارة المثيرة التي تجافي الحقيقة العلمية . ولا اكون مغاليا ـ اذا كانت طريقتي شبيهة بطريقة الاخ المعيد ـ ان اقول اذا كنت معقبا .. عثرت على خمسمائة بيت لم ترد في ما جمعه الدكتور القيسي . وربما استطيع ان اتجاوز هذا العدد الى الضعف اذا كنت اضيف كل شعر المرارين الى المرار الفقعسي واذا كنت اضيف كل اشعار المرار العدوي الذي اجمع الرواة على نسبتها اليه الى المرار الفقعسي ، واذا كنت اضيف كل زعم او افتراض زعمه بعض الضعفاء من الرواة في نسبة قصائد مشهورة الى شعر المرار الفقعسي .. اذا كان الحديث بهذا الشكل فانا استغرب من الاخ المعيد ان يكتفي بهذا القدر من الابيات التي عثر عليها ، ولمَ لم يجعل الاخ المعيد المفضلية التي ذكر ثلاثة ابيات من الابيات التي استدركها ضمن هذه القائمة ليقفز العدد الى المائة والخمسين، لان المفضلية كما اوردها المفضل تجاوزت التسعين بيتا ..

الاخ المعيد لم يكن غريبا عن التحقيق ، وقد اصبح الامر في هذه المسائل من البديهيات في موضوع التحقيق ، فما فائدة ابيات اوردها في المجموع والقول عنها انها للمرار العدوي .. الم تصادف الاخ المعيد مثل هذه المصادفات فيعزف عنها لانها واضحة الزيف ، بينة التلفيق ، . ولا اريد ان اذهب بعيدا وانما اقول : ان الاخ المعقب قال وهو يذكر بيتين .. نسبهما البكري في السمط /٨٣٢ للمرار بن منقذ العدوي . ثم قال

او قد نسب هذا الشعر الى المرار بن سعيد الفقعسي الاسدي . وقال المعقب : والبيتان من قصيدة طويلة للمرار العدوي في المفضـليات ..

اقول : ماذا ينتظر مني الاخ العبيد ان اقول وهـو يعقب .. والبيتان من قصيدة طويلة للمرار العـدوي في المفضليات .. فاذا كان المفضل ، وقائمة التخريج المذكورة في المفضليات وهي كبيرة ـ تجزم بنسبتها الى المرار العـدوي فماذا يريد مني ان اقول : هل يريد مني الحاق ابياتها بشعر المرار الاسدي وانا اعلم علم اليقين بتوثيق نسبتها الى المرار العدوي . هذا قولي في الملاحقتين (٣ ، ٤) .

اما القصيدة التي الحقها الاستاذ المعقب وعدتها (٤٢) بيتا من الخمسين التي افتتح بها الاستاذ المعقب ملاحقته فلي عليها اكثر من ملاحظة ..

١ ـ قال الاستاذ المعقب « القصيدة التالية في (٤٣) بيتا، اختلف في نسبتها ، فقد نسبها البغدادي في الخزانة ٢٩٦/٢ للمرار بن سعيد الفقعسي عن شرح ديوان مسلم بن الوليـد للخالديين » ..

اقول : الذي في الخزانة ٢٩٦/٢ « وزعم الاصفهاني في الاغاني والخالديان في شرح ديوان مسلم بن الوليد ان هـذه القصيدة للمرار بن سعيد الفقعسي .. وعليه فصاحب الخزانة لم ينسبها الى المرار بن سعيد وانما هو وهم من المعقب .. وان صاحب الخزانة قال بعد هذا الزعم . والصواب انهـا لزياد بن منقذ العدوي .. فمن اين استطاع التوصل الى ان البغدادي نسبها في الخزانة ٢٩٦/٢ للمرار بن سعيد الفقعسي .

اذا اسقطنا هذه الاشارة التي وهم بها المعقب لم نجد مصدرا من المصادر تذكر نسبتها الى المرار الفقعسي ، فهل يجوز لنا بعد هذا الوهم ـ وبعد اجماع المصادر على نسبتها الى المرار بن منقذ العدوي والتي اوردها الاستاذ المعقب ان نذهب الى ما ذهب اليه الاخ العبيد فنحشر في شعر الفقعسي اشعار كل المرارين على الرغم من علمنا بخطا النسبة وخطـل الحاقها بشعره ..

اذا اسقطنا هذه القصيدة (٤٢) بيتا ، واسقطنا الثلاثة الابيات الاخرى التي أجمع الثقاة من الرواة على نسبتها الى العدوي . واسقطنا البيتين اللذين اطلع عليهما الاستاذ العبيد قبل اطلاعي على مسودة التعقيب فماذا بقي من الخمسـين .. كنت آمل الا يقع الاخ العبيد ، وهو المحقق الثبت في هذا الوهم، فيلحق اشعار العدوي بالفقعسي وهو يعلم صحة النسبة .

بعد نهاية التعقيب . اشكر الاخ العبيد على هذه الدقة في بعض جوانبها ، واشكره على هذه المتابعة في بعض احوالها ، وآمل الا تكون التعقيبات على هذه الشاكلة من الوهم وشكرا .

تعقيب وعرض

بقلم
الدكتورة ابتسام الصفار

(١) تعقيب على شعر الجاحظ

قرات ضمن النصوص المحققة في مجلة المورد العدد الثالث المجلد الثالث شعر الجاحظ ابي عثمان عمرو بن بحر للاستاذ محمد جبار المعيبد . وقد اعجبتني الدراسة التي مهد بها الباحث الفاضل لشعر الجاحظ : لانه اوضح لنا ان الجاحظ لم يكن شاعرا – وان قال بعض الشعر – (ولم يبلغ الشاعرية المستوى الذي يجعلنا نعده من شعراء العصر المرموقين) اما الروايات التي نقلها الباحث في نقد شعر الجاحظ فهي مهمة جدا توضح اراء القدماء فيه ، وانهم لم يعتبروه شاعرا مرموقا كان او غير مرموق . انما نبغ الجاحظ نبوغا رائعا في ميدان النثر كتابة وتاليفا حتى الف اسمه عبر العصور وصار امام عصره في البيان ، ويكفينا ما نقله الباحث الفاضل من رواية ابي هفان حين احجم عن هجاء الجاحظ فقال : امثلي يخدع عن عقله ! والله لو وضع رسالة في ارنبة انفه لما طن منها بيت في الف سنة .

اما الاشعار التي اثبتها المحقق الفاضل للجاحظ فهي قليلة لم تتجاوز (٤٢) بيتا متفرقة في القسم الاول ١ ، ٢ ، ٦ ، ٧ ، ١٢ ، ١٧ ، ١٨ ، البقية متنازع عليها . اما القسم الثاني فلا يمكن ان نطلق عليه اسم الشعر ، لان الجاحظ قاله على السنة بعض الناس مما اقتضته رسالة صناعة القواد التي الفها ، وبما عرف به الجاحظ من قدرة فائقة في الدفاع عن وجهات النظر المختلفة اذا عرض لذكرها او مناقشتها .

قراءة هذا الشعر اثار في نفسي تساؤلا ؟ ما الفائدة من تحقيق الشعر ؟

اعتقد ان تحقيق اشعار القدماء وجمع دواوينهم مساهمة كبيرة في بعث تراثنا العربي القديم ، وبعث جديد للدور الذي قام به رواة الشعر الاوائل . ولكنه بعث ، يجب ان يوجه نحو الشعراء الذين كان لهم دور كبير في اغناء الفكر العربي والانساني ونحو الشعراء الذين كانت لهم مساهمة كبيرة في مجتمعهم واحداث امتهم .

ان ما يتركه شعر الجاحظ اول وهلة هو تشويه الصورة الرائعة التي عرفناها عن الجاحظ لتحل محلها الفاظ سوقية ومعان مبتذلة مثل ما ورد في شعره من ذكر قصاع الاحزان ، ولوزينج النفوس (٢٢) ، وبراغيث الوجد (٢٣) ، ومطلف الكبد (٢٥) ، وبنات وردان ، وبريغ الهوى (٢٨) ، وروث الحب ، وخنافس الهجران ، وسلح البين (٢٩) ، وزنبيل البين وليفة الصد (٧) . الى غير ذلك مما ينبو عن ذكره الذوق السليم والفن الرفيع ، فكيف به وهو ينسب للجاحظ امام النثر والبيان وذواقة الشعر والنثر .

واخيرا اقول يكفي ادبنا العربي فخرا ما قدمه الجاحظ للفكر والادب من نتاج ثر اصيل ، والجاحظ في شموخه الادبي لا يحتاج الى شهادة شعر نثبتها له .

ومعذرة للاستاذ المحقق فهو معروف بتحقيقاته القيمة ، ومزيدا من النتاج الذي يخدم فكرنا وامتنا .

---

(٢) مع كتاب « تحفة الوزراء » للثعالبي

اود ان اتحدث عن كتاب مهم من كتب الثعالبي ابي منصور عبدالملك ابن اسماعيل المتوفى سنة ٤٢٩هـ . والكتاب يعرض جانبا حيا من جوانب الحضارة الاسلامية ، ويعالج قضية مهمة لها مساس مباشر بالحياة السياسية والعامة للمجتمع العربي الاسلامي : وهو موضوع الوزارة وما ينبغي ان تكون عليه او شروطها ، وواجباتها ، ومقوماتها .

الكتاب مخطوط وتوجد منه اربعة نسخ خطية :

الاولى : نسخة مكتبة فيض الله رقم ٢١٣٣ وتاريخ نسخها ١٤ رمضان ١٠٢٨ وعنها نسخة مصورة من معهد المخطوطات العربية وتقع هذه النسخة في ٥٠ ورقة .

الثانية : نسخة مكتبة امانة خزينة برقم ١٧٢٦ وهي مكتوبة سنة ١١٣١ هـ بخط يوسف بن محمد بن الوكيل الملوي

وتقع في ٤٤ ورقة وقد نسخها عن الأصل الأستاذ حسين علي الداقوقي للاستاذ حبيب الراوي (١) وعنها نسخة مصورة في معهد المخطوطات العربية .

الثالثة : نسخة مكتبة غوطا برقم ١٨٨٦ وعليها تملك للفقير احمد الصديقي ثم ملكها ابنه من بعده ، وهي نسخة متاخرة ايضا .

رابعا : نسخة مكررة ايضا كتبت سنة ١٣٠٠ هـ

هذه النسخ الاربعة تبدو منقولة عن اصل واحد ، اذ لا فرق بينها في النصوص والاخبار ، وكل ما نجده من فروق هو في رسم بعض الحروف ، وزيادة بعضها ونقصان الاخر ، او في تحريف بعض مما يقع عادة عند كثير من النساخ .

مادة الكتاب :

رتب كتاب تحفة الوزراء بشكل ابواب خمسة ، وكل باب مقسم على جملة فصول . والابواب هي :

الباب الاول : في اصل الوزارة واشتقاقها

الباب الثاني : في فضائلها ومنافعها

الباب الثالث : في ادابها وحقوقها

الباب الرابع : في اقسامها ورسومها .

الباب الخامس : في ذكر كفاتهم ونكت ألفاظهم وعفوهم ومدائحهم .

الباب الاول :

تحدث فيه المؤلف عن اشتقاق كلمة الوزارة ، وورودها في القرآن الكريم في قوله تعالى (واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي ، اشدد به ازري واشركه في امري ، كي نسبحك كثيرا ، ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا ، قال قد اوتيت سؤلك ياموسى .) . ومن هنا يعتبر المؤلف هارون اخا النبي موسى اول وزير سمي بهذا الاسم . ثم يبحث اشتقاق كلمة الوزر فيذكر اشتقاقين : الاول وهو الثقل ، لان الوزير يحمل الثقل عن الملك الموزر له . ومنه قوله تعالى : (ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم) . اي اثقالا من امتعتهم وحليهم .

اما الاشتقاق الثاني فهو الازر بمعنى المعاونة ، لان الوزير يعين الملك على ما هو بصدده من اعباء السياسة ، ومنه قوله تعالى : (واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي اشدد به ازري) اي اشتد بمعونته ، ومساعدته . ثم يذكر رايا اخر يعتبر فيه كلمة الوزارة غير عربية وهي من الزور بالفارسية ومعناها عندهم اسم للشدة والقوة فاستعير وعرب . والمعنى فيه انه يشد صاحب الدولة ، ويقويه ويعينه على ما هو بصدده .

ويرجح المؤلف ان يكون اسم الوزارة مشتقا من معنى المساعدة والاعانة . ثم يبدأ بالحديث عن الوزارة عند اليونان والفرس حيث يذكر انه قلما كان من عظماء ملوك الفرس الا وكان له ثلاثة وزراء واكثر الى سبعة او عشرة . واهل الهند يقولون : امثل ما ينبغي ان يكون للملك اربعة وزراء . واخيرا يتحدث عن اهمية الوزراء ، وضرورة وجود الوزراء في تدبير شؤون الممالك متمثلا باقوال البلغاء والمشهورين من الخلفاء والوزراء وبذلك ينتهي الفصل الاول من الباب الاول .

وبعد ذلك يبدأ فصل في الوزير الصالح ، وقد افتتحه المؤلف بقول النبي صلى الله عليه وسلم : اذا اراد الله بملك خيرا قيض له وزيرا صالحا ان نسي ذكره ، وان نوى خيرا اعانه ، وان اراد شرا كفه .

وعمدة الراي عند المؤلف في استيزار الوزير ان يكون شريفا لا وضيعا مجهولا ويضرب لذلك مثلا بقوله (الورقة ٦) :

وعمدة الامر في الوزارة ان يستوزر الشريف المذكور ، ولا يؤمل لها الوضيع المجهول ، كما فعل غير واحد من الملوك ، فجنوا على ملوكهم ، واراقوا دماء دولتهم ، وهدموا ركن سياستهم ، ومنهم عزالدين بختيار فانه استوزر صاحب مطبخه ابا طاهر محمد بن بقية ، وكان الى اليوم الذي خلع عليه يقدم الطعام اليه ، ويحمل الغضاير بيديه ، ويتشح بمناديل الغمر ، ويذوق الالوان عند تقديمه اياها كما يفعل من يتقلد المطبخ ، ولما استوزر عاد يريد الخدمة في ذلك فنهاه بختيار ، وتعجب الناس من وزارته . وقال قائلهم (من الغضارة الى الوزارة) . ولم تكن عينه تقع الا على من كان فوقه من اصاغر القوم . فاما اكابرهم واوساطهم فلم يكن ممن يكلموه . وزادت به دولة بختيار اخلاقا وعارا ، وتضاحك الناس به قربا وبعدا ، وكان كل واحد منهما ساعيا في عاقبة امره ، وسبب هلاكه .

فصل فيما يوجبه حكم السياسة من الاقتصار على وزير واحد . وقد ذكر فيه المؤلف اقوالا وامثالا في هذا الباب تؤيد فكرة الاقتصار على وزير واحد وبذلك يخالف ما ذكره في اول هذا الباب من تعدد الوزراء .

الباب الثاني : في فضائل الوزارة ومنافعها . وقد ذكر فيه ايات واحاديث واقوالا ابتداها بوصايا ملوك الفرس ، ثم ذكر اقوال بعض وزراء بني العباس مبتدأ بالفضل بن سهل ، الا انه عاد فتمثل بقول قديم في الوزارة وهو القول المنسوب لارسطو عن الاسكندر الذي انتخب سبعة وزراء يصحبونه ويتكلفون مصالح دولته . ثم يذكر نصيحة الاسكندر لهؤلاء الوزراء .

الباب الثالث : في آداب الوزارة وحقوقها ، ابتداه بقوله (الورقة ٩) :

ينبغي ان يختار للوزارة من اجتمعت فيه الاخلاق الحميدة والافعال الرشيدة ، وعرف بالاراء السديدة ، وجودة التدبير ، وصواب الاراء المفيدة فتكون فيه العدالة والنزاهة والشجاعة والسياسة . واذا كان زمان الصلح والهدنة يصلح ان يكون الوزير حليما ساكنا واذا كان زمان الفتن والحروب يصلح ان يكون شجاعا صارما .

ثم ينقل اقوالا عن بعضهم في شروط الوزير الصالح فينقل خبرا عن ابي زيد البلخي وعن اخر ، وعن بعض الحكماء ، ثم يذكر ما كانت الاكاسرة تشترطه في اتخاذ الوزير الصالح . ويختم حديثه ببيتين من الشعر لبعض الشعراء في من نال الوزارة وهو عري من هذه الخلال (الورقة العاشرة)

لا كمال لا جمال	لا بيان لا عبارة
هكذا الرسم لديكم	اين آلات الوزارة

بعد ذلك يخصص المؤلف فصولا تندرج تحت هذا الباب

(١) لقد اوشكنا على الانتهاء من تحقيق هذا الكتاب بالاشتراك مع الاستاذ حبيب الراوي

فيبدأ بفصل لعمرو ابن مسعدة في وصف الوزير ، ومع ذلك فانه يدرج مع قول ابن مسعدة بيتين لابي الفتح البستي في الصاحب بن عباد ، ثم يذكر فصلا في حق الملك على الوزير . ويتنقل في توضيح هذا الحق بين اقوال الحكماء العرب واليونان واقوال بعض الخلفاء من بني امية وبني العباس ثم جـــزء لعبدالحميد الكاتب في الوزير ويليه فصل في حقوق الوزراء على الملك . ويضع المؤلف هذه الحقوق في اربعة شروط ينقــل خلالها بعض الاخبار التاريخية . بعد هذا الفصل يذكر فصلا يشمل على نبذ جرت بين الملوك والوزراء . وفيه خبرين الاول عن المأمون . والثاني عن الوزير عونالدين ابن هبيرة والخليفة المستنجد (وهذا الخبر موضع شك سنتناوله بالمناقشـــة فيما بعد) .

الباب الرابع : في اقسامها ورسومها :

وهذا الباب مهم جدا يوضح اقسام الوزارة وميزاتها فهي تنقسم الى وزارة مطلقة واخرى مقيدة . فاما المطلقة فهي وزارة التفويض وهي اكمل انواع الولايات لاشتمالها النظر في امـور المملكة وهي لا تحتمل الشركة ، لانها وزارة تامة .

ويقسم المؤلف هذا الباب الى فصول ايضا فيذكر فصلا في الخصال التي ينبغي ان تجتمع في هذا الوزير (وزير التفويض او المطلق) مع ما تقدم وصفه من الشرائط والاداب .

ويخصص فصلا اخر في وزير التفويض الصالح ايضا وما يجب عليه عند توليه الوزارة كضرورة انتدابه الولاة الصالحين ممن يتفقدون احوال الولايات ، دقيقها وجليلها ، وضرورة النظر في الاموال ، وامر الاجناد ، متتبعا امورهم واحوالهم ، معوضا ما تلف من خيلهم وقوتهم .

ثم يتحدث عن النظر في اموال الدولة ، وكيف ان العناية يجب ان تكون بتثمير الاموال اكثر من العناية بجمعها . وعلى وزير التفويض ايضا الا يهمل صغار الامور او لا يخور ، ولا يرتاع اذا دهمه امر عظيم ، وبغته خطب جليل . ويتمثل المؤلف بقول لابي زيد البلخي في الوزير الذي يتصف بالخلال الحميدة التي تؤهله لوزارة التفويض .

بعد هذا الحديث المفصل عن وزير التفويض يختـــم الثعالبي هذا الفصل باربعة اسطر فقط عن الوزير الثاني الذي يسميه بالوزير الخاص او المقيد والذي يعرف بوزير التنفيذ وذلك لانه يتعين عليه ان لا يغيب عن موضع الملك ، لانه يحتاج الى مشورته ومراجعته في اكثر الامور الحوادث فلا يبعد عنـه لا ليلا ، ولا نهارا ... (الورقة ١٥) .

ثم يبدأ فصل في الفرق بين الوزارتين المذكورتين ثم فصل في ذكر رسوم وزارة التفويض فيتحدث فيه عن وظائف هذا الوزير ، وكيف انه يجب ان ينظر في جميع الدواوين يستعرض حساباتهم واعمالهم ، ويقوم معوجهم ، ويصلح فاســـدهم ، ويعرض على الملك الجمل من ذلك ، ولا يعزل الولاة ولا يصرف من كان على رؤوس الدواوين ، والاعمال الجليلة الا بامر الملك، لانه كالواسطة بين الملك والرعية . وبهذا يوضح المؤلف الفرق بين الوزيرين .

بعد ذلك فصل في ذكر المشورة : ويذكر فيه اقوالا مختارة من القرآن الكريم والسنة النبوية واقـــوالا لبعض العلمـــاء والحكماء في فضل المشورة .

ثم فصل فيمن ينبغي ان يستشار ومن لا يستشار .

وفصل في كتمان الاسرار، وكيفية المشورة. وفي هذا الفصل اخبار تاريخية عن الوزراء والحكام العرب .

ثم فصل في احتياج الملك الى معاونة الوزير وفصـــل في وجوب النصح بالاستشارة .

الباب الخامس : في ذكر كفاتهم (الوزراء) ونكت الفاظهم

يبتداه بفصل في الكفاءة : تحدث فيه عن الوزراء الذيـــن جمعوا بين البلاغة والسياسة ويعدد منهم عمرو بن العاص الذي اشتهر بالدهاء والذكاء والبلاغة والسياسة وتدبير الحروب ، ومنهم زياد بن ابيه ، والحجاج بن يوسف الثقفي ، ويوسف بن عمر والمهلب بن ابي صفرة ، وابنه يزيد والمختار.. اما في الدولة العباسية فيبدأ بذكر ابي مسلم الخراساني ويصفه بانه احد رجال الدنيا سياسة وهمة وبلاغة ، ثم يذكر من بلغاء الخلفاء وذوي السياسة والتدبير المنصور ثم المهدي ثم الهادي ثم الرشيد والمأمون . ويستطرد فيعدد كفاة الولاة والوزراء من بنــي العباس كابي سلمة الخلال ، وابي ايوب المورياني ويعقوب بن داود ، والفضل بن سهل ...

ثم فصل في نبذ ونكت لطائف الوزراء ومحاسن الفاظهم . ويكاد ان يكون هذا الفصل اطول الفصول لكثرة الاخبار والاقوال التي نقلها المؤلف عن الوزراء العرب المشهورين .

وبعده فصل في محاسن ابي الفضل بن العميــد ورقعـة استيزاره الى بعض اخوانه . ثم يذكر فصلا اخر علقت هــذه الاحرف حيث ينقل بعد هذه الفقرة اقوالا عن مشهوري الوزراء العرب ، ويستمر بذكر لطائف الوزراء يتبعها بذكر تواقيع الوزراء وفصولهم .

ثم فصل في العفو وما يجري مجراه ، ثم فصل لابن ثوابة من كتاب الى وال ، وفيه يتحدث عن عقاب المجرمين ، وايداعهم السجون ، وعن ضرورة اشراف الوزير على حـال السجنـاء ، وتتبعه لاخبارهم ، ومعرفة من اظهر التوبة والعفو منهم . ويتبعه بفصل لابن ثوابة ايضا من كتب الى وال . ومع انه سمى هــذا الفصل باسم ابن ثوابة فان الكتاب لم يكن مرسلا الى وزير وانما هو مرسل الى وال ولكنه يدخل ضمن السياق العام الذي يتحدث فيه المؤلف ، وهو حديث الجرائم والسجناء ، وفيه يامر امير المؤمنين باحصاء من في المحبوس من ارباب الجرائم الذين لا يسوغ اخراجهم ولا لهم مال ينفقونه فيثبت اسماءهم ويبتاع لكل رجـل منهم قميصا وسراويل وقلنسوة ، وللمرأة رداء وخمارا وقميصا، على ان يولي الوالي على هذه الامور امناء عارفين بذلك مباشرين له .

وبعد هذا الكتاب يستمر المؤلف ضمن فصل ابن ثوابـة بذكر نكت واخبار من تواقيع الوزراء ، واخبارهم مع السجناء ورعاياتهم لهم .

ثم فصل في التهنئة بالخلاص من السجـون والنكبـات . ويبدو هذا الفصل غير منسجم مع الفصول الاخرى ، اذ انـه لا علاقة له بالوزارة والوزراء وكل ما فيه بيتان للمهلبي مـن قصيدة ، وآخران للبحتري حيث يختم الفصل فيليه فصل في استعطاف الملوك والوزراء ، والعفو والرضا ، وما يحسن في ذلك ، ويحمد . ثم يختم الباب بفصل في بعض مدائح الوزراء فيذكر اشعارا لعمر الربيب في مدح آل برمك ، ولابي الحجناء نصيب ولسلم الخاسر ، ولابي الفـــرج الببغاء وغـيـرهم من الشعراء حيث يكون هذا الفصل خاتمة الكتاب .

نسبة الكتاب :

لابد ان نتساءل عن صحة نسبة الكتاب للثعالبي : ولنبدأ بالهيكل العام الذي استعرضناه قبل قليل لنتعرف ما اذا كان منسجما مع طريقة الثعالبي ام لا ! وهل كل ما ورد في الكتاب هو للثعالبي ام لا ؟

ان قراءة الكتاب والاطلاع على منهج المؤلف يعطينا صورة منسجمة مع منهج الثعالبي في تأليفه . فالثعالبي يضع خطة معينة يلتزم بها في كل كتاب فهو يقسم كتبه الى ابواب ثم الى فصول تاركا تسمية بعض الفصول او يسميها باسم من يذكر له خبرا او شعرا ، وقد يسميها باسم الموضوع الذي يتناوله ، وهذا ما وجدناه في الكتاب الذي بين ايدينا .

اما فحص مادة الكتاب والاعلام والاخبار الواردة فيه فانها تضعنا امام احتمالين لكل منهما مبرراته في رفض نسبة الكتاب الى الثعالبي او ترجيح نسبتها اليه .

حين تتصفح الكتاب تجابهك اسماء اعلام لشخصيات متأخرة عن عصر الثعالبي ، واخبار عن حوادث وقعت بعد عصره بقرن او قرنين ومعلوم ان الثعالبي توفي سنة ٤٢٩هـ لذا يجب ان نتتبع هذه الاعلام والاخبار .

١ – ينقل المؤلف في الورقة (٨) وضمن الباب الثاني (في فضائلها ومناقصها) ينقل خبرا من كتاب اخبار الدولة السلجوقية يذكر فيه ان السلطان ملكشاه تغير على وزيره نظام الملك الحسن بن علي بن اسحاق وارسل اليه خادمه صندل ليبلغه رايه فيه ويطلب منه ان يقصر عما هو عليه ويهدده ان لم يستجب له .

ونظام الملك المذكور في النص هو الحسن بن علي بن اسحاق الطوسي الوزير الاديب المشهور . استوزره السلطان الب ارسلان ، وبقي في خدمته عشر سنين ، ومات الب ارسلان فاستخلفه ولده ملك شاه ، فصار الامر لنظام الملك . واخيرا اغتيل على مقربة من نهاوند سنة ٤٨٥ (٢) .

وفي الورقة ٩ ابيات لابن الموصلايا في مدح نظام الملك مطلعها :

نراها في ازمتها تهادى	وعاد بها الثنايا والوهادا
ولما ان تفرد بالمعالي	وادرك في مداها ما ارادا

وابن الموصلايا هذا شاعر من كبار الكتاب في العصر العباسي وكان يقال له منشيء دار الخلافة ، خدم الخلفاء خمسا وستين سنة ابتداء من امر القائم بامر الله سنة ٤٣٢ حتى توفى سنة ٤٩٧هـ (٣) . وابياته المذكورة اعلاه تتمة للخبر السابق حيث ان الحديث مستمر عن نظام الملك ووصف اخلاقه ومزاياه فيقول: وكان نظام الملك من نوادر الزمان ... ثم يذكر الابيات .

٢ – في الباب الثالث فصل يشتمل على نبذ جرت بين الملوك والوزراء ويصرح المؤلف بانه سمع الكمال بن جهير يحكي ان الوزير عون الدين ابن هبيرة كتب الى الخليفة المستنجد بالله يتودد اليه ويشكره بقوله :

اقسمت بالآيات والكلمات في نص الكتاب

وبباسط الارض القرار	وسامك السبع الصلاب
اني احبك مخلصا	من غير شك وارتياب
واحب ملكك للدنا	ما بين بعد واقتراب
فلانصحنك ما حييت	واجعلن رضاك دابي
ولانفقن فيك الحياة	واشركنك في التراب

وعون الدين ابن هبيرة اسمه يحيى ، وكنيته ابو المظفر وزير للخليفة المقتفي المتوفى سنة ٥٦٠هـ . ولما انقضت ايام المقتفي ، وبويع بالخلافة للخليفة المستنجد اقر ابن هبيرة على وزارته حيث توفى ابن هبيرة سنة ٥٦٠هـ (٤) .

٣ – في الورقة ١٧ نص يقول فيه :

سمعت القاضي الفاضل ينشد مذاكرة :

اذا ما انجلى الراي فاحكم به

ولا تحكمن بما يشتبه

ونبه فؤادك عن غفلة

فان الوفق من ينتبه

وقال : يستشار في الحرب ذوو العقول السليمة من العلماء ، ولا يستشار اهل الحرب كالزند يستنبط منه النار فانه يصليها ولا يصطليها .

والقاضي الفاضل الذي ينص المؤلف على انه سمعه هو مجيدالدين ابو علي عبدالرحيم المتوفى سنة ٥٩٦ هـ وكان وزير السلطان صلاح الدين الايوبي وكاتبه (٥) .

بعد هذا الخبر مباشرة وفي نفس الورقة خبر اخر يقول فيه :

وقرات في رسالة كتبها عبدالله بن حمزة العلوي باليمن تتضمن وصيته الى عاملين من عماله ...

وعبدالله بن حمزة العلوي هذا احد ائمة الزيدية ... بويع له سنة ٥٩٣هـ وتوفى سنة ٦١٤هـ (٦) .

٤ – في الورقة ٢٥ وضمن الباب الخامس في ذكر كفاة الوزراء ، ونكت الفاظهم يعدد المؤلف الوزراء الكفاة في الدولة الاموية والعباسية . ويعدد من وزراء الدولة العباسية ابا سلمة الخلال ، وابا ايوب المورياني ، ويعقوب بن داود والبرامكة ... ثم يعدد العوائل التي وليت الوزارة فيذكر بني الفرات وبني مقلة ثم يذكر اسمين لعائلتين تولتا الوزارة تستوقف الانتباه وتستدعي المناقشة وهما بنو جهير وبنو رئيس الرؤساء .

ثم يعدد الوزراء الذين وزروا للعجم فيذكر منهم الطغرائي ونظام الملك ويسميهم الذين وزروا للعجم تمييزا لهم عن الوزراء الذين وزروا للخلفاء بينما تولى هؤلاء الوزراء للامراء السلاجقة .

وحين يعدد وزراء ملوك المغرب يذكر ضمنهم ابن حزم وابن زيدون وابن عباد .

---

(٢) انظر وفيات الاعيان ٢ : ١٢٨–١٣١

(٣) المنتظم ٩ : ١٤١ ، وفيات الاعيان ٣ : ٢٤٨

(٤) وفيات الاعيان ٦ : ٢٣٠–٢٤٤ ، الفخري في الاداب السلطانية : ٢٢٩ .

(٥) انظر الكنى والالقاب ٣: ٤٧

(٦) انظر الاعلام ٤ : ٢١٣ .

ونأتي الان لاستعراض هذه الاسماء لنجد ان المؤلف يتتبع اسماء الوزراء تاريخيا ، ويذكرهم بتسلسل من عهد الامويين ثم العباسيين منذ ايام نشوء دعوتهم ودولتهم ، الا ان ذكر بني جهير وبين رئيس الرؤساء هو الذي يثير التساؤل ، لان بني جهير عرفوا بعد وفاة الثعالبي وهم ينسبون الى ابيهم ابن جهير وهو محمد بن محمد بن جهير الملقب بفخر الدولة مؤيد الدين ابو نصر ، استوزره الامير نصر الدين احمد ابن مروان صاحب ميافارقين وديار بكر ، ثم استوزره الخليفة وتوفي سنة ٤٩٣هـ .

ومن بني جهير ابو منصور عميد الدولة . ولي الوزارة ببغداد لثلاثة من الخلفاء ، سجنه الخليفة المستظهر بالله ، الى ان امر بقتله سنة ٤٩٣هـ (٧) .

وممن ولي الوزارة من بني جهير ايضا نظام الملك ابو نصر المظفري بن علي ابن محمد وزير المقتفي المتوفى سنة ٥٥٥هـ . ولم تطل ايامه (٨) .

اما بنو رئيس الرؤساء فهم من العوائل التي وليت الوزارة بعد وفاة الثعالبي ايضا وهم ينسبون الى رئيس الرؤساء علي بن الحسين بن احمد بن محمد بن عمر وزير القائم قبل ابن جهير . ومن اجله وقعت فتنة البساسيري حيث قتله البساسيري لما دخل بغداد ومثل به سنة ٤٥٠هـ (٩) .

اما الوزراء الذين وزروا للعجم والذي ذكر منهم اسم نظام الملك والطغرائي فقد مرت بنا ترجمة نظام الملك . اما الطغرائي فانه متاخر وهو اسماعيل بن الحسين بن علي بن محمد بن عبدالصمد مؤيد الدين المتوفى سنة ٥١٣ هـ من الوزراء الكتاب المشهورين وصاحب القصيدة المشهورة بلامية العجم والتي مطلعها :

اصالة الراي صانتني عن الخطل(١٠)

اما وزراء المغرب فقد ذكر منهم ابن حزم الوزير والعالم الاندلسي المشهور واسمه علي بن احمد بن سعيد كانت له ولاية الوزارة ثم زهد عنها ، وانصرف الى العلم وتوفي سنة ٤٥٦هـ (١١) .

ومن وزراء المغرب الذي ذكرهم ابن زيدون احمد بن عبدالله بن احمد الشاعر الاندلسي المعروف وكان من اهل قرطبة انقطع الى ابن جهور (من ملوك الطوائف بالاندلس) ، فكان سفيره الى ملوك الاندلس . ثم اتصل بالمعتضد صاحب اشبيلية فولاه الوزارة الى ان توفي باشبيلية في ايام المعتمد على الله سنة ٤٦٣ (١٢)

٥ ــ في الورقة (٣٦) مقطوعة لابي اسماعيل الطغرائي من قصيدة اولهــا :

على الآلاث الوادين ســلام
وبعض تحايا الزائرين غرام
هم شرعوا ان الجفاء محلل
وهم حكموا ان الوفاء حرام

وذكر منها في الاستعطاف :

اجلك ان القاك بالعذر صادقا
وبعض اعتذار المذنبين خصام

وقد مر بنا ان الطغرائي شاعر توفي بعد عصر الثعالبي بقرن حيث توفي سنة ٥١٣هـ .

* * *

هذه هي المآخذ التي تؤخذ على نسبة الكتاب للثعالبي وتشكك فيه لان النصوص المذكورة متعلقة بفترات متاخرة عن عصر الثعالبي . وبعد دراسة هذه النصوص ومكان ورودها مع دراسة نصوص المخطوط ونقدها يتوضح لنا انها زيادات ليست من اصل كتاب تحفة الوزراء ، ذلك ان مقارنة نسخ الكتاب المختلفة تهدينا الى حقيقة كونها عدة نسخ لاصل واحد نسخه ناسخ متاخر ، واضاف اليه هذه الزيادات ودليلنا على هذا القول مستند على دراستين ، الاولى دراسة النصوص المضافة والثانية دراسة النصوص الاخرى الواردة في الكتاب .

ان تتبع هذه الزيادات يبين لنا انها اضيفت في نهايات وخواتيم بعض الفصول وكان الناسخ كان يضيف بعض ما يخطر بباله من نصوص متعلقة بالفصل ناسيا لجهله انها نصوص متاخرة عن عصر الثعالبي الذي ينسخ كتابه .

فالنصان المدرجان تحت رقم (١) اضيفا في خاتمة الفصل الاول من الباب الثاني حيث ياتي بعده الباب الثالث .

اما النص رقم (٢) فانه في خاتمة فصل سماه بفصل يشتمل على نبذ جرت بين الملوك والوزراء حيث لم يذكر المؤلف فيه الا خبرا عن المامون ووزيره الحسن بن سهل وكان الناسخ وقد خطر بباله خبر عن المستنجد بالله اضافه ليزيد طول هذا الفصل بما ينسجم مع الفصول الاخرى . وان كانت مسالة طول الفصول وقصرها عند الثعالبي غير خاضعة لخطة معينة حيث يزيد طول بعضها فيتجاوز الصفحات ، ويقصر بعضها الاخر فلا يتجاوز الخبر الواحد او الشخص الواحد .

اما الخبران المدرجان تحت رقم (٣) فانهما الوحيدان اللذان وجدناهما وسط فصل ، وليس في خاتمته كما افترضنا ان تكون الزيادات . الا ان اقحامها يبدو واضحا وسط اخبار واشعار متناثرة لفترات متقدمة حيث يبدو فيها ورود الخبرين المتاخرين غير منسجم ابدا .

اما مجموعة الاعلام الواردة ضمن الفقرة (٤) فانها تصدق عليها فرضية كونها زيادة من الناسخ ، لانها ايضا وقعت في خاتمة الباب الخامس وكان الناسخ وهو يكتب ويستعرض مع المؤلف اسماء كفاة الوزراء ومشهوريهم والعوائل التي وليت الوزارة اراد لجهله ان يتم الفائدة فاضاف في نهاية الباب ما بلغ علمه من الوزراء الذين تلت فتراتهم فترة حياة الثعالبي المؤلف حيث ياتي بعده فصل جديد في نبذ ونكت لطائف الــوزراء ومحاسن الفاظهم .

ورب معترض يعترض على نفي هذه الشكوك ومناقشتها

(٧) وفيات الاعيان ٥ : ١٢٤ــ١٢٧ ، الفخــري في الاداب السلطانية : ٢١٤ .
(٨) الفخري : ٢١٥
(٩) الفخري : ٢١٥ ، تاريخ الخلفاء : ٤١٨
(١٠) انظر وفيات الاعيان ٢ : ١٨٥ــ١٩٠
(١١) ارشاد الاريب ٥ : ٨٦ــ٩٧ ، وفيات الاعيــان ٣ : ٣٢٥ــ٣٣٠ .
(١٢) وفيات الاعيان ١ : ١٣٩ــ١٤١ ، وانظر دائرة المعارف الاسلامية ١ : ١٨٦ .

فاذا : ومن ادراك ان هذه النصوص زيادات وليست اصلا لمؤلف متاخر سمى كتابه بنفس اسم كتاب الثعالبي ، ثم وهم بعض النساخ فابدلوا اسمه باسم الثعالبي لشهرته !!

الجواب ان هذا الاعتراض مرفوض لادلة اخرى اعتمدنا فيها على دراسة المخطوطة نفسه ، ونقد نصوصه واخباره وهي :

اولا – يذكر المؤلف في مقدمة كتابه انه الف هذا الكتاب واهداه الى الوزير ابي عبدالله الحمدوني بعد ان خدم مولاه خوارزمشاه واهداه كتابه الملوكي يقول (الورقة ٢) .

وبعد : فاني حين خدمت مولانا ملك الزمان وفريد العصر والاوان خوارزم شاه ثبت الله ملكه ، وجعل الدنيا كلهـا ملكه بالكتاب المسمى بالملوكي ، خطر لي ان اخدم وزيره الاعظم، ومشيره الافخم ابي عبدالله الحمدوني بهذا الكتاب في سياسة الوزراء ، وان كان مقامه الشريف مستغن عن ذلك لسلوكه تلك المسالك ، وانما قصدت به استجداء مواهبه الجسام ، ومكارمه العظام . ووسمته بتحفة الوزراء ..

وخوارزمشاه هذا امير اتصل به الثعالبي فاكرمه واثابه وتوطدت العلاقة بينهما فذكره الثعالبي في اكثر من كتاب . قال الثعالبي في مقدمة كتابه نثر النظم وحل العقد(١٣) .

(ايام مولانـا الملك المؤيد ، العالم المسدد ، ولي النعم ابي العباس خوارزمشاه ادام الله سلطانه وحرس عزه ومكانـه مواليت الشرف ...) ثم صرح باسمه الكامل في مقدمة كتابه الكناية والتعريض حين قال (عونك اللهم على شكر نعمتك في ملك كملك ، وبحر في قصر ، وبدر في دست ، وغيث يصـدر عن ليث ، وعالم في ثوب عالم ، وسلطان بين حسن واحسان :

لولا عجائب صنع الله ما نبتت
تلك الفضائل في لحم ولا عصب

هذه صفة تغني عن التسمية ، ولا تحوج الى التكنية اذ هي مختصة بمولانا الامير السيد الملك المؤيد ولي النعـم ابي العباس مامون بن مامون خوارزم شاه مولى امير المؤمنين ادام الله سلطانه ...) (١٤)

وحين نبحث عن ترجمة خوارزم شاه مامون بن مامون نجد ذكر له حيث نقل البيهقي في تاريخه عن كتاب مسامرة خوارزم لابي الريحان البيروني ترجمة خوارزم شاه هذا حيث وصـفه بانه كان اخر امراء اسرته حيث انتهت بوفاته دولة المامونيين وانه كان رجلا فاضلا ، شهما ، نشيطا اديبا يرعى الادبـاء والعلماء . ثم ينقل خبرا (البيروني) عمن حدثه عن الثعالبي يحكي فيه حديثا جرى بينه وبين خوارزم شاه فيصف الثعالبي قبل ذكره لخبره بقوله (وكان قد رحل الى خوارزم شاه فترة والف باسمه كتبا كثيرة سمعته يقول : كنا ذات يوم في مجلس الشراب نتحدث في الادب فجرى الحديث عن نظر فقـال خوارزمشاه .... الى اخر النص) (١٥) .

ثانيا :

ورد في الورقة الرابعة ما يلي :

(وقال لي يوما ابو الفتح البستي الكاتب : لم اعلم الى البارحة ان ابا اسحاق الصابي اكتب الناس وابلغهم ولـولا الديانة لقلت اعقلهم فاني عثرت ...)

وابو الفتح هذا اديب معاصر للثعالبي اسمه علي بن محمد ابن الحسين توفي سنة ٤٠٠هـ ، خدم السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين ثم اخرجه هذا الى ما وراء النهر فمـات هناك (١٦) .. وقد ترجم له الثعالبي ترجمة طويلة وذكـر كثيرا من اشعاره وغرر اقواله واخباره (١٧) .

ثالثـا :

في الورقة (٥) يستمر حديث المؤلف عن ابي الفتح البستي فيقـول :

وقال لي يوما بنيسابور وقد اخذنا باطراف الاحاديث بيننا: ما احوج الامير سيف الدولة يعني السلطان المعظم يمين الدولة وامين الملة اعز الله تعالى انصاره ، لانه كان اذ ذاك صاحب الجيش للامير الرضي نوح ابن منصور (السامانى) رضي الله تعالى عنه – ويلقب بسيف الدولة – الى وزير كما انشدتني لنفسـك :

كتب الامير كتائب في المعركة
والراي منه طبيب داء المملكة
واذا رمى بالظن خطبا مشكلا
اضحت ستورالغيب عنه مهتكة

ومنجم ، كما انشدتني لنفسك :

صديق لنا عالم بالنجـــوم
يحدثنـــا بلســان الملـــك
ويكتـــم اســرار سـلطانه
ولـكن ينـم بســر الفلـــك

انتهى النص)

من المعلوم ان يمين الدولة وامين الملة صاحب الجيش هو ابو المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين الذي اهدى له كتابه الاقتباس (١٨) .

اما نوح بن منصور فهو امير ما وراء النهر ولي الامارة بعد وفاة ابيه سنة ٣٦٦هـ وهو صبي وتوفي ببخارى سنة ٣٨٧ (١٩) وقد اتصل به الثعالبي ايضا ويصرح النص بسماع المؤلف كلام البستي مباشرة وحديثه عن فترة عاشها الثعالبي ايضا .

والبيتان الاخيران هما للثعالبي نفسه كما ورد في كتبـه الاخرى (٢٠) .

---

(١٣) كذا في الاصل ويبدو ان كلمة او جملة سقطت من اول النص . انظر نثر النظم ص ٢ .
(١٤) الكناية والتعريض : ١
(١٥) تاريخ البيهقي : ٧٣٤
(١٦) انظر وفيات الاعيان ٣ : ٣٧٦–٣٧٨
(١٧) انظر يتيمة الدهر ٤ : ٣٠٢–٣٤٦
(١٨) الورقة (١) من كتاب الاقتباس وقد انتهيت من تحقيق هذا الكتاب واخذ طريقه الى الطبع في مطبعة الحكومة ببغـداد .
(١٩) مختصر الدول : ١٧١ ، ١٧٨ ، ١٨٧ ، البداية والنهاية ١ : ٣٢٢ ، طبقات سلاطين الاسلام : ١٢٨ .
(٢٠) انظر ثمار القلوب : ٦٧٩ ، احسن ما سمعت : ١٦٢ ، من غاب عنه المطرب ٢٢٢ ، خاص الخاص : ٢٤٩ .

ثالثـا :

في الورقة ٢٧ يقول :

(وحدثني عون الهمداني قال : سمعت ابا عيسى المنجم يقول : سمعت الصاحب يقول ما استؤذن على فخر الدولـة وهو في مجلس الانس الا انتقل الى مجلس الحشمة ...)

وابو عيسى المنجم احد معاصري الثعـالبي الذين ذكـر لهم شعرا في يتيمته وذكر له قصائد في مدح الصاحب بن عباد ووصف داره التي بناها في اصبهان (٢١) .

رابعـا :

في الورقة ٢٧ نفسها يستمر الحديث عن الصاحب بن عباد فيروي المؤلف رواية عن الهمداني . ويبدو انه يقصد به البديع، لان بديع الزمان من معاصري الثعالبي ايضا وقد لقيه وصحبه ، وكتب عنه ترجمة في اليتيمة (٢٢) ، وقال ياقوت عنه انه لـم يستقص احد خبره أحسن مما اقتصه الثعالبي ، وكان قد لقيه وكتب عنه (٢٣) . وكان البديع قد اتصل بالصاحب بن عباد نفسه وعاش في كنفه وظلال كرمه (٢٤) .

خامسـا :

ورد في الورقة ٣٤ وضمن فصل بعنوان (في العفو وما يجري مجراه) :

(ولا ينبغي ان يعلن الوزراء بعقوبة من لم يعلن بذنبه فتكثر اللائمة بل يضع لذنب السر عقوبة السر ، ولعقوبة العلانية عقوبة العلانية ، الا في الحدود المامور بافعالها ، ولتكن عقوبته للادب لا للغضب . وقد ذكرت بعض ما ينبغي من ذلك في كتابي الملوكي المؤلف للملك خوارزم شاه .)

وقد مر بنا الحديث عن خوارزم شاه وصلة الثعالبي به ، واهدائه كتابه الملوكي له .

* * *

واخيرا اقول ان هذه الادلة كلها تؤكد وتثبت نسبة الكتاب الى الثعالبي . اما المآخذ التي ذكرتها فما هي الا مجرد زيادات اضافها ناسخ متاخر وعن نسخته كتبت نسخ اخرى متعـددة فوصلت نسخ الكتاب بشكلها الحالي . وقد وجدت ملاحظـة تؤيد ما ذكرناه من اعتبار هذه النصوص زيادات ليست من الاصل وجدت ملاحظة في هامش الورقة ٣٦ من نسخة فيض الله وعند ذكر قصيدة لابي اسماعيل الطغرائي اللاحقة هي ما يلي :

(من هنا الى قول الصابي زيادة ليس من رواية الاصل)

وحين تنتهي قصيدة الطغرائي تؤكد الملاحظـة بهامـش اخر هو :

(الى هنا ليس من رواية الاصل)

وبعدها تأتي ابيات للصابي في اشهار العفو .

ومع كل هذه الزيادات التي يمكن ان يهتدي اليها الباحث بالبحث والتمحيص يبقى كتاب تحفة الوزراء للثعالبي ارثا قيما من تراث الثعالبي الضخم ، وجانبا حيا من جوانب الفكـر العربي الاسلامي والحضارة العربية الزاهرة .

---

(٢١) انظر يتيمة الدهر ٣ : ٢١٢

(٢٢) يتيمة الدهر ٤ : ٢٥٦

(٢٣) ارشاد الاريب ١ : ٩٦

(٢٤) يتيمة الدهر ٤ : ٢٥١ ، ارشاد الاريب ١ : ٩٦

● ● ●

ملاحظات جديدة عن

الحالة الاجتماعية في العراق في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة

بقلم

عبداللطيف الراوي

أصدرت الدكتورة مليحة رحمةالله كتابها ـ الحالة الاجتماعية فيالعراق في القرنين الثالثوالرابع(١) بعد الهجرة ، والكتاب هو اطروحتها التي نالت بها درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة بدرجة الشرف الاولى ، وقد راينا ان نسجل ملاحظات كثيرة نصحح بها معلومات ، او نوضح حقيقة ، او نعيد حقا (مسلوبا) ، ولقد سبقني الاخ الاستاذ بدري محمد فهد بتسجيل مثل هذه الملاحظات واخرج لها كراسا طبعه قبل فترة قصيرة ومع هذا ظلت هناك ملاحظات اخرى كثيرة فاتت على الاخ بدري او انه ما اراد ان يتعب قراءه لكثرة ما سجل منملاحظات، استغرقت سبعا وعشرين صفحة .

الملاحظة الاولى التي يمكن ان نسجلها هي في منهج البحث، فالسيدة الفاضلة لم تحاول استقصاء ودراسة مكونات الحياة الاجتماعية ، اي لم تتعرض في بداية كلامها للبنيه التحتية للمجتمع (الحياة الاقتصادية) والتي هي اساس البناء الاجتماعي لكل شعوب الارض ، ومن دراستها يمكن استخلاص مجمل القضايا الاجتماعية والسياسية والثقافية ، فقد دخلت الدكتورة في عناصر المجتمع راسا ودون مقدمات ثم انتقلت الى موضوعات اجتماعية واخذتها بمظهرها السطحي ولم تتعمق فيها، كما انها نسيت كثيرا من الموضوعات والجوانب الاجتماعية كعلاقة الناس فيما بينهم ، وعلاقتهم مع الحكام ، ومظاهر المجون واللهو عند العامة والشذوذ الاخلاقي وانتشار الكدية والمكدين ، والتصوف والمتصوفين ... الخ من المسائل الكثيرة .

ومع كل هذا المنهج المضغوط السطحي ، المرتبك ، وقعت الاستاذة مليحة في مجمل تناقضات كما وضعت نفسها مواضع اتهام لا يمكن ان تتبرأ منها :

١ ـ تتكلم الاستاذة على استخدام المعتصم للاتراك فتقول : ـ « ... وهناك عامل حمل المعتصم على استخدام الاتراك ، وهو كون امه تركية مما اثر في طباعه وحمله على حب الاتراك وتقريبهم . وقد وصف الجاحظ الاتراك في رسالته مناقب الترك(٧) بانهم بدو العجم وانهم يتميزون بقدرتهم على تحمل المتاعب ، كما اتصفوا بالشجاعة والقوة (٨) والطاعة في خدمة قوادهم (٩) » .

وتحيل القارىء في هامش(٧) الى رسائل الجاحظ ، وفي(٨) الى ابن حسول في تفضيل الاتراك وفي (٩) الى المسالك والممالك.

والقارىء للاسف لا يرى في هذه الاحالات معنى وهو يفهم ان الكلام على الاتراك الذي جاء حشوا هو كلام الجاحظ ولا ندري لماذا تكثر الدكتورة من الاحالة الى مصادر واحد منها يعوض عن البقية ، ثم نسال الدكتورة هل حقا اثر عامل الخؤولة وحده في دفع المعتصم الى تقريب الاتراك او ان هناك عوامل عديدة تحيط بالخلافة وبناتها هي التي دفعت المعتصم الى ذلك ؟

٢ ـ تقول الدكتورة في معرض حديثها عن الفرس « ولا ننسى ان الفرس بالرغم من تمتعهم ببعض الامتيازات ... الا انهم لم ينسوا ان العرب ازالوا مجدهم السابق فاخذوا يدبرون المؤامرات ضدهم وظهر ذلك في القرنين الثاني والثالث بعد الهجرة (٢٥) » وهامش (٢٥) يقول (كانت متمثلة في حركات الشعوبية والزندقة) وحبذا لو ذكرت الاستاذة الفاضلة ما هي حركات الشعوبية والزندقة وكيف تفسر وجود مثل هذه الحركات ؟ وهل تؤمن فعلا بان العصر العباسي كان خاليا من بنائه من الشوائب بحيث تكون الحركات المناهضة حتى وان كانت فارسية حركات شعوبية او زندقة ؟

٣ ـ في ص ١٥ـ١٦ ترى الاستاذة ان الفرس اثروا في حياة الخلفاء من حيث البذخ والترف وبناء القصور ... الخ ويقينا ان حياة البذخ والترف كانت معروفة عند اهل مكة وعند البدو قبل ان يختلطوا بالفرس وهذه الحياة هي خلق الترف المادي وعنف الاستغلال الطبقي ، وقد يكون الفرس اثروا في بعض الامور الحضارية كالبناء وغيره اما في عمليات البذخ وغيرها فاثر الفرس لا اهمية له .

٤ ـ الهامش (٣٩) ص١٧ ، حول اعياد الشيعة ، وال البويهيين فيها فقد احالتنا المؤلفة الى المنتظم ج/٦ ص٧ وحين رجعنا لم نجد اي خبر في هذا الجزء بمجمله انما وجدناه وباسلوب مختلف في الجزء السابع ص١٥ .

٥ ـ ص٢٥ ، وضعت الدكتورة في كتابها هذا النص (يقول ابو حيان التوحيدي : ٨٧ « واحصينا في بغداد جانب الكرخ ستين وثلثمائة جارية ») ، وتحيلنا الدكتورة في الهامش (٨٧) الى الامتاع والمؤانسه وحين رجعنا اليه وجدنا ابا حيان يقول : بانه احصى ومعه جماعة من اهل الكرخ ، المغنين والمغنيات الذين عرفوا في بغداد كلها فوجدوا « اربعمائة وستين جارية في

الجانبين ومائة وعشرين حرة وخمسة وتسعين من الصبيان البدور » !

٦ ـ ص٢٥ تقول الدكتورة « وكان للجارية التي تتصف بالجمال الف دينار » وتحيلنا الى ادم متز والذي يفهم من هذا الكلام انه كان يعطى للجارية على غنائها الف دينار بينما ادم متز يقول ان الالف دينار هي ثمن شرائها .

٧ ـ ص٣٠ : ظهر في العصر العباسي جماعة من المسلمين تفتخر بقرابتها من الرسول وبنسبها القرشي ...الخ هكذا تقول المؤلفة ، ولا اظن القارئ مهما كان بسيطا يوافقها على هذا الرأي ، اذ ان هذه الجماعة لم تظهر في العصر العباسي طارئة ، فهي امتداد لما سبق ولم تكن تشكل ظاهرة اجتماعية متميزة .

٨ ـ ص٣٢ تقول المؤلفة « وكان الاشراف من بني هاشم باعتبارهم اقرباء الرسول ياخذون راتبا معينا من الحكومة الاسلامية وقد حرمت عليهم الصدقة » لم تشر المؤلفة من اين اخذت هذا الكلام وهو معلومات خبرية وليس انشاء وقد رجعت الى ادم متز فوجدت ان الكلام له ، وانه اعتمد على مصادر عديدة يراجع ادم متز ٢٦٢/١ .

٩ ـ ص٣٣ : تقول « وكانت تحدث في بعض الاحيان فتن بين الطالبيين والعباسيين فينحاز الى كل فريق اتباعه ١٣٨ » وترجعنا الى ابن الاثير وابن الجوزي ، وابن الجوزي اقدم من ابن الاثير والمفروض ان يقدم في التسطير وقد راجعت ابن الجوزي فرايت ان خبره يتحدث عن فتنة حدثت بين الديلم والاتراك لا بين العباسيين والطالبيين .

١٠ ـ ص٣٥ الهامش١٤٩ ارجعتنا به الى ادم متز ٦٠/١ ولا وجود لمثل هذا النص الذي ذكرته المؤلفة في ادم متز .

١١ ـ ص٣٨ : ذكرت المؤلفة هذا الكلام « ولم يكن النصراني يرث اليهودي ، ولا اليهودي يرث النصراني ، كما لم يكن النصراني او اليهودي يرث المسلم ، ولا المسلم يرث غير المسلم ، يهوديا كان ام نصرانيا » (١٦٤) ، واحالتنا في الهامش ١٦٤ الى كتاب استاذها محمد جمال سرور (الحضارة الاسلامية في الشرق) وقد وجدت « ومن حسن حظ المؤلفة » ان هذا الكلام هو كلام ادم متز بحذافيره وقد جاء في الجزء الاول ص٥٩ .

١٢ ـ ص٣٨ : بعد النص ١٦٤ تقول المؤلفة « وان ترد تركة من مات من اهل الذمة ولم يخلف وارثا على اهل ملته » ولقد اوردت المؤلفة هذا الكلام بما يوحي انه لها والحقيقة انه نص من كتاب اصدره الخليفة المقتدر في المواريث عام ٣١١هـ (ينظر متز ٥٩/١) .

١٣ ـ ص٤١ : تقول المؤلفة (وقد كتب للصابئين في منتصف القرن الرابع كتاب عن امير المؤمنين (المطيع لله) اقر فيه الى جانب صيانتهم وحراستهم والذب عن حريمهم ... الخ) وقد ظهر للقارئ ان هذا من انشاء المؤلفة والحقيقة ان هذا الكلام ما عدا (المطيع لله) هو من كلام ادم متز ٦٠/١ .

١٤ ـ ص٤٢ : تقول المؤلفة (ويقول هلال الصابي ١٨٦ «ان صابئة حران تعبد الكواكب الخ النص الذي فتحت له قوسا ولم تقفله ولم تنهه ، وارجعتنا الى رسوم دار الخلافة مرتين ص٦ ، ص٧ .

ولعلم المؤلفة الفاضلة ان ص٦ ، ص٧ تقع ضمن المقدمة الطويلة التي كتبها محقق رسوم دار الخلافة الاستاذ ميخائيل عواد ، وان هذا الكلام الذي نسبته الى الصابي هو كلام المحقق على نسب الصابي .

١٥ ـ ص٤٧ : في حديث المؤلفة عن العلماء تقول (ومنهم من لعب دورا كبيرا في توجيه العامة كابي حيان التوحيدي ٢١٤) وترجعنا الى احمد امين في ظهر الاسلام ، ونحن لا ندري مثل المؤلفة تماما الى اي شيء يوجه العلماء العامة وماذا كان دور ابي حيان في عملية التوجيه هذه .

١٦ ـ ص٥٤ : في حديث المؤلفة عن العيارين ، ترجعنا في الهامش ٢٦٨ في جملة مصادرها الى تلبيس ابليس ص٣٧٨ ولا وجود لنص في هذه الصفحة يسند قول المؤلفة .

١٧ ـ ص٥٤ـ٥٥ : وفي الحديث ايضا عن هذه الفئة تقول (وتميزت حركاتها بالطابع الثوري ٢٦٩) وترجعنا الى المسعودي ج٢١٥/١ ، والمسعودي بريء من هذا النص وهذه اللفظة (لاحظ الثوري) .

١٨ ـ ص٥٦ : الهامش ٢٨٣ ترجعنا فيه الى الاوراق ، والاوراق اجزاء كثيرة منها ما هو مطبوع ومنها ما هو مخطوط ومنها ما هو مفقود فالى اي كتاب من الاوراق نرجع ياترى ؟! .

١٩ ـ ص٥٩ : تقول (فحدد معزالدولة راتبا قدره خمسة الاف دينار شهريا للمستكفي ، وكذلك الحال مع المطيع والطائع وغير هؤلاء ...) ، ويفهم من هذا الكلام ان معز الدولة حدد للمطيع والطائع وغيرهما راتبا بقدر راتب المستكفي ، والحقيقة ان راتب المستكفي الفي ، واقطع المطيع ومن بعده الطائع (ولم يعاصر غيرهما) قطعة ارض للعيش على وارداتها .

٢٠ ـ ص٦٥ : كان الاجدر ان تضع حكاية الصولي عن بلغ الراضي وقد نقلتها نصا بين قوسين .

٢١ ـ ص٦٨ : في حديثها عن الالبسة النسائية ارجعتنا الى الف ليلة وليلة ، والى مصادر اخرى ، وهذا المصدر لا علاقة له بالحياة الاجتماعية في العراق ابدا ، فالف ليلة متاخر عن العصر الذي تتكلم عليه المؤلفة ولم ترجع الى حكاية ابي القاسم البغدادي ففيها ما يغني عن الرجوع الى مصادر كثيرة .

٢٢ ـ ص٧٤ : تقول المؤلفة (وكان للوزير ابن مقلة قصر كبير انفق على بنائه مائة الف دينار الحق به بستانا كبيرا (١١١) والهامش (١١١) يرجعنا الى المنتظم ٢٣١/٦ ، وحين فتشنا هذه الصفحة لم نجد مثل هذا النص ولا ما يشبهه وقد وجدنا في صفحة ٢١٠ في الجزء نفسه قول ابن الجوزي (وكان له بستان عدة اجربة ... الخ) ولم يقل انه ملحق بالدار .

٢٣ ـ ص٧٧ : تذكر المؤلفة ان المقتدر صادر في جملة من صادر علي بن عيسى وترجعنا الى المنتظم والى البداية والنهاية ولم يذكر صاحب المنتظم في الصفحة التي اشارت اليها ٢٨٩/٦ اي شيء عن المقتدر ومصادرته لعلي بن عيسى انما (ذكر ان الخليفة الراضي قد عرض على علي بن عيسى الوزارة فابى واحاله الى اخيه عبدالرحمن بن عيسى الذي عجز فقبض عليه ... ويبدو ان المؤلفة لم تفرق بين المقتدر وابنه الراضي وبين علي واخيه عبدالرحمن .

٢٤ ـ ص٨٩ : لا حاجة للتمثيل بالغناء في عصر الرشيد وجعله نموذجا .

٢٥ – ص٩٢ : في الحديث عن مجالس الغناء تقدم وتؤخر فتذكر مجالس ابن الفرات ثم تعود وتذكر مجالس الوزير قاسم ابن عبيدالله وزير المعتضد وابن الفرات متاخر عن قاسم ابن عبيدالله وزير المعتضد ...

٢٦ – ص٩٤ : لا داعي للتركيز على المغني الموصلي وعهد الرشيد لان هذا العصر بعيد عن دراستها .

٢٧ – ص٩٤ : تقول المؤلفة (اما مجالس الطرب والغناء عند العامة فعلى الرغم من انه لم يرد في كتب التاريخ والادب معلومات وفيرة عن مثل هذه المجالس فانه مما لا شك فيه ان بعض العامة من المسلمين كانوا يحضرون حفلات تتناسب مع مستوى معيشتهم «٧٢») ، والهامش ٧٢ يرجعنا الى نشوار المحاضرة ولا ندري ماذا يقول صاحب نشوار المحاضرة عن هذا الذي يلصق به .

اننا ننبه المؤلفة الى ان العامة كانت لهم المجالس العديدة ولو راجعت سجل المغنيات عند ابي حيان في الامتاع لعرفت ولع العامة بالغناء وكذلك الامر في حكاية ابي القاسم وهنا لابد ان انساءل لم خصت بعض العامة من المسلمين ، والكتاب عام عن المسلمين وغيرهم من الملل والطوائف ..

٢٨ – ص ٩٧ : تقول في حديثها عن القصاص (واصبحت مجالسهم عامرة في المساجد ٩٢ او الطرقات ٩٣ او الاسواق ٩٤ بل وفي المقابر ايضا ٩٥) ، وللتاريخ نقول ان المصادر التي اشارت اليها في ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، لم تقل ولم تقرر مثل هذه الاشياء بالصورة الحاسمة التي قررتها المؤلفة الفاضلة لناخذ مثلا الهامش ٩٢ والذي ارجعتنا فيه المؤلفة الى ابن الجوزي في المنتظم ١٠/٨ وحين رجعنا الى ابن الجوزي وجدناه يقول في حديثه عن علي بن هلال المعروف بابن البواب انه كان (يقص بجامع المدينة) ولم يشر الى ان مجلسه كان عامرا من بعيد او قريب .

٢٩ – ص٩٩، ١٠٠ : شوهت كلام متز عن الوعاظ (ينظر متز ١١١/٢)

٣٠ – ص١٠٠ : تقول المؤلفة (وكذلك ابن سمعون الواعظ الذي كان مترفا في حياته ١١٤) والهامش ١١٤ يرجعنا الى المنتظم ١٩٨/٧ والمنتظم لم يذكر حين ترجم لابن سمعون انه كان مترفا .

٣١ – ص١٠١ تقول المؤلفة (واتخذ الوعاظ في مجالسهم في اماكن متعددة غير المساجد منها المقابر ١١٦ وبعض المحال العامة) (١١٧) ويرجعنا الهامش ١١٦ الى ابن الجوزي في المنتظم ٨٩/٩ ، وحين راجعنا المنتظم في الجزء والصفحة المشار اليهما، وجدنا ابن الجوزي يقول في ترجمته لرزق الله بن عبدالوهاب (وكان يمضي في السنة اربع دفعات في رجب وشعبان وعرفه وعاشوراء الى مقبرة الامام احمد ويعقد هناك مجلسا للوعظ) .

واذا علمنا ان هذا الواعظ قد توفي عام ٤٨٨هـ ادركنا البون الشاسع بين عصر المؤلفة وزمن الواعظ ، نضيف الى هذا ان مبادرة هذا الواعظ كانت فردية لا تعمم بهذا الشكل ..

اما الهامش ١١٧ فيرجعنا الى المنتظم ٢٠/١٠ والمنتظم هنا يتكلم على شيوخ ووعاظ عاشوا سنة ٥٢٧هـ فانظروا الدقة في البحث .

٣٢ – ص١٠٣ : تتكلم على المراسيم التي عرفت بالاعتقاد والقادري وتنسبها الى ابن الجوزي في المنتظم وابن الجوزي في الموضع الذي اشارت اليه المؤلفة يتكلم على حوادث سنة ٤٢٠ واظن ان هذه السنة بعيدة عن عصر المؤلفة نوعا ما . وكذلك تتحدث عن الاعتقاد القائمي وتقول انه اذيع سنة ٤٢٢هـ وتنسب ذلك الى ابن الجوزي في المنتظم ، وابن الجوزي في المكان الذي اشارت اليه المؤلفة يتحدث عن اخبار سنة ٤٦٠ للهجرة واظن ايضا ان المؤلفة قد ابتعدت كثيرا عن عصرها .

٣٣ – ص١١١ : تقول المؤلفة (اما عادات الحزن على الموتى فقد سادت مدن العراق في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة، وشملت جميع طبقات المجتمع حتى نساء الخلفاء ، فيروى ان ام المقتدر حزنت حزنا شديدا على وفاة ابنها الخليفة المقتدر) بالله ، ما هذا الاكتشاف الخطير حول الحزن !! اما كان الاجدر بالمؤلفة الفاضلة ان تحدثنا عما يفعلون في المآتم من لطم مثلا او قراءة قرآن او اقامة الفواتح او غير ذلك ، بعد هذا نتساءل ما معنى هذه العبارة (وشملت جميع طبقات المجتمع حتى نساء الخلفاء) ايمكن ان يكون الحزن غريزة انسانية بعيدة عن مجتمع نساء الخلفاء فجاءت وشملتهن في هذين القرنين ؟ يجوز !! .

٣٤ – ص١١١ : ايضا تقول المؤلفة (اما عن ثياب العزاء فان المؤرخين لم يمدونا بمعلومات وافية عن لونها ووصفها على اننا نستطيع ان نقول ! انه كان يغلب عليها اللون الاسود وذلك على ضوء ما ذكره بعض المؤرخين عن وفاة الخليفة المستنصر سنة ٦٤٠ وارتداء رجال الدولة الثياب السوداء في يوم وفاة هذا الخليفة «٣١»)

والهامش «٣١» يرجعنا الى ابن الجوزي في المنتظم ٢٩٥/٨ ولعلم القراء نقول : ان ابن الجوزي توفي سنة (٥٩٧هـ) اي قبل وفاة الخليفة الذي ذكرته بثلاث واربعين سنة فكيف تسنى لابن الجوزي الميت أن يؤرخ للمستنصر ، ربما هذه عجيبة جديدة !! ، ومع هذا رجعنا الى المنتظم ٢٩٥/٨ فوجدنا ان ابن الجوزي يتحدث عن وفاة الخليفة القائم بامر الله سنة ٤٦٧ هـ ، ولم يذكر ايضا ان رجال الدولة قد لبسوا ثيابا يغلب عليها اللون الاسود ، اظن ان الامر لا يحتاج الى محاججة ..

٣٥ – ص١١١ : الاقوال التي ذكرتها المؤلفة حول العادات الفارسية ، والتي اعطتها رقم ٢٣٦ ورقم ٣٧ ونسبتها الى البيروني والثعالبي ، وكانت والحقيقة عملية نقل مشوه عن آدم متز ٢٩٠/٢ ولم تعتمد المؤلفة كما رايت على البيروني ولا على الثعالبي ابدا ، اشارت الى المصادر نفسها التي اشار اليها متز ، وحبذا لو تركتها كما وضعها متز ولكنها للاسف غيرت فشوهت ، فقد ذكر متز انه راجع البيروني في الآثار الباقية ص ٢٢٣ وجاءت المؤلفة وقالت انها راجعتها ص ٢٢٢ وذكر متز التهادي واشار الى اليتيمة ٦٥/٤ فجاءت المؤلفة وابدلت ٦٥/٤ بـ ٢٨١/٢ وشتان بين الرقمين ، حتى وان اختلفت الطبعات .

٣٦ – ص١١٥ : تقول المؤلفة (كانت مظاهر الاسلام تتجلى في الاحتفال بعيدي الفطر والاضحى في جميع البلاد الاسلامية وبخاصة طرسوس حيث يتوافد اليها غزاة المسلمين من انحاء الدولة الاسلامية ٥٧) .

وترجعنا في هامشها «٥٧» الى استاذها محمد جمال سرور، واذا كان الامر كذلك ، ولا اظنه كذلك فقد توهمت هي واستاذها،

فلم يكن هناك بلدة اسمها طرسوس ، انما هي طرطوس وهي في سوريا على الساحل وهذا الكلام على ما رايته منقول نقلا مشوها من آدم متز ٢٩٢/٢ .

ثم لم تبين لنا المؤلفة ما علاقة العراق بطرطوس وحتى ان كانت هناك علاقة فلماذا كانت طرطوس مركزا لابهة هذين العيدين لماذا لم تفسر ذلك ؟

٣٧ – ص١١٦ : الهامش ٦٥ اعتمدت فيه على المنتظم ٣٥/١٠. والجزء العاشر يتكلم فيه ابن الجوزي على حوادث القرن السادس ، فلماذا تستند المؤلفة على اخبار القرن السادس في استخلاص قضايا اجتماعية المفروض انها تسجلها للقرنين الثالث والرابع للهجرة .

٢٨ – ص١٢٢،١٢١ : الهوامش ١٠٣،١٠٤،١٤٥ ، والتي تنسب اقوالها الى تلبيس ابليس لم اجدها في هذا الكتاب بالرغم من مراجعتي الطبعة التي اعتمدتها المؤلفة ، ومحاولتي ايجاد تعليل لما وقعت فيه بان اقلب ارقام الهوامش أو ابدلها لعل الطباع سها او اغفل لكن هيهات .. وهناك هوامش غير هذه كثيرة نسبتها المؤلفة الى كتب لم اجدها ، وعزوت ذلك الى خطأ مطبعي او سهو ، أو غير ذلك .

هذه ملاحظات قصيرة اردت ان اسجلها على المؤلفة الفاضلة راجيا من عملي خدمة الحقيقة التاريخية آملا ان تكون البحوث الادبية والتاريخية الاكاديمية بمستوى المسؤولية .

• • •

مناقشـــات :

الأدب العـراقي القـديم
ومصـادر رسـالة الغفـران

بقـــلم
طراد الكبيسي

يحتل الادب العراقي القديم (اساطير وملاحم وقصـــائد غنائية ..) مكانة خاصة من بين التراث العربي والانساني . لدى بعض الشعراء العراقيين المعاصرين (البياتي ـ السياب ـ حسب الشيخ جعفر) وقبلهم بزمن طويل : ابو العلاء المعري في رسالة الغفران .

والذي نعتقده اولا ، ان تأثر المعري بهذا الادب كان تأثرا غير مباشر ، من خلال الموروث الشعبي الشائع . ذلـك ان هذا الادب ، لابد انه كان شائعا ـ دون ان تعرف اصوله ـ على شكل حكايات واساطير وخرافات ، ومتداخلا مع مصادر التراث الانساني الاخرى : اليوناني والفارسي خاصة .

وقد يبدو وهذا الزعم غريبـا ، خاصـة وان الدراسـات التي تناولت رسالة الغفران وكشفت مصادرها ، تجاهلت هذا الادب تماما ـ جهلا به او تجاهلا له ـ واعتبرت الكثير من الاساطير والصور التي تضج بها رسالة الغفران ، على انهـا يونانية . .

(دراسات لويس عوض مثلا) بينما هي في حقيقتها ليست سوى اساطير وصور عراقية شائعة في الموروث الشـعبي الشفاهي ، او متحولة من صيغتها العراقية الى صيغـة يونانية او فينيقية ، وربما فرعونية . فادونيس مثلا وانيروريس ليسا الا رموز البابلي .

واوديسيوس ليس الا صورة متحولة لجلجامش بطل الملحمة المشهورة باسمه . وفينوس هي عشتار ... ونحن هنا ، وان كنا لا نجزم بتأثر المعري بالادب العراقي القديم الا بقدر ما يرد الشيء الى اهله ولكن اذا كان البعض يفترض تأثر المعـري بالاداب اليونانية القديمة استنادا الى اصول القصائد والخرافات والصور ، واذا كانت هذه الصور والمعتقدات عراقية ، واقدم وجودا من متشابهاتها في الاداب الاخرى ، واكثر شـيوعا .. فالاولى اذن ان نفترض تأثر المعري بها لاسباب تاريخية وحضارية وبيئية بحيث يبدو الفرض اكثر واقعية من ارجاعه الـــى متشابهات ابعد .. دون ان ننكر امكان تأثر المعري بتلك الاداب، بل انه ليبدو في كثير من الصور الاخرى والتي اشار اليها الدكتور لويس عوض في كتابه وعلى هامش الغفران) (١) اكثر قربا الى اليونان من اي مصدر اخر .

* * *

١ ـ يفترض الدكتور عوض ان المعري حين يحدثنا عن (طعام الخلود) وشراب الخلود او « ماء الحيوان » كما جاء في رسالة الغفران اذ نرى ابن القارح يتنزه في ريـــاض الجنة على نجيب من در وياقوت ومعه شيء من طعـــام الخلود ، ذخر لوالد سعد او مولود (٢) ومثل هذا شراب الخلود أو شراب « النكتار » كمـا يـسميه القدمـــاء ،

قال المعـري :

« وتجري في اصول ذلك الشجر ، انهار تختلج من ماء الحيوان والكوثر يمدها في كل اوان ، من شرب منها النغبة فلا موت ، قد أمن هنالك الفوت ... » (ص١٤١) .

يفترض الدكتور عوض ان « طعام الخلود » وشراب الخلود هنا ، وهـو مـا كـان يسـمى في الاداب القديمـة « الامبروزيا » (العنبر) قد استقاه المعري من الاداب اليونانية طالما انه ذكر له في المصادر الاسلامية (ص ١٢٤) .

وقد يكون حقا لا ذكر لهذا في المصادر الاسلامية ولكن له ذكرا في المصادر العراقية القديمة ، وهي اقدم بكثير من المصادر اليونانية ، ونجد ذلك في قصة ـ آدابا ـ السومرية ، التي تروي ان ـ آدابا ـ كان صيادا معنيا بتزويد الالهة بالسمك ، وبينما كان يصطاد السمك ذات يوم ، هبت الرياح الجنوبيـة فقلبت قاربه ، فضربها وكسر جناحها فلم تهب لسبعة ايام ، مما لفت نظر الاله آنو ، فارسل في طلب آدابا واستكشف خبره، وتقبل اعذاره ، واراد ان ينعم عليه بالخلود فقدم له خبـز الحياة وماء الحياة ، فرفضه تنفيذا لوصية ابيه (ايا) خشية ان يكون ما قدم له هو ماء الموت وخبز الموت ، وبذلك اضاع ادابا فرصة الحصول على الخلود .

---

(١) كتاب الهلال . ع (١٨١) ابريل ١٩٦٦ .

(٢) رسالة الغفران : ت : بنت الشاطيء ـ دار المعـارف ط ٤ ـ ص ١٧٦ .

٢ ـ ويفترض الدكتور عوض ان حالة الارتداد الى الشباب وارتداء حلة الشباب الدائم التي اشار اليها المعري في اكثر من موضع ، حيث نرى الاعشى مثلا وقد ارتد شابا وسيما . او بلغة المعري :

« فيبتدىء بزهير فيجده شابا كالزهرة الجنية قد وهب له قصر من ونية ، كأنه ما لبس جلباب هرم ، ولا تأفف من التبرم ، وكأنه لم يقل في الميمية :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش
ثمانين حولا ، لا ابالك يسأم !
(ص ١٨٢)

ومثل هذا ما حدث لبعض النسوة في الجنة كحمدونه وتوفيق السوداء حيث تستحيل القبيحة الى حسناء ، والسوداء الى بيضاء ..

ان الدكتور عوض يفترض ان حالة الارتداد الى الشباب الدائم والى الفتوة الفارعة بفضل شراب العشب السحري ، انما هي مستقاة من الاداب القديمة ـ والاداب القديمة لا تعني للدكتور عوض الا الاداب اليونانية ! ـ كما حدث لاوديسيوس ورجاله في نعيم الحورية كيركا وحورها . طالما ان هذه الحالة ـ حالة ارتداد البشر في الجنة الى حالة الشباب الدائم ـ ليس لها سند في ابن عباس ولا في المصادر الاسلامية المعتمدة (ص ١٢٦)

ولكنا نجد قبل اوديسيوس الذي صنعه هوميروس في ملحمته ، ان جلجامش في رحلته التي قام بها لزيارة جده ـ اوتونبشتم ، تمكن من العثور على « عشب الشباب » ثم عاد ففقده . اذ التهمته منه الحية ، جاء في الملحمة :

سافتح لك ، ياجلجامش ، سرا خفيا
اجل ! ساكشف لك عن سر من اسرار الالهة !
يوجد نبات مثل الشوك ينبت في المياه
انه كالورد شوكه يخز يديك كما يفعل الورد فاذا ماحصلت يداك على هذا النبات وجدت الحياة الخالدة .

وما ان سمع جلجامش هذا القول حتى فتح المجرى الذي اوصله الى الحياة العميقة .

وربط بقدميه احجارا ثقيلة
ونزل الى اعماق المياه حيث ابصر النبات
فاخذ النبات الذي يخز يديه
وقطع الاحجار الثقيلة من قدميه
فخرج من الاعماق الى الشاطىء
ثم قال جلجامش لاور ـ شنابي الملاح :
« يا اور ـ شنابي ـ ان هذا النبات نبات عجيب
يستطيع المرء ان يطيل به حياته
لاحمله معي الى اورك الحمى والسور
واشرك معي الناس لياكلوه
وسيكون اسمه : يعود الشيخ الى صباه كالشباب
وانا ساكله في آخر ايامي حتى يعود شبابي .

٣ ـ اما افتراض شجر الصفصاف بالذات ـ الذي هو من جملة شجر الجنة ، انه لابد ان يكون من رواسب ثقافة المعري اليونانية (ص ٢٦١) فالاولى به ان يكون من « رواسب المعتقدات الفولكلورية الشائعة في زمانه » سواء أكانت من مصدر محلي ام عالمي خاصة واننا نعلم ايضا ان شجر الصفصاف من الاشجار التي ورد ذكرها كثيرا في الاداب العراقية القديمة . وقد صنعت منها عشتار اداتين (بكي ومكي) كما جاء في الاسطورة. وهكذا ايضا شجر الحور .

اذن لا يمكن الا ان تكون لهذه الشجرة مكانة مقدسة او خاصة لدى العراقيين القدماء .

تعقيب على «أشعار صاحب الزنج»

بقلم
علي حسن

في العدد الفائت من « المورد » ظهرت مجموعة اشعار علي بن محمد ، المعروف بصاحب الزنج ، والتي قام بجمعها وتحقيقها احمد جاسم النجدي ، وكنت قد اطلعت قبلها على مقال عبدالجبار ناجي ، (المورد : المجلد الاول ، العددان : الثالث والرابع) ـ صاحب الزنج الثائر الشاعر ـ ، وعنت لي وقتها بضع ملاحظات جعلتها هامشا جانبيا ، ولم اشأ ـ وقتها ـ ان أزيل وهم عبدالجبار ناجي ، عن ايراده قطعة شعرية ، منسوبة لصاحب الزنج ، لولا ان وردت اشعار الاخير ، مجموعة (ومحققة) ومن قبل احمد جاسم النجدي ، وبضمنها القطعة التي اشرت اليها سابقا .

وظهر لي ان النجدي قد اعتمد على مقالة ناجي ، فيما يخص الشعر .. وعلل النجدي ذلك بانه لم يتح له الاطلاع على مخطوطة الوافي للصفدي ، بجزئها العشرين (1) .. ولذلك كان جل اعتماده على ناجي فيما اورد من الاشعار ، نقلا عن مخطوطة الوافي . وهذا القول لا يجرد جامع (ومحقق) اشعار صاحب الزنج ، من تبعية الخطأ ، الذي قد يقع فيه عبدالجبار ناجي ، بل يشترك فيه ، ويقاسمه اياه ، ان لم تكن مسؤوليته فيه اعظم ، لانه (يحقق) شعرا ينبغي الوقوف عليه طويلا قبل تسجيله ونشره بين الناس .

والنص الشعري الذي ضمنه (المحقق) ، مع اشعار صاحب الزنج ، هو النص الرابع ، واليكه ، كما اورده (المحقق) :

ساغسل عني العار بالسيف جالبا
على قضاء الله ما كان جالبا (2)
واذهل عن داري واجعل نهبها
لعرضي من باقي المذلة حالبا
فان تهدموا بالغدر داري فانها
تراث كريم لا يبالي العواقبا
اذا هم القى بين عينيه عزمه
ونكب عن ذكر العواقب جانبا
ولم يستشر في رأيه غير نفسه
ولم يرض الا قائم السيف صاحبا

وايراد (المحقق) لهذا النص ، وهم منه ، اذ ان هذه الابيات مضافة اليها ابيات اخرى ، وقد وردت في مجموعة ابي تمام الطائي ، والمعروفة باسم « الحماسة » (3) لشاعر اخر ، هو : سعد بن ناشب بن مازن بن عمرو بن تميم ، وهو شاعر اسلامي ، ومن شياطين العرب « انظر : الشعر والشعراء ، ٦٧٧ ، والخزانة (٣ : ٤٤٤ـ٤٤٦) .... » وقد شرحها المرزوقي مع ما شرحه من اشعار « الحماسة » . وابيات النص الشعري ، الذي وهم فيه احمد جاسم النجدي ، هي هذه :

ساغسل عني العار بالسيف جالبا
علي قضاء الله ما كان جالبا
واذهل عن داري واجعل هدمها
لعرضي من باقي المذمة حاجبا
ويصغر في عيني تلادي اذا انثنت
يميني بادراك الذي كنت طالبا
فان تهدموا بالغدر داري فانها
تراث كريم لا يبالي العواقبا
اخي عزمات لا يريد على الذي
يهم به من مقطع الامر صاحبا
اذا هم لم تردع عزيمة همه
ولم يات ما ياتي من الامر هائبا
فيال رزام رشحوا بن مقدما
الى الموت خواضا اليه الكتائبا
اذا هم القى بين عينيه عزمه
ونكب عن ذكر العواقب جانبا
ولم يستشر في امره غير نفسه
ولم يرض الا قائم السيف صاحبا

وبعد ،

فان الذي حدا بي الى هذا الامر ، هو كون هذا النص ، ضمن اشعار لشاعر اخر ، هو صاحب الزنج ، في الوقت الذي هو للشاعر الاسلامي سعد بن ناشب ، لذا اقتضى ازالة الوهم ، ...

---

(1) المورد : المجلد الثالث ، العدد الثالث . ص١٦٧ ، هامش ٣ .

(2) المورد : المجلد الثالث ، العدد الثالث ، ص ١٦٨ .

(3) شرح ديوان الحماسة ، لابي علي احمد بن محمد بن الحسن المرزوقي ، طبعة احمد امين وعبدالسلام هارون . الطبعة الثانية ـ ١٩٦٧م ـ القاهرة/ص٦٧ .

تصحيح وشكر ..

بقلم

هاشم الطعان

في المورد ـ المجلد الثالث ، العدد الثاني ـ كنت قد نشرت رسالة في (مراتب النحويين) عنونتها لـ (مخطوط فريد نفيس عن مراتب النحويين) .

وفي خلال ما ورد في هذه الرسالة عن النضر بن شميل جاء ص١٤٢ـ١٤٣ « ولم نجد على النضر سقطا في العربية الا شيئا يزعم اهل الحديث انه اخطأ فيه ويزعمون انه خالف فيه سائر الرواة وهو قوله : **العبرية** فيرده اهل الحديث بغير بينة . والصواب في كلام العرب ما جاء به النضر وذلك ان **العبرية** عند العرب الاخذ بجفاء وغلظ وشدة . وذهب اهل الحديث الى انه بغير بينه وحجة نقل ما نقل .

ومن قال : **القبربينة** اي تأخذه بجفاف وعنف وليس من اخلاق اهل العقل . كأنه قال عليك بالرفق به والتؤدة . هذا كلام العرب » .

وعلقت في الهامش على (العبرية) : لم اجد في المعجمات وكتب اللغة هذه الكلمة بهذا المعنى .

وعلقت على (القبربينة) : كذا في الاصل ولم اهتد لصوابها .

وكان ذلك عذري .

* * *

وفي المامة باستاذنا محمود محمد شاكر في داره بمصر الجديدة ، خلال زيارتي لمصر ، جلست اليه فيمن يجلس مستفيدا من علمه الجم وخلقه الحميد فأشار الى انه قرأ نشرتي لهذه الرسالة وكان من عنايته بها وبي ان لفتت نظره اللفظتان المستعصيتان فادارهما في ذهنه النير واقترح ان تكونا (العترسة) . وهي من الفاظ الحديث .

وقد عدت بعد هذه الاشارة الكريمة الى الفائق في غريب الحديث للزمخشري (تح على محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم ـ الطبعة الثانية) فوجدت في الجزء الثاني منه ص ٣٠٥ « عمر رضي الله عنه ـ قال عبدالله بن ابي عمار : كنت في سفر فسرقت عيبتي ، ومعنا رجل يتهم ، فاستعديت عليه عمر بن الخطاب وقلت : لقد اردت والله يا امير المؤمنين ان آتي به مصفودا ، فقال : تأتيني به مصفودا تعترسه ! فغضب ولم يقض له بشيء .

اي مقيـدا .

والعترسة : الاخذ بالجفاء والغلظة .

ويحتمل ان يقضي بزيادة التاء وتكون من العراس ، وهو ما يوثق به اليدان الى العنق : يقال : عرست البعير عرسا .

وقد روي : بغير بينة . وقيل : انه تصحيف ، والصواب تعترسه .

ويكون النص قد استقام بهذا وزال التصحيف

شكرا لابي فهر هذه اليد ..

المحتوى

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ـ بغداد

(١٠٠ لسنـة ١٩٧٥)

دار الحريـة للطباعة ـ بغـداد

١٩٧٥

V. REVIEW, CRITICISM AND INTRODUCTION

CONTENTS

AL-MAWRID

A QUARTERLY JOURNAL OF CULTURE AND HERITAGE

ISSUED BY MINISTRY OF INFORMATION

Baghdad – IRAQ

Rending a Nation Service is a Result of the Profit Gained from Books that Preserve the National Heritage and Procreate our Ancestors Glories.

Ahmed Hasan Al-Bakr

AL-HURRIYA PRINTING HOUSE
BAGHDAD — IRAQ
1975

AL.MAWRID VOL. IV No. 2 1975